
د. محمد الباز
صحافة الإثارة
السياسة والدين والجنس
في الصحف المصرية

د. محمد الباز

صحافة الإثارة

السياسة والدين والجنس فى الصحف المصرية

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة ـ ميدان حليم خلف بنك فيصل ـ شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
٠١٠٠١٠٤١١٥ — ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٢٩٩٦١٦٣٥ — ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : صحافة الإثارة

السياسة والدين والجنس فى الصحف المصرية

المؤلف : د. محمد الباز

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٤٣٨٥٢

الطبعة الأولى ٢٠١٠

مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا .

ت: ٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤

محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

قبل أن تقرأ :

أعرف أنه من الصعب على القارئ أن يقرأ هذا العمل الضخم الذي استغرقت في إعداده حوالي أربع سنوات ، وأعرف كذلك أنه لولا حماس الناشر الكبير فتحي هاشم لنشره ما كان له أن يرى النور ، وأعرف كذلك أن الكتاب الذي بين يديك وكان في الأصل رسالتي لنيل درجة الدكتوراه في الإعلام من جامعة القاهرة سوف يثير من حوله الزوابع والخلاف ؛ لأنه يقتحم ظاهرة خطيرة في الصحافة المصرية .. لم يجرؤ أحد قبل ذلك أن يمر بجوارها .

ومع ذلك كله فإن الكتاب أصبح بين يديك .. وكلي ثقة أنه سيضيف إليك ولن يحذف منك ، كما أنه ليس مثل الدراسات الأكاديمية الجافة التي تنفرك منها من الصفحات الأولى ، فما أنجزته راعيت فيه أنني أبحث من أجل المجتمع والقارئ .. وليس من أجل تراب المكتبات الأكاديمية .

د. محمد الباز

يناير ٢٠١٠

محاولة للإقتراب

الإثارة فى الصحافة المصرية

■ جدلية التيار.. وأسباب الاختيار



يجد الباحث لزاما عليه وقبل أن يطرق باب دراسته العلمية حول «تيار الإثارة فى الصحافة المصرية»، أن يعترف أنه اختار هذا الموضوع مدفوعا بأسباب موضوعية، يسعى من خلالها إلى استجلاء جوانب تيار صحفى تجاوز مرحلة المشكلة إلى مرحلة الإشكالية،التى يمكن للباحثين أن يحددوا ملامحها، لكنهم يظلون غير قادرين عن سبر أغوارها أو الإحاطة بجوانبها المجتمعية.

وأسباب ذاتية لا يمكن للباحث أن يخفيها لأنها تمثل جزءا لا يتجزأ من تكوينه المهنى وثقافته التى تحدد انتماءاته وانحيازاته ليس فى الصحافة فقط ولكن فى الحياة أيضا.

كان يمكن للباحث أن يوفر على نفسه عناء هذا الإعتراف....

لكنه يجد من الأمانة العلمية أن يؤكد أنه خلال عمله فى الدراسة وجد نفسه فى مواقف عديدة غير قادر على أن يكون محايدا،خاصة هذا الحياد الذى يتشدق به دعاة الموضوعية فى البحث العلمى ، فهناك بعض القضايا العامة التى قدمت لها الصحافة المصرية منذ أواخر تسعينات القرن العشرين وحتى الآن معالجات تنطوى تحت تيار الإثارة، كان الباحث طرفا فيها سواء بالكتابة المباشرة أو بتوجيه المعالجة الصحفية إلى منحى بعينه بحكم موقعه فى الصحف التى عمل بها.

وكانت لدى الباحث إشكالية رافقته طويلا خلال عمله البحثى وهى:

كيف يكون كاتبا وناقدا للشئ نفسه فى وقت واحد؟

وهل يمكن أن يتجرد الباحث من قناعاته المهنية والشخصية ويقف على الشاطئ الآخر ليحاكم نفسه؟

ولا يخفى الباحث أنه شعر أثناء عمله – فى هذه الدراسة – ببعض الإزدواجية، وقليل من التناقض بين ما يقوم به وما يجب أن يقوله نزولا على مقتضيات البحث العلمى وإلتزاما بما يمكن أن يطلق عليه موضوعية السياق، التى هى حلم يصعب تحقيقه لدى الباحثين فى مجال العلوم الإجتماعية.

فهو على المستوى الشخصي مقتنع بأن الصحافة يجب أن تعمل بلا سقف،وإذا كان هناك من خط لا يجب أن يتعداه فإنه خط الأعراض والحياة الشخصية ،ما لم تتحول هذه الحياة الشخصية إلى قضايا منظورة أمام المحكم وجهات التحقيق فيمكن تناولها وحتى على هذا المستوى لا يكون التناول بشكل مطلق ،بل بشكل يحفظ للناس كرامتهم ولا يعرضهم للإهانة،لكن ما دون ذلك فمن حق الصحافة أن تشتبك معه إشتباكا حقيقيا وذلك من أجل حق القارئ فى المعرفة،وهو الحق الذى يضن الجميع عليه به.

لكن على المستوى الموضوعى يدرك الباحث أن هناك سياق قانونى وإجتماعى وثقافى تعمل فيه الصحافة ،ويجب أن يكون ما تقدمه متناسبا مع هذا السياق ولا يخرج عنه، وإلا تكون الصحافة بذلك متجاوزة، ليس للقانون فقط ولكن لعادات المجتمع وتقاليده وأعرافه، وهو أمر ليس من السهل التهاون معه وإلا أصبح السياق العام الذى تتحرك فيه الصحافة هو الفوضى المطلقة.

إن الباحث يتحرك من وجهة نظر محددة فى صحافة الإثارة،تتلخص فى أن الصحافة فى الأساس يجب أن تنطلق من أرضية جذب الانتباه والسيطرة على إهتمام القارئ والاستحواذ على مشاعره،وهو ينضم بهذه القناعة إلى مدرسة الصحافة الجماهيرية الواسعة الانتشار، وإذا كان البعض يطلق عليها صحافة إثارة ولا يكتفى بذلك بل يرفضها ويدينها ويقلل من شأنها،فليقل ما يشاء فهى فى النهاية صحافة مطلوبة ،ولا يستطيع أن ينكرها أو يتنكر لتأثيرها أحد:فالصحفيون فيها يذهبون مدارس ومشارب وأذواق .... والقراء أيضا.

ولا ينكر الباحث قناعته الشديدة بما ذهب إليه الصحفى الإنجليزى «كريستيانسين» الذى رأس تحرير جريدة «الديلى إكسبريس» أربعين سنة ،ويعتبر أحد مؤسسى صحافة الإثارة فى إنجلترا،حيث ألف كتابا عنوانه : «مانشيتات مدى الحياة»...

وكان من بين ما قاله فيه :

أنه كان كلما سار فى إحدى حدائق لندن ورأى رجلا يجلس هادئا عازفا عن كل شئ، يشعر بالحاجة إلى أن يذهب إليه ،ويهز كتفيه بشدة ويصيح فيه أن هذا العالم ملئ بالأحداث التى يجب أن تثير إهتمامه ،وأنه بهذه الروح كان يصدر «الديلى إكسبريس» لكى يصدم ويثير ،ولا يترك فردا لا يهتم بقراءة الصحف مهما كان مستواه.

وهكذا الباحث فإنه خلال عمله الصحفى يريد كلما مر على مواطنيه السائرين فى الميادين العامة،والجالسين على المقاهى فى الشوارع، والنائمين على مكاتبهم فى المؤسسات الحكومية، والمتسكعين على النواصى بلاعمل حقيقى، والمقهورين وأصحاب المظالم الذين لا يستطيعون أن يحصلوا على حقوقهم ممن سلبوهم حقهم فى الحياة الحرة الكريمة، يريد أن يصرخ فيهم: استيقظوا فمصر بها من المشاكل والأحداث التى تستحق أن تنتبهوا لها، ليس ساعة من نهار ولكن نهاركم وليلكم كله.

يدرك الباحث أن المجتمع الذى يعيش فيه مختلف، فهو فى النهاية لم يصل بعد إلى مرحلة القناعات الديمقراطية معرفة وتطبيقا، وهى القناعات التى تعيش عليها المجتمعات التى نشأت وتطورت فيها صحف الإثارة، حيث أفسحت لها المجال لتعمل وتنتشر وتربح، ودعمتها حتى أصبحت ظاهرة،ثم استوعبتها وشرعت لها من القوانين ما ينظمها ويحد من قوة وحدة أنيابها.

لكن المجتمع هنا يربى أبناءه فى النهاية على أنه «ليس كل ما يعرف يقال»، وتتمكن منه ثقافة الستر، «فإذا كان من الأفضل أن تقول فمن الخير أن تصمت»، ويغذى ذلك مخزون ثقافى له مرجعية دينية وأخلاقية ، «فإذا كان الكلام من ذهب فإن السكوت من فضة»، و«من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت»، ولذلك يتعجب الذين يتعرضون لصحافة الإثارة أنها قادرة على الكلام، بل إنها تخوض فيما لا يجب أن يخوض فيه أحد.

وتتوحد الأسباب الذاتية التى دفعت الباحث لإختيار هذا الموضوع مجالا لبحثه مع

الأسباب الموضوعية، فقد اختار «صحافة الإثارة» لدراستها، لأنه وقبل تخرجه من كلية الإعلام دخل مطبخ هذه الصحف واقترب من صناعها ، وقادته الأقدار بعد ذلك لأن يكون واحدا منهم،وهو ما أتاح له أن يتعرف على أسرارها وآليات إنتاجها وما تريده وما يراد منها.

ويمتلك الباحث مساحة مصارحة مع نفسه تجعله قادرا على أن يخضع ما يفعله أو يفعله من يعملون فى مساحات تيار الإثارة فى الصحافة المصرية للنقد والتحليل،ثم إن التقييم ليس هو الهدف الوحيد للدراسة،فهناك أهداف أخرى تسعى للإحاطة بهذا التيار أسبابا ودوافعا ونتائج.

ويرى الباحث أن تجربته فى صناعة هذه الصحف يمكن أن تمكنه من أن يقدم لمكتبة الدراسات الإعلامية فى مصر بحثا يسعى لأن يكون متكاملا – قدر ما يستطيعه ويتحمله ويطيقه – عن تيار لا يزال يعانى من حالة تشويش وتشويه سواء فى رصدها أو دراستها.

لقد خضعت صحافة الإثارة فى مصر إلى أحكام أخلاقية وقيمية على مستوى الخطابات الثلاثة...

السياسى...

والصحفى....

والأكاديمى....

وليست هناك حتى الآن محاولة جادة لدراسة التيار للوصول الى حدوده وملامحه المهنية والعلمية .

ويذكر الباحث أنه تابع ومنذ فترة مبكرة الدراسات والمناقشات والمقالات والحوارات التى تناولت صحافة الإثارة من جوانبها الكثيرة والمتباينة، فوجد أنها فى أغلبها ليست موضوعية ،ترتكن فى الغالب إلى معلومات يطلق عليها الباحث **«معلومات السطح»**، حيث لم ينفذ أحد إلى عمق الظاهرة ولو ليتحمل عناء تقديم الدليل على ما يذهب إليه من

إدانة للصحافة التى تأخذ من الإثارة شرعة ومنهاجا لها،أو تحبيذها كنمط معالجة له ما يبرره ويدعمه لدى صناعها.

ولذلك فإن الباحث يرى أن التيار لا زال فى حاجة إلى الدراسة التى تتجاوز مرحلة الرصد والتوصيف إلى مرحلة التحليل والتفسير،ليس من أجل الدفاع عنه أو إدانته،فهذه أحكام أخلاقية لا ينبغى للباحث أن يتورط فيها، ولكن من أجل بلورته والوصول إلى حدوده ،ومعرفة كيف يستفيد المجتمع منه إذا كان له ثمة فائدة، أو على الأقل كيف يمكن أن يتجنب ضرره إذا كان له ثمة ضرر.

لقد كانت هناك عوائق عديدة وقفت فى طريق أن يكون الباحث محايدا منها انتماءه لهذا النمط من الصحافة وإقتناعه الشديد بما تقدمه.

لكنه وجد فى النهاية أن هذه العوائق نفسها هى التى يجب أن تجعله محايدا،ذاك الحياد الذى يجعله يقدم لسلبيات التيار قبل أن يثبت إيجابياته،فهذه فرصة علمية، لا يجب أن تبدد دون دراسة هذا التيار بشكل جدى ومتعمق ،عسى أن تكون هذه الدراسة سبيلا لمعرفة إمكانيات هذه الصحافة وما يمكن أن تقدمه من أجل تنمية المجتمع ونهضته وجعله أكثر وعيا واستنارة.

لقد وقف الباحث من خلال احتكاكه المباشر مع هذا النمط من الصحافة على أن هناك نوعين من الصحف فى مصر يعملان الآن :

النوع الأول: الصحافة التى تعرف إحتياجات القارئ وتقدمها له دون أن تهتم بما وراء ذلك ،ولا تسأل نفسها هل تلبية إحتياجات القارئ بهذا الشكل تفيده أم تضره؟

والنوع الثانى: الصحافة التى تسعى إلى معرفة إحتياجات القارئ وتلبيها له،لكنها وهى تفعل ذلك تحاول أن ترقى هذه الاحتياجات وتهذبها وتنميها وتحولها إلى طاقة خلاقة تفيد القارئ ومن ثم تفيد المجتمع الذى يعيش فيه.

وجود هذين النمطين من الصحافة وتجاورهما يؤكد أنه ليس كل ما تقدمه صحافة

الإثارة صواب، وليس كل ما تقدمه خطأ،إنه فقط تيار يستحق الدراسة لما يخلفه وراءه من صخب مهنى وسياسى وإجتماعى هائل،وكذلك من تأثيرات حادة وواضحة على أنماط الصحف الأخرى حيث تسربت أنماط معالجته الى صحف رصينة دأبت على تقديم معالجات جادة ووقورة للقضايا التى تتناولها

ويعتقد الباحث أن هذه أسباب كافية لأن يدخل مساحة هذه الظاهرة الواسعة التى تكاد تكون بلا ملامح واضحة ،فمن دخلوها قبله إما ضلوا ، أو تعمدوا أن يضللوا من سيأتى بعدهم،ولم يكن ذلك عن سوء نية منهم أو عن قصور فى أدواتهم البحثية بقدر ما كان بتأثرهم بالصور الذهنية الراسخة عن هذه الصحف.

وفى الحالتين لن يقتفى الباحث أثرهم بل سيسير فى طريق يتحرى من خلاله الدقة قدر الطاقة والإمكان.... وذلك لوجه العلم فقط.

لقد لا حظ الباحث من خلال المتابعة المتأنية والدوؤبة لما تعرضت له صحافة الإثارة من رصد بحثى ونقدى أن هناك خلطا لا ينجم عن تعمد بقدر ما ينجم عن سطحية فى الرؤية وإنجرار وراء صور ذهنية ثابتة صاغها أصحابها على ضوء ما يقوله الآخرون دون أن يهبطوا بأقدامهم إلى النهر.

إن مصطلح «الصحافة الصفراء» الذى يعبر عن ممارسة وحالة مهنية فى الغرب تم إبتذاله وإنتهاكه مهنيا وأكاديميا وإجتماعيا أيضا، ففى مصر يطلق على الصحافة المتجاوزة فى كل حالاتها الأخلاقية والمهنية والقانونية، وفى هذه الفوضى التوصيفية ضاعت إسهامات الإثارة الجادة وما تقدمه الصحافة الشعبية.

وهى فوضى وصلت إلى مستوى إعتبار أن الصحافة الصفراء هى صحافة الإثارة ، ويقع أصحاب هذا الخلط فى إشكالية تعميم الجزء على الكل وإختصار الكل فى الجزء.

ويتبع هذا التصور إدانة عامة وشاملة لكل ما يصدر عن هذه الصحافة،على إعتبار أنها صحافة غير أخلاقية تعادى العادات والتقاليد وتخرج عنها وتخترق المحرمات وتتجاوز

القانون،وذلك من أجل زيادة التوزيع عبر دغدغة مشاعر وعواطف القراء لجعلهم يشترون هذه الصحف، رغم أنه قد لا تكون لديهم حاجة إليها،لكنه الشراء الذى تغذيه الرغبة فى التطفل،وهى الرغبة التى سرعان ما يتم إحباطها ،حيث يكتشف القارئ أنه تعرض لحالة من الخداع الصحفى.

لكن ما يثير التساؤل أن هذا القارئ الذى تم خداعه يعود مرة أخرى ليخدع مرة ثانية وتقريبا بنفس الطريقة.

ويبدو أن هذه المتابعة استسلمت إلى التصور العام عن الصحافة الصفراء،وهو تصور استجاب للذهنية العربية التى تربط بين «الصحافة الصفراء..... والكتب الصفراء»، وهى كتب عديمة النفع والقيمة، أكل الدهر عليها وشرب واصفرت أوراقها وتقادمت معلوماتها فلم تعد صالحة للعصر الذى نعيش فيه،ويستند هذا التصور إلى ما ورد عن كلمة «صفراء» فى القواميس اللغوية،فالصفرة بالضم تعنى السواد،وقد اصفر فهو أصفر وهى صفراء، والصفراء المرة من المرارة المعروفة،والصفر بالتحريك داء فى البطن يصفر الوجه واصفر أى افتقر وصفرت وطابه أى مات.

ويبنى على ذلك أن «الصحافة الصفراء» مثل «الكتب الصفراء» فيها إشارة ذات معنى إلى خلوها من المضمون وإلى ما فيها من داء ومرض وهزال وغرض.

هذا القياس بالنظر إلى واقع صحافة الإثارة ومن بين ملامحها الصحافة الصفراء لا يمكن لنا الاعتداد به ولا النظر إليه،وكذلك لا يمكن الاستسلام إلى التصورات الأخلاقية المجردة التى تنظر للصحافة بعيدا عن الإطار الذى تقوم فيه بأداء وظيفتها فى المجتمع ،حيث نقل المعلومات والأخبار وإدارة المناقشات الحرة التى تصل بالمجتمع فى النهاية إلى حالة من التنمية والرقى والتحضر وتحقيق مصالح القراء المباشرة وغير المباشرة.

وحتى يكون الباحث متحريا للدقة فإنه سيدرس التيار راصدا ومحللا ومفسرا له،

بعيدا عن الأحكام المسبقة،خاصة أن هذه الأحكام تم تلوينها بأمراض الفكر وأغراض السياسة وأهواء المجتمع الشرقى، الذى يعيش حالة من الإزدواجية نشأت بين ثنائية الرغبة فى الفعل وحظره، لأسباب هى فى الغالب خارجة عن إرادته.

وهى ثنائية لم يربى عليها القارئ المصرى والعربى فقط بل يعيش عليها ويحاول أن ينقلها للآخرين وكأنها تجربة حياة وخبرة عمر.

■ ■ ■

الفصل الأول

التطور التاريخي لصحافة الإثارة

■ الجذور... والتجليات الراهنة

■ ■ ■

لا يمكن التعامل مع صحافة الإثارة على أنها منتج مهنى فقط، فقد تشابكت عوامل كثيرة فى إنتاج هذا النمط، الذى يحار الباحث فى تسميته أو تعريفه بشكل علمى، فهل صحافة الإثارة ظاهرة، أما أنها تيار تتبناه صحف بعينها لتحقيق أهداف معينة فى الغالب تتمحور حول الترويج للصحيفة وزيادة توزيعها وخلق حالة من الإقبال عليها.

وإذا تم الإتفاق على مسمى أو تعريف علمى، فما هى موقعيته فى إطار القواعد القانونية والأخلاقية العامة التى تحكم العمل الصحفى فى المجتمع المصرى، فهل يتفق مع هذه القواعد أم يخرج عليها، وما هى المعايير التى يمكن أن تحدد ذلك.

إن هناك حالة من الإلتباس الشديد تحيط بـ «صحافة الإثارة»، حيث يلحق بها مصطلح يتم تعاطيه بشكل هائل وهو «الصحافة الصفراء»، وبالقرب من المصطلحين يأتى مصطلح «الصحافة الشعبية».

كل هذه المسميات لها تعريفها وحدودها العلمية والمهنية، لكن حالة العشوائية العلمية والبحثية التى تعاملت مع صحافة الإثارة فى مصر هى التى جعلت هناك حالة من التخبط الشديد فى فض الإشتباك بين المفاهيم، وهو ما يدعو الباحث إلى أن يحاول أن يفعل ذلك، من خلال عرض نقدى للتعريفات المطروحة، ليخرج بذلك فى النهاية إلى تعريف محدد لصحافة الإثارة.

■ ■ ■

أولا: إشكالية المصطلح

هناك بالفعل إشكالية حول ما يسمى بصحافة الإثارة، فالمفهوم لم يتبلور بعد فى الدراسات العربية، حيث لم تخرج التعريفات التى تعرضت لها عن رصد لسماتها أو التكنيكات التى تعمل بها، أو وصف لطبيعة الموضوعات التى تتناولها، وهى سمة من سمات المدرسة العربية فى تعريف المصطلح حيث تكتفى بالإقتراب من سماته دون أن تسبر غور جوهره ومضمونه.

فى معجم المصطلحات الإعلامية[1] تأتى صحف الإثارة sensationl newspaper على أنها نوع من الصحف يعتنق مبدأ الإثارة للترويج وزيادة التوزيع والإنتشار، ومن ثم تهتم هذه الصحف بنشر الأخبار والموضوعات والتحقيقات والصور المثيرة، وتميل إلى التهويل والمبالغة ولا تميل إلى الموضوعات الجادة أو الرصينة بل موضوعات الجنس والجريمة والأسرار الخاصة.

وفى المعجم الإعلامى[2] تعرف صحف الإثارة بأنها التى تعيش على الرأى العام تتلقف الأحداث اليومية العامة وتجعل منها العناوين الضخمة لجذب القراء وإثارة إنتباههم.

وفى معجم المصطلحات الإعلامية[3] تعرف بأنها الصحافة التى تؤكد على الموضوعات الفاحشة والمكشوفة والمثيرة.

ولأن هذه التعريفات تكتفى بالإشارة إلى أن صحافة الإثارة تعيش على الفضائح، فقد

(١) كرم شلبى، معجم المصطلحات الإعلامية (القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٨) ص ٤٢٥.
(٢) محمد منير حجاب، المعجم الإعلامى (القاهرة، د ر الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤) ص٢٣٥.
(٣) أحمد بدوى، معجم المصطلحات الإعلامية (القاهرة دار الكتاب المصرى) ص ٩٠.

تم إستحضار مصطلح غربى جاهز وهو «الصحافة الصفراء»، لتوصيف ما تقوم به الصحافة المصرية من ممارسات مثيرة، ولم يسلم هذا المصطلح من لبس علمى ومهنى، حيث يتم إسقاطه على الصحافة المصرية والعربية دون مراعاة للسياق الذى أنتج فيه.

وهو ما يعترف به نبيل راغب[1] فمفهوم الصحافة الصفراء فى المنطقة العربية غامض ومراوغ إلى حد كبير، فلم يرى العرب فيها سوى صحافة الفضائح والجرائم وكل ما هو غير أخلاقى.

ويخلص نبيل راغب[2] إلى أن الصحف الصفراء بالمعنى الدقيق للمصطلح لا توجد عند العرب المعاصرين، وإنما هناك بعض الملامح أو العناصر الصفراء، التى قد يسمح بها لبعض الصحف على سبيل شغل الجماهير أو تسليتهم ، كنوع من إلهائهم بعيدا عن لعبة السياسة أو التنفيس عما يعتمل فى صدورهم من هموم ومتاعب الحياة.

ومن السهل رصد الملامح أو العناصر الصفراء فى الصحف العربية لأنها مباشرة إلى حد كبير، وتنطلق من إهتمامات أو مصالح شخصية للمحرر أو المخبر الذى يسخر قلمه فى خدمتها بهدف تحقيقها بقدر الإمكان، وفى حالات كثيرة مارس المحررون والمخبرون الصحفيون لعبة القط والفأر مع أجهزة الرقابة الحكومية، من خلال توظيفهم لأساليب التلوين والحذف والإختصار والتطويل والإطناب والتركيز على نقاط محددة والمرورعلى أخرى مرور الكرام .

ونظرا لأن اللغة العربية عبارة عن محيط متلاطم الأمواج التى لا تتوقف عن التبدل والتغير فى دلالالتها وإشاراتها وتلميحاتها من خلال مترافادت قد لا يوجد لها مثيل فى أية لغة أخرى، فإن الصحفى العربى يملك قدرة عجيبة على المراوغة فى توصيل ما يريد أن يقوله إلى قارئه ، دون أن يضبطه أحد متلبسا بما يخالف سياسة الدولة وتوجهاتها المعلنة.

---

(١) نبيل راغب، الصحافة الصفراء...الجذور والفروع (القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٤) ص٧.

(٢) نبيل راغب، مرجع سابق، ص ١٢.

ولا يعتبر نبيل راغب أن الصحافة الصفراء شر مطلق[1]، بل إنه يعتقد أن هذه التسمية ليست وصمة عار على الإطلاق، بل كان إطلاق الإسم من باب الطرافة وإثارة حب الإستطلاع، ولذلك فإن الإسم الذى تداوله المثقفون فى مطلع القرن العشرين كان «الصحافة الجديدة» وليس «الصحافة الصفراء» الذى قد يبدو وكأنه يوحى بتهمة عليها أن تدافع عن نفسها فى مواجهتها.

*** وهذه الصحافة الجديدة أو الصفراء أنتجت فى الغرب ثلاثة أنواع من الصحافة هى:**

أولا: الصحافة المدنية أو الشعبية: وفيه تقوم الصحافة بحل المشكلات الواقعية على أرض الواقع، وهو الإتجاه الذى وصف بصحافة الفعل أو الحدث، والذى ميز بعد ذلك الصحافة التى عرفت باسم «صحافة النشطاء» التى اعتبرت مدرسة جديدة فى مجال الصحافة السياسية وهو التيار الذى عاد بقوة فى أواخر تسعينات القرن العشرين بعد ظهور الصحافة الشعبية التى حددت وظيفتها بحل المشكلات المادية الملموسة وليس مجرد البحث عن الحقيقة المجردة.

ثانيا: صحافة التنمية: وشكلت تيارا صحفيا يؤمن بأن الحيوية الفكرية والشعبية الجماهيرية اللتين تمتلكهما الصحافة الجديدة القادرة على طرح كل القضايا مهما كانت شائكة أو حرجة، هما أداتان فعالتان فى بناء المجتمع الحديث.

ثالثا: الصحافة البوليسية أو صحافة حل ألغاز الجرائم: التى لم تقتصر على السعى المحموم لحل ألغاز الجرائم فحسب، بل إمتدت لتشمل حل المشكلات المزمنة أوالطارئة التى تستعصى على الوسائل التقليدية، سواء أكانت مشكلات خاصة أم عامة، فقد أثبت المشبوهون والمجرمون أنهم من الذكاء بحيث يطورون خططهم وأساليبهم باستمرار، فى حين يلتزم مسئولو الأمن بالوسائل التقليدية التى تعلموها جيلا وراء جيل، من هنا كان الدور الحيوى للصحافة التى تتجاوز هده الوسائل التقليدية، وتبتكر من الخطط

(١) نبيل راغب، مرجع سابق، ص ١٠.

والأساليب ما يمكن أن يتفوق على دهاء المجرمين، وقد ورثت الصحافة البوليسية هذا الأسلوب غير التقليدى عن الصحافة الصفراء، وإن كانت تجاوزتها لتمتعها بإنجازات التكنولوجيا الحديثة، لكنها ظلت إمتدادا عضويا لصحافة الفعل أو الحدث.

لقد بذلت محاولات عديدة لرصد ظاهرة الصحافة الصفراء فى الغرب وتجذيرها، ففى إطار مقارنته بين الصحافة فى بريطانيا والصحافة فى أمريكا يرى إبراهيم عبده[1] أن سلطان الصحافة الأمريكية تجاوز الحدود على حساب المصلحة العامة، ولحساب مجدها هى دون نظر أو إعتبار للنتائج والخواتيم، وكانت العبرة فى النجاح عند بعض الصحف تحقيق أكبر توزيع لنسخها، وتحصيل أكبر أرباح عرفها التاريخ.

كان التوزيع الكبير وجمع المال الوفير غاية الغايات عند صحافة هذا الجيل من الصحفيين الأمريكيين، وقد اختلفت فيما بينها فحافظ جزء من كبريات الصحف على سمته الأصيلة، وترفع عن المجد الزائف القائم على بيع النسخ والثراء من بيعها، أما الجزء الآخر من الصحف فقد خلق أصولا للصحافة وقواعد لم تكن معروفة من قبل، وأطلقت الألوان على صحافة تلك الأيام فسمى بعضها بالصحف الصفراء التى اعتبر أصحابها الصحافة تجارة وليست رسالة.

ويرجح المؤرخون[2] أن مصطلح الصحافة الصفراء تم صكه للمرة الأولى على يد Ervin wardman، وكان ذلك فى صحيفة new york press، التى صدرت فى أواخر عام ١٨٩٦.

كانت المنافسة بين الصحف الأمريكية على أشدها فى هذه الفترة، وفرضت المنافسة بدورها اللجوء إلى معالجات صحفية تعتمد على الإثارة لجذب إهتمامات القراء، بل كان

(١) إبراهيم عبده، الصحافة فى الولايات المتحدة ...نشأتها وتطورها (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦١) ص ١٩٥.

(٢) W.joseph campel:yellow journalism (praeger,londan,2001).p.25.

لقيام العديد من الصحف الأمريكية بتركيب طابعات ملونة فى الفترة من ١٨٩٢ إلى ١٨٩٦ حافزا على إستخدام الألوان على إستحياء، كما أن المنافسة بين صحف «هيرست وبوليتزر» أدت إلى اللجوء إلى إستخدام الألوان كوسيلة لتدعيم الموقف التنافسى للصحيفة وكوسيلة للإثارة وإجتذاب المزيد من القراء[١].

ففى عام ١٨٩٣ بدأت صحيفة «نيويورك وورلد» فى إستخدام اللون الأصفر كلون منفصل فى طبع قسم إضافى لعدد يوم الأحد، وتم توظيف اللون الأصفر فى تلوين إحدى شخصيات الرسوم الساخرة بوضعها على أرضية صفراء شبكية، وكانت هذه الشخصية تمثل صبيا مشردا أطلق عليه «الطفل الأصفر» the yellow kid، ومن هنا جاءت تسمية «الصحافة الصفراء» yellow journalism.

وعندما رأى «هيرست» تفوق «بوليتزر» وصحيفته «الورلد» فى إبتكار شخصية الطفل الأصفر استطاع أن يقنع «ريتشارد أوتكولد» الذى كان يرسم هذه الشخصية بترك صحيفة «الورلد»، لينضم إلى صحيفة«نيويورك جورنال»وهو ما وصف بأنه أعظم إنقلاب صحفى فى تلك الفترة.

من وجهة نظر الباحث أن هذا التفسير والذى ساقه شريف درويش اللبان فى إطار إهتمامه برصد تاريخ إستخدام الصحافة فى مصر والعالم للألوان يعتبر تفسيرا شكليا محضا، لم يتجاوز إلى محاولة تفسير الظاهرة من العمق، وهو أمر يتسق مع دراسته.

وهو الأمر الذى تكرر مرة ثانية فى رصد تقرير المجلس الأعلى للصحافة لظاهرة الصحافة الصفراء فى العالم[٢] حيث تم الإقتراب من الظاهرة على إستحياء، فقد أرجع التقرير البدايات الأولى لظهور الصحافة الصفراء فى الغرب إلى نهاية الثلث الأول من

---

(١) شريف درويش اللبان، الألوان فى الصحافة لمصرية (القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٩) ص٢١.

(٢) المجلس الأعلى للصحافة ، الصحافة الصفراء فى مصر (القاهرة ، ٢٠٠١) ص ص٦-٨.

القرن التاسع عشر فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكنتيجة للتطور الرأسمالى النشط فى المجالين التجارى والصناعى، وما نجم عنه من إنتاج سلع تحتاج إلى تسويق جماهيرى، الأمر الذى أثر على الصحافة وأعطى بروزا للإعلان كمورد رئيسى تعتمد عليه الصحف فى الإستمرار وتحقيق الأرباح ، وقد أثر هذا التطور على الصحافة حيث تحولت إلى مؤسسات ذات طابع إقتصادى هادف للربح، تبحث عن الإعلان وتعيش على موارده.

ويضيف التقرير أن الصحف الصادرة فى الربع الأول من القرن التاسع عشر لم تكن قادرة على تحقيق ما يمكن تسميته توزيعا جماهيريا نتيجة بعض العوائق التى يتصل بعضها بالطابع النخبوى للصحافة وطبيعة مضمونها الرصين بما لا يتفق وغالبية الجمهور محدود القدرات الثقافية ومحدود التعليم، فضلا عن إفتقاد آليات الإخراج الفنى الجذاب.

فى ظل هذا المناخ تمكن «بنجامين داى »عام ١٨٣٣ من إصدار صحيفة « نيويورك صن»، لتكون أول صحيفة جماهيرية التوزيع حيث تباع بما لا يتجاوز خمس سعر الصحف المنافسة معتمدة على الدخل الإعلانى، مع تقديمها لمعالجات صحفية تركز على الإهتمامات الإنسانية والطرائف وأخبار الجريمة، وأخذ توزيعها فى الإزدياد وكانت نموذجا فى هذا الصدد قلدته العديد من الصحف الأخرى.

امتد هذا الإنتشار من الولايات المتحدة إلى إنجلترا ثم باقى بلدان غرب أوربا، كإستجابة للحاجات الناشطة لنوعية جديدة من جمهور الصحف ظهرت مع نشأة التجمعات العمالية التى تعمل فى المراكز الصناعية الوليدة والمنتشرة، وهى تتمتع بمستوى دخل معقول ومستوى تعليم محدود ولديها وقت فراغ، وهو الأمر الذى أعطى أهمية وبروزا لافتين لوظيفة إعلامية جديدة صارت فيما بعد هى العصب المحرك للإعلام فى المجتمعات الغربية ألا وهى «الترفيه».

ويشير التقرير إلى أن هذه البدايات كانت هى المدخل المؤدى إلى نشأة نوع جديد من الصحافة تعتمد على الفضائح وتعيش على نشر أخبار الجرائم والصور غير اللائقة

والقصص الخبرية الملفقة، وعرفت تاريخيا باسم الصحافة الصفراء، وهى صحافة رخيصة الثمن تبذل كل إمكانياتها من أجل جذب الجمهور وزيادة التوزيع الذى يكون دافعا للحصول على عوائد إعلانية ضخمة، ودون النظر لعائد بيع نسخ الصحيفة ذاتها.

ويعزى التقرير الظاهرة إلى «الطفل الأصفر»، فقد أسس هذا النوع من الصحافة ناشرون مثل بوليتزر الذى قدم تجربة صحيفة «نيويورك ورلد» عام ١٨٨٣، والتى تعد الميلاد الحقيقى للصحافة الصفراء فى العالم، وقد تم إطلاق هذه التسمية ارتباطا بشخصية كارتونية شهيرة كانت تطبع بالحبر الأصفر من أجل جذب إهتمام القراء وهى الولد الأصفر، ثم تبعه منافسه هيرست الذى قدم صحيفة «نيويورك مورننج» عام ١٨٩٥، ثم توالت منظومة هذه الصحف حتى أصبحت نمطا عالميا له خصائص شكلية وموضوعية محددة وتحمل وصفا ذا دلالة وهو « الصحافة الصفراء».

ولايمكن للباحث أن يقبل بهذا التبسيط بالطبع فى تفسير ظاهرة متشابكة ومعقدة إلى الحد الذى جعل منها إشكالية فى حد ذاتها.

فرغم أهمية عنصر المنافسة إلا أن نشأة الصحافة الصفراء فى الغرب أكبر من أن تكون نتيجة منافسة بين رجلين[(١)] ففى هذه الفترة ما بين عامى ١٨٨٠ و١٨٩٠ لم تعد الصحف يقرأها الصفوة ولكن تحول إليها العامة، وقد أحدث هذا التحول فى السوق تحولا فى المصادر التى تمول الصحف وتدعمها من التوزيع والإعلان، ولذلك فإن الصحف التى كتب لها أن تبقى كانت هى الصحف التى تبيع إعلاناتها وإشتراكاتها بأكبر فائدة حيث أن هذا البيع كان يعتمد على حجم الجمهور الذى تصل إليه هذه الصحف وبتحديد أكثر فإن إنخفاض مستوى الصحافة النوعى كان نتيجة لتغير فى السوق وأن «هيرست وبوليتزر» استجابا لهذا التغير.

(١) Joseph straubhaar,rebert lasrose.media now:communication media in the information age.p.116.

ويضيف التقرير الذى صدر عن صحافة الإثارة من المجالس القومية المتخصصة[1] ملمحا آخر فى هذا الإطار، فمفهوم صحافة الإثارة طبقا للتقرير يعود تاريخيا إلى ظهور ما يسمى بالصحف المعنية بإستمالة الجماهير mass appeal newspaper بالولايات المتحدة الأمريكية على يد «بنجامين داى»، عندما أصدر صحيفته new yorksun عام ١٨٣٣، وقد اعتمدت على معادلة صحفية فى تكوين المضمون القادر على إستمالة الجمهور نحو شرائها، بحيث يتشكل من الأحداث المحلية والجنس والعنف وموضوعات الملامح features والإهتمامات الإنسانية، وبالتركيز على هذه الجوانب إستطاعت هذه النوعية من الصحف أن تجتذب جماهير ضخمة نحو قراءتها خصوصا وأن هذه النوعية من المواد الصحفية لم تكن مقبولة فى الصحف الجادة.

ثم استطاع «جيمس جوردن بينت» أن يحقق نجاحا أكبر فى صحيفة «نيويورك ورلد»، وتمثلت أسباب النجاح المتزايد لبينت فى مهارته فى تقديم قصص إخبارية مثيرة حول الجريمة بالإضافة إلى سياسته التحريرية التى تميل إلى تجريح الأشخاص، وقد كان بينت يعتبر نفسه مصلحا إجتماعيا لذا تبنى سياسة هجومية فى صحيفته التى صدرت عام ١٩٣٥.

وقد بدأ الظهور الواضح لصحافة الإثارة إثر المعركة النارية التى دارت بين اثنين من رواد الصحافة الأمريكية وهما «بوليتزر وهيرست» على المزيد من الإثارة من أجل الحصول على المزيد من القراء بنشر قصص الجريمة والجنس والعنف بكثافة كبيرة، وقد أصبح هذا المضمون يشير إلى ما يسمى ب «الصحافة الصفراء»، وقد تمت تسميتها بهذا الإسم إشارة إلى شخصية كارتونية هى الولد الأصفر الذى يرتدى زيا أصفرا لامعا ويقوم بالعديد من المغامرات.

*** وقد أثر هذا النمط الصحفى على السوق الصحفى فى أمريكا من عدة نواحى هى:**

(١) المجالس القومية المتخصصة، صحافة الإثارة المشكلة والحل، ١٩٩٩.

- التحول فى أسس التمويل الإقتصادى للصحف بالإعتماد على التوزيع الجماهيرى الواسع والإعلان.

- التحول فى تحديد مفهوم الأخبار بتغليب عنصر الإثارة.

- التحول فى أساليب جمع الأخبار من خلال نشر الأخبار المجهلة والشائعات وإختراق خصوصيات الأفراد.

وينحاز الباحث إلى رؤية نبيل راغب فى تفسير صعود ظاهرة الصحافة الصفراء[1] ، حيث كان أول ظهور لمصطلح الصحافة الصفراء من خلال مسلسل مصور أو مرسوم نشرته صحيفة «نيويورك ورلد»باسم«زقاق هوجان»، وحظى بشعبية جارفة بين الجماهير، فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وكان بطله صبيا يرتدى رداء أو جلبابا أصفر فعرف باسم «الصبى الأصفر».

وهو ما يثير بالضرورة تساؤلا ملحا عن السر فى الأثر العميق الذى مارسته شخصية «الصبى الأصفر»على الأساليب الصحفية بصفة عامة، فى حين أنها كانت مجرد شخصية فى مسلسل صحفى للرسوم التى أتقنها الفنان الأمريكى ر.ف.أو تكولد، فهو الذى ابتكر شخصية «الصبى الأصفر» الذى كان القاعدة التى انطلقت منها الصحافة الصفراء إسما وفعلا.

فقد كان أول شخصية ناجحة ومؤثرة فى نفوس القراء، لدرجة أن شعبيته الجارفة لم تتسبب فى زيادة توزيع الصحف التى نشرت مسلسله إلى أرقام قياسية فحسب، بل كان أيضا أول من أثبت أن البطل فى شرائط الرسوم المسلسلة والمعروفة باسم « comic strips»، يمكن أن يكون شخصية شعبية تعود على ناشريها بأرباح ضخمة، مثلها فى ذلك مثل أية سلعة رائجة.

ويصبح من الطبيعى بعد ذلك أن مصطلح «الصحافة الصفراء» اشتق من الصبى

(١) نبيل راغب، مرجع سابق، ص ١٣.

الأصفر، إذ أن جريدتى «نيويورك جورنال» التى كان «وليم راندولف هيرست» يصدرها، و«نيوريوك ورلد»التى نافس بها «جوزيف بوليتزر» غريمه هيرست، قد دخلتا فى صراع عنيف بينهما على حق نشر الشرائط المسلسلة التى يقوم ببطولتها الصبى الأصفر، وبلغت المعركة قمتها بنشر صورة الصبى الأصفر عدة مرات فى الأسبوع الواحد، لدرجة أن جريدة «نيورك ورلد»أطلق عليها جريدة «الصبى الأصفر»ثم «الجريدة الصفراء»، وهو الإسم الذى أطلق بعد ذلك على جريدة «نيوريوك جورنال» عندما نجح هيرست فى إستقطاب أوتكولد ليعمل لحسابه.

ولا تنفصل جذور الصحافة الصفراء[1] عن عصر الثورة الصناعية التى قدمت تسهيلات وتطورات تكنولوجية للإنتاج الصحفى، حيث أصبح من الممكن طبع آلاف النسخ فى ساعات قليلة، كذلك فإن إنتشار التصنيع وتمركزه فى مدن بعينها سهل من عملية توزيع الصحف بأعداد ضخمة فى مناطق ومساحات صغيرة نسبيا، ووفر التصنيع برامج تعليمية لتدريب العاملين والعمال، وهو ما قضى على نسبة كبيرة من الأمية، وأدى بدوره إلى مضاعفة أعداد القراء ، وجعل من الصحافة تجارة رائجة ومربحة خاصة الصحافة الصفراء التى خاطبت قطاعات عريضة من القراء، وتحديدا أنصاف المتعلمين منهم من خلال إثارة إنفعالاتهم وأشجانهم.

وإذا كان التصنيع هو الذى ساهم فى دفع الصحافة الصفراء فى الغرب إلى الأمام، فإنها بدورها تابعت عن قرب وبإهتمام شديد كل التطورات التكنولوجية التى حدثت فى العالم وكان آخرها شبكة الإنترنت، حيث طوعتها الصحافة الصفراء لمصلحتها وتحقيق أهدافها، وهو ما لحق بإهتمام هذا النمط من الصحافة بأدوات مثل أجهزة الإرسال والإستقبال والطبع الكومبيوترية وكاميرات الفيديو والكاميرات الرقمية.

***

(١) نبيل راغب، مرجع سابق، ص ٣١.

فى أدبيات الدراسات الصحفية التاريخية المصرية لم يقترب أحد من ملف صحافة الإثارة بشكل وثيق أو متعمد، ولذلك كان من السهل أن يستعين المجتمع بتوصيف جاهز الصنع مسبقا لتوصيف معالجات خارجة عن السياق العام، ولذلك استقر مصطلح «الصحافة الصفراء» فى المجتمع المصرى على أنه مرادف لصحافة الإثارة.

جرت إجتهادات عديدة لتعريف الصحافة الصفراء على المستوى المصرى[1]، منها «أن عبارة الجرائد الصفراء استعملت لأول مرة فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما كانت البلاد تعانى من أزمة حادة فى ورق الصحف لدرجة أنه وصل ثمن طن الورق إلى مئات من الجنيهات وثمن الرزمة «٥٠٠ فرخ» إلى أربعة أو خمسة جنيهات، بعد أن كان ثمنها فى الثلاثينات عشرين قرشا فقط، وكان أن لجأت الصحف إلى طبع محتوياتها على ورق اللف الملون الناعم لرخصه نسبيا، كان من بين تلك الصحف الملونة صحف فكاهية تمارس النقد البرئ المباح أمثال أبو نضارة والنحلة والسيف والمسامير ويشترك فى تحريرها كتاب الفكاهة فى مصر».

يعتبر الباحث هذا التفسير هزليا بالطبع، وفيه كثير من الخطأ والتبسيط وهو ما يهدمه من داخله.

فجريدة «أبو نضارة» التى أصدرها يعقوب صنوع وكانت تحمل كثيرا من ملامح الإثارة التى جذبت إليها القراء، لم تصدر فى فترة الحرب العالمية الثانية، بل صدرت فى نهاية القرن التاسع عشر خلال فترة الخديو إسماعيل، ضمن الصحف الشعبية التى سمح بإصدارها.

ثم أنه تعريف يعرج على الشكل دون المضمون، فالعلة لديه فى الورق الأصفر، ويتسق هذا مع إرجاع ظاهرة الصحف الصفراء فى مصر إلى أنها تعنى الصحف التى لا تباع لأنها بلاقيمة فتظل كثيرا فى الشمس لدى باعة الصحف كثيرا مما يجعل ورقها «يصفر» بتأثير

(١) شفيق مرشاق، جريدة الوفد، عدد ١٨ إبريل ١٩٩٨.

بقاءها فى الشمس طويلا.

بل إن هناك من يحاول جعل الظاهرة شكلية[1] بأن يعزى تسميتها فى الغرب إلى أن الذين كانوا يقومون بتوزيعها من الآسيويين المعروفين بالجنس الأصفر وهو ما انطبع على الصحف التى يقومون بتوزيعها.

وفى الوقت الذى يغيب فيه تعريف واضح للصحافة الصفراء فى مصر فإنها فى الغرب لها خصائها وسماتها الواضحة التى لا نجدها فيما يطلق عليه الصحف الصفراء فى مصر يجملها نبيل راغب فى الآتى[2]:

أولا: لا يملك الصحفيون المصريون الإيقاع اللاهث الذى تتميز به الصحف الصفراء فى الغرب سواء فى الإنتقال إلى موقع الأحداث، أو الجرأة فى دخول أماكن خطيرة أو إبتكار الوسائل الغريبة التى تكفل الحصول على سبق صحفى مبهر، مثل التخفى والإنتحال وغير ذلك من وسائل تقمص الشخصيات الصعبة التى تحتاج إلى قدرة فائقة على التمثيل والأداء سواء بالصوت أو الحركة، أى أن الأمر يتطلب من الصحفى أو المخبر أن يكون فى تمثيله وأدائه أكثر تمكنا وتلقائية بل وعفوية من الممثل المحترف بالفعل سواء على خشبة المسرح أو أمام كاميرا السينما، الذى لو أخطأ فإن فى إمكانه إصلاح الخطأ فى العرض التالى أو عند إعادة تصوير اللقطة أو المشهد، أما الصحفى أو المخبر فيمكن أن تصبح حياته نفسها فى خطر لو انكشفت شخصيته الحقيقية.

ورغم إتفاق الباحث مع هذه الرؤية تماما إلا أن هناك من بين الصحفيين المصريين من يقوم بمغامرات، ينتحلون فيها شخصيات مختلفة ويقومون بتمثيل أدوار غير شخصياتهم الحقيقية حتى يصلوا إلى معلومات معينة أو يستوثقوا من معلومة أو حتى يخترقوا عوالم مجهولة للقراء من أجل كشفها، ويزيد الخطر فى مثل هذه المغامرات خاصة إذا كان العالم

(١) فاروق أبو زيد، مقابلة فى مكتبه بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، فى ٢١ يوليو٢٠٠٨.

(٢) نبيل راغب، مرجع سابق، ص ص٤٣٤-٤٥٠.

المجهول يرتبط بعالم الجريمة، لكنها تظل فى النهاية محاولات ونماذج فردية، لا يمكن التعامل معها على أنها تمثل تيارا أو فلسفة مهنية داخل إطار صحافة الإثارة فى مصر[1].

ثانيا: معظم الصحف العربية مملوكة للأنظمة الحاكمة، بحيث تتحرك داخل هذه الأطر المرسومة مسبقا، وحتى الصحف المملوكة لأفراد فإنهم يحرصون على الوقوف على أرضية مشتركة مع الأنظمة الحاكمة طلبا لمساعدتها ودعمها الأدبى على الأقل، وربما تجنبا لغضبها وبطشها، أما الصحف الصفراء فى الدول الغربية فإنها تملك مطلق الحرية فى تحديها للحكومات والسلطات على إختلاف أنواعها، فهى ملكية خاصة لأصحابها الذين يرون فى الحرية والجرأة والحيل التى يسمحون بها لمحرريها ومخبريها، مزيدا من التوزيع وجذب قراء جدد ومزيدا من الإعلانات التى ترسخ القاعدة الإقتصادية للصحيفة.

وليس هناك خوف على هذه الصحف من الإغلاق أو المصادرة أو البطش بالعاملين فيها، وإنما الخوف الوحيد الذى تضعه فى حسبها يتمثل فى التدهور الإقتصادى الذى قد يصل بها إلى حد الإفلاس والتصفية كما حدث لصحف عديدة، فالصحافة فى دول الغرب سوق لا ترحم من يلقى بسلاحه ولو لمجرد لحظة واحدة والدولة ليست على إستعداد

---

(١) يمكن للباحث أن يضرب أمثلة عديدة على ذلك، مثل عبد العاطى حامد فى جريدة أخبار اليوم خلال فترة السبعينات حيث قام بمغامرات عديدة فى عالم المتسولين وتجار المخدرات، والصحفى محمود صلاح رئيس تحرير أخبار الحوادث الذى حاول أن يجرى مغامرة صحفية مع وزارة الداخلية حيث أدعى أنه تم إختطافه وذلك فى أعقاب إختفاء الصحفى رضا هلال فى ٢٠٠٢، وكان هدف محمود صلاح كما قال بعد ذلك أن يتاكد من كفاءة وزارة الداخلية وماذا يمكن أن تفعل مع حادث كهذا، لكن تم عقاب محمود صلاح وأبعد فترة عن منصبه الصحفى وكاد أن يتوقف عن الكتابة لولا علاقاته الوثيقة بوزارة الداخلية، والصحفى عبده مغربى فى جريدة صوت الأمة الذى استطاع بعد تفجيرات شرم الشيخ فى ٢٠٠٤ ، أن يصل إلى أحد منفذى العملية الذى كان تحت حراسة أمنية مشددة لكنه استطاع أن يخترق الطوق الأمنى بإدعائه أنه ضابط أمن دولة من القاهرة، وحصل من خلال هذه الحيلة على حديث مع المتهم وعرف عنوان أسرته فذهب إليها وحصل منهم على صوره وقصة حياته كاملة.

لمساندته وتعويضه عن خسائره، فهذه هى قواعد اللعبة الرأسمالية، ومن يسقط فى مضمار السباق المحموم لابد أن يخرج منه على الفور حتى لا تدوسه أقدام أو عجلات الآخرين.

يخرج نبيل راغب من هذه الرؤية إلى أنه نظرا للإختلافات الجذرية بين الصحافة فى المنطقة العربية والصحافة فى الدول الغربية، فإن الصحف الصفراء بالمعنى الدقيق للمصطلح لا توجد عند العرب المعاصرين، وإنما هناك بعض الملامح أو العناصر الصفراء التى قد يسمح بها لبعض الصحف فقط وذلك فى إطار تحقيقها لأهداف معينة.

ويقرر هذا الواقع - وهو عدم وجود صحافة صفراء بمعناها الغربى فى مصر - أن يعاد النظر فى المصطلح نفسه.

إنه كما يقول فاروق أبو زيد[1] مصطلح أطلق على ظاهرة تاريخية مرتبطة بالتجربة الصحفية الأمريكية، وكان لها ظروفها التى أنتجتها وصاغتها، وإذا كان مقبولا أن نمرر هذه التسمية من باب أنها تسمية رمزية، فإنه لا يجوز إعتمادها من الناحية العلمية.

وهنا يحدد الباحث أول ملامح صحافة الإثارة بالنسبة لدراسته، حيث ينحاز بداءة إلى استبعاد مصطلح الصحافة الصفراء، فهو مصطلح غربى لظاهرة غربية لا يوجد منها فى مصر شئ، وإذا كان يمكن قبول التسمية من باب الإستسهال وعدم البحث عن مصطلح دقيق لممارسات الصحافة فى مصر، فإنه لا يمكن الإعتراف بهذا المصطلح من الناحية العلمية، لأن فيه عدم إنصاف علمى للصحافة الصفراء فى الغرب، وفى الوقت نفسه به تشويه مبالغ فيه للصحافة المصرية.

يظل صامدا لدى الباحث مصطلح الصحافة الشعبية وصحافة الإثارة.

يشير فاروق أبو زيد[2] إلى أن الصحف الشعبية هى التى تحاول مخاطبة القارئ العادى، وتسعى إلى جذب أكبر عدد من القراء وهى تتوصل إلى ذلك بنشر كل ما يثير

---

(١) فاروق أبو زيد ، مقابلة خاصة معه.

(٢) فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة (القاهرة ، عالم الكتب، ١٩٩٨) ص ص ١٧٢ - ١٧٥ .

إهتمام القراء من أخبار وموضوعات وبإستخدام الأساليب الجذابة فى الإخراج الفنى.

*** يستلزم هذا التعريف المبسط مزيدا من الملامح والتفاصيل فمن حيث المضمون تهتم الصحف الشعبية بالآتى:**

أولا: تهتم بعناصر الإثارة والشهرة والتشويق والإنسانية والطرافة والغرابة فى المواد الصحفية التى تنشرها، ويضعف الإهتمام بعناصر الأهمية والمصلحة والتوقيت والتوقع فى المواد الصحفية التى تنشرها هذه الصحف.

ثانيا: الإهتمام بالموضوعات الإجتماعية والرياضية والفنية وبالحوادث وخاصة ما يتعلق بالجريمة.

ثالثا: إرتفاع نسبة المواد الصحفية الملونة فى الصحف الشعبية وميل بعض هذه الصحف إلى عدم الإلتزام الدقيق بالصدق والموضوعية فى بعض ما تنشره من مواد صحفية.

رابعا: يغلب على هذه الصحف الإهتمام بالأخبار الخفيفة وهى الأخبار التى تثير إنتباه القراء وتسليتهم مثل أخبار الطرائف وأخبار الرياضة وأخبار نجوم المجتمع والفن والأدب وحوادث التصادم والجرائم وأخبار الجنس.

خامسا: نشر القصص القصيرة والروايات الطويلة المسلسلة يوميا أو أسبوعيا حسب ظروف إصدار الصحيفة، وهذه القصص والروايات تساهم فى تسلية القارئ، والقصة المسلسلة من جانب آخر تدفع القارئ إلى متابعة الصحيفة والحرص على قراءة العدد التالى لمعرفة تطورات الرواية، وبالتدريج يتعود القارئ على قراءة الصحيفة ويتحول إلى واحد من قراءها الدائمين، وإذا كانت بعض الصحف تهتم بأن تكون مثل هذه القصص أو الروايات المسلسلة من الأعمال الأدبية الرفيعة المستوى ولكتاب كبار فإن غالبية الصحف الشعبية تميل إلى القصص والروايات البوليسية أو قصص المغامرات العاطفية أو القصص العلمية المثيرة أو قصص الألغاز.

سادسا: الإهتمام بالصور الجميلة أو الطريفة أو بالرسوم الكاريكاتورية التى تسخر من بعض الظواهر السلبية فى الحياة الإجتماعية، وهناك صحف ومجلات تلعب فيها الصورة والكاريكاتور دورا لا يقل أهمية عن المقالات والأخبار والتحقيقات مثل المجلات المصورة.

سابعا: الإهتمام بالأعمدة الإنسانية وبزوايا الرأى ووجهات النظر وخاصة الساخر منها، وهى تعطى لكبار الكتاب الذين غالبا ما يمنحون قدرا كبيرا من الحرية فى المعالجة الصحفية ولو اختلفوا فيها مع سياسة الجريدة أو المجلة التى يكتبون فيها.

ثامنا: الإهتمام ببريد القراء ونشر الكثير من الرسائل التى يبعث بها القراء إلى الصحيفة ، وهى تشعر القارئ بأن الصحيفة ملك له ومعبرة عنه، والمعروف أنه كلما اتسعت المساحة المخصصة لأبواب بريد القراء فى الصحف كلما زاد ذلك من فرص الشعب فى التعبير عن مشاكله وقضاياه وآراءه فى القضايا العامة أو الخاصة، ولعل ذلك هو السبب فى أن الصحف تهتم ببريد القراء فى المجتمعات التى تزيد فيها نسبة الحريات الممنوحة للصحافة.

وبريد القراء يعتبر من ناحية أخرى الأداة التى تتعرف من خلالها الصحيفة على الإتجاهات السائدة فى الرأى العام تجاه قضايا المجتمع ومشكلاته، لذلك فكثيرا ما تستوحى الصحيفة العديد من تحقيقاتها الصحفية الهامة من رسائل القراء، بل وأحيانا ما تكون بعض هذه الرسائل دافعا لقيام الصحيفة بإعداد حملات صحفية عن القضايا التى تهم الرأى العام.

تاسعا: تحرص الصحف الشعبية على تقديم العديد من الخدمات للقراء بأن تخصص الصحيفة مثلا طبيبا مشهورا يرد على أسئلة القراء الطبية أو تخصص مستشارا قانونيا لتقديم الإستشارات القانونية للقراء أو تكلف محررا كبيرا أو كاتبا أو عالما إجتماعيا أو نفسيا لحل مشاكل القراء العاطفية والإجتماعية، كذلك فإن بعض الصحف الشعبية تنشر

مشاكل خاصة أو عامة يعانى منها القراء مع إدارات الحكومة أو غيرها، ولا تكتفى بالنشر بل تتابع هذه المشاكل مع المسئولين حتى تجد لها الحل، وبقدر ما تساهم الصحيفة فى حل أكبر عدد من المشاكل التى تصل إليها بقدر ما يزداد رصيدها من القراء.

عاشرا: تقوم بعض الصحف الشعبية بتنظيم بعض المسابقات التى تحاول إختبار مدى ذكاء القراء أو حجم ثقافتهم العامة، وغالبا ما تقوم الصحف بتقديم جوائز مالية إلى الفائزين وقيمة هذه الجوائز قد تكون رمزية أو قيمة مالية كبيرة حسب ظروف كل صحيفة، بل إن بعض الصحف تترك لقسم الإعلانات تنظيم عدد من المسابقات بالإشتراك مع عدد من المعلنين كشركات الطيران أو السياحة بحيث تتولى هذه الشركات أو الهئيات تحمل قيمة الجوائز مقابل أن تدور بعض أسئلة المسابقات حول نشاط هذه الشركات أو الهئيات، ومثل هذه المسابقات تجذب العديد من القراء من أجل التسلية أولا، ومن أجل إختبار مدى ذكائهم ثانيا والحصول على جوائز مالية ثالثا، أما الصحيفة فإنها تكسب قراء جدد أو تحتفظ بقراء قدامى.

حادى عشر: نشر الكلمات المتقاطعة أو الألغاز وهذه لها هواة كثيرون يقبلون عليها من أجل التسلية، ومن أجل الحصول على ثقافة عامة، والصحف تحرص على أن تكتب بدقة وأن تخلو من الأخطاء، لأن القارى لو اكتشف أى أخطاء بها فسوف يفقد ثقته بالجريدة وقد ينصرف عنها إلى قراءة غيرها من الصحف.

ثانى عشر: نشر أبواب قراءة المستقبل ورغم أن هناك من ينظر إلى هذه المادة بإستخفاف، إلا أن هناك من يحرص على قر ءتها لمجرد التفاؤل وهناك من يؤمن بها بل ويتصرف طوال يومه على حسب ما جاء فيها وفى كل الحالات فإن هناك عددا كبيرا من القراء يحرص على قراءتها.

وعلى مستوى الشكل...

تستخدم الصحف الشعبية المانشتات لعريضة والملونة باللون الأحمر، وتتوسع فى

إستخدام الصور سواء فى الصفحة الأولى أو فى الصفحات الداخلية وإختيار الصور المثيرة والجذابة والملفتة للنظر، وتفرط الصحف الشعبية فى إستخدام اللون فى بعض صفحات الجرائد الشعبية رغم الصعوبات التى يمكن أن تواجهها الجريدة اليومية فى إستخدامها للألوان، وتميل هذه الصحف إلى الصدور فى الحجم النصفى (التابلويد) لما يتيحه هذا الحجم القريب من حجم المجلات من إمكانيات فى إستخدام المانشيتات العريضة والصور الكبيرة الحجم والعناوين الصارخة.

***

هذه السمات التى تحاول أن تتماس مع الصحافة الشعبية يمكن أن تتسرب إلى كل الصحف التى تصدر فى مصر، ولا تقتصر على نوع واحد منها، فكل الصحف مهما تباينت أنماط ملكيتها تسعى إلى زيادة التوزيع، وإن لم يكن هذا التوزيع من أجل الربح والمكسب المادى فهو من أجل التأثير وتوجيه الجماهير والسيطرة عليها.

ورغم أن هذه السمات تعبر عن المرور على الظاهرة من على السطح، إلا أن فاروق أبو زيد[1] لديه رؤية أنضج للتفريق بين الصحافة الشعبية وصحافة الإثارة، وهى رؤية يتجاوز بها ما كتبه عن سمات الصحافة الشعبية فى فترة متقدمة، وهى رؤية كذلك أنضجتها التجارب المهنية والمتابعة الدؤوبة للمنتج الصحفى خلال عقدى الثمانينات والتسعينات وسنوات أول القرن الواحد والعشرين.

فالصحافة الشعبية هى صحافة جماهيرية تلبى إحتياجات القراء، تهتم بالموضوعات ذات القيمة والأهمية لأكبر عدد من القراء، وتراعى فى تقديمها لهذه الموضوعات أن تكون جاذبة للإنتباه وملفتة للنظر، وتتوجه إلى جمهور فى الغالب محدود الثقافة والتعليم، وفى الغالب يكون جمهور هذه الصحف من الشباب والنساء، الإهتمام بالسياسة فيها أقل من موضوعات الشئون العامة، ولا يمكن أن نطلق على هذه الصحف أنها صحف إثارة.

---

(١) فاروق أبو زيد، مقابلة خاصة معه.

وتختلف آليات الإثارة من مجتمع إلى مجتمع آخر، فالصور العارية فى مجتمع يمكن أن تكون مقبولة لكنها فى مجتمع آخر تكون مرفوضة لأنها لا تتناسب مع قيمه أو عاداته وأخلاقياته.

أما صحافة الإثارة فهى تعمل من أجل لفت الإنتباه وجذب القراء إليها فقط دون الإهتمام بأن تقدم للقراء ما يهمهم أو يكون له تأثير مباشر فى حياتهم، فالأولوية لديها أن يزيد توزيعها، وقد تنشر موضوعا لا يمثل أهمية لأى من فئات المجتمع لكنها تعرف جيدا أن الموضوع سيكون لافتا وجاذبا وهذه هى الغاية العليا لصحافة الإثارة.

صحافة الإثارة فى هذا الإطار يمكن التعامل معها على أنها مفهوم عالمى يمكن تعميمه وتطبيقه على أى صحافة فى العالم، فهى تسعى إلى زيادة التوزيع بكل الوسائل دون النظر للمضمون أو الأهمية التى تمثلها القضايا التى تطرحها.

*** ورغم أنه كانت هناك محاولة لتوصيف ملامح صحافة الإثارة من خلال تقرير المجالس القومية المتخصصة[1] حيث رأى التقرير أن هذه الملامح هى:**

أولا: بعض صحف الأحزاب تستغل حقها الذى يكفله لها القانون فى إصدار الصحف ، فتقوم بتأجير عدد من رخص الصحف من الباطن وبقصد التربح لأشخاص غير مؤهلين استخدموا هذه الصحف فى الإثارة والتجريح وتسوية الحسابات مع الغير، وأكثر هذه الصحف لا سيطرة للحزب عليها ولا يتحمل أية مسئولية قانونية عن تجاوزاتها.

ثانيا: السماح بتداول الصحف التى تحصل على رخص خارجية بالإصدار فى السوق المصرية بالطبع فى مصر، شجع عددا من المطابع التى توجد فى الأقاليم بعيدا عن أعين الجهات الرسمية بالحصول على عدد من الرخص الصحفية الصادرة من الخارج وقاموا بتأجيرها لعدد من المواطنين الراغبين فى إصدار صحف، ثم تطور الأمر إلى قيام بعض

(١) المجالس القومية المتخصصة، مرجع سابق.

هذه المطابع بتزوير رخص صحفية من الخارج لا أصل لها فى الحقيقة وقاموا بالإتجار فيها مع تسهيل طبعها فى مطابعهم الخاصة والتحايل على إستصدار موافقة إدارة المطبوعات والجمارك لتسهيل توزيعها داخل البلاد.

ثالثا: فى الوقت الذى تتزايد فيه تجاوزات هذه الصحف فى الإثارة والتجريح والإبتزاز والمتاجرة بسمعة بعض المواطنين وأعراضهم، ولا توجد أية محاسبة على هذه التجاوزات من أى نوع، ولا من جانب نقابة الصحفيين إذ لا تجرى محاسبة من يخرج على التقاليد الصحفية وميثاق الشرف الصحفى، كذلك فإن كثيرا من المواطنين يحجمون عن اللجوء إلى القضاء خوفا من تزايد الحملات الصحفية ضدهم من قبل هذه الصحف، فضلا عن بطء التقاضى وضآلة الغرامات التى يمكن أن تعاقب بها الصحف المتجاوزة.

رابعا: تزايد إنتشار صحف الإثارة وتنامى قوتها قد يرجع إلى تصاعد دور القطاع الخاص فى الحياة الإقتصادية وظهور فئة جديدة من رجال المال والأعمال الذين ربما استخدم بعضهم هذه الصحف فى مواجهة منافسيهم أو كوسائل ضغط لتمرير مصالحهم وتيسير حصولهم على مزايا لا يتيحها لهم القانون.

خامسا: الكثير من صحف الإثارة تصدر فى عدد كبير من الصفحات وتكاد تخلو تماما من الإعلانات التجارية والتسويقية ، كما أن توزيعها غير إقتصادى، بمعنى أنه لا يشكل مصدرا من مصادر الدخل الذى يغطى نفقاتها، وهو الأمر الذى يثير قضية تمويل هذه الصحف ويطرح إحتمال إعتماد هذه الصحف على التمويل الأجنبى وما قد يؤدى إليه من فتح الباب لقوى أجنبية للتأثير على الصحافة المصرية.

إلا أن هذه السمات فى النهاية لا يمكن أن تشكل دليلا لوضع تعريف لصحافة الإثارة، ولذلك فإن الباحث يخلص من ذلك إلى أنه يستبعد من دراسته مصطلح الصحافة الصفراء بكل دلالاته لأنه لا ينطبق على أى نمط من أنماط الصحافة فى مصر، ولذلك فهو يتعامل مع مصطلحى صحافة الإثارة والصحافة الشعبية، وإذا كانت

الصحافة الشعبية كمفهوم مستقرة من حيث املامح التحريرية والمواصفات الإخراجية، فإن مفهوم صحافة الإثارة لا يزال مراوغا وحائرا، لأن الإثارة فى الصحافة المصرية ليست منتجا مهنيا فقط بل تتداخل فيه عوامل كثيرة ما بين الشد والجذب.

ورغم إعتراف الباحث بأهمية السمات التى تتهادى على هامش المصطلح إلا أنه يمنح نفسه فرصة بحثية جديدة لدراسة هذه الصحافة، علىه يخرج فى النهاية بتعريف واضح ومحدد، وهو التعريف الذى يقود إلى تحديد ملامح هذه الصحافة ويقود كذلك إلى ماهيته فى السياق العام الذى تتحرك فيه.

■ ■ ■

ثانيا: السياق التاريخى لصحافة الإثارة فى مصر

لا يمكن للباحث أن يضع يده على نقطة محددة يستطيع أن يشير إليها على أنها كانت البداية الحقيقية لصحافة الإثارة فى مصر، وإن كان يمكنه إعتبار ميلاد الصحف الشعبية من رحم السلطة وبمباركتها، الخط الأول الذى بدأت منه الصحف المصرية التحرك نحو الجماهيرية وإستمالة إنتباه القراء وإهتمامهم.

حدث هذا خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حيث تغيرت فلسفة الحكم وتحديدا فى شكل علاقة السلطة بالصحافة، فقد أراد الخديو إسماعيل أن يمنح الصحافة حيزا من الحرية لتصدر فى رداء شعبى لتدافع عنه دون أن يكون لها طابع رسمى، وقد حاولت هذه الصحف أن تخلق لها قارئا مختلفا بعض الشئ فاهتمت بمشكلات الناس وعكست همومهم اليومية ومعاناتهم الإقتصادية، وتطرفت فانتقدت السلطة وعابت عليها بعض قراراتها ، وكان هذا لافتا للإنتباه فإهتم بها القراء، وبعد أن كان رجال الدولة وموظفيها هم الذين يقرأون الصحف فقط أصبحت عامة الشعب تقرأ وتتابع الصحف.

سمح إسماعيل للصحافة المصرية أن تنتقل من مقاعد السلطة إلى مقاعد الجمهور، وكان لابد من التمهيد لظهور هذه الصحافة، وفى هذا الإطار ظهرت صحيفة «وادى النيل» عام ١٨٦٦، وكان صاحبها هو عبد الله أبو السعود، وتعتبر هذه الصحيفة نصف شعبية.

فقد ازدحمت صفحاتها بأخبار الخديو ورجال حكومته ، وكان الخديو يساندها ماليا حتى تستمر فى الصدور، فهى من هذه الناحية رسمية، وهى تعلن فى الوقت نفسه أنها شعبية، فصاحبها أبو السعود وهو رسميا ليس موظفا لدى الخديو، بل كان شاعرا ومترجما، ولذا تعتبر صحيفته من هذه الناحية شعبية ويرجع لها فضل خلاص الصحافة المصرية من رسميتها وإتجاهها إلى اللون الحر من الصحافة[1].

(١) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية١٧٩٨-١٩٨١ (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٨٢) ص٦١.

وفى الوقت الذى تعتبر فيه «وادى النيل» جريدة شبه رسمية أو نصف شعبية، فإن جريدة «نزهة الأفكار»التى أصدرها إبراهيم المويلحى وعثمان جلال عام ١٨٦٩ هى بداءة الصحف الشعبية، وصدرت بعيدا عما يقره الخديو من آراء، فلم يحتمل هذا التجديد فى الرأى والمعانى فأوقفتها السلطة بعد عددين فقط[١].

ويحسب «لوادى النيل» وعددى «نزهة الأفكار» أنهما ساعدا على توفير المناخ الذى يستوعب صحافة حرة تعبر عن مصالح الشعب المصرى بقدر ما تعبر عن الحاكم، وإذا كان اسماعيل لم يتحمل نقد «نزهة الأفكار» فإنه فتح الطريق أمام الصحف الشعبية فظهرت الصحف الآتية[٢]:

الكوكب الشرقى ، الأهرام ، الكوكب، صدى الأخبار، أبونظارة، مصر، التجارة، الإسكندرية، الوطن، مرآة الشرق، الكوكب المصرى ، حقيقة الأخبار، الوقت، بستان الأخبار، النحلة الحرة، القاهرة الحرة.

كان السياق التاريخى الذى تمر به مصر يحتم ظهور هذا النمط من الصحف، فلم تكن رغبة الحاكم وحدها هى السبب الوحيد فى ظهور الصحف الشعبية، إذ كانت هناك أسباب أخرى دفعت بها منها:

أولا: إنشاء مجلس شورى النواب عام ١٩٦٦، ولما كان هذا المجلس أحد المظاهر التى أرادها إسماعيل كنوع من أنواع المحاكاة لأوربا، فكان لابد من إنشاء صحافة شعبية تعبر عن هذا المجلس وفى الوقت نفسه تهاجم التدخل الأجنبى.

ثانيا: قيام الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧، فازداد شغف الأهالى بمتابعة أخبارها، وحدثت مجادلات بين الصحف المصرية والصحف التى ترد من الخارج، ووجد من بين

(١) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٢) عواطف عبد الرحمن وآخرون، الموسوعة الصحفية العربية، ج٢ (القاهرة، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩١) ص ٢٨.

الناس الناقم على تلك الجرائد والمؤيد لها.

وتعد هذه المجادلات الصحفية فى هذا الوقت أول حدث فى تاريخ الصحافة الشعبية المصرية، وكان لهذه الحرب نتيجة أخرى وهى لفت أنظار الصحف المصرية إلى الدول الأجنبية، حيث أخذت هذه الصحف تنشر الكثير عن أحوال الدول الأخرى وتشرح نظمها السياسية والإجتماعية وتقارنها بما هو سائد فى مصر.

ثالثا: هجرة بعض الصحفيين الشوام إلى مصر، خاصة بعد تولى السلطان عبد الحميد الذى أصدر العديد من الأوامر لتقييد حرية الصحافة مما أدى إلى هروب عديد من الصحفيين، وقد شجعهم إسماعيل على الإقامة فى مصر، فأسهموا فى نهضتها وأنشأوا عديدا من الجرائد والمجلات.

كانت مصر فى ذلك الحين تمثل قوة جذب شديدة لهم، فقد استقدم إسماعيل الشوام للعمل فى مدارسه، وخوض غمار الترجمة والصحافة والمسرح، وكان يريدهم ليساعدوه لجعل مصر قطعة من أوربا، وكان الأوربيون الذين جاءوا معه فى حاجة إليهم ليعملوا وسطاء بينهم وبين المصريين، وهكذا فتحت أمامهم كل أبواب العمل فى كل المشروعات التجارية والمؤسسات المالية والإدارية وغير ذلك من ميادين العمل الحكومى والأهلى.

كان إختيار إسماعيل للصحفيين الشوام قائما على أساس أنهم كانوا بحكم عوامل إجتماعية وثقافية وسياسية وسيكولوجية أكثر العناصر الثقافية المهيأة عربيا لقطف ثمار الغرب وهضمها وتمثلها بصورة جيدة ثم نشرها فى الجرائد والمجلات فى محاولة للتعريف بمنجزات أوربا المتقدمة فى مختلف الميادين[1].

لكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا ذلك فى الشام فقصدوا إلى مصر التى فتحت لهم ذراعيها دون قيود أو مضايقات، فلم تكن هناك حواجز طائفية أو عرقية تقرب هذا أو تبعد ذاك،

(١) حسن كامل الموجى، دور الشاميين فى الصحافة المصرية ١٨٤١-١٩٠٠، ماجستير(جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الصحافة، ١٩٦٨) ص ٢٩.

بل إستطاعت مصر أن تصهر فى ذلك الحين هؤلاء الوافدين وتنسيهم خلافاتهم الطائفية التى عرفوها فى بلادهم، والتى كانت إلى حد ما أحد الأسباب التى دفعت بهم إلى الهجرة[1].

رابعا: ظهور مفكر بقامة الأفغانى فى مصر خلال عصر إسماعيل، فقد جاء إلى مصر لأول مرة أوائل عام ١٨٧٠، ولم يكن يقصد طول الإقامة بها، فلما سمع الناس بمقدمه اتجهت إليه أنظار أهل العلم، تردد على الأزهر واتصل به كثير من الطلبة، وأقبلوا عليه يتلقون بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية وبعد أربعين يوما قضاها بمصر تركها متجها إلى الآستانة[2].

عاد الأفغانى مرة أخرى إلى مصر فى مارس ١٨٧١، وظل بها حتى طرده منها الخديوى توفيق فى أغسطس ١٨٧٩، قضى الأفغانى فى نزوله الثانى إلى مصر ثمانى سنوات، تبنى خلالها عددا من الصحفيين وشجعهم على إنشاء العديد من الصحف، فكان من بين من أنشأوا صحفا بتشجيع الأفغانى أديب إسحاق وسليم النقاش ويعقوب صنوع، وظهرت فى هذه الصحف روح الأفغانى وأفكاره، حيث كان يحث تلاميذه على التطلع للحرية والتبرم بنظام الحكم القديم ومساوئه، والسخط على تدخل الدول فى شئون مصر.

خامسا: تأليف الوزارة المختلطة برئاسة نوبار باشا كان وراء تمكن الصحافة من أن تنفس عن بعض ما كانت تحجم عن قوله، فراحت تندد بالعهد القديم قبل تأسيس النظام الوزارى وتذيع مساوئه وتحمل فى الوقت نفسه على تعيين أجانب فى وزارة مصرية، مما

(١) وائل ماهر عارف قنديل، معالجة الصحافة المصرية لأفكار الحقبة من ١٨٧٦ - ١٩٠٠ وقضاياها بالتطبيق على المقتطف والهلال، ماجستير (جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة، ١٩٨٦) ص ٨٦.

(٢) عبد الرحمن الرافعى، عصر إسماعيل، ج٢ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠) ص ١٤.

أدى إلى ازدياد المعارضة ضد حكم إسماعيل وأدى فى الوقت نفسه إلى نمو الصحف الشعبية وازدياد قرائها.

فى هذه الفترة حملت الصحافة المصرية على عاتقها عبء نشر الوعى وتنوير الأذهان، وشاركت فى هذه المهمة الصحف الشعبية والرسمية على السواء، فكانت الصحافة أفضل وأقوى أدوات الإتصال، التى حملت أفكار وآراء الفكر المصرى الحديث فى معانى الوطن والوطنية والوحدة الوطنية بين المصريين على إختلاف أديانهم، وأنظمة الحكم المطلق والمقيد، والمجالس النيابية وحرية التفكير والتعبير وحقوق المواطن وواجباته[1].

***

*** وهنا سؤال لابد من الإجابة عليه وهو:**

هل يمكن إعتبار هذه الصحف الشعبية التى اكتسبت إسمها ليس من المضمون الذى تقدمه ولكن من نمط ملكيتها صحافة إثارة؟

لا يستطيع الباحث بالطبع أن يتورط علميا ويجيب بنعم، حيث أن وصف الصحافة الشعبية الأولى فى مصر بالإثارة فيه تحميل لا طاقة لها به، لكن فى الوقت ذاته لا يستبعد الباحث أن هذه الصحف الشعبية كانت الشرارة الأولى فى لجوء الصحف إلى موضوعات تهم القارئ من أجل جذبه إلى الجريدة وشراءها، وهى الفلسفة التى رغم تطور صحافة الإثارة فى العالم ومرورها بمراحل عديدة إلا أنها لا تزال الحاكمة والتى تصيغ قيم ومعالجات صحف الإثارة، وهى الإهتمام بالقارئ من أجل ضمان شراءه للجريدة.

***

لكن ما لا يستطيع الباحث أن يمرره على الصحافة الشعبية فى طورها الأول، يمكن أن يمرره عليها فى طورها الثانى، وتحديدا فى الفترة التى زامنت الثورة العرابية، فى هذه

(١) رمزى ميخائيل، الصحافة المصرية والحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦) ص٩.

الفترة صدرت صحيفة «التنكيت والتبكيت» لعبد الله النديم في ٦ يونيو ١٨٨١، وكانت مقالاته السياسية حافلة بالوطنية، فهو يحث كل مصرى على مراقبة الحكومة ويهاجم الأجانب الذين كونوا ثرواتهم بإمتصاص الشعب، كما هاجم الأتراك والشراكسة لما يتمتعون به من حقوق حرم منها الشعب المصرى وحمل مجلس النواب مسئولية الوقوف فى وجه النفوذ الأجنبى.

ولم يكن الشأن السياسى هو شاغل النديم الأول والأخير، فقد حفلت جريدته بالموضوعات الإجتماعية والأدبية فنشر القصص والأزجال، وكان يراعى أن يكون ساخرا من الأوضاع الإجتماعية فى زمانه.

وإلى جوار التنكيت والتبكيت صدرت صحيفة المفيد لصاحبها حسن الشمسى التى كانت حادة فى معالجاتها للقضايا الوطنية، صدر العدد الأول منها فى ٥ أكتوبر ١٨٨١، وفتحت صفحاتها للعديد من مثقفى تلك الفترة أمثال سعد زغلول وإبراهيم الهلباوى، وهاجمت الخديو إسماعيل هجوما شديدا، حيث اعتبرته أساس البلاء الذى تعيش فيه البلاد، وهاجمت الخديوى توفيق كذلك وحملت على الأجانب الذين يستنزفون ثروات البلاد.

ويرى فيليب دى طرازى[1] أن المفيد نفخت روح الفوضى فى الأمة العربية عندما حملت حملة شعواء على سلطة الخديو الشرعية، وتجاوزت حدود المعقول بسياستها الخرقاء وكتاباتها المضرة.

وقد يكون هذا التوصيف تحديدا والإتهام لصحيفة المفيد هو المفتاح الذى نعتبره بداية الإثارة العنيفة فى الصحافة المصرية، وهى الصحافة التى لا تجذب القارئ بما يهمه من موضوعات وقضايا فقط، ولكنها تفعل ذلك من خلال تجاوز الخطوط الحمراء فى نقد السلطة وهو النقد الذى يصل أحيانا إلى حد التطاول والتجريح، وفى سياق سياسى

(١) فيليب دى طرازى، تاريخ الصحافة العربية (بيروت، المطبعة الأدبية، ١٩١٤) ص ٢٠.

كالذى تعيش فيه مصر لا يستطيع المواطنون فيه التعبير عن آراءهم فيمن يحكمونهم بحرية، تصبح هذه الصيغة الصحفية هى المناسبة للتنفيس والتعبير عما فى الصدور، وهو ما يساهم فى توزيعها وزيادة إنتشارها.

وهو ما بدا واضحا فى الجريدة الأساسية التى كانت ناطقة بلسان الثورة العرابية بشكل مباشر لا مواربة فيه ولا إخفاء، وهى صحيفة الطائف التى صدرت فى ٣٠ نوفمبر ١٨٨١، وقد واصلت الهجوم على الخديو توفيق ووضع الأجانب فى مصر وإستيلاءهم على ثروة البلاد.

واستحدث النديم الذى كان مسئولا عن تحرير الجريدة فكرة إصدار ملاحق لصحيفته، يتناول فى كل ملحق خصما من خصومه سواء كان هذا الخصم الخديو أو أحد معاونيه، وكانت السمة فى هذه الملاحق الهجاء الشديد والأسلوب العنيف فى نقد الشخصية التى يتناولها الملحق.

يعنى هذا لدى الباحث أن بذرة صحافة الإثارة فى مصر كانت سياسية، أخذت من المعالجات السياسية العنيفة والصاخبة وذات الصوت العالى وسيلة للتعبير عن نفسها، ولم تكن تراعى فى هذه المعالجات حسابا لأحد، حيث أنها كانت فى خصومة مع الخديو الذى قاد مصر بسياساته إلى الإحتلال.

بعد الإحتلال البريطانى لمصر تغيرت أوضاع صحافتها، حاول نظام الإحتلال أن يجتذب الصحف إلى مناصرته والدفاع عنه، وأصدرت وزارة الداخلية أوامرها بمنع المواطنين من مكاتبة الصحف وأصدرت منشورا يمنعهم من إبداء أفكارهم فى الجرائد أو القيام بمكاتبتها أو التوكيل عنها[1] وفى الفترة التى حل فيها اللورد كرومر على مصر من ١٨٨٣ إلى ١٩٠٣، فقدت الصحافة المصرية حرية الحديث فى الشأن السياسى، وأصبحت

(١) سامى عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال (القاهرة، دار الكتاب العربى، ١٩٦٨) ص٨٤.

الحرية المتاحة فقط هى حرية الحديث فى المسائل الثانوية والتافهة التى لا تهم الإحتلال ولا تمس وضعه فى مصر، أما إذا تجاوزت الحرية هذه المجالات إلى مناقشة وضع الإحتلال أو أعماله، كانت الإنذارات وقرارات التعطيل والإلغاء تنهال لوقف مثل هذه المناقشات[1].

فى هذه الفترة ظهرت صحف جديدة موالية للإحتلال مثل المقطم والمقتطف واللطائف، وتحولت بعض الصحف الوطنية إلى صحف موالية للإحتلال مثل صحف الوطن والزمان ومرآة الشرق والإتحاد المصرى، وزادت العناصر غير المصرية فى الصحافة المصرية، كما زادت الصحف المتخصصة التى تعمل بعيدا عن السياسة، ومنها المجلات الزراعية والصحية والقانونية والأدبية، وظهرت كذلك صحف يهودية فى مصر مثل نهضة إسرائيل[2].

*** لكن فى هذه الفترة ظهرت صحيفتان يمكن إعتبارهما إمتدادا لمجرى نهر الإثارة السياسية:**

الجريدة الأولى : هى المؤيد التى أصدرها الشيخ على يوسف فى أول ديسمبر ١٨٨٩، ولأنها كانت حادة فى نقدها للسلطة اتهمت بأنها لسان حال جمعية وطنية سرية هدفها خلع الخديو توفيق وإخراج الإنجليز من مصر.

ويرصد سليمان صالح[3] أنه وصل إلى مسامع الخديو توفيق بعد صدور المؤيد أنها لسان حال حزب وطنى يعمل سرا على عزله عن العرش، كما عزل إسماعيل من قبل، وكان الخديو توفيق على وشك أن يوقف المؤيد لولا وفاته.

(١) عواطف عبد الرحمن وآخرون، مرجع سابق، ٢٣.

(٢) عواطف عبد الرحمن وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٢٣ – ٢٦.

(٣) سليمان صالح، الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠) ص٧٧.

ورغم موقف المؤيد الرافض للإحتلال إلا أن الباحث لا يمكنه أن يعتبر ما كانت تقدمه إثارة سياسية متكاملة، فقد نأت الصحف بنفسها عن هذا الطريق حتى لا تتعرض للإنذارات والتكذيبات، خاصة أن على يوسف تعرض فى قضية التلغرافات[1] إلى المحاكمة، لكن الإثارة التى فجرتها جريدة المؤيد كانت إثارة إجتماعية وتحديدا فى معالجاتها لقضايا المرأة.

وصلت ذروة الإثارة مع الجريدة عندما نشرت مجموعة من المقالات لقاسم أمين فى مارس ١٨٩٩ ، وهى المقالات التى جمعها بعد ذلك فى كتاب بعنوان «تحرير المرأة»، وقد أثارت هذه المقالات إهتمام الكثيرين من قراء الجريدة ومحررى الجرائد الأخرى فى ذلك الوقت، لكن الإهتمام بما كتبه قاسم أمين فى قضية تحرير المرأة لم يبدأ فعلا إلا بعد صدور كتابه.

ويشير سليمان صالح[2] إلى أن المؤيد رحبت بصدور كتاب «تحرير المرأة»، ووصفته بأنه كتاب جليل تناول فيه العالم المفضال قاسم أمين أهم مواضيع الهيئة الإجتماعية المصرية بوجه خاص والإسلامية بوجه عام، وأنه مثل فيه حال المرأة المسلمة أوضح تمثيل مبينا أن حالة الجهالة السيئة التى صارت من مميزاتها هى السبب الأول فى تأخر العالم الإسلامى الحاضر ، وتوقعت المؤيد أن يكون ظهور الكتاب مصدر تغيير عظيم فى أفكار الأمة ينشأ

(١) أثناء حملة استرداد السودان أصدرت الحكومة المصرية أمرا بمنع كل مراسلى الصحف من مصاحبة الحملة العسكرية، وأنشأت بدلا من ذلك مكتبا بوزارة الحربية لإعداد نشرات إخبارية كان يوزعها على جميع الصحف ما عدا جريدة «المؤيد»، وحين احتج الشيخ على يوسف على هذه التفرقة نصح لكى ينال هذه النشرات الإخبارية بالإمتناع عن نقد الحملة، لكن على يوسف رفض قبول هذا الإعتداء على حريته، فلجأ إلى موظف بمكتب التلغراف الذى يرسل منه مراسلى الصحف الأجنبية تلغرافاتهم إلى صحفهم وإستطاع أن يحصل منه على صور عدد من تلغرافات قادة الحملة ونشرها فى جريدته، وحوكم كل من على يوسف وتوفيق كيرلس عامل التلغراف بتهمة إفشاء سر التلغراف، لكن المحكمة أصدرت حكمها ببراءة على يوسف.

(٢) سليمان صالح، مرجع سابق، ص ص ١٢٨ – ١٣٦ .

عنه فيها بعد تغير عظيم فى أخلاقها.

لكن ولأن المؤيد كانت تابعة للخديو عباس والذى كان ساخطا على الكتاب فقد تغيرت معالجتها حيث فتحت صفحاتها للمؤيدين والمعارضين للكتاب متخذة طابع الحياد فى البداية، إلا أنها زادت بعد ذلك فى عدد المقالات التى تنتقد الكتاب على صفحاتها.

وبغض النظر عن هذا التحول الذى كان دافعه سياسى إلا أن المعالجة للقضية من الأساس تكشف عن توجه إثارى، فقد كانت هذه القضية فى هذا التوقيت مثل حقل الألغام، والإقتراب منها وحده يحقق للجريدة حالة من الرواج والإنتشار.

الجريدة الثانية : هى «الأستاذ» التى أصدرها عبد الله النديم بعد أن عاد من المنفى، فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢، اهتمت الأستاذ فى بداية صدورها بموضوعات الإصلاح الإجتماعى والعمل على تهذيب الشعب وإصلاح عيوبه بإعتبار ذلك الخطوة الأولى للنهضة والتقدم، وقد جعل النديم الكتابة فى جريدته على ثلاثة مستويات هى:

الأول: مقالات علمية وطنية بأسلوب رصين كتبت للمثقفين من القراء.

الثانى: مقالات بأسلوب مبسط كتبت لأنصاف المتعلمين وتلاميذ المدارس وهى قريبة من العامية.

الثالث: مقالات ومحاورات باللغة العامية التى يعرفها الشعب.

ولعل هذه المستويات الثلاثة من الكتابة هى التى جعلت الأستاذ تلقى إقبالا عظيما من الجمهور[١]، وبذلك يكون النديم قد حقق للصحافة المصرية شعبيتها ليس نسبة إلى نمط الملكية هنا، ولكن نسبة إلى المضمون الذى تقدمه ، فقد حرص على تقديم قضايا وموضوعات تهم الشارع المصرى الذى تفاعل معها والتف حولها.

---

(١) عواطف عبد الرحمن وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٦.

هذه المرحلة تضيف بعدا جديدا إلى نمط الإثارة فى الصحافة المصرية، فبعد أن بدأت سياسية تحولت إلى صحافة إجتماعية، ويرتبط ذلك بشكل وتوجه النظام السياسى الذى تعمل فيه الصحافة، فحرية الرأى التى يمكن أن يمنحها الحاكم للصحافة فى ظرف تاريخى معين ولحاجة فى نفسه، تساعد على إفراز صحافة إثارة سياسية.

لكن عندما يضيق هامش حرية الصحافة فإن الإثارة السياسية تخبو وتتحول إلى إثارة إجتماعية، بعضها يكون من أجل القضايا الكبرى فى المجتمع وبعضها الآخر يكون من أجل توزيع الصحيفة والربح من وراءها فقط، وكانت هذه هى السمة الغالبة التى عملت فى ظلها الصحافة المصرية منذ بداية القرن وحتى قيام ثورة يوليو، ويمكن إجمال ذلك على النحو التالى:

■ أولا: الصحافة المصرية فى سنوات بداية القرن العشرين

حاولت الصحافة المصرية فى السنوات الأولى من القرن العشرين أن تكون إنعكاسا للحالة المجتمعية العامة التى تحكمها ثنائية: دولة محتلة وقوى وطنية تسعى للحصول على الإستقلال، وفى هذا الإطار صدرت صحف مختلفة الإتجاهات فى ظل التيارات السياسية الحاكمة والتى كان منها فى سياق الدراسة[1]:

التيار السياسى المعتدل : ويمثله حزب الأمة وصدرت عنه جريدة «الجريدة» التى صدرت فى مارس ١٩٠٧، ورأس تحريرها أحمد لطفى السيد وكانت منبرا لعرض أفكاره ومناقشة أفكار غيره من الفلاسفة الغربيين مثل سبنسر ولوك وروسو وغيرهم.

ورغم أن «الجريدة»كانت تضم عددا كبيرا من الكتاب والمثقفين مثل أحمد لطفى السيد وطه حسين ومحمد حسين هيكل ومنصور فهمى وعبد الحميد حمدى، إلا أن توزيعها ظل محدودا، لأن الآراء التى كانت تذيعها لم تجد قبولا بين معظم المصريين مثل دعوتها للقومية المصرية ورفض الجامعة الإسلامية والإرتباط بالدولة العثمانية وما تنشره من آراء عن كبار

(١) عواطف عبد الرحمن وآخرون، مرجع سابق، ص ص٣٠ - ٣٩.

الفلاسفة الأوربيين حول الحرية والعدل والمساواة.

التيار السياسى الثورى : وصدرت عن هذا التيار جريدة اللواء وصدرت فى ٢ يناير ١٩٠٠، ويرى عبد العظيم رمضان[1] أن إنشاء اللواء يمثل البداية الحقيقية لصياغة رأى عام مناهض للإحتلال كما تمثل البداية الصحيحة لزعامة مصطفى كامل السياسية، فحتى ذلك الحين كانت معرفة الرأى العام به تتم من خلال ما يصل إليه من أخبار نضاله وخطبه التى يلقيها فى مصر أو المقالات التى تنشرها له «الأهرام» و«المؤيد» إلا أنه بعد إنشاء «اللواء» تأكدت زعامته السياسية للشعب المصرى.

ويعتبر إنشاء اللواء مفترقا للطرق فى صحافة مصر الوطنية[2]، فقد حمل علم الجهاد وحده تقريبا فى إيمان الواثق بحقه المؤمن بعقيدته، وهى الصحيفة التى كان نظام العمل فيها مثلا يحتذى من حيث التحرير والإدارة، وهى الصحيفة الثانية التى استخدمت الآلة الكهربائية فى طبعها (بعد جريدة المؤيد) ، ومن أولى الصحف التى عنيت بمادتها وأفسحت صدرها لجليل الأمور وخطيرها فى صفحات ثمان، وهى أول الصحف المصرية التى نشرت أخبار مصر وخطب المسئولين فيها، ووصفت الحفلات الكبرى بالبرق، ومحررها أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بإلتزاماتها القانونية كما يحدث فى أوربا.

هذه المقابلة التى أجراها الباحث بين «الجريدة واللواء» قد تكون معبرة بشدة عن مساهمة الصحف السياسية فى نمط الإثارة حتى لو لم تكن تخطط لذلك، أى أنها لم تكن تعمد إلى أنماط تحريرية معينة بهدف زيادة التوزيع وحده.

لقد عالجت «الجريدة» قضاياها على غير موجة الرأى العام فى مصر فانصرف عنها،

---

(١) عبد العظيم رمضان، مصطفى كامل فى مدرسة لتاريخ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧) ص ٦٩.

(٢) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ١٦٠.

لكن اللواء جاءت معالجاتها على موجة الرأى العام الذى كان يرى ضرورة النضال ضد المحتل، وكانت مقالات مصطفى كامل وخطبه الحماسية الساخنة سبيلا وطريقا لزيادة توزيع الجريدة.

وهو ما يعنى أن جريدة اللواء كانت صحافة شعبية، فقد إهتمت بما يعنى جمهورها وقدمته بطريقة حماسية، جعلت القراء يلتفون حولها، فقد قامت بدور مهم فى إيقاظ الحس القومى وبث الوطنية فى الشعب المصرى، كما تبنت إنشاء الجامعة الأهلية التى كانت نواة للجامعة المصرية فيما بعد، كما أنها قادت حملة قوية لتوجيه الرأى العام المصرى إلى التعليم فشغل صفحات منه بالدعوة إلى التعليم الأهلى وحث الأغنياء على إنشاء المدارس والمعاهد بعيدا عن سيطرة الإحتلال.

وهى قضايا يعتبرها الباحث حيوية وذات صلة مباشرة بحياة الجمهور، وهو ما يؤسس أن إهتمام الصحف بالقضايا الأساسية فى حياة الناس ومعالجتها إياها بطريقة جادة ودافعة إلى التنمية والتطوير والتغيير يمكن أن يجعل منها صحافة مقروءة دون أن تلجأ لأساليب الإثارة المباشرة التى لا يكون لها هدف سوى التوزيع فقط.

■ ثانيا: الصحافة المصرية خلال الحرب العالمية الأولى

فى فترة الحرب العالمية الأولى الممتدة من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨، عانت الصحافة المصرية معاناة شديدة حيث تبعها الإعلان عن سلسلة من الإجراءات والقوانين الإستثنائية، مثل قانون منع التجمهر فى ١٨ أكتوبر ١٩١٤، وإعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف فى ٢ نوفمبر من العام نفسه، وقد حددت الرقابة موضوعات يحظر النشر أو الخوض فيها تتعلق بخسائر الحلفاء فى الحرب وتنقلات الجيش وحركات السفن، وكذلك حظر نشر كل ما يتعلق بنشاط السلطة العسكرية الإنجليزية فى الأراضى المصرية، وبدأت الصحف تعانى من الرقيب وأصبحت فى كثير من الأحيان تظهر بيضاء نتيجة تدخل الرقيب بحذف الموضوعات التى لا تروق للسلطة

العسكرية[1].

فى هذه الفترة توارت الصحف السياسية الوطنية، وسمح الإحتلال للصحف التى أيدته مثل المقطم والوطن أو التى هادنته مثل الأهالى والأهرام أن تنشر عن العمليات العسكرية لكن ما يروق لسلطة الإحتلال العسكرية، وفى مقابل ذلك زودتها بالأخبار والإعلانات الحكومية ووفرت الورق اللازم لها.

ظهرت فى هذه الفترة صحيفة «السفور»فى ٢١ يوليو ١٩١٥ وكانت تعتبر إمتدادا لجريدة «الجريدة» التى تصدر عن حزب الأمة التى توقفت، وكتب فيها محمد حسين هيكل ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى وأحمد أمين، وقد واصلوا ما بدأته «الجريدة» من نشر الفكر الليبرالى وفكرة القومية المصرية والدعوة لحرية المرأة وحقها فى التعليم، وأجبرت «السفور»على الإبتعاد عن القضايا السياسية واكتفت فقط بالمسائل الإجتماعية والفكرية والأدبية.

وترى نجوى كامل[2] أن فترة الحرب العالمية الأولى كانت إستمرارا لمعاناة الصحافة المصرية من قيود الرقابة وتدخل السلطات البريطانية فى أعمالها مما أثر على أسلوبها، فساد المقال الهزلى وأهمل الخبر وظهرت معظم صفحاتها بيضاء ولجأ المحررون إلى أسلوب التورية حتى يبعدوا قدر الإمكان عن قلم الرقيب.

وهنا يظهر تأثير المتغير السياسى حيث تحتمى الصحافة بالقضايا الإجتماعية التى تكون الإثارة فيها فكرية إلى حد بعيد، فى الوقت الذى تغلق فيه السياسة أبوابها، وتغلق السلطة نوافذ الحرية.

وإن كان الباحث يرجح أن الإثارة الوحيدة التى يمكن أن تحققها الصحافة المصرية فى

---

(١) عواطف عبد الرحمن وآخرون، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) نجوى كامل، الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية ١٩١٩ - ١٩٣٦ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩) ص ١١.

فترات الحروب هى الإثارة السياسية، هذا لو كان الباب أمامها مفتوحا، أما إذا كانت مرغمة على معالجة قضايا معينة فإنها تكتفى بأن تثير أفكار عامة قد لا تلقى إقبالا جماهيريا كبيرا عليها لإنشغال الرأى العام بالحروب وما تجره من تبعات.

■ ■ ■

ثالثا: الصحافة المصرية بين الثورتين ١٩١٩ـ ١٩٥٢.

يعتبر الصخب السياسى والمهنى هو السمة المميزة للصحافة المصرية فى الفترة الممتدة من ١٩١٩ وحتى عام ١٩٥٢، وذلك لعدة أسباب منها المعارك السياسية التى دارت بين الأحزاب السياسية العاملة فى هذه الفترة، وهى معارك كانت الصحافة وقودها المباشر.

وقد ظهرت خلال هذه الفترة صحيفتان يعتبرهما الباحث ركيزة صحافة الإثارة فى مصر وهما مجلة «روزاليوسف» و«جريدة أخبار اليوم».

كما أن الصحافة بدأت فى هذه الفترة الإعتماد على أساليب الإثارة الفنية والإجتماعية فيما يمكن أن نطلق عليه «صحف المنوعات»، ويمكن تفصيل هذه الأسباب على النحو التالى:

السبب الأول : فى هذه الفترة ظهرت أحزاب الوفد والأحرار الدستوريين والإتحاد والشعب، وكان لكل حزب من هذه الأحزاب صحفه التى تعبر عنه سواء كانت ناطقة بلسانه بشكل مباشر أو ناطقة بإسمه وأفكاره.

فرغم أن حزب الوفد لم تكن له صحافة رسمية[1] إلا أنه اعتمد على صحف الأفراد الموالين له ولزعامته، وقد أدى هذا الوضع إلى خروج عدد من الصحف عن الوفد نتيجة اختلاف وجهات النظر بين قيادته وأصحاب الصحف كما حدث مع أمين الرافعى وصحيفة «الأخبار» وعبد القادر حمزة وصحيفة «البلاغ»وتوفيق دياب و«صحيفة الجهاد» وروزاليوسف ومجلتها وجريدتها.

*** ويمكن أن نحصر أهم الصحف الوفدية فى الآتى:**

- البلاغ ...صدرت فى ٢٨ يناير عام ١٩٢٣ لعبد القادر حمزة بعد أن عطلت

(١) نجوى كامل، مرجع سابق، ص ص ٢٢- ٢٥.

السلطات صحيفته السابقة «الأهالى» تعطيلا نهائيا بعد أن أصبحت فى سنواتها الأخيرة لسانا مدويا من ألسنة الوفد، وكان لسعد زغلول دورا بارزا فى توجيه سياستها ، حتى أن إبراهيم الجزيرى سكرتير عبد القادر حمزة الخاص أشار إلى أن حمزة لم يكتب فى عهد سعد مقالا قبل أن يشاوره فيه ويتفقان على موضوعه والنقاط التى يتناولها المقال[1].

وقام عبد القادر حمزة وعباس محمود العقاد كاتبها الأول بدور كبير فى تدعيم إتجاهات الوفد لدى الشعب وفى مهاجمة وزارات المعارضة وأحزابها وصحفها، مما أدى إلى تعطيل الصحيفة عدة مرات.

- **البلاغ الأسبوعى** : وصدرت فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦ صحيفة أدبية وكان من كتابها العقاد وصبرى أبو علم ومحمود سليمان غنام ومحمد السباعى.

- كوكب الشرق : صدرت فى ٢١ سبتمبر عام ١٩٢٤ وتعد الصحيفة الوفدية الثانية بعد البلاغ، وأعلن صاحبها أحمد حافظ عوض أن شعارها هو العمل المتواصل لتحقيق الأمنية الوطنية وهو إستقلال مصر والسودان استقلالا تاما، وشارك فى تحريرها الدكتور طه حسين وأحمد ماهر، وقد تعرضت كوكب الشرق للمصادرة والتعطيل مرات عديدة أثناء حكم محمد محمود وإسماعيل صدقى.

- **روزاليوسف الأسبوعية** : صدرت فى ٢٦ اكتوبر عام ١٩٢٥، وكانت بدايتها فنية إلى أن تحولت للسياسة عام ١٩٢٧ وأصبحت إحدى الصحف الوفدية التى تدافع عن سياسته إلى أن خرجت عليه عام ١٩٣٥ .

لاقت الصحف الوفدية مطاردة عنيفة من الحكومات التى تهاجمها وتقف لها بالمرصاد، ولذلك ظهرت على يد أصحاب هذه الصحف ما يمكن أن نسميه الصحف التعويضية[2]،

---

(١) راسم الجمال، عباس العقاد (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩)ص ٣٩.

(٢) يقصد بها الباحث تلك الصحف الصغيرة التى يصدرها ملاك الصحف بشكل مؤقت تعويضا عن صحفهم التى أغلقتها السلطة فى إطار الصراع ثنائى الأطراف بين السلطة والصحافة، وقد ظهر هذا النمط كثيرا خلال تاريخ الصحافة المصرية.

فبعد تعطيل البلاغ لم يكن أمام عبد القادر حمزة إلا أن يحرر فى أربعة صحف أسبوعية تصدر متتابعة بحيث تتيح له الكتابة أربعة أيام فى الأسبوع، وهى صحف الساعة والوجدان والنجمة الزهراء والإبتسام.

وتكرر الأمر مع روزاليوسف التى قامت باستئجار عددا من الصحف الصغيرة طوال فترة تعطيل مجلتها، استمرت فيها فى الهجوم على الوزراة ومحاربتها وهذه الصحف هى الرقيب وصدى الحق والشرق الأدنى ومصر الحرة، وهو ما حدث أيضا مع توفيق دياب حيث أصدر وادى النيل والشرق الجديد والنديم والمهذب واليوم.

كانت الوزارة تعطل هذه الصحف متهمة إياها بالإثارة ، وقد حدث هذا تحديدا عندما نشر أحمد حافظ عوض فى جريدته كوكب الشرق فى ١٦ مارس ١٩٢٩ تفاصيل إعتداء رجال الأمن على النواب والشيوخ الوفديين الذين ذهبوا إلى قصر عابدين فى ١٥ مارس ١٩٢٩ ليطلبوا من الملك إعادة الحياة النيابية بما كان يعد خرقا لتعليمات إدارة المطبوعات بعدم نشر أى شئ عن هذا الموضوع.

وقد جاء فى قرار تعطيلها «أنها ما زالت تدأب على نشر الأكاذيب بطريقة مثيرة للخواطر ومخلة بالنظام العام».

وفى عهد وزارة إسماعيل صدقى استغل الفقرة الأخيرة من المادة ١٥ الخاصة بالصحافة فى دستور ١٩٢٣ ، وهى التى تجعل تعطيل الصحف ممكنا إذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الإجتماعى، وبمقتضاها عطلت صحف البلاغ واليوم وكوكب الشرق، لكن صحفيو الوفد عاودوا إصدار صحف حملت أسماء جديدة مثل البلاغ الجديد لعبد القادر حمزة والمؤيد الجديد لأحمد حافظ عوض والضياء لتوفيق دياب وبعد أن عطلت أصدر الجهاد التى أصبحت جريدة الوفد الأولى.

كانت كذلك لحزب الأحرار الدستوريين صحفه، فقد أصدر صحيفة «السياسة» فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ فور إعلان تكوين الحزب، ورأس تحريرها محمد حسين هيكل وكتب

فيها طه حسين ومصطفى عبد الرازق وعبد القادر المازنى وحافظ عفيفى ومحمود عزمى وتوفيق دياب وعبد الله عنان، وتصدت السياسة للرد على مهاجمة الصحف الأخرى لحزب الأحرار الدستوريين وخاصة الصحف الوفدية، وبدأت مساجلات عنيفة بين السياسة والصحف الموالية للوفد .

أصدر الأحرار الدستوريون بعد ذلك صحيفة «السياسة الأسبوعية»فى ١٣ مارس ١٩٢٦، وركزت إهتمامها على الآداب والعلوم والتاريخ والقانون والسياسة المصرية والشرقية والدولية، وأصبحت من أكبر الصحف الثقافية إنتشارا إذ كانت مجالا خصبا للمثقفين المنتمين للحزب للتعبير عن مواقفهم الفكرية، ولذلك تعرضت إلى هجوم الفئات المحافظة بسبب ما تنشره من آراء كانت غريبة على الأوساط المصرية فى ذلك الوقت.

كان للأحزاب الصغيرة التى حملت اسم أحزاب القصر أيضا صحفها، فأصدر حزب الإتحاد فى ١١ يناير صحيفة الإتحاد، ورغم أن عددا من كبار الكتاب شاركوا فى تحريرها مثل طه حسين والمازنى، ورغم بذل جهود كبيرة من جانب القصر والقائمين عليها لإجبار الناس على الإشتراك فيها إلا أن القراء لم يقبلوا عليها أو يهتموا بما تقدمه وذلك بسبب دفاعها عن سياسات القصر وكذلك مواقفها المعادية للحركة الوطنية.

وأصدر إسماعيل صدقى صحيفة الشعب لتكون لسان حال حزب الشعب الذى أسسه عام ١٩٣٠، وقد رفضها القراء كما رفضوا جريدة الإتحاد، هذا رغم أن إسماعيل صدقى كان يجبر العمد والأعيان على الإشتراك فيها، لكنها مع ذلك ظلت جريدة ضعيفة.

إلى جوار هذه الصحف كانت الصحف التى تصدر عن الحزب الوطنى لا تزال قائمة، فقد أصدر أمين الرافعى صحيفة الأخبار فى ٢٢ فبراير عام ١٩٢٠ على مبادئ الوفد إلى أن نشب خلاف بين الرافعى وسعد زغلول بسبب دخول سعد المفاوضات مع لجنة ملنر، ونتج عن خروج الجريدة من الوفد أن تدهور حال الصحيفة المادى نتيجة ضعف توزيعها،

خاصة بعد أن دعا سعد زغلول الناس إلى عدم قراءة الأخبار، فاضطرت إلى الإتحاد مع جريدة اللواء المصرى التى أصدرها الحزب الوطنى فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٢١.

تولى الرافعى رئاسة تحرير الصحيفة الجديدة التى اتخذت لها اسم «اللواء المصرى والأخبار»، إلى أن قرر الحزب الوطنى فى أغسطس ١٩٢٥ إيقاف اللواء والإستمرار فى إصدار الأخبار صحيفة رسمية له، إلى أن أوقفها الرافعى لمدة عام ثم عادت إلى الصدور فى ١٢ مارس ١٩٢٧ حتى وفاة الرافعى فى ديسمبر من العام نفسه، كما أصدر الحزب الوطنى صحيفة العلم المصرى فى يناير ١٩٢٥ إلى أن ألغيت رخصتها فى أغسطس عام ١٩٢٨ بسبب عدم إنتظامها.

بعد هذا الإستعراض يواجه الباحث سؤالا عن ملامح الإثارة فى هذه الفترة السياسية والصحفية؟

وإجابة السؤال يمكن أن نسوقها فى نقاط محددة هى:

- أنتج الصراع السياسى بين الأحزاب السياسية حالة من الصراع الصحفى غايته كانت الدفاع عن الحزب الذى تمثله الصحيفة، وهو دفاع فى الغالب لم تكن تتوخى فيه الصحف الآداب المهنية، لكن فى الغالب كان يتم تجاوزها إلى ما يمكن أن نطلق عليه حالة الفضح السياسى ومن ذلك ما نشره توفيق دياب وحوكم عليه.

فقد تعرض طوال فترة حكم إسماعيل صدقى لعدة محاكمات، ومنها حكم بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ فى مارس ١٩٣٢ بسبب نشره صور خطابات نسبها إلى رئيس الوزراء موجهة إلى مأمورى الأقسام يطلب إليهم فيها تزوير الإنتخابات لصالح ممثلى حزب الشعب، والمحاكمة الثانية حكم عليه بالسجن فعلا بتهمة إهانة البرلمان لمدة ثلاثة شهور وغرامة خمسين جنيها، وأضيف إلى هذه المدة الحكم السابق عليه بالحبس ستة أشهر، وبذلك أصبحت المدة التى حكم عليه بها بالسجن تسعة أشهر فى فبراير عام ١٩٣٣.

- حالة الصراع السياسى هذه رفعت سقف المعارضة السياسية واتجهت الصحف إلى

نقد العائلة الحاكمة نفسها، وإن كانت فعلت ذلك بمواربة وتورية[1]، فقد حدث فى ٢١ أكتوبر عام ١٩٢٧ أن تولى إبراهيم خليل إدارة مجلة روزاليوسف بسبب سفر صاحبتها إلى فرنسا، إلى أن أعلن فى ٢٢ ديسمبر من العام نفسه تخليه عن كل مسئولية تختص بروزاليوسف، ولما قرر مساعدوه فى تحرير المجلة التخلى عن هذه المساعدة قرر إيقاف صدورها.

ويرجع السبب فى تخلى إبراهيم خليل عن إدارة المجلة إلى نشر مقال بعنوان«الخديو إسماعيل والملكة فكتوريا»رأى فيه الملك فؤاد مساسا شديدا بسيرة والده إسماعيل، فطلب إلى السلطات أن تأخذ روزاليوسف بالشدة والعنف وتوقع بها عقابا رادعا، وتقسو على المحرر المسئول عن هذا المقال، وسيق إبراهيم خليل بصفته المدير المسئول عن الجريدة إلى التحقيق، حيث إعترف بأن محمد التابعى هو كاتب المقال، فقبض عليهما ولم يفرج عنهما إلا بكفالة كبيرة، ثم صدر قرار النيابة بوقف المجلة حتى تختار صاحبتها مديرا جديدا مسئولا عنها تطبيقا للقانون.

- كانت المطاردة الدائمة لصحف هذه الفترة وخاصة الوفدية منها هى السمة الغالبة، وتعددت صور المطاردة من تعطيل الصحف لفترات محددة أو إلغاء ترخيصها بشكل كامل، أو الحكم على محرريها بالسجن مرة مع إيقاف التنفيذ ومرات مع التنفيذ، وهو ما يوحى بأن هذه الصحف كانت صاحبة كعب عالى فى الإثارة السياسية التى أقلقت مضاجع الحكومة والوزارات المتعاقبة بها جعلها دائما هدفا للمصادرة والتعطيل.

- ومن مظاهر الإثارة السياسية فى صحف هذه الفترة قيام صحف الوفد بالهجوم على المعارضين للحزب أحزابا وصحفا، ويعتبر هذا الدور كما تقول نجوى كامل[2]: هو الشق الثانى لدفاع الصحف الوفدية عن سياسات الوفد، والذى قامت فيه الصحف الوفدية

(١) نجوى كامل، مرجع سابق، ص ٦٣.
(٢) نجوى كامل، مرجع سابق، ص ١٢٦.

بدور مهم فى الهجوم على المنشقين عن الوفد، ووصفتهم بنعوت مخزية وردت على إدعاءات الأحزاب المعارضة وسخرت من زعمائها ومن النداءات التى تصدر عنها، عن طريق كتابتها بأسلوب يعكس معانيها، وإمتلات الصحف الوفدية بالمساجلات الحزبية بينها وبين صحف المعارضة، وقامت معارك صحفية بينهما استخدم فيها ما يجوز وما لايجوز من ألفاظ ومعان[1].

- فى هذه الفترة شهدت مصر حالة من الإنفتاح الفكرى والثقافى وتصارعت فيها الأفكار المتعارضة، وظهرت كتب مؤسسة ومحرضة على التغيير مثل«الإسلام وأصول الحكم»للشيخ على عبد الرازق، وفى «الشعر الجاهلى» للدكتور طه حسين ، وتحملت الحالة الفكرية المصرية نقاش وجدال على طريقة «لماذا أنا مؤمن»و«لماذا أنا ملحد».

فى هذه الفترة عنيت جريدة السياسة بالتجديد فى الحياة الإجتماعية المصرية، فقد دافعت عن المرأة وجعلت موضوعها حديثا يشغل بعض صفحاتها، كما أفردت لها بين آن وآخر صفحة مصورة تعنى بمسائلها المختلفة[2].

***

(١) يمكن الإشارة فى هذا السياق إلى نماذج عديدة منها، ما ذكرته جريدة النظام عن أحمد حافظ عوض عندما هاجم الوفد فى جريدة الأهالى كتبت:لا نلوم مثله إذا صدرت منه، فإن الأدب ليس من الأخلاق التى تكتسب بالتربية والتهذيب ولكنه غريزة يفطر المرء عليها، ومنها ما كتبته جريدة كوكب الشرق تصف الدكتور هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة بأنه ذئب متستر فى جلد حمل وخصم مشتمل ثوب صديق يروغ روغان الثعلب، ومنها ما سخرت به روزالوسف من رئيس تحرير جريدة الشعب متهمة إياه بالفشل فى إنجاح الجريدة، فقالت :إن خصوم حزب الشعب لا يتمنون على الله أكثر من أمر واحد هو أن يديم ويبقى عبد المجيد أفندى نافع رئيسا لتحرير جريدة الشعب، فليس هناك ضمان أقوى من هذا الضمان على ثقل دم الجريدة وسعة إنتشارها فى دكاكين القصابين والبقالين.

(٢) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ٢١٠.

السبب الثانى : لصخب هذه الفترة المهنى والسياسى يتعلق بتوسع الصحف فى هذه الفترة فى تقديم نمط إثارة ارتبط أكثر بالناحية الفنية، وقد يكون لهذا ما يبرره، حيث شهدت مصر فى هذه الفترة نهضة فنية ومسرحية ضخمة جدا، وكان لابد من صحافة فنية تواكب هذه النهضة الفنية، وإلى جوار المعالجات الجادة للقضايا الفنية ظهرت الصحف التى جعلت من الإثارة منهجا وسبيلا تسير فيه.

فقد بدا منذ البداية أن الإثارة الحسية والجنسية على وجه الخصوص كانت ماثلة فى أذهان القائمين على إصدار الصحف الفنية[1]، وكان الهدف من ذلك هو جذب القارئ ورفع أرقام التوزيع وتأكيد سطوة المجلة فى الأسواق الإعلامية، وما يستتبع ذلك من سطوتها فى الأسواق الإعلانية، وكان أمام الصحافة الفنية بحكم تخصصها وطبيعة ما تعالجه الفنون من إثارة حسية وجنسية مادة سهلة ومضمونة لجذب القارئ أكثر من غيرها، خاصة أنها صحف كان مطلوبا منها أن تعتمد على نفسها فى تمويلها حيث لا تستند على قوى سياسية أو حزبية أو إقتصادية تمولها، أو على الأقل لا تفعل ذلك معها بنفس الحماس الذى تفعله هذه القوى مع الصحف السياسية.

* **ويمكن للباحث أن يجمل عناصر الإثارة فى هذه الصحف كالتالى[2] . [3]:**

- نشر الصور العارية والإقتراب من الجنس على إستحياء، حيث لم يتعدى الأمر نشر بعض الأغلفة النسائية التى تتصف بشئ من العرى والحركات الراقصة والنظرات التى لا تخلو من دلال ونداء، وكان يخفف من وقعها الإختلاق الذكى لمناسبة نشرها والتعليق

(١) أحمد المغازى، التذوق الفنى والفن الصحفى الحديث ١٩٢٤ - ١٩٥٢ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ص ١٦٤.

(٢) هذه الصحف هى: مجلة المسرح التى صدرت فى العام ١٩٢٦، ومجلة عالم السينما وصدرت أيضا عام ١٩٢٦، ومجلة فن السينما وصدرت فى العام ١٩٣٣، ومجلة الحسان التى صدرت فى العام ١٩٣١، ومجلة النجوم التى صدرت فى العام ١٩٤٤، ومجلة دنيا الفن التى صدرت فى العام ١٩٤٦.

(٣) أحمد المغازى، مرجع سابق، ص ص ١٦٥ – ١٨٨.

الذى يحاول أن يحمل صفة الجد والتقعر أو العمق الفنى محاولا مخاطبة التسامى الفنى وليس الحسى الملموس.

- متابعة نشر القصص والفضائح الخليعة فى الوسط الفنى وأمام المحاكم، حيث إتجهت أساليب الإثارة الجنسية بالإضافة إلى نشر الصور العارية الخليعة فى الصحافة الفنية عموما، إلى نشر القصص ومتابعة الفضائح الخليعة فى الوسط الفنى ذاته، وكان تبرير الصحف لهذا المسلك أنها ترغب فى تطهير الوسط الفنى وتهديد هذه الطبقة المستهترة فيه بأنها مكشوفة.

- دأبت المجلات السينمائية على تطوير أساليبها فى تطوير الإثارة، من خلال زيادة الجرعة الجنسية فى المعالجات الفنية وتطور هذه المعالجات فيما يتعلق بالصورة الفنية، والتوسع فى نشر أغلفة النجوم العارية، ثم تهيئة المناسبات والموضوعات الإباحية لنشر الصور العارية.

- اهتمت الصحف الفنية والإجتماعية بربط القضايا الجنسية بالأزمة الإقتصادية العالمية التى اندلعت فى ثلاثينات القرن العشرين، وطرحت أفكار جرئية مثل تنظيم البغاء الرسمى بدلا من إلغاءه بشكل كامل، حيث يمكن الإبقاء عليه والعناية بحصر مناطق الفساد لئلا تتأثر بمشاهدها المناطق الأخرى، وتطرقت الصحافة إلى مشاكل الشباب العاطفية وأوهام الغرام مع الساقطات، وهى المشاكل التى ضاعفت حدة الإنحلال الجنسى.

لكن هذا الطابع الإثارى فى المعالجات الصحفية قلت حدته بشكل واضح بعد فترة ١٩٤٨، ، حيث بدأت الأمور السياسية والفنية والصحفية تسير إلى منحدر وتفاقمت المشاكل كلها مرة واحدة، وتضاعفت بعد حرب عام ١٩٤٨ وهزيمة العرب وضياع فلسطين.

أخذت أغلفة الصحف الفنية العامة آنذاك طابعا جماليا بعد تقدم فن التصوير الفوتوغرافى وفنون التجميل والأزياء الأخرى، ولم يعد جسد المرأة فقط أو التماثيل الحية

مصدر الجمال والإثارة، هذا إلى جانب الإغراق أكثر فى الطابع الخفيف والمسلى فى عرض المادة الفنية وإختيارها، ولم يمنع هذا الظرف السياسى بعض الصحف من نشر بعض الأغلفة المثيرة، وظلت الفضائح الفنية قائمة وإن لم يكن ذلك بصفة دورية ولكن كلما سنحت الفرصة.

ويخرج الباحث من ذلك أن صحافة الإثارة الإجتماعية والفنية تسير جنبا إلى جنب مع الإثارة السياسية، لأن الأخيرة تكون مرتبطة بحالة إنفتاح سياسى وهو إنفتاح تستتبعه حالة من الإنفتاح العام، لكن عندما يكون الظرف المجتمعى(هنا حرب فلسطين ١٩٤٨ وما استتبعها من هزيمة) غير ملائم للهزل أو شغل القارئ بما لا يفيده بل يشغله عن قضاياه الحقيقية ، فإن صحف الإثارة تتوارى لا أقول خجلا، ولكن لأنها تدرك بحسها التجارى أنه من الصعب أن يقبل عليها القارئ فى ظرف يحتاج فيه لأن يعرف من الصحف ما يحدث من حوله، لا أن تكون مصدرا لتسليته وإضاعة وقته وشغله عما يجب أن يهتم به.

***

السبب الثالث فى إعتبار هذه الفترة صاخبة سياسيا ومهنيا هو ظهور مجلة روزاليوسف وجريدة أخبار اليوم، ولا يمكن للباحث أن يتعامل مع الصحيفتين بنفس المنطق وذلك لأسباب عديدة منها أن روزا اليوسف فى بداية الأمر نشأت كمجلة فنية الهدف منها هو الدفاع عن الفنانين.

ففى شهر أغسطس ١٩٢٥ وكانت السيدة روزاليوسف[١] تجلس فى حلوانى كساب وبرفقتها محمود عزمى وزكى طليمات وإبراهيم خليل وأحمد حسين، ألقى بائع الصحف نسخة من مجلة الحاوى التى كان يصدرها حافظ نجيب، وكان الكتاب آنذاك شديدى القسوة على الفنانين، أخذت تقرأ ما كتب بها عن الفنانين، ثم سألت نفسها سؤالا هو: لمن يلجأ هؤلاء الفنانين والممثلين ليردوا عن أنفسهم هذا الظلم الواقع عليهم، تبادر إلى

(١) جمعة أبو النيل، صحفيون ومذاهب (القاهرة، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٥) ص ٦٤.

ذهنها فكرة إنشاء مجلة تقوم بهذه المهمة وتدافع عن الفن والفنانين، أعجبتها الفكرة وعرضتها عليهم فأخذوها مأخذ الخفة، لكنها أصرت على تنفيذها.

استقرت روز على تسمية المجلة الجديدة بإسمها وحصلت على الترخيص بإصدار مجلة كصحيفة أسبوعية أدبية مصورة، وصدر العدد الأول منها يوم الآثنين ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥.

ويصف خليل صابات خروج روزا للنور بقوله[١] : أصدرت فاطمة اليوسف مجلة (روزاليوسف) أسبوعية فنية هدفها الدفاع عن الفنانين وكانت محقة فى ذلك فقد حدث ما أكد توجهها.

ففى مارس ١٩٢٦ أى بعد صدور المجلة بشهور قليلة حدث أن صعد أحد الوزراء إلى خشبة المسرح ليصافح منيرة المهدية ومحمد عبد الوهاب بعد أن أديا مسرحية «كيلو باترة»، كتب المحرر الفنى للمجلة الخبر، لكن الرقيب فى إدارة الأمن العام رفض نشر الخبر، لأنه غير لائق أن يعرف الناس أن وزيرا من وزراء مصر ذهب بجلالة قدره وهنأ مطربة ممثلة ومطربا ممثلا، غضبت روزاليوسف وعلقت على القرار بقولها: بأية عقلية يفكر هؤلاء القوم.

لكن روزاليوسف سرعان ما حولت المجلة إلى سياسية وفدية تستخدم الرسوم الساخرة الملونة، وقد رأس تحريرها محمد التابعى، وقاست هذه المجلة الأمرين من حكومات الأحرار الدستوريين وحزب الإتحاد وحزب الشعب، غير أنها خرجت سنة ١٩٣٥ على الوفد وهاجمته.

وفى سنة ١٩٣٤ خرج محمد التابعى من روزاليوسف وأصدر مجلة آخر ساعة على نسق روزا من حيث أسلوب التحرير والإخراج واستخدام الكاريكاتير والألوان على الغلاف وكانت هذه المجلة وفدية.

---

(١) خليل صابات ، وسائل الإتصال نشأتها وتطورها، ط ٦ (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١)ص ١٦١.

هذا الربط بين المجلتين قصده الباحث لأن إبراهيم عبده[1] حاول البحث عن جذور المجلتين، فقد صدرت فى مطلع الحركة الوطنية صحيفة تأثرت بجريدة«أبو نضارة»التى أصدرها يعقوب صنوع فى القرن التاسع عشروهى جريدة «الكشكول المصور»، أصدرها سليمان فوزى جريدة مصورة إجتماعية إنتقادية فى ٢٤ مايو عام ١٩٢١، وكانت مثالا للصحافة الهزلية وعاصرت التطور السياسى فى مصر، وعن مدرسته صدرت «روزاليوسف» ، و«آخر ساعة»، وما إليها من المجلات المماثلة.

معنى ذلك أن روزاليوسف لم تبدأ كمجلة فنية صرفة ولكنها كانت متأثرة بتيار من الصحافة الهزلية ، وتتضح الصورة أكثر مما كتبه محمد التابعى[2] عن قصته مع الصحافة يقول:

قصتى مع الصحافة تبدأ منذ عام ١٩٢٥ عندما كنت موظفا فى مجلس النواب، وكنت اصطاف على شاطئ جليم بالأسكندرية مع أحد أصدقائى، وكانت المرحومة روزاليوسف وزوجها زكى طليمات من أعز الأصدقاء على نفسى، وكانت روزا تعمل فى مسرح رمسيس وقتئذ، واتصلت بى تليفونيا وسألتنى عن ميعاد عودتى إلى القاهرة، ولما سألتها عن السبب فاجأتنى بأنها تنوى إصدار مجلة إسمها«روزاليوسف».

يكمل التابعى: كان مفروضا أن تكون المجلة ثقافية أدبية تعتمد على القصة والشعر والفن، وأن يكون رئيس تحريرها ذكى طليمات، وأكون أنا المسئول عن باب النقد المسرحى بالإضافة إلى مقال آخر أقدمه كل أسبوع.

ويضيف التابعى: صدر أول عدد من المجلة فى أكتوبر سنة ١٩٢٥، ثم صدر العدد الثانى والثالث وسافر زكى طليمات بعد ذلك إلى باريس فى أول بعثة لدراسة الفنون المسرحية، وأصبحت أنا المسئول الوحيد عن المجلة، لكن اللون الذى كانت تعالجه المجلة

(١) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ٢٢٠.
(٢) محمد التابعى، مجلة آخر ساعة، عدد ٢٤ يوليو ١٩٧٤.

لم يلق رواجا، فكانت تطبع ألفى نسخة فيباع منها ٥٠٠ نسخة والباقى مرتجع، فاقترحت روزاليوسف أن تحولها إلى مجلة سياسية.

وهنا تبدو للباحث مفارقة جديرة بالتوقف، فقد كانت روزاليوسف مجلة فنية فى وسط مجلات فنية أخرى أخذت من معالجاتها للقضايا الفنية سببا للتوزيع والإنتشار والجماهيرية، لكنها مع ذلك لم تحظ بالإنتشار والتوزيع، وقد يكون السبب فى ذلك أن نمط المعالجة الذى إنتهجته روزا كان للفن والثقافة الرفيعة التى لا تحظى بقبول الجمهور العادى.

اقتضى التحول إلى المعالجات السياسية فى روزا كما يروى التابعى: أن تشمل المجلة على صفحتين سياسيتن وكنا ننسخ هاتين الصفحتين كل أسبوع من أحد الكتاب، فأسبوع من رمزى نظيم وأسبوع آخر من عبد المجيد حلمى، وفى ذات الوقت فوجئنا بجريدة سياسية تهاجمنا قائلة أن مجلة رزواليوسف نقلت عنها عمودين سياسيين دون إستئذان، وثارت روزاليوسف وسألنا المحرر المسئول عن الصفحتين فقال أن أحدا لم يرض أن يكتب فى ذلك الأسبوع، فلجأ إلى تلك الوسيلة، ومنذ ذلك اليوم بدأت أقرأ الصحف اليومية وأدرس الموقف السياسى وبدأت أكتب فى السياسة، وبقيت فى مجلة روزاليوسف حتى عام ١٩٣٤ ثم أخرجت مجلة آخر ساعة فى يوليو ١٩٣٤ وكنت أباشر كل شئ فى المجلة كما كنت أفعل قبل ذلك فى روزاليوسف.

حدث هذا التحول بداية من ١٣ يناير ١٩٢٧، بحملة صحفية على نواب البرلمان الذين يستغلون نفوذهم لخدمة الأنصار والمحاسيب، فى ذلك الوقت تساءلت روزاليوسف: ألا يخجل أولئك النواب وهم يطلبون من كبار الموظفين التوسط فى تعيين فلان أو ترقية علان أو إنجاز عمل ترتان، رقد لجأت المجلة إلى الصيغة المضمونة الرواج وهى أن تكون معبرة عن حزب الوفد الحرب الجماهيرى وقتها، حيث كانت الصحف المعبرة عنه تلقى رواجا كبيرا.

ويرصد عادل حمودة[1] السمات العامة لمعالجات روزاليوسف ويرجعها إلى سمات صاحبتها، ففى سنة ١٨٦٩ ولدت فاطمة محمد محيى الدين اليوسف فى مدينة طرابلس فى لبنان، وتحمل حياة السيدة التى تحمل اسمها مجلة روزاليوسف أسبوعيا فلسفة المجلة وتوجهاتها وانحيازاتها وتشرح سياستها الصحفية، ويمكن أن نحدد ذلك كالآتى:

أولا: ماتت أمها جميلة عقب ولادتها مباشرة، فربتها أسرة مسيحية فى غياب الأب الذى كان تاجرا دائم السفر، وإختارت الأسرة المسيحية لها إسم «روز» للتدليل، فلم تعرف فاطمة اليوسف فى طفولتها التعصب فهى مسلمة تربت فى بيت مسيحى، هى فاطمة وروز معا، تقرأ القرآن أمام صورة العذراء، وتصوم رمضان وتحتفل بالكريسماس، إن هذا التسامح انتقل من السيدة إلى المجلة، وأصبح قانونا من قوانينها الأساسية لا يجرؤ أحد على تعديله أو العبث به.

ثانيا: آمنت روزاليوسف بالحرية وأن من حق كل إنسان أن يعبر عن رأيه، فدافعت عن طه حسين الذى اتهم بالكفر فى سنة ١٩٢٦ بعد كتابه فى الشعر الجاهلى، وكتبت روزاليوسف فى صيف ١٩٢٦: ترى هل قضى على مصر أن يتحكم فى عقول أبنائها وفى حقهم فى إبداء آرائهم نفر من الشيوخ المصابين بمرض الأملاح وعسر الهضم، لقد آن الأوان لأن يفهم هؤلاء القوم أن فى مصر دستورا وقوانين تكفل حرية الرأى وحرية المذهب، وفى عدد ٢٩ مايو من نفس العام هاجمت روزاليوسف الأزهريين الذين ينادون بسقوط سعد زغلول وحكومته والبرلمان وقالت: إنهم فى كل الأحوال أشبه بأحجار الشطرنج لابد من يد لتحركهم.

وفى عدد ٢٩ فبراير سنة ١٩٣٨ قالت: « إن مشايخ الأزهر يلبسون مسوح الدين وهم جديرون بالتبكيت، فقد رضيت كرامتهم أن يكون إفطارهم ليلة القدر وهى خير من ألف شهر عند المندوب السامى البريطانى ممثل الإحتلال فى مصر ».

---

(١) عادل حمودة، روزاليوسف، مقال: مطاردة حزب لولو، عدد ٢٣ أكتوبر ١٩٩٥.

ثالثا: عاشت فاطمة اليوسف يتيمة فعرفت قسوة الحياة، فانحازت إلى الضعفاء وغرست فى مجلتها ذلك، ولذلك كانت تنتقد أوضاع المجتمع المستفزة للفقراء، ففى عام ١٩٢٧ نشرت سيدة مجتمع إعلانا فى الصحف تعلن فيه عن منح مكافأة ١٥ جنيها لمن يعثر على كلبها لولو الذى فقدته، وعلقت روزاليوسف على ذلك بمقال عنوانه: يا بختك يا لولو، قالت فيه: خمسة عشر جنيها تدفع مكافأة من أجل كلبة، وفى البلد مئات بل ألوف من الأطفال والعجزة يتضورون جوعا ....اللهم أنزل غضبك وسخطك.

رابعا: لم يكن غريبا أن تدافع روزا اليوسف عن المرأة وتتبنى قضاياها وتهاجم كل القوى التى تحاول أن تعيدها إلى عصر الحريم، فهى مجلة صاحبتها إمرأة وتحمل اسمها، وسيكون مثيرا للسخرية أن تهاجم مجلة بهذه النشأة المرأة.

***

جريدة أخبار اليوم على عكس روزاليوسف كانت سياسية منذ اللحظة الأولى وصدرت مناوئة لحزب الوفد ضاربة عرض الحائط بالقاعدة التى تقول أن الصحف التى تعارض الوفد بلا قراء، وهو ما يثبت فارقا آخر بين «روزا»و«أخبار اليوم»، وهو أن روزا تحولت إلى صيغة الإثارة تدريجيا حتى وصلت إلى قمة الإثارة فى حملة الأسلحة الفاسدة التى قادها إحسان عبد القدوس ضد الفساد الذى اعترى حرب ٤٨.

أما جريدة أخبار اليوم فكانت جريدة إثارة منذ اللحظة الأولى لصدورها، حيث كانت الإثارة بالنسبة لصناعها فلسفة قاموا على تطبيقها ورعايتها وتنميتها.

فى ١١ نوفمبر ١٩٤٤ أصدر الأخوان مصطفى وعلى أمين صحيفة أخبار اليومي الأسبوعية، وقد اتبعا فيها فنا صحفيا جديدا من حيث الإخراج والتحرير[١] وقد لاقت هذه الصحيفة الجديدة نجاحا كبيرا، على الرغم من هجومها الشديد على حزب الوفد وزعمائه ومناصرتها للقصر الملكى والأحزاب التى تدور فى فلكه.

(١) خليل صابات، مرجع سابق، ص ١٦٣.

ويتعامل إبراهيم عبده مع أخبار اليوم على إعتبار أنها ليست صحيفة مذهب إجتماعى، ولا تعبر عن فكرة سياسية خاصة، بل أهم ما يدور فى رسالتها مخاصمة الوفد المصرى سواء كان فى الحكم أو فى المعارضة، وتميزت بالتفوق فى الإخراج والسبق الصحفى وتلوين مادتها بكثير من الموضوعات الطريفة الجذابة، كما تمتاز بمجموعة من الأقلام القوية كأقلام محمد التابعى وصاحبيها مصطفى وعلى أمين وتوفيق الحكيم، وإن آثر الأخير وظائف الدولة على التحرير[1].

الخيط الذى رصده خليل صابات وإبراهيم عبده من تميز أخبار اليوم فى الإخراج والتحرير، وصفه سامى عزيز بأنه كان ثورة فى الصحافة[2]، ويعدد عزيز الأسباب التى جعلت من ظهور جريدة مثل أخبار اليوم ضرورة ملحة[3]:

ففى العام الذى صدرت فيه أخبار اليوم تجمعت عوامل كثيرة كل منها يدعو إلى ظهور جريدة جديدة فى مصر تكشف الستار عما دار ويدور فى الخفاء ويدبر بليل للبلاد، جريدة تتحدث بلا خوف عن المآسى التى اقترفتها الأحزاب المصرية والحكومات المصرية آنذاك، جريدة تزيل أقنعة القداسة وهالاتها عن تلك الرؤوس التى احتكرت السياسة فى مصر وأمسكت برقاب العباد سنوات طوال، جريدة تدعو إلى الإصلاح والتقدم والأخذ بأساليب الحضارة الحديثة والسير فى ركب المدنية الدافقة، جريدة لا يملكها شخص بمفرده بل يملكها عمالها وقراؤها وإليهم وحدهم يعود الفضل فى نجاحها أو فشلها.

ويرجع سامى عزيز أسباب نجاح أخبار اليوم[4] إلى إخلاص أعضاء الدار جميعا فى العمل الذى يعهد إليهم، بل والعمل الذى يقومون به من تلقاء أنفسهم، وعندما نقول

(١) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٢) سامى عزيز، ثورة فى الصحافة (القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٦).

(٣) سامى عزيز، مرجع سابق، ص ٣٢١.

(٤) سامى عزيز، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

أعضاء الدار فيجب ألا نفرق بين مصطفى وعلى أمين وبين أى فرد آخر فى الدار، فهما يعملان ليل نهار، وقد يقول البعض أنهما كانا يحاولان أن يضربا المثل لغيرهما، ولكن حضور كل منهما فى بداية النهار واستمراره فى العمل وإندماجه فى هذا العمل تماما حتى يتم طبع الجريدة، واستمرار ذلك منذ صدور الجريدة حتى اليوم[١].

وفى حقيقة الأمر أن هذا سبب سطحى لنجاح أخبار اليوم، فقد يبذل أصحابها والعاملون فيها جهودا جبارة لكنهم لا يحققون نجاحا يذكر، وفى إعتقاد الباحث أن نجاح أخبار اليوم جاء لأنها كانت نمطا مختلفا عن الصحف التى تصدر، كانت صحيفة إثارة تصدر بفكر مؤسسى.

لقد كانت الإثارة الصحفية دعامة مهمة من الدعامات التى ارتكزت عليها مدرسة مصطفى وعلى أمين[٢]، ورغم أنه كان هناك إعتقاد شائع أن الإثارة الصحفية مرتبطة إرتباطا وثيقا بنشر أخبار الجريمة والجنس، فإن الإثارة التى قدمها مصطفى وعلى أمين هى إثارة بالأسلوب البسيط الذى يثير فضول القارئ بالصورة المعبرة والموحية والعنوان الجذاب حتى لو كان عنوانا لمذكرات سياسية، مثل مذكرات دوق وندسور التى نشرتها أخبار اليوم فى النصف الثانى من عام ١٩٥٠.

لقد باع العدد الأول من أخبار اليوم ١١٠ ألف نسخة وهو عدد لم تسبقه إليها جريدة أخرى، ولم يكن السبب فى ذلك مجرد التغيير فى الشكل الذى اتبعته، ولا حملة إعلانات قوية قامت بها للترويج لنفسها، فقد كانت الحملة الإعلانية التى قدمت به لنفسها ضعيفة جدا[٣] ولم تتعدى سوى إعلانات قليلة كانت كالآتى:

---

(١) التاريخ الذى صدر فيه كتاب «ثورة فى الصحافة» العام ١٩٥٦، أى بعد إثنا عشر عاما من صدور الجريدة.

(٢) شريف درويش اللبان، أخبار اليوم ..مسيرة صحفية فى نصف قرن (القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٤) ص ٥٠.

(٣) مى شاهين، شارع الصحافة، (القاهرة، مطابع دار المعارف، ١٩٥٧) ص ٣١.

- أول إعلان فى جريدة الأهرام فى أول نوفمبر ١٩٤٤ نصه: أخبار اليوم يصدرها قريبا مصطفى أمين بعد إستقالته من مجلة الإثنين.

- وفى ٢ نوفمبر نشر إعلان فى الأهرام نصه: مصطفى أمين فى أخبار اليوم.

- الإعلان الثالث نشر يوم ٣ نوفمبر فى صفحة ٣ عبارة عن إطار صغير على عمود واحد بإرتفاع ٤ سنتميتر مكون من ثلاثة أسطر هى..آخر الأخبار....فى أخبار اليوم...مصطفى أمين، وفى الصفحة الثانية إعلان صغير على عمودين نصه: مجلة أسبوعية + جريدة يومية = أخبار اليوم..مصطفى أمين.

- الإعلان الرابع نشر فى ٥ نوفمبر ١٩٤٤ فى برواز فى الصفحة الثالثة على عمود واحد وبارتفاع ٤ سنتميتر أيضا وكان نصه: ابن البلد فى أخبار اليوم...مصطفى أمين.

- الإعلان الخامس نشر يوم ٦ نوفمبر بعد أن استقر رأى مصطفى أمين أن يكون موعد صدوره النهائى يوم ١١ نوفمبر، كان إعلان من ست كلمات بإرتفاع ٣ سم على عمود واحد بجوار أخبار المجتمع فى الأهرام ونصه: السبت ١١ نوفمبر تصدر أخبار اليوم ....مصطفى أمين.

لم تكن هذه الإعلانات البسيطة هى طابع العصر الذى ولدت فيه أخبار اليوم، بل الواقع أن الصحف التى كانت ستصدر مع أخبار اليوم فى هذه الفترة نفسها كانت تنشر إعلانات ضخمة ومثيرة مثل مجلة بلادى لسان حال الهيئة السعدية، ومجلة مصر الفتاة لسان حال حزب مصر الفتاة.

وتروى مى شاهين قصة الإعلان الذى نشرته الأهرام يوم ٧ نوفمبر عن أخبار اليوم[١]، وكان بإرتفاع ١٠ سنتميتر على عرض عمودين وهو على شكل صورة رجل يتفرج على صورة وقد كتب عليها: أخبار اليوم فى معرض الصور ...مصطفى أمين، ولم تكن الحكمة من نشر الإعلان بهذه الصورة مفهومة، فالعدد الأول من أخبار اليوم خلا

(١) مى شاهين، مرجع سابق، ص٣٧.

من أية صورة من صور الحوادث الهامة ، وكانت الصورة الأولى من إحدى الوكالات الأجنبية.

ولعل التفسير الوحيد لهذا الإعلان أن أخبار اليوم أرادت أن تشير إلى حجمها الكبير الذى يظهر لأول مرة فى الصحافة الأسبوعية، فقد كان مصطفى وعلى أمين يخشيان خيبة الأمل التى سيصاب بها القارئ عندما يمسك أخبار اليوم بيده للمرة الأولى، فيجد أنها أكبر مرات من حجم الإثنين أو آخر ساعة، أو أكبر مرتين من حجم المصور فى ذلك الحين، ولهذا راحا يمهدان لهذا الحجم فى الإعلانات ولعل ما شاهداه بأنفسهما فى داخل إدارة الجريدة نفسها هو الذى اضطرهما إلى أن يمهدا القارئ لقبول الحجم الجديد، فالذين عاشوا فى أخبار اليوم فى هذه الفترة يقولون إن المحررين أصيبوا بصدمة عنيفة عندما رأوا الحجم الجديد، حتى أن الرسام رخا أغمى عليه وراح يبكى ويقول: «انخرب بيتنا ..يافرحة إميل زيدان»[1] .

كان صدور أخبار اليوم إذن أمرا مخططا له بعناية، وكانت الإثارة فيها مقصودة لذاتها أحيانا ومستخدمة لجذب الإنتباه لقضايا بعينها فى أحيان أخرى، وقد تواصل هذا المد الإثارى، مخترقا ظهور صحف جماعات الرفض مثل مصر الفتاة والإخوان المسلمين والصحف اليسارية، وهى الصحف التى كانت تحكمها أيدلو جية أصحابها السياسية والفكرية وهو ما ابتعد بها عن التطوير فى الشكل أو الإخراج أو فنون الكتابة الصحفية.

لقد كانت الإثارة تصنع بشكل مهنى بحت فى مدرسة أخبار اليوم وإصداراتها المختلفة ، لكن هذا لم يمنع أن تتدخل فيها المواقف السياسية، ويدلل الباحث على ذلك بواقعة محددة، تمت فيها صناعة صورة للنحاس باشا، وهى واقعة جمع الباحث تفاصيلها من أكثر من طرف.

(١) إشارة إلى إميل زيدان صاحب دار الهلال التى كانت تصدر عنها مجلة المصور والإثنين التى استقال منها مصطفى أمين ليصدر أخبار اليوم.

الطرف الأول[1] رواية لهيكل عن صورة نشرتها «آخر ساعة» للنحاس باشا وهو يصفق، آثارت هذه الصورة يوم نشرها ضجة كبرى وتحدث الناس عنها، ظلت قصة هذه الصورة طى الكتمان حتى أفرج عنها هيكل.

التقطت الصورة يوم زفاف السيدة سعاد الوكيل شقيقة صاحبة العصمة حرم النحاس باشا، وكانت الحفلة فى الأريزونا، ولم يكن بين المدعوين أخبار اليوم ولا آخر ساعة، وبينهما وبين النحاس باشا ما صنع كل الحدادين فى العالم منذ اخترعت الحدادة، ومع ذلك كان لابد لآخر ساعة أن تدخل الحفل وأن تلتقط الصور وما كان ينبغى أن يفوتها هذا الحفل، وكان من وقتها من أكبر حفلات الموسم.

يقول هيكل: تسللنا إلى داخل الحفل مع الشبان الوفديين الذين كانوا يحرسون مداخل الأريزونا ومخارجه، ثم وجدنا أنفسنا أمام النحاس باشا وأمسكت قلبى بيدى أنتظر ما سوف يفعله، وكانت المفاجأة الكبرى أن ذاكرة النحاس باشا وهى ذاكرة حادة خانته أو لست أدرى ما الذى حدث؟فإن رفعته أقبل على مرحبا يقول: إنت اتعشيت؟قلت نعم، قال: إذن تعال كل بطيخا، ثم استطرد أنا أكلت شماما، وكنت لا أزال فى رهبة الإشفاق من أن يتذكر رفعته أننى أعمل فى آخر ساعة فلا أحس بشهية نحو البطيخ أو الشمام.

يكمل هيكل روايته: كان كل ما أود أن أفعله أن أبتعد عن النحاس باشا بسرعة، وأقبل فؤاد سراج الدين باشا وهمس فى أذنى: ماذا تفعل هنا؟قلت فى إستسلام: ما تراه، قال: على أى حال سأكتم السر، وفجأة قال النحاس باشا لفؤاد باشا ولى: تعالوا نسمع أم كلثوم، وكانت أم كلثوم تغنى أغنية (أهل الهوى يا ليل) أو ستبدأ فى غنائها، وذهبنا إلى الصف الأمامى وجلسنا.

رصد هيكل ما فعله النحاس باشا قال: استبد الطرب بالنحاس باشا فصاح وهو يعبر

(١) مجلة نصف الدنيا، عدد خاص عن المصوراتى، تقرير عنوانه:محمد يوسف رفع سعر الصورة الصحفية من ثلاثة قروش إلى خمسمائة جنيه، العدد الصادر فى ١٩ مايو ٢٠٠٣.

بيديه ورجليه وكيانه كله..إيه، واستطردت أم كلثوم : واتجمعوا يا ليل صحبة وأنا معهم، وصاح النحاس باشا ...ليه؟...وأجاب: لازم حيطلعوا بيان، وضحكت وابتسم فؤاد باشا وقال: النحاس باشا سعيد الليلة.

لاحظ محمد يوسف المصور الذى كان يصطحبه هيكل أن النحاس باشا يصفق لأم كلثوم بحماسة ومال على أذن هيكل يقول له: ما رأيك فى صورة للنحاس باشا وهو يصفق؟قال له هيكل: عال، فرد محمد يوسف: ولكن عليك أن تستأذنه، قال هيكل، ماذا أقول له، وجلس يقلب المشكلة فى ذهنه كيف يستأذنه؟وماذا سيقول له، والأغنية تكاد تنتهى ثم ينهض لينصرف إلى بيته لينام وتضيع الصورة العجيبة.

يقول هيكل: همست بالفكرة لفؤاد باشا لكى نصوره وهو يصفق، فقال: إلى هنا لا، وأنا لا أستطيع أن أقول له شئيا من هذا، وسمع النحاس باشا حديثنا وإلتفت إلى فؤاد باشا ولم يكن أمامى مفر من الكلام قلت: كنت أطلب من فؤاد باشا أن يستأذن رفعتك فى أن نصورك وأنت تصفق، وقال رفعته بغضب: ليه الزفت ده بقى؟وقلت بسرعة: كنت أريد أن اكتب تحتها: عندما يصفق الرجل الذى اعتاد أن يصفق له الجماهير، وضحك النحاس باشا بملء شدقيه وقال: جميلة دى، ثم التفت إلى الوراء بسرعة وقال: فين المصور بتاعك وأشرت إلى محمد يوسف، فإقترب وبدأ النحاس باشا يشرح له فكرة الصورة كما لو كانت فكرته.

بدأ النحاس بنفسه يجهز لإلتقاط الصورة، وكما يروى هيكل: قال النحاس بلهجته الخاصة: اسمع هى ح هتخلص الحتة دى، وأنا حاسقف على طول، فاهم، وإنت تروح واخد الصورة حالا، وهز محمد يوسف رأسه موافقا ونظر إلى النحاس باشا الذى قال له فجأة: لا..ده إنت باين عليك خيبان...متنفعش..ما إنتاش سريع كفاية، لا بلاش، موش عاوزين الصورة، ثم سكت رفعته وتغيرت ملامحه بسرعة وقال: ولا أنت تنفع طيب حاجربك ...بس بسرعة، وقبل أن تمضى ثانية عدل النحاس باشا عن رأيه ومط شفتيه فى

قنوط وقال ما تنفعش واستمر يقول: ينفع..ثم يعود للنقيض، ثم يغير رأيه بلا سبب ظاهر، وأنا لا أكاد أتابع كل هذه التغيرات، وأخيرا استقر رفعته على رأى، وقرر أن محمد يوسف ينفع ثم قال له: أهه خلى بالك ....ما تبقاش خيبان، هى هتخلص الحتة دى وأنا أسقف أهه أهه، إنت مستعد، وفرغت أم كلثوم من مقطع وصاح النحاس باشا: أهه أهه ..ثم رفع يديه يصفق بحماسة والتقط محمد يوسف الصورة بسهولة.

كانت هذه هى الفلسفة التى يعمل بها صحفيو مدرسة أخبار اليوم، لكن هل نشرت الصورة بالتعليق الذى قاله هيكل للنحاس باشا، لم يحدث بالطبع، والحكاية يرويها هيكل مرة أخرى لكن من طرف مختلف[1].

يقول هيكل: رجعنا أخبار اليوم بالصور تانى يوم، وقلت لعلى أمين أنا اتفقت مع النحاس باشا على أن الصور هتطلع، وهى قصة رغم أنها سطحية جدا، إلا أنها أدت إلى مشاكل كبيرة جدا فى أخبار اليوم، على قال لى: لا يمكن أخبار اليوم التى تعادى النحاس تكتب: الرجل الذى يصفق له الملايين، فاتفقنا على حل وسط، أن نكتب تحت الصورة: عندما يصفق الرجل الذى اعتاد أن يصفق له الناس، وافق على أمين، وبينما كانت الجريدة فى المطبعة جاء مصطفى أمين ولما قرأ التعليق قال: معقول أكتب فى جورنالى: الرجل الذى يصفق له الناس، لا يمكن، وشطب مصطفى السطر الثانى من التعليق فأصبح هكذا: عندما يصفق «الرجل الذى...».

كانت الصورة بالتعليق الذى كتبه هيكل نموذجا متجسدا للإثارة الصحفية ، لكن مصطفى أمين ضحى بالموقف رغم أنه يثمنه، لأنه يخالف قناعاته السياسية المرتبطة بالنحاس، ولذلك فقد ارتفعت القناعات السياسية على المهنية.

وإذا كانت هذه الإثارة ساهمت فى زيادة توزيع أخبار اليوم، فإن هناك جانب سلبى

---

(١) محمد حسنين هيكل، الزواج العرفى بين الصحافة والسياسة ، فى جريدة الأسبوع العدد الصادر فى ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥.

لها[1] يرصده جلال أمين، فعندما صدرت أخبار اليوم شاهد قراء الصحف المصرية لأول مرة المانشيتات المثيرة والمكتوبة بحروف ضخمة دون إهتمام كبير بإتساق العنوان المثير مع مضمون الخبر المكتوب تحته، وزاد عدد الصور المنشورة مع مراعاة إعتبارات الإثارة فى إختيار الصور والأخبار على حد سواء.

■ ■ ■

(١) جلال أمين، مجلة الهلال، مقال:الجذور الإجتماعية للصحافة الصفراء، عدد يناير ٢٠٠١.

رابعا: الصحافة المصرية فى ظلال عبد الناصر

فى ١٨ يناير ١٩٥٣ أصدر الحاكم العسكرى العام أمرين بتعطيل ٨ صحف هى: مجلة الصباح لنشرها موضوعات خارجة على الآداب العامة، والفداء والنذير والكاتب والملايين والواجب والمعارضة والميدان لأنها لا تخرج عن كونها منشورات شيوعية ومتطرفة دأبت على إثارة الفتنة، كما تم إعتقال ثلاثة صحفيين هم سعد صادق صاحب جريدة الفداء، ود.لويس دوس المحرر بها وسليمان عبد الواحد شبل رئيس تحرير مجلة النذير واتهم الثلاثة بإثارة العواطف، وبعد حوادث كفر الدوار وإعدام خميس والبقرى تمت مصادرة الصحف الماركسية فى البلاد بسبب هجومها الشديد على الجيش(١) .

فى هذه الفترة حاول الصحفيون حث حكومة الثورة على إلغاء الرقابة المشددة على الصحف خاصة إحسان عبد القدوس من خلال مجلة روزاليوسف وأحمد أبو الفتح من خلال مقالاته فى جريدة المصرى، إلا أن حكومة الثورة تمسكت بالرقابة الكاملة على الصحف إلى أن تفجرت أزمة مارس ١٩٥٤، وعلى الرغم من أنها كانت فى المقام الأول أزمة سياسية بين القائمين على الثورة ، لكن تأثيرها الصحفى كان خطيرا إذ ارتبط بإنتهاء الأزمة إنتهاء المرحلة الليبرالية.

بدا من ذلك أن رجال الثورة كانت لهم رؤيتهم فى الدور الذى يجب أن تقوم به الصحافة فى المجتمع، فقد سعت الثورة منذ قيامها(٢) إلى إمتلاك الأدوات الصحفية لإيمانها بقوة الصحافة كوسيلة من وسائل السيطرة على الجمهور وقدرتها على نقل رؤية رجال الثورة للأوضاع المختلفة إليه ودفعه إلى تبنيها.

ورغم أن الصحف التى كانت قائمة لحظة إندلاع الثورة تحولت على الفور إلى التهليل

(١) عواطف عبد الرحمن وآخرون، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٢) محمود خليل، مجلة الهلال، مقال بعنوان:ماضى الصحافة ومستقبلها، عدد يوليو ٢٠٢.

للثورة وتبنى رؤيتها - بإستثناء نماذج محدودة – لكن الثورة كانت تنظر بعين الإرتياب إلى الصحف التى خلفها العهد السابق، وربما نظرت إليها كميراث شرعى لها إيمانا منها بأنها من الخطورة بمكان أن يظل جزء من أدوات توجيه الرأى العام بعيدا عنها حتى لو كان يواليها على سطور ما يقدمه من مضامين ...وذلك بعيدا عما يقع بين السطور وأسفل منها وعن يمينها وعن شمالها.

هذه الرؤية تحديدا كانت وراء صدور قانون تنظيم الصحافة عام ١٩٦٠، وكان المدخل الأساسى فى تمهيد الرأى العام إلى صدور هذا القانون هو إلقاء الضوء من قبل السلطة والصحفيين التابعين لها على بعض المبالغات التى تقع فيها الصحف وتصوير الأمر على أن هذه هى صحافة مصر.

وواقع الحال أن الثورة كانت ترغب فى السيطرة على الصحافة مبكرا جدا، وقد بدا هذا واضحا مما كتبه محمد حسنين هيكل[١] فى وقت مبكر وبعد قيام الثورة بشهور عديدة حيث طالب بتطهير الصحافة المصرية، كتب يقول:

صاحبة الجلالة الصحافة وأفراد بلاطها السعيد يقومون هذه الأيام بدور غريب وعجيب....بعض أفراد هذا البلاط السعيد استباحوا لأنفسهم مقعد النائب العمومى وجلسوا يوجهون الإتهام ذات اليمين وذات اليسار ويحددون من الذى تعلق رقبته فى حبل المشنقة ومن الذى يكتفى بوضعه وراء القضبان.

إننى أعتقد وأنا واحد من أفراد البلاط السعيد لصاحبة الجلالة أننا نحن أفراد هذا البلاط جميعا آخر من يحق لنا أن نصنع هذا، آخر من يحق لهم أن يستبيحوا لأنفسهم مقعد النائب العمومى موزع الإتهام، آخر من يحق لهم شئ من هذا لسبب واحد، هو أننا نحن أيضا فى حاجة إلى تطهير.

من سوء الحظ أننا أفراد صاحبة الجلالة نملك قوة هائلة نحاسب بها الناس ولكن تمنع

(١) محمد حسنين هيكل، مجلة آخر ساعة، عدد ١٣ أغسطس ١٩٥٢.

الناس من أن يحاسبونا، ومن سوء الحظ أننا أفراد صاحبة الجلالة نملك أن ننقد الآخرين ولكننا لا نسمح لأحد أن ينقدنا، لأننا نحن الذين نسيطر على ما يجب أن ينشر وما ينبغى ألا تراه عيون القراء، إنى أقولها بصراحة وأنا أعتقد أنها ستجلب لى متاعب الدنيا والآخرة، إن علينا مسئولية كبرى فى كل هذا الذى صارت إليه الأحوال، وقد بدأت مصر كلها تنادى بالتطهير وعلينا نحن أيضا أن ننادى مع مصر بالتطهير، تطهير أنفسنا قبل تطهير الآخرين.

كان هذا المقال المبكر جدا من عمر الثورة فى إعتقاد الباحث الرصاصة الاولى التى أطلقت فى حرب كان هدفها البعيد هو إخضاع الصحف وجعلها تنطق بما تراه الثورة ورجالها فقط، لكن يبدو أنه كانت هناك مهام أخرى أمام الثورة التفتت لها أولا قبل أن تلتفت إلى الصحافة، ولم يمنع هذا أن يعاود هيكل دعوته مرة أخرى فى مناسبة الحوار الذى دار بين روزاليوسف وجمال عبد الناصر.

*** كتبت روزاليوسف فى العام ١٩٥٣ رسالة لعبد الناصر[(١)] جاء فيها:**

تحية أزكى بها شبابك الذى عرضته للخطر وجهدك الذى تنفقه من أجل هذا الوطن، تحية من سيدة عاصرت الحوادث واعتصرتها التجربة، أنفقت عمرها تتأمل الوجوه القديمة حتى كفرت بكل وجه يحمل ملامح القدم، فلا يسعدها اليوم شئ كما يسعدها أن ترى الوجوه الجديدة تزحف وتنال فرصتها لتحاول أن تسير بهذا الوطن بأسرع مما كان يسير.

إننى أعرف الكثير عن ساعاتك التى تنفقها عملا بغير راحة، ولياليك التى تقطعها سهرا بلا نوم، وتدقيقك البالغ فى كل أمر بغية أن تصل فيه إلى وجه الصواب، ولكنك وحدك لن تستطيع كل شيء، ولا بالمعونة الخالصة من إخوانك وأصدقائك، وكل الذين تعرفهم أيضا الذين يعيشون فى جو غير جوك، ويتأثرون بعوامل غير التى تؤثر فى أصدقائك ويمرون

(١) مجلة روزاليوسف، عدد ١١ مايو ١٩٥٣.

بتجارب كثيرة منوعة لا يمكن أن يمر بها واحد من الناس ولا عشرة ولا ألف.

إنك بإختصار فى حاجة إلى الخلاف، تماما كحاجتك إلى الإتحاد، إن كل مجتمع سليم يقوم على هذين العنصرين معا، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، الإتحاد للغايات البعيدة والمعانى الكبيرة والخلاف للوسائل والتفاصيل، انظر إلى الأسرة الواحدة فى البيت الواحد، قد تراها متماسكة متحابة متضامنة، ولكن كل فرد فيها يفضل نوعا من الطعام، ويتجه إلى طراز من العمل، ويروق له لون من الثياب، ثم انظر إلى أسرة الوطن الكبير – أى وطن كبير – تجد هذا التباين والخلاف موجودا بينهم فى أدق دقائق الحياة وفى طريقة تذوق الحياة ذاتها.

وأنت تؤمن بهذا كله لا شك فى ذلك وقد قرأت لك غير بعيد حديثا تطالب فيه بالنقد، وبالآراء الحرة النزيهة ولو خالفتك، ولكن أتعتقد أن الرأى يمكن أن يكون حرا حقا وعلى الفكر قيود، وإذا فرض وترفقت الرقابة بالناس واستبدلت حديدها بحرير، فكيف يتخلص صاحب الرأى من تأثيرها المعنوى؟، يكفى أن توجد القيود كمبدأ ليتحسس كل واحد يديه، يكفى أن يشم المفكر رائحة الرقابة وأن يرى الموضوعات مصونة لا تمس ليتكبل فكره وتتردد يده ويصبح أسيرا بلا قضبان.

وقد قرأت لك أيضا أو لبعض زملائك أنكم تبحثون عن كفايات وأنكم تريدون طرازا غير المنافقين الموافقين، ولكن كيف يبرز صاحب الكفاية كفايته؟أليس ذلك بأن يعبر عن نفسه..يعبر عنها بصراحة ودون تحوير؟إن مجرد شعور صاحب الكفاية مخطئا أو مصيبا- بأن هناك شئيا مطلوبا وشئيا غير مطلوب يجعله إما أن يبعد بنفسه خشية ألا يوافق المطلوب، وإما أن يقترب بعد أن يهيئ نفسه ليتلاءم مع ما يعتقد أنه مطلوب فتضيع الفائدة منه فى كلتا الحالتين.

أترى ..إلى أى حد تفسد هذه القيود الجو؟أترى إلى هذا الستار الكثيف الذى تقيمه بين الحاكم وبين ضمائر الناس؟

إن الناس لابد أن يختلفوا لأنهم مختلفون خلقا ووضعا وطبعا، وقد دعت الظروف إلى إلغاء الأحزاب، وإلى تعطيل الكثير من وسائل إبداء الرأى، وقد أصبح للعهد الجديد شعار واحد وألوان واحدة، فلم يبق شيء يمكن أن يتنفس فيه النقد وتتجاوب فيه وجهات النظر غير الصحف وأسنة الأقلام وتفكير المواطنين.

على أنى أعرف الدوافع لإبقاء هذه القيود، أنت تخاف أنياب الأفاعى وفئران كل سفينة، أنت تخاف من إباحة الحريات أن يستفيد منها الملوثون المغرضون، ولكن صدقنى إن هذا النوع من الناس لا يكون لهم خطر إلا فى ظل الرقابة وتقييد الحريات، إن الحرية لا يستفيد منها أبدا إلا الأحرار والنور لا يفزع إلا الخفافيش، أما الهمسات فى الظلام والبسمات التى يبطنها النفاق والمدائح التى يمتزج بها السم الزعاف، فلا شئ يبطل مفعولها إلا النور والهواء الطلق والرأى العام النابه الحريص.

ولاتصدق ما يقال من أن الحرية شئ يباح فى وقت ولا يباح فى وقت آخر، فإنها الرئة الوحيدة التى يتنفس بها المجتمع ويعيش، والإنسان لا يتنفس فى وقت دون آخر، إنه يتنفس حين يأكل وحين ينام وحين يحارب أيضا.

إنك بكل تأكيد تضيق ذرعا بصحف الصباح حين تطالعها فتجد أنها تكاد تكون طبعة واحدة لا تختلف إلا فى العناوين، حتى بعض حوادث الأقاليم المحلية يصدر بها أحيانا بلاغ رسمى واحد، والناس كلهم يحسون ذلك ولا يرتاحون إليه.

وقد قلت مرة إنك ترحب بأن تتصل بك أية جريدة إذا أحست الضيق، ولكن أليس فى هذا ظلم لك وللصحف وللقضايا الكبرى التى تسهر عليها، ألم أقل إنك لن تستطيع وحدك كل شئ؟لقد أقدمت وفى شبابك الباكر على تجارب هائلة، خضت بعضها ورأسك على كفك لا تبالى مصيره، وليس كثيرا أن تجرب إطلاق الحريات، إن التجربة كلها لا تحتاج إلا إلى الثقة فى المصريين...وأنت أول من تجب عليه الثقة فى مواطنيه.

التوقيع: فاطمة اليوسف

فى نفس العدد نشرت روزاليوسف رد جمال عبد الناصر على الرسالة، بما يعنى أن الرسالة لم تكن للنشر فى البداية ولكن روزا اليوسف أرسلت بها إلى جمال عبد الناصر ، قرأها وكتب ردا عليها، وقد أشارت المجلة إلى ذلك، فوسط رسالة روزاليوسف نشر برواز بداخله كلمات قليلة نصها: **اطلع البكباشى جمال عبد الناصر على هذه الرسالة وقد كتب عليها ردا ننشره فى الصفحة التالية، وكان هذا نص رد عبد الناصر :**

أما تحيتك فإننى أشكرك عليها وأما تجربتك فإنى واثق أنها تستند على دروس الحياة، وأما تقديرك لما أبذله من جهد فإنى أشعر بالعرفان لإحساسك به، وأما رأيك فى أنى لا أستطيع أن أفعل وحدى كل شى فإن هذا رأيى أيضا ورأى كل زملائى من الضباط الأحرار، نحن الذين قامت حركتنا على تنظيم كامل عاشت فيه الفكرة وتوارت الأشخاص وقام كل فرد فى ناحيته بأقصى ما يستطيع من جهد.

وأما أنى فى حاجة إلى كل رأى فقد أعلنت هذا ولن أمل تكرار إعلانه ليس من أجلى وإنما من أجل مصر.

وأنا أكره بطبعى كل قيد على الحرية وأمقت بإحساسى كل حد على الفكر على أن تكون الحرية للبناء وليس للهدم وعلى أن يكون الفكر خالصا لله وللوطن، ودعينى ألجأ إلى تجربتك كى تبقى الحرية للبناء ويبقى الفكر لله والوطن، لا تخرج بها شهوات وأغراض ومطامع عن هذه المثل إلى إنقلاب مدمر يصيب مصالح الوطن المقدسة بأبلغ الأضرار.

لقد قلت أنت بنفسك إنك تعلمين أنى أخشى على موقف البلاد الصلب من إطلاق الحريات خشية أن يندس بين أمواجها دعاة الهزيمة والتفكك، لقد عبرت بهذا عن جزء مما أشعر، واسمحى لى أن أضيف عليه شئيا آخر، هو أننى لا أخشى من إطلاق الحريات وإنما أخشى من أن تصبح هذه الحريات كما كانت قبل ٢٣ يوليو سلعا تباع وتشترى.

ونحن لا نريد أن يشترى الحرية غيرنا، ومن يدرى فقد يكون بينهم أعداء للوطن يفرقون هذا الشعب الطيب الوديع الذى استغلت طيبته واستغلت وداعته واستغل قلبه

المفتوح وغرر به دون ما أساس سليم يصونه من التضليل، بما لا يجب أن يفرق فيه فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بالوطن.

ومع ذلك فأين الحرية التى قيدناها؟أنت تعلمين أن النقد مباح وأننا نطلب التوجيه والإرشاد ونلح فى الطلب بل إننا نرحب بالهجوم حتى علينا إذا كان يقصد منه صالح الوطن وإلى بناء مستقبله، وليس الهدم والتخريب ومجرد الإثارة، ذلك أننى أعتقد أنه ليس بيننا من هو فوق مستوى النقد أو من هو منزه عن الخطأ، وبعد فإنى أملك أن أضع رأسى على كفى ولكننى لا أملك أن أضع مصالح الوطن ومقدساته هذا الوضع.

التوقيع: جمال عبد الناصر

الرسالة من روزاليوسف والرد من جمال عبد الناصر، وهى تكشف مبكرا عن الحالة التى شعر بها الصحفيون منذ بداية الثورة، وتكشف أيضا عن الفلسفة التى وضعها جمال عبد الناصر منذ البداية لتعامله مع الصحافة، والتى تبدو فى أنه يقبل النقد والهجوم عليه طالما كان ذلك فى صالح الوطن ومن أجل بناء المستقبل.

وهى كلمات مطاطة إعتادت السلطة إستخدامها، فمن الذى يحدد صالح الوطن، ومن يضع المعايير لذلك، إن السلطة تسوق هذا الكلام، حتى تعطى نفسها مساحة من المنح والمنع كما تشاء فى إدارتها للصحف ولما تريده منها بالضبط.

كان هذا تمهيدا مبكرا إذن لتطويق الصحافة، وقد دفع عبد الناصر بكلمة **الإثارة** فى سياق تبريره لعدم إطلاق الحريات بشكل كامل، و السند الذى استند إليه بعد ذلك فى إصدار قانون تنظيم الصحافة.

تحدث عبد الناصر عن مبررات القانون ثلاث مرات[١] :

المرة الأولى: التقى جمال عبد الناصر بعد صدور القانون وتشكيل مجالس إدارات

(١) ليلى عبد المجيد، حرية الصحافة فى مصر بين التشريع والتطبيق(القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٣)ص ص٦٧- ٦٩.

المؤسسات الصحفية بأعضاء هذه المجالس ورؤساء تحرير الصحف والمجلات، وتحدث عن الظروف التى إقتضت نقل ملكية الصحف للشعب وعن رسالة الصحافة ودورها فى المجتمع الإشتراكى، وفى الإجتماع قال:

أنا باعتبر أن الصحافة يجب أن تكون رسالة أكثر منها سلعة أو تجارة، الإجراء الذى اتخذ لتنظيم الصحافة لم يقصد به أى فرد لأنه إذا كان يقصد به أى فرد كنا نتصرف معه كفرد ولا يكون تصرفنا مع الصحافة كلها كصحافة، ولكن هذا العمل قائم على قناعة أساسها طبيعة المجتمع اللى احنا بنبنيه والمجتمع اللى احنا بنعمل من أجله، هذا المجتمع مجتمع جديد، صورته مختلفة عن الصور السابقة ، ليس هدفنا أن نغتصب مبانى ٥ أدوار أو ١١ دور، ولكن القصد مما أتخذ أعمق من هذا بكثير.

ويضيف عبد الناصر: المجتمع اللى احنا بنبنيه قطعا لابد أن نبنى مجتمع إشتراكى ديمقراطى تعاونى متحرر من الإستغلال الإقتصادي والسياسي والإجتماعي، المجتمع الذى نريد أن نبنيه بالقطع مش مجتمع القاهرة ولا النادى الأهلى ولا نادى الزمالك ولا نادى الجزيرة ولا السهرات بتاع بالليل، مش هى دى بلدنا بأى حال من الأحوال، بلدنا هى كفر البطيخ...القرية أى قرية هى دى نموذج بلدنا وهناك مشاكل بلدنا الحقيقية...اللى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هاك ويشوف الناس اللى لابسين برانيط قش وبيشيلوا الأرز طوال النهار لكى يعيشوا، دى بلدنا...ماهياش أبدا أن فلانة اطلقت أو اتجوزت ولا فلانة طلعت تجرى ورا فلان وسابت علان أبدا، أنا كنت أفضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات أن يكتب عن العاملات مثلا، فيه عاملات طلعوا عيشهم بعرق جبنيهم ويكافحوا بشجاعة وشرف.

إننا إذا أردنا أن تكون عندنا فعلا صحافة يجب أن تكون فى خدمة الناس فى بلدنا، فى خدمة مجتمعها الأصيل الطبيعى اللى احنا جينا منه، أنا لا أظن أن أى مجتمع نظيف بيشجع على أن نتكلم فى الجنس بتيجى الجرايد مثلا بإستمرار تبين الناحية الجنسية...إيه؟لما نيجى

ونقول إن احنا عايزين نخلق المجتمع الإشتراكى بحيث يكون فيه قطاع عام نبص نلاقى مقالة تقول لنا بيعوا القطاع العام.

هناك إعلانات لا تتمشى حتى مع كرامتنا كبلد، لدرجة أن إعلانات السفارات الأجنبية على إختلافها أصبحت بند ثابت فى الصحف، طبعا الصحف من حقها بل حتى من واجبها أن تنقد، إن النقد ليس نوعا من أنواع التهديد أو الإنتقام، امسكوا جميع قطاعات الدولة إذا كانت فيه حتة خربانة قولوا إن الحتة دى خربانة، المجتمع اللى عاوزين نبنيه مش هو مجتمع الجرائم، يعنى الإهتمام بالجريمة والست اللى طالبة الطلاق لأن جوزها قلبه واجعه، كلام لا يجوز، أنا لا أقول إن إحنا لا ننشر عن الجريمة، لازم يكون فيه فكرة وراء النشر.

المرة الثانية: تحدث عبد الناصر خلال المؤتمر القومى العام للإتحاد القومى فى يونيو ١٩٦٠ قال: المسائل الشخصية لا يمكن منعها فى الصحف، وخاصة أننا فى حياتنا العادية نحب أن نتكلم فيها، ولكن يجب أن تترك الصحافة الجانب الذى فيه تعريض أو تشهير بالأشخاص وأحيانا يكون التشهير بغرض وأحيانا يكون بغير قصد ولذلك يجب الحد من التشهير بمختلف صوره.

المرة الثالثة: كانت من خلال حديث عبد الناصر فى لجنة التوجيه القومى فى يوليو ١٩٦٠، حيث كان يشير إلى مواثيق الشرف الصحفى، وقال: كان فيه إتفاقات إذا نشرت أى صحيفة إعلانا أن تقول بوضوح أنه إعلان، وأنه يفهم كذلك أن هناك فى مثل هذه المواثيق ضمانات أن الصحفيين لا يعملوا بالأخبار مثلا على رفع البورصة أو خفضها لكى يستفيدوا، لابد أن تكون هناك قواعد وأسس يسترشد بها الكل ويتفقوا عليها بحيث لا يصبح ما يسمى بالسبق الصحفى أو أى إعتبار آخر سابقا على القيم التى لابد أن تتوفر للصحافة.

كان الصحفيون يدركون أن السلطة مقدمة على شئ ما تحاصر به حرية الصحافة، أو

أنها على الأقل ترغب فى أن تصيغ الصحافة كما تريد لها، وقد استغلت فى ذلك مخالفات بسيطة لكن تم تضخيمها ليكون هناك مبررا أمام الرأى العام لما يجرى على الصحافة وبها.

إن هناك من يرى أن قانون تنظيم الصحافة صدر تحديدا لمحاصرة صحف أخبار اليوم، ويذهب جمال بدوى[1] إلى أن قرار تأميم الصحافة الصحافة المصرية فى مايو ١٩٦٠، جاء فى غضون حملة هجومية من جمال عبد الناصر ضد صحافة الإثارة، وكان المقصود بذلك صحف دار أخبار اليوم التى شغلت الرأى العام بقضية سيدة أرستقراطية تدعى«تاتا زكى»حاولت إرغام زوجها وكان محاميا كبيرا على تطليقها لكى تتزوج من أحد أبناء العائلة المالكة السابقة، فلجأت إلى على ومصطفى أمين فجعلا من حكايتها مأساة إنسانية جذبت إهتمام الجماهير فى كل أنحاء مصر.

صدرت أخبار اليوم وهى تحمل قصتها فى الصفحة الأولى يعلوها مانشيت باللون الأحمر بعرض الصفحة يقول: إختفاء أجمل سيدة فى مصر، وتهافت الناس على معرفة حكاية هذه السيدة وسبب إختفائها، وعلى إمتداد الأيام التالية كانت صحيفة الأخبار توالى نشر أنباء السيدة المختفية بسبب ما تلاقيه فى حياتها الزوجية من عنت واضطهاد لدرجة أنها أعلنت إعتزامها الإنتحار إذا لم يطلقها زوجها.

لم تكن هذه السيدة تختفى فى كهف مظلم أو بيت مهجور، ولكنها كانت تقيم فى جناح خاص بفندق «هيلتون النيل» على نفقة أخبار اليوم تحت اسم مستعار، ولم تكن تتصل بالجريدة عن طريق التليفون حتى لا يتوصل أحد إلى مكانها، وخصصت الدار أحد كبار الصحفيين ليذهب إليها ظهر كل يوم ويشرف على راحتها، ويحصل منها على تصريحات وأخبار تؤجج الحملة المخططة كى تكسب عطف الرأى العام، وإزاء هذه الفضيحة العلنية اضطر زوجها إلى تطليقها وتزوجت ممن تهواه، ونشرت أخبار اليوم صورة للعريس الجديد وهو يحمل عروسه بين يديه.

(١) جمال بدوى، فى دهاليز الصحافة (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢) ص٦٠.

يعتقد جمال بدوى أن قصة «تاتا زكى» كانت هى الذريعة التى استند إليها جمال عبد الناصر لكى يضع يد السلطة على الصحافة، ونقل ملكيتها إلى الإتحاد القومى التنظيم السياسى الوحيد فى ذلك الوقت، وليس إلى الدولة، ولذلك نص القرار على تنظيم الصحافة وتجنب تعبير التأميم.

لا يمكن للباحث التسليم بهذا التفسير الجزئى، فقد تكون قصة «تاتا زكى» وغيرها سببا فى قانون تنظيم الصحافة، خاصة أنه فى اليوم الذى صدر فيه القانون ألقى الرئيس عبد الناصر حديثا على الصحفيين هاجم فيه مدرسة أخبار اليوم فى الإثارة الصحفية، وذلك بطريقة غير مباشرة، من خلال ذكر بعض الأمثلة التى أوردها فى حديثه وتركز هجومه فى عدة نقاط[1] :

أولا: التركيز على الأخبار المثيرة مثل أخبار الزوجة التى خانت زوجها وخبأت فى دولاب منزلها ثلاثة رجال فى وقت واحد، وخبر الزوجة التى طلبت الطلاق من زوجها لأنه مريض بالقلب، وقال الرئيس عبد الناصر: هل السيدة التى تترك زوجها وتهرب مع فلان أو علان تمثل المجتمع؟وهل مثل هذه السيدة تمثل المجتمع اللى احنا بنعيش فيه؟مطلقا..أنا باعتبر ده نشاز موجود فى مجتمعنا، يجب أن تكون الصحافة فى خدمة الناس فى بلدنا، فى خدمة مجتمعها الأصيل الطبيعى، هو ده المجتمع الأصلى ومش المجتمع الذى تكتبون عنه فى سهرات الهيلتون.

ثانيا: الإهتمام بالجريمة ويذكر الرئيس عبد الناصر: أنا أقول إن احنا لا ننشر عن الجريمة ..لا ..انشر عن الجرائم طبعا بس لازم يكون فيه فكرة وراء النشر، مثلا جريمة الجنس...فيه بعض جرائم تهتم بالجنس.

ثالثا: الخوض فى بعض التليمحات الجنسية، وانتقد الرئيس عبد الناصر أن يتناول الكاريكاتور الموضوعات الجنسية لأن هذا لا يتناسب مع المجتمع المصرى المحافظ بطبعه.

---

(١) شريف درويش اللبان، أخبار اليوم مسيرة صحفية فى نصف قرن، مرجع سابق، ص ٦٣.

رابعا: التشهير بالفنانين رغم أن لهم رسالة توازى رسالة الصحافة ويقومون بأداء رسالتهم عن طريق الأغنية واللحن والفيلم والصورة والتمثال.

كان مصطفى أمين أكثر نضجا فى تفسيره لقانون تنظيم الصحافة، فقد علق على الهجوم الذى ساقه عبد الناصر فى حديثه للصحفيين الذى حضره هو وعلى أمين أن ما ساقه عبد الناصر لم يكن سوى تبريرات لإحتواء الصحف وجعلها تابعة للسلطة السياسية، ويتضح ذلك لأن القانون جعل الدولة تملك دور الصحف الكبرى التى تحقق مكاسب مادية ولها رصيد كبير فى كسب الرأى العام نظرا لزيادة توزيعها، فى حين ترك القانون الصحف الخاسرة ذات التوزيع المحدود مثل صحيفتى «وطنى» و«الجورنال دى جيبت»[1] .

ثم أن أخبار اليوم لم تكن وحدها هى التى تسلك سبيل الإثارة، كانت جريدة الأهرام تخصص صفحتها الأخيرة للصور المثيرة والعارية، بل إن الأهرام لم تلتزم بما قاله وطالب به عبد الناصر فى حديثه للصحفيين، والذى نشرته كاملا فى ٣٠ مايو ١٩٦٠، بدليل أنها نشرت على صفحتها الأخيرة فى العدد نفسه الذى حمل رؤية عبد الناصر للصحافة الجديدة صورة للممثلة صوفيا لورين وهى عارية الساقين وحتى جزء متقدم من أعلى الساقين وهى فى مشهد من أحد الأفلام، وهو ما يؤكد أن النماذج التى ساقها عبد الناصر من أخبار اليوم لم تكن إلا سندا للقانون، ولم تكن هناك رغبة حقيقية لمحاربة صحافة الإثارة.

كان لهذا القانون فعل السحر فى حصار صحافة الإثارة، فقد أصبحت الصحف المصرية جميعها نسخة واحدة، لكن جلال أمين[2] يرى أنه عندما قامت ثورة ١٩٥٢ أضيف عنصر جديد للإثارة، إذ انضمت الإثارة السياسية إلى مواد الإثارة المستمدة من

(١) شريف درويش اللبان، أخبار اليوم مسيرة صحفية فى نصف قرن، مرجع سابق، ص ٦٤.
(٢) جلال أمين، مرجع سابق.

الجرائم والفضائح وأسرار الفنانين والفنانات، ولكن كل هذا لم يكن من شأنه أن يزيد من توزيع الصحف لولا ما حدث من تطور فى إرتفاع مستوى الطبقات الدنيا إقتصاديا وتعليميا، وهو ما تكفل بعمله العقدان التاليان (الخمسينات والستينات)، وكانت النتيجة الحتمية لهذا الإرتفاع فى التوزيع الإنخفاض فى مستوى ما تنشره الصحف لغة ومضمونا.

كان هذا هو ما يتفق مع ما يطلبه ويقدر على إستيعابه قارئو الصحف الجدد الذين انضموا حديثا جدا للطبقة الوسطى، وحققوا قدرا من التعليم على عجل، فى مدارس وجامعات مكتظة بالتلاميذ وعلى أيدى مدرسين تخرجوا هم أنفسهم على عجل لمواجهة حاجات المدارس المتزايدة بسرعة.

ولا يتفق الباحث مع طرح جلال أمين فى هذا السياق التاريخى، فالإثارة السياسية لم تولد مع صحافة ثورة يوليو، لكنها كانت ملازمة للصحافة خلال الفترتين الحزبيتين الأولى والثانية، لكن الفارق أن الإثارة السياسية قبل الثورة كانت تحمل صفة التنوع، إذ تأتى من صحف أحزاب مختلفة ومتنافرة، أما الإثارة السياسية بعد الثورة فقد حملت صيغة التعبئة السياسية لصالح النظام وكانت تخرج من منبت واحد دون تنوع.

وهو ما يشير إليه محمود خليل[1] من أن صحافة عصر عبد الناصر لعبت دورا كبيرا فى التأثير على الرأى العام المصرى وحشده وتعبئته فى إتجاه الأهداف العامة التى رسمتها السلطة السياسية للمجتمع، واعتمدت فى ذلك على لغة مشحونة بالمعانى والدلالات والمبالغات التى كانت تقفز على الواقع فى بعض الأحيان بهدف الحشد والتعبئة (كانت اللغة الصحفية تعتمد على الوصف أكثر مما تعتمد على تقرير الحقائق)، ويمكن القول بأن الصحافة فى ذلك الوقت حققت أهدافها فى الشحن النفسى والعقلى، وليس أدل على ذلك من الصدمة التى شعر بها الجيل الذى عاصر الفترة بعد نكسة ١٩٦٧ وكان أحد أسرار هذه الصدمة هو لغة الخطاب الصحفى آنذاك.

(١) محمود خليل، مرجع سابق، ٣٠٨.

ويتفق الباحث مع ما يراه صلاح عيسى[1] من أن قانون تنظيم الصحافة هو المسئول بعد ذلك عن إنفلات الأداء الصحفى، بل هو مسئول من جهة ما عن صحافة الإثارة التى إنتشرت من منتصف السبعينات وحتى الآن فى مصر.

فقد ظلت الصحافة المصرية تحت هذا القانون لها صوت واحد بلا تجريب ولا قضية خلافية تخص المهنة يدور الحوار حولها، فيعرف الصحفيون الصحيح من الخطأ، كانت الصحف ملتزمة بما تقوله الحكومة وما يقوله عبد الناصر، لا مكان فيها للتجريب، ولذلك عندما أتيحت بعض الحرية للكلام أو النقاش أو الإختلاف كان طبيعيا أن تكون هناك فوضى مهنية، بدت بقوة فى صحافة الإثارة والصحافة الصفراء.

■ ■ ■

(١) صلاح عيسى، مقابلة خاصة فى مكتبه، فى ٢١ أغسطس ٢٠٠٨.

خامسا: الصحافة في عصر السادات

بعد أن أحرز الرئيس السادات نصر أكتوبر قدم إلى الشعب «ورقة أكتوبر فى العام ١٩٧٤»[1]، وشدد فيها على حرية الصحافة برفعه الرقابة عن الصحف، فبعد الحرب وتأكيده على وحدة الصف الوطنى وإرتفاع المواطنين إلى مستوى المسئولية، كان لابد من التأكيد على معنى الحرية السياسية جنبا إلى جنب مع الحرية الإجتماعية، وجاء فى الورقة أيضا:

«لا نخشى الخلاف فى الرأى ولا النقاش الحر ولا التعبير عن المصالح المختلفة لقوى الشعب العامل، ما دام كل ذلك يدور فى الإطارات المشروعة التى نرتضيها ولا يستهدف منها غير مصلحة مصر وخير شعبها»

و«إننا نقدم فى جرأة على تصفية القيود على الحرية من واقع الثقة بالجماهير وبوعيها الوطنى الممتاز»

و«ولكن ليكن واضحا أننا نبنى ولا نهدم ، نصحح ولا نحطم، نطور وندعم كل ما هو إيجابى بقدر ما نصفى كل ما هو سلبى، نكشف الأخطاء فى غير مغالاة، ونرفض كل محاولة لتركيز الأضواء كلها على الجوانب السلبية حتى تختفى من الصورة كل الجوانب المشرقة»

وضعت هذه الورقة الأساس الذى قرر به السادات أن يمنح الصحافة حريتها، أن تقول وتنتقد لكن بشروط، توضحها الجملة المطاطة كعادة السلطة فى هذه السياقات وهى : نرفض تركيز الأضواء كلها على الجوانب السلبية حتى تختفى من الصورة كل الجوانب المشرقة، حيث أن الجوانب السلبية أمر نسبى كما أن الجوانب المشرقة أمر نسبى أيضا، ومن

(١) خليل صابات، مرجع سابق، ١٧٥.

هنا نشأ الخلاف، وكان طبيعيا بعد أن مارست الصحافة الحزبية حريتها فى نقد النظام أن يقول الرئيس السادات: لقد أعطيتهم الحرية ...لكنهم شتمونى[١].

فى ٩ فبراير ١٩٧٤ وبمقتضى ورقة أكتوبر، رفعت الرقابة عن الصحافة وخول لرؤساء التحرير المسئولية الكاملة فى الإشراف على ما تنشره الصحف، مع خضوع الأخبار التى تمس النواحى العسكرية للرقابة، وأعقب ذلك إلغاء الرقابة على جميع الصحف والمجلات الأجنبية عدا كتب الجنس ومجلاته والكتب والنشرات التى تدعو إلى الإلحاد وتطعن فى الأنبياء أو تهاجم الأهداف القومية للبلاد[٢].

فى الفترة من ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٦ عام الإعلان عن تأسيس الأحزاب الذى بالتبعية كان سيعقبه تأسيس صحف لهذه الأحزاب، شهدت الصحف المملوكة للدولة إنفراجة فى حرية التعبير وكان لهذه الإنفراجة مظاهرها[٣]:

أولا: تعرضت تجربة ثورة يوليو خلال حكم الرئيس عبد الناصر لمناقشات طويلة بين المدافعين والمعارضين، ووجهت بعض الكتابات إنتقادات كثيرة للقطاع العام بل طالب البعض ببيعه أو تصفية بعض مؤسساته.

ثانيا: عادت أبواب القراء تظهر فى الصحافة المصرية من جديد، فظهر باب «إلى محرر الأخبار»فى ١٧ يوليو ١٩٧٤، وباب«عزيزتى أخبار اليوم»فى ٨ يونيو سنة ١٩٧٤، وباب «بريد الأهرام» فى ٢٢ أغسطس ١٩٧٤.

ثالثا: دارت مناقشة عنيفة بين شيخ الأزهر د.عبد الحليم محمود وعبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس إدارة روزاليوسف حول الشيوعية والإسلام، وبدأت بحديث

---

(١) صلاح عيسى، مقابلة معه فى مكتبه.

(٢) ليلى عبد المجيد، تطور الصحافة المصرية من ١٩٥٢ إلى ١٩٨١ (القاهرة، العربى للنشر والتوزيع) ص٦٤.

(٣) ليلى عبد المجيد، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ص ٦٨ - ٧٤.

صحفى أجرته مجلة «آخر ساعة»مع شيخ الأزهر فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٧٥ قال فيه إن الشيوعية تحارب الدين وإن الأصل فى الإسلام هو حرية الفرد فى المال والشيوعية تحارب ذلك.

ورد الشرقاوى فى «روزاليوسف»[1]: كانت عناوين ما كتبه الشرقاوى عنيفة، ويمكن أن تكون إشارة إلى إستخدام القضايا والشخصيات الدينية فى الإثارة، على الغلاف وضع الشرقاوى صورته إلى جوار صورة شيخ الأزهر بنفس الحجم وكانت العناوين كالتالى: الشرقاوى يرد على شيخ الأزهر..لا يا صاحب الفضيلة، وفى متن المقال جاءت العناوين كالتالى: لا نريد حربا صليبية فى مصر، لا يجوز توظيف الدين فى خدمة الرأسمالية ومحاربة الإشتراكية، لا يليق أن نزج بالإسلام فى صراع المذاهب السياسية، لا خطر على الإسلام من الحكومات الإشتراكية، وإنما الخطر من مسلمين يكنزون المال وأمتهم يطحنها الفقر.

ويؤكد الشرقاوى فى مقاله على أن الجنة ليست للأغنياء فقط، والإسلام لا يحمى الرأسمالية ولا يبارك إستغلال الدين، ويصعد الشرقاوى فى معارضته لشيخ الأزهر يقول: على غير ما يقول صاحب الفضيلة: صليت الجمعة فى موسكو وطقشند وسمرقند وبخارى وألما آتا، وعندى نسخة من القرآن مطبوعة فى طقشند ونسخة أخرى مطبوعة فى بكين، وفى مسابقة قراء القرآن فى الباكستان فاز قارئ من الإتحاد السوفيتى.

تطورت المناقشة واشترك فيها كثيرون، وبلغ الأمر أن تدخلت اللجنة المركزية للإتحاد الإشتراكى، وقررت فى ٢٧ أغسطس وقف الحملة المتبادلة بين الكاتب والشيخ، وفى ٨ سبتمبر من السنة نفسها قدم الشرقاوى إستقالته من عضوية المجلس الأعلى للصحافة، مبررا ذلك بأن المجلس لم يوفر الحماية الواجبة لحرية التعبير فى المعركة بين دار أخبار اليوم ودار روزاليوسف، واعترض على قيام المجلس الأعلى للصحافة بزيارة شيخ الأزهر

(١) روزاليوسف العدد الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٧٥، مقال:عبد الرحمن الشرقاوى يرد على الإمام الأكبر...لا يا صاحب الفضيلة.

للإعراب عن تقدير المجلس لفضيلته فى حين لم يقع عدوان عليه أو على القيم الدينية.

لكن الشرقاوى إستجاب لرسالة الأمين الأول للجنة المركزية التى جاء فيها أن المجلس الأعلى للصحافة لا يشك فى أن الحوار الذى دار كان يهدف إلى النقد لا إلى التجريح وسحب إستقالته.

كان لهذه الحرية من يقف فى طريقها بالمرصاد ويبدو أن الرئيس السادات كان يعرف ذلك، وهو ما بدا فى خطابه الذى ألقاه فى إفتتاح مؤتمر إتحاد طلاب مصر بالأسكندرية فى ٣ إبريل ١٩٧٤، قال:

«أما بتبلبلكم الصحافة...ما هو ده اللى أنا عايز أقوله يا أولادى، أمال حتشيلوا الراية إزاى لما كل حاجة تهزكم وتطلعكم وتخليكم تتبلبلوا ..لا ..اتاكدوا الأول، وبعدين إحنا بنقول المؤسسات... إنتم مؤسسة من المؤسسات، ديمقراطية، حرية الرأى وأصحاب الرأى بيتصارعوا وحوار ما عندى مانع أبدا، لكن ما حدث فى قانون الأحوال الشخصية أنا ما بالوم إتحاد جامعة الأزهر عليه أبدا، انتم حصل لكم إثارة متعمدة، انتم دوختونى، يعنى أرجع الرقابة على الصحافة، ما هو لازم تحصل أخطاء وتجاوزات نستحملها ونصلح أحسن ما نوقف ونرجع تانى نقول مفيش حرية صحافة»

كلمة السادات هذه لا تعنى إلا أن الحرية التى منحت للصحافة الحكومية كانت تحت السيطرة، وكان هذا المعنى واضحا لدى المسئولين فى الدولة وكان لهذا تجلياته فى ثلاثة وقائع:

الواقعة الأولى: كان بطلها يوسف مكادى أمين الوجه القبلى فى الإتحاد الإشتراكى، فى إجتماع مجلس أمناء الإتحاد الإشتراكى فى ١١ يناير سنة ١٩٧٦ قال: أى شخص فى أى جريدة يستطيع أن يعتدى على إنسان منا عن طريق الصحافة، ونحن اليوم مالكين للصحافة والصحافة ملك الشعب، ومن هنا أطلب من السيد الأمين الأول للإتحاد الإشتراكى أن يعلن إما أن الصحافة ليست ملكا للإتحاد الإشتراكى، وإما أن يعلن أن

الإتحاد الإشتراكى يملك الصحافة ويملك تنفيذ السياسة فى الصحافة، ولنرى ماذا فعلناه يوم فصل ٦٤ صحفيا، وإننى أعتبر هذا مفخرة لحافظ بدوى ومحمد حامد محمود وأحمد عبد الآخر، ومع هذا انضحك على الرئيس وعادوا مرة أخرى.

ويكمل مكادى رؤيته: ماذا عملنا اليوم ولماذا لا نفصل أحدا، لماذا لا نجمع هئية النظام لكى تحاكم هؤلاء، وبالنسبة لعبد الرحمن الشرقاوى يوم أن هاجم الدين الإسلامى وهاجم شيخ الأزهر لو حوكم يومها وأعطى جزاء، ما استطاع أن يرفع رأسه مرة أخرى، وماذا ننتظر اليوم؟هل ننتظر إلى أن يتحرك الشيوعيون فى الشوارع أو أن يتحرك الإخوان المسلمون مرة أخرى تحت دعوى حرية الصحافة؟

الواقعة الثانية : كان بطلها الرئيس السادات شخصيا، فبعد شهرين من كلمة مكادى ألقى الرئيس السادات خطابا أمام اللجنة المركزية للإتحاد الإشتراكى فى ٢٨ مارس ١٩٧٦، وكان الإتهام الموجه للصحافة وقتها أنها تبرز صورة سئية لمصر وتركز على السلبيات ولا تشير إلى أية إنجازات تتحقق وتصور مصر على أنها بلد منهار، قال الرئيس السادات: من كده أمورنا ما تمشيش بالبذاءة على الدولة ، هو إحنا بلدنا بس تبقى البنات خسرانة وفيها الرشوة والإتهامات، هيه دى بلدنا، مشى ده اللى طلعته الصحافة فى الفترة اللى فاتت، **صحافة الإثارة اللى ما بتديش حقيقة صورة مصر، الإنجاز الضخم اللى بيتم مين دارى بيه؟ما حدش دارى بيه لأن كل يوم كاتبين لى مش عارف إيه، البنات بتوعنا، أنا بناتى فى مصر كده بالصورة اللى طلعوها...عيب ..عيب ..عيب.**

الواقعة الثالثة : كان بطلها جلال الدين الحمامصى الذى نشرت أخبار اليوم عرضا لكتابه «حوار وراء الأسوار» وتضمن الإشارة إلى الذمة المالية لجمال عبد الناصر، إذ اتهمه الكتاب بتحويل مبلغ ١٥ مليون دولار إلى الخارج خلال شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٦٧، وأصدر ممدوح سالم رئيس الوزراء على إثر ذلك قرارا بتشكيل لجنة التحقيق العاجل فى مدى صحة هذه الواقعة، كما حقق المدعى العام الإشتراكى فى وقائع الكتاب وأفسحت

الصحف خاصة اليومية ومجلة روزاليوسف صفحاتها للمناقشة حول هذه الواقعة، وانتهى هذا التحقيق إلى سلامة الذمة المالية للرئيس عبد الناصر.

*** ماذا تعنى هذه الوقائع؟**

تعنى بالنسبة للباحث أن حرية الصحافة التى قرر الرئيس السادات أن يمنحها للصحف كانت مبادرة شخصية منه، وأنه هو شخصيا م يكن مدركا لأبعادها، فحرية الصحافة التى منحها للصحفيين كان لابد لها من وجهة نظره أن تكون تحت سلطته وتلتزم بالخط الذى يحدده، كما أن المجتمع الذى ورث صحافة مقيدة مملوكة للدولة وتابعة لخطابها لم يكن مستوعبا بعد لأن تكون الصحافة حرة، ولم يكن هناك أى فارق بين الأفراد والمؤسسات.

لقد قابلت المعالجات الصحفية فى هذه الفترة معارضة شديدة من الوزارات المختلفة، ومن الإتحاد الإشتراكى، وهو ما كان يجعل الرئيس يتدخل كثيرا لضبط إيقاع بعض الصحف، خاصة أنها كانت لا تزال مملوكة للدولة.

ورغم هذه الحالة من الجدل إلا أن الرئيس السادات خطا خطوة أخرى تجاه التعددية والتنوع، عندما أعلن عن تأسيس المنابر تمهيدا لتأسيس الأحزاب التى أصدرت صحفا بعد ذلك، لم يكن قرار السادات بفتح الباب أمام الأحزاب قرارا عابرا، ولكن كانت هناك تفسيرات كثيرة له منها:

أولا: أقدم السادات على تكوين الأحزاب ضمن مشروعه الخاص بالتحول نحو الغرب وسياسات الإنفتاح، وتم طرح التجربة الحزبية بالمعاونة فى قيام تعددية حزبية قدمت لها التسهيلات المطلوبة فى ظل دستور يتحدث عن الإتحاد الإشتراكى كتنظيم سياسى وحيد، وظهرت صحف الأحزاب وعبرت عن توجهات أحزابها[١].

ثانيا: كان السادات يرى أن فكرة الأحزاب ستكون معادلا موضوعيا وموازنة مع الجيش، وهى الفكرة التى قالها لأحمد بهاء الدين عندما أخذ رأيه فى فكرة تكوين الأحزاب

(١) محمود خليل، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

واعترض عليها بهاء، لكن السادات رأى أنه فى إطار التغيير يمكن أن يصنع قوة مدنية تستطيع فى المستقبل أن تحكم مصر بديلا للجيش[1].

التفسير السياسى فى هذا السياق أمر مهم للغاية، فأحزاب المعارضة التى كان يريدها السادات لم تكن للمعارضة الحقيقية، ولكنها للمعارضة المهجنة التى تكون تحت وصايته وسلطته، فقد احتجت الصحف على فكرة المنابر، وتم الدفع بأنه قبل أن تكون هناك منابر مختلفة لابد من أن تكون هناك قضية يتم الإتفاق عليها فيما بينها، وكان من وجهة نظر السادات أن هذه القضية التى يمكن أن يلتف حولها الجميع وتتفق عليها أحزاب المعارضة وصحفها هى الرئيس شخصيا، فهو رمز لكل المصريين ولا يجب أن يتم الإعتراض أو الإختلاف عليه أو حوله.

بعد تحويل المنابر السياسية الثلاثة الوسط واليمين واليسار إلى أحزاب فى أول جلسة لمجلس الشعب فى نوفمبر ١٩٧٦، وافقت اللجنة التشريعية لمجلس الشعب فى يناير عام ١٩٧٧ بعد مناقشات على إطلاق حق الأحزاب فى إصدار الصحف دون قيد أو شرط غير الإلتزام بتشريعات قانون المطبوعات دون التقيد بموافقة الإتحاد الإشتراكى أو المجلس الأعلى للصحافة وتوالى صدور الصحف الحزبية على النحو التالى[2]:

أولا: فى ٢٨ يونيو ١٩٧٧ صدرت صحيفة «مصر» الأسبوعية عن حزب مصر العربى الإشتراكى، بإشراف لجنة الثقافة والإعلام بالحزب التى كان مقررها عبد المنعم الصاوى ورأس تحريرها سامى محمد.

ثانيا: فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٧ صدرت صحيفة الأحرار، عن حزب الأحرار الإشتراكيين ويرأسه مصطفى كامل مراد، وكان رئيس الحزب قد تقدم للمجلس الأعلى للصحافة بطلب ترخيص لجريدة باسم «المعارضة» تصدر أسبوعية ثم تتحول ليومية بعد

(١) صلاح عيسى، مقابلة معه.

(٢) ليلى عبد المجيد، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ص ٨٨- ٩٤.

ذلك، ويرأس تحريرها جلال الدين الحمامصى، لكن يبدو أن المجلس لم يمنح موافقته فصدرت الصحيفة باسم الأحرار وبرئاسة تحرير صلاح قبضايا.

ثالثا: فى أول فبراير ١٩٧٨ صدرت جريدة الأهالى جريدة أسبوعية عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى.

رابعا: فى ١٩٧٨ نشأ حزب العمل رسميا، وقام رئيس حزب الأغلبية وقتها هو وعدد من أعضاء الهيئة البرلمانية للحزب الوطنى الديمقراطى بتوقيع بيان تأسيسه حتى يمكن له توفير العدد اللازم من أعضاء البرلمان لضمان شرعيته القانونية، وصدرت جريدة الشعب الناطقة باسم الحزب فى أول مايو ١٩٧٩ ورأس تحريرها حامد زيدان.

خامسا: بعد إلغاء حزب مصر العربى الإشتراكى، وتكوين الحزب الوطنى الديمقراطى، ظل الحزب ما يقرب من شهرين دون أى تفكير فى إصدار صحيفة تعبر عنه، وفى أكتوبر ١٩٧٨ قررت لجنة الإعلام بالحزب الوطنى برئاسة منصور حسن أمين الإعلام والعلاقات الخارجية بالحزب وقتها إصدار نشرة بإسم الحزب فى ٨ صفحات فى حجم التابلويد كل يوم أحد باسم نشرة الحزب الوطنى، للربط بين تنظيمات الحزب وقياداته ولتعميق الممارسة الديمقراطية عن طريق الحوار السياسى وغرس القيم الدينية والأخلاقية ومعالجة مشاكل الجماهير.

لم تصدر هذه النشرة كما لم تصدر أية صحيفة للحزب حتى صدرت جريدة مايو فيما بعد فى ٢ مارس سنة ١٩٨١، ورأس مجلس إدارتها عبد الله عبد البارى ورأس تحريرها إبراهيم سعدة.

من حيث الشكل أصبح لدى مصر صحف حزبية مرة أخرى، لكن هل عبرت هذه الصحف عن حرية الصحافة التى تحدثت عنها السلطة.

يرى محمود خليل[1] أن الصحافة الحزبية فى عصر السادات وبعد فترة قليلة من

(١) محمود خليل، مرجع سابق، ٣٠٩.

ظهورها حاولت إبراز تمايزها فى رؤية الأحداث والأوضاع، وهو أمر لم تكن تتصوره السلطة السياسية، مما أدى إلى صدام الطرفين ونجم عن ذلك قيام بعض الأحزاب بحل نفسها وتجميد أنشطة البعض الآخر ومصادرة بعض الصحف الحزبية، فلم يكن الرئيس السادات ليتخيل أن تخرج الصحافة الحزبية عن خط السلطة وهى إبنة أو زوجة شرعية لها، فضلا عن مهاجمة سياساته، فقد كان دور هذه الصحف فى تصوره أن تقوم بالدعاية لسياساته.

ما حدث على أرض الواقع كان مفسرا لذلك تماما، حيث وقعت المواجهة بين الصحافة والسلطة وكانت التهمة الجاهزة لحصار الصحف أنها صحف إثارة، ويمكن للباحث أن يرصد العديد من الوقائع والمشاهد التى تؤكد أن صحافة الأحزاب حاولت أن تخطو خطوات تجاه الإثارة الصحفية الإيجابية لكن السلطة لم تمنحها الفرصة لعمل ذلك ومن بين هذه الوقائع ما يلى:

أولا: واجهت جريدة الأحرار العديد من المشكلات قبل أن تخرج للنور[1]، وكان موسى صبرى وقتها سببا فى واحدة من هذه المشكلات حيث رفض أن ينقل إلى الجريدة أيا من العاملين فى أخبار اليوم التى كان يرأس مجلس إدارتها، وتردد فى الموافقة على طبع الأحرار فى مطابع أخبار اليوم.

وطلب صلاح قبضايا من أحد المحررين البرلمانين الثلاثة فى الأخبار أن يعمل معه فى الأحرار، فرفض موسى صبرى أن يستغنى عنه ولم يلح قبضايا فى طلبه، لكنه ألح بشدة على طلب سكرتير تحرير للأحرار من بين مساعدى سكرتير تحرير الأخبار وعددهم ثمانية.

وعندما تردد موسى صبرى أرسل إليه قبضايا خطابا ورفض أن يعاود الإتصال به رغم أنه كان حتى هذه اللحظة مرؤوسا له فى أخبار اليوم.

(١) عصام كامل وآخرون، الأحرار ٢٥ سنة معارضة، كتاب تذكارى بدون رقم إيداع، ص ١٧.

فى الخطاب حمل قبضايا موسى صبرى مسئولية كل تعويق للجريدة الوليدة وذكر أن هناك من يحشد قواه لإصدار صحف تعمل لحساب قوى عالمية معادية للشعب المصرى كله، متسترة وراء الصحافة الحزبية، وأضاف قبضايا: وإننى لم أقع بعد فريسة للخوف ولا أحاول أن أثير المخاوف ولكننى أتطلع إلى معاونتكم واطلب الحد الأدنى الذى يتيح لى القيام بواجبى حتى لا نترك الأرض البكر بين يدى عدو يتهددك قبل أن يتهددنى.

فى اليوم التالى طلب موسى صبرى مقابلة صلاح قبضايا، وأعلن موافقته على طبع الأحرار وعلى منح محمد عباس سكرتير تحرير الأخبار ليعمل سكرتيرا لتحرير الأحرار.

ثانيا: أثناء طباعة العدد الأول من الأحرار الذى كان يحمل مانشيتات: استجواب ممدوح سالم...رئيس الوزراء متهم بالإهمال وإخفاء كارثة القطن...وزارة الزراعة اصطنعت تقارير مزورة لمحصول هذا العام...فلاحون ماتوا مع مواشيهم بسبب سوء الرش وإهمال وزارة الصحة، رفض المسئول عن الطباعة فى أخبار اليوم أن يطبع العدد، وحمله إلى موسى صبرى ليرى ما فيه أولا، ابتسم موسى صبرى وأمر بالنشر، لكن العامل شعر أن هناك كارثة يمكن أن تقع لو نزل الأحرار السوق وفيه هذه العناوين فذهب بها إلى الجهات الأمنية التى تتابع معه ما يطبع، وفى النهاية عادت الجريدة إلى المطبعة لتطبع بنفس العناوين[١].

ثالثا: فى البداية ركزت الأحرار فى معالجاتها على كشف أخطاء الحكومة وتعقب ممارسات النظام الشمولى، وتوسعت فى عرض وجهات نظر نواب المعارضة فى مجلس الشعب، ولما تكرر هجومها على الحكومة لجأ الحزب الحاكم إلى إتهامها بالتشكيك وتقديم بلاغات ضدها إلى نيابة أمن الدولة[٢].

(١) عصام كامل، مقابلة معه فى مكتبه فى ١٥ أغسطس ٢٠٠٨.

(٢) محمد سعد إبراهيم ومحمد على شومان، دراسات فى تاريخ الصحافة المصرية (القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩) ص ٣٠٧.

رابعا: أثناء الإعداد لإصدار جريدة الأهالى كان هناك عدد كبير من صحفيى اليسار يضعون الخطوط العريضة لها مثل صلاح حافظ الذى كان وقتها رئيسا لتحرير روزاليوسف، ومحمد عودة الذى إختار اسم الأهالى للجريدة، وكان يعمل رئيسا تنفيذيا للتحرير، وكان يكتب بها عدد كبير من الكتاب مثل حسين عبد الرازق ومحمود المراغى وفيليب جلاب، لكنهم كانوا يفعلون ذلك بأسماء وهمية.

ويفسر محمد سعد إبراهيم ذلك[1] بأن جريدة الأهالى كانت تعمل بشكل من السرية تمثل فى إستخدام معظم كتاب الأهالى توقيعات مستعارة، بدلا من أسمائهم الحقيقية وليس من سبب لهذا الإجراء سوى تحسب قيادات الحزب لإحتمالات التحول إلى العمل تحت الأرض فتتحول معه تلك النشرات إلى منشورات.

وهو لم يكن تفسيرا دقيقا إلى حد بعيد، حيث لم يكن لأى صحفى يعمل فى مؤسسة قومية أن يوقع بإسمه أو ان يضع إسمه فى ترويسة صحيفة معارضة وإلا كان مصيره الطرد النهائى من عمله الحكومى[2].

هذه الوقائع على ضآلتها إلا أنها تعبر عن الواقع الذى استقبل صحافة الأحزاب فلم يكن هناك تصور من الرأى العام أن تخرج صحيفة معارضة تقول للحكومة لا، حتى لو كانت الحكومة هى التى سمحت بذلك، ولذلك كان طبيعيا أن يتصاعد الصدام بينهما وفى كل صدام كان يظهر إتهام الصحف بأنها لا تسعى إلا للإثارة وقد حدث هذا مرات عديدة مع جريدتى الأهالى والشعب منها[3]:

أولا: أبدى الرئيس السادات استياءه مما ينشر فى صحيفة الأهالى، وقد عبر عن هذا الإستياء فى لقاءه بكتاب مصر وصحفييها فى ٢٣ مايو ١٩٧٨ قال: إن حزب اليسار

(١) محمد سعد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

(٢) صلاح عيسى، مقابلة معه.

(٣) ليلى عبد المجيد، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ص ٨٨- ٩٤.

أصدر جريدته دون الحاجة إلى إذن أو تصريح من أية جهة كانت، تنفيذا لقانون الأحزاب ولقد صدر منها ١٤ عددا كلها تحض على الصراع الطبقى وتهدد السلام الإجتماعى، وكأنها النشرة السرية التى يصدرها الحزب، وهو لم يزل تنظيما تحت الأرض.

لقد كانت الأهالى بالنسبة للرئيس السادات تحث على الصراع الطبقى وتهدد السلام الإجتماعى، وهو ما دعا النيابة العامة إلى مصادرة عدة أعداد منها والمطالبة بتعطيلها لعدة أعداد متتالية، ويمكن تفسير ذلك بأن معارضة الأهالى للنظام كانت معارضة جذرية، وهو ما لم يحدث على سبيل المثال من جريدة الأحرار التى كانت تعارض النظام الحاكم فى قضايا ثانوية، لكنها دعمت توجهاته فى قضايا أساسية مثل السلام والإنفتاح الإقتصادى.

ثانيا: قبل صدور العدد السادس عشر الذى كان مفروضا أن يصدر فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٨ اتخذت سلطات الأمن بناء على طلب وزير الإعلام إجراءات للتحفظ على العدد بسبب إحتوائه على ما اعتبرته جرائم تهدد السلام الإجتماعى طبقا لقانون العقوبات وأيدت النيابة العامة أمر الضبط، وعرض الأمر على رئيس محكمة جنوب القاهرة وكان المستشار أنور أبو سحلى، فأيد القرار مشيرا إلى أن العدد تضمن بيانا لإثارة الجماهير وتحريضها على عدم الإمتثال للقوانين، وأن البيان تناول أمورا من شأنها تكدير الأمن العام ولا يتطلب لقيام الجريمة تداول الجريدة بل يكفى لقيامها مجرد حيازتها أو إحرازها[1].

ثالثا: فى ٢٣ مايو ١٩٧٨ ، الساعة العاشرة مساء حرر الرائد حمدى عبد الكريم بمباحث أمن الدولة فرع القاهرة محضر ضبط جاء فيه[2]:

(١) البيان الذى نشرته الجريدة كان ينادى بمقاطعة الإستفتاء على رئاسة الجمهورية ، ويحث المؤسسات الدستورية وفى مقدمتها مجلس الشعب والأحزاب والمنظمات النقابية المهنية والعمالية ونادى القضاة وهيئات التدريس بالجامعات والأدباء والكتاب على رفض الإستفتاء.

(٢) حسين عبد الرازق، الأهالى..صحيفة تحت الحصار(القاهرة، دار العالم الثالث، ١٩٩٤) ص٥٢.

تـم طبـع جريـدة الأهـالى العـدد السـابع عشر المقرر توزيعـه صباح بـاكر الأربعـاء ٢٤ الجارى، وبعد إنتهاء عملية الطبع وخروج أعداد الجريدة إلى سيارات التوزيع، علمنـا مـن أحد مصادرنا أنها تتضمن موضوعات من شأن نشرها إثارة الـرأى العـام وإحـداث بلبلـة فكريـة بـين أوسـاط الجماهـير، وتـدور محـاور هـذه الموضـوعات عـلى التشـكيك فى مسـار الإنتخابـات التـى تمـت بـدائرة الجمـرك بالأسـكندرية، وكـذلك الإجـراءات التـى تمـت بإستفتاء الشعب على المبادئ الستة التى طرحهـا السـيد رئـيس الجمهوريـة والتشـكيك فى الممارسة الديمقراطية، إلى جانب تضمن العـدد أخبـارا وتعليقـات وإشـارات انتقاديـة غـير موضوعية بغرض الإثارة والتشكيك.

بناء على هذا التقرير وافقت النيابة على ضبط العدد وعرض الأمر عـلى المستشـار أنـور أبو سـحلى وترافـع المحـامون والنيابـة وفى النهايـة صـدر القـرار فى نفـس اليـوم بتأييـد أمـر الضبط.

رابعـا : ظلـت صـحيفة الشـعب تصـدر بإنتظـام حتـى العـدد ١٢٢ الصـادر فى ٢٥ أغسطس ١٩٨١، حيث صودر بعـد أن قامـت نيابـة أمـن الدولـة بضـبطه وقـررت محكمـة جنـوب القـاهرة مصـادرته بحجـة نشره مقـالات وأخبـار تتجـاوز بكـل المقـاييس حـدود الموضوعية والمعقولية وتخرج عن إطـار النقـد المبـاح والمعارضـة الشرعيـة بـما تتضـمنه مـن طعن وتشهير بالنظام الشرعى للبلاد والتحريض على كراهيته.

وذكر رئيس نيابة أمن الدولة أن الجريدة نشرت فى هذا العدد شائعات ودعايات مثيرة تهدد أمن وأمان الدولة وتنطوى على إستفزاز جارف ومثير لنظام الحكم فى أسسه وأصوله الجوهرية، وبما يخرج عن إطار الشرعية والقانون الذى يجب أن تلتزم به الجريدة.

أرادات السلطة أن تعزز دائرة نفوذها وتحكم سيطرتها فى مواجهة الصحافة وذلك مـن خلال إصدار مجموعة من القوانين والتشريعات[1]، التى تهدف إلى حمايـة الوحـدة الوطنيـة

(١) محمد سعد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٣٠٩.

والسلام الإجتماعى، وقد صدرت هذه القوانين تحت أسماء مختلفة أبرزها قانون حماية الجبهة الوطنية والسلام الإجتماعى الذى صدر عام ١٩٧٨، ثم قانون حماية القيم من العيب عام ١٩٨٠.

استهدف قانون حماية الجبهة الداخلية حظر الكتابة فى الصحف على كل من يثبت أنه يدعو أو يشترك فى الدعوة إلى مذاهب تنطوى على أفكار تنكر الشرائع السماوية أو تتناقض مع أحكامها، وهو أمر بالغ الصعوبة فى التطبيق، ومن ثم فتح الباب أمام التحكم فى إطلاق التصنيفات.

كان من الواضح أن مجموعة القوانين الإستثنائية، تستهدف فى الأساس استبعاد حزب الوفد وتحجيم حزب التجمع، والحيلولة دون عودة الإخوان المسلمين، ولعل هذا ما يفسر دعم الرئيس السادات لحزب العمل فى أول الأمر، غير أن هذا التعاطف انقلب إلى خصومة على إثر تخلى حزب العمل عن تأييد معاهدة السلام، وسعى صحيفته الشعب إلى تأكيد ذاتها كصحيفة معارضة، ونفى إتهام حزبها بالمعارضة المستأنسة.

كان رد الفعل أن واجهت الشعب ضغوطا غير مباشرة من الحكومة، من خلال إجراءات التمويل والطبع والإعلان، حتى احتجبت الجريدة عن الصدور فى ديسمبر ١٩٧٩ ، وعادت الشعب إلى الصدور فى ٨ يناير ١٩٨٠ وانتقلت طباعتها من الأخبار إلى الأهرام، وهو ما يشير إلى الضغوط التى واجهتها الجريدة خلال فترة طباعتها فى الأخبار.

خامسا: نشرت جريدة الأحرار أن زكريا توفيق وزير التجارة والتموين رفع سعر الأرز إلى ١٥ قرشا بدلا من خمسة قروش وأن الأرز الشعبى بدأ يختفى من الأسواق ليحل محله الأرز الفاخر، اعتبر الوزير أن الخبر يسبب بلبلة وإثارة للراى العام ويهدد أمن وسلامة البلاد[١].

- هذه المواقف لها دلالة لدى الباحث، فقد ترددت فيها مترادفات كثيرة هى :

(١) عصام كامل وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٦.

إثارة....

ومثيرة....

ومثير...

ويثير....

وهى توصيفات عمدت الأجهزة الأمنية التى تعاملت مع الصحافة على أن تصف بها معالجات الصحف ، ولا تنفى صحف المعارضة أنها كانت تنحو إلى الإثارة، فقد كانت تريد جذب الإنتباه إليها بداية من الأسماء التى تحملها، وقد بدا هذا واضحا بالتحديد فى جريدة الأهالى.

يروى حسين عبد الرازق[1] أن الحوار حول إسم الجريدة من أول الأشياء التى تعرضنا لها، طرحت أسماء عديدة تم استبعادها لسبب أو لآخر، وانحصر الإختيار فى أسماء أربعة: الأهالى واقترحه محمد عودة، واليسار وكان اقتراحى، والتقدم واقترحه محمود المراغى، والتجمع واقترحه بعض الزملاء من قادة الحزب، والطريف أن صلاح حافظ اقترح أن يسمى الصحيفة «المصرى»، وأكد أن هذا الإسم سيثير مشاكل وقضايا، وأن آل أبو الفتح (أصحاب جريدة المصرى التى كانت تصدر حتى السنوات الاولى من الثورة) سيلجأون إلى القضاء وسيكون ذلك إعلانا مجانيا عن الصحيفة، وستنشر الصحف أنباء المعركة القانونية، ولم يخل الإقتراح من خبث وشقاوة.

هذه العقلية التى اقترح بها صلاح حافظ كانت وراء صناعة صيغة صحفية تعمل على جذب الإنتباه، ومن بين ما يرويه صلاح عيسى[2] أنه كان هناك إتجاهان فى الأهالى بعد صدورها، الأول يتبناه لطفى الخولى حيث كان يرى أن الأهالى تنحو فى إتجاه الإثارة، حيث لا تقدم بدائل للمشكلات التى تثيرها، كما أنها لا ترى سوى السلبيات.

(١) حسين عبد الرازق، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) صلاح عيسى ، مقابلة معه.

وكان هناك إتجاه آخر يتبناه المحررون وهو أن لديهم جريدة تصدر مرة واحدة أسبوعيا فى مقابل ٣٥ عدد من الصحف الحكومية تصدر على مدار أيام الأسبوع ما بين صباحية ومسائية ويومية وأسبوعية، أى أن هناك حوالى ٥٠٠ صفحة فى مقابل ١٦ صفحة، ولا يوجد ما يجعل هذه الجريدة الواحدة قادرة على المنافسة إلا أن تهتم وتركز على الجوانب التى لا تهتم بها ولا تنظر لها الصحف الحكومية، وهى تحديدا سلبيات الحكومة.

***

على أن الإثارة السياسية لم تقتصر على الصحف الحزبية فى عهد الرئيس السادات، بل إمتدت إلى الصحف الحكومية، وهو ما بدا واضحا فى معالجة روزاليوسف لمظاهرات يناير ١٩٧٧، يروى فتحى غانم[١]: جاء إمتحان روزاليوسف أمام السادات مع القوانين الإقتصادية فى يناير ١٩٧٧، والإنتفاضة الشعبية التى وصفها السادات بأنها إنتفاضة حرامية.

كانت روزاليوسف قد أعدت تغطية كاملة للأحداث، أشرف على كتابتها صلاح حافظ ، وكنت معه فى مكتب عبد الرحمن الشرقاوى عندما دق جرس التليفون فرفع السماعة وتكلم بلهجة فيها إهتمام، فلما وضع السماعة التفت إلينا وقال: هذا نائب الرئيس حسنى مبارك يقول إن الرئيس **يريد عدم إثارة موضوع الإنتفاضة**، قال صلاح: كتبنا أن الحكومة أشعلت حريق الأسعار فأطفأه السادات، وفكرنا لحظة...واستقر رأينا على ما أن كتبته روزاليوسف ليس فيه ما يثير أو ما يدعو إلى فتنة.

لكن السادات غضب – على ما يروى فتحى غانم – ولم يقبل ما كتبته روزاليوسف وما ترجمته عن مراسلى الصحف الأجنبية الذين تابعوا الأحداث، وطلب الرئيس عبد الرحمن الشرقاوى الذى ذهب إلى لقائه فى القناطر.

ويكمل فتحى غانم: يقول عبد الرحمن إن السادات إستقبله جالسا تحت شجرة وفى يده عصا وقال له: الشيوعيون ضحكوا عليك ، وطلب منه السادات أن يختار منصبا آخر،

(١) فتحى غانم، معركة بين الدولة والمثقفين، (القاهرة، أخبار اليوم، ١٩٩٥) ص١١٦.

فاختار المجلس الأعلى للفنون والآداب، وتقررعزلنا«صلاح وأنا»من رئاسة تحرير روزاليوسف، وجاء مرسى الشافعى رئيسا للتحرير، وبعد أسابيع أعلن مرسى الشافعى فى إجتماع عام بالمجلة أن الرئيس السادات مرتاح إلى موقف روزاليوسف، ويقول أنه لم يعد يقرأها، فكان هذا أغرب ما سمعته فى تقييم صحيفة بأنها أصبحت جيدة لأنها لا تستحق القراءة.

كانت إدارة تحرير روزاليوسف تعرف جيدا أن المعالجة الموضوعية والواقعية والمتزنة التى قدمتها لمظاهرات الجوع لن تعجب الرئيس السادات بل ستثير غضبه، وأن إتهام الحكومة بإشعال حريق الأسعار ووصفه بأنه هو الذى أطفا الحريق لن يمر على السادات ولن يبتلعه بسهولة.

بعد أن إنتهى صلاح حافظ من كتابة التحقيق قرأه على الفريق المعاون له، وقدروا جميعا الخطر الذى يمكن أن يتعرض له صلاح، فتم الإتفاق على أن يكتبوا أسماءهم جميعا على التحقيق حتى تكون المسئولية جماعية، لكن السادات أدرك اللعبة وأطاح بكل من كتبوا أسماءهم على التحقيق[(١)].

يفسر فتحى غانم ما فعله السادات بأنه كان يطبق بطريقته الخاصة نفس القاعدة التى بدأت بها الثورة ، وهى أن الأسبقية لإستراتيجية الأمن، ومن أجل الأمن يجوز إغلاق الصحف أو خنق أصواتها ، ويجوز تقييد حرية الرأى، وكل الوسائل مشروعة وغير مشروعة تجوز من أجل أمن النظام.

لم تكن صحافة المعارضة هى المثيرة إذن من وجهة نظر النظام، ولكن أى صحافة حتى لو كانت تحت سيطرتها، تقول غير ما تراه السلطة فإنها تكون مثيرة، وهو ما يمكن أن يضع أيدينا على الإثارة الصحفية بالموقف السياسى، وفى الوقت الذى كان السادات يغير

(١) عادل حمودة، مقابلة فى مكتبه ضمن مجموعة مقابلات ممتدة خلال العمل معه فى الفترة من ٢٠٠٠ وحتى ٢٠٠٨.

فيه الجهاز التحريرى الذى لا يرضى عنه بالكامل فى الصحف الحكومية، فإنه كان يلجأ إلى أساليب أخرى مع الصحف الحزبية حيث يعطلها ويصادرها.

***

صورة صحافة الإثارة فى عصر الرئيس السادات لا تكتمل إلا بإضافة عنصر الإثارة الدينية وهى إشارة من جلال أمين[1] فى حديثه عن الجذور الإجتماعية للصحافة الصفراء، ولا تنفصل هذه الرؤية عن الصورة التى قدم بها السادات نفسه للجماهير، حيث قدم نفسه بإعتباره الزعيم المؤمن ورجل العلم والإيمان الذى يحتكم للدين ويعيره إهتماما خاصا، ويتجسد ذلك فى الآتى[2] :

- تبدأ فواتح خطابه السياسى بالتسمية، وتسود العبارات التى توحى بإسناد كل شئ إلى الله.

- لا يعد الإيمان صفة فى الشعب وحده، بل أيضا صفة للقائد إذا مات زعيم خرج غيره زعماء بالعشرات يؤمنون بالله، فمن يحمل أمانة الإيمان فإنه يستطيع أن يغير مجرى التاريخ.

- يعكس الرئيس السادات إهتمامه بالعلم بالتلازم مع الإيمان فإبتداء من مايو ١٩٧١ أصبح شعاره «العلم والإيمان»شعارا لدولة المؤسسات.

- الإعتماد على ترديد الدعوات الصوفية فى المناسبات الدينية.

- قدم السادات نفسه أيضا بإعتباره المدافع عن القيم الروحية والأخلاقية فى مواجهة موجات الحقد الأسود والبذاءات السياسية والكفر والإلحاد، وكان الرئيس السادات يلصق هذه التهم بتلك القوى التى قادت المعارضة لكثير من سياساته ومواقفه.

---

(١) جلال أمين، مرجع سابق.

(٢) محمد منصور هيبة، الصحافة الإسلامية فى مصر بين عبد الناصر والسادات (المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٨) ص ص ١٢٢- ١٢٤.

قاد هذا التوجه الدينى إلى أن يكون هناك تعاون بين الرئيس السادات والجماعات الإسلامية على إختلاف توجهاتها، ولم يكن هذا التعاون لوجه الدين بل كان لوجه السياسة فى المقام الأول.

فقد أظهر الصدام بين السادات وبين القوى الناصرية واليسارية فى أوائل سنوات حكمه حاجته إلى حلفاء، ورأى السادات فى الإخوان المسلمين ركيزة مثالية إلى جانب الجيش فى بحثه عن تأييد شعبى له فى الجامعات والمناطق الصناعية والريفية، ورغب فى التحالف معهم طالما أن ذلك لا يهدد سلطانه، ولا يتحدى سياساته ولو مرحليا، ويفسح له الطريق نحو الشرعية السياسية[١].

كان لهذا التحالف جذوره، فقد رتب الملك فيصل لقاء المصالحة بين السادات ومجموعة من الإخوان المسلمون عام ١٩٧١[٢]، وتم اللقاء الذى تبادل فيه الجميع الأفكار، حيث عرض السادات إستعداده لتسهيل عودة الإخوان إلى النشاط العلنى فى مصر، وكان على استعداد لعقد تحالف معهم، وفى إطار ترتيب علاقات أوثق بالإخوان، كان لهم بعض الشروط، منها ما استجاب له السادات على الفور مثل طلب سحب الحرس الجمهورى من المراسم المحيطة بضريح عبد الناصر.

وجد الإخوان رعاية خاصة من أحد الأصدقاء المقربين من الرئيس السادات وهو المهندس عثمان أحمد عثمان الذى كان يحتفظ بعلاقة صداقة معهم من خلال مشروعاته التى كان ينفذها خارج مصر، وكان من حوافزه على الإحتفاظ بهذه الصداقة أنه يشاركهم العداء لجمال عبد الناصر، ولتجربته فى التحول الإشتراكى، إلى جانب أنه كان حريصا على الحصول على تأييدهم للسادات كقوة فى الشارع تواجه من كان يسميهم السادات

(١) محمد منصور هيبة، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) محمد حسنين هيكل، خريف الغضب (بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٨٣) ص ٢٦٨.

بالناصريين والشيوعيين، ولقد راح يحاول إقناعهم بالتعاون معهم وحمل إليهم تطمينات كثيرة باسم الرئيس، لكن بعضهم كان لا يزال متشككا فقد بدا لبعضهم أن سياسات السادات فى تقليد الغرب غير ملائمة، بمقدار ما بدت لهم سياسات عبد الناصر التقدمية خطرا على فكرهم التقليدى.

تحالف السادات مع رأس الأفعى ونسى أنها لا تخلص فى النهاية إلا لمصالحها ومن يعمل بتوجهاتها هى، وإذا تراجع عن هذه التوجهات فإنه من السهل أن تنقلب عليه وستجد فى ذلك المبرر الشرعى الذى يسند موقفها الجديد، فعندما اتجه السادات نحو المصالحة مع إسرائيل وبادر بزيارتها فى نوفمبر ١٩٧٧، ساهم بذلك فى تدعيم الخلاف بينه وبين الجماعات الإسلامية.

وانضم الإخوان المسلمون إلى جبهة المعارضة الدينية الواضحة لنهج السادات، وتبنت مجلة «الدعوة» الناطقة بلسانهم إعلان الرفض التام لكافة توجهات السلام، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال إتمام صلح مع إسرائيل، وأن التاريخ سيحكم على الذين كانوا يوافقون على بيع أرضهم وكرامتهم مقابل بضع فوائد مادية، وأصبح الجميع بذلك الجماعات والإخوان فى موقف المعارضة مع النظام، وتبنى الإخوان كذلك رفض قانون الأحوال الشخصية المقترح عام ١٩٧٩[1].

فى العام ١٩٨١ وصل الصراع بين الرئيس السادات والجميع ذروته، وكان من بين هؤلاء الجماعات الإسلامية وصحفها، وصدر القرار ٤٩٤ لسنة ١٩٨١ بإلغاء التراخيص الممنوحة بإصدار بعض الصحف والمطبوعات مع التحفظ على أموالها ومقارها، فسحبت تراخيص عدد من الصحف الدينية التى اتهمت بالمشاركة فى إشعال نيران الفتنة الطائفية، وهى الدعوة والإعتصام والمختار الإسلامى من الصحف الإسلامية، ووطنى والكرازة من الصحف المسيحية، وذلك فى إطار ثمانية قرارات عرفت باسم قرارات حماية الوحدة الوطنية.

(١) محمد منصور هيبة، مرجع سابق، ص ١٤١.

والسؤال الذى يطرحه الباحث فى هذا السياق هو:

هل ما قدمته الصحف الدينية الإسلامية أو الدينية المسيحية يعتبر صحافة إثارة دينية، أم أنها إثارة سياسية لها مرجعية دينية بحكم أن المنتج لها يخضع فى النهاية لأيدلوجية دينية؟

لقد سربت الصحف الدينية مجموعة من الأفكار[1] التى لا زالت تحتفى بها الصحف الدينية حتى الآن، نوقشت هذه الأفكار أولاً بشكل تجريبى، ثم دخلت بها الصحف فى معارك واضحة وصريحة، حتى أصبح الصوت الداعى لها عاليا جدا، ورغم أن هذه الأفكار ووجهت بمقاومة عاتية من التيارات العلمانية إلا أنها سادت لأن السلطة الحاكمة كانت تساندها ومن هذه الأفكار :

- الدولة صليبية تستهدف تحطيم القيم التقليدية للعالم الإسلامي، حيث يخطط الغرب مؤامرة ضد الإسلام، والغربيون وقحون، الملحد مصاب بالأمراض الخبيثة، وعلم الإديان غير الايمان بالله.

- الغناء والرقص محرم.

- من لا تلبس النقاب مومس، وحتى المحجبات العاملات عاهرات.

- السعودية دائما أفضل البلاد فى العالم، تخدم الإسلام وبالطبع تحترم حقوق الإنسان.

- الممثلات دعرات بلا شك، إن لم يكن مومسات.

- الرياضيون يجب أن يخفون عوراتهم التى بين السرة والركبة.

- قضية الشرق الأوسط ليست بين العرب وإسرائيل، لكن بين المسلمين واليهود.

ينحاز الباحث إلى أن الإثارة التى مارستها الصحف الدينية على إختلاف توجهاتها لم تكن إثارة دينية، حيث لم يكن هناك طرح لقضايا دينية جدلية، ولكن كانت هناك رؤية

(١) Mourad r. harautunian,media,politics and religion in egypte,2000,p25.

سياسية لما يقوم به الرئيس السادات وهذه الرؤية حتى يكون لها ثقل تم إلباسها ثوبا دينيا، وكان الرئيس السادات نفسه هو الذى فتح الباب أمام هذه المعالجات ووفر المناخ المناسب لنموها.

***

المفارقة التى يرصدها الباحث أن الرئيس السادات الذى كان يمتلك شخصية طموحة وجامحة للشهرة والظهور، كان سببا مباشرا فى ترسيخ نوع جديد من صحافة الإثارة، وهى الصحافة التى تأخذ من شخصية الرئيس موضوعا لها فى مساحة خاصة لم تتطرق لها الصحافة من قبل.

والإشارة فى ذلك واضحة فى الصور الخاصة التى نشرتها جريدة أخبار اليوم للسادات[1]، فى الصفحة الأولى حيث كانت عبارة عن ثلاثة صور له وهو بملابسه الداخلية داخل الحمام يغسل وجهه على الحوض، وهو فى الحمام وبملابسه الداخلية يحلق ذقنه بنفسه، وهو بملابسه الداخلية أيضا وفى الوضع متشقلبا رأسه فى الأرض ورجليه إلى أعلى وكأنه فى أحد تمرينات اليوجا.

خصص إبراهيم سعدة ثلاثة صفحات لنشر صور الرئيس السادات وهو فى الحمام وهو فى سريره وهو يركب دراجة بصحبة حفيده، ثم وهو يصلى وهو يقرأ فى كتاب الله، ثم وهو يقف على باب بيته فى ميت أبو الكوم يلبس قبعة.

كانت الصور فكرة فاروق إبراهيم[2] وقد قال له الرئيس السادات: لقد وافقت على أن أسجل حياتى بعدستك إيمانا منى بضرورة تشجيع المواهب المصرية الشابة، إن علينا ألا نتأخر أبدا فى إتاحة الفرصة أمام كل شاب مصرى ليكشف عن موهبته ويثبت وجوده

(١) أخبار اليوم، عدد السبت فى ٢٣ فبراير ١٩٨٠.

(٢) مجلة نصف الدنيا، عدد خاص عن المصوراتى، تقرير عنوانه: فاروق إبراهيم: أنا مرمطون فى بلاط صاحبة الجلالة، مرجع سابق.

ويحقق إنطلاقة.

كان فاروق إبراهيم يفكر أن ينشر هذه الصور فى كتاب عالمى تنشره له إحدى دور النشر العالمية بكل اللغات، وعندما فشل الأمر، اتفق مع إبراهيم سعدة على نشر بعض هذه الصور فى الصفحة الأولى لأخبار اليوم فى الباب الجديد المسمى بقصنة صورة، كان إبراهيم سعدة لم يمر عليه فى رئاسة تحرير أخبار اليوم سوى ثلاثة شهور، أعجبته الصور وقرر كتابة الموضوع بنفسه ثم إستأذن الرئيس السادات فى ذلك فرحب على الفور.

لم يكن إبراهيم سعدة وفاروق إبراهيم يتوقعان أن نشر الصور يمكن أن يحدث ضجة، لكن كان هذا هو ما حدث بالفعل، فقد إعترض مستشارو السادات وقالوا له أن إبراهيم سعدة أخطأ خطأ كبيرا وأن فاروق إبراهيم يبدو أنه يتاجر بالصور، لكن كان رد السادات مغايرا لما يتوقعونه منه.

يقول إبراهيم سعدة: كان الرئيس السادات فى القناطر الخيرية وذهبت له مدام جيهان وكانت ثائرة جدا، وقالت له أساتذة الجامعة كلموها..إزاى رئيس البلد يتعمل فيه كده، وكان حاضرا أنيس منصور وحكى لى المشهد وقال أنه طوال الفترة التى عاشها مع الريس عمره ما شاف الريس وهو يعنف السيدة جيهان بهذا الشكل، قال لها أنا قرأت الموضوع واخترت الصور، إنتم ما بتشوفوش الصحافة العالمية؟والموضوع ده مش عاوزه يتفتح تانى خالص.

كان لدى إبراهيم سعدة ما يبرر به موقفه وإختياره فى نشر الصور[1] حيث قال: من حق الرأى العام المصرى أن يعرف كيف يعيش رئيس الدولة، فالرجل هو أبو العائلة الكبيرة، ومن حق الأبناء أن يعرفوا ماذا يفعل كبيرهم وكيف يقضى يومه وكيف يعيش داخل منزله.

قد يكون هذا التبرير مهنيا وسياسيا من قبل الرئيس السادات الذى إختار الصور

(١) أخبار اليوم، مقال آخر عمود لإبراهيم سعدة، العدد الصادر فى ١ مارس ١٩٨٠.

وراجع الموضوع، لكن هناك دلالة لا يجب أن تخفى على الباحث، وهى أن الرئيس السادات كان معجبا بنمط صحافة الإثارة العالمية التى تفتش فى الحياة الخاصة للرؤساء، ولا مانع لديها من نشر صور الرؤساء عرايا تماما وليسوا بالملابس الداخلية فقط، ولكن هذا الإعجاب كان يتوقف عندما تقترب الصحافة من سياساته وقراراته.

■ ■ ■

سادسا: الصحافة المصرية فى عصر مبارك

تولى الرئيس مبارك الحكم عقب إغتيال الرئيس السادات فى ظرف سياسى أقل ما يوصف به أنه متأزم، فقد إنهارت التجربة الديمقراطية المحدودة التى أقامها السادات[1] ، من خلال قرارات ٥ سبتمبر ١٩٨١ التى كان من أهمها نقل ٦٧ من الإعلاميين إلى وظائف غير إعلامية، وإلغاء تراخيص عدد من الصحف الحزبية والدينية، وإعتقال عدد كبير من الشخصيات السياسية المعارضة من كل الإتجاهات الإسلامية واليسارية والناصرية والوفدية، وصل عددهم طبقا لما أعلنه السادات ١٥٣٦ شخصية، بينما أشارت مصادر أخرى إلى أن عدد المعتقلين تجاوز الرقم المعلن بكثير، وكان من بين هؤلاء المعتقلين عدد من الكتاب والصحفيين.

لم تكن للرئيس مبارك[2] سابق تجربة مع الصحافة كالرئيسين عبد الناصر والسادات، فالأول كتب لبعض الصحف وهو طالب وأثناء رئاسته لتنظيم الضباط الأحرار، والثانى رأس مجلس إدارة جريدة الجمهورية، ومن ثم تجنبِ الرئيس مبارك سلبيات تجربة الرئيسين، حيث كان حريصا فى البداية على الإستماع للرأى العام ومتابعة ما تقوله الصحف، كما تجنب العلاقة الخشنة مع الصحافة التى ميزت العهدين السابقين.

ولذلك بدأ الرئيس مبارك بمجرد وصوله إلى الحكم فى إجراء ما يمكن أن تسميته بالمصالحة مع كل القوى الوطنية، وفى السنوات الأولى للرئيس مبارك فى الحكم تغير

(١) سليمان صالح، التطور السياسى فى مصر ١٩٨٢ - ١٩٩٢، ، تحرير صفى الدين خربوش، بحث بعنوان «الإعلام والنظام السياسى فى مصر» ، (القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٤) ص ٦٣٩.

(٢) محمد سعد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٣١٢.

خطابه السياسى عن سلفه وكانت له سمات محددة، وقد رصد سليمان صالح[1] عددا من الوعود فيما يختص بتجربة الصحافة وحرية التعبير فى خطاب الرئيس مبارك ومن أهمها:

- عدم الحجر على أى فكر وعدم مصادرة أى رأى.

- عدم التفرقة بين المواطنين أو التمييز بين مؤيد ومعارض.

- القانون العام وحده المختص بوضع الضوابط والحدود التى تضمن عدم تحول الحق إلى تعسف أو إنقلاب الحرية إلى فوضى.

- عدم إحتكار العمل وأن يكون المجال مفتوحا أمام كل مصرى يريد أن يسهم فى إنطلاقة مصر الجديدة.

- إعطاء الكلمة حريتها دون قيد أو رقيب وألا يفرض على الكاتب أو الصحفى قيدا غير ضميره الوطنى أو المهنى وإحساسه بالمصلحة العامة.

على هامش هذا الخطاب تمتعت صحف المعارضة فى عهد الرئيس مبارك بهامش أوسع من الحرية التى كانت متاحة فى عهد الرئيس السادات، فلم تخضع للرقابة السابقة على النشر، ولم يمارس الإرهاب ضدها رغم تشددها فى الهجوم على سياسات الحكومة وحزبها ونقدها أحيانا لقرارات وتصريحات الرئيس، لقد حاول مبارك أن يظهر بموقف المحايد بين الصحف القومية والحزبية رغم رئاسته للحزب الوطنى، وعلى الرغم من أن الموقف الثابت الذى سلكته مؤسسة الرئاسة إزاء صحف أحزاب المعارضة كان تجنب الصدام خاصة عندما ترتفع حرارة النقد فى هذه الصحف، إلا آن هذا الموقف سرعان ما كان يتطور إلى التلويح بإستخدام القوانين المتاحة[2] .

شاهد ذلك أنه فى نوفمبر ١٩٨٣ عبر الرئيس مبارك عن إيمانه بأن حرية الصحافة يمكن أن تكون صمام أمن للمجتمع وحارسا يمنع التمادى فى الخطأ، ويبدو أن الخطأ

(١) سليمان صالح ، التطور السياسى فى مصرمرجع سابق، ص ص ٦٤١.

(٢)محمد سعد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٣١٣.

الذى قصده الرئيس مبارك كان خطأ الصحافة، لأنه فى هذا الخطاب حدد إتهاماته للصحافة بشكل عام ولصحف المعارضة بشكل خاص، وكان من أهمها ترويج الشائعات والدفاع عن التطرف والإرهاب والتشكيك فى المسيرة الإقتصادية وتخويف المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال.

وضع هذا الخطاب تحديدا السياسة العامة التى حكمت العلاقة بين السلطة والصحافة طوال فترة الرئيس مبارك التى بدأت منذ العام ١٩٨١ ولا تزال ممتدة حتى الآن، لقد منحت الصحف هامشا من الحرية عملت من خلالها فى المجالات العامة، لكن لم يسامح النظام فى هجوم الصحف على الإقتصاد، فقد كان النظام منذ البداية يسير بإستراتيجية أنه سيكتسب شرعيته من الإقتصاد، كما أنه لم تكن لديه أجندة واضحة فى علاقاته الخارجية أو حتى بقوى الداخل، وهو ما أوقع الصحف فى كثير من الأحيان فى حيرة من أمرها وهو ما أوقعها بالتبعية فى مشكلات مهنية وقانونية.

لم تشهد هذه المرحلة حدوث تغييرات جوهرية فى علاقة الصحافة بالنظام السياسى الحاكم سواء من الناحية التنظيمية أو الممارسات الفعلية[1] ، كما لم يقع أى صدام بين السلطة السياسية والصحافة المصرية سوى بعض الملاحظات التى عبر عنها الرئيس مبارك فى خطبه الرسمية أو أحاديثه الصحفية والتى انصبت معظمها على الصحف الحزبية وأسلوب معالجاتها للقضايا المحلية.

كان أبرز ما جاء فى هذا الصدد النقد الذى وجهه الرئيس مبارك إلى صحف المعارضة حيث قال فى حديث نشرته له جريدة مايو الناطقة بلسان الحزب الوطنى فى أكتوبر ١٩٨٤: « كنا نتوقع وكان الناس يتوقعون معنا أن تكون الأولويات التى تهتدى بها صحف المعارضة هى نفس أولويات الشارع المصرى، لكن هذا غير قائم، ووجه الرئيس

(١) عواطف عبد الرحمن، هموم الصحافة والصحفيين فى مصر (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٥) ص٨٠.

ملاحظات وإنتقادات إلى الصحف القومية حيث رأى أنها لا توسع دائرة إهتمامها بل تحصر نفسها فى إطار ضيق وتركز على موضوعات متكررة ، كذلك أشار إلى أن الصحف لا تبذل جهدا كافيا فى متابعة الموضوعات التى تطرحها فى مرحلة معينة بل إنها تسقطها رغم أن الظروف التى أوجدتها تظل مستمرة وقائمة، وضرب أمثلة لذلك بمشاكل الشباب والإتجاهات المتطرفة فى المجتمع المصرى» .

وفى هذه الفترة أيضا صدر ميثاق الشرف الصحفى الذى أقره المجلس الأعلى للصحافة فى ٢٣ مارس ١٩٨٣، وتضمن مجموعة المسئوليات والأصوليات الأخلاقية والمهنية التى يلتزم بها الصحفيون، وكذلك ينص على ضمان حقوقهم المهنية والإنسانية [(١)] .

ومن هذا الميثاق تحديدا يمكن للباحث أن يدخل إلى مساحة التجاوزات الصحفية خلال فترة الرئيس مبارك، تمهيدا لتصنيفها على أساس أيها يدخل تحت معالجات الإثارة الصحفية، وأيها لا يعدو أن يكون مخالفات قانونية أو أخطاء مهنية عادية.

ورغم أن قانون سلطة الصحافة أعطى للمجلس الأعلى للصحافة سلطة وضع هذه القواعد ، كما أن المجلس نفسه جعل هذه المهمة من مهام إحدى لجانه النوعية وهى لجنة القيم، غير أن الأمر إقتصر على ذكر الصحف المخالفة لميثاق الشرف الصحفى فى تقاريره الدورية التى يصدرها مع بيان موضوع المخالفة ومكانها وتاريخها، واعتبرت هذه التقارير وسيلة من وسائل تحقيق النقد الذاتى.

***

لكن لماذا أقدم المجلس على إعداد تقارير الممارسة الصحفية؟

هذا سؤال تحتاج الإجابة عليه إلى تجذير وإرجاع الوقائع إلى أصولها، فكما يروى حسين

(١) ليلى عبد المجيد، تشريعات الصحافة فى مصر وأخلاقياتها..رؤية تحليلية (القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٩) ص ٩٧.

عبد الرازق[1] ، أنه منذ العام ١٩٨٣ وجريدة الأهالى وجبة دائمة للصحافة الحكومية، لا فرق فى ذلك بين صحف المؤسسات المملوكة لمجلس الشورى، أو بين صحيفة الحزب الوطنى«مايو»، فلا يكاد يصدر عدد إلا وتنطلق أقلام كتيبة السلطة بالهجوم على الأهالى والحزب الذى يصدرها، ولمع موسى صبرى وتألق فى الهجوم غير الموضوعى على الأهالى تسانده كتيبة مايو على إختلاف كفاءتها وقدراتها.

وقد دخلت الأهالى معركة شرسة مع الصحف الحكومية بعد أن حمل عددها الصادر فى ١٣ إبريل مانشيت رئيسى على ثمانية أعمدة نصه: «**محمد حسنين هيكل يروى قصة بداية ونهاية عصر السادات**».

كانت الأهالى قد قررت نشر كتاب هيكل خريف الغضب، فى إفتتاحية الجريدة كتب المحرر: خريف الغضب....الأهالى تنفرد بنشر أحدث كتب محمد حسنين هيكل...وفيها تقديم للكتاب على ثلاثة أعمدة وصورة لهيكل وهو يمسك بسيجاره الشهير، واحتلت مقدمة الكتاب والفصل الأول منه صفحتى ٧ و١٠.

لم يكن الكتاب قد صدر فى مصر بعد، حيث اختار هيكل أن تنشره فى حلقات جريدة الوطن الكويتية، ولم تكن الأهالى قد حصلت على حق نشر الكتاب من هيكل أو حتى من جريدة الوطن، لكن هيكل ساهم فى حل هذه المشكلة عندما اقترح على إدارة تحرير الأهالى أن تعيد نشر الحلقات بعد نشرها بيوم فى الوطن.

أبدى المسئولون فى الأهالى تخوفهم من مقاضاة الوطن لهم، لكن هيكل وعدهم بأن ذلك لن يحدث[2] ، لم تعترض الصحافة الحكومية وحدها على النشر، بل اعترض الرئيس مبارك الذى أعتبر فى رسالة حملها وزير الداخلية حسن أبو باشا إلى خالد محى الدين رئيس حزب التجمع الذى تصدر عنه الأهالى أن النشر نبش للماضى وله آثار سلبية،

---

(١) حسين عبد الرازق، مرجع سابق، ص ١٧٧.

(٢) صلاح عيسى، مقابلة فى مكتبه.

وطلب أبو باشا أن تتوقف الأهالى عن النشر.

توقفت الأهالى عن نشر الكتاب بعد الحلقة الأولى بسبب ضغوط من داخل الحزب قبل أن تكون من خارجه، لكن فى إفتتاحية العدد التالى الذى حمل رقم ١١٢، قالت الأهالى فى إفتتاحيتها: أن الأمر لا يتعلق بقرار مصادرة كتاب أو صفحات من كتاب فى جريدة، وحق كاتب فى الإدلاء بشهادته وحق الصحيفة فى نشر رأيها، أو حق الحزب فى تحديد سياسة جريدته وأولوياتها فحسب، وإنما القرار فى النهاية يتعلق بمستقبل الديمقراطية فى مصر، وبالعلاقة بين القوى السياسية سواء كانت فى الحكومة أو فى المعارضة، وما لم تحل هذه الأزمة لصالح الديمقراطية فستزداد الأزمة استحكاما ولن تحل أى من المشاكل التى تعانيها مصر، وبصفة خاصة أزمة لقمة العيش التى يعانى منها كل من يكسب عيشه بالشرف والعرق فى مصر.

فتح إنفراد الأهالى عليها النار خاصة من موسى صبرى الذى كتب عدة مقالات ضد الأهالى وكتابها كان منها:

– فى ١٩ إبريل كتب موسى صبرى فى الأخبار: تفاخرت صحيفة الأهالى بالنشر على أنه سبق كبير، وطبعا لم تدفع مليما واحدا لمحمد حسنين هيكل، بل لعلها سعت إلى النشر كما سعى هو إلى النشر، لأن الهدف واحد وهو إغتيال أنور السادات ميتا بعد أن إغتالوه حيا، إغتيال السلام الذى حققه زعيم عظيم، إغتيال القيم التى عاش من أجلها منذ فجر شبابه حتى لحظة إستشهاده، إنها سقطة لا يمكن أن تغتفر لخالد محى الدين رئيس حزب التجمع والمسئول قانونا عن النشر فى صحيفة الحزب.

– ويضيف موسى صبرى فى مقاله: من حقى أن أتساءل عندما يخرج كاتب بهذه الكلمات التى تنهش الأعراض والحرمات، لماذا يصمت القانون ويصم أذنيه ويقفل عينيه ويلجم لسانه، ومن حقى أن أتوجه بكلمة إلى نقابة الصحفيين وإلى المجلس الأعلى للصحافة وداخل الجدران حديث عن حرية الكلمة وعن ميثاق الشرف الصحفى وعن

لا ئحة آداب المهنة، أليس من حق مواطن فى مصر أن يصرخ بأعلى الصوت، ألا من سبيل لوقف مثل هذه الأوساخ التى تلوث ثوب مصر الأبيض؟.

– وفى ٢٩ مايو كتب موسى صبرى تحت عنوان «عصابة الأربعة»[١] يقول: ليس سرا أن حزب التجمع الذى يسيطر عليه الماركسيون فى حالة تمزق وتفكك وصراع، ومن أسباب ذلك الشكوى التى تضاعفت فى الفترة الأخيرة من هيمنة من يسمونهم بعصابة الأربعة على صحيفة الحزب، وعصابة الأربعة تعبير صينى ظهر بعد موت الزعيم ماو، وقد حاكمهم الحكم الجديد ومن بينهم زوجة ماوتسى تونج، ويستخدم أعضاء حزب التجمع الساخطون هذا التعبير وصفا لرئيس تحرير الصحيفة والسيدة قرينته ومحرر آخر والسيدة قرينته أيضا، والسيدتان شقيقتان، ويرعى العصابة نجم ماركسى آخر من نجوم الحزب، والإتهام لهم أنهم يحتكرون النشر حتى تحولت صحيفة الحزب إلى صحيفة عائلية، ولا يزال الصراع مستمرا، وخاصة أن الساخطين يأخذون على العصابة أن صحيفة الأهالى أصبحت لسان محمد حسنين هيكل...لا لسان الحزب الذى أصبح مقطوعا.

لم تصمت صحيفة الأهالى، ويتبنى عصام فرج[٢] وجهة نظر أن تقرير المجلس الأعلى للصحافة صدر خصيصا لرصد حالة الحرب الأهلية بين الصحف الحكومية وصحف المعارضة، فلم تصمت الأهالى على إهانات موسى صبرى فقد عرضت به ولعلاقته مع المطربة صباح شحرورة لبنان.

ورغم أن صلاح عيسى ينفى أن يكون ما حدث من حرب كلامية بينه وبين موسى صبرى دافعا من دوافع إصدار تقرير الممارسة الصحفية عن المجلس الأعلى للصحافة، لكن التقرير صدر بالفعل وهو يحمل فئة «الملاحظات المتعلقة بحقوق الزمالة».

(١) كان موسى صبرى يقصد حسين عبد الرازق وزوجته فريد النقاش، وصلاح عيسى وزوجته أمينة النقاش، وكانوا فى هذا الوقت يتولون مناصب إدارية وتحريرية فى جريدة الأهالى.

(٢) عصام فرج، مقابلة خاصة فى مكتبه بالمجلس الأعلى للصحافة فى ١١ يوليو ٢٠٠٨.

ما يلفت النظر فى التقارير الأولى أنها كانت تخصص فئة من فئاتها تحت مسمى: إستخدام الإثارة فى معالجة المادة الصحفية، وهناك نماذج على ما تم رصده فى هذا السياق على النحو التالى[1] :

- ما نشرته إحدى الصحف كعنوان لأحد الفتاوى الدينية وهو: شم الكولونيا والبارفان ممنوع فى الصيام..أما تدليك البروستاتا فهو جريمة كبرى.

- ما نشرته صحيفة يومية أخرى على النحو التالى: الكمسارى قتل صاحبة البيت بسبب فوازير شريهان، فى حين أن متن الخبر يشير إلى خلاف بين الكمسارى وصاحبة البيت الذى يقطن فيه لأن الأخيرة طلبت منه خفض صوت التليفزيون أثناء إذاعة الفوازير وتطور الخلاف إلى مشاجرة قتل الكمسارى فى أثنائها السيدة، فسبب القتل ليس فوازير شريهان بل إرتفاع صوت التليفزيون الذى كان يذيع فوازير شريهان.

- ما جاء فى موضوع صحفى نشرته مجلة عامة وأفردت له مساحة كبيرة وصاحبته مجموعة كبيرة من الرسوم الكاريكاتيرية بعنوان الرجال يحملون ويلدون، رغم أن ما جاء بالموضوع معلومات ثبت عدم دقتها.

- نشرت إحدى الصحف خبرا حمل عنوانا مثيرا هو الحكومة ترفض شراء المصاحف، فى حين أن الموضوع يقول أن وزارة المالية رفضت زيادة الإعتمادات المالية لوزارة الأوقاف المخصصة لشراء المصاحف، وهناك فرق بين العنوان والمضمون.

- نشرت جريدة الأحرار فى عدد ١٣ أكتوبر عنوانا لأحد الأعمدة عنوانه: خمارات وزارة الاوقاف.

- نشرت جريدة الأخبار فى ١ يونيو ١٩٨٨ خبرا عن إمتناع طالبة عن دخول

(١) تقارير المجلس الصادرة فى الفترات ، من أول مايو حتى نهاية يوليو ١٩٨٦، ومن أول أغسطس حتى نهاية أكتوبر ١٩٨٦، وفى الفترة من أول مايو حتى نهاية يوليو ١٩٨٨، وخلال الفترة من أول أغسطس حتى نهاية أكتوبر ١٩٨٨.

الإمتحان بسبب النقاب، فى حين نشرت الجريدة نفسها فى عدد ٩ يونيو نفيا لهذا الخبر ونشرت صورة للطالبة وهى محجبة.

- نشرت جريدة الوفد فى ٨ يونيو خبرا بعنوان: ١٧ ألف دجاجة مصابة بمرض وبائى طرحها تاجر فى الأسواق بعد شرائها من الإصلاح الزراعى، ولم يذكر الخبر مكان بيع هذه الدواجن فى العنوان ويتضح من المضمون أن مكان البيع كان فى فاقوس بالشرقية.

- نشرت جريدة الشعب فى ١٠ مايو ١٩٨٨ تقريرا بعنوان: جريمة صحفية يرتكبها مكرم محمد أحمد، وفضلا عن كون هذه الملاحظة تمثل عدم إحترام حقوق الزمالة، فإن عنوان الخبر يوحى بالتجريم فى حين أن المضمون يوضح ممارسة رئيس التحرير لعمله فى إجراء تعديلات لأحد الأحاديث.

هذه نماذج مما ورد فى التقارير التى كانت ترفض فى البداية أن تحدد اسم الجريدة التى ترتكب المخالفة، وقد يكون ذلك من باب رغبة التقرير فى التقييم وليس التشهير، فوقع هو فى نفس ما تقع فيه صحف الإثارة، لكن التقرير خضع لتطويرات عديدة وأحدث حالة من الجدل جعلته فى مرمى سهام نقد الصحف، وقد أوضح القائمون على إعداد التقرير حسن النية من وراء هذ التقرير فى تقديمهم للتقرير الثانى عشر الذى صدر فى ١٩٨٨ حيث جاء فيه:

«فى البداية نؤكد – ولو أن الأمر لا يحتاج إلى أى تأكيد – على أن إصدار المجلس تقارير عن الملاحظات على الممارسة الصحفية ليس فيه – كما تصور البعض خطأ – أى قيد على حرية الصحافة أو أى مساس بالممارسة الديمقراطية، بل إن هذا العمل – إصدار تقارير عن الممارسة الصحفية – فيه تدعيم لحرية الصحافة وإثراء للديمقراطية خاصة وأن تلك التقارير لا تتضمن أحكاما أو إدانة لأحد وكل ما فيها مجرد تسجيل للملاحظات الخاصة بالممارسة وفى ذلك تعميق للتقاليد الصحفية المصرية العريقة وتمكين للصحافة من أداء دورها التاريخى فى خدمة المجتمع، بالإضافة إلى أن إصدار مثل هذه التقارير يساعد

على خلق جو مناسب للقضاء على أية سلبيات تعترض طريق الممارسة الصحيحة»

وكأن القائمين على إعداد التقرير يحتاجون مبررا لما يقومون به فطبقا لمقدمتهم: «ثم أن المجلس عندما يصدر مثل هذه التقارير إنما يمارس مهامه ومسئولياته ويقوم فى نفس الوقت بأداء واجب من أهم واجباته، كما أنه بقيامه بذلك العمل ينفذ روح ونصوص القانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٨٠ بشأن سلطة الصحافة خاصة المادة ٣٥ التى نصت على أن المجلس الأعلى للصحافة هيئة مستقلة قائمة بذاتها وتتمتع بالشخصية الإعتبارية وتقوم على شئون الصحافة بما يحقق حريتها واستقلالها وقيامها بممارسة سلطتها فى إطار المقومات الأساسية للمجتمع وبما يكفل الحفاظ على الوحدة الوطنية والسلام الإجتماعى، وبما يؤكد فعاليتها فى ضمان حق المواطنين فى المعرفة والإتصال بالخبر الصحيح».

تتحدد فلسفة التقرير إذن فى أنه يعمل من أجل تقويم الأداء الصحفى وليس من أجل فرض قيود جديدة على الصحافة، لكن السؤال الذى يجد الباحث نفسه مسوقا إليه هو هل ما ترصده مثل هذه التقارير يدلل على منتج صحفى مثير، أم أنها ترصد تجاوزات ومخالفات يمكن التعامل معها على أنها أخطاء مهنية وقانونية ليس أكثر، وليس من الضرورى أن تكون المخالفات والتجاوزات المهنية والقانونية عاملا مساعدا فى الإثارة التى تهدف فى النهاية إلى زيادة التوزيع والترويج للصحيفة؟

هذه الملاحظات التى تسربت فى ثنايا التقرير أكدت أن صحافة الإثارة كانت قد بدأت تدخل فى مرحلة جديدة، لا تقوم بها الصحافة الحزبية فقط، ولكن تشاركها فى ذلك الصحف القومية.

ولعل ما أشار إليه جلال أمين[1] فى هذا السياق يكون صحيحا، ففى تقييمه للصحافة الصفراء فى عصر الرئيس مبارك، يذهب إلى أن الإثارة فى هذا العهد تحمل طابع التبسيط لأنه الطابع الملائم للجماهير الغفيرة من القراء.

(١) جلال أمين، مرجع سابق.

ويذهب الباحث إلى أن هناك فارقا جوهريا بين صحافة الإثارة فى عصر الرئيس مبارك وصحافة الإثارة فى العهود السابقة عليه منذ نشأة الصحافة حتى لو لم تكن لها نفس المسمى، وهو فارق من حيث الدافع، لقد كانت الصحف قبل مبارك تعمل من خلال قوى منظمة تحركها سواء كانت هذه القوى النظام السياسى ذاته أو الأحزاب بما لها من مطامع ومطامح أو قوى إجتماعية لها أجندتها التى تريد تنفيذها.

وفى كل الحالات لم يكن الربح هو الهدف الرئيسى للصحف حيث هناك من ينفق عليها أو يعوض خسائرها، وهو ما لم يحدث فى عصر مبارك، حيث ظهرت صحف الأفراد والشركات الصغيرة، وهى صحف دينها الرسمى هو الربح، ولما كانت الإثارة هى الصيغة المهنية الوحيدة القادرة على تحقيق الربح فقد استراحت الصحف الخاصة إليها دون عناء ودون أدنى تفكير فيما يمكن أن تخلفه من تبعات.

ولم تكن هذه سمة للصحافة الخاصة وحدها فقد دخلت الصحف الحزبية على الخط، حيث رفعت الشركات الحكومية يدها عن تمويلها، فكان لابد لها من أن تبحث عن صيغة لزيادة توزيعها، وجرى أن ظهرت صحف حزبية جادة تعمل على الإثارة السياسية ورفع السقف السياسى، وصحف تحمل تراخيص حزبية لكنها تعمد إلى الإثارة الرخيصة وتحديدا الجنسية منها لزيادة توزيعها وهى الصحف التى وصمت الصحف الحزبية الجادة بأنها صحف إثارة رخيصة.

وقد يكون من المهم أن يحدد الباحث ملامح الإثارة فى صحف عصر مبارك تأسيسا على:

أولا: للمرة الأولى فى تاريخ الصحافة المصرية يثور جدلى مجتمعى وليس سياسى فقط حول صحافة الإثارة، وهى الحالة التى جعلت عددا من الباحثين ينقبون عن الظاهرة ويؤصلون لها.

ثانيا: كانت السلطة فيما مضى تغلق الصحف وتعطلها لأسباب سياسية أو أنها تخالفها

فى الخط العام الذى تسير عليه، ورغم أن النظام فى عهد مبارك فعل ذلك، إلا أنه كانت هناك حالات من إغلاق الصحف لأنها تلجأ إلى الإثارة فى القضايا الإجتماعية، وما يتعلق بمعالجات قضايا رجال الأعمال.

ويمكن للباحث أن يحدد روافد الإثارة فى عصر مبارك من خلال الآتى:

***

■ الصحافة المصرية الصادرة بتراخيص أجنبية

يروق للبعض فى الأدبيات العلمية والصحفية على السواء أن يطلقوا على الصحف التى تحصل على تراخيص من الخارج اسم الصحف القبرصية، على إعتبار أن العدد الأكبر منها يحصل على ترخيص من قبرص، لكن المفهوم الأقرب إلى الواقع والدقة معا، أنها ليست صحفا قبرصية ولا صحفا أجنبية بل هى صحف مصرية تصدر بتراخيص من الخارج، فمقرها هنا فى مصر والعاملون فيها إداريا وتحريريا مصريون، كما أن معالجاتها جميعا تصب فى إتجاه القضايا المصرية.

ويشير لطفى عبد القادر[1] إلى أنه فى عام ١٩٧٧ تم السماح للصحافة الأجنبية بالتواجد فى الشارع المصرى، فى هذا العام عقد إجتماع حضره رئيس الوزراء ورئيس المجلس الأعلى للصحافة ، كان هدف الإجتماع بحث ومناقشة الطلب الذى قدمته المؤسسات الصحفية المصرية للبحث عن موارد جديدة لعلاج العجز المادى الذى أرهقها بسبب إستيراد مطابع جديدة لم تتمكن من تسديد ثمنها.

وفى نفس الإجتماع نوقش الطلب الذى قدمته جريدة الشرق الأوسط وطلبت فيه السماح بطبعها فى مصر، وفى محاولة لحل أزمة المؤسسات الصحفية كانت الموافقة ومعها

(١) لطفى عبد القادر، ندوة بعنوان الصحافة الصفراء مشكلة بلا حل، نشرت فى مجلة روزاليوسف فى عدد ٧ ديسمبر ١٩٩٨، وكان لطفى عبد القادر وقتها مديرا للرقابة على المطبوعات بوزارة الإعلام

عدة ضوابط حددها الإجتماع منها، طبع كميات أكبر من التى تطبعها الصحف المصرية وتم تحديد ٢٥ ألف نسخة فى الأعداد الأسبوعية و١٥ ألف نسخة فى الأعداد اليومية، وعدم نشر إعلانات مصرية فى الصحف الأجنبية.

لم تنفذ هذه الضوابط بالطبع وتطورت الأمور فى المقابل إلى حصول صحيفة الحياة وعدد آخر من الصحف الأجنبية على حق الطبع فى مصر، ويرصد لطفى عبد القادر متغيرا مهما فى ظهور الصحافة الصفراء فى مصر، فعندما صدر قانون المناطق الحرة التى اعتبرت مناطق أجنبية تسابقت الصحف الأجنبية على الطباعة هناك، توفيرا للنفقات وارتفع عدد الصحف الأجنبية من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ صحيفة جميعها غير منتظمة الصدور وبلا هوية، إذ لا يعرف أحد من يمولها على وجه اليقين، ويعتقد عبد القادر أنه مع ميلاد صحف المناطق الحرة ولدت الصحف الصفراء.

عقب ذلك بدأت تتزايد أعداد الصحف التى تحمل تراخيص صدور أجنبية وترغب فى الطبع والتوزيع داخل مصر ، وقد بلغ عددها فى العام ١٩٩٨ حوالى ١٨٩ مجلة وصحيفة منها ٧٤ صحيفة عربية و١٥ صحيفة تصدر باللغات الأجنبية[١] ، ومع هذه الزيادة كان لا بد من تنظيم العمل لها وبها.

فهناك خطوات لابد من المرور بها لإصدار صحيفة من هذا النوع فى مصر وهى[٢] :

- يتقدم صاحب الترخيص بطلب لإحدى المؤسسات الصحفية القومية بطلب لطبع صحيفته فيها ويرفق بطلبه الترخيص الصادر له من الخارج موثقا من السفارة المصرية، مع أعداد من الصحيفة لتقييم موضوعاتها ومعرفة خطها الإعلامى، ويرسل رئيس مجلس إدارة المؤسسة القومية هذا الطلب إلى المجلس الأعلى للصحافة للحصول على موافقته

(١) لا يمكن الإعتماد على إحصائية واحدة نثق فيها فى معرفة عدد هذا النوع من الصحف لأنها فى الغالب غير مستقرة ولا يعرف أحد على وجه اليقين من منها يصدر ومن منها توقف عن الصدور.
(٢) المجالس القومية المتخصصة، صحافة الإثارة المشكلة والحل، مرجع سابق.

على أن تقوم المؤسسة بطباعة الجريدة.

- تخطر الجهات ذات الإختصاص بكافة البيانات المتوفرة لإستطلاع رأيها فى الموافقة على طبع الصحيفة فى المؤسسة الصحفية القومية وبحث مصادر التمويل، وعندما تستكمل الإجراءات يعرض الأمر على وزير الإعلام للموافقة على الطبع، وتحرير إستمارة تشمل أن يكون رئيس التحرير والعاملين فى تحرير الصحيفة أعضاء فى نقابة الصحفيين المصرية.

- تتم الموافقة على طبع هذه الصحف لمدة محدودة من ثلاثة شهور إلى ستة شهور، ويتم التجديد عند إنتهاء المدة المقررة، وفى حالة عدم إلتزام الصحف الأجنبية الحاصلة على ترخيص بالطبع فى مصر بقوانين ولوائح المطبوعات الخارجية تمنع من التداول وينظر فى إمكانية إلغاء الترخيص الممنوح لها.

- تتم مراجعة الصحف قبل تداولها داخل البلاد وفى حالة خروجها على القانون والتقاليد المرعية ومعالجاتها للموضوعات والأحداث عن طريق الإثارة والمبالغة فلا يسمح بتداولها فى البلاد.

- يتم إبلاغ مصلحة الضرائب لمحاسبة هذه الصحف ضريبيا بالنسبة للمواد الإعلانية والدعائية المنشورة فيها مثل الصحف المحلية تماما.

هذا هو التنظيم القانونى للصحف الحاصلة على تراخيص من الخارج، لكن الواقع ليس كذلك على الإطلاق، فرحلة هذه الصحف لا تبدأ من المؤسسات القومية التى تكون المحطة الأخيرة بالنسبة لها بعد أن يأتيها إذن الطبع من المجلس الأعلى للصحافة، وهو إذن لا يصدر إلا بعد موافقة الجهات الأمنية على الجريدة وعلى أصحابها والعاملين فيها.

ويبدو أن هذه القواعد كانت شكلية إلى حد كبير فلم يكن يتم العمل بها، فلم تكن مادة هذه الجرائد تراجع بالشكل الكافى، حيث كانت معظم هذه الصحف صغيرة ولا

تثير القلق، فهى تصدر بالأساس من أجل الحصول على الإعلانات، ولأنها صحف صغيرة وضعيفة الإمكانيات فلم تكن تقدر على إبتزاز رجال الأعمال فجعلت نفسها فى خدمتهم، وعاشت على ما يمكن أن يسميه الباحث التسول الإعلانى، إلى أن صدرت جريدة الدستور فى ديسمبر ١٩٩٥.

صدرت الدستور بترخيص من قبرص، ورأس تحريرها إبراهيم عيسى الذى أعمل فيها مدرسة روزاليوسف الصحفية التى كان خارجا منها لتوه، أحدثت الجريدة صدمة للوسط الصحفى والسياسى والإجتماعى أيضا، فقد جعلت من تكسير التابوهات الفكرية والشخصية هدفا لها، وفاقت فى توزيعها صحفا حزبية راسخة بل صحفا قومية عمرها عدة عقود.

أجبرت الدستور جهاز الرقابة على المطبوعات أن يطبق القوانين التى فى يديه ويراجع مادة الصحف قبل السماح بطبعها، وقد طبقت هذه القاعدة على الدستور وغيرها من الصحف التى كانت تثير الغبار فى نهايات التسعينات، فقد تسرب إليها عدد كبير ممن ليست لهم علاقة بالعمل الصحفى فتحولت إلى مشروع تجارى بحت.

فى فبراير ١٩٩٨ صدر قرار بمنع جريدة الدستور من التداول داخل مصر بسبب تقرير نشرته عن بيان يحمل تهديدات من الجماعة الإسلامية بقتل رجال أعمال أقباط.

كانت الفكرة التى يعتنقها إبراهيم عيسى وهو فى طريقه إلى الدستور أن يغير العالم، ولذلك كسر كل التابوهات السياسية والثقافية والإجتماعية، وإختار من أجل ذلك لغة جديدة على الصحافة يمكن أن نطلق عليها لغة الشباب، وقد كانت هذه اللغة موضع إنتقاد لأنها عامية ولا يجب أن تنزلق الصحف إلى العامية فى معالجاتها، لكن إبراهيم عيسى[(١)] ينحاز إلى تسمية هذه اللغة عامية صلاح جاهين، فهى بين العامية والفصحى، وقد رغب أن يكتب بها لأنها فى النهاية اللغة التى يتحدث بها الناس فى الشارع، ولذلك

(١) إبراهيم عيسى، مقابلة خاصة معه فى مكتبه بجريدة الدستور.

كانت الجريدة قريبة منهم.

كان لابد لهذه التجربة الجديدة من تنظير يضعها بين قوسين، وقد أشار عمرو الشوبكى[1] فى دراسة عن الجريدة حاول فيها أن يبحث عن علاقتها بالإثارة إلى أن الدستور جريدة ذات روح جديدة تساهم فى كسر تابوهات الجنس والمرأة والسياسة، وقد خرجت الجريدة من ثنائية الصحف القومية والحزبية، وهى أكثر قربا إلى مدرسة روزاليوسف الصحفية ولكن ببصمة خاصة بها، ولعل أقصى إتهام وجه للدستور كان فى إعتبارها صحيفة صفراء، لا تنتمى إلى أى من المدارس الكبرى فى عالم الصحافة، إنما هى صحافة تابلويد ممتلئة بأحاديث الإثارة والجنس وبصورة تجعلها أقرب إلى صحف التابلويد البريطانية التى تجرى وراء العلاقات الحميمة للنجوم والسياسيين والعائلة المالكة.

ويدفع عمرو الشوبكى هذا الإتهام عن الدستور حيث يقول: ورغم أن هذه النوعية من الأخبار تفرد لها الدستور مساحات واسعة وأكثر من اللازم من صفحاتها، بل إن هناك مفارقة فى الصفحة الأخيرة التى يحتوى نصفها العلوى على عمود رئيس التحرير والذى عادة ما يتعرض لقضايا وهموم وطنية شديدة الحساسية والجدية ونصفها الثانى على صور وأخبار مثيرة لنشاط بعض النجوم والفنانين فى الفنادق الكبرى والملاهى الليلية.

ويعتبر الشوبكى أن هذه المفارقة تمثل إشكالية فى الدستور، فمساحة هذه الأخبار تستحوذ على مساحة كبيرة من صفحات الدستور، وهو ما يعكس بالنسبة له عجز شريحة واسعة من المثقفين والكتاب وليس فقط صحفيى الدستور عن حل قضية «الجمهور عايز كده».

---

(١) عمرو الشوبكى، الدستور بين اليسار واليمين والجدية والإثارة، الدستور العدد الصادر فى ١٨ ديسمبر ١٩٩٦.

لكن الإتهام الأهم فى رأى الباحث الذى تعرضت له الدستور كان بأنها كانت صحيفة رجال الأعمال وقد كرر هذا الإتهام مكرم محمد أحمد فى حوار أجرته جريدة العربى فى العدد الصادر فى ٢١ إبريل ٢٠٠٢.

وقد رد عليه إبراهيم عيسى مفندا هذا الإتهام[١] ، قال موجها كلامه إلى رئيس التحرير: هذا ليس مقالا بل هو رد وتعليق على كلمات فظة وغريبة جاءت على لسان مكرم محمد أحمد (بدون ألقاب) ضمن حواره مع الأستاذ والكاتب محمد عبد القدوس، واسمح لى بمخاطبتك كرئيس تحرير لا كصديق ورفيق سلاح، فقد اتهم مكرم محمد أحمد(ولا ألقاب له عندى) جريدة الدستور التى شرفت بتأسيسها ورئاسة تحريرها (١٩٩٥ -١٩٩٨) أنها لعبت على رجال الأعمال وحاولت إبتزازهم، وهو كلام غريب أن يصدر عن نقيب صحفيين سابق، وهكذا دون دليل يملكه ولا مستند واحد تحت يديه (ولن يكون لديه ولا لدى غيره فمتى كانت هناك مستندات للأكاذيب؟).

كانت الصحف الصادرة بتراخيص أجنبية محل إهتمام الجميع، وفى ١٩٩٨ قدم الباحث طارق فهمى دراسة فى المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية عن الصحف العشوائية[٢] جاء فيها أن فى مصر عدد كبير من الصحف العشوائية لا يمكن حصره بدقة، وقد أشارت الدراسة إلى أن ٩٥٪ من أصحاب هذه الصحف ليست لديهم دراية بطبيعة العمل الصحفى ولم يحصلوا على المؤهلات اللازمة، ولم تتوافر لديهم الخبرة، فالجميع هدفه الربح وتحقيق المكاسب الإجتماعية بعيدا عن أية أهداف أخرى، ولا مانع من تقديم كل ما يحقق هذا الربح السريع عن طريق إثارة الغرائز والغيبيات.

ويتساءل الباحث فى نهاية دراسته: هل يعقل أن يتحول مبلط قيشانى إلى رئيس مجلس إدارة صحيفة، وآخرون فران وحلوانى وتاجر سيارات ومقاول وراقصة، كل هؤلاء

(١) إبراهيم عيسى فى جريدة العربى، العدد الصادر فى ٢٨ إبريل ٢٠٠٢.
(٢) جريدة أخبار الحوادث العدد الصادر فى ٢٨ يونيو ٢٠٠١.

أصبحوا مسئولين عن تحرير صحف ودخلوا إلى عالم الصحافة فى غفلة من الزمن والنقابة.

بدأت حملة شرسة من الحكومة والصحف الحكومية على الصحف الصادرة بتراخيص أجنبية وكان الإتهام الأساسى الموجه لها أنها صحف صفراء تعمد إلى الإثارة لتجذب لها القراء، وهو ما يمكن أن يساعد فى تسويق الجريدة إعلانيا.

شئ من هذا لم يكن دقيقا، فالصحف التى قصدتها الحكومة وحملة صحفها لم تكن بالخطر الكبير، فهى صحف الفساد الصغير، التى يمكن أن تبتز صاحب مصنع صغير أو مدير شركة مغمورة، للحصول على إعلان بمقابل معقول، فلم تكن هذه الصحف تطبع أكثر من خمسة آلاف نسخة، وفى معظم الحالات كانت تطبع ألف نسخة فقط توزع فى منافذ التوزيع القريبة من المعلنين، ولم يكن أصحابها يتكلفون ماديا، حيث لا لائحة للأجور فيها، بل إن الصحفيين يعملون فى النهاية فى الإعلانات، من أجل توفير مرتباتهم فى نهاية الشهر.

هذه صحف لا يمكن أن تكون مؤسسة لصحافة الإثارة، فهى كانت بالكاد تصدر من أجل توفير لقمة عيش لأصحابها، وعندما إكتشف المجلس الأعلى للصحافة أن هذه الصحف تصدر دون أن يكون العاملين فيها أعضاء فى النقابة، ألزمت الصحف التى تريد أن تستمر أن يكون رئيس التحرير على الأقل عضوا نقابيا، تحايلت هذه الصحف على القرار وظهر صحفى نقابى رئيسا لتحرير خمس مطبوعات على الأقل، حيث أفرز الظرف ما يمكن أن نطلق عليه«**رئيس تحرير بالإيجار**»أو « **رئيس تحرير الكارنيه**»حيث أن الجريدة تستغل الكارنيه الذى يحمله مقابل مبلغ شهريا حتى تتمكن من الصدور.

■ الصحف الخاصة

نصت المادة ٤٥ من القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٦ على أن حرية إصدار الصحف للأحزاب السياسية والأشخاص الإعتبارية العامة والخاصة مكفولة طبقا للقانون،

ونصت المادة ٥٢ من نفس القانون على أن ملكية الأحزاب السياسية والأشخاص الإعتبارية العامة والخاصة للصحف مكفولة طبقا للقانون، وأخذ المشرع المصرى بنظام الترخيص المسبق لإصدار الصحف، فلم يكتف بالإخطار ولكن ربطه بموافقة المجلس الأعلى للصحافة على هذا الإخطار.

ولا يجيز القانون لجميع الأشخاص الإعتبارية الخاصة تملك الصحف بل يقرنها بشكل قانونى محدد، وهو شكل الشركات المساهمة، فينص فى القانون فى الفقرة الثانية من المادة ٥٢ على أنه يشترط فى الصحف التى تصدرها الأشخاص الإعتبارية الخاصة فيما عدا الأحزاب السياسية والنقابات والإتحادات أن تتخذ شكل تعاونيات أو شركات مساهمة، على أن تكون الأسهم جميعا فى الحالتين إسمية ومملوكة للمصريين وحدهم وألا يقل رأسمال الشركة المدفوع عن مليون جنيه إذا كانت الصحيفة يومية، ومائتين وخمسين ألف جنيه إذا كانت الصحيفة أسبوعية، ومائة ألف جنيه إذا كانت الجريدة شهرية، ويودع رأس المال بالكامل قبل إصدار الصحيفة فى أحد البنوك المصرية، ويجوز للمجلس الأعلى للصحافة أن يستثنى من بعض الشروط سالفة البيان، ولا يجوز أن تزيد ملكية الشخص وأفراد أسرته وأقاربه حتى الدرجة الثانية فى رأس مال الشركة على ١٠٪ من رأس مالها، ويقصد بالأسرة هنا الزوج والزوجة والولاد القصر(١) .

بهذا القانون توالت الصحف الخاصة بداية من العام ١٩٩٦، وكانت أولها جريدة النبأ التى صدرت تحديدا فى ٢ يونيو من نفس العام، ولم تخرج النبأ من العدم، فقد كان لها إصدار بترخيص أجنبى بنفس الإسم، وكان العدد الذى صدر برخصة مصرية هو العدد رقم ٣١٢ من الجريدة، صدرت بعد ذلك صحف الأسبوع وصوت الأمة و الميدان والجماهير والخميس ومؤخرا المصرى اليوم والكرامة والبديل والحادثة (تغير إسمها إلى

(١) نجاد البرعى، المقصلة والتنور، مشكلات حرية التعبير فى مصر ٢٠٠٢- ٢٠٠٣ المشكلات والحلول (القاهرة، المجموعة المتحدة، ٢٠٠٤) ص٣٢٢.

الطريق) والدستور فى إصدارها الثانى المصرى، ثم صدرت فى فترات لاحقة اليوم السابع والشروق، وهى صحف تتنوع فى دورية صدورها ما بين اليومى والأسبوعى.

حصل أصحاب هذه الشركات على ترخيص الصدور بصعوبة بالغة، وكانت هناك أهداف متعددة من إصدارها، على رأسها بالطبع التوزيع والربح، فهى ليست مشروعات غير هادفة للربح، ولا يمنع بالطبع أن تكون هناك رغبة فى الربح تتجاور مع الإهتمام بالقضايا المجتمعية، خاصة أن الصحفيين العاملين فى هذه الصحف كما رصدت أميرة العباسى[1] أكدوا على أن دور هذه الصحف من وجهة نظرهم هو الإهتمام بالقضايا التى أهملتها الصحف الأخرى، والكشف عن مظاهر الفساد والأخطاء فى المجتمع، ومن ثم حمايته من الإنحرافات والتركيز على القضايا التى تشغل الرأى العام.

يتبلور فى هذه الصحف تحديدا كل ملامح صحافة الإثارة، أولا لأن هناك دافع وراء إستخدام هذا النمط وهو التوزيع والإنتشار، وثانيا لأنه لم تكن هناك مرجعية مهنية ضخمة وراء صناع هذه الصحف رغم إنتماءاتهم السابقة إلى مؤسسات قومية، فقد بدأوا العمل فى الصحف الخاصة بفلسفة جديدة لأن الأهداف التى كانوا يعملون من خلالها فى مؤسساتهم الحكومية أو حتى الحزبية تختلف تماما عن الأهداف التى تحيط بهم فى مؤسساتهم الخاصة.

*** وقد مرت الصحف الخاصة بمرحلتين:**

المرحلة الأولى : وتمتد من العام ١٩٩٦ وهو العام الذى ظهرت فيه للوجود حتى عام ٢٠٠٥، وهى مرحلة كانت تتبع ما يمكن أن نطلق عليه عملية المواءمة السياسية والإقتصادية، المواءمة السياسية مع النظام الحكام وقواه المختلفة، وذلك لأنه لم يكن هناك يقين كامل بأن النظام يمكن أن يسمح بحرية مطلقة فى الصحافة، ولذلك مرت الصحف

(١) أميرة العباسى، رؤية الصحفيين فى الصحف الخاصة المصرية لأخلاقيات الممارسة المهنية، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمى التاسع لكلية الإعلام، مايو ٢٠٠٣.

الخاصة بإختبارات عديدة حاولت أن تنجح فيها لسبب أن عدم النجاح يمكن أن يكلفها وجودها من الأساس، وهو ما حدث مع جريدة النبأ، بعد أن نشرت تقرير راهب دير المحرق فى يونيو ٢٠٠١، وهو تقرير اختلط فيه الدينى بالسياسى والمهنى باللاأخلاقى، وهو ما دعا إلى إغلاق الصحيفة وسجن صاحبها وشطبه من نقابة الصحفيين.

لقد اعتبر محرز غالى[1] أن نقد الصحف الخاصة للنظام فى مصر يتم بشكل ضمنى غير صريح وذلك سعيا وراء تحقيق الأرباح، حيث لا توجد ضمانات قانونية كافية لإستمرار هذه الصحف خاصة أن الواقع الفعلى وممارسات السلطة السياسية قد أسهمت فى إجهاض بعض التجارب.

ويرى الباحث أن فى ذلك منح للصحف الخاصة فى مصر ما لا تفعل وفى الوقت نفسه ما لا تستحق، فالقانون الذى يحكم هذه الصحف على الأقل فى مرحلتها الأولى أنه لا نقد للنظام - والنظام فى عرف الصحف هو الرئيس شخصيا - قد تكون هناك أمور الرئيس هو المسئول عنها لكن الصحف تعلق الجرس فى رقبة الحكومة وتطالب بمحاسبتها رغم علمها المؤكد أن الحكومة برئية مما تنسبه، أو على الأقل ليست مسئولة عما وقع من أخطاء بشكل كامل.

وبعيدا عن الإثارة السياسية فى الصحف الخاصة، فقد دأبت هذه الصحف على أن تطرق أبواب قضايا جديدة، تناولتها من خلال فلسفة واحدة وهى كسر التابوهات، فهى تقدم للقراء ما يفارق المعتاد ويصطدم مع الثوابت سواء كانت إجتماعية أو سياسية أو دينية، وهو ما إمتد معها فى المرحلة الثانية أيضا.

المرحلة الثانية : وبدأت منذ عام ٢٠٠٥ ولا تزال ممتدة، وهو العام الذى صاحبه متغير سياسى مهم حيث أعلن الرئيس مبارك عن تغيير الدستور بحيث يتيح للمصريين إنتخاب الرئيس من بين أكثر من مرشح، كان لابد لهذا المتغير أن يصاحبه إنفتاح فى إتجاه

(١) محرز حسين غالى، العوامل الإدارية المؤثرة على السياسة التحريرية فى الصحف المصرية، ماجستير (جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة، ٢٠٠٣) ص ٦٩.

آخر وهو الصحافة.

قبل ٢٠٠٥ كان الرئيس مبارك وعائلته بالنسبة للصحف الخاصة خطا أحمرا ومساحة محرمة من يقترب منها وكأنه يقترب من سدرة المنتهى، لا يلبث أن يحترق، لكن بعد هذا المتغير وصدور جريدة الدستور فى إصدارها المصرى، وصدور جريدة الغد إلى جوارها لتعبر عن حزب الغد الذى أسسه ورأسه أيمن نور والذى رشح نفسه فى الوقت نفسه لرئاسة الجمهورية، ارتفع السقف السياسى وهو ما جعل سقف الإثارة السياسية يرتفع أيضا، فقد نشرت الصحف عن الرئيس وعائلته ما لم ينشر من قبل، لكن هذا النشر مر إلى حد ما بسلام، وهو ما يحتاج إلى تفسير.

إبراهيم عيسى[١] من جانبه أشار إلى أن الظرف السياسى جعله يغير توجهه المهنى، فبعد أن كان يريد أن يغير العالم فى الدستور القبرصى، من خلال كسر التابوهات، أصبح يصيغ موقفه على قاعدة «إذهب إلى فرعون»[٢] فى إصداره المصرى، وبذلك رفع سقفه المهنى والسياسى إلى الرئيس وعائلته، وهى صيغة ضمنت للدستور توزيعا كبيرا.

كانت صورة الرئيس مبارك على الصفحة الأولى للصحف الخاصة والحزبية أمر لا يضمن لها الرواج والتوزيع، تأسيسا على أن الصحف لا تستطيع أن تتعرض للرئيس بالنقد فهو منطقة محرمة، ولما كان القراء لا يرغبون فى قراءة مديح زائد فى الرئيس، حيث يكفى ما تقوم به الصحف الحكومية، فإن توزيع الصحف الخاصة التى تضع صورة الرئيس على الصفحة الأولى يقل توزيعها على الأقل بنسبة ١٠٪.[٣] .

---

(١) إبراهيم عيسى، مقابلة خاصة معه.

(٢) جملة يقصد بها إبراهيم أنه قرر أن يتصدى للرئيس شخصيا وفى الجملة تناص مع الآية القرآنية الموجهة إلى موسى وهارون عليهما السلام «إذهبا إلى فرعون إنه طغى»، أى أنه يعتبر الوقوف فى وجه الرئيس بشكل مباشر تكليف إلهى.

(٣) هذه النسبة يرددها صناع الصحف الخاصة، لكن لا توجد إحصائية علمية تؤكدها أو تنفيها، وإن كانت تقارير التوزيع التى ترد من شركات التوزيع يمكن أن تكشف أمرا مثل هذا.

لكن إبراهيم عيسى كما يرى كسر هذه القاعدة، حيث جعل من الموضوعات التى تتناول الرئيس وأسرته تزيد فى توزيع الجريدة، للدرجة التى أصبح معها يفتقد هو والقراء صورة الرئيس فى الصفحة الأولى، إذا حدث ونزل العدد أى عدد بدونها.

لكن لا يمكن أن يقول الباحث أن الصحف الخاصة هى التى رفعت هذا السقف وحدها، بل إن التفسير المقبول لدى الباحث أن هذا النمط الصحفى لم يخرج من العدم بل كانت هناك مقدمات مهنية وسياسية له، وكانت تحديدا فيما قامت به جريدتى الشعب والعربى الحزبيتين، وهو ما ينقل الباحث إلى الرافد الثالث من روافد صحافة الإثارة فى عصر الرئيس مبارك.

■ الصحافة الحزبية

يذهب عبد الله السناوى[1] إلى أن هناك عاملان مهمان فى الطفرة التى حققتها الصحافة الحزبية السياسية فى مصر، الأول داخلى وهو طول فترة بقاء الرئيس مبارك فى الحكم، والثانى خارجى وهو إحتلال أمريكا للعراق فى مارس ٢٠٠٣، وقد منح العامل الثانى تحديدا الصحف مساحة كبيرة لأن تمضى بعيدا فى نقد النظام المصرى دون أن يعصف بها، فالنظام الذى بقى طويلا ويريد أن يورث الحكم من بعده عليه أن يدفع فاتورة هذا التوريث، أن يدفع تكاليف سيناريو التوريث ويقبل فكرة الهجوم عليه، وبالفعل بدأ النظام يسمح بما لا يسمح به من قبل، فقد وصلت الإنتقادات إلى محاولة هدم شرعية وجوده نفسها.

لقد إستغلت الصحف الحزبية وتحديدا جريدة العربى أن أمريكا وهى تطيح بصدام حسين كانت تفعل ذلك لأنه ديكتاتور، ولذلك كان القرار الذى أعلنه عبد الله السناوى لزملائه فى جريدة العربى هو أن الجريدة ستخرج لتعترف بالهزيمة وأطلقت عليها النكبة، وسوف تؤيد أى رصاصة تطلقها المقاومة حتى لو كانت رصاصة واحدة.

(١) عبد الله السناوى، مقابلة معه فى مكتبة ديوان بالزمالك، فى ١٧ أغسطس ٢٠٠٨.

وفى العدد التالى مباشرة دخلت الجريدة كما يقول عبد الله السناوى أطول حملة على النظام فى مصر لإنهاء الديكتاتورية ، قرر أن يكون الهجوم كاسحا، وذلك بعد أن رأى أن لديه فرصة جيدة لنسف السد الخاص بالنظام الذى يحبس خلفه تيارات التغيير.

فى رأى الباحث أن هذه الممارسة التى قامت بها جريدة العربى منذ العام ٢٠٠٠ هى التى جعلت الصحف الخاصة عندما تدخل هذه المساحة تجد الأرض ممهدة أمامها.

ورغم أن فاروق أبو زيد[١] يستبعد أن تكون جريدة العربى لعبت هذا الدور لأنها فى النهاية لا تنحو إلى الإثارة لأنها تنتمى إلى المدرسة الصحفية الناصرية وهى مدرسة ضد الإثارة وتميل إلى المحافظة حيث هى بالأساس صحافة موجهة.

لكن عبد الله السناوى يؤكد على أن العربى هى التى قادت الإثارة السياسية فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، وقد وصلت الجريدة فى معالجاتها حدا من الشجاعة لم يستوعبه البعض بل كانوا يعتبرونه أمرا متفقا عليه بين الجريدة والنظام، لكنه فى الوقت نفسه يتحفظ على مصطلح الإثارة السياسية فهى بالنسبة له مصطلح عنيف يعنى الدخول فى المحرمات السياسية من أجل حذب إنتباه القارىء فقط، دون أن ينطوى ذلك على مشروع سياسى أو فكرى، ولذلك فهو يفضل مصطلح الجاذبية، التى هى ضرورة من ضرورات مهنة الصحافة.

تقود هذه الرؤية الباحث إلى أن يتتبع خيط الإثارة فى الصحافة الحزبية فى عهد الرئيس مبارك خاصة أن الصحف الحزبية التى كانت مشتعلة فى السبعينات خبت جذوتها، واشتعلت نيران صحف حزبية أخرى، ففى عهد الرئيس مبارك صدرت صحيفة الوفد فى ٢٢ مارس ١٩٨٤ [٢] صدر العدد الأول من جريدة حزب الوفد الجديد، شعارها الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة، وهى كلمة مأثورة للزعيم سعد زغلول، تولى رئاسة

(١) فاروق أبو زيد ، مقابلة معه.

(٢) خليل صابات، مرجع سابق، ص ١٧٨ .

مجلس إدارتها محمد فؤاد سراج الدين، ورأس تحريرها مصطفى شردى.

حملت إفتتاحية العدد الأول منهج الجريدة الجديدة، كتبها محمد فؤاد سراج الدين، قال:لقد صدرت هذه الصحيفة لتعارض بكل ما تملك من قوة، وهى تفهم المعارضة على أنها واجب وطنى جليل تتعاظم خطورته وتشتد حاجة الأوطان إليه فى مثل ظروفنا الراهنة.

الإثارة التى قدمتها جريدة الوفد كانت خارجة من مدرسة أخبار اليوم، فقد رشح مصطفى أمين مصطفى شردى ليتولى رئاسة تحرير الوفد، ووافق فؤاد سراج الدين على هذا الترشيح، وعندما دخل شردى إلى الوفد كان معه جمال بدوى وعباس الطرابيلى، وهم جميعا من أبناء مدرسة أخبار اليوم، عمل معهم سعيد عبد الخالق الذى سرعان ما إندمج معهم وأصبحت أدبيات أخبار اليوم الصحفية هى المسيطرة على الصيغة التى تعمل بها جريدة الوفد.

ويحسب لجريدة الوفد أنها هى التى أدخلت الأخبار المجهلة إلى الصحف الحزبية والخاصة بعد ذلك، وذلك من خلال الباب الذى أنشأه وأشرف عليه سعيد عبد الخالق وهو باب العصفورة، يقول سعيد عبد الخالق[1] : هو أول باب فى الصحافة المصرية يقدم الأخبار المجهلة والمثيرة، لم تكن أسرار، ولكنها كانت للتشويق، أثناء العمل تكون لدى معلومة عن فلان لكنها غير موثقة، لا توجد لدى وثائق عليها، فكيف أنشرها، السبيل الوحيد لذلك هو أن أنشرها بطريقة مجهلة مع مراعاة أن أضع فى الخبر ما يشير إلى أبطاله.

يرى سعيد عبد الخالق أن هذا الأسلوب نجح فى الصحافة حيث كانت تتصل به الجهات الرقابية وخاصة الرقابة الإدارية التى كانت تجمع المعلومات عن الأخبار التى تنشر وتم الإيقاع بمسئولين كبار بسبب أخبار باب العصفورة.

كان الدافع لهذا الباب أن الدولة تتستر على الفساد وتحجب المستندات التى تشير إليه

(١) سعيد عبد الخالق، مقابلة معه فى مكتبه بجريدة الميدان.

وتكشفه، ويكون الصحفى على ثقة بأن الخبر صحيح، لكنه لا يستطيع أن ينشره بشكل صريح فيلجأ إلى تجهيله.

ساهم باب العصفورة فى زيادة توزيع جريدة الوفد، فقد وصل توزيعها مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات إلى ٨٠٠ ألف نسخة، وعندما احتدمت الخلافات الداخلية فى الجريدة تم إيقاف باب العصفورة فتراجع توزيع الجريدة، وعندما منح مصطفى أمين سعيد عبد الخالق جائزته فى الصحافة عن العام ١٩٩٥ ، قال له أنه منحه الجائزة لأن جريدة الوفد ألغت باب العصفورة، وقد تراجع توزيعها وهو أكبر دليل على نجاح هذا النمط من الأخبار.

لقد إعتمدت جريدة الوفد فى نمط الإثارة على الخبر والحملات الصحفية التى تعتمد على الأحداث السياسية الساخنة، وفى رأى سعيد عبد الخالق أن المناخ السياسى هو الذى يساعد صحافة الإثارة على العمل، ففى الفترة من أواسط الثمانينات ومنتصف التسعينات كانت مصر حافلة بالأحداث وكان الفاعلون على المسرح السياسى يستحقون الإشتباك معهم، أما فى السنوات الأخيرة فقد نزل اللاعبون الكبار من على المسرح العام، فبهتت الصحف الحزبية ولم تعد قادرة على العمل، لا تقدم حملات صاخبة وإذا فعلت ذلك فإنها فى الغالب تكون مدفوعة لتحقيق مصالح معينة.

فى ١٩٩٤ صدرت جريدة العربى عن الحزب العربى الناصرى بعد محاولات متعسرة واجهت ولادة الحزب، وتولى رئاسة تحريرها عبد الله إمام، وظلت حتى عندما إنتقلت رئاسة تحريرها إلى محمود المراغى، تستعرض أمجاد الماضى الناصرى، حتى تولى رئاسة تحريرها عبد الله السناوى، يعاونه عبد الحليم قنديل كرئيس تحرير تنفيذى، إنتقلت الصحيفة إلى جريدة سياسية، لا تعبر عن الخط العام للحزب، بل جعلت من الهم العام أجندة لها، ويصف الباحث ما حدث فى الجريدة بأنه كان بمثابة محاولة إختطاف للجريدة بعيدا عن المنطق الناصرى فى العمل السياسى وهو المنطق الذى يقوم على الشعارات

والهتاف والرأى المجرد، فقد قدمت العربى على يد السناوى وقنديل معالجات تعتمد على المعلومات والتحليلات العلمية والمواقف الواضحة والصريحة من النظام السياسى.

إلى جوار العربى كانت لا تزال تعمل جريدة الأحرار وأدى تعدد رؤساء تحريرها إلى تذبذب مستواها لكنها ظلت محتفظة بخطها الليبرالى، وجريدة الأهالى التى أعاقها دخول الحزب فى صفقات عديدة مع الدولة سواء كانت صفقات سياسية أو إقتصادية، وتم إختطاف جريدة الشعب من قبل جماعة الإخوان المسلمين فأصبحت صوتهم، وكان من الطبيعى أن تنتهى جريدة الشعب على يد أحد الكتاب الإخوان وهو محمد عباس الذى كتب مقالا تحريضيا فى أغسطس ٢٠٠٣ على رواية وليمة لأعشاب البحر للروائى السورى حيدر حيدر، وهو المقال الذى بلغ ذروة الإثارة ذى المرجعية الدينية وقد ترتب عليه أن خرجت المظاهرات تطالب بإحراق الرواية وإستقالة وزير الثقافة الذى سمح بطباعة الرواية فى مصر فى طبعة شعبية رغم أنها تسخر من القرآن الكريم والرسول.

أغلقت جريدة الشعب على أثر هذا المقال التحريضى الإثارى، وبعد عام يكتب مجدى أحمد حسين رئيس تحرير الجريدة[١] :

أى نظرة مسئولة تراعى المصالح الوطنية والقومية العليا للوطن لابد أن تدرك أن غياب (الشعب) كمنبر وطنى ، عربى ، إسلامى .. هو إضعاف للجبهة الداخلية .. ومحاصرة لموقع نذر نفسه وكل طاقاته ضد الحلف الصهيونى – الامريكى .. ولم يتخل لحظة عن فكرة حشد كل الطاقات الوطنية لمواجهة التهديدات الخارجية لأمننا الوطني والقومي .

وفي إطار التعددية التي تحكم نظامنا السياسى .. والتوازن بين السلطات .. فإن تجاهل الحكم لتنفيذ ١١ حكما قضائيا ينص صراحة على العودة الفورية لجريدة الشعب .. هو ضرب صريح للدستور واستقلال القضاء وحجية أحكامه .. ولا نتصور أن ذلك يمكن

(١) مجدى أحمد حسين، ومر عام على إغلاق الشعب، موقع ثقافة وفن ميديا، فى ١٥ أغسطس ٢٠٠٤.

أن يحقق استقرارا أو أوضاعا طبيعية داخل المجتمع ، بل يفتح الأبواب على مصاريعها للفوضى .

ويتعرض مجدى أحمد حسين لموقف النظام السياسى من المعارضة فى مصر يقول:تنعكس الحرب على حرية الصحافة وهى ناشئة عن الضيق بالمعارضة وبالرأى الآخر .. في إنخفاض مستوى ومساحة حرية التعبير .. رغم الزيادة الشكلية لعدد الصحف .. والتساهل مع إصدار الصحف ذات الترخيص الأجنبى لأنها تكون تحت السيطرة ، بل تحت الرقابة السافرة ، وأعنى إنخفاض مستوى ومساحة حرية التعبير في القضايا الجادة التي تمس المصالح العليا للوطن .. وفى المقابل إتساع صحافة الاثارة ، والإثارة الجنسية خصوصا ، والإعلانات المغلفة ، والهبوط والإسفاف عموما ، مع التوسع في صحافة الفضائح الشخصية .. ونشر تفاصيل الحوادث التى تسجل فى الأقسام والنيابة .. حتى مع مخالفة ذلك للقوانين كما سجلت ذلك التقارير المتوالية للمجلس الأعلى للصحافة والتى لا يعيرها أحد انتباها .. والتى تكشف أن أقل الصحف إرتكابا لممارسات تخرج على آداب وقواعد المهنة هي الصحف المعارضة الجادة التى لا يزيد عددها على أصابع اليد الواحد ومن بينها صحيفة (الشعب) .

ولا ينكر مجدى أحمد حسين أن صحيفة الشعب كانت تعتمد على الإثارة[1] ، بل إن الشعب كما يقول إعتمدت فى معالجاتها على عناصر كانت تريد منها زيادة جاذبية المادة الصحفية، وهى فى النهاية وسائل مشتركة مع صحف الإثارة العادية وتم توظيفها بشكل معتاد مثل الصورة والكاريكاتير والمقال المنشور على مساحة الصفحة الأولى بالكامل، وإستخدام عناوين كبيرة الحجم.

لكن ما يميز الإثارة السياسية فى الشعب أنها كانت تشتبك وبعنف مع رجال النظام الذين كان يبدو أنهم محصنين ضد النقد وكان منهم يوسف والى وحسن الألفى وزير

(١) مجدى أحمد حسين، مقابلة خاصة معه.

الداخلية، وكانت الجريدة تلجأ إلى الإثارة فى العناوين، كما يقول مجدى أحمد حسين من خلال وضع عناوين صادمة وغير معتادة مثل وصف وزير الداخلية بأنه زعيم عصابة ويوسف والى بالخيانة العظمى، ويرى مجدى حسين أن الصراحة والوضوح وقول الحق قد يكون أكثر إثارة من الإعتماد على الإثارة المعتادة بالجنس والدين وغيرها.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن التضييق على الصحف الجادة فى عصر مبارك تم بالتزامن مع منح مساحات واسعة لصحف الفضائح التى جذرت لصحافة الإثارة فى مصر، وهنا يشير الباحث إلى أن بعضا من الصحف الحزبية كانت متورطة فى صناعة الإثارة الجنسية والقائمة على الترويج للخرافات والفكر الغيبى، ويشير لطفى عبد القادر[1] إلى أن الصحف الصفراء زادت فى مصر بعد رفع الرقابة عن الصحف واستغناء الدول العربية عن عدد كبير من الصحفيين الذين يعملون بها، فعندما عادوا بحثوا عن فرصة لممارسة مهنتهم، وفى العموم فالصحافة الصفراء ليست قاصرة على الصحف التى تمتلك ترخيصا من قبرص فبعضها يصدر بترخيص مصرى مثال ذلك حزب الأحرار الذى يمتلك ١٨ ترخيصا أشيع أنها مؤجرة.

كان لابد للباحث أن يحقق معلومة تأجير الرخص من حزب الأحرار تحديدا، وهو ما أشار إليه وأكده فاروق أبو زيد[2] حيث قال أن الرئيس السادات سمح لمصطفى كامل مراد وفعل الأمر نفسه معه الرئيس مبارك بعد ذلك بتأجير رخص الحزب الصحفية كنوع من الدعم المالى والتمويل المادى للحزب، لكن ما حدث كان مختلفا بعض الشئ عما أشار إليه فاروق أبو زيد.

كان مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار يحلم بأن يصدر حزبه صحيفة فى كل مكان[3] وقرر أن يحصل أبناء الحزب على رخص الصحف مجانا، ويمكن لهم أن يتبرعوا

---

(١) لطفى عبد القادر، مرجع سابق.

(٢) فاروق أبو زيد، مقابلة معه.

(٣) عصام كامل ، مقابلة معه.

للحزب كلما سمحت ظروفهم بذلك، فى هذا الإطار صدرت صحف الفلاح المصرى والعامل المصرى والأسرة العربية، وصدرت انصحيفة الأخيرة لتهتم بكل ما يجمع بين الدول العربية وتقلل من شأن ما يفرق بينها.

بدأت فكرة تأجير الرخص تحديدا من جريدة الأسرة العربية ، فى عام ١٩٨٣ طلب الإخوان من مصطفى كامل مراد رخصة، سأل مراد الرئيس مبارك أولا عن إمكانية منح الإخوان هذه الرخصة، فرد عليه بأن هذا تيار غير شرعى وليس من حقه أن يحصل على رخصة جريدة، لكن كانت وجهة نظر مصطفى كامل مراد أن الإخوان تيار قائم وموجود بالفعل فى الشارع المصرى، وبدلا من أن يعملوا فى الخفاء، يصدروا صحيفة حتى يكون خطابهم وكلامهم ومعارضتهم فى العلن أيضا.

وافق الرئيس مبارك على منح الإخوان رخصة الأسرة العربية، وعين مصطفى كامل مراد رئيسا لمجلس إدارة الجريدة من الحزب بصفة مراقب لخطها العام، وذلك حتى لا تصطدم مع الليبرالية التى هى أساس الحزب، وكان إيجار الرخصة شهريا عبارة عن ١٠ آلاف جنيه تدفع فى شكل تبرعات.

بعد الإخوان جرت إتصالات بين بعض رموز اليسار ومصطفى كامل مراد، حيث طلب منه فريد زهران رخصة صحيفة، قال له زهران إننا نمثل يسار اليسار وتجربة الأهالى لم تعد مجدية لنا، والأحرار حزب ليبرالى، منحهم مصطفى كامل مراد رخصة جريدة باسم أخبار الصباح وقال لفريد زهران لو حققت الجريدة مكاسب يمكن أن تتبرع بأى مبلغ للحزب، لكن التجربة لم تكتمل.

وفى سياق منح أبناء الأحرار رخص مجانية صدرت المواجهة لوحيد غازى، والعروبة لجمال عبد السميع، وحديث المدينة لأسامة الكرم، والحقيقة لمحمد عامر، وآفاق عربية لمحمود عطية، ولم يكن تأجير هذه الصحف منتظما حتى عام ٢٠٠٤ عندما تولى حلمى سالم رئاسة الحزب حيث فرض إيجارا للرخصة من ٥ إلى ١٠ آلاف جنيه.

من بين هذه الصحف تحديدا برزت المواجهة وحديث المدينة كصحف إثارة بل إن الصحف الحزبية دخلت تحت مظلة الإثارة السلبية بسبب إنتساب هاتين الصحيفتين لها، صدرت حديث المدينة عام ١٩٩٥، كان حسنى رشوان أمين حزب الأحرار فى القاهرة يستغل مقر الأمانة فيها أسماه العلاج بالقرآن، وكان وقتها مقر جريدة النور، أقنع رشوان مصطفى كامل مراد أن العلاج البديل هو المسيطر على العالم كله الآن، ويمكن أن نصدر جريدة تعتمد على هذا الأسلوب من العلاج.

وافق مراد وبدأت حديث المدينة تعتمد على موضوعات العلاج بالقرآن لكنها سرعان ما تحولت إلى معالجة موضوعات الجن والعفاريت والجنس الصريح بالصورة والمضمون.

أما المواجهة فبعد أن خرج وحيد غازى من الأحرار فى أغسطس ١٩٩٦ منحه مصطفى كامل مراد رخصتها كنوع من مكافأة نهاية الخدمة، وقرر وحيد غازى أن يجعل من جريدته جريدة إثارة إجتماعية بها مسحة سياسية، يعتمد على صورة كبيرة فى يسار الصفحة الأولى فى الغالب تكون عارية لممثلة أجنبية، وعناوين تتزاوج بين الدين والجنس والسياسة.

نجح وحيد غازى فى زيادة توزيع جريدته وكان لذلك جذوره منذ عمل فى جريدة الأحرار، لقد قفز بتوزيعها إلى ٣٠٠ ألف نسخة، وكان لذلك سببه، فى حوار خاص أجرى مع وحيد غازى بمناسبة مرور ٢٥ سنة على صدور جريدة الأحرار[١] كان السؤال:

- قالوا أنك عندما انخفض توزيع الجريدة لجأت إلى إعادة رونقها من خلال قصة «مدام شلاطة»، وكانت تجربة جديدة على السوق رفعت التوزيع وقالوا أنها قصة جنسية، أم أنك كنت تناقش دور المرأة بعد غزو قطاع سيدات الأعمال؟

وكانت الإجابة:

- قصة مدام شلاطة هى رواية بمعنى الكلمة ويشرفنى أن أثنى عليها الأستاذ إحسان عبد القدوس ودعانى إلى مكتبه على فنجان شاى وكان معى الزميل هشام طنطاوى،

(١) عصام كامل وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٦.

وبعدها مباشرة أرسل لى نجله الصحفى محمد عبد القدوس ليبدأ حياته الصحفية فى جريدة الأحرار وكان أول حوار أجراه محمد عبد القدوس فى حياته الصحفية ونشر فى الأحرار بعنوان «حوار بين ملتح وراقصة»، وكان هو الملتحى أما الراقصة فكانت سهير زكى.

يمكن أن نعتبر وحيد غازى هو من أدخل الجنس فى الصحافة الحزبية إذن، لكن على كل حال لم تكن «مدام شلاطة» إغراقا فى الجنس المكشوف فقد كانت لونا روائيا أراد من خلاله رئيس التحرير أن يرفع توزيع جريدته، وهو أسلوب قديم كان يتبعه إحسان عبد القدوس فى روزاليوسف، فكلما هبط التوزيع كان يكتب رواية جديدة، ويبدأ فى نشر حلقاتها حتى لو لم يكن قد أكمل كتابتها بعد.

ما فعله وحيد غازى على إستحياء فى الأحرار فعله بتوسع شديد فى المواجهة، ومن هنا تحديدا تأتى المفارقة فلا يمكن أن نتهم الصحف الحزبية بأنها صحافة إثارة جنسية لأن هناك صحفا تحمل رخصا حزبية تقدم هذا النمط فهذه الصحف فى النهاية لا تمثل إلا نفسها ولا تعبر إلا عن رأس المال الذى يقف وراءها، وهو رأس مال يبحث عن مصلحته وربحه فى المقام الأول، بصرف النظر عن قيمة المضمون الذى تقدمه.

■ الصحف الحكومية

هل يمكن أن نعتبر الصحف الحكومية هى الأخرى رافدا من روافد صحافة الإثارة فى مصر؟

إن الصحف الحكومية التى يطلق عليها تجاوزا الصحف القومية فى الصورة النهائية لها تعتبر لدى القراء الصحف المحافظة الوقورة التى تحافظ على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، ثم أن الصحف الحكومية ليس لديها هم زيادة التوزيع، فالحكومة تتكفل بالإنفاق عليها وتسديد مرتبات العاملين فيها فى بداية كل شهر حتى لو كانت خسائرها فادحة، ولذلك فلا تحتاج هذه الصحف فى الغالب إلى آليات أو معالجات مثيرة تساهم

معها فى زيادة التوزيع.

ويعتبر الباحث أن إجتهاد صحيفة قومية ودخولها فى مساحات توزيع مرتفعة يرتبط فى الأساس بشخصية رئيس التحرير الذى يديرها وطموحه المهنى الشخصى، وقد يكون هذا منطبقا على عادل حمودة الذى أحدث إنقلابا فى روزاليوسف سجل باسمه حتى الآن، فهو صاحب نقلة إعتماد الصحافة المصرية على ثلاثية «الدين والسياسة والجنس» بعد أن أرسى قواعدها فى روزاليوسف فى بداية تسعينات القرن الماضى.

كانت هناك رغبة لدى عادل حمودة أن يكون مختلفا من البداية، ورغم أن ما فعله كان تأسيسا منظما لصحافة الإثارة من خلال عمله فى مجلة حكومية، إلا أنه ينفى أن يكون ما فعله صحافة إثارة.

يقول عادل حمودة[1] :ما هى صحافة الإثارة ؟! لا يوجد شىء اسمه صحافة إثارة، ويجب أن نفرق بين الكلام المتداول والعلم، الصحافة الصفراء أو التي قيل إنها صحافة صفراء، اسمها الدقيق (الصحافة الشعبية) وهذا موجود في العالم كله.

*** ويعدد عادل حمودة أسباب نجاح الصحافة الشعبية من وجهة نظره والتى هى ثلاثة أسباب:**

السبب الأول : أنها تقف أمام الصحافة صاحبة النفوذ.

السبب الثانى : أنها تكتب بأسلوب جاد ملائم أكثر للناس، بمعنى أنك تستمتع بها، وأنت تقرأها .. فالأسلوب هو جزء من طبيعة الموضوع.

السبب الثالث : هو كيفية مواجهة الناس للسلطة، أى بكشف جزء من عيوبها، وبتحطيم جزء من شكلها وهذا جزء أساسى من وظيفتها، فالسلطة لديها الإعلام والإذاعة والتلفزيون، و.. و.. بينما أنت عندك أن تنشر صورة صاحب النفوذ وقد حضن

(١) حوار بين عادل حمودة وحكم البابا، منشور على موقع حكم البابا الإليكترونى.

امرأة ليست زوجته، أو تنشر موضوعا حول فساده، وسرقته ونصبه، وهذا النوع من الصحافة ضرورى لأنه يصنع توازنا حقيقيا، كونها في يد الناس في مواجهة الصحافة التي في يد أصحاب النفوذ.

هذا التعرض لصحافة الإثارة من أهم صانعيها فى مصر يعكس فى النهاية سمة من سمات صناعها وهو التعالى عليها، إن كلمة الإثارة الصحفية أصبحت كلمة سئية السمعة، ولذلك يتهرب منها من يعملون بها ويفضلون عليها مصطلح الصحافة الشعبية لأنه أكثر هدوءا ورقيا وتحضرا، ثم أنه يمنحهم فرصة للحديث عن أنهم يعبرون عن مشاكل الناس، لأنها صحف تكون ملك الناس، وهو ما لا ينطبق مثلا على روزا اليوسف التى كانت فى النهاية مجلة حكومية محكومة بأجندتها حتى لو منحت لها فرصة أن تكون مختلفة.

وإذا كان عادل حمودة ينفى أن تجربته فى مجلة روزاليوسف تعبر عن صحافة الإثارة ، ولكن كانت صحافة شعبية وهى نمط مطلوب ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم كله، فإن هناك تقييما مختلفا للتجربة من أحد المشاركين فيها وهو كرم جبر الذى يقول[1]: كانت تجربة عادل حمودة فى روزاليوسف حالة خاصة به وحده، كان هو منتج المجلة الأول فى الفترة الممتدة من ١٩٩٢ وحتى ١٩٩٨، وقد جاء إلى منصبه كنائب لرئيس التحرير وهو يختزن داخله تجارب كبار الصحفيين السابقين عليه مثل صلاح حافظ وفتحى غانم، وكان يخفى إعجابا خاصا بتجربة إحسان عبد القدوس، بل قد تكون تجربة إحسان هى التى شكلته نفسيا، فهى منجم لتحليل النفس البشرية خاصة فيما يتعلق بالنفس الإنسانية، وكانت الفترة التى عمل فيها عادل فترة ظهور رجال الأعمال بكثافة، فوضع نصب عينيه أن هؤلاء نجوم المرحلة القادمة فبدأ يكتب عنهم ويغطى كل ما يتعلق بحياتهم، وهى حياة فى النهاية مثيرة وتأتى الإثارة عن نمط الحياة الأسطورية التى كانوا يعيشونها ولا يعرف عنها المجتمع المصرى شيئا.

(١) كرم جبر، مقابلة خاصة معه فى مكتبه.

أحدث هذا الإهتمام تحولا فى مجلة روزاليوسف، فلم تعد مجلة الفقراء أو صوت الشعب والطبقات الفقيرة كما كانت قبل ذلك ولكنها أصبحت مجلة رجال الأعمال، وكان للتجربة سلبياتها كما يرى كرم جبر ويمكن رصد هذه السلبيات فى الآتى:

- الإفراط فى نشر الموضوعات الجنسية والإستعانة بصور مثيرة قد لا يستلزمها الموضوع.

- عدم تدقيق بعض القصص والروايات والوقائع التى كانت تنشر.

- الدخول إلى بعض المناطق ذات الحساسية وخاصة منطقة الأديان ومناقشة الثوابت بشكل فيه بعض الإستخفاف.

لكن هل كانت روزا اليوسف صحافة إثارة أم صحافة شعبية؟

لقد وضع الباحث فى البداية معيارا يفرق بين الإثارة والشعبية وهو معيار الأهمية، معيار القيمة التى يحملها الموضوع للناس، وبهذا المعيار فلا يمكن أن تكون روزاليوسف صحيفة شعبية خالصة فقد تزاوجت فيها الإثارة بالأهمية وإن كان الفصل بينهما يصبح صعبا جدا، خاصة أن هناك خيوط كثيرة تحرك هذا النوع من الصحافة.

لقد كان هناك شعورا متناميا فى الوسط الصحفى ببراءة الصحف الحكومية من تجربة روزاليوسف فى التسعينات والتعامل معها على أنها تجربة عادل حمودة الخاصة، إذ أن الصحف الحكومية لا يجب أن تكون هكذا، وأغلب الظن أن الكلام ليس عن نشر روزا للصور العارية أو الموضوعات الجنسية الصارخة خلال هذه الفترة ولكن البراءة تأتى تحديدا من إقتحام قلاع الدين والسياسية والخروج عن المألوف فى معالجتها وهو ما سار أسلوبا فى الصحافة المصرية بعد ذلك.

لكن تظل لدى الباحث قناعته أن الإثارة فى الصحف الحكومية لا تتم لزيادة التوزيع أو إنجاح الصحيفة بقدر ما تكون تعبيرا عن مشروع صحفى خاص لصاحبه يحققه مستغلا فى ذلك ما تتيحه له إمكانيات الصحيفة الحكومية، لكن بمجرد أن تنتبه الحكومة

إلى مثل هذا المشروع فإنها لا تتردد فى الإطاحة به، وهو ما حدث مع عادل حمودة عندما أبعد عن روزاليوسف فى بداية العام ١٩٩٨.

لكن المفارقة أن عادل حمودة عندما ترك روزاليوسف ظلت تنتهج نفس النهج، لم يتغير فيها شئ، قد تكون خففت من نشر الصور العارية بعض الشئ، لكن ظل مثلث الإثارة الشهير هو الذى يشكل وجدان التجربة، حدث هذا رغم أن القائمين عليها حاولوا أن يعلنوا براءتهم من التجربة كاملة.

وهنا يظهر تناقض صاغه الباحث فى سؤال توجه به إلى كرم جبر.

كان السؤال: تحاول روزاليوسف من خلاله خطابها الرسمى المتمثل فى مقالات رئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة أن تعلن براءتها من صحافة الإثارة، بل تقود حملات من الهجوم عليها وإعتبارها صحافة متجاوزة، لكنها فى الوقت نفسه وبعد هذا الخطاب تقدم معالجات مثيرة لا تخرج قيد أنملة عن النمط المثير فى الصحافة، فكيف تفسر هذا التناقض؟

وكانت الإجابة: أن روزاليوسف مجلة عاملة فى المجتمع المصرى وليست منعزلة عنه، فهى بنت التجربة السياسية التى تعمل من خلالها، لها ما لها وعليها ما عليها، ولا يمكن أن تقوم روزا بتاريخها الطويل وتجربتها الرائدة بدور المتفرج، بل تشارك فى الأحداث وحالة الحراك السياسى الموجودة فى المجتمع. وخلال إشتباكها هذا لابد لها من أن تقع فى بعض التجاوزات التى تقع فيها صحف الإثارة الحزبية والخاصة، وهى فى النهاية تجاوزات مرفوضة مهنيا وقانونيا.

***

الصحف الإقليمية

ظل الباحث يستبعد الصحف الإقليمية من قائمة الصحف التى يمكن أن تكون مصدرا من مصادر الإثارة، على إعتبار أنها صحف تقوم على التسول الإعلانى والتبعية المباشرة للمحافظات التى تصدر فيها، وعليه فهى لا تكون قادرة على الإتيان بممارسات

إثارية لا على مستوى المضمون ولا على مستوى الشكل الذى تصدر به، خاصة أنها بلا إمكانيات تقريبا تمكنها من فعل ذلك.

إلا أن الدراسة التى أعدها صبحى عسيلة وصدرت عن المجموعة المتحدة[١] بعنوان: واقع الصحافة والصحفيين الإقليميين رؤية من الداخل، وتأكيدها على أن ٤٦٪ من العاملين فى هذه الصحف يؤكدون أن الصحف المحلية تتعمد إبتزاز رجال الأعمال للحصول على إعلانات، تفتح الباب إلى إعتبار الصحف الإقليمية رافدا مهما من روافد صحافة الإثارة المصرية.

لا يعتبر الباحث أن الإبتزاز الذى تمارسه الصحف سواء كانت إقليمية أو خاصة أو حزبية أو حتى حكومية تكنيكا من تكنيكات صحافة الإثارة، ولكنه يتعامل معه على أنه مخالفة قانونية وأخلاقية تخضع للعقاب القانونى، لكن صلاح عيسى الذى يرفض ما يذهب إليه الباحث من عدم وجود صحافة صفراء فى مصر[٢] يعتبر أن الصحافة الصفراء المصرية هى تلك الصحف التى تقوم على الإبتزاز، ووجدت هذه الصحف فى مصر فى بداية القرن العشرين حيث كانت تبتز من أسمتهم أبناء الأعيان والفاسدين، كانت تحذر فلان الفلانى بالاسم بأنه إذا لم يتراجع عن كذا فسوف تنشر الجريدة الحقيقة كاملة وبعد أسبوع لا يتم النشر، بعد أن يكون فلان المقصود هذا قد دفع للجريدة ما أرادته.

صحف الأقاليم من خلال رؤية صلاح عيسى يمكن أن تكون صحافة صفراء لأنها تقوم فى المقام الأول على الإبتزاز، لكنها من وجهة نظر الباحث يمكن أن تدخل ضمن حزام صحف الإثارة، وذلك لأنها تعتمد على بعض آلياتها تحديدا فى نشر مادة الجريمة

(١) روزاليوسف اليومية ، تقرير بعنوان: مفاجأة: ١٢٪ من العاملين بالصحف الإقليمية لم يحصلوا على مؤهل جامعى و٨٥٪ منهم غير نقابيين، العدد ٩٢٢ ، فى ٢٤ يوليو ٢٠٠٨.

(٢) صلاح عيسى، مقابلة معه.

الغريبة والشاذة والجنسية، كما أنها تلجأ إلى الفبركة عادة فى نشر حوارات لم تتم مع الفنانين، فمحرروها لا يستطيعون إجراء مقابلات معهم فيكتفون بفبركتها، إعتماد أن أعداد الصحيفة لن تخرج من المحافظة ولن يرها أحد، وهو ما يحدث مع الأخبار التى تنشر أيضا فى الجريدة التى لا تهتم سوى برضا المسئولين والمعلنين عنها حتى يتم لها الدعم المطلوب.

ولا يمكن للباحث أن يغلق ملف صحافة الإثارة فى فترة الرئيس مبارك دون أن يثبت أنه فى إطار المناخ المتوتر بين الحكومة والصحافة، وإتساع الحملات الصحفية ضد الفساد، اتخذت الحكومة صحافة الإثارة ذريعة لتصفية حساباتها مع بعض الصحف والأقلام[1]، واتسمت إجراءاتها وقراراتها بالتخبط والتناقض، حيث أصدر وزير الإعلام صفوت الشريف قرارا بإلغاء ترخيص طبع وتوزيع ٦٠ صحيفة صادرة بتراخيص أجنبية، ثم أصدرت هئية الإستثمار قرارا بحظر طباعة ٣٢ صحيفة من مطابع المنطقة الحرة، ثم عادت الحكومة وأفرجت عن الصحف المحظورة، بل وشارك التليفزيون فى الإعلان عن بعض هذه الصحف التى يغلب عليها الطابع التجارى، ولا تمثل إتجاها سياسيا معينا.

وفى الوقت الذى لم يتعرض فيه أحد لصحف الإثارة، أصدر وزير الإعلام فى ٢٧ فبراير ١٩٩٨ قرارا بمنع طبع وتوزيع جريدة الدستور فى مصر، بدعوى قيام الصحيفة بنشر تقرير حول تهديد الجماعات الإرهابية بإغتيال ثلاثة من كبار رجال الأعمال الأقباط، كما صدر قرار بنقل الكاتب الصحفى عادل حمودة نائب رئيس تحرير مجلة روزليوسف إلى الأهرام، فى أعقاب حملة قادتها بعض الأقلام فى جريدتى الوفد والأهرام ضد روزاليوسف بإعتبارها نموذجا لصحف الإثارة[2] .

***

(١) المجلس الأعلى للصحافة، مرجع سابق، ص ص ١٨ – ٢١.
(٢) محمد سعد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٣٣١.

روافد صحافة الإثارة هذه لابد لها من سياق ينتجها ويساعد على دعمها، وهناك أكثر من رؤية للأسباب التى تقف وراء إنتاج هذه النمط الصحفى بأشكاله المختلفة...

- الرؤية الأولى :

يتبناها تقرير الصحافة الصفراء[1] الذى صدر عن المجلس الأعلى للصحافة فهو يعدد المتغيرات المحلية التى ساهمت فى عملية نشأة وتكوين ما يعرف بتيار الصحافة الصفراء فى مصر فى الآتى:

أولا: الإتساع المستمر فى مساحات حرية التعبير للصحافة المصرية، إذ يمكن القول أن الفترة من عام ١٩٨٢ وحتى الآن شهدت حالة استقرار وتطور للصحافة المصرية للتعبير عن مختلف الآراء فى صورة هادئة حينا وناقدة وحادة أحيانا كثيرة، وهو أمر دفع الحيوية فى مجال النقاش العام حول مختلف الشئون الداخلية والخارجية، ولتفعيل حق الصحف فى النقد وكشف التجاوزات، الأمر الذى يساهم فى تنوير الرأى العام وبلورة مواقفه وحفزه على المشاركة الإيجابية فى صناعة القرار، كما كان لحرية التعبير الصحفى نتائج إيجابية أخرى تمثلت فى تنوع الإصدارات المتاحة أمام القارئ، مما دعم حقه فى الإختيار وبما يتفق وتوجهاته وميوله، إلا أن الأمر لم يخل من بعض المظاهر السلبية أو ما يمكن تسميته بالآثار الجانبية لحرية الصحافة التى لا مفر منها، والتى تمثلت فى ظهور صحف ترغب فى الوجود فى ظل هذا السوق الصحفى المتنوع وتحاول جذب شرائح من قراء الصحف القائمة، فى ظل إنخفاض ملحوظ فى عدد قراء الصحف قياسا إلى النسبة العامة للسكان.

فما كان من هذه الصحف إلا التركيز على الجوانب التى تحجم الصحف القائمة عن التعامل معها من خلال التركيز على معالجات قضايا الجريمة والجنس فى حالاتها المنافية للذوق العام، مع توظيف آلية العناوين المضللة التى تثير لدى القراء غريزة الفضول السلبى، والأخبار المجهلة التى تنمى مناخ الشائعات، وقد أتاح مناخ حرية التعبير وعدم

(١) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الصحافة الصفراء، مرجع سابق.

وجود آليات للتصحيح الحاسم داخل النظام الصحفى المصرى أن تتسع هذه الممارسات الصحفية السلبية، خاصة فى ظل تعدد هذه النماذج الصحفية وتنافسها، ولا يعنى هذا بحال انتقاد حرية التعبير أو الدعوة لتقنينها بما يفقدها فعاليتها، إذ هى شرطا أساسيا ولازما للتنمية وأحد آليات التقدم.

ثانيا: تمكنت الصحف الصفراء بفضل حداثة هذه النوعية من الممارسات على السوق الصحفى المصرى أن تجتذب شرائح من القراء الطارئين أو العابرين للصحف، وهم فئة قراء تتمثل دوافعهم الأساسية لقراءة الصحف فى التسلية والترفيه، وحدث الرواج المؤقت لهذه الصحف، إلا أن كثرة هذه الصحف وتكرار أنماط معالجاتها قد أدى إلى إنصراف القراء، ذلك أن تعاملهم معها كان يحكمه بالأساس احتياجات طارئة وسرعان ما حدث لها تشبع، وهو الأمر الذى دفع هذه الصحف إلى مزيد من الترخص والإبتذال فى سبيل المحافظة على النسبة الباقية من القراء، فكان الإنحدار نحو مزيد من الممارسات الصحفية غير الملتزمة وكان ذلك مسئولا فى النهاية عن الأزمة التى أحدثتها الصحف الصفراء.

ثالثا: إعادة ترتيب القوى الإجتماعية وتمثلت أهم ملامحه فى صعود شريحة رجال الأعمال وتآكل دور الطبقة المتوسطة وأهميتها، تزامن معه شيوع ظاهرة الربح السريع الأمر الذى ساعد على رواج صحافة الإبتزاز، مع توظيف الإعلانات السياسية والتحريرية كرشوة مقنعة تحصل عليها بعض الصحف مقابل تخليها عن دورها فى كشف الفساد، ويرتبط ذلك بتزايد الوجود السياسى والإعلامى لرجال الأعمال، واستخدامهم لبعض الصحف فى الترويج لهم أو الدفاع عن مصالحهم، أو حتى التنديد وإدانة منافسيهم.

رابعا: قيام بعض الأحزاب بمحاولة تأجير تراخيص بعض الصحف الحزبية، الأمر الذى ساعد على ظهور صحف صفراء فى إطار منظومة الصحف الحزبية، وهو يمثل

خروجا على دور الصحافة الحزبية بإعتبارها أدوات ووسائط إعلامية تعبر عن فكر الحزب وتوجهاته، وتقوم بتعبئة الجماهير خلف مواقف الحزب.

خامسا: دخول أعداد كبيرة من الشباب غير المؤهل أو المتخصص سوق العمل الصحفى، دون الحصول على تدريب كاف أو إلمام بالقواعد والتقاليد المهنية، مما أفرز طائفة جديدة من الصحفيين غير المؤهلين علميا وغير الموهوبين وباتوا يمثلون الكادر الأساسى للصحافة الصفراء فى مصر.

سادسا: أغرى الرواج النسبى والطارئ لبعض نماذج الصحف الصفراء، عددا محدودا من الصحف القائمة، سواء القومية أو الحزبية أو الرصينة والجادة على إستعارة بعض ممارسات الصحافة الصفراء، خاصة ما يتعلق بنشر صور غير لائقة وبشكل غير مقبول أخلاقيا ولا يتفق مع ميثاق الشرف الصحفى إضافة إلى التوسع فى نشر تفاصيل بعض الجرائم ذات الطابع الجنسى.

لا يستطيع الباحث أن يعزل هذه الأسباب التى أوردها التقرير الرسمى عن رسميته، فرغم أنه يقدم أسبابا منطقية وواقعية لظاهرة الصحافة الصفراء، إلا أنها أسباب تصطبغ فى النهاية بطابع سياسى، يجعل من الظاهرة عرضا مهنيا دون أن يكون للسلطة يد فى إنتاجه وإستمراره وتنميته، وهو ما تظهره الرؤية الثانية لأسباب الظاهرة.

ـ الرؤية الثانية :

تعتمد على أن هناك إطار خارج المهنة هو الذى أدى إلى نشوء ظاهرة الإثارة الصحفية، حيث يرى نجاد البرعى[1] أن الصحف الصفراء لم يكن لها أن تنمو بمعزل عن بيئة إجتماعية تساعدها على النمو وهى بيئة يمكن وصفها بالآتى:

أولا: إزدياد الفساد بشكل عام داخل المجتمع وشيوع قيم الربح السريع وإنخفاض

(١) نجاد البرعى، مقال بعنوان:الإنكشارية والترحيلة...نظرة خاطفة على ظاهرة الفساد داخل الصحف، منشور على موقع المجموعة المتحدة الإليكترونى.

قيمة العمل والثراء بطرق غير مشروعة، ففى الماضى كانت هناك أهمية لطرق إكتساب المال ربما أكثر من قيمة المال نفسه.

ثانيا: ازدياد نفوذ رجال الأعمال وانتباههم إلى الدور الذى يمكن أن تلعبه الصحف أيا ما كانت قيمتها الفكرية أو عدد النسخ الموزعة منها سواء فى الترويج لهم أو الدفاع عن سياساتهم أو حتى تحطيم منافسيهم.

ثالثا: وجود ظاهرة التشرذم داخل النخبة الحاكمة، مما استدعى أن يحاول كل فريق استقطاب عدد من الصحف للقتال فى معارك نيابة عنه، وهى ظاهرة قديمة عرفت باسم فرق الإنكشارية، والإنكشارية على ما هو معروف هى جماعات استقدمتها الدولة العثمانية للقتال بحيث أصبحوا مقاتلين محترفين بصرف النظر عمن يقاتلونه أو من يقاتلون تحت رايته.

رابعا: ازدياد البطالة داخل المجتمع وعدم وجود فرص عمل حقيقية لخريجى الجامعات، مما دفع عددا كبيرا منهم إلى دخول سوق العمل الصحفى دون الحصول على تدريب كاف أو الإلمام بأية تقاليد مهنية سليمة فيما عرف باسم «صحفيين التراحيل».

خامسا: مصادرة الدولة لحرية الصحافة، ساعد بدوره على إنتشار تلك الظاهرة، فالدولة لا تسمح بإنشاء صحف مستقلة قوية أو ذات وزن، ولكنها تسمح فقط بإصدار مجموعة من الصحف العشوائية أو ذات الصلة بالدوائر الأمنية حتى تستغل فسادها وانفلاتها فى التدليل على أن حرية الصحافة هى المرادف للفوضى.

هذه رؤية تعيش على الرؤية الرسمية لكنها تضيف إليها بعض الهوامش التى تدين النظام السياسى، وقد حاول الباحث أن يعمق هذه الرؤية بعض الشئ مع نجاد البرعى[1] وكان السؤال عن علاقة السلطة بصحافة الإثارة وفى هذا الصدد أشار البرعى إلى عدة أسباب للظاهرة يمكن أن نربط بها بين السلطة وهذا النمط من الصحف وهى:

(١) نجاد البرعى ، مقابلة خاصة معه، فى دينوس المعادى فى ١١ أغسطس ٢٠٠٨.

أولا: النظم التسلطية هى التى تشجع هذا النوع من الصحف وتعطيه حجم ومساحة ضخمة بحيث تعطى لنفسها المبرر الموضوعى لضرب حرية الصحافة فيما بعد.

ثانيا: عدم إستجابة السلطة لنقد الصحف قد يدفعها أحيانا إلى أن تندفع فى النقد أكثر وتسلط الضوء على تجاوزات الحكومة بشكل قد ترى فيه السلطة أنه معالجة مثيرة لقضاياها.

ثالثا: التنظيم القانونى فى مصر حمال أوجه، فالقانون لا ينطق ولكن ينطق به الرجال، والبنية القانونية فى مصر فى مجال حرية التعبير قديمة جدا، هناك إتهامات فى قانون العقوبات يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر مثل الإتهام بتكدير السلم العام.

رابعا: البنية التشريعية فى مصر ليس فيها شئ صريح، كل موادها ملتبسة وتنتقى من كل قانون أسوء ما فيه، وهى تجنح إلى التضييق فى الغالب، وهى كذلك بنية إتهامية فى قضايا حرية التعبير، فالصحفى متهم حتى تثبت براءته، وهى أيضا بنية عقابية بطبعها حيث تميل إلى العقوبات البدنية التى انتهت من العالم كله، ولدينا فى مصر أعلى وأكثر العقوبات فى قضايا النشر على مستوى العالم، وفى النهاية البنية التشريعية فى مصر غير عادلة بالنسبة للضحايا، فعلى سبيل المثال الغرامة تأخذها الحكومة رغم أنه ليس مجنيا عليها ويحرم منها المجنى عليه الذى هو أحق بها.

***

هذه الرؤى فى النهاية تضع حدا للظرف المجتمعى الذى ينتج صحافة الإثارة، وهو ظرف تختلط فيه الأبعاد السياسية بالمتغيرات الإجتماعية بالمستجدات الثقافية، بالتطورات النفسية التى شهدها المجتمع المصرى خلال العقود الأخيرة، إن الباحث لا يمكن أن يعتبر الظاهرة مهنية فقط ولا سياسية فقط ولكنها ظاهرة مجتمعية، تأتى كإفراز طبيعى للظروف التى تمر بالمجتمع، ولها مثلها مثل غيرها من الظواهر المجتمعية الأسباب التى تؤدى إلى إنتشارها وإزدهارها، والأسباب التى تؤدى إلى خفوتها وأحيانا إختفائها.

دوافع الإثارة فى الصحافة المصرية

من خلال هذا العرض البانورامى لمسيرة تيار الإثارة فى الصحافة المصرية عبر تاريخها الطويل، يمكن للباحث أن يستخلص الدوافع العامة التى تقف وراء هذا التيار ويمكن إجمالها فى الآتى:

دوافع مهنية:

أولا: التوزيع...يقف وراء تيار الإثارة رغبة فى زيادة التوزيع، وهو هدف أولى تسعى خلفه كل الصحف، فالفلسفة العامة التى تحكم الصحف هى أن تصل إلى أكبر عدد من الجماهير، وحتى تتحقق هذه الفلسفة، فلابد أن تكون الصحف قادرة على جذب القراء من خلال تلبية إحتياجاتهم والتجاوب مع رغباتهم.

ولا يكون زياردة التوزيع بالنسبة لصحف الإثارة هدفا مجردا، فهو يؤدى إذا ما تحقق بكفاءة عالية إلى أن تحقق الصحف أرباحا سواء كان ذلك عن طريق التوزيع، وإن كان التوزيع لا يمكن الصحف من تحقيق الأرباح التى تبتغيها، لكن الأرباح تتحقق من خلال زيادة الإعلانات، وهى علاقة جدلية بين زيادة التوزيع وزيادة الإعلانات، فكلما زاد التوزيع ضمن المعلن أن يصل إعلانه إلى أكبر عدد من القراء الذين هم فى النهاية مستهلكون فيقبل على الصحيفة التى يزيد توزيعها عن الصحف الأخرى.

ثانيا: المنافسة...فالصحف فى النهاية تعمل من خلال سوق تحكمه آليات تجارية بحتة، وهذه الآليات هى التى تجعل هناك حالة دائمة من التنافس بين الصحف فى الحصول على أكبر مساحة من هذا السوق، وقد تبدأ صحيفة معينة الخطأ الإثارى فى معالجاتها، وتجد الصحف الأخرى أن هذه الصحيفة نجحت فى نمط معالجتها فتسعى إلى السير على خطاها التحريرية والفنية، رغبة منها فى أن تحظى بالمكانة التى وصلت إليها هذه الصحيفة.

ثالثا: الشهرة المهنية...وهو دافع يتعلق بالعاملين فى هذا النمط، حيث يكون لديهم طموح شخصى فى أن يغيروا وجه الصحافة المصرية أو على الأقل أن يضيفوا معالجات جديدة فى مسيرة المهنة، وهى إضافات تمكنهم من أن يحصدوا شهرة شخصية، وهو دافع كفيل بأن يعمل هؤلاء على تكسير قواعد الصحافة التقليدية، بل تجاوزها بما يورطهم أحيانا فى مواجهات مع قوى المجتمع المختلفة سواء كانت هذه القوى سياسية أو إجتماعية، لكن هذه المواجهات بما تخلفه من عداءات لا تؤثر على عمل صحفى الإثارة بل إنها فى الغالب تشحنهم مهنيا ليواصلوا ما بدأوه.

دوافع سياسية:

تحتل السلطة السياسية على خريطة صحافة الإثارة المصرية مكانا ومكانة مهمة، بل إن هناك علاقة تربط بين السياسى والصحفى تتراوح فى المساحة ما بين التبعية التى تريدها السلطة من الصحافة والإستقلالية التى تحاول الصحافة أن تحققها لنفسها.

*** وهناك دافعين وراء صحافة الإثارة السياسية:**

أولا: الدفاع عن السلطة...حيث تسعى الصحف التى تملكها السلطة أو التى تدعمها إلى رد هجوم المعارضة على السلطة، وتستخدم فى ذلك كل آليات الهجوم والتشويه لرموز المعارضة، وقد بدأ هذا الدافع مبكرا فى الصحافة المصرية، عندما هاجمت صحف الخديو العرابيين والصحف التى كانت تدافع عنهم، وتكرر هذا الهجوم فى الفترات التى تعرضت فيها السلطة لهجوم من المعارضة حدث هذا فى نهاية عصر الرئيس السادات وفى عهد مبارك.

وهذا النمط من الصحف لا يسعى إلى التوزيع فى المقام الأول، فهو من ناحية محدود التوزيع لأنه لا يلقى قبولا من القراء الذين يدركون أنها يمثل صحفا مدفوعة للدفاع عن السلطة، ومن ناحية ثانية تدرك هذه الصحف أنها تصدر لقارئ واحد هو الحاكم الذى يكفيها رضاه عنها ودعمه لها.

ثانيا:الهجوم على السلطة.....وهو دافع على النقيض تماما، فصحف المعارضة لا تجد صدى لما تطرحه من أفكار على السلطة، وتشترك مع الصحف الخاصة فى أنها لا تستطيع أن تحصل على المعلومات من وعن دوائر السلطة، ولذلك فإنها تلجأ إلى صحافة الرأى أكثر من صحافة الخبر، وهى صحافة صاخبة تسعى إلى النيل من السلطة والحط من قدرها وتشويه صورتها، ويبدو الهجوم على السلطة بمختلف أشكالها مبالغا فيه، وذلك لأن صحف الإثارة السياسية المعارضة تدرك أن ما تقوله هو منتهى ما يمكن أن تفعله، فلن يحدث تغيير يذكر ولذلك فهى تبالغ فى الصراخ السياسى الذى يترجم إلى صراخ مهنى.

دوافع مجتمعية:

وهى دوافع يختلط فيها الثقافى بالإجتماعى، فصحف الإثارة تقوم فى الغالب على المفارقة، أى أنها تسعى إلى الغريب والشاذ والمهجور من الأفكار لتعرضها على قارئ فى الغالب يجهلها، وإذا كانت هناك من بين صحف الإثارة من تسعى إلى الإثارة من خلال كسر التابوهات وتحطيم الثوابت الدينية والإجتماعية والثقافية مثيرة بذلك صخبا يكون من شأنه لفت إنتباه القارئ إليها، فإن هناك من صحف الإثارة من تأخذ من كسر التابوهات وتجاوز الثوابت وسيلة لجعل المجتمع أكثر حرية وقدرة على قياد نفسه، حيث يكون هدفها تحرير العقل وجعل المواطن ومن وراءه المجتمع أكثر رقيا وتحضرا.

■ ■ ■

الفصل الثانى

صحافة الإثارة بين مصر والمغرب

■ إشكاليات التأثير والتبعية

■ ■ ■



لا تصدر الصحف المصرية فى الفراغ، فهى تسبح فى فضاء عالمى، وهناك علاقات تأثير وتأثر دائمة بين الصحافة المصرية والصحافة الغربية، ولا يأتى هذا بمعزل عن الرؤية الواسعة للتبعية الإعلامية التى تشكل جانبا كبيرا ومهما من واقع الإعلام المصرى والعربى على السواء.

وفى تفصيلها لهذه التبعية ترى عواطف عبد الرحمن[1] أن هناك أبعادا عديدة للسياق الدولى للتبعية الإعلامية ومنها:

أولا: تدين أغلبية الصحف العربية بتبعية تكنولوجية تجاه المؤسسات الغربية التى تحتكر موارد الإتصال مثل بنوك المعلومات والمصادر الإليكترونية للمعلومات المتخصصة ووكالات الأنباء وصناعة الورق وأجهزة الطباعة والتصوير، ومن أبرز النتائج السلبية لهذا الوضع هو استغلاله من قبل بعض الحكومات العربية فى تطبيق بعض أشكال الرقابة المقنعة، إذ عمدت هذه الحكومات إلى تقييد استيراد ورق الصحف وتوزيعه طبقا لسياسة محددة تهدف إلى التمييز ضد صحف المعارضة.

ثانيا: تقوم الشركات عابرة القوميات بتعبئة رأس المال والتكنولوجيا وتحويلهما إلى سوق الإتصال، بل إنها تسوق أيضا سلعا إستهلاكية ثقافية إجتماعية لا حصر لها تهدف فى الغالب إلى نشر أفكار ومعتقدات تؤدى إلى تعميق الإغتراب الثقافى والإجتماعى لدى شعوب العالم الثالث.

ثالثا: تقوم الشركات عابرة القومية بدور متزايد الحيوية فى الأنشطة الإعلامية والثقافية، وذلك كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج القيم الثقافية من البلدان الأخرى، مما يؤدى إلى فقدان الخصائص القومية المميزة لثقافات الشعوب التى تتعرض لهذه التأثيرات، وتنمو أنشطة هذه الشركات فى مجالات توريد البنى الأساسية للإتصال

(١) عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث(الكويت، سلسلة عالم المعرفة العدد ٧٨، ١٩٨٤) ص ص ١٣٤-١٣٨.

وتداول الأنباء وبرامج الإذاعة والبرامج الجاهزة للأغراض التعليمية وإنتاج الكتب والترجمات ووسائل الإيضاح المرئية والحاسبات الإليكترونية والأفلام السينمائية وبنوك المعلومات والأجهزة والتدريب.

رابعا: تمارس الشركات العابرة للقومية تأثيرها الرئيسى فى تكريس التبعية الثقافية من جانب الدول النامية بالنسبة للدول الرأسمالية المتقدمة من خلال المضامين الإعلامية والثقافية التى تبثها فى الصحف ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

تأثير التبعية الذى يرى الباحث أنه يتماس مع حدود دراسته يأتى تحديدا فى المضمون الذى يصل إلى الصحف ووسائل الإعلام المصرية والعربية من الصحف والمؤسسات والمنظمات الأجنبية، وتحديدا ما يتعلق منه بالثقافة التجارية لهذه الشركات[1] فالواقع أن الثقافة التجارية تتضمن مجموعة من العناصر يمكن تلخيصها فى بعدين أساسيين:

البعد الأول: يتعلق بالإتجاهات والقيم وأنماط السلوك، ويتسع هذا البعد كى يشمل نطاقا أكبر من نطاق الثقافة التجارية، فيتضمن على سبيل المثال التفضيلات الأيديولوجية العامة أو الإتجاهات وأساليب الحياة وأنماط السلوك العامة .

البعد الثانى: يتعلق بكل من أنماط التنظيم و الإنتاج والإستهلاك ويتضمن ميكانزمات تشجع أنماط أو عمليات إنتاجية واستهلاكية لا تلبى إحتياجات المجتمعات التابعة، بل تؤدى إلى خلق الإحساس بالحاجة إلى التوسع الإستهلاكى، ويمكن أن يتم هذا بصفة خاصة من خلال العلاقات العامة والتسويق والإعلانات الباهظة التكاليف.

هذه التأثيرات الضمنية حاول الباحث أن يسقطها على صحافة الإثارة، لكن وجد من خلال المقارنة بين السياقين اللذين نشأت فيهما صحافة الإثارة فى مصر والغرب، أن الصحافة المصرية هى التى سعت إلى إقتباسات من الصحف الغربية ولم تسعى هذه الصحف أو أصحابها إلى الإمتداد عربيا على الأقل فى مراحل الإثارة الأولى فى الصحافة المصرية.

(١) عواطف عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٩٣.

إن فاروق أبو زيد[١] ينحاز إلى أن صحافة الإثارة فى مصر لم تتأثر كثيرا بصحافة الإثارة فى الغرب، لأن القائمين بالإتصال فى هذه الصحف لا يقرأون ولا يطلعون بشكل منتظم على المنتج الغربى فى الصحافة، وذلك بسبب مستوى وعيهم العام ومدى تأهيلهم العلمى والثقافى، وإذا حدث وتابع صحفى ما صحف الغرب فإنه يقلدها بشكل سطحى دون أن يعى الفلسفة العامة التى تحكم هذه الصحف.

فصحافة الإثارة المصرية تجتهد فقط فى النقل عن الصحف الأوربية والأمريكية المادة التى ترى أن بها نسبة عالية من الإثارة، ولا تلتفت كثيرا إلى أن الصحف الغربية نشرت هذه المادة فى سياق خاص بها، قد لا يتناسب هذا السياق مع السياق العام الذى تحكمه العادات والتقاليد الشرقية فى مصر.

لكن هناك تفسير آخر قد يكون مقبولا إلى حد ما، فالباحث يرى أن الثقافة المصرية هى ثقافة محلية بالأساس، ويميل المصريون إلى التقوقع إلى الداخل، وقد يكون لهذا صدى لدى ما كتبه طارق حجى[٢] عن أسباب جعل جرعة المحلية عند المواطن المصرى المتوسط المعاصر مفرطة فى الإتساع، كما أن نفس الأسباب تجتمع لتجعل جرعة العالمية عند نفس المواطن بالغة التواضع.

* **وهذه الأسباب هى:**

أولا: المجتمعات القديمة كثيرا ما يعانى أبناؤها من الإغراق فى المحلية، فالدنيا عند هؤلاء هى هذا الوطن فى المقام الأول والأخير، ومن هنا خرجت المقولة الدارجة «مصر أم الدنيا».

ثانيا: سنوات الستينات والسبعينات التى كانت بمثابة قاعدة الإنطلاق على مستوى العالم الخارجى لما جاء بعد ذلك من ثورة الإتصالات وسقوط الجدران الفاصلة والعازلة

(١) فاروق أبو زيد، مقابلة خاصة معه.

(٢) طارق حجى، نقد العقل العربى(القاهرة، الدار الدولية للإستثمار، ٢٠٠١) ص ١١٧.

بين الشعوب وبداية الإعلام الذى يتخطى حدود الدول والإقتصاد الذى يتبع نفس النسق، خلال هذين العقدين كان المصريون ممعنين فى المحلية والحد من التواصل مع دنيا الخارج.

ثالثا: البرامج التعليمية التى يتم تدريسها فى المدارس تولت التركيز على الداخل (تاريخنا وحضارتنا وآدابنا) بشكل يناقض برامج التعليم فى دولة مثل فرنسا تولى مقررات دراسة مصر القديمة والصين والحضارتين الإغريقية والرومانية ما توليه لمقررات دراسة تاريخ فرنسا نفسها.

رابعا: نشأة جهاز الإعلام المصرى من بدايته كذراع للحكومة وما حدث على نفس الشاكلة للصحف المحلية، كل هذا جعل رسالة الإعلام المصرى لسنوات طويلة رسالة محلية بحتة.

خامسا: نمو التيار السلفى نسبيا فى المجتمع كان إنتصارا قويا للمحلية على حساب الدولية.

هذه الأسباب بالنسبة للباحث لا تفسر بشكل كامل عدم إقبال الصحفيين المصريين على نقل تراث وحاضر صحافة الإثارة إلا بقدر يسير ونذر قليل، ولا تمكننا من أن نقول أن هناك حالة تبعية كاملة من صحافة الإثارة فى مصر إلى صحافة الإثارة فى الغرب، فصحافة الإثارة المصرية حتى لو تماست مع هذا النمط فى الغرب فهى تتماس معه فى الإطار لكن التفاصيل محلية.

* ويمكن أن يتضح هذا من الرصد الآتى:

خلال مسيرة صحافة الإثارة فى مصر عبر تاريخها الطويل، فإن الباحث ينحاز إلى أن التأثير الواضح من صحافة الإثارة فى الغرب على مثيلتها فى مصر حدث مع صدور جريدة أخبار اليوم تحديدا.

ففى مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، سافر على أمين إلى إنجلترا ليدرس الهندسة

فى جامعة شيفيلد، وكانت أسرته تريده مهندسا ميكانيكا، وكان هو يريد أن يدرس ميكانيكا الطباعة، وعن سبب إختياره هذا يجيب على أمين على هذا السؤال فى لقاءه مع محمد التابعى عندما سأله عن الصحافة فى الغرب قال له[1] :

« إن الصحافة الحديثة ستعتمد فى المستقبل على الهندسة وعلى الماكينات الدقيقة ».

قرر على أمين أن يبتعد عن الصحافة ولو مؤقتا حتى يحصل على بكالوريوس الهندسة، لكن لم يكن يخطر بباله أنه سيصبح كاتبا يراسل الصحف من إنجلترا فور وصوله إليها، بل ويبرز بعد ذلك كصحفى مؤسس لنوع جديد من الصحافة فى مصر، كان كل ما يتمناه يوم سفره أن يدرس ميكانيكا الطبع، أى يدرس الآلآت والإختراعات الطباعية الحديثة فى صناعة الصحافة، وذلك ليساير تطور الصحافة فى المستقبل[2] .

لكن يبدو أن الأقدار كانت قد إختارت لعلى أمين طريقا آخر ليس متناقضا مع ما يريده ولكن مختلفا بعض الشئ.

يقول مصطفى أمين[3] :أرسل لى على أمين رسالة يصف فيها تفاصيل رحلته من القاهرة إلى لندن على الباخرة أثناء سفره للإلتحاق بكلية الهندسة، واكتشفت أن الخطاب قطعة أدبية راقية تصلح للنشر، فقمت بنشرها فى روزاليوسف بعد أن حذفت منها المسائل الشخصية ووقعتها باسم «السندباد البحرى» ، ظل على أمين يبعث لى برسائل طوال مدة وجوده فى لندن ، وظللت أنشرها موقعة بنفس التوقيع وشجعه ذلك على أن يلتقى بشخصية صحفية مرموقة فى لندن ويجرى عدة مقابلات صحفية مهمة هناك.

---

(١) خالد عَزب وآخرون، أخبار اليوم مدرسة صحفية مصرية (مكتبة الأسكندرية، ٢٠٠٧) ص٢٨.

(٢) شريف درويش، أخبار اليوم مسيرة صحفية فى نصف قرن(القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٤) ص ٣٨.

(٣) محمد مصطفى، مصطفى أمين فكرة لا تموت(القاهرة، أخبار اليوم، ١٩٩٧) ص٨٧.

اطلع على أمين على الموضوعات التى نشرت باسمه فى روزاليوسف فأرسل لمصطفى يخبره بأنه أحب الصحافة وقرر أن يعمل صحفيا.

لكن ماذا كان يفعل على أمين فى لندن؟

كان مصطفى أمين يحاول أن يجعل على على دراية بآخر الاخبار التى تدور فى مصر، كان يحاول أن يجعله يعيش معه فى مجلة روزاليوسف التى كانت حتى هذه اللحظة المثل الأعلى عند مصطفى فى عالم الصحافة، لكن على أمين بعد أن تواصل مع الحالة الصحفية فى إنجلترا، عمل على تغيير أفكار مصطفى أمين، ويمكن الإشارة إلى ذلك على النحو التالى[1] :

أولا: كان على أمين يكتب لشقيقه مصطفى عن الصحافة فى إنجلترا، عن تطورها وتقدمها وفنونها وأحداثها، عن فن الإخراج والتبويب والخلق والإبتكار، ولم يكن أحد منهما يعرف عن كل ذلك شئيا.

ثانيا: تردد على أمين على «فليت ستريت» وهو شارع الصحافة فى لندن، وهناك إرتبط بصداقات مع عدد من كبار الصحفيين الإنجليز وزارهم فى مكاتبهم، وكان أول هؤلاء الصحفيين«هانون سوافر»الذى راح يقدمه إلى عدد من رؤساء تحرير الصحف الإنجليزية، وهو ما جعله يتعرف على إتجاهات الصحافة الحديثة.

ثالثا: زار على كذلك دور الصحف فى إنجلترا ودرس المعدات الحديثة التى تستعين بها الصحف على تحسين إخراجها وطباعتها، ودرس نظام توضيب الصفحات، وهو نظام لم يكن معروفا فى مصر فى ذلك الوقت.

رابعا: من خلال خبرته بنجاح الصحف فى بريطانيا، عدد على أسباب نجاح الصحف، وهى الإستعانة بعدد من كبار الكتاب فى الصحيفة الواحدة، لأن القارئ يسأم الكاتب الواحد، ثم أن الصحيفة لم تعد صحيفة الرجل وحده ولكنها أصبحت صحيفة المرأة وابنتها وطفلها.

(١) شريف درويش اللبان، مرجع سابق، ص ص ٣٩ – ٤٢.

وفى رسالة أرسلها على لمصطفى عام ١٩٣١ قال: إن نجاح الصحف اليومية الحديثة يرجع إلى عنايتها بالقصص الإنسانية وعدم تركيز كل إهتمامها على الأخبار السياسية التى تهم نسبة صغيرة من القراء، وتحدث كثيرا عن الثورة التى حدثت فى تحرير الصفحة الأولى وإخراجها فى الصحف الإنجليزية، وكيف أن الصفحة أصبحت نافذة لعرض أهم الأخبار التى تثير إهتمام أكبر عدد من القراء، لا التى تثير إهتمام مجموعة قليلة من السياسيين.

خامسا: أثناء وجود على أمين فى إنجلترا ظهر هناك نوع جديد من الصحافة الإنجليزية وهو مزيج من الصحيفة اليومية والمجلة الأسبوعية، وكانت فكرة على أمين هى :لماذا لا تصدر فى مصر جريدة أسبوعية أشبه بصحف الأحد فى إنجلترا، وبدأ بالفعل يدرس طرق إخراجها وموضوعاتها وأخبارها والفن الصحفى فيها.

كانت هذه هى البذرة الأولى لبلورة فكرة صحافة الإثارة المتأثرة بالغرب فى مصر، ولأنه كان لابد لهذه البذرة أن تكتمل فقد سافر مصطفى أمين إلى أمريكا، كان مصطفى أمين فى الفترة التى سافر فيها على إلى إنجلترا يحاول أن يحصل على شهادة البكالوريا ومؤهل عال يقدمه لأسرته، بالإضافة إلى رغبته فى الحصول على مكان بين رجال الصحافة المحترفين، فى عام ١٩٢٨ التحق بالجامعة الأمريكية وأمضى بها عاما، وفى ١٩٢٩ التحق بالمدرسة الخديوية وفصل منها عام ١٩٣٠ لتحريضه على الإضراب احتجاجا على إلغاء الدستور فى عهد إسماعيل باشا صدقى، التحق بعد ذلك بالجامعة الأمريكية مرة أخرى، وحصل منها على شهادة الكفاءة عام ١٩٣٢، وفى نفس العام بالقسم الأدبى بها ونظرا لقلة عدد الطلاب بالقسم تم إلغاؤه، فالتحق بمدرسة رقى المعارف إلا أنه تركها لكثرة مشاغباته، فالتحق بمدرسة الأقباط الكبرى حيث نال شهادة البكالوريا عام ١٩٣٤.

فى العام ١٩٣٥ التحق مصطفى بكلية الحقوق لكنه لم يكمل تعليمه بها، فسافر إلى

أمريكا، لإكمال دراسته فالتحق بجامعة جورج تاون، ودرس العلوم السياسية ، وكان والده فى تلك الفترة يتولى منصب وزير مفوض لمصر فى أمريكا[1] .

كان مصطفى يرغب فى دراسة الصحافة، لكنه ذهب وقد أصر والده على أن يجعله يدرس العلوم السياسية، جمع مصطفى بين الحسنيين، فقد درس العلوم السياسية التى رأى أنها قريبة الصلة جدا بالصحافة، ثم بدأ يتعرف على الصحافة الأمريكية بشكل عملى، حيث عمل فى الصحف الأمريكية مثل«واشنطون نيوز، »و«واشنطن بوست».

ويحدد شريف درويش ملامح تأثر الشقيقين بالصحافة الإنجليزية والأمريكية على النحو التالى:

أولا: كان سفر على أمين إلى إنجلترا مع مطلع الثلاثينات عاملا مهما لإلمامه بنواحى التطور المختلفة فى الصحافة الإنجليزية الحديثة، وذلك عن طريق زيارته لدور الصحف ودراسته للمعدات الحديثة التى تستعين بها الصحف سواء فى الطباعة أو الإخراج الصحفى، وهو ما أدى إلى تعرفه على نظام توضيب الصفحات وتأثره بهذه التطورات ومحاولته الإستفادة منها حينما بدأ فى وضع تصور مقترح لصحيفة جديدة تصدر فى مصر.

ثانيا: تأثر على أمين باستعانة الصحف الإنجليزية بكبار الكتاب مما ساعد على سرعة إنتشارها وزيادة توزيعها، وهذا ما طبقته صحيفة أخبار اليوم عند بدء صدورها حيث استعانت بكبار الكتاب المصرين مثل عباس محمود العقاد ومحمد التابعى والمازنى، كما نشرت مقالات كبار الكتاب العالميين مثل جورج برنارد شو و.ج.ويلز.

ثالثا: كان ظهور صحف الأحد فى أثناء وجود على أمين فى إنجلترا سببا مباشرا فى تفكيره فى إصدار جريدة أسبوعية فى مصر تحاكى أسلوب هذا النوع من الصحف ، وتجمع بين مزايا الصحيفة اليومية والمجلة الأسبوعية سواء فى تحريرها أو إخراجها، وبالفعل درس على أمين طريقة تحرير الصحيفة الجديدة وإخراجها، ووضع نماذج

(١) خالد عزب وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٠.

صفحاتها وحدد أبوابها وسعرها.

رابعا: كان سفر مصطفى أمين عام ١٩٣٤ إلى الولايات المتحدة لدراسة العلوم السياسية وعمله فى الصحف الأمريكية فرصة كبيرة للتعرف على الصحف الأمريكية وأساليب تحريرها وإخراجها.

وعليه فيمكن أن يذهب الباحث إلى أن جريدة«أخبار اليوم»كانت حصيلة تأثر واضح بالصحافة الإنجليزية الحديثة وتحديدا فى شكلها الخارجى والتبويب النهائى لها وكذلك إهتماماتها الحديثة خاصة الجوانب الإنسانية منها، وكذلك الصحافة الأمريكية التى ساهمت فى تعريف مصطفى أمين بالأساليب الحديثة فى الكتابة الصحفية.

لم يعد مصطفى أمين من أمريكا بمهارات فنية وتحريرية فقط، ولكنه عاد منها كذلك بعلاقات عديدة، ويلقى صلاح عيسى[1] ببعض الظلال ليس على علاقة أخبار اليوم بالصحافة الأمريكية وتأثرها بها فقط، ولكن بعلاقتها بالمخابرات الأمريكية، وذلك من خلال دراسة نشرها لأول مرة بمجلة الحرية اللبنانية عام ١٩٦٥، وأعيد نشرها مرة أخرى فى جريدة المساء فى يوليو ١٩٦٧ أى بعد الهزيمة مباشرة، واستعرض فيها قصة صدور مجلة «المختار من ريدرزدإيجيست» فى القاهرة.

ففى صيف ١٩٤٣ إمتلأت صحف القاهرة بإعلانات ضخمة تبشر بمولد مجلة جديدة هى« المختار من ريدرزدإيجيست»، وفى سبتمبر من العام نفسه صدر العدد الأول منها، لتكون طبعته العربية هى خامس اللغات التى تصدر بها المجلة ، وحسب ما جاء فى ظهر الغلاف فإن المجلة الأمريكية الشهيرة كانت تصدر قبل ذلك باللغات الإنجليزية والإسبانية والبرتغالية، وتوزع فى جميع بلدان العالم تقريبا، فالطبعة الإنجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا، والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلدا من البلدان المتحدثة باللغة الإسبانية فى أمريكا اللاتنية، والطبعة

(١) صلاح عيسى، مثقفون وعسكر(القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٨٦) ص ص ٣٩ – ٦٣.

البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال، والسويدية تباع فى السويد، وصدرت الطبعة العربية لكى توزع فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة السعودية واليمن وسائر الجزيرة العربية.

قامت فكرة المختار فى الأساس على أن ما تصدره المطابع كل شهر من مجلات عامة وفنية خاصة وكتب، تتعذر مطالعته كله، والإفادة منه على كائن من كان، ومطالعة هذه المجلات والكتب وإختيار أجودها وتلخيصه وإباحته لمن يريد، تعتبر فكرة مبتكرة، فمحررى المجلة يطالعون عشرات الكتب الجديدة التى تصدرها المطابع كل شهر ويختارون أجودها وأهمها شأنا وأقومها أدبا. ثم يلخصونه تلخيصا يحوى لباب الكتاب وروح كتابته وأسلوبه.

وينحاز صلاح عيسى إلى أنه بصدور الأعداد الأولى من المختار وضح أن هناك أسرارا تختفى خلف هذا الضيف الجديد على عالم الصحافة العربية، فقد صدرت المجلة فى ١٨٠ صفحة على ورق ستانيه فاخر، وأحيانا كانت تطبع كلها على ورق كوشيه أو يحتوى العدد على الأقل ملزمة أو ملزمتين منه، أما الغلاف فهو كوشيه ملون، وكل هذا كان يباع بثلاثة قروش مصرية فقط.

ارتبط اسم المجلة بإسم رئيس تحريرها ومديرها العام فؤاد صروف، وهو واحد من أبناء جريدة المقطم، وهى الجريدة التى أصدرها الإحتلال البريطانى، وقال اللورد كرومر فى حقها: إننى أستطيع أن أحكم مصر بخمسين جنديا فقط ومعهم جريدة المقطم.

ويبنى صلاح عيسى على ذلك أن المختار ولإرتباطها بالمقطم، فقد صدرت فى الدول العربية لتكون طليعة للنفوذ الأمريكى فى الوطن العربى، ولكى تبشر بالسيد الجديد الذى كان يطمع وقتها فى الحلول محل دول الإستعمار التقليدية ووراثة تركتها من المستعمرات وعلى رأسه الأمة العربية.

بدأت المختار تمهد الأرض العربية أمام الدور الذى كانت الإحتكارات الأمريكية تعد

نفسها كى تلعبه بعد الحرب، فبدأت حرب الدعاية المغرقة فى المبالغة والذكية فى الوقت ذاته تحتل صفحاتها عن الجيش الأمريكى:قوته البالغة، إنتصاراته الفذة، تلك الإنسانية العميقة التى تملأ قلوب أفراده حتى نحو أعداءهم، فأفردت الفصول الضافية للحديث عن الأسطول الأمريكى، وسلاح الطيران الأمريكى، وبيرل هاربر الدامية، كأن معركة لم تدر فى الحرب سوى بيرل هاربر، ومن خلال تلك الفصول الضامنة بدا وكأن كل النضال العالمى من أجل قهر الإحتكارات الألمانية، صنعته الجيوش الأمريكية، وكأن أمريكا هى التى حمت العالم وهى التى إنتصرت له.

لكن ما علاقة ذلك كله بأخبار اليوم؟

الإجابة يقدمها صلاح عيسى فى هامش دراسته، ففى الإعتراف الذى كتبه مصطفى أمين فى ٦٠ صفحة على شكل رسالة لجمال عبد الناصر، وهو فى السجن على ذمة إتهامه بالتجسس لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أشار فيه إلى ترخيص مجلة المختار، وأشارأيضا كما نقل محمد حسنين هيكل[1] إلى أنه لم يتقاض ثمن صلته بالأمريكان مالا أو مرتبا شهريا أو سنويا، ولكن جاء المقابل كما روى مصطفى أمين فى التالى:

أولا: أخبار أمدنى بها المسئولون الأمريكيون ورجال المخابرات الأمريكية خلال هذه السنوات العديدة، وكنت أتولى نشرها فى أخبار اليوم والأخبار وباقى صحف الدار وننفرد بها دون باقى الصحف الأخرى التى تصدر فى القاهرة، أدت إلى زيادة توزيع صحف أخبار اليوم وبالتالى إلى زيادة إيراداتها.

ومن هذه الأخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين، وكانت تجرى سرا فى أوربا فى ذلك الحين، وكانت أخبار اليوم أول جريدة فى العالم سبقت بنشر هذا النبأ.

كذلك خبر عن أول تفصيلات عن إختراع القنبلة الذرية، وكذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية فى أوربا، وكذلك خبر عن موعد الهجوم المنتظر الذى سيقوم به

(١) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة(القاهرة ، دار الشروق، ٢٠٠٣) ص ٢١٤.

هتلر على روسيا، وكذلك أول خبر عن مفاوضات إيطاليا للتسليم للحلفاء فى نهاية الحرب العالمية الثانية، كذلك أول خبر عن أن الروس بدأوا يعرفون سر القنبلة الذرية.

ثانيا: وبهذه الصلة حصلت على إمتياز إصدار مجلة المختار، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغا طائلا سنويا وقد وافقتم على أن نحصل على إمتياز إصدار هذه المجلة.

ثالثا: وبهذه الصلة حصلت على إمتياز طبع مجلة الصداقة، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغا كبيرا سنويا.

رابعا: وبهذه الصلة حصلت أخبار اليوم وصحفها على إعلانات من شركات أرامكو وt.w.a ، وبان أمريكان، وكانت كل الصحف الأخرى كالأهرام مثلا تأخذ نفس القدر من الإعلانات.

خامسا: وبهذه الصلة حصلت على ورق من أمريكا لمصر بحوالى مليونى جنيه، وهو الورق الذى تسلمته الحكومة المصرية، ولكنى كصاحب أخبار اليوم استفدت من هذا الورق لأنه وزع على الصحف بنسبة توزيعها، فحصلت أخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق، وكان الورق الذى اشتريناه من الحكومة أرخص من ورق السوق، فربحنا بطبيعة الحال.

سادسا: حاولت أن أستفيد من هذه الصلة فى شراء مطابع جديدة من أمريكا، وطلبت منهم أن يعاونونى فى أن أحصل على قرض من بنك التسليف والإستيراد الأمريكى لشراء مطبعة، وكان المبلغ المطلوب حوالى ١٠٠ ألف جنيه، فلم يوافق البنك لأنه يطلب ضمانا من الحكومة المصرية، ولأن تقاليد البنك هى عدم تقديم قروض للصحف.

هذا الإعتراف حاول هيكل أن يدلل به على جاسوسية مصطفى أمين للأمريكان، لكنه يضيء لدى الباحث فى منطقة أخرى، وهى أن مصطفى أمين كان معجبا بالفكرة الأمريكية ومستسلما لها تماما، ولا يتوقف الأمر على رغبته فى الإستعانة بالإنجاز التكنولوجى الأمريكى، بل إن نمط الحياة الأمريكية كان غالبا على ثقافة مصطفى وبالتالى

كان مؤثرا على المنتج الصحفى الذى أنتجه.

وينقل محمد حسنين هيكل عن تقرير للجنة خاصة شكلها الكونجرس الأمريكى برئاسة السيناتور تشرشى لتقصى نشاط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، فى الجزء المخصص لرصد نشاط الوكالة فى مجال إنشاء دور صحف ونشر فى عدد كبير من بلدان أوربا والعالم الثالث، أن المختار من ريدرزدايجست كانت من بين المجلات التى ساعدت المخابرات الأمريكية على نشرها.

يقول تقرير لجنة نشاط المخابرات فى الكونجرس على سبيل المثال أن سلطات الإحتلال الأمريكى فى ألمانيا كانت هى التى ساعدت «اكسل سبرنجر»الناشر الألمانى المعروف على إعادة تأسيس دار صحفية كبرى فى هامبورج، وهى التى جاءت له بالمطابع والورق، لكى يبدأعلى الفور فى إصدار صحف تتولى غسيل مخ الشعب الألمانى مما قد يكون عالقا فيه من بقايا التراث النازى.

نفس الشئ حدث فى اليابان مع الدور الصحفية التى كانت على إستعداد لكى تغسل مخ الشعب اليابانى من آثار العسكرية اليابانية التى كادت تنجح فى رفع علم الشمس المشرقة فوق كل المحيط الهادئ.

وشئ مماثل حدث فى بلدان العالم التى كانت واقعة تحت الإستعمار أو كانت مناطق مفتوحة للنفوذ الدولى بعد أن تغيرت مراكز السيطرة فى العالم، وفور إنتهاء الحرب ظهرت فجأة سنة ١٩٤٥ فى طهران دار صحفية كبرى كان أبرز ملامحها دعوتها المستمرة لمجموعة قيم جديدة وطريقة جديدة وهى دار كيهان، ولم تترك الوثائق التى وجدت فى مبنى السفارة الأمريكية فى طهران حين احتلها طلبة الثورة الإسلامية فى إيران مجالا لأحد أن يشك فى الملابسات التى اكتنفت تأسيس الدار وظهور صحفها.

ويضيف هيكل:ويخطر على البال أن أخبار اليوم ظهرت فى نفس الفترة أواخر ١٩٤٤، فهل كانت أخبار اليوم منذ اليوم الأول حلقة من هذه السلسة، إن الأستاذ مصطفى أمين

فى رسالته يعترف أنه قابل كيرميت روزفلت وآرشى روزفلت لأول مرة فى نفس هذه السنة فهل هى مصادفة...أو هى أكثر.

وقبل أن يغادر هيكل هذه الملاحظة يثبت هامشا يقول فيه:كتب الأستاذ مصطفى أمين فى هذه الفترة أول كتاب له فى حياته، وكان عنوانه «أمريكا الضاحكة»وكان موضوعه عرضا شيقا وجذابا لطريق الحياة الأمريكية

الكتاب الذى يقصده هيكل يمكن أن يلخص لنا كيف تأثر مصطفى أمين بالحياة الأمريكية وكيف حاول أن ينقلها ليس فى الصحافة المصرية فقط ولكن فى الحيلة العامة أيضا.

قدم مصطفى أمين فى أمريكا الضاحكة كما يقول هو ريبوتارج صحفى للحيلة الضاحكة التى كانت تعيشها أمريكا قبل الحرب، ولم يحاول أن يجعل منه برهانا على تمكنه فى اللغة ، فلم يستعن بألفاظ ضخمة مغمورة فى القواميس، بل لجأ إلى أسلوب سهل، يؤمن بأنه أسلوب النشاط والحركة، حيث أنه وقت كتابته للكتاب فى الأربعينات كان يعيش عصر تحرك كل ما فيه حتى الألفاظ.

صاغ مصطفى أمين كتابه على طريقة طه حسين فى كتابه الأيام، حيث كان يشير إلى نفسه بقوله صاحبنا، كما كان يفعل طه حسين عندما يشير إلى نفسه على أنه الفتى، ويرصد الباحث ما سجله مصطفى أمين عن نمط الحياة الأمريكية يقول:

وأغرب ما لاحظه صاحبنا أن أمريكا لا تستقر على حال، فهى تهوى التغيير والتبديل، ففى كل عام يتغير شكل السيارة وشكل التليفزيون وشكل العمارة، وكثيرا ما زار شارعا فى نيويورك فوجده مخصصا لأكواخ الفقراء والغلابة وأصحاب الدخل المحدود، ويعود فى العام التالى ويجد الشارع القديم قد اختفى، كأن الأرض انشقت وابتلعته ، وحل مكانه شارع جديد، ناطحات سحاب ضخمة مكن الأكواخ الصغيرة ومحلات تجارية أنيقة واسعة مضاءة بأنوار النيون مكان الدكاكين الضيقة التى كانت تبيع السجق والملابس

القديمة والروبابيكيا، وناطحات سحاب يلعبون بها كالمكعبات الخشبية التى يلعب بها الأطفال، فهذه عمارة من عشرين طابقا، ولا تكاد تقوم العمارة وتمتلئ بالسكان والمحلات التجارية حتى يقرروا هدمها وبناء عمارة من ستين طابقا.

هذا التغيير الخارق شكل جزءا مهما جدا من تكوين مصطفى أمين، فطبيعة صحافة الإثارة متغيرة ومتبدلة ومتحركة لا تكاد تهدأ وليس بعيدا أن يكون الصخب الذى أحدثه مصطفى أمين فى الصحافة المصرية له ظلال من تجربته من الحياة ومتابعة نمط المعيشة فى أمريكا خلال فترة الثلاثينيات.

لكن بعيدا عن هذه الرؤيا فإن هيكل يؤكد أنه من الغريب أن أول رئيس تحرير للطبعة العربية من المختار كان هو فؤاد صروف الذى يشير إليه مصطفى أمين فى رسالته الإعتراف ويقول أنه هو الذى قدمه إلى كيرمت روزفلت سنة ١٩٤٤، وهى السنة التى صدرت فى نهايتها أخبار اليوم، كذلك فإن المختار صدرت فيها بعد عن أخبار اليوم.

لقد ساقت أخبار اليوم مبرر إصدارها للمختار بعد أن توقفت، وأشارت إلى ذلك فى العدد التاسع من«أخبار الدار» – ديسمبر ١٩٥٥ - وهى الجريدة الداخلية التى كانت تصدرها للعاملين فيها ولا تطرح للقراء، فتحت عنوان حملة دعاية مجانية للمختار كتبت تقول: فى أول يناير يصدر العدد الأول من مجلة المختار، والقراء يذكرون أن هذه المجلة العالمية كانت تصدر فى مصر، ثم توقفت وهى توزع فى العالم العربى ٤٥٠٠٠ نسخة، توقفت لأن الريدرزدايجست هى التى كانت تنفق عليها وحالت ظروف الحرب دون إستمرارها ، أما هذه المرة فالمختار يصدر عن دار أخبار اليوم ليأخذ طابع الدار فى صحافتها ولغتها وإخراجها وليكون مجلة ثقافية عربية تخرج من القاهرة فتغمر بلدان العالم العربى.

ولعل القارئ يقف عند قولنا «مجلة ثقافية عربية»، فالمعروف أن المختار هو الطبعة العربية من الريدرزدايجست ولكن الذى لا يعرفه بعض القراء هو أن الطبعة العربية

ليست صورة طبق الأصل من الطبعة الأمريكية، وإنما هى طبعة خاصة بالبلاد العربية تأخذ من المقالات التى تصدرها ريدرزدايجست ما يناسب هذه البلاد وتترك ما عداها.

ورغم هذا المبرر إلا أن صلاح عيسى حاول جاهدا أن يربط بين أخبار اليوم وبين المخابرات الأمريكية، لقد توقفت المختار عام ١٩٤٨، وعادت للصدور مرة ثانية فى أحضان أخبار اليوم فى العام ١٩٥٦، ويصف عيسى ما حدث قائلا:

كان العصر الأنجلوسكسونى قد إنتهى، وإنهارت الإمبراطورية الإنجليزية، ولم تعد بريطانيا عظمى، فالعظمة للدولار الفتى، ولذلك كان طبيعيا أن يترك أولاد صروف المختار فزمن المقطم قد مضى، والعصر عصر أخبار اليوم، تلك التى صدرت لأول مرة عام ١٩٤٤ وبعد عام واحد من صدور المختر لأول مرة، وعلينا نحن العرب أن نلقى بعقولنا فى البحر ونقول أنه مجرد صدفة أن تصدر المختار وأخبار اليوم فى سنة واحدة، وأن تتحدا معا فى عام ١٩٥٦.

فى مجلة المختار وبعيدا عن الإرتباط السياسى بينها وبين المخابرات الأمريكية وما حققته لها من أهداف، فإن معظم ما كانت تقدمه من مادة خارج الإطار السياسى كان يصب فى المضمون المثير، ويمكن أن نرصد ذلك من خلال دراسة صلاح عيسى على النحو التالى:

أولا: فى عدد مايو ١٩٤٦ فى باب الكتب عرض لكتاب بعنوان« ٤٠٠ مليون زبون»يروى مغامرات مسلية لمعلق أمريكى فى الصين، تحدث فيه مؤلفه عن نساء شنغهاى اللواتى تتمتعن بأجمل سيقان فى العالم، وكيف أنهن بدأن يتأثرن بالغربيات فى تقصير الثياب إلى ما فوق الركبة.

ومن بين مغامراته التى سردها قال المعلق الأمريكى: كانت شركتى التى أنشأتها فى شنغهاى للإعلان تحث فى ذلك الوقت على إقتناء نوع إنجليزى من الدبلان، فخطر لنا أن الفتيات الصينيات إذا قصرن ثيابهن، سيقل ما تشترين من الدبلان تبعا لذلك، ولم يسرنا

هذا الخاطر بالطبع، غير أنه لحسن حظنا أن مبتكرى الأزياء فى شنغهاى، إهتدوا إلى حل وسط، فاحتفظوا بالجونلات الطويلة المحبوكة المألوفة، ولكنهم شقوا الجانب الأيسر إلى ما فوق الركبة، فصارت الخطوة بعد الخطوة تبدى حسن الساق، وقد بلغ من رضا الفتيات عن هذا الزى أنهن فى الموسم التالى شققن الجونلات من الجانبين.

ثانيا: كانت المختار مثل البوتيك الذى يقدم لكل كل شئ، فالمجلة لا تهتم كثيرا بذكاء قارئها، ولا مانع لديها من أن تغرقه بأشياء تافهة وهذه بعض النماذج منها، «النهود مشكلة»مقال مسل عن الجاذبية النهدية عند المرأة الحديثة، نشر فى عدد فبراير ١٩٦٥، كيف تهتدى النملة إلى طريقها، حكاية مارى انطوانيت وكيف ظهرت فى إحدى حفلات التشريفات بالقصر الملكى وقد زينت شعرها بحبات من البطاطا، وقصة أعجب محل تجارى فى العالم ما عليك إلا أن تذكر اسم ما تريد مهما كان نوعه فيقدمه لك مخزن «هارودز»، ماذا تفعل الزوجة إذا أصيب زوجها بالشخير، ومشكلة العالم الغريبة: لقد بدأنا جميعا نعتقد أننا دون المستوى الجنسى العادى بطريقة تدعو إلى الحزن والإرتباك واليأس، وينمو هذا الإعتقاد بعد كل فيلم نشاهده ورواية نقرأها، وعندما نقارن أنفسنا بهؤلاء الرجال والسيدات وذوى الرغبة الجنسية العارمة ، الذين يظهرون فى الأفلام والروايات يبدو لنا بوضوح تام أننا لا يمكن أن نضارعهم، وكيف إستطاعت أحب نجمة هزلية فى أمريكا أن تشق طريقها من الظلام إلى الشهرة حتى أصبح العالم كله يحب لوسى ، وقصة الفوكس واجن السيارة الصغيرة التى تحظى بإعجاب أصحابها رغم كل ما يقال عنها.

ثالثا: أرادات المختار أن يتثقف العرب على الطريقة الأمريكية، ولذلك قدمت لقراءها من العرب ما تعاملت معه على أنه خلاصة فكر وثقافة العالم وهو فى مجموعه لا يخرج عن كل ما هو غث وتافه وسطحى وبالغ الخطورة فى الوقت نفسه، وكان طبيعيا أن تظهر على صفحات المجلة البراجماتية الأمريكية فى قضاياهم المصيرية وفى وجدانهم وفى أسلوب مواجهتهم للحياة وفى نظرتهم للعالم.

وذلك من خلال مئات القصص الصغيرة والحكايات التافهة تسربت المختار إلى وجدان قرائها بأطنان من المخدرات الفكرية الأمريكية على شكل حكايات ذكية عن المغامرين والأفاقين

ومنها:

«هل أنت فقير»....سؤال على شكل عنوان لمقال، أما الإجابة فهى قصة طويلة تروى حياة جون وليامز ذلك الذى كان فقيرا مثلك لا يجد ما يأكله، ثم أصبح ملك الماس فى تنجانيقا، وهى حكاية تجيب على كل شئ، فليجهل فقراء العرب سبب فقرهم، ثم لماذا لا يذهبون إلى هناك، يستغلون الرجل الأسود وينهبون الماس والعاج بنفس شطارة وليامز.

ومنها:

تسويق أسطورة «ديل كارينجى» وجعل العرب يطبعون كتبه، ولما لا؟أليس هو الأمريكى الشاطر الذى جاء لكى يعلم كل عربى كيف يكسب الأصدقاء ويؤثر فى الناس؟أليس هو خبير فى الإنتهازية على الطريقة الأمريكية: إذا كنت موظفا صغيرا فإن السيد كارينجى ينصحك بأن تنافق رئيسك وتمتدح ملابسه، وأهم ما يبنغى لك أن تلتفت له هو زوجة المدير، عليك أن تحرص على رضاها، وأن تمتدح ذكاءها، وأن تعرض خدماتك لمرافقتها فى السوق، ولا بأس من أن تدفع نقودا من جيبك لتقنعها بأنك قادر على الحصول على سلع بأرخص مما يستطيعه أى رجل آخر.

ومنها:

الترويج إلى أن «العالم الأمريكى» هو مصدر البهجة الوحيد ، وقد أبدت المجلة ألمها وهى تروى حكاية الكوكاكولا القصة الحافلة بآيات الشهرة، لأن هناك بلادا تحرم نفسها من هذا السائل الأمريكى السحرى، وتساءلت فى دهشة عن أثر صندوق الكوكاكولا الذى قدمه الجنرال إيزنهاور إلى المارشال الروسى جوكوف، هذا الرجل المسكين الذى حرم من التمتع بلذة الكوكاكولا، ذلك لأن روسيا الشوفينية هى الرقعة الجغرافية الكبيرة

التى لم يدخلها شراب الكوكاكولا.

لا يمكن أن يغفل الباحث هذه المعالجات التى قدمتها مجلة المختار، فقد شكلت جزءا من السياق الذى صدرت فيه أخبار اليوم، وقد تماست معها بعد ذلك فى نقاط تماس كثيرة.

إن الأفكار التى بنيت عليها أخبار اليوم فى معظمها كانت أفكار قد جربتها الصحافة العالمية ولم تكن فكرة الإستعانة بكبار الكتاب فكرة إنجليزية فقط، بل تم تجريبها كذلك فى الصحف الأمريكية، فعندما صدرت أول جريدة ل «وليام راندولف هيرست» فى نيويورك فى ٧ نوفمبر ١٨٩٥ باسم «جورنال» بعد أن أسقطت منه كلمة «مورننج»، استخدم فى تحريرها أكبر الأسماء الصحفية المعروفة فى ذلك الوقت دون أن يعنى بالأجور العالية التى إلتزم بها، وبذل لهم ولتحسين الجريدة فى سخاء ما بعده سخاء حتى عادت الجريدة إلى سابق عهدها وارتفع التوزيع إلى مستواه الأول[١].

وكان من بين الأحلام التى تراود على أمين أن يطبع من الجريدة التى يصدرها مليون نسخة فى العدد الأول، وأخبر مصطفى أمين بذلك، لكن مصطفى كان يرد عليها برسائل تصله حيث يدرس فى إنجلترا ليخبره فيها بحال الصحافة المصرية فى «**روزا اليوسف، والأهرام، والهلال، والجهاد، والبلاغ**» ، حيث كان ينقل له أسلوب جبرائيل تقلا وداود بركات فى إدارة الأهرام والإشراف عليها، وقد استطاع مصطفى أمين من خلال رسائله أن يعيد على أمين إلى أرض الحقائق فى مصر، وأن يربطه بواقع الصحافة المصرية وإمكاناتها[٢].

ولذلك فبعد أن كان على يفكر فى توزيع مليون نسخة من العدد الأول، عاد يفكر فى

---

(١) إبراهيم عبده، الصحافة فى الولايات المتحدة ..نشأتها وتطورها(القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦١) ص ١٩٧.

(٢) شريف درويش، مرجع سابق، ص ٤١.

جريدة توزع مائة ألف نسخة، وبعد أن كان ينادى بتعيين خمسة مراسلين متجولين فى أنحاء العالم يقومون بإجراء تحقيقيات صحفية حول أزمات العالم ومشكلاته، بدأ يتواضع فى أحلامه واكتفى بمراسل واحد يطوف بلدان العالم، وبعد أن كان يتحدث عن طائرات تشتريها الجريدة لتنقل نسخها فى أنحاء الشرق الأوسط، تواضع فى أحلامه وراح يقترح مفاوضة شركة الطيران لنقل نسخ الجريدة نظير إعلانات تنشرها مجانا عن الشركة، وبعد أن كان يقترح أن تشترى الجريدة مقالات من كتاب العالم، تواضع فى أحلامه واكتفى بإقتراح الإتفاق مع أكبر كتاب مصر على الكتابة فى الجريدة الجديدة.

كانت هناك فى إصدار أخبار اليوم حالة من المواءمة مع أحلام وطموحات أصحابها والواقع الذى تعيشه الصحافة المصرية، لكن ذلك فى النهاية لم يمنع أن يكون التفكير فى جريدة واسعة الإنتشار بما يتناسب مع ظروف المجتمع المصرى.

ويسجل طلعت فهمى[1] الذى عمل فى أخبار اليوم قبل صدور عددها الأول فى ١٩٤٤، وتحديدا فى قسم التوزيع، أنه تقرر أن يتم طبع أخبار اليوم وتوزيعها من خلال مطابع الأهرام وجهاز التوزيع التابع لها، وتم طبع أعداد تجريبية، كما عقدت فى الأيام الأخيرة قبل الصدور إجتماعات مكثفة لوضع الترتيبات النهائية وأهمها عدد النسخ التى يتم طبعها، وهذا العدد يتقرر بناء على التوقعات المحتملة للتوزيع.

كان يحضر هذه الإجتماعات صحفيون وإداريون ذو خبرة، من أصدقاء على ومصطفى أمين، وكانوا ينتمون إلى مؤسسات صحفية مختلفة: الأهرام ودار الهلال والمصرى، كانوا يقدمون الرأى والمشورة، وكان طبيعيا أن توضع أرقام توزيع الصحف الأخرى فى الإعتبار، وأن تكون ركيزة أساسية فى المناقشات، وقدمت فى هذا الشأن بيانات عن توزيع الأهرام والمصرى، أكبر الصحف وأكثرها إنتشارا فى ذلك الوقت.

(١) طلعت فهمى، أخبار اليوم من مملكة الفتوات إلى عصر الطائرات (القاهرة، مطبوعات أخبار اليوم، ١٩٩٥) ص ١٩.

بلغ مجموع توزيع الجريدتين معا «الأهرام والمصرى» حوالى ١٥٠ ألف نسخة تقريبا، وهو رقم ضخم بمقاييس التوزيع فى تلك الأيام، وبناء على ذلك كانت إقتراحات الخبراء فيما يختص بطبع العدد الأول من أخبار اليوم تتراوح ما بين ٨٠ و١٠٠ ألف نسخة، وكانت هذه هى أكثر التوقعات تفاؤلا، لأن أحدا من هؤلاء الخبراء لم يكن يتوقع أن تتجاوز صحيفة أخبار اليوم الجديدة أيا من توزيع الأهرام أو المصرى.

كان الإجتماع الأخير الذى سبق الإصدار مباشرة، إجتماعا موسعا، ضم نحو عشرين شخصا من العالمين ببواطن أمور الصحافة، والمحيطين بأدق الأسرار فيما يتعلق بالعمل الصحفى، ولم تتجاوز الإقتراحات المقدمة بشأن الطبع مائة ألف نسخة، بل إن بعض الحاضرين رأوا فى هذا الرقم مبالغة قد تكون نذيرا بالخسارة، وهبطوا به إلى ما يقرب من النصف، ووسط هذا الجدل المحتدم وفى خضم المناقشات تناول على أمين ورقة بيضاء كتب عليها بخط يده: (يطبع من العدد الأول من أخبار اليوم ١٥٠ ألف نسخة، أى مجموع ما كان يوزعه الأهرام والمصرى معا).

كان الرقم الذى قرره على أمين مفاجأة للعاملين فى الصحافة، لكن التجربة أثبتت أن على كان صاحب الرؤية الأصوب، فقد استقبلت الأسواق من العدد الأول ١٣٦,٧٠٠ نسخة، نفدت عن آخرها خلال ساعات.

ويشير طلعت فهمى إلى أن القراء وباعة الصحف على السواء طالبوا بطبع العدد الأول من جديد وتوزيعه مع العدد الثانى، ولكن أخبار اليوم لم تكن تستطيع أن تلبى هذه الرغبات، سواء بطبع كميات أكبر أو إعادة طبع الإصدارات السابقة، فلا الإمكانيات المادية المتاحة، ولا كمية الورق التى كانت أخبار اليوم تحصل عليها من وزارة التموين تسمح بذلك، لقد طبعت الجريدة ١٥٠ ألف نسخة بالفعل، لكن لم تنزل كلها إلى الأسواق، فهناك ١٣,٣٠٠ نسخة تلفت أثناء ضبط الأحبار والآلات، فخرجت من المطبعة غير صالحة للتداول.

كانت الفكرة الأساسية المحركة لصناع أخبار اليوم إذن هى أن تصدر جريدة واسعة الإنتشار، ولم تكن الفكرة الشكلية التى قابلها على أمين فى إنجلترا عن توزيع الصحف الكبير هى المحرك فقط، فلو أن على ومصطفى أمين قررا طباعة ١٥٠ ألف نسخة من جريدة يتم العمل فيها على نفس الطريقة المصرية فى الأداء المهنى والمعالجات، لما كانت حققت نتيجة تذكر، لكن التأثير الذى عاد به الأخوان أمين من الخارج كان يتجاوز الأمور الشكلية إلى عمق المضمون والأفكار.

كانت هناك مؤاءمة كذلك بين رغبة أخبار اليوم فى إستكتاب كبار الكتاب فى مصر والعالم وما حدث فعلا على أرض الواقع، فقد عملت أخبار اليوم منذ صدورها على تدعيم هيكلها التحريرى بأكبر مجموعة من المتخصصين والبارزين فى مجال عملهم، وذلك من خلال[1]:

أولا: استكتاب كبار الصحفيين والأدباء الذين عملوا فى الصحف الأخرى وكانت حريصة على منحهم رواتب عالية، فقد كانت أول صحيفة فى مصر ترفع المكانة المالية والأدبية للصحفى، ومن أمثلة الصحفيين الذين عملت أخبار اليوم على إستكتابهم توفيق الحكيم وأحمد الصاوى محمد وكامل الشناوى، فقد كانت أخبار اليوم تدفع لهم أعلى مرتبات عرفتها الصحافة المصرية.

ثانيا: رفعت أخبار اليوم مرتبات الصحفيين بشكل ملحوظ وصل إلى مائة ومائتين وأحيانا ثلاثمائة جنيه شهريا ، فى الوقت الذى لم تزد فيه مرتبات العديد من الصحفيين فى كثير من الصحف المصرية عن عشرة أو عشرين جنيها، ووقتها قال أنطوان الجميل رئيس تحرير الأهرام لعلى ومصطفى أمين: (إنكم ستعممون الخراب فى الصحف بسبب هذه المرتبات العالية، بل ستخربون صحيفتكم بذلك أيضا).

ثالثا: نجحت أخبار اليوم بمرتباتها العالية فى جذب عدد كبير من كبار الصحفيين

(١) خالد عزب وآخرون، مرجع سابق، ص ٥٠.

والكتاب والأدباء من المصريين والعرب والأجانب، ومنهم عباس العقاد وطه حسين، وسعيد فريحة صاحب دار الصياد ببيروت، ومن خارج المنطقة العربية جورج برنارد شو[١]، والمهاتما غاندى[٢].

---

(١) يروى جمال الغيطانى فى عدد أخبار اليوم الصادر فى ١٢ نوفمبر ١٩٩٤ أن على أمين كان فى إنجلترا وسعى لمقابلة برنارد شو وطلب ذلك من صديق له وهو مستر ورثام الصحفى الأول بصحيفة الديلى تلجراف، لكنه أخبره أن مقابلة رئيس الوزراء تشرشل أسهل من مقابلة شو، وإزاء إصرار على أمين اتصل ورثام بصديق لشو اسمه لوينستاين، وأقنعه بضرورة المقابلة، ولكن الإنتظار طال وبعد بحث طويل علم على امين أن شو يقيم فى الريف مع خادمته العجوز، وإذا دق الجرس لا يفتح الباب، تفتحه خادمته، فإذا كان الزائر صديقا لشو نفخت فى صفارة بوليسية فيحضر شو إلى الباب ويستقبل الزائر، أما إذا كان صحفيا فإنها تعتذر ولا تنفخ فى الصفارة، حصل على أمين على العنوان ولجأ إلى حيلة لمقابلة شو، اشترى صفارة بوليس وذهب إلى الدار ودق الجرس ونفخ فى الصفارة، جاء شو ليستقبله وبمجرد أن رآه ورأى الصفارة ضحك طويلا، ثم صافحه ودعاه للدخول معجبا بالحيلة وتم الإتفاق على كتابة مقال خاص لأخبار اليوم وقع عليه بإمضائه، وكان المقال الأول الذى كتبه شو ونشر فى الصفحة الأولى للجريدة بعدد ١٨ أغسطس ١٩٤٥، عنوانه: العالم فوق قنبلة ذرية.

(٢) فى العدد ٤١ من أخبار اليوم وعلى الصفحة الاولى إشارة إلى محاولة الجريدة إستكتاب المهاتما غاندى، وتحت عنوان: غاندى يكتب لأخبار اليوم... جاء الآتى: حين ذهب المهاتما غاندى إلى لندن فى عام ١٩٣٠ التقى ببعض كبار المصريين فقال لهم: إننى تلميذ سعد زغلول.... ولا أقول هذا تواضعا، فالواقع أن الحركة الوطنية التى قام بها سعد فى سنة ١٩١٨ شجعتنى على القيام بحركة مماثلة فى بلادى ، إننى كنت أرقب تطورات الحركة الوطنية فى مصر، وكنت ادعو الله ألا تنطفئ الشعلة التى أضاءها سعد زغلول، فإن الحركات الإستقلالية تحيا معا وتموت معا، وقد أبرقت جريدة أخبار اليوم إلى المهاتما غاندى تطلب منه كلمة عن سعد زغلول بمناسبة الإحتفال بذكراه، ومقالا يتضمن رأيه فى جدية الحريات الأربع وميثاق الإطلطنى وأثر قرارات سان فرانسيسكو فى مطالب الدول المهضومة الحقوق، وقد أرسل إلينا المهاتما غاندى برقية أشار فيها إلى أن الظروف الحالية لا تسمح له بإبداء رأى فى هذه الموضوعات، ولكنه تفضل فكتب لأخبار اليوم الكلمة الآتية عن الزعيم الخالد سعد زغلول: برغم أننى لم أحظ بلقاء سعد زغلول فقد كنت دائما ولا أزال أحمل فى نفسى أعظم التقدير والإعجاب بوطنيته وشجاعته.... والتوقيع غاندى، ويعتبر الباحث أن ما فعلته أخبار اليوم مع غاندى، فرغم أن غاندى لم يكتب مقالا لأخبار اليوم ولكن إكتفى ببرقية=

رابعا: لم تقتصر عملية الإستكتاب على الكتاب والصحفيين بل شملت أيضا نجوم المجتمع وكبار رجال الدولة والعلم والفن لما لهم من منزلة خاصة لدى الجمهور بحكم مناصبهم السياسية والإجتماعية، وقد بداوأ يكتبون فى أخبار اليوم حتى يتعرف الجمهور على آراءهم المختلفة وإن لم تكن سياسية.

لكن الإستعانة بكبار الكتاب لم تكن مطلقة، فلم يكن الكتاب يكتبون ما يريدونه، بل كان هناك غطارا عاما يعمل فيه الجميع حتى لو كانوا كتابا كبارا، والدليل على ذلك ما حدث مع بنت الشاطئ الدكتورة عائشة عبد الرحمن[1] فقد أرسلت خطابا إلى مصطفى أمين قالت له فيه: حضرة الزميل المحترم الأستاذ مصطفى بك أمين، سلام وتحية، تلقيت خطابك الكريم شاكرة، وقدرت الظرف الذى يحول دون إفساح مجال لنقد كتاب واحد فى أخبار اليوم الغراء، وآسف حقا لأنى أساءت فهم ما تريد فى مكتبة أخبار اليوم، فقد ظننت وهى المجلة الفنية الحرة المجددة لا تريد الأسلوب المألوف الشائع من النقد العابر المختصر الذى هو بالإعلام عن الكتاب أشبه، وأردت أن أنقد كل أسبوع كتابا واحدا نقدا حرا طليقا عادلا، بحيث يكون لكلمة أخبار اليوم عن الكتاب أثرها الواضح فى تقويمه، وأ، يكون لميزانها القول الفصل فى الحكم على الكتاب فى الأفق الأدبى، فإن رأيت أن أنقد كتابا كتابا فى عمود أو نصف عمود كل أسبوع، بدلا من حشد مجموعة من الكتب فعلت وإلا فاعفنى الآن من هذا، حتى أعود إلى القاهرة وأكون على إتصال مباشر بكل الإنتاج الأدبى فأستطيع أن أختار مجموعات متناسقة متصلة على وجه ما.

لم يستسلم مصطفى أمين لرغبة بنت الشاطى كما يتضح من نص الخطاب بأن تقدم

=صغيرة عن سعد زغلول مع إعتذار عن الكتابة، إلا أن الجريدة إنحازت إلى أن يكون عنوانها: غاندى يكتب لأخبار اليوم، وهو عنوان مضلل، وإن كان يبقى علامة على أسلوب الإثارة الذى اتبعته أخبار اليوم.

(١) روزاليوسف اليومية، العدد الصادر فى ٦ نوفمبر ٢٠٠٥، تقرير بعنوان: مصطفى أمين يرفض بنت الشاطئ فى أخبار اليوم.

عرضا مستفيضا لكتاب واحد فهذا مما لا يتناسب مع إيقاع أخبار اليوم، ولكنه أملى عليها شروطه بأن تقوم بتحرير باب الكتب بشروطه هو وليس من وجهة نظرها هى، فالصيغة الحاكمة فى أخبار اليوم كانت هى المسيطرة ليس على صغار الصحفيين فقط، ولكن على كبار الكتاب أيضا.

إن فكرة الجريدة واسعة الإنتشار التى صاغت تجربة أخبار اليوم منذ عددها الأول، عرفها العالم مع ظهور الصحف الشعبية وهناك تجارب عديدة فى هذا السياق منها:

أولا: تجربة فرنسا[1] :

فقد ولدت الصحافة الحديثة فيها فى عهد الملك لويس فيليب فى أول يوليه ١٨٣٦، وقبل هذا التاريخ كانت الصحف صحف رأى مخصصة للطبقة الغنية، لا تباع بالعدد بل كان الراغب فى قراءة الصحف يشترك فيها مقابل ثمانين فرنكا يدفعها فى السنة.

وكانت الصحيفة اليومية التى لها ثلاثة آلاف مشترك فقط، تحقق ربحا سنويا يصل إلى خمسين ألف فرنك، وقد احتكر السوق فى ذلك العصر حوالى عشرة صحف كان كل همها إرضاء الطبقة البرجوازية الغنية ويصل عددها إلى سبعين ألف نسخة.

فى هذا التوقيت دخل ميدان العمل الصحفى «إميل دى جيراردان» الذى كان يعرف أذواق الجماهير، كان رجل أعمال من الطراز الأول، فى العام ١٨٣٦ كان عمره ثلاثين عاما، وكان يعرف عنه أنه لا يحترم البشر ولا الأشياء، لأنه كان ابنا غير شرعى لأحد النبلاء وحمل اسمه دون خجل أو إستحياء.

أسس جيراردان صحيفة «لابريس» وخفض إشتراكها إلى أربعين فرنكا، أى إلى نصف قيمة إشتراك أغلب الصحف المعاصرة، وكان يعلم جيدا أن هذا الثمن الجديد سوف يعرضه لخسارة مائتى ألف فرنك فى السنة، وكان الحل بالنسبة له هو الإعتماد على

(١) خليل صابات، الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩)، ص٧٩-٨٣.

الإعلانات، فكلما زاد عدد المشتركين كلما إزدادت الإعلانات وكلما ارتفعت أسعارها.

ويعتبر خليل صابات أن دى جيراردان هو أول صحفى فى العالم يعمل بالنظرية التى أصبحت بعد ذلك أساس كل مشروع صحفى ، وهذه النظرية تقوم على أن: **بيع الصحيفة بثمن رخيص يرفع عدد نسخها المباعة، وكلما ارتفع هذا العدد كلما إزداد إقبال المعلنين وارتفع سعر الإعلان، فلا يمكن لأى صحيفة أن تحقق ربحا تجاريا إلا عن هذا الطريق وبمقتضى هذه النظرية.**

وحتى يقبل القراء على هذا النوع من الصحافة كان من رأى جيراردان أن تكف الصحيفة عن كتابة المقالات السياسية التى لا يقبل عليها القراء، وأن تتوسع فى نشر الروايات المسلسلة والتحقيقات الصحفية.

وبعد جيراردان ظهر «موسى ميلو»الذى تنسب له الصحافة الشعبية التى تباع بثمن زهيد وتطبع آلاف النسخ، ففى ١٨٦٣ أسس صحيفة «لى بوتيه جورنال»وقد ملأها بالأخبار التى تهم عامة الشعب، وكانت فى معظمها تافهة، ولما لاقت هذه الأخبار معارضة شديدة كان رده: (يجب أن تكون لدينا شجاعة إظهار تفاهتنا)، وتخصصت الجريدة منذ اللحظة الأولى التى صدرت فيها فى أخبار الجرائم والحوادث الدامية بتفاصيلها التى تجذب عادة قراء الطبقة العادية.

والمثال الواضح على معالجات جريدة «موسى» المثيرة كانت معالجته لقصة السفاح تروبمان الذى كان قد قتل أسرة مكونة من أب وأم وستة أولاد ، كانت الجريدة تخصص فى كل عدد من أعدادها مساحة كبيرة لتقص على القراء طريقة إكتشاف جثث المجنى عليهم.

عندما ظهرت الجثة الأولى وزعت الصحيفة ٣٥٠ ألف نسخة، ووصل الرقم عند الجثة السابعة إلى ٤٤٨ ألف نسخة، وقفز إلى ٤٦٧ ألف نسخة، بعد إكتشاف الجثة الثامنة. أحرزت الجريدة بهذه المعالجة نجاحا لم تعرفه صحيفة أخرى من قبل.

أدى هذا النجاح الذى لقيته«لوبوتى جورنال» إلى إغراء عدد كبير من أصحاب الصحف على تغيير طابع صحفهم سعيا وراء القراء الذين لا يرضيهم إلا الخبر المثير الملوث بالدماء.

ثانيا: تجربة إنجلترا[1]:

طرحت الثورة الصناعية مهام جديدة أمام الصحافة البرجوازية فى بريطانيا مع نهايات القرن الثامن عشر، فحتى ذلك الوقت كانت المهمة الرئيسية للصحافة هى مساعدة البورجوازية على إستلام السلطة السياسية ونشر وترسيخ الإيديولوجية البورجوازية باعتبارها أمضى سلاح ضد الإقطاعية، وتنظيم علاقات ومواقع الشرائح المختلفة من الطبقة البررجوازية إزاء السلطة.

لكن حدث تحول فى مسيرة ومقاصد هذه الصحافة، حيث أصبح الواجب الأساسى لها هو تبرير النظام الإجتماعى البورجوازى والوقوف فى وجه القوى المعارضة للبورجوازية، والتصدى لصحافة الطبقات الجديدة، فقد انتهى عصر الصحافة البورجوازية المناضلة وأصبحت واحدا من فروع الإنتاج الرأسمالى.

وبرز نوع معين من الناس فى مجال الصحافة يتمثل فى الناشرين، وأصبح إصدار وقيادة وتوجيه الصحف الجديدة خاضعا لأهداف ومبادئ وأسس المشروع الرأسمالى.

ومنذ الثلث الأخير من القرن الثامن عشر سادت فى الصحافة البورجوازية الإنجليزية المشروعات الصحفية التى صدرت من أجل الربح فقط، ومنذ هذه اللحظة أصبح تحقيق الربح واحدا من السمات البارزة والمميزة لهذه الصحافة.

صدرت الصحيفة الأولى من هذا الطراز، أى الصحيفة كمشروع رأسمالى يهدف إلى الربح، فى العام ١٧٩٦ وهى صحيفة «مورننج كرونيكل»، واستمرت فى الصدور حتى

(١) البروفسور د.تودوروف، تاريخ الصحافة العالمية، ت.أديب خضور(دمشق، المكتبة الإعلامية) ، ص ٣٣.

العام ١٨٦٢، وهو العام الذى باعها فيه أصحابها إلى تاجر آخر حولها بدوره إلى مشروع رأسمالى جيد، وفى العام ١٧٧٢ صدرت فى إصدار جديد حمل إسم «مورننج بوست»، ودمجت بعد ذلك مع صحيفة«ديلى تلجراف» التى لا تزال تصدر فى لندن حتى الآن.

وفى العام ١٨٧٥ صدرت جريدة التايمز الشهيرة التى لا تزال تصدر حتى الآن أيضا، وقد تبنت هذه الصحف المبدأ الذى قامت عيه الصحافة الحديثة، والهدف المحدد منها وهو: كسب قراء جدد وزيادة التوزيع، وهذا بدوره يعنى زيادة إمكانيات تلقى إعلانات تجارية أكثر باعتبارها المصدر الرئيسى للدخل وبالتالى المصدر الرئيسى للربح.

بصدور صحيفة «الديلى تلجراف» كانت الصحافة البورجوازية الإنجليزية قد سارت خطواتها الأولى بإتجاه الصحافة الشعبية الرخيصة[1]، وبصدورها كانت البورجوازية الإنجليزية قد أسست صحيفة لما أسمته بالشرائح المتدنية، أى صحيفة رخيصة تشتريها هذه الشرائح ، وتعتبر «الديلى تلجراف» المحاولة الأولى الناجحة للبورجوازية الإنجليزية فى مجال البحث عن طرق ووسائل للتأثير على الشرائح الواسعة من الجماهير.

لقد كان هدف البورجوازية الإنجليزية هو جذب أوسع دائرة من القراء، ولذلك عمدت إلى تنويع الصحف الدورية، وأدخلت عليها فنون صحفية جديدة، وكانت صحيفة «الأوبزرفر» التى صدرت فى العام ١٧٩١ على سبيل المثال رائدة فى التوسع فى إستخدام التصوير الفوتوغرافى، وقد ساهم فى زيادة توزيع الصحف فى بريطانيا تطبيق نظام التعليم الإلزامى الذى طبق من العام ١٨٧٠، حيث أصبح فى مقدور الملايين الذين تعلموا أن يقرأوا الصحف.

كانت العلاقات بين متغيرات الظاهرة متداخلة ومعقدة فى آن واحد، فقد كانت المكننة الصناعية بحاجة إلى عمال متعلمين، وبعد أن أصبح العمال متعلمين، كانت هناك حاجة ماسة وملحة للتأثير على دائرة القراء التى أصبحت واسعة جدا ، وذلك من أجل أن

---

(١) البروفسور د.تودوروف، مرجع سابق، ص ص ١٠٧ – ١٠٩ .

تسلك سلوكا ملائما للطبقة البورجوازية.

وهنا يظهر الهدف واضحا من الصحف الشعبية الرخيصة، فبعد أن توسعت دائرة القراء، بدا أن هذه الدائرة توسعت فى أوساط العمال، وكان الهدف هو إلهائهم ومنعهم من التفكير بوضعهم ودفعهم إلى أن يبحثوا عن كل ما هو خفيف ومسلى فى الصحافة، وحتى ينظروا إلى الصحافة كوسيلة للتسلية وليس كأداة نضالية أو كمنبر سياسى، وبهذا تتوقف الطبقة العاملة عن التفكير.

مع بدايات القرن العشرين كانت الإحتكارات الكبرى هى التى تسيطر على الصحافة الإنجليزية، وأدى الصراع بين المحتكرين إلى إنخفاض عدد الصحف البريطانية فى العشر سنوات الأولى من القرن العشرين.

على أن ما يبدو ذو أهمية كبيرة فى هذا السياق هو أن الإحتكارات الكبرى أدت إلى الصراع على كسب القارئ بأى ثمن، وهو ما دعا إلى سيطرة نمط الإثارة على المعالجات الصحفية، وأصبحت الكلمة الأولى فى الصحافة لمصدر الدخل الأول وللسيد الأوحد فى هذا المجال هى «الإعلان».

إلى جوار الصحافة الشعبية التى كانت تنحو منحى الإثارة صدرت فى إنجلترا صحف الأحد[1] ، وهى تمثل ما عرف بالصحافة الجدية ، التى أصبح وجودها ضروريا فى بريطانيا وفى عدة بلدان رأسمالية أخرى، فقد أدى التعليم ومطالب قراء النصف الثانى من القرن العشرين إلى أن تصبح الصحف المثيرة والرخيصة والفاضحة والخفيفة غير كافية لتحقيق التأثير المطلوب على القراء، فالصحف الصفراء تقرأ ولكنها لاتؤخذ جديا، القراء يريدون الهدف والدقة فى الأخبار والتوضيح للظواهر وعدم التسرع والتحليل والوصول إلى الجوهر، وأصبحت هذه الصحف الجدية والدسمة والثقيلة هى الساحة الرئيسية لحرب المنافسة الدائرة بين الإحتكارات الصحفية الضخمة.

(١) البروفسور د.تودوروف، مرجع سابق، ص ١٧٢ .

ثالثا: تجربة أمريكا[1]:

يمكن تقسيم تاريخ الصحافة فى أمريكا إلى خمسة مراحل حتى ظهرت بها الصحف الصفراء صاحبة الأرقام القياسية فى التوزيع وهذه المراحل هى:

المرحلة الأولى: وتبدأ من العام ١٦٩٠ حين كان عدد الصحف لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة.

المرحلة الثانية : وتتحدد بدايتها بالعام ١٧٧٠ حين بلغ عدد الصحف خمسا وثلاثين صحيفة.

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة ما بعد الثورة التى بدأت فى عام ١٧٧٥ وبلغ فيها عدد الصحف خمسا وخمسين صحيفة، استطاعت أن ترسخ بعض تقاليد العمل الصحفى الجديد سواء على مستوى المضمون أو الشكل.

المرحلة الرابعة : هى مرحلة ما قبل صحافة التعريفة أو نصف القرش، التى بدأت عام ١٨٢٠، والتى مهدت بعد ذلك لظهور الطبعات الشعبية الرخيصة وبأعداد ضخمة.

المرحلة الخامسة: وهى المرحلة التى تبدأ مع العام ١٩٠٠ وهى مرحلة ما بعد الحرب الأهلية حيث وصل عدد الصحف الصادرة فى أمريكا إلى ١٩٦٧ صحيفة.

وقصة الصحافة الصفراء فى أمريكا يمكن أن تروى من خلال قصة المنافسة المهنية بين إثنين من أبرز العاملين فيها، بل ويعتبران الرائدان اللذين جعلا الصحافة الصفراء نقطة تحول مصيرية فى مسيرة الصحافة الأمريكية وهما:

- جوزيف بوليتزر(١٨٤٧ – ١٩١١)
- وليم راندولف هيرست (١٨٦٣ – ١٩٥١)

ويمكن للباحث أن يستعرض تجربة كل منهما على النحو التالى:

(١) البروفسور د.تودوروف، مرجع سابق، ص ١٧٢.

فى حياة كل منهما شق إيجابى وشق سلبى، فجوزيف بوليتزر يعتبر واحدا من المعلمين العظام فى إصدار وإستخدام الصحف الشعبية فى الولايات المتحدة الأمريكية[1] وكانت صحيفته «نيويورك ورلد» التى صدرت عام ١٨٦٠، فصلا مستقلا فى تاريخ الصحافة الأمريكية، فقد استوعب تجارب السابقين عليه، وقام بتطوير وإعادة صياغة تفصيلية للأسلوب الأمريكى فى تقديم الأخبار، وكان هذا كله ينمو ويحدث بلمسات عاطفية وميلودرامية، كان من خلالها قادر على دغدغة مشاعر وعواطف القراء حيث توسع فى نشر المسابقات المتكررة والمقالات ذات الإتجاهات الليبرالية التى تعالج القضايا الإجتماعية خاصة أنه كان ينشرها من قاعدة أنه مناضل غيور ومخلص لحق المواطن الأمريكى.

ويحسب لبوليتزر أنه أول من أكد فى تاريخ الصحافة الأمريكية أن مهنة الصحافة كنشاط جديرة بالإحترام، وأسس صندوقا ماليا(لا يزال يحمل إسمه حتى الآن)، ووزع الجوائز على الصحفيين الدارسين والمتخصصين، وتمنح جائزة بوليتزر كل عام، وتعتبر أعظم وسام ممكن أن يناله صحفى أمريكى، وقد حاز على هذه الجائزة كتاب كبار من أمثال هيمنجواى وشتاينيك وليبمان.

قدم بوليتزر إلى نيويورك فى العام ١٨٧١، وفى هذا العام كانت جريدة «النيويورك ورلد»فى يد جماعة مالية تملك سكك حديد بنسلفانيا، وهى الملكية التى ترجمت إقتران الصحافة الأمريكية بأصحاب رأس المال، لكن إدارة الجريدة لم تستطع أن تحقق مكاسب لها، فاشتراها بوليتزر فى العام ١٨٨٣، وحتى يخرج بها من عثرتها، استخدم الفنون الجديدة وطور الفنون القديمة وخاصة الحديث الصحفى المباشر، واستطاع أن يضاعف توزيع الجريدة خلال أربعة شهور، وذلك من خلال مواد الإثارة ذات العناوين البالغة الإثارة التى كانت تحتل الصفحة الأولى بكاملها، وبقيت الصحيفة رغم التطورات التى

(١) البروفسور د.تودوروف، مرجع سابق، ص ص ١٠٠ – ١٠٤.

شهدتها على سعرها الذى لم يتجاوز «السنتين»، وقد فعل بوليتزر ذلك معتمدا على رأسماله البالغ وقتها ٣٠٠ ألف دولار وعلى الإعلانات التجارية المتزايدة.

استخدم بوليتزر الصورة العادية والملونة والرسوم الكاريكاتورية، لدرجة أن الصور كانت فى معظم الأحيان تحتل عمودين كاملين، وكان هذا شيئا جديدا على الصحافة الأمريكية، وقادت هذه التطورات إلى إرتفاع توزيع الجريدة إلى ١٠٠ ألف نسخة، حدث ذلك فى عام ١٨٨٤ أى بعد عام واحد من شراء بوليتزر لها، وقد احتفل بهذا الإنجاز بطريقة مختلفة.

فقد نصب ١٠٠ مدفع فى الحديقة العامة فى نيويورك أخذت تطلق النار إحتفالا بهذا الإنجاز العظيم، وقام كذلك بتوزيع جوائز وعلاوات مالية ضخمة على مختلف العاملين فى الجريدة، وهو الأمر الذى دفعهم إلى التفانى فى عملهم، حتى بلغ توزيع الجريدة ٣٥٠ ألف نسخة عام ١٨٨٧، وبدأت تصدر طبعة مسائية تحت اسم «ايفننج وورلد»بلغ توزيعها مع الصحيفة الصباحية ٣٧٠ ألف نسخة، وهو أعلى رقم توزيع فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى العالم فى ذلك الوقت لصحيفتين متحدتين.

أصدر بوليتزر كذلك صحيفة «الصنداى وورلد»، التى كانت صحيفة جديدة فى تاريخ الصحافة الأمريكية حيث اعتمدت على الصور والموضوعات المصورة، وكانت بذلك طليعة ورائدة المجلات المصورة التى صدر منها عدد كبير بعد ذلك فى الولايات المتحدة، ورغم أن سعرها كان كبيرا نسبيا وصل إلى خمس بنسات، إلا أن توزيعها وصل إلى ٢٥٠ ألف نسخة.

ترتبط الصحافة الصفراء بشخصية «جوزيف بوليتزر»، فقد كان أوج نشاطه الصحفى فى فترة نهاية القرن التاسع عشر، وهى الفترة التى بدأ فيها أمراء المال فى الولايات المتحدة الأمريكية زحفهم تجاه السيطرة الفعلية على البلاد، إذ تجمعت فى أيد قليلة قوة مالية ضخمة، وانتقل الصراع من أجل النفوذ بين التجمعات الرأسمالية الكبيرة إلى مجال

الصحافة والنشر، ومن جهة أخرى أصبحت الصحف، وبسبب التطور التقنى جماهيرية ورخيصة ومجالا للنشاط التجارى والمالى .

لقد اتجهت الصحافة البوجوازية فى هذه الفترة نحو الإثارة بأشكالها كافة، وفى هذا الإطار ظهرت شخصية «الولد الأصفر» التى نسبت إليها هذه الصحافة، حيث أصبح هذا الإسم مرادفا لأقبح الرذائل فى الصحافة البورجوازية، وهى الرذائل التى كان لها تأثير مأساوى من خلال الجنس وقصص الجرائم، وكان المبدأ لدى هذه الصحف هو : الإثارة بأى شكل وبأى ثمن من أجل أن يتم حرف القراء ومنعهم من التفكير بوضعهم وهو الأمر الذى يسهل قيادتهم كالقطيع بصدد إتجاهات التطور فى المجتمع.

على مقربة من جوزيف بوليتزر كان يقف وليم هيرست الذى كان يعتبر تلميذا لبوليتزر، ولم يخرج فى عمله الصحفى عن القاعدة التقليدية، فقد كان يرى[1]: (أن نجاح أى صحيفة يعتمد على كمية الإعلانات التجارية التى تنشر فيها ولكى تحصل الصحيفة على هذه الإعلانات، ولكى تستطيع أن تطلب أجرا مرتفعا لنشرها، يجب ان يكون لديها ملايين القراء، ولكى يتوفر هذا العدد من القراء يجب أن يخفض المستوى الصحفى، فتوزيع الصحيفة عندما يكون قراء الصحيفة ليسوا من دوائر وأوساط المثقفين بل الجماهير الشعبية الواسعة، ويجب أن يقدم لهذه الجماهير مادة مثرة، وصورا كثيرة ومثيرة أيضا).

وبهذه الطريقة فإن الصحيفة التى يجب أن تحقق ربحا وفى الوقت ذاته أن تنفذ سياسة الرأسمال الإحتكارى، يجب أن تكون أداة لجذب الجماهير الشعبية والتأثير عليها، وبهذه الطريقة تستطيع الصحيفة أن تكون مزرعة حقيقية للإعلانات التجارية التى تشكل المصدر الرئيسى للربح، فمضمون صحيفة كهذه يجب أن يمارس تأثيره على الغرائز البدائية للناس ...الحقد والطموح إلى الثراء والتعصب، وكذلك يجب أن تحوى الصحيفة

---

(١) البروفسور د.تودوروف، مرجع سابق، ص ١٤٠ - ١٤٣ .

كمية ضخمة من الدياجوجية الإجتماعية .

كانت لدى وليم هيرست قاعدة هى أنه لابد أن تظهر يوميا فى صحيفته مادة جديدة مثيرة، وكان هذا يشكل علامة مميزة فى صحافته، وصل به الأمر إلى أنه عندما كانت لا تتوفر للصحيفة المادة المثيرة المناسبة فى موعد الطبع كان هيرست يخترعها، وفى العام ١٨٩٥ رحل هيرست إلى نيويورك حيث عرين بوليتزر الصحفى، اشترى صحيفة «مورننج جورنال» : التى كان قد أسسها منذ ١٣ سنة ألبيرت بوليتزر الأخ الأصغر لجوزيف.

فى هذه الصحيفة استطاع هيرست أن يجذب أفضل الصحفيين عبر رأس المال الضخم الذى استثمره فى الصحيفة التى أصبح اسمها جورنال فقط، وعبر المكافآت الضخمة التى يدفعها للصحفيين المهمين والعاملين فى الصحف الأخرى، وبذلك أدخل هيرست إلى الصراع الصحفى قاعدة رأسمالية بحتة وهى:

فى الصراع ما بين الرأسماليين ينتصر ليس من يملك حججا أقوى بل ذلك الذى يملك رأسمال أكبر.

أضف إلى ذلك أنه اعتمد على الإثارة والجرائم والكاريكاتير والصور وهو ما كان يفعله بوليتزر تقريبا، واستطاع أن يصل بما فعله إلى مستوى صحافة بوليتزر، وأصبح توزيع صحيفته قريبا من توزيع صحيفة «وورلد»، واستطاع أن يحصل على أكبر كمية من الإعلانات، وأصدر هو الآخر صحيفة مسائية اسمها«ايفننج جورنال»، وسرعان ما زاد توزيع صحفه على توزيع صحف بوليتزر.

وفى مجال صحف الأحد أسس هيرست صحيفة «صنداى جورنال»وعبر الرشوة والإغراء استطاع أن يجذب إلى صحيفته تلك أفضل كتاب وصحفى ورسامى بوليتزر، وحتى رسام الكاريكاتير الشهير ريتشارد اتوكلود مبتكر شخصية «الولد الأصفر»انتقل إلى «صنداى جورنال» براتب مضاعف عن راتبه فى «صنداى وورلد»، ولكن الصنداى

وورلد وجدت رساما آخر وتابعت نشر مسلسل الولد الأصفر.

كان هيرست معجبا منذ البداية بجوزيف بوليتزر[1] وبمزايا جريدته «وورلد»، ولذلك لم يكن غريبا أن تكون جريدة هيرست فى نيويورك«جورنال »قريبة الشبه بجريدة بوليتزر«وورلد»، وهو ما جعل بوليتزر يرتبك أمام منافسه الجديد، فخفض سعر جريدته إلى سنت واحد، وحاول أن يعوض الخسارة الناتجة عن تخفيض سعر الجريدة برفع سعر الإعلان، لكن كانت النتيجة فى صف هيرست، حيث كان هيرست أبرع من بوليتزر فى الدعاية لجريدته فى الصحف الأخرى، وفى تعليق إعلاناتها على حوائط المدينة بشكل ضخم فقفز التوزيع، وضاق الفارق بين الجريدتين فى التحرير والإخراج والتوزيع أيضا.

ويصف إبراهيم عبده حالة المنافسة بين بوليتزر وهيرست بأنهما كانا يسعيان إلى المجد بأى ثمن، وكان المجد المهنى والمالى يأتيهما من الأخبار المثيرة والبيع الكثير للصحف، ولذلك فلم يكن غريبا أن يقفا وراء صناعة العديد من المشاكل فى المجتمع الأمريكى حتى يحصلان على هذا المجد، وليس أكثر من أنهما هيئا الفرصة لإندلاع الحرب بين الولايات المتحدة وأسبانيا وألحا فى نشوبها حتى نجحا آخر الأمر وكان لهما ما أرادا.

قبل الحرب التى اشتعلت فى العام ١٨٩٧ أرسل بوليتز وهيرست بعثة صحفية كاملة إلى كوبا، ومن بين أفراد هذه البعثة كان الرسام فريدريك ريمنجتن، كانت مهمة الرسام أن يقوم برسم لوحات للأطفال والنساء الذين يقاسون ويعذبون والذين جمعتهم السلطات الإسبانية فى معسكرات خاصة، تبادل هيرست ورسامه برقيات عديدة، كان منها برقية ذات دلالة خاصة، جاء فى برقية أرسلها فريدريك: ليس ثمة أى إضراب...لن تنشب حرب...أريد أن أعود، لكن هيرست يعاجله ببرقية رد فيها عليه وقال: (رجاء أن تبقى..حضر الرسوم وأنا سأدبر الحرب).

وبالفعل اشتعلت الحرب الأمريكية الأسبانية على أرض كوبا، وأرسل هيرست يختا

(١) إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ١٩٦.

خاصا وذهب بنفسه إلى هناك ليباشر عملية الحرب عن قرب، ونقل من هناك مجريات الحرب وبأدق التفاصيل وعرض بدقة الوحشية الأسبانية، أما البطولة الأمريكية فقد عرضت وتم تمجيدها، وهو ما أدى إلى ازدياد توزيع الصحف وخاصة «نيويورك جورنال»، التى وصل توزيعها إلى مليون نسخة.

لقد اتبع هيرست فى معالجته للحرب الأمريكية الأسبانية ما يمكن أن يسمى بآلية«الهيستريا الجماهيرية»وهى آلية يتم فيها إستخدام العناوين الضخمة والمثيرة، وأحد الأمثلة على ذلك[1] العنوان الذى نشر فى «نيويورك جورنال» عشية الحرب الأسبانية الأمريكية:

« الحرب يمكن أن تعلن قريبا » .

وبهذه الطريقة ستتعلق بعينى القارئ كلمتى «الحرب» «تعلن» اللتان كتبتا بطريقة ذكية.

هل يمكن لنا أن نقوم بتوصيف الصحافة التى قدمها وليم هيرست من هذه الخلفية، بالطبع ..فهى صحافة لامبدئية ومثيرة، تسعى إلى دغدغة المشاعر والغرائز لدى القراء، ولا تهدف فى النهاية إلا إلى تحقيق أكبر ربح ممكن.

بل إن إبراهيم عبده يصف ما حدث بعنوان دال وهو**«الدماء ليزيد التوزيع»**[2].

ويشرح ما فعلته صحف الإثارة فى الحرب الأسبانية الأمريكية بأنه لم يكن متابعة ولكن صنعا متعمدا من أجل أن تعيش الصحافة عليها.

لقد كانت الدعاية لتحرير كوبا من الحكم الأسبانى الشغل الشاغل للنيويورك والويرلد فى الفترة بين سنة ١٨٩٦ وسنة ١٨٩٨، وقادت كل منهما فكرة الحرب مع

(١) البروفسور د.تودوروف، مرجع سابق، ص ١٤٤.
(٢) إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

الأسبان، وألحتا على ذلك إلحاحا زاد حماس الناس للقتال، وانعكس هذا الحماس على الرئيس ماكنلى الذى كان مصمما فى أول الأمر على الوقوف ضد تيار الحرب.

*** كان مسلك الصحف مع إشعال الحرب واضحا من الناحية التحريرية والفنية ويتضح ذلك من الآتى:**

- حفلت عناوين الصحف وإفتتاحياتها وقصصها الإخبارية وتقاريرها بمزاعم عديدة عن إعتداءات تقع على الأمريكيين المستوطنين فى كوبا، وركزت هذه الكتابات على بربرية الأسبان.

- كانت بعض الصحف تنتهز فرصة القبض على مراسل لها فتقيم الدنيا وتقعدها حتى يثور الرأى العام الأمريكى ضد الأسبان.

- تضخيم القصص التى تعترض طريق الحرب، وهو ما حدث عندما نفت الحكومة الأسبانية زعيم حركة التحرير الكوبى، فصحبته ابنته «إفانجيلينا» إلى منفاه، فاتهمها الأسبان بمحاولة قتل حاكم الجزيرة التى نفى إليها والدها، وأعادوها إلى هافانا لمحاكمتها، تلقف هيرست الحادثة وخصصت جريدته لها صفحات أسبوعية لمتابعتها من خلال القصص والتقارير والمقالات الحماسية.

- خلقت صحيفة هيرست من هذه الفتاة أسطورة بما خلعته عليها من ألوان البطولة والجمال والعفة، وطلبت من زعيمات الحركات النسائية فى أمريكا أن يرسلن البرقيات إلى البابا وملكة أسبانيا للعفو عن البطلة المجاهدة.

- إنتقل الإهتمام من صحيفة هيرست بالفتاة المجاهدة إلى الصحف الأخرى التى لم تستطع أن تتجاهل الإهتمام العام بأمر هذه الفتاة، فساهمت كل بطريقتها فى نشر تفاصيل حماسية عنها.

- لكن ظل هيرست هو المبدع فى تغطية الحدث، فقد بعث بأكبر مراسليه ليخطف إيڤانجيليا ويعود بها إلى نيويورك، استأجر المراسل قصرا قريبا من السجن فى هافانا

واستطاع بوسائله أن يخلصها من محبسها، ثم ألبسها ملابس صبى واستطاع أن يعود بها إلى نيويورك، ليستقبلها هيرست فى مظاهرة شعبية عارمة اشتركت فيها المدينة كلها، واشتركت فيها أمريكا بقراءة تفاصيل هروب الفتاة المستخفية فى ثياب صبى فى جريدة الجورنال، ثم أرسلها إلى واشنطن حيث قابلت رئيس الجمهورية، ونجحت التمثيلية التى ألفها هيرست نجاحا عظيما، زاد من توزيع الجريدة وهيأ النفوس للحرب.

- وعلى طريقة إفانجيلينا التى أطلقوا عليها جان دارك كوبا، عالجت صحف هيرست غرق سفينة أمريكية فى ميناء هافانا، اتهم هيرست الأسبان بإغراقها، واقترح تأليف لجنة لجمع التبرعات لضحايا السفينة الغارقة وإقامة نصب تذكارى لهم بإعتبارهم أبطالا يستحقون تقدير الوطن.

- زايد بوليتزر على موقف هيرست وشن حملة ضخمة على تردد أمريكا فى دخول الحرب، وكتب مقالات حث فيها الكونجرس ورئيس الجمهورية على ذلك، وطالبهما فى عدم التريث فى إتخاذ هذا القرار.

- كانت النتيجة واضحة بعد هذه المعالجة، فقد بلغ توزيع الجورنال والويرلد حوالى مليونى نسخة، وأصبحت الحرب هى التى ستمكن لهذا التوزيع من المحافظة على مستواه، ولذلك لم تردد الصحف فى تزييف الحقائق من أجل زيادة التوزيع.

- فى الوقت الذى وقفت فيه صحف أمريكية عديدة أمام هذه المعالجات المثيرة، حيث رأت «الإيفننج بوست»[1] أن ما فعلته صحف بوليتزر وهيرست عارا على الصحافة الأمريكية، فقد زيفتا الحقائق عن عمد واختلقتا القصص لإثارة الجماهير، فهى فضيحة صارخة أن يلجأ الرجال فى بساطة إلى مثل هذا التخريب لا لشئ إلى لكى يبيعوا عددا أكبر من صحفهم.

- لكن فى المقابل كانت هناك وجهة نظر تبناه كل من بوليتزر وهيرست، فمن حيث

(١) إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

الأخلاق الصحفية لا تعتبر المبالغة فى نشر الأخبار ودفع البلاد إلى الحرب والتدمير من باب الإثارة الصحفية بقدر ما يعبر عن وجهة نظر، فالجريدة وقفت إلى جانب تحرير كوبا، وهذا وحده شفيع لها مهما يكن وراء ما فعلته من أضرار، فقد زيفت الجريدتان الحقائق وباعتا مليونى نسخة ، وأشعلتا الحرب لكن فى النهاية كوبا تحررت ، كسبت الجريدتان مالا وصيتا...وكسبت كوبا حريتها.

على ضفاف هذه المعالجة وغيرها يمكن للباحث أن يرصد مبادئ عديدة وسمات مختلفة حظيت بها صحافة الإثارة فى الغرب، وهى مثل التقاليد التى لا زالت تسير عليها هذه الصحف حتى الآن، مع فارق التطور التكنولوجى والقدرة على الدخول إلى مناطق شائكة لم تكن مأهولة قبل ذلك بالنسبة لهذا النمط من الصحافة، ويمكن رصد هذه السمات فى الآتى:

أولا: المحافظة على جعل القارئ فى حالة توتر دائم، وذلك من خلال شن حملات مكثفة وعديدة على جماعات المصالح سواء التى ينتمى إليها هذا القارئ أو ينتمى إلى ما يعارضها من جماعات، تحافظ الصحيفة على تصوير الأمر على أنها تحافظ على مصلحة القارئ، لكنها فى الغالب تكون فى طريقها إلى تحقيق مصلحتها الخاصة، أو على الأقل تحقيق مصالح الممولين لها.

ثانيا: الإهتمام بمواد الجريمة وجعلها فى مكان بارز من الصحيفة، ويصبح من الصعب أن تصدر الصحيفة الشعبية أو المثيرة دون أن تحتوى على الأقل على قصتين أو ثلاثة من قصص الجريمة، التى يشترط أن تحوى قدرا هائلا من التفاصيل، وكلما كانت هذه التفاصيل شاذة وغريبة وغير معتادة فإنها تجذب القارئ أكثر، ولا تترد هذه الصحف عن إضافة بعض التفاصيل إلى مادة الجريمة دون أن تكون قد حدثت فعلا، ويعتمدون فى ذلك على دراسة التكوين النفسى للقارئ، حيث يتوسعون فى إشباع رغبة سادية حين يقدمون للقراء تشويهات متعمدة للطبيعة الإنسانية.

ثالثا: تتوسع صحف الإثارة فى نشر الفضائح الغرامية، والمغامرات والقصص الجنسية، وصور الفتيات العاريات وعارضات الأزياء، وتعتمد الصحف فى ذلك على أنها تخلق عالما موازيا وبراقا وقادرا على جعل القراء من مستويات مختلفة تتماهى معه وتتمنى أن تعيش فيه، فتقبل على قراءة ما يخص هذا العالم، فإن لم يكن فى إستطاعتهم أن يعيشوا أحلامهم فى الواقع فلا أقل من أن يعيشوها على الورق، وبين سطور الصحف.

رابعا: اعتمدت صحافة الإثارة الغربية على ما يمكن أن نسميه«**الأكاذيب العلمية**»، وهى عبارة عن موضوعات غارقة فى الخرافة لكن تعرضها الصحافة بمعالجات تضفى عليها بعضا من العلمية.

فهى تشير إلى الأمور الخارقة للطبيعية على أنها أمور عادية وتحاول أن تنشر ما يبررها علميا، وهى بذلك تضفى مسحة من السطحية على ما يفترض أنه علم، وفى هذه المعالجة إيهام للقارئ بأنه يحصل أكبر قدر من المعرفة العلمية رغم أنه فى الحقيقة لا يحصل إلا المزيد من الخرافات.

خامسا: تشويه الأخبار وتزييفها، وهى آلية تعتمد عليها صحف الإثارة، فلا يمكن لها أن تنشر الأخبار صحيحة ودقيقة وموضوعية، فالحقائق فى الغالب لا تثير، ولا تلفت إنتباه القارئ، رغم أن هناك من الحقائق والأحداث الواقعية ما يكون أكثر إثارة بمراحل من قصص الخيال، لكن فيما يعتقد الباحث أن تشويه الأخبار وتزييفها فى الصحافة الغربية لا يتم من أجل الإثارة فقط، ولكن يتم لتحقيق مصالح أطراف وجماعات على حساب أطراف وجماعات أخرى.

سادسا: اعتمدت بعض صحف الإثارة على السطو على الأخبار لحرق السبق على الصحف الأخرى، وبدلا أن يتم ذلك نزولا على المنافسة المهنية الحرة بين الصحف فإنه كان يتم من خلال السرقة، حيث كانت جريدة «الجورنال»، وقبل أن تشترك فى وكالة الأسوشييتدبرس كانت تسرق أخبار جرية «الويرلد»[1] حيث كانت تحصل على نسخة

(١) إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

منها قبل توزيعها وتنقلها عنها ما ينقصها من أخبار.

سابعا: أضافت صحافة الإثـارة ألوانـا صـحفية جديـدة لم تعرفهـا الصـحافة مـن قبـل، ومن أهمها العناوين الضخمة التى تحتل الصفحة الأولى بالكامـل، وفى البدايـة كانـت هـذه العناوين تكتب بخط اليد وتشغل فى إرتفاعهـا عـلى رأس الصـفحة عـدة بوصـات وتـنشر باللون الأسود، ثم أخذت تظهر باللون الأحمر وخاصة فى الأحداث الكبرى أو الكـوارث الضخمة.

ثامنا: أدخلت صحف الإثارة الصحافة الأمريكية إلى عالم الإنتـاج الكبـير، فقـد بلغـت الذروة فى التوزيع، وفى عدد الصفحات التى يشملها العدد الواحد وفى حجم الإعلانات، ووصلت الصحف إلى أحجام لم يكن يحلم بها أحد، وذلـك فى الوقـت الـذى سـجلت فيـه أرقام الإستثمارات والتكاليف والأرباح مستويات خيالية.

تاسعًا: عملت صحافة الإثـارة مـن خـلال حالـة عاليـة جـدا مـن المرونـة والإسـتيعاب للمستجدات أيا كان شذوذها أو غرابتها، فمع إنتشار موسيق الجاز التـى كانـت شـيكاغو قاعدة لإنطلاقها فى منتصف عشرينات القرن العشرين[1] ظهر لون صـحفى جديـد أطلـق عليه صحافة عصر الجاز، وانـتشر فى ولايـات عديـدة مثـل نيويـورك وأورلينـز وكانسـاس وتينسى، ولم تكتفى هذه الصحف بالكشـف عـن خبايـا كبـار رجـال الأعـمال والشركـات العملاقة، بل توغلت فى الأحياء الفقـيرة فى المـدن الكبـيرة والتـى يقطنهـا السـود والزنـوج بصفة خاصة لتكشف عن دهاليزها وكهوفها وأزقتها الغامضة دائما والمعتمة أحيانا، حيث البطالـة والجريمـة والـدعارة والأميـة والأمـراض السريـة، وهـو جانـب مظلـم مـن المـدن الأمريكية لا يقل إثارة إطلاقا عن الجانب الآخر الذى يشغله المليونيرات.

عاشرًا: مهدت صحف عصر الجاز الطريق لظهور **صحافة التابلويد** التى تميزت بشكل ومضمون مختلفين، فقد كانت الصفحة فيها تماثل نصف الصـفحة المعتـادة وذلـك ليسـهل

(١) نبيل راغب، مرجع سابق، ص ٥٥.

حملها وقراءتها فى أى مكان عام أو خاص، ركزت هذه الصحف على الجرائم والفضائح ومواقف القسوة والعنف والإدمان والسكر والعربدة والإكتئاب والضياع.

هذا المضمون كان إنعكاسا لطبيعة الجمهور الذى تتوجه له هذه الصحف، فقد كان جمهورا من أنصاف المتعلمين أو الذين لم يتعد تعليمهم أساسيات القراءة والكتابة والمراهقين والباحثين عن الإثارة بكل أشكالها، والعاطلين الذين لا يعرفون كيف يقتلون الوقت والسكارى الذين يسيل لعابهم لأية قصة مهما كانت مختلفة بل وقد يسعون لمحاكة ما جاء فيها على سبيل إثبات ذواتهم الضائعة.

حادي عشر: كانت صحف الإثارة مع كل تقدم تكنولوجى تكتسب أرضا جديدة فى إبتكار ألوان من الجذب والإثارة تصل بها إلى مرحلة جديدة من التحقق والتوزيع، فمع تقدم التصوير الصحفى ابتكرت صحف الإثارة ما يعرف الآن بفتاة الغلاف، هو عبارة عن طبع صورة فتاة جميلة وساحرة على غلاف المجلة، وغالبا ما تكون الصورة لنجمة سينمائية أو راقصة شهيرة أو ملكة جمال أو عارضة أزياء أو بطلة رياضية، مع إبراز الملابس التى ترتديها لأكبر قدر من مفاتنها، ونذلك كانت ملابس الإستحمام و النوم من الأزياء المفضلة فى هذه الصور.

ثالث عشر: فى بعض الأحيان كانت صحف الإثارة تكتفى بأن تنشر صورة جميلة على الغلاف فقط، لكنها إمعانا فى الإثارة كانت تضمن العدد تحقيقا مصورا يبرز المزيد من المفاتن والأسرار عن فتاة الغلاف، وهى أسرار فى الغالب ما تكون مختلقة أو مفبركة، وتغازل بها الصحف القراء العاديين الباحثين عن الإثارة والتسلية.

رابع عشر: دمجت صحف الإثارة بين أكثر من عناصر التشويق، ويمكن الإشارة تحديدا إلى عنصرى السياسة والجنس، وهو ما بدا واضحا فى متابعة صحف الإثارة الأمريكية لفضائح البيت الأبيض وكانت آخرها فضيحة الرئيس بيل كلينتون مع المتدربة مونيكا لوينسكى، وهو ما حدا بهذه الصحف أن تقف بالمرصاد لكل ما يصدر عن البيت

الأبيض.

خامس عشر: قد أدى التوسع فى العمل السياسى والإقتصادى إلى أن صحف الإثارة لم تتفرغ لبعضها البعض كما حدث فى بدايتها بين بوليتزر وهيرست، حيث كانت صحفهما مشغولة بالصراع فيما بينهما، لكن الآن تعمل صحف الإثارة وهى على قناعة تامة أن المجال أرحب وأوسع بالنسبة لجميع الصحف لكى تمارس كل ما يعن لها من مغامرات تصل إلى مرحلة الشطحات الصحفية.

***

يخلص الباحث من ذلك إلى أن الفكرة الأساسية المحركة لصحافة الإثارة سواء فى مصر أو فى الغرب، وفى كل عصورها بفترات إنحسارها وفترات زهوها، هى فكرة واحدة تتمحور حول زيادة التوزيع الذى هو فى النهاية السبيل إلى زيادة الإعلانات التى تمثل مصدر الدخل الأهم للصحيفة، وحتى يزيد التوزيع فإن هناك آليات لابد أن تتبع ومعالجات لابد أن تقدم من أجل جذب الجماهير وهذه الآليات وتلك المعالجات لايوجد مسمى لها إلا صحافة الإثارة.

وعندما ينقب الباحث فى الأفكار التى حركت صحف الإثارة الكبرى فى مصر، يجد مجلة روزاليوسف عندما حولت خطها من مجلة تهتم بالفن والفنانين والإبداع إلى مجلة سياسية تهتم بالشأن العام وبقضاياها السياسية والإجتماعية والدينية الملتبسة.

وجريدة أخبار اليوم التى كان يحلم أحد مؤسيسها وهو على أمين أن يطبع من العدد الأول منها مليون نسخة مرة واحدة طمعا فى توزيعها.

وعندما صدرت صحف الأحزاب الكبيرة فى النصف الثانى من السبعينات كانت تهدف إلى التوزيع الكبير ليس بغرض الربح فقط، ولكن بغرض الوصول إلى أكبر عدد من القراء الذين يشكلون فى النهاية بالنسبة للأحزاب قاعدة جماهيرية عريضة تدعمه وتعضد مواقفها السياسية وغير السياسية فى مواجهة السلطة.

وعندما بعثت الروح من جديد فى مجلة روز اليوسف فى منتصف السبعينات على يد فتحى غانم[1] وهو الذى وضع قاعدة مهمة فى الصحافة وهى أن الموضوع الذى لا يقرأ لا يكتب من الأساس، وهى قاعدة ذهبية تعمل من خلالها صحافة الإثارة ويمكن أن تترجم بأن الموضوع الذى لا يكون قادرا على جذب القارئ من الأساس لا داعى لنشره لأنه فى النهاية يمثل عبئا على الجريدة ومساحة مفقودة منها، وكان إلى جوار فتحى غانم فى هذه الفترة صلاح حافظ الذى وضع العديد من قواعد صحافة الإثارة، لكنه كان يراعى فى ذلك السياق المجتمعى الذى تصدر فيه صحافته.

ثم عندما بعثت الروح مرة ثانية فى روزاليوسف، بعد أن تولى عادل حمودة مسئولية نائب رئيس تحرير فى النصف الأول من تسعينات القرن العشرين، تسلم عادل حمودة الجريدة وقرر أن يعيد إليها بريقها الذى فقدته منذ أن تركها صلاح حافظ ، الذى كان قد رشح عادل لهذه المهمة[2]، كان صلاح حافظ يعرف جيدا أن عادل حمودة قادر بتكوينه النفسى والإجتماعى أن يرتفع بتوزيع روزاليوسف وأن يصنع أجيالا جديدة بها تجدد شباب روزاليوسف وتجدد شباب الصحافة المصرية فيما بعد، وهو ما حدث تقريبا فمنذ التسعينات، وصحافة الإثارة المصرية لم تستطع أن تخرج من عباءة عادل حمودة، وهى العباءة التى فصلت على ثلاثة محاور هى السياسة والدين والجنس وما بينهم من تشابكات وتفريعات.

تم تعميق جوانب من هذه الظاهرة فى أوقات معينة وذلك فى الإصدار الثانى من جريدة الدستور فى إصدارها الثانى الذى صدر فى ٢٠٠٥، بعد سبع سنوات من إغلاق إصدارها الأول فى فبراير ١٩٩٨، وهو الإصدار الذى كان نسخة ثانية من روزاليوسف لكن فى شكل جريدة، حيث رسخ الإصدار الثانى الإثارة السياسية بمعناها الشامل والتى

(١) رشاد كامل، مقابلة خاصة فى مؤسسة روزاليوسف فى ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨.

(٢) من حوار مع عادل حموده أجراه الباحث ونشر فى جريدة صوت الأمة عدد ١٢ يناير ٢٠٠٤.

بلا سقف تقريبا.

ولم تكن الدستور رائدة فى طرق هذا الباب لكن الريادة كانت فى تعميقه، حيث سبقتها إلى ذلك جريدة العربى الناصرى بعد أن تولى رئاسة تحريرها فى العام ٢٠٠٠ عبد الله السناوى، يساعده كرئيس تحرير تنفيذى عبد الحليم قنديل، حيث كانت الجريدة الحزبية التى سبقت الصحف الخاصة فى رفع سقف الإثارة السياسية بأن عارضت البيت الحاكم فى مصر، ونشرت تقارير موسعة عن الرئيس وزوجته وأبناءه، لكنها كانت تفعل ذلك بحرفية حالت دون أن تجعلها عرضة للمساءلة القانونية، وهو ما لم يستطع أن يتجنبه إبراهيم عيسى رئيس تحرير الدستور، الذى بالغ فى رفع سقف الإثارة السياسية، فوجد نفسه محاصرا بحكم قضائى لمدة شهرين فى قضية نشره أخبار عن صحة الرئيس مبارك رأت المحكمة أنها كاذبة[1].

كانت بالقرب من هذه الصحف أنماط أخرى أخذت من تجربة روزاليوسف قشورها، فعملت من الظاهر منها، فقد سلكت جريدة النبأ مثلا طريق الإثارة الإجتماعية الرخيصة الخالية من المضمون والهدف.

لكن فى النهاية كان يجمع هذه الأنماط جميعا أنها كانت تبحث عن التوزيع وزيادة عدد القراء، وكان لكل منها هدفه الذى يريد تحقيقه سواء كان هذا الهدف ماديا من خلال الربح أو معنويا من خلال حشد الجماهير وراء الهدف الذى تعمل من أجله الصحيفة.

ولا يعنى ذلك أن رغبة أصحاب هذه الصحف أو القائمين عليها إداريا وتحريريا فى زيادة التوزيع كان تأثرا بالفكرة العالمية التى وقفت وراء إنتاج الصحافة الشعبية والمثيرة، فهذه الرغبة تعتبر غريزية، ولا تحتاج لمن يمليها على العاملين فى الصحافة فحتى الذين لا

(١) فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٨ أصدرت محكمة جنح مستأنف بولاق أبو العلا برئاسة المستشار وجيه حسن حكما بحبس إبراهيم عيسى رئيس تحرير جريدة الدستور شهرين مع النفاذ، وهو الحكم المعدل الذى سبق وحصل عليه إبراهيم عيسى بالحبس ٦ شهور فيما عرف بقضية صحة الرئيس.

يتفقون مع صحافة الإثارة صاحبة التوزيع الأعلى يحلمون بأن يزداد توزيعهم، لكن فى الغالب لا يكون باليد حيلة.

***

والجدير بالرصد فى هذا الإطار أن هناك كتابات عديدة شهدتها الصحافة المصرية لم تقدم عليها صحف الإثارة وحدها ولكنها نشرت فى صحف جادة وبأقلام صحفيين جادين، وهذه الكتابات رصدها أنور الجندى(1) منسوبة إلى أصحابها كالآتى:

أولا: إبراهيم سعدة يكتب من هونج كونج: خمر وجنس وأفيون.

ثانيا: سعيد سنبل يكتب من لندن عن التقليعات الشاذة والهيبية والنساء الداعرات والخنافس.

ثالثا: أنيس منصور يكتب عن مؤتمر الأدباء فى بغداد فيقول أن الأدباء كانوا يجلسون فى عشرات المطاعم فى شارع أبى نواس يأكلون ويشربون ويضحكون ويحبون وينظرون بعين واسعة جرئية إلى المينى جيب تحت العباءة السوداء، ثم يقول: ويبدو أن هناك إتفاقا سريا بين النساء والرجال أن تكشف المرأة وبسرعة صدرها وساقيها بشرط أن ينظر الرجل.

رابعًا: عشرات المقالات للتابعى وطه حسين تتحدث عن الإغراءات وكيفية إستقبال الربيع فى باريس وصور عارية وخمور ونساء، وحديث عن مونت كارلو التى تقوم على القمار، وهناك صور الفساد المختلفة بهدف إغراء القادرين على الذهاب للإنفاق، بل إن التابعى يفيض فى الحديث عن الشذوذ الجنسى الذى أصبح فى بريطانيا عملية قانونية أو ما يسمونه الجنس الثالث نتيجة إنتشار مودة الخنافس فى أوربا.

خامسًا: يكتب الدكتور حسين فوزى فى جريدة الأهرام عدد ٢١ أغسطس ١٩٦٤ عن

(١) أنور الجندى، الصحافة والأقلام المسمومة، (القدهرة، دار الإعتصام) ص ص ٧٠ – ١١١.

مودة الصدر المكشوف وبعد أن يفيض فى هذا الحديث ويحسنه ويغرى به كل قارئ يقول: وقى الله بلادنا من هذه التبرجات المهبولة.

سادسًا: أنيس منصور يكتب: نحن نعيش عصر الإثارة الجنسية، وليس فى عصر الجنس، فالجنس من ألف سنة كان أعنف وأقوى وأكثر تنوعا من الجنس الآن، وفى إستطاعتك أن ترجع إلى ألف ليلة وليلة وإلى شعر أبى نواس وإلى مقامات الوهرانى وإلى كتاب الروضة العطرة وإلى قصور الملوك فى فرنسا، إنها مليئة بأشكال وألوان من الجنس، أكثر بكثير مما جاء فى مؤلفات المركيز دى صاد، أما العصر الذى نعيش فيه فإنه عصر الإثارة الجنسية، عصر بلبلة العواطف وتقليب المشاعر وتضليلها، الأغانى مثيرة والمجلات والأفلام كذلك والرقص والإنفجار.

سابعًا: تنشر مجلة روزاليوسف فى العدد ١٤٥٧ رأيا للممثل يوسف وهبى يقول فيه: لا أرى تحريم أى شئ طالما أن الضرر أو النفع يعود على الشخص نفسه، فأنا أمقت تحديد الحريات ما دامت هذه الحريات تعبر عن إطلاق القيود فى المجتمع، وكل إمرئ مسئول عن عمله وكل فرد منا له عقل يعرف كيف يتصرف به، فإن من يمنع شيئا بالقوة مثل من يمنع اللص من السرقة بوضعه داخل أربعة جدران، وتحريم الخمر يماثل أمر الحاكم بالله الذى قضى على زراعة الكروم ليمنع الناس من شرب النبيذ.

ثامنًا: يتحدث موسى صبرى عن الحب فى السويد يقول: إن ما يباح للشاب يجب أن يباح للفتاة، وان أحدهم يقول انه يحترم العلاقة الشاذة بين أخته وصديقها وإنها مسئولة عن نفسها....ويتساءل موسى صبرى: ماذا تفعل الفتاة إذا أصبحت إما بغير زواج؟والجواب هو: إما أن تتخلص من جنينها أو أن الدولة كفيلة برعايته، والإبن غير الشرعى له تقدير فى نظر المجتمع.

إختار الباحث هذه النماذج من هذا البحث تحديدا لعدة أسباب بعضها يرتبط بمضمون هذه الإقتباسات، وبعضها يرتبط بمن كتبوها والبعض الثالث يرتبط بصاحب

البحث نفسه.

*** ويمكن الإشارة إلى ذلك من خلال:**

أولا: بالنسبة للإقتباسات التى نشرت فى صحف مثل الأهرام وأخبار اليوم وروزاليوسف ومنها ما يدخل تحت لواء صحافة الإثارة ومنها من لا يقترب منها مطلقا، فهى تعكس أن الإثارة فى فترة الخمسينات والستينات لم تكن تتم بالمنتج المحلى فقط، بل كان يتم الإعتماد على منتج الحياة الغربية، وهو المنتج الإجتماعى والثقافى الذى كان ينقل عبر مشاهدات الصحفيين الذين يزورن بلاد الغرب، ثم يسجلون مشاهداتهم تمهيدا لعرضها على قارئ محلى.

الإثارة هنا كانت تتم من خلال الأفكار الصادمة المتحررة تحديدا على المستوى الإجتماعى وعلاقة الرجل بالمرأة وما يتعلق بوضعية المرأة فى المجتمع، وما يرتبط بالعلاقات بين الرجل والمرأة والإطار الذى تحرك فيه هذه العلاقات من حيث شرعيتها أو عدم شرعيتها، لكن الإثارة فى فترات لاحقة كانت تتم من خلال المنتج المحلى، وتحديدا منذ منتصف التسعينات، لا تلجأ الصحف إلى الغرب ناقلة عنه أفكاره إلا فى أضيق الحدود، ثم أن الأفكار ليست هى القادرة على الجذب الآن، فالأحداث والوقائع وخاصة الشاذة والغريبة والفضائحية منها هى التى تستحوذ على إهتمام منتجى صحف الإثارة فلا يترددون فى إبرازها والتعليق عليها.

ويرى الباحث أن هناك تناقضا من باب ما فى هذه المسألة، ففى الستينات وتحديدا بعد صدور قانون تنظيم الصحافة، كان النظام الحاكم يرى ضرورة الإهتمام بالقضايا الداخلية، وكانت هناك إشارات أنه لابد أن تبتعد الصحافة عن موضوعات الإثارة وتحديدا الجنسية[1]، وأشار عبد الناصر إلى أن مصر هى كفر البطيخ، لم تكن مصر منفتحة

(١) قبل أسبوعين من صدور قانون تنظيم الصحافة، كانت مجلة صباح الخير التى تصدر عن مؤسسة روزاليوسف قد صدرت وعلى غلافها رسم كاريكاتيرى للفنان حجازى الذى رسم دولاب=

على الغرب فى هذه الفترة، بل كان الجو العام الحاكم يميل إلى القضايا الداخلية، لكن ولأنه فى نفس الوقت لم يكن يسمح لأحد أن يدخل محراب الإثارة بقضايا محلية، فقد تم الإعتماد على الغرب سواء من خلال صحفه أو من خلال المراسلين أو أدب الرحلات لنقل أفكار وحياة الغرب، وكانت هذه حيلة مزدوجة تستطيع الصحف من خلالها أن تنشر ما يجذب القارئ إليها حتى لو كانت المادة غربية، ومن ناحية ثانية تبتعد الصحف عن الشأن الداخلى لأن الخوض فيه يمكن أن يعرضها لما لا يحمد عقباه.

والتناقض أنه بعد الإنفتاح الكامل على الغرب ليس على مستوى الأفكار فقط ولكن على مستوى السلوك الإستهلاكى، تراجعت إلى حد كبير الإستعانة بمادة من الصحف الغربية تخدم نمط الإثارة، وقد يكون لذلك أسبابه وهو أن التوسع فى وسائل الإتصال من الإنترنت والفضائيات جعلت القارئ المحلى يطلع وفى نفس اللحظة على ما ينتجه الغرب من إثارة صوتا وصورة ولونا، وعليه فهو لا يحتاج من الصحف المكتوبة أن تعيد عليه ما سبق ورآه، وهو ما جعل صحف الإثارة تبحث فى الداخل عن عناصر إثارة جاذبة للقارئ المحلى، ومن هنا فتحت ملفات رجال الأعمال والفنانات والجرائم الجنسية والمعارضة السياسية التى بدأت برفع السقف على الحكومة ثم بلغ السقف أعلاه فى معارضة الرئيس الذى ظل حتى العام ٢٠٠٠ خطا أحمر لا تقترب منه الصحف الخاصة ولا حتى صحف المعارضة.

ووجه التناقض هو أنه فى فترات إنحسار العلاقات مع الغرب تعتمد الصحافة فى تغذية نهر الإثارة بالأفكار الغربية، وفى فترات الإنفتاح والتواصل تلتفت الصحف إلى

=الملابس وبداخله خمسة رجال وأمامهم وقفت سيدة تقول لأخرى: أنا رايحة السينما ...تفتكرى أخرج بإيه؟، وعندما إجتمع جمال عبد الناصر مع الصحفيين قال لهم: الصورة الكاريكاتيرية اللى بتمثل الزوجة على أنها خاينة لأنها حطت تلاتة فى دولاب، أبدا ده مش مجتمعنا، أنا معرفش ..انا مش متصور إن مجتمعنا فيه زوجة بتحط ثلاث رجاله فى الدولاب وعلشان كده بتحط لهم تكييف هواء، ده مجتمع مين أنا معرفش.

القضايا المحلية التى يكون بعضها أكثر قدرة على جذب الإنتباه من وقائع وأحداث فى الغرب لا تخص غير أصحابها.

لقد أحدثت صحف الإثارة السياسية والإجتماعية تحديدا ما يشبه الإنقلاب بالإتجاه إلى المحلية الخالصة، بل إن الظرف السياسى دفع بعض الصحف الغربية إلى أن تنقل عن الصحف المصرية ما تنشره عن الأسرة الحاكمة هنا فى مصر، حدث هذا تحديدا مع جريدة العربى الناصرى، يقول عبد الله السناوى[1] أنه كان ينشر تقارير قصيرة عن الأوضاع هنا فى مصر وبعد ذلك كانت تنقله هنا صحف إنجليزية وأمريكية ولكن بتوسع وإضافة بعض المعلومات والتحليلات التى لم يكن أحد ليستطيع أن ينشرها هنا فى مصر من تلقاء نفسه، وكانت الجريدة تقوم مرة ثانية بترجمة هذه التقارير وتنشرها منسوبة للصحف الأجنبية حتى لا تقع الجريدة فى حرج المواجهة المباشؤة مع السلطة.

ويوصف السناوى ما جرى : إذا أننا فى هذه الحالة لسنا سوى ناقلين لما ينشر عن النظام فى الخارج، وكنا نتعامل مع ذلك الأمر على أنه «**بضاعتنا ردت إلينا**».

لقد كان الإتجاه إلى المحلية بكل هذه الكثافة لأسباب تتعلق بتطور المجتمع وتعقيد مشاكله، بما جعل الصحف تتابع عن قرب ما يجعل قارئها يقبل عليها دون أن تكون فى حاجة لأن تجذبه من خلال مادة غريبة فى الغالب لا يهتم بها إلا ليشاهد صورا عارية أو يقابل أفكارا عارية، فإذا كانت الصور العارية والأفكار العارية كذلك موجودة هنا فلماذ يتم إستيرادها، وإذا كانت الأحداث السياسية ساخنة وقادرة وحدها على خلق الإثارة فلماذا يتم إلقاء الضوء أكثر على السياسة فى الخارج.

ثانيا: أما بالنسبة لمن كتبوا فى صحف الستينات وإنتقلت على أيديهم الأفكار الغربية، فهذا أمر يتسق مع تكوينهم الثقافى والتعليمى، فقد تلقوا تعليمهم غالبا فى جامعات الغرب، ومن لم تتح له الفرصة لذلك حاول أن يعوض ذلك بالسفر والقراءة المتعمقة

(١) عبد الله السناوى، مقابلة خاصة معه فى ١٧ أغسطس ٢٠٠٨.

لآداب وعلوم الغرب، ولعل هذا ما يفسر الآن لماذا تبدو صحافة الإثارة محلية، وغارقة فى القضايا والوقائع الداخلية.

فالجيل الجديد الذى تولى مسئولية الصحف وتحديدا الخاصة منها لم تكن له علاقات بالغرب إلا فى النادر، عادل حمودة على سبيل المثال حرص لسنوات عديدة أن تكون له رحلات مختلفة لدول العالم، وقد انعكست ثقافته التى كونها من خلال رحلاته فى النمط الذى قدمه فى تجاربه التى تمثل علامة بارزة فى صحافة الإثارة المصرية(روزا – صوت الامة – الفجر)، حيث يتابع بإهتمام شديد ما ينشر فى صحافة الغرب، ويركز بالطبع على الموضوعات الجاذبة والتى تتناول حياة النجمات والنساء الشهيرات فى الغرب، وهذا إلى جوار إهتمامه بما ينشر فى الصحف العالمية عن مصر والمنطقة العربية والعالم الإسلامى بشكل عام، لكن بخلاف هذه التجربة، لم تبد أى ثقافة غربية على أحد من منتجى صحافة الإثارة فى مصر.

ولا يستبعد الباحث أن هذا يتم عن جهل وليس عن رؤية أو وجهة نظر، فمستوى التعليم الذى تلقاه الجيل الجديد من الصحفيين، والإعداد الأكاديمى لهم فى كليات وأقسام ومعاهد الإعلام لا يمكن أن يضيف شيئا له قيمة فى تكوين صحفى يمكن أن يتواصل مع الغرب ويتفاعل معه وينقل عنه ويفهم ما يقصده وما يرمى إليه.

بل إن هناك من الأخطاء ما يقع فى هذه الصحف بسبب الجهل الشديد، تحقق الجريدة الإثارة المطلوبة بالمعلومة الخطأ، وعندما تكتشف ذلك لا تحاول حتى أن تعتذر.

- ولعل هناك نموذج واضح على ذلك:

فى العدد ٢١ من جريدة الدستور الإصدار الأول بتاريخ ١ مايو ١٩٩٦، نشرت الجريدة فى صفحتها الأولى صورة كبيرة لرئيس وزراء لبنان رفيق الحريرى ومسئول عسكرى يبدو أنه يفتشه وتحت الصورة كتب إبراهيم عيسى بعنوان: تفتيش رئيس وزراء لبنان ذاتيا فى لندن...

«بالذمة هل هذا وطن لتحيا فيه، هل هذا هو الوطن العربى الكبير بحكامه الكبار قوى، الرجالة على الآخر، أنا لن أكتب شئيا عن الحكام العرب الذين باعونا فى سوق النخاسة وسلموا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا ليهود خيبر ، أنا سوف أترك مقالى لهذه الصورة التى نشرتها الصحف البريطانية لرئيس الوزراء اللبنانى رفيق الحريرى حيث يفتشه شخصيا ضابط إنجليزى قبل دخوله لمقابلة رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور، عمركم شفتم رئيسا يتم تفتيشه بحثا عن طبنجة أو مطواة قرن غزال، ما كل هذه الإهانة والمهانة التى وصل إليها العرب، ألم أقل لكم أن هذا الوطن لم يعد صالحا كى تحيا فيه ...كفاية تموت»

لم يكن شئيا مما كتبته الصحيفة صحيحا، وفى العدد ٢٣ الصادر فى ١٥ مايو ١٩٩٦ تصدر الجريدة بمانشيت على ٦ عمود يقول: تفاصيل أزمة صورة رفيق الحريرى، وعلى الصفحة الرابعة نشرت الجريدة ردا من سفير لبنان فى القاهرة قال فيه أن الضابط الذى ظهر فى الصورة مع الرئيس رفيق الحريرى ليس ضابطا بريطانيا بل هو المقدم على الحاج المرافق العسكرى اللبنانى للرئيس الحريرى وكان يساعده على خلع معطفه قبيل لقائه رئيس الوزراء البريطانى ، أما المدنى الثانى الواضح فى الصورة فهو أحد المرافقين الأمنيين للرئيس الحريرى.

وإلى جوار هذا الرد أرسل «ايد ويب» من مكتب الإعلام بالسفارة البريطانية بالقاهرة إلى الجريدة عتابا على الصورة التى نشرت لرئيس وزراء لبنان وهو مستسلم لضابط يعبث بملابسه أمام مقر رئيس الوزراء البريطانى، وقال أنها لم تكن تصور الحريرى وهو خاضع للتفتيش على يد ضابط بريطانى وإنما الضابط الموجود فى الصورة لبنانى يقوم بتعديل هندام رئيس الوزراء قبل دخوله رئاسة الحكومة البريطانية.

كان يمكن للجريدة أن تعتذر وتقول أنها أخطات لكنها سلكت مسلكا آخر، تهكمت على رد السفير اللبنانى عندما قالت أن الصورة والتعليق اللذين يوحيان مباشرة بأن

الحريرى يخضع للتفتيش قد تلقاهما الجميع باعتبارهما شئيا ممكنا وعاديا، ولم ينفعل له الناس وما هاجوا وماجوا، ليس لأنهم يعرفون المقدم على الحاج شخصيا وشربوا معه الشاى على القهوة، ولكن لأن كل ما يحدث فى الوطن العربى الآن يجعل الشعور القومى مهانا وفى حالة تقبل لأى شئ وكل شئ.

واقتربت الجريدة متهكمة من رد مسئول المكتب الإعلامى بالسفارة البريطانية عندما قالت له: إننا لا نعرف إن كان فى الخارجية البريطانية موظف آخر فى لندن يتمتع بنشاط ودقة المسترايد ويب وما إذا كان لفت نظر هذا الموظف الصورة الأصلية المنشورة فى الفاينانشيال تايمز، وتعليقها الملتبس عليها فأرسل للصحيفة البريطانية توضيحا مماثلا.

ورغم أن الجريدة قالت فى تقديمها لهذين الردين: أن تعليق الجريدة البريطانية على الصورة كان فى سياق التهكم والتصور أن الحريرى يفتش فعلا، والمؤكد الآن وبعد أن جاءنا رد من السفير اللبنانى فى القاهرة هشام دمشقية، ومن المكتب الإعلامى للسفارة البريطانية أن تعليق الصحيفة البريطانية كان ملتبسا وغامضا، ومن ثم جاء تعليق رئيس التحرير عليه يحمل نبرة الأسى والتهكم على العرب وهو ما يستحقه العرب فعلا وأكثر ولكن ليس من أجل هذه الصورة على الأقل.

دارت الجريدة حول ما يوحى بأنها أخطأت دون أن تكون لديها الشجاعة أن تعترف بالخطأ، وهو أمر لا يتعلق بالشجاعة فى حقيقة الحال، بل يتعلق بسمة أساسية من سمات صحافة الإثارة فى مصر، وهى سمة عدم الإعتذار حتى مع ثبوت الخطأ، فهى لا تعتذر إلا إذا أجبرت على ذلك، أو وجدت نفسها فى مواجهة خطر لا ينقضى إلا به.

هذا الخطأ وقع بسهولة لأن منتجى هذه الصحف فى الغالب لا يجيدون اللغة ويعتمدون على مترجمين هواة توفيرا للنفقات، ومن السهل على المترجم الهاوى أن يقع فى مثل هذا الخطأ بمعنى أن لا يستطيع أن يفرق بين الكلام الجاد المقصود والأسلوب الساخر الذى فيه بعض من التهكم.

ثالثا: ويصل الباحث إلى أنور الجندى كاتب «الصحافة والأقلام المسمومة» الذى جاء بإقتباساته ليهيل التراب عليها وعلى أصحابها وليس أكثر من ذلك، يقول أنور الجندى عن نفسه[1]: أنا محام فى قضية الحكم بكتاب الله، ما زلت موكلا فيها منذ بضع وأربعين سنة منذ رفع القضية الإمام الذى استشهد فى سبيلها قبل خمسين عاما للناس، حيث أعد لها الدفوع وأقدم المذكرات بتكليف بعقد وبيعة إلى الحق تبارك وتعالى، وعهد على بيع النفس لله والجنة هى الثمن لهذا التكليف.

ويبدو من تعريفه لنفسه أنه نذر الجهاد لمحاربة كل ما يرى أنه ضد الإسلام، وهو ما جعله يعتبر أن معالجات الصحف للأمور الجنسية ودعوتها إلى إعتناق الأفكار الغربية نوعا من الكفر ومحاربة الإسلام، والرغبة فى هدمه وتدميره، وجاء كتابه الصحافة والأقلام المسمومة ترجمة دقيقة لذلك، وما جعل الباحث يعير هذا الكتاب إهتمامه أنه يمثل لدى قطاع كبير من شباب الجماعات الإسلامية وتحديد الإخوان المسلمين ما يشبه التميمة التى يتمسكون بها فى تعاملهم مع الصحافة، ليست المثيرة منها ولكن الجادة أيضا.

لم يكن موقف أنور الجندى من صحافة الإثارة بعيدا عن منابعه الفكرية وتكوينه، فقد ولد الجندى بـ (ديروط) عام ١٩١٧ التابعة لمركز أسيوط ، كان جده لوالدته قاضيا شرعيا يشتغل بتحقيق التراث ووالده يشتغل بتجارة الأقطان وفى الوقت نفسه يحتفى بالثقافة الإسلامية ومتابعة الأحداث الوطنية والعالمية.

حفظ أنور الجندى القرآن الكريم في كتاب القرية، ويسرت له ظروف والده التجارية أن يعمل وهو صغير ببنك مصر بعد أن درس التجارة وعمل المصارف بالمدارس المتوسطة، ثم واصل دراسته الجامعية فى المساء حيث درس الاقتصاد والمصارف وإدارة الأعمال، وتخرج في الجامعة الأمريكية مجيدا للغة الإنجليزية التي درسها خصيصا – كما يقول – ليستطيع متابعة ما يثار من شبهات حول الإسلام من الشرق والغرب ويقوم

(١) إسلام أون لاين، أنور الجندى الزاهد الربانى الدؤوب، ٦ فبراير ٢٠٠٢.

بالرد عليها.

فى عام ١٩٤٠ قرأ الجندى كتاب «وجهة الإسلام» لمجموعة من المستشرقين، لفت نظره فى الكتاب كما يقول حجم المؤامرة على الإسلام، ووضع أقدامه على الطريق الطويل لمعركة المسلمين في ميدان البقاء.

بدأ أنور الجندي بميدان الأدب ، فواجه طه حسين والعقاد وأحمد لطفى السيد وسلامة موسى وجورجى زيدان والحكيم ونجيب محفوظ، من خلا عشرات الكتب مثل: أضواء على الأدب العربى المعاصر، والأدب العربى الحديث فى معركة المقاومة والتجمع والحرية، أخطاء المنهج الغربى الوافد، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، خص منها طه حسين وحده بكتابين كبيرين، هما: طه حسين وحياته فى ميزان الإسلام، ومحاكمة فكر طه حسين؛ وكان الجندى يرى أن طه حسين هو قمة أطروحة التغريب، وأقوى معاقلها.

وينتمى أنور الجندى لجماعة الإخوان المسلمين، فقد التقى بمؤسسها حسن البنا فى بداية حياته وبايعه على السمع والطاعة، وبلغ به الأمر أنه كان يضع أمام سرير نومه صورة لوالده وجده وحسن البنا.

يمكن أن يصبح طبيعيا بعد ذلك ما أنتجه أنور الجندى فى كتابه عما أسماه الصحافة المسمومة، فهو ينتمى إلى تيار لديه وجهة نظر ليس فى الصحافة فقط ولكن فى الحياة كلها، وهى وجهة نظر تقوم على المنطلق الدينى فى تقييم الأشياء، وهو المنطلق الذى ينحصر بين ثنائيات الحلال والحرام وافعل ولا تفعل، وقد تكون الأحكام الأخلاقية التى لاحقت الصحافة المثيرة نابعة من هذه المدرسة، وقد يكون مقبولا من الجماعات الدينية أن تنتقد الصحف بسبب ما تعتقد أنه خروج منها على الدين والأخلاق، لكن المشكلة أن كثيرا من الباحثين تماهوا مع هذه المدرسة فأصدروا أحكاما فى ظاهرها علمية لكنها فى الأساس أخلاقية على ظاهرة مهنية من المفروض أن يتم تقييمها على أسس ومعايير علمية فقط.

ولا يمكن أن يعزل الباحث تصدى صحف الإثارة للجماعات الدينية ومواجهتها وكشفها أمام الراى العام، من سياق هجوم هذه الجماعات عليها ورفضها إياها، فهناك خصومة واضحة بين الإتجاهين فالأفكار التى تبشر بها وتنشرها صحف الإثارة تحديدا فى النواحى الإجتماعية والثقافية والدينية لا يمكن أن ترضى عنه الجماعات الإسلامية، ولابد أنها ستسارع لمحاصرة ذلك إذا ما كان الأمر بيدها، ولذلك تجتهد الصحف فى أن تحول بين هذه الجماعات وبين ذلك، ومن ناحية ثانية تقوم الجماعات الإسلامية وكتابها بمحاولة تشويه هذا النمط من الصحافة، ليس من باب أنها صحافة غير دقيقة مثلا أنها لا تراعى أخلاقيات المجتمع الذى تصدر فيه، ولكن على أنها صحافة تحارب الله ورسوله، ويصل الأمر أحيانا إلى تكفير هذه الصحف والعاملين فيها بل وتكفير من يشتريها[1].

***

فى إطار المقارنة بين صحافة الإثارة فى مصر ومثيلتها فى الغرب لا يمكن أن نغفل جانبا مهما للغاية من الصورة، وهو جانب الإمكانيات المادية التى تشكل عصب عملية الإنتاج الصحفى سواء فى صحف الإثارة أو حتى فى الصحف الجادة، فالصحافة دون إمكانيات لا يمكن أن تستمر وإذا حدث وإستمرت فإنها لا تكون قادرة على تلبية إحتياجات قارئها من المعرفة والإطلاع على ما يدور حوله ليس فى مجتمعه فقط ولكن فى العالم المحيط به.

فى مصر لا يمكن أن يدعى الباحث أن هناك صحيفة حكومية تتبع منهج الإثارة بشكل متكامل وعلى طول الخط، اللهم إلا مجلة روزاليوسف فى فترة التسعينات، ما دون

(١) فى ٢٠٠٣ أصدر المرشد العام للإخوان المسلمين مأمون الهضيبى قرارا بعدم شراء جريدة «صوت الأمة» التى كانت وقتها قد شنت عليه حملة بسبب تقاريره الطبية التى جاء فيها أنه مصاب بالزهايمر، وكان القرار مشفوعا بفتوى تحريم الصحيفة، وفى ٢٠٠٧ صدرت فتوى من أحد الدعاة المعروف بتوجهه السلفى بتحريم بيع وقراءة جريدة الفجر وإعتبرها من الصحف الضرار، ودعم هذه الفتوى شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى حيث حذر من قراءة الجريدة بسبب جرائتها فى تناول موضوعات الصحابة ورواة الأحاديث.

ذلك حتى لو ظهرت بعض الإثارة فى صحف الحكومة فإنها تكون معالجات عابرة.

وترتبط هذه المعالجات العابرة بأسماء بعينها فى الصحافة المصرية تأثر أصحابها بالصحافة الغربية، حيث دأبوا على مطالعتها ونقل موضوعاتها حتى لو كانت بعيدة عن إهتمامات القارئ المصرى وذوقه، لكنها فى النهاية تكون قادرة على أن تجذبه إليها، ويمكن للباحث أن يسوق عدة أمثلة على ما يذهب إليه من تجارب محسن محمد فى جريدة الجمهورية وتجربة موسى صبرى فى الأخبار وتجربة أنيس منصور فى الصحف التى تنقل فيها وعليها من أخبار اليوم إلى الأهرام وإنتهاء بكتابته لعمود رأى ثابت فى الصفحة الأخيرة من جريدة الأهرام بعنوان مواقف وكذلك تجربة إبراهيم سعدة فى أخبار اليوم وتجربة محمود صلاح فى أخبار الحوادث.

كل واحد من هؤلاء كانت لديه قناعة ثابتة أن جذب القراء لا يتأتى للجريدة من خلال موضوعات محلية فقط، ولكن من خلال موضوعات أجنبية يغلب عليها الطابع المثير سواء فى فكرتها أو فى معالجتها، لكن هذه النماذج فى النهاية لم تشكل مدارس صحفية ولكن غلب على مزاجهم المهنى الإتجاه إلى الصحف الأجنبية والإعتماد عليها فى تغذية صحفهم بالمواد المثيرة والجذابة فى آن واحد.

وهو ما يعنى أن صحف الإثارة فى مصر تتركز فى صحف الأحزاب والصحف الخاصة، وهى صحف فى الغالب بلا إمكانيات ضخمة، ولا توجد جريدة خاصة فى مصر تملك مطابع مثلا سوى جريدة النبأ، وبقية الصحف تطبع أعدادها فى مطابع المؤسسات الحكومية.

والسؤال لماذا تحظى الإمكانيات المادية بكل هذه الأهمية فى نمط صحافة الإثارة؟

هذا سؤال ...

والسؤال الثانى هو:

وإذا لم تتوفر الإمكانيات المادية فماذا تفعل هذه الصحف وكيف تتصرف فى الحصول على مادة جذابة وجديدة وملفتة للإنتباه؟

الإجابة على السؤال الأول لا تحتاج إلى مزيد من الإجتهاد، فهى تأتى منطقية للغاية، فالإمكانيات المادية هى عصب عملية الإنتاج الصحفى، حيث تساهم فى توسيع دائرة الحصول على المعلومات، وجعل المحررين أكثر قدرة على السفر والتنقل ومقابلة المصادر، كما أن قدرة الجريدة على توفير مرتبات ومكافآت مجزية لمحرريه يحررهم من أسر الحاجة التى يمكن أن تقعدهم عن عملهم الصحفى وتصرفهم إلى أعمال أخرى من أجل الإنفاق على أنفسهم وعلى أسرهم، أو على الأقل يتسرب الفساد من ثغور الحاجة، فبدلا من أن يقوم المحررون ببيع الأخبار للقراء، يبيعون القراء لمنتجى الإعلانات وأصحاب المصالح.

ولذلك فمن الطبيعى جدا أن تكون هناك آثار سلبية عديدة لعدم توفر الإمكانيات المناسبة للصحف، ورغم أن هناك إعتقاد أن صحف الإثارة فى مصر تربح الكثير وأن ذلك ينعكس بالتبعية على الإمكانيات التى توفرها الجريدة لمحرريها، فإن هذا الإعتقاد لا يقترب من الصحة أو الدقة مطلقا، فدخل الصحف الخاصة على سبيل المثال كبير جدا وتحديدا من الإعلانات وصفقات البيزنس غير المعلنة والتى لا يستطيع الباحث أن يقدم دليلا ماديا ملموسا عليها، وإن كانت هناك شواهد كثيرة تشير إلى أن أمورا ما تحدث لكنها تتم بإحترافية شديدة لتبعدها عن عيون الرصد، لكن ليس معنى ذلك أن يضخ أصحاب الصحف أموالا بشكل مستمر لتطوير العمل الصحفى فيها.

وقد يرجع ذلك إلى أن أصحاب صحف الإثارة فى مصر يتعاملون معها على أنها مشروعات فردية وشخصية، المكسب المادى هو الهدف الأخير منها، ومن أجل التوفير يتم التقتير على المحررين، والخصم من الميزانية التى يجب أن تخصص للخدمة الصحفية، ويكون من الطبيعى بعد ذلك أن نرى إضرابات وإعتصامات فى هذه النوعية من الصحف إحتجاجا على صرف المرتبات أو تأخيرها، ولا يتم إستيعاب هذه الأشكال الإحتجاجية بل يتم تهديد المحررين بأنه يمكن الإستغناء عنهم، وإستبدالهم على الفور بآخرين، فالبطالة فى مصر وفرت أعداد كبيرة يمكن أن تعمل فى الصحافة، وخاصة

صحف الإثارة التى لا يتطلب العمل فيها كفاءات نادرة فى الكتابة والتحرير، بل يمكن أن تكون كل كفاءة المحرر أن تكون لديه قدرة على الحصول على المعلومات بأى طريقة، وإذا عجز عن صياغتها فإن قسم «الديسك» يقوم بصياغتها بتوقيعه.

- وحتى يجعل أصحاب صحف الإثارة قاعدة لأسعار المحررين بها فإنهم يقسمون المحررين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المحرر الذى يستطيع أن يحصل على المعلومة لكنه لا يستطيع أن يصيغها، وهذا النوع من المحررين لا يكونوا فى الغالب حاصلين على مؤهلات جامعية، لكنهم كما يشار إليهم فى الوسط الصحفى أبناء سوق، لديهم مصادر عديدة يستطيعون بكفاءة عالية أن يدخلوا أى مكان أو أى مؤسسة قد لا يستطيع أى صحفى محترف أن يدخلها، وهؤلاء لا يحصلون على معلومات فقط، بل يكونوا قادرين على الحصول على مستندات، ولا يتورعون عن دفع مبالغ نقدية عالية إذا كان فى هذه المستندات ما يستحق.

القسم الثانى: هو المحرر الذى يستطيع أن يصيغ المعلومة بشكل جيد واضعا فيها كل عناصر الإثارة المتاحة، لكنه فى الوقت نفسه يكون عاجزا عن الحصول على المعلومة، فهو صحفى مكتبى، لا مصادر له ولا قدرة على الحصول على الوثائق والمستندات التى من خلالها يستطيع أن يحقق سبقا صحفيا ينسب له، وهذا المحرر فى الغالب يعمل فى «قسم الديسك» أو يكون كاتبا فى الجريدة يكتب مقالات الرأى وتسند إليه بعض أعمال الصياغة.

القسم الثالث: وهو المحرر الذى تكون لديه القدرة على الحصول على المعلومات من مصادره الكثيرة وفى الوقت نفسه يكون قادر على كتابتها بأسلوب صحيح وجذاب، وهذا النمط الثالث لا يتوفر بشكل كامل فى صحف الإثارة، اللهم إلا فى قيادات العمل بها مثل رئيس التحرير ومساعديه.

- هذا الترتيب فى حقيقة الأمر تترتب عليه نتيجتان:

الأولى: أنه لا يوجد فى صحف الإثارة إلا فيما ندر الصحفى المتكامل الذى يستطيع أن

يؤدى ما يجب أن يقوم به الصحفى وهو الحصول على المعلومات وصياغتها بنفسه، فإذا كان يستطيع أن يحصل على المعلومة فهو لا يستطيع أن يكتبها، وإذا كان قادرا على كتابة المعلومة بشكل صحيح فهو لا يستطيع من الأساس أن يحصل عليها، وفى هذا بشكل غير مباشر تحديد للقيمة المادية التى يحصل عليها الصحفى من جريدته، فهو فى الغالب يواجه بمشاكله ونواقصه وعدم قدرته على إتمام عمله، ولذلك يستطيع صاحب الجريدة أن يبخسه حقه دون أن يعترض كثيرا على المعاملة المادية المتدنية.

الثانية: أن رئيس تحرير هذه الصحف عادة يكون محترفا إلى حد بعيدا، ويفضل أن يجمع حوله محررين غير مكتملين، يشوب أداءهم بعض القصور، حتى تكون لديه طول الوقت الورقة التى يمكن أن يستغلها ضدهم، ولذلك فإن أى إختلاف مع المحررين ورئيس التحرير فى هذه الصحف لا ينتهى بالتفاهم أو من خلال الحوار الهادئ والراقى ولكن ينتهى بشكل عاصف، فإما أن يهدد رئيس التحرير محرريه ويتوعدهم ويذكرهم بأصولهم[1]، وإما أن يترك المحررون الجريدة وكأنهم هاربون من مكان لا يرغبون فيه.

- إن هناك آثارا محددة لضعف الإمكانيات فى صحف الإثارة المصرية ويمكن أن يرصد الباحث الآتى:

أولا: تؤدى قلة الأجور التى يحصل عليها المحررون فى صحف الإثارة إلى عدم إتقان العمل الصحفى، ولديهم ما يبررون به لأنفسهم ذلك، فإذا كانت الإدارة لا تدفع لهم المقابل الذى يستحقونه أو على الأقل المجزى لعملهم، فإنهم غير ملزمين أن يبذلوا جهدا فى الحصول على المعلومات، لكن فى الوقت نفسه تطلب الجريدة عملا مميزا وجاذبا

(١) رئيس تحرير إحدى الصحف قال لمحرريه أثناء إعتراضهم على تأخر صرف المرتبات: أنا اللى عملتكم ولميتكم من على المقاهى وبإشارة منى ممكن أطردكم بره وأرجعكم تقعدوا على المقاهى تانى، ولما إعترضوا بأنه يحصل على مرتب يوازى مرتب أربعين محررا منهم قال لهم: نعم أنا أوازى أربعين محررا منكم، بل أنا أوازى كل المحررين الموجودين فى الجريدة.

ومثيرا، وتشهر فى وجه المحررين سلاح التعيين فى نقابة الصحفيين، وهنا يظهر الحل التوفيقى بين الرغبتين، حيث يقوم المحررون بفبركة الأخبار وإختلاقها، أو يقومون بنقل المادة الصحفية من المواقع الإليكترونية أو الصحف العربية أو حتى الصحف غير المقروءة وتقديمها للجريدة بعد إعادة صياغتها مرة ثانية ووضع عناوين جديدة لها.

إن هناك منطقا واقعيا لدى العاملين فى هذه الصحف، فهو على سبيل المثال لو قام بإجراء تحقيق صحفى على أرض الواقع يقابل فيه كل الأطراف التى يجب أن تتحدث فى هذا التحقيق وانتقل إليهم فى أماكنهم وجمع معلومات من مصادر مكتبية ينتقل إليها عبر مواصلات عامة فإن التحقيق يمكن أن يكلفه أكثر من مائة أو مائة وخمسون جنيها فى حين أنه سيتقاضى عن هذا التحقيق إذا كان متميزا خمسة وسبعين جنيها فقط، فلماذ يجتهد ولماذا يسعى وراء المصادر.

وهنا ظهرت ظاهرة صحافة التليفون، وهى ليس قاصرة فى حقيقة الأمر على صحف الإثارة، فقد أصبحت صحافة التليفون سمة من سمات الصحافة الحديثة فى مصر، لكن مشكلة صحافة التليفون فى نمط صحافة الإثارة أنه لا يكون وسيلة كافية لأن يحصل المحرر على كل ما يريده من المصدر الذى يتحدث معه لضيق الوقت ولأنه فى الغالب يتحدث مع المصدر فى وقت غير مناسب فلا يراعى هؤلاء الصحفيون أن المصدر يمكن أن تكون لديه أعمال خاصة به، يأخذ المحرر بعضا من أطراف الموضوع على لسان المصدر ثم يكمل هو الموضوع بعد ذلك، ولأنه يكمله فهو يضع كثيرا من عناصر الإثارة فى كلام المصدر الذى لم يقله من الأساس[1].

---

(١) ظهرت مع صحافة التليفون مصادر كان يطلق عليها أنها مصادر تحت الطلب، فهى مصادر لا ترد طلبا لصحفى فى أى ساعة سواء من ليل أو من نهار، وقد أدى ذلك إلى جرأة المحررين على هذه المصادر بأن نسبوا إليهم آراء وأفكار لم يتفوهوا بها، على أساس أن هذه المصادر فى الغالب ولأنها تتحدث بكثرة مع الصحفيينفإنها لا يمكن ان تتذكر ما قالته وما لم تقله، وبلغت هذه الظاهرة ذروة مع الدكتور أحمد المجدوب الذى كان متعاونا مع الصحافة إلى حد كبير، لدرجة أنه كان يستضيف=

نتج عن ذلك تكذيبات عديدة لصحف الإثارة ليس فى المعلومات أو الأخبار فقط وهذا أمر طبيعى، ولكن فى الآراء، حيث يتم الدفع بأن المحرر لم يفهم جيدا مقصد المصدر، أو أن المحرر لم يسجل كلام المصدر واستدعاه من الذاكرة ولذلك جاء غير دقيق.

ثانيا: ولأن صحف الإثارة فى الغالب لا تعتمد على صحفيين كبار لهم أسماؤهم، فإن محرريها لا يكونوا قادرين على التواصل مع المصادر الرسمية من الوزراء والمسئولين الكبار، ولذلك يكتفون بالحديث مع مصادر يمكن أن يعتبرهم الباحث مصادر درجة ثانية من حيث المعلومات، فتكثر فى صحف الإثارة الإستعانة بمصادر من المعارضة والحركات الإحتجاجية ورموز المجتمع المدنى والمثقفين والكتاب، وهذه كلها مصادر لا تمتلك معلومات بل تمتلك آراء فقط، ويتم إستغلال هذه الآراء التى تأتى فى الغالب غاضبة وحماسية وهجومية، ولا تتورع صحف الإثارة على وضع هذه الآراء والأفكار فى عناوين ضخمة.

وهنا يأتى الفارق الذى أحدثته صحف الإثارة، فقد ظلت الصفحة الأولى فى الصحف الحكومية عبارة عن منظومة من التصريحات الرسمية التى لا يمكن تكذيبها لأنها فى الأساس صادرة عن مؤسسات ترغب فى نشر هذه المعلومات تحديدا وليس غيرها وهو ما تلتزم به الصحف الحكومية دون أنى تدخل حتى لو كانت تفرضه أصول وقواعد المهنة، أما صحف الإثارة فقد جاءت الصفحة الأولى فيها عبارة عن منظومة آراء

=الصحفيين فى بيته ويقضون معه ساعات طويلة، وكانت المفاجأة أن الصحف كانت تنسب له كلاما لم يقله وإمتد بها هذا الأمر إلى ما بعد وفاته، فقد ظلت بعض الصحف التى قد لا يعرف محرروها ان الرجل توفى تنسب له آراء فى تحقيقاتها المنشورة، لكن فى مقابل ذلك هناك مصادر تحترم أفكارها وأراءها ولا تتجاوب مطلقا مع صحافة التليفونات وتصر على أن يأتى الصحفى إليها ليمون الحديث وجها لوجه وعبر التسجيل، بل إن هناك كثيرا من المصادر تحرص على أن يكون التسجيل عبر جهازين فى نفس الوقت لتحصل هى على نسخة من كلامها حتى إذا ما حدث تحريف لكلامها أو تغيير فيه يكون لديها الدليل على ما قالته أو ذهبت إليه.

هجومية او إتهامات مرسلة أو معلومات بلا مصدر والمسئولية فيها على الصحيفة.

لا يذهب الباحث إلى أن المسئولين الرسميين لديهم المعلومات الكافية، فكثير منهم لا تكون لديه معلومات حتى عن نطاق المؤسسة التى يديرها، وحتى لو كانت لديهم معلومات فإنهم لا يصرحون بها إطلاقا، لكن المقصود وما يهم الباحث هنا أن الصحيفة عندما لا تستطيع أن تتحدث مع وزير وتحصل منه عن معلومات عن قرار معين أخذه أو قانون معين ينظم عمل وزارته، فإن الصحيفة التى ينتظر قارئها رأيها فى هذا القرار أو القانون تستسهل عملية الهجوم على الوزير وتسخر من القانون وتجعل من القرار نكتة.

وهى آلية تعويضية فعندما لا تستطيع أن تحصل على المعلومة فما عليك فى صحف الإثارة إلا أن تهاجمها بصوت عال وتسخر منها وتسفه من أصحابها، يمكن فى هذه اللحظة أن تحصل على إعجاب القارئ وتحصد تأييده، لكن بعد ذلك ستتساقط مصداقيتك، لأن القارئ فى النهاية وبعد أن يفرغ من التواصل مع السخرية والهجوم سيكون فى حاجة لمن يعطيه معلومة فى الغالب لا تكون موجودة فى صحف الإثارة.

ثالثا: يؤدى نقل المحررين موادهم الصحفية من مصادر أخرى هى فى النهاية مصادر منافسة جعل من صحافة الإثارة تابعة، وبعد أن كانت قادرة على إثارة الدهشة والجذب أصبحت نسخة باهتة مما ينشر قبل ذلك، ولا يمثل الإنفراد فيها إلا نسبة ضئيلة جدا تتمثل فى الموضوعات والقضايا التى يثيرها الصحفيون المحترفون فى هذه الصحف وهم فى الغالب الذين يحصلون على حقوقهم المادية، بما يمكنهم من العمل والإنفاق عليه بما يوفر لهم القدرة للوصول إلى المعلومات الخاصة بهم والتى لا ينازعهم فيها أحد.

رابعا: ضعف المحررين فى صحف الإثارة ينصرف فى أحيان كثيرة إلى ضعف القائمين على العمل فى أقسام الترجمة، لا يقصد الباحث ضعف فى الترجمة الحرفية ولكن الضعف فى تحرير المادة المترجمة ووضعها فى سياق يتناسب مع الصحافة المصرية، إن صحف الإثارة تعتمد بالأساس على الصحف الأمريكية تليها الصحف العـ[illegible]ـية وفى المرتبة الثالثة تأتى

الصحف الإنجليزية، وفى مراحل رابعة تأتى الصحف الفرنسية، وفى مراحل متأخرة تأتى الصحف الألمانية والإيطالية.

يكون لدى صحف الإثارة هدف واضح من إستخدام هذه الصحف بجنسياتها المختلفة، حيث تبحث فيها عن الموضوعات المثيرة جنسيا، أخبار عن نجمات السينما العالمية، قصص زواجهن وطلاقهن، مذكرات خاصة لنجم أو نجمة، فضيحة جنسية تفجرت لمسئول كبير، تحقيقات تتناول موضوع الجنس بشكل مباشر ومكشوف، الموضة لدى النساء، وكلها موضوعات يكون لها الأولوية فى النشر دون غيرها.

ولا توجد مشكلة فى نشر هذه الموضوعات رغم أن معظمها ينشر خارج سياقه، لكن المشكلة التى تنجم عن ضعف الوعى المهنى والسياسى لدى مترجمى صحف الإثارة تتبين عندما يتعرضون للموضوعات السياسية فى الصحف الامريكية والعبرية تحديدا التى تتعرض للشأن الداخلى فى مصر والدول العربية، وهى موضوعات تحمل وجهة نظر معينة تحددها أجندة من يكتبونها ومن يعبرون عنهم من أصحاب المصالح، وتتضح الأزمة فى ترجمة هذه الموضوعات على علاتها دون مناقشتها من المترجم لأنه فى الغالب غير قادر على ذلك، ولا يحاول أن يستعين بمتخصصين فى الشأن الذى ينشر عنه، لأنه فى الغالب يسعى إلى نشر الموضوع بكل عناصر إثارته دون أن يفسدها عليه مصدر يقوم بتفنيدها والرد عليه فتصبح بلا قيمة.

ولا تهتم صحف الإثارة بأن تترجم ما ينشر عن مصر ويكون إيجابيا أو يعكس مظهر من مظاهر الإنجاز فى مصر، وذلك ثقة منها فى أن الإيجابى عن السلطة أو النظام فى مصر لن يكون مثار إهتمام من أحد ولن يجذب قارئا واحدا، ولذلك تتوسع هذه الصحف فى جلب السلبى وترجمته وإبرازه، ولا يتوقف السلبى هنا عند الجانب السياسى، ولكنه يتطرق إلى الجوانب الإجتماعية والعلاقات بين الطبقات والفئات فى الشارع المصرى، وما ينتج عن ذلك من إنحرافات وأنماط جديدة من الجرائم.

خامسا: لا يستطيع الباحث أن يعمم الحكم بالضعف على جميع محررى هذه الصحف، فهناك محررون يحاولون أن يتقنوا صحافة الإثارة وخاصة فى الجانب المغامراتى منها، حيث يقوم الصحفيون بتجارب ومغامرات يتقمصون فيها شخصيات أخرى ليصلوا فى النهاية إلى نتيجة محددة والتجارب فى هذا الإطار كثيرة .

منها تجربة محاولة مواطن مصر عادى مقابلة الوزراء[1]:

فقد حاول المحرر أن يقابل الوزراء بوصفه مواطنا لديه مشكلة وليس بوصفه صحفيا ولكنه بوصفه مجرد مواطن، وكانت نتيجة التجربة تقريرا عناوينه جاءت على النحو التالى:

- صحفى لكن بصفته مواطنا حاول لقاء هؤلاء الوزراء...وعينك ما تشوف إلا النور.
- سكرتارية الوزراء يحكمون البلد.
- السكرتارية عند وزير التموين قالوا لى: مواطن يعنى مش هتدخل.
- وفى وزارة البحث العلمى: ارحمونا بقى الوزيرة مشغولة.
- وفى زارة الإسكان والتعمير اللجان لا تخلص أبدا.
- وفى وزارة الصحة: اكتب بياناتك وهنكلمك.
- حاولت أعمل محضر شرطة لوزير التعليم فرفض القسم تحرير المحضر له.

ورغم طرافة الفكرة التى لم يكن لها مردودا ضخما إلا معرفة ان الوزراء يعاملون المواطنين وكأنهم مواطنين درجة ثانية، إلا أن هذه التجربة تمثل نموذجا مما يحاول الصحفيون فى صحف الإثارة عمله وتجريبه.

الفارق فى هذه المساحة بين صحافة الإثارة المصرية ومثليتها فى الغرب تكشف عن

(١) أحمد فكرى، جريدة الدستور، عدد ٣٠ فى ٣ يوليو ١٩٩٦.

حالة التدنى التى يعانى منها النموذج المصرى كثيرا، فالتجارب فى صحافة الإثارة الغربية تتجاوز الحدود بل والقارات، بينما مغامرات وتجارب صحف الإثارة المصرية لا تكاد تتجاوز المنطقة التى توجد فيها الجريدة على أكثر تقدير.

سادسا: لا يمكن أن يعزل الباحث الأمر كله عن متغير مهم جدا وهو عدم إتاحة الفرصة للصحفيين المصريين فى صحف الإثارة او فى غيرها عموما فى أن يحصلوا على المعلومات الكافية لعملهم الصحفى، فالباب لا يفتح إلا أمام القدر الذى تريده السلطة، والأمر لا يقتصر على الصحف الحزبية فقط التى يقول عنها عبد إمام[1] : الحصول على الأخبار هو مأزق الصحف الحزبية التى يعمل بها صحفيون حقيقيون يذهبون إلى المصادر، فهذه الصحف تحتاج إلى نوعية مختلفة من الأخبار تتلاءم مع توجهاتها، يصعب الحصول عليها لأن هناك محاذير كثيرة لمن لديه هذه الأخبار، وتغلق الأدراج والأبواب دائما أمام الصحفيين.

الأزمة نفسها تعانى منها الصحف الخاصة التى تنتمى إليها معظم صحف الإثارة، بل إن المشكلة فيها اكبر بكثير، فالصحف الحزبية على الأقل تنضوى تحت مظلة تنظيم شرعى حتى لو كان مكروها او منبوذا، لكنه فى النهاية تنظيم تعترف به الدولة، لكن الصحف الخاصة لا يزال التعامل معها يتم على أنها صحف لقيطة بلا شرعية، وأن الذين يعملون فيها من الصحفيين ليسوا صحفيين من الأساس.

عدم الحصول على المعلومات هذا لا يتيح للصحفيين فى أى مرحلة من مراحل عملهم المهنى أن يقوموا بتجارب صحفية ضخمة، لأنها فى الغالب سيكون محكوما عليها بالفشل قبل أن تبدأ، وحتى لو بدأت فإنها تكون محفوفة بالمخاطر التى بلا حصر ولا عدد.

لقد تعرف الباحث على الهوة العميقة التى تفصل الصحافة المصرية عن الصحافة الأمريكية بمستوياتها المختلفة من خلال إحتكاك مباشر مع الصحفى الأمريكى سيمور

(١) عبد الله إمام، حياتى فى الصحافة(القاهرة، دار الخيال، ٢٠٠٠) ص٢٤٤.

هيرش[1]، لدى هيرش رؤية أن الصحفى حتى يؤدى عمله على أكمل وجه فلا يجب عليه أن يتوقف أمام السدود التى تحول بينه وبين الحصول على المعلومات، وقال أن الصحفى المصرى يجب أن يخترق المؤسسات الكبرى الممنوعة عليه، مثل مؤسسات المخابرات العامة والمخابرات الحربية والجيش، ويعرف ماذا يدور فى هذه المؤسسات.

كان سيمور هيرش الذى استطاع أن يكشف عن فضيحة سجن أبو غريب فى العراق يتحدث وكأنه يلقى محاضرة فى أمريكا ونيس فى مصر، إن الحصار المعلوماتى لم يصبح قانونا ولكنه أصبح ضمن المكون النفسى للصحفيين المصريين، فهو يعرف أنه عندما سيطلب المعلومة لن يجدها، أو على الأقل إذا حاول أن يبحث عنها بمفرده ومن خلال مجهوده الشخصى فسيجد ألف حائل دون أن يصل إليها فلا يحاول أن يبحث من الأساس.

إن هناك فارقا مهما جدا بين صحافة الإثارة فى مصر وصحافة الإثارة فى الغرب، وفى إعتقاد الباحث أن السبب وراءه هو حرية الحصول على المعلومات من عدمها، هذا الفارق يتمثل فى أن صحافة الإثارة فى الغرب فى الغالب تكون صانعة للحدث وموجهة له بما يتوفر لديها من معلومات ووثائق ومستندات، لكن صحافة الإثارة فى مصر فى الغالب تكون تابعة للحدث الذى يفعله غيره، وفى الحالات القليلة التى تصنع هى الحدث وتصدره للمجتمع فإنها تتعرض لمخاطر عديدة.

***

التأثير الذى تمارسه الصحافة الغربية على صحافة الإثارة فى مصر الآن تأثير وظيفى،

---

(١) شارك الباحث فى الدورة التدريبية التى عقدتها مؤسسة هيكل للصحافة العربية فى الفترة من (١ إلى ٣ مارس ٢٠٠٧)، وحاضر فيها سيمور هيرش عن صحافة العمق، وكانت للباحث بعض المناقشات معه على هامش الدورة التى اشترك فيها ٤٠ صحفيا مصريا من مختلف المؤسسات الصحفية بالإضافة إلى بعض الصحفيين العرب.

بمعنى أن صحف الإثارة فى مصر تأخذ من الصحف الغربية ما يخدم على توجهاتها المثيرة سواء كان ذلك من خلال الموضوعات الإجتماعية أو الفنية أو الجنسية البحتة، وغالبا ما تجد صحف الإثارة أن مادة الصحف الغربية لا تناسب السياق المصرى الذى تصدر فيه فى مصر، فتعرض المادة الغربية ناقدة لها ورافضة للأخلاقيات التى تقف خلفها، وتجزم فى النهاية أن المجتمع المصرى بخير وأن هذه الممارسات لا يمكن أن توجد فى مجتمعنا يوما من الأيام.

ولا يتوقف التأثير على المضمون الذى تقدمه صحف الإثارة ولكن يمتد إلى الشكل الإخراجى، ومن تجربة واحدة يمكن لنا أن نتعرف كيف تلعب الصحف الغربية ليس شرطا أن تكون صحف إثارة ولكن يمكن أن تكون صحف جادة فى التأثير على الشكل الإخراجى النهائى لصحف الإثارة المصرية[١].

كان الإخراج الفنى فى الصحف يتبع قاعدة أنه وسيلة تساهم فى جعل المادة الصحفية أكثر إنقرائية وتساعد القارئ فى أن يقرأ المادة المعروضة عليه بسهولة ويسر، وبرزت إتجاهات عديدة فى الإخراج الصحفى لكنها كانت أسيرة الإمكانيات التكنولوجية والفنية الضعيفة فى المؤسسات الصحفية.

لكن حدثت نقلة فى الإخراج الفنى إرتبطت بالصحف الخاصة بداية من الدستور فى إصدارها الأول حيث قدم أحمد محمود نقلة نوعية فى الشكل الإخراجى للجريدة، حيث خرج به من كونها مجرد وسيلة إبراز إلى حالة جمالية مصاحبة وجاذبة للمتن، بحيث يكون الشكل الإخراجى قادرا بمفرده على جذب القارئ وجعله يرتبط بجريدة ما لمجرد أنها

---

(١) تجربة عمرو عطوة وهو المشرف الفنى لجريدة صوت الأمة منذ صدورها فى العام ٢٠٠٠ وحتى الآن، وفى نفس الوقت يشرف على أنماط مختلفة من الصحف مثل جريدة عين وهى جريدة إثارة إجتماعية وفنية، وجريدة صوت الأمة الرياضى، وجريدة روزاليوسف اليومية....رصد الكاتب تجربته من خلال مقابلة خاصة معه فى مكتبه.

جريدة إخراجيا جميلة.لقد لعبت أخبار اليوم دورا مهما فى تطوير الشكل الإخراجى، وتتحدد عناصر الإثارة فى الشكل فى مدرسة أخبار اليوم من خلال[1] الصورة والرسوم والعناوين والألوان، وظلت هذه العناصر هى الجاذبة حتى أصبحت تشكل تراثا فى الصحافة المصرية.

لكن الإنقلاب حدث عليها بعد ظهور الصحف الخاصة التى كانت تضع هدفا لها وهو جذب القارئ بأى شكل وبأية وسيلة، فلم يعد هناك لون واحد إضافى يستخدم بل أصبحت الصفحة الأولى بالإضافة إلى صفحات الفن والرياضية أربعة لون، ولم يعد هناك إعتماد على الصورة الصريحة، بل دخل عن طريق الكمبيوتر فن «الكولاج»، ويتم فيه اللعب فى صور الأشخاص حتى يعتقد القارئ أن الصورة حقيقية[٢].

يقول عمرو عطوة: الوصول إلى فكرة مثيرة تجذب القارئ أمر فى منتهى الصعوبة خاصة أن التحقيق الذى سيكون على توضيبه إخراجيا يكون كافيا بنفسه على جذب القارئ وهو ما يستدعى أن تكون الفكرة الإخراجية متفوقة هى الأخرى، فما يحدث أنه تكون هناك منافسة واضحة بين التحرير والإخراج.

---

(١) شريف درويش، مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) هناك نماذج عديدة يمكن أن يسوقها الباحث فى هذا السياق...فقد نشرت صوت الأمة أثناء تغطيتها للحرب على أفغانستان صورة بالكولاج لعمر البشير الرئيس السودانى وهو يصافح أسامة بن لادن، وكان المقال المنشور يتحدث عن الفترة التى قضاها بن لادن فى السودان وعن تعاون يمكن أن يكون قدتم بين البشير وبن لادن، وأثارت الصورة أزمة وقتها وحققت جهات أمنية فيها على إعتبار أنها صحيحة وصدر تقرير بعد ذلك يؤكد أنه لم تحدث لقاءات من أى نوع بين البشير وبن لادن...لكن وقتها لم تستطع الصحيفة أن تقول أنها صنعت الصورة ولم تحصل عليها لأنها بذلك كانت ستدخل مساحة أخرى وهى تزوير الصورة....النموذج الثانى كان فى غلاف لمجلة روزاليوسف عندما وضعت صورة لرئيس الوزراء وهو يقف خلف الكاميرا مع تحقيق عن القوانين الجديدة التى ستسنها الحكومة وستكون ضد السينما، وإعترض الجنزورى على الصورة محتجا بأنه لم يقف خلف كاميرا سينما فى حياته.

قبل أن يصل عمرو عطوة إلى أفكاره الإخراجية فإنه يستعرض الصحف الأجنبية وتحديدا الأمريكية والإنجليزية، وكثيرا ما يعثر فيها على أفكار إخراجية تصلح لأن يعيد معالجتها حتى تتناسب مع الذوق المصرى.

ويشير عمرو عطوة إلى أن الصحف الأجنبية تخدم المخرج الصحفى الآن فى توفير كم هائل من الموتيفات الصحفية التى تساهم فى تقديم صورا تعبيرية لموضوعات لا يوفر المصور فى الجريدة لها صورا، وفى الغالب تكون هذه الموتيفات أقوى تعبيرا وأكثر قدرة على الجذب، ومن أمثلة ذلك :

نشرت مجلة نيوزويك موتيفة لشخص موضوع فى صندوق قمامة كبير، تواكب هذا مع قضية المبيدات المسرطنة و الرشوة الجنسية لتى اتهم فيها يوسف عبد الرحمن وراندا الشامى، كان حجم الفساد المعلن فى القضية والذى كتبت عنه الصحيفة كبيرا، وهنا تولدت الفكرة على الفور فقد تم إستبدال الشخص الموجود فى النيوزويك بيوسف عبد الرحمن من خلال وضع رأس يوسف على جسد الشخص، ونشرت الصورة فى الصفحة الأولى ولاقت إستحسانا كبيرا.

الأفكار التى توحى بها الموتيفات فى الصحف الغربية تجعل المخرج بعد فترة يفكر بنفس الكيفية أى يفكر كيف يصنع موتيفة محلية وتعبر عن المعنى المقصود، وقد فعل عمرو عطوة هذا فى موتيفة تواكبت مع إحتراق قطار الصعيد وتفحم أغلب ركابه، يقول: ونحن فى إجتماع الصفحة الأولى قال أحد المحررين أن عاطف عبيد رئيس الوزراء لابد أن يذهب إلى الصعايدة وهو حاملا كفنه على يديه حتى يسامحوه، وهنا قفزت الفكرة أن ننشر صورة لعاطف عبيد وهو يحمل كفنه، لكن هذه الصورة ليست متوفرة ولا يوجد فى الصحف لا الغربية ولا حتى المحلية صورة لشخص يحمل كفنه، وتم التنفيذ مباشرة...طلبت من المصور أن يصور حارس العقار الذى نعمل فيه بعد أن يرتدى ملابس صعيدية وعمامة، وإلتقت الصورة على الفور وبعدها وضعنا رأس عاطف عبيد

على جسد حارس العقار، وكانت صورة صائبة وفى محلها تماما.

كانت هناك إشارة مبكرة لفن الكولاج فى صحف الإثارة، فقد نشرة جريدة الدستور[1] صورة لرئيس الوزراء البريطانى جون ميجور وله قرنى ثور، وكان عنوان التعليق الذى كتبته فى الصفحة الأولى: من الحكومة البريطانية إلى مجلس الشورى أغيثونا...وجاء نص التعليق كالتالى: هذا الغلاف الذى ننشره كاملا – حتة واحدة – هو غلاف الإيكونومست البريطانية، على غلافها يا سيدى صورة رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور وعلى رأسه قرنى ثور، ولم تكتف بذلك بل وضعت العنوان التالى: ميجور مجنون وردئ وخطر على بريطانيا....وتساءلت الجريدة ساخرة: ترى ماذا سيفعل مجلس الشورى الإنجليزى؟

لم تعتمد الدستور كثيرا على فن الكولاج، بل كانت تعتمد فى الأساس على الموتيفات الصريحة، لكن صوت الأمة هى التى رفعت من شأن فن الكولاج، وجعلت منه نمطا تعتمد عليه فى الترويج لصفحتها الأولى وهو ما ساهم بالفعل فى زيادة توزيعها.

لا تقوم الموتيفات وفن الكولاج ومن وراءهما الإخراج الفنى بدور وظيفى فقط، كما أنه تجاوز الدور الجمالى إلى أنه يؤدى رسالة مستقلة، فقد ساهمت الصور المنشورة بفن الكولاج فى نشر السخرية من المسئولين وجعلتهم مادة للتندر، وحققت من خلالها الصحف التى إعتمدت عليها جاذبية أعلى بين قراءها.

■ ■ ■

---

(١) جريدة الدستور، عدد ٢٧ فى ١٢ يونيو ١٩٩٦.



الفصل الثالث

المرتكزات الأساسية لصحافة الإثارة

لا تعمل صحافة الإثارة فى الفراغ، فقد استطاع منتجوها أن يجعلوا لها مرتكزات أساسية يمكن لنا أن نعرفها من خلالها، وفى تقرير المجلس الأعلى للصحافة عن «الصحافة الصفراء فى مصر» الذى تصدى لتوصيف الظاهرة[1]، محاولة لتحديد هذه المرتكزات.

اعتمد التقرير على أن تحليل ظاهرة الصحافة الصفراء داخل إطار الصحافة المصرية المعاصرة لابد وأن يبدأ من التحديد لسمات هذه الصحافة، ليكون ذلك بمثابة المؤشرات المعرفية التى تدفع بإتجاه التعريف الدقيق والموثق لهذه الصحف إنطلاقا من رصد ممارساتها الصحفية وتحليلها.

وقد استلزم هذا التوصيف من القائمين على إعداد هذا التقرير الإلتزام بمجموعة من الحقائق التى يجدر إثباتها فى هذا السياق وهى:

أولا: أن تكون المعايير المستخدمة لتوصيف وإثبات حالات الممارسات الصحفية الصفراء نابعة من خلال منظومة الأخلاقيات والأعراف المهنية التى إرتضاها جموع الصحفيين المصريين لتكون إطارا وسياجا طوعيا يظلل ممارساتهم الصحفية ويرشدها، وتأسيسا على ذلك فقد تم تحديد مجموعة المعايير أو مؤشرات القياس للصحافة الصفراء داخل إطار الصحافة المصرية إعتمادا على بنود ميثاق الشرف الصحفى الذى وضعته نقابة الصحفيين المصريين والمعبرة بصورة منتخبة وديمقراطية عن جموع الصحفيين المصريين وهى فى مجموعها تعبر عن الثوابت الأخلاقية والمهنية كمنظومة قيمية حاكمة للممارسات الصحفية.

ثانيا : من المهم التأكيد على أن ما تعتبره مجتمعات معينة فى إطار المقبول والطبيعى من ممارسات صحفية، قد تراه مجتمعات أخرى وانطلاقا من منظور ثوابتها الثقافية والأخلاقية والدينية فى إطار غير المقبول والمحظور.

(١) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الصحافة الصفراء فى مصر، ٢٠٠٢.

ثالثا: بنود ميثاق الشرف الصحفى هى إنعكاس وإستجابة للثوابت المجتمعية فى الحالة المصرية، ولا يمكن تجاهلها أو التغاضى عنها، أو الحديث عنها باعتبارها تمثل تعديا على حرية التعبير.

رابعا: حرية التعبير هى أداة للنهوض بالمجتمع من خلال المناقشة الحرة والموضوعية لقضاياه الحيوية، ودعم وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية فى صناعة القرار، ومراقبة ونقد الأداء الحكومى، وترسيخ قيم الديمقراطية والعدالة والمساواة فى حقوق المواطنة، وليست على الإطلاق أداة لإثارة الغرائز الجنسية وانتهاك القيم الأخلاقية.

خامسا: الممارسات الصحفية السلبية لا تعمل فقط ضد ميثاق الشرف الصحفى ومعايير الممارسة الصحفية الصحيحة بل إنها تتحرك ضد حركة التقدم فى المجتمع وعمليات نموه الإيجابى.

*** وقد ساعدت هذه الحقائق من وجهة نظر التقرير الرسمى فى تحديد ملامح الصحافة الصفراء التى تتمثل فى الآتى:**

- نشر أخبار ومواد صحفية متنوعة مجهلة الفاعلين، حيث تتضمن إشارة إلى شخصية محورية تتشابه فى صفاتها مع العديد من الشخصيات العامة دون تحديد لهوية هذه الشخصية، الأمر الذى يثير البلبلة وينمى مناخا للشائعات والأقاويل، مع التركيز على مضامين فى الغالب ذات طابع جنسى وغير أخلاقى.

- التركيز على نشر مضامين الجرائم ذات الطابع الجنسى والشاذ، مع المبالغة غير المبررة فى نشر التفاصيل الخاصة بهذه النوعية من الجرائم كشبكات الدعارة وزنا المحارم والشذوذ الجنسى، ومن خلال تخصيص غالبية مساحات صفحات الحوادث والجريمة لمثل هذه المضامين واللجوء إلى إستخدام بعض الأوصاف والتعبيرات المبتذلة المنافية للذوق العام.

- استخدام العناوين المضللة التى لا تتطابق مع مضمون المتن، بما يوحى للقراء بإتهامات وأوصاف ترتبط بالشخصيات العامة فى مجالات السياسة والإقتصاد والثقافة والفن والرياضة

دون أن يتضمن المتن ما يثبت ما جاء فى العناوين أو أن ينصرف المتن إلى شخصيات أخرى ذات أسماء مشابهة للشخصيات العامة أو مواقع ووظائف مماثلة فى دول أخرى.

- نشر الصور الفاضحة التى تزداد فيها مساحات العرى بما يتنافى والأخلاقيات العامة فى المجتمع، وتوزع هذه الصور على مختلف الصفحات دون النظر لأية إعتبارات فنية أو موضوعية ترتبط بعلاقة الصور المنشورة بالموضوعات المصاحبة لها.

- الترويج للدجل والخرافة من خلال التوسع فى نشر موضوعات عن السحر والقوى الخارقة وغير الملموسة التى تسكن الأماكن، وقصص إخراج الجان التى تتلبس الأفراد، ومن خلال نشر كل ما يدعم فكرة الخرافة ويقوى تأثيرها لدى القراء فى صناعة أمور الحياة وتسييرها.

بنى التقرير تحديده لهذه السمات على أساسين الأول نظرى ممثلا فى ميثاق الشرف الصحفى والثانى عملى ممثلا فى الملاحظات الناتجة عن الرصد والتحليل الموسع والدقيق لمختلف الممارسات الصحفية فى مصر.

وعلى هذا الأساس تكتمل هذه السمات لتمثل أساسا معياريا يتم من خلاله رصد الممارسات الصحفية وتوصيفها، بحيث تكون الصحيفة الصفراء هى التى تعتمد على هذه الأسس كبناء قاعدى تقوم عليه غالبية ممارساتها الصحفية.

وإذا كان للباحث أن يعتمد على هذا التقرير كمرشد فى رصده لسمات صحافة الإثارة فإنه لابد له من إثبات بعض الملاحظات التى يعتقد فى أهميتها لوضع التقرير فى سياقه الذى تم إنتاجه من خلاله وهذه الملاحظات تتمثل فى الآتى:

أولا: التقرير فى النهاية صادر عن مؤسسة حكومية وهى المجلس الأعلى للصحافة التابع فى ملكيته لمجلس الشورى، ولا يمكن استبعاد أهداف ومصالح هذه المؤسسة الحكومية من خلفية إعداد التقرير، فالحكومة فى النهاية تهدف ضمن ما تهدف إليه إلى أن تكون راعية للأخلاق والقيم التى استقر عليها المجتمع، ولذلك كان من الطبيعى أن يبنى

التقرير على الإدانة الكاملة للصحافة الصفراء.

ثانيا: خلط التقرير بين صحافة الإثارة التى يمكن أن يكون لها طابعا شعبيا فى معالجاتها. وهى نمط متسع جدا لممارسات صحفية عديدة والصحافة الصفراء التى تعتبر فى النهاية نمطا تدينه الذهنية العامة لما ارتبط به من الدخول إلى الفضائح والحياة الشخصية، وإذا كانت الصحافة الصفراء مذمومة إجتماعيا وأخلاقيا ومرفوضة مهنيا، فإن صحافة الإثارة ليست مرفوضة بنفس الدرجة بل لها من الإيجابيات ما يجعلها فى كثير من الأوقات مطلوبة لذاتها.

ثالثا: قد يكون التقرير استند إلى رصد دقيق وموسع وتحليل شامل لممارسات الصحف المصرية واستطاع من خلال هذا الرصد أن يصل إلى سمات الصحافة الصفراء، لكن يبدو أن التقرير اعتمد على مخالفات مهنية وقعت فيها الصحف، ولذلك فإن السمات التى ذكرها ليست أكثر من أخطاء أو مخالفات ولا يمكن التعامل معها على أنها ملامح أو سمات أو محددات لظاهرة صحفية.

رابعا: الملاحظات التى بنى التقرير عليها نتائجه هى تقارير تم رصدها من خلال تقارير شهرية، يقوم مجموعة من الباحثين[1] بتنفيذها شهريا لمجموعة الصحف المصرية على إختلاف أنماط ملكيتها وتوجهاتها السياسية والفكرية، وهو رصد يتم بشكل امبريقى سطحى للغاية، دون النظر إلى السياق العام الذى تنتج فيه كل صحيفة من هذه الصحف.

خامسا: يشعر الباحث أن هذا التقرير تم تفصيله على جريدة بعينها[2] أثارت صخبا هائلا فى الوسطين الصحفى والسياسى خلال فترة التسعينات من القرن العشرين،

---

(١) اشترك الباحث فى إعداد هذه التقارير لمدة ثلاث سنوات من ١٩٩٩ وحتى عام ٢٠٠١، وكان يعد التقرير الخاص بممارسات الصحف الخاصة الصادرة بتراخيص من المجلس الأعلى للصحافة.

(٢) يقصد الباحث جريدة النبأ الوطنى ...التى أثارت خلال حقبة التسعينات والسنوات الاولى من القرن الحادى والعشرين عدة مشاكل مهنية أدت إلى مواجهتها صحفيا وسياسيا، وأصبح راسخا لدى المتابعين للشأن الصحفى أن جريدة النبأ هى المثال الواضح والمتجسد للصحافة الصفراء فى مصر.

ولذلك ليس من الصواب تعميم نتائج دراسة هذه الجريدة على الجرائد الأخرى، ففى هذا التعميم تهويل من شأن هذه الصحيفة وتهوين من شأن الصحف الأخرى.

*** ولذلك فإن الباحث ينحو منحى آخر فى دراسته لسمات وملامح صحافة الإثارة وهذا المنحى يقوم على الآتى:**

أولا: تتجاوز نظرة الباحث لصحافة الإثارة المعنى والتجلى الضيق للصحافة الصفراء التى تعبر فى النهاية عن مخالفات وتجاوزات تقع فيها الصحافة، إلى معنى أوسع لمجموعة من الآليات والتكنيكات المهنية التى تعتمد عليها الصحافة فى تقديم معالجات تتسم بطابع الإثارة على مستويات ثلاثة وهى العقلى والعاطفى والغريزى.

ثانيا: يعتمد الباحث فى تحديده لسمات صحافة الإثارة على مجموعة البحوث والدراسات التى تعرضت لها، وكانت مداخلها إليها مختلفة مثل المدخل القاونى والإجتماعى والثقافى ، وكذلك تقارير المجلس الأعلى للصحافة التى ترصد الممارسات الصحفية لمجموعة الصحف المصرية، واضعا فى إعتباره أن هذه التقارير تحتاج إلى تعميق ينصرف إلى دراسة هذه الصحف دراسة شاملة لمعرفة دوافعها للوقوع فى هذه التجاوزات.

ثالثا: يهتم الباحث فى هذا الإطار برصد وتحليل وتفسير إتجاهات القائمين بالفعل الصحفى، الذين يقفون وراء إنتاج هذه السمات، وما هى الخلفية الثقافية والإجتماعية التى أدت بهم فى النهاية إلى إختيار صحافة الإثارة كنمط معالجة للقضايا التى يتناولونها فى صحفهم .

ويخصص الباحث لكل سمة من سمات صحافة الإثارة مبحثا خاصا، لتوضيح حدود هذه السمات وآليات إنتاجها المهنية والثقافية.

■ ■ ■

أولا: الأخبار المجهلة :

يعتقد البعض أن الصحافة المصرية شهدت فى عقد التسعينات ظاهرة لم تكن معروفة من قبل، أو أنها لم تكن منتشرة أو شائعة وهى الخبر المجهل أو الخبر غير محدد المصدر[1] وهو اعتقاد غير صحيح من الناحية التاريخية، كما أن به خلطا واضحا بين الخبر المجهل والخبر غير الصحيح أو الكاذب، فكل منهما يسير فى طريق سواء من حيث التعريف أو المعالجة المهنية.

فكما يرصد تقرير رسمى عن الأخبار المجهلة[2] فإن الخبر الكاذب قديم قدم الكلمة المطبوعة إلا أنه من الصعب تحديد البدايات الأولى لظاهرة الأخبار المجهلة فى الصحافة المصرية، فقد أخذت هذه الظاهرة أشكالا متعددة حيث برزت فى الصحافة الفكاهية الساخرة، وانتقلت منها إلى الصحف الحزبية التى كانت تصدرها الأحزاب قبل الثورة، ثم إختفت تماما فى فترتى الخمسينات والستينات، وقد يكون لذلك أسبابه الواضحة.

فصحافة الأحزاب ما قبل الثورة كانت صحافة متنافرة ومتحزبة وتعبر عن أفكار وأهداف ومصالح فرقاء عديدون، ومن الطبيعى أن تتسقط هذه الصحف أخبار خصومها وتقدمها بشكل لا يؤخذ عليها، أما صحافة الثورة فقد كانت تعبر عن إتجاه واحد ومصلحة واحدة ولذلك فالخبر الذى لديها تنشره بشكل صريح، حيث لا توجد حاجة لتجهيله أو إخفاء مصدره، فالخبر فى هذه الصحافة كان ينشر لذاته دون الحاجة لتحقيق أهداف أخرى من وراء نشره.

لكن فى الثمانينات والتسعينات عادت ظاهرة الأخبار المجهلة ربما لعودة الصحف المتباينة والمختلفة الإتجاهات والمصالح مرة أخرى.

---

(١) آمال سعد المتولى، أخلاقيات الخبر فى الصحافة المصرية، المؤتمر العلمى التاسع لكلية الإعلام، مايو ٢٠٠٣.

(٢) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الأخبار المجهلة فى الصحافة المصرية، ٢٠٠٤، وقد اشترك الباحث ضمن مجموعة باحثين آخرين فى إعداد هذا التقرير.

ولعل البدايات المبكرة لتلك الظاهرة ترجع إلى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى، حيث راجت الصحف الساخرة وتسابقت الصحف اليومية والأسبوعية فى ذلك التوقيت لتسجيل ما يدور فى المجالس والمقاهى مثل مقهى «جراسهر» «وبار اللواء» «والأنجلو» «وكرمة ابن هانئ» التى كان يؤمها كبار الكتاب والسياسيين فى ضيافة أمير الشعراء أحمد شوقى.

وقد تعددت إستجابة لهذا السباق الأبواب الساخرة التهكمية مثل حديث أم إبراهيم، وحديث خالتى أم سحلول فى جريدة البعكوكة واللدغ فى جريدة المسامير وحصل خير فى جريدة النفير ومن ده على ده فى قصر النيل وصندوق الدنيا فى المفيد وأوعى يقولها فى الصباح، ولم تكن هذه الأبواب تعتمد على الأخبار بشكل أساسى حيث إعتمدت على المقالات والتعليقات الساخرة التى تناولت رموز الإحتلال البريطانى والحكومة والقصر والأحزاب ونجوم الفن.

- **ويظهر أمام الباحث سؤال مهم وهو:**

هل اختفت الأخبار المجهلة من الصحف المصرية خلال الفترة السابقة، خاصة أنها فترة طويلة تمتد من ١٨٢٨ عندما صدرت جريدة الوقائع المصرية وحتى مابعد الحرب العالمية الأولى؟

والإجابة من خلال رصد ما كانت عليه هذه الصحف تشير إلى أن الخبر المجهل لم يكن مطروحا على معالجات الصحف المصرية فى فتراتها الأولى وذلك لعدة أسباب:

- بدأت الصحافة المصرية حكومية الطابع وكان ناشرها يهدف من وراء ذلك إلى نشر الأخبار الرسمية عن نشاط الحكومة وقراراتها، وفى هذا السياق لم تكن هناك حاجة ملحة لهذا النمط من الأخبار.

- فى مرحلة الصحافة الشعبية التى بدأها الخديو إسماعيل بسماحه للأفراد بإصدار صحف كان الرأى هو الذى يغلب على معالجة الصحف لقضاياها، ولم تكن مساحة الخبر

تسمح بوجود هذا النمط، كما أن معظم المعالجات فى صحف هذه الفترة كان يغلب عليها الطابع التمثيلى والشخصيات المستعارة التى كانت الآراء والأفكار والأخبار تنشر من خلالها وعلى لسانها.

- فى الفترة التى أعقبت الإحتلال البريطانى لمصر إتجهت الصحافة إلى التخصص أكثر وذلك هروبا من الصدام السياسى المباشر مع سلطة الإحتلال فظهرت الصحف العلمية والأدبية والدينية والزراعية، وهو نمط لم يكن يهتم بالأخبار.

- فى بداية القرن العشرين حدث ما يمكن أن نسميه حالة الإحياء والبعث للصحافة على يد صحف مثل اللواء والمؤيد، وهى صحف عالجت القضايا الوطنية بمادة الرأى وكانت المادة الخبرية فيها تكاد تكون غير موجودة.

لكن يمكن التأريخ لهذا النمط من الأخبار بصدور جريدة أخبار اليوم ورواج صحافة الخبر ذات الطابع الشعبى الذى يستمد روحه من الصحافة الأمريكية والبريطانية، حيث تزايد حجم الأخبار المجهلة المصادر فى إطار تعقب أخبار القصر الملكى ومغامرات الملك فاروق، وكانت الملاحظة الأساسية أن النسبة الغالبة من الأخبار المجهلة كانت أخبارا سياسية تتناول الصراعات الحزبية والتحالفات السرية مع القصر والمندوب السامى البريطانى.

وقد شهدت حقبتا الخمسينات والستينات إنحسارا لتلك الظاهرة، حيث كانت أخبار النميمة فى النوادى الارستقراطية أحد المبررات التى استخدمت فى تأميم الصحف، لكن مع عودة الصحافة الحزبية فى النصف الثانى من السبعينات عادت الظاهرة على نحو غير محدود فى جريدة الأحرار، ثم إتسع نطاقها فى باب استحدثته جريدة الوفد هو العصفورة، الذى كان يتعقب المسئولين والشخصيات السياسية ، واعتبرت الجريدة أن هذا التعقب مبررا كافيا للنشر واكتسب من وجهة نظرها شرعية بصداه الواسع وتصديه للقضايا العامة، وهو ما دفع بقية الصحف الحزبية إلى محاكاته لتصبح للأخبار المجهلة بابا ثابتا فى كل الصحف الحزبية.

- ويمكن من خلال تقارير المجلس الأعلى للصحافة أن نرصد ملامح عودة الأخبار المجهلة:

ففى التقرير الثانى عشر والذى يرصد ملاحظات الفترة من أول أغسطس حتى نهاية أكتوبر ١٩٨٨ تمت إضافة فئة نشر أخبار مجهلة إلى الفئة الرئيسية لحقوق الجمهور، ولم تكن موجودة من قبل، وفى ثنايا التقرير إشارة إلى أن الصحف الحزبية غير اليومية نشرت ما يقرب من نصف الأخبار المجهلة، كما أن إحدى المجلات الأسبوعية العامة نشرت وحدها ثلث هذه الأخبار، كما يلاحظ أن أغلب الصحف بدأت تخصص أبوابا للأخبار المجهلة تحت مسميات مختلفة من خلال أبواب وأعمدة منها أسرار الأسبوع بجريدة الأهالى، وجهينة بجريدة الحقيقة، وأخبار ممنوعة بجريدة الشعب، وهمسة فى أذنك بجريدة الأمة، وحزر فزر وأخبار خاصة جدا بجريدة الأحرار.

ومع ظهور الصحف الخاصة والصحف الصادرة بتراخيص أجنبية، كانت الأخبار المجهلة أحد أدواتها التى استخدمتها لجذب القراء، وقد ساعد على ذلك أن هذه الأخبار اهتمت أكثر بالحياة الخاصة للسياسيين ونجوم الفن والرياضة.

وتزامنا مع ظهور الصحف الخاصة فرضت الظاهرة نفسها على الصحف القومية حتى خصصت لها أبوابا ثابتة ودورية، ولكن يلاحظ أن هذه الأبواب تنتشر أكثر فى المجلات الفنية والإجتماعية التى تصدر عن المؤسسات الحكومية، حيث لا تزال الصحف اليومية القومية تحاول جاهدة ألا تتسرب إليها هذه الأخبار، وإن كانت الصحف القومية تخلت عن بعض وقارها فى هذا الشأن وخصصت أبوابا للنميمة والأخبار المجهلة تنافس بها إن لم تتفوق من خلالها على الأبواب التى تنشر فى الصحف الحزبية والخاصة[١].

(١) فى الإصدار اليومى لجريدة روزاليوسف الذى بدأ عام ٢٠٠٥، خصصت الجريدة أبواب مثل الشيخ علام الذى كان ينشر على الصفحة الأخيرة، وجدول الضرب الذى ينشر على الصفحة الأولى، وأحيانا فى الصفحة الثالثة لأسباب إعلانية، وفيهما نموذج واضح للأخبار المجهلة.

ويأتى ذلك متوافقا مع ما مع أثبته تقرير الممارسة الصحفية فى الصحافة المصرية خلال عام ١٩٩٩، حيث يرى أنه فى إطار الصعوبات التى تواجه تداول المعلومات ومخاوف الوقوع تحت طائلة القانون وقصور إمكانات المحررين وغياب الثقافة المهنية، تصبح الأخبار المجهلة والمبتورة بديلا للتغطية الإخبارية التى تتعقب قضايا الفساد والإنحراف، ويتسع نطاق الظاهرة مع إحجام الأطراف المضارة من تلك الأخبار عن مقاضاة الصحف أو تصحيح ما ورد فيها بدعوى عدم نشر أسماءهم بشكل صريح.

وإذا كانت ظاهرة الأبواب المعنية بالأخبار المجهلة قد بدأت فى جريدة الوفد بالباب الأسبوعى «العصفورة» الذى يعتقد البعض أنه من بين أسباب ارتفاع توزيع الوفد، فإنها سرعان ما انتقلت إلى بقية الصحف الحزبية حتى بلغ عددها خلال عام ٩٩ (٢٤) بابا ثم امتدت إلى الصحف القومية لتسجل (١٤) بابا.

ومع ظهور الصحف الخاصة والصحف الصادرة بتراخيص من الخارج اتسع نطاق الظاهرة، لتصبح جزءا لا يتجزء من روتين العمل الصحفى ولتتخذ مواضع العناوين الرئيسية فى الصفحات الأولى وتتحول إلى موضوعات إخبارية وتحقيقات فى بعض الصحف بجانب أبواب النميمة المهنية بالأخبار المجهلة التى وصل عددها فى الصحف الخاصة إلى (١٥) بابا وفى الصحف الصادرة بتراخيص من الخارج إلى عشرة أبواب ليصل إجمالى عدد أبواب الأخبار المجهلة فى الصحف المصرية (٦٣) بابا .

ومن وجهة نظر الباحث فإن الأخبار المجهلة تثير عدة إشكاليات تتشابك أبعادها وتتقاطع فى جوانبها المهنية والإجتماعية والثقافية والقانونية، وهو ما يمثل فى نهاية الأمر ظاهرة تعرض المعايير التى تحكم مقومات الفنون الصحفية وأدبياتها إلى ما يمكن أن نطلق عليه الخلل المهنى ولهذا الخلل مستويات ومردودات:

فعلى المستوى المهنى : يدور النقاش حول حرية تداول المعلومات والحصول عليها وتقف وجهتا نظر متقابلتان ومتعارضتان، الأولى تتبناها السلطة التى تؤكد أن لديها من القوانين ما

يتيح للصحفى حرية الحصول على المعلومات، والثانية هى وجهة نظر الصحفيين الذين يؤكدون بدورهم أن السلطة تضع من الإجراءات والمعوقات ما يعطل هذه القوانين[1].

ولذلك أمثلة عديدة، فالمادة ٨ من قانون تنظيم الصحافة رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦ ، تنص على أن للصحفى حق الحصول على المعلومات والإحصاءات والأخبار المباح نشرها طبقا للقانون من مصادرها سواء كانت هذه المصادر حكومية أو عامة، كما يكون للصحفى حق نشر ما يتحصل عليه منها.

ورغم إيجابية هذا النص القانونى، إلا أن عبارة المباح نشرها طبقا للقانون، التى تضمنتها المادة تعنى أن كفالة حق الصحفيين فى الحصول على المعلومات تقتصر على تلك المعلومات المباح نشرها فقط، وذلك دون تحديد لنوعية هذه المعلومات، وهو ما يعنى إعطاء الحق فى إصدار قوانين تفرض السرية على أنواع من المعلومات دون أية قيود، وهو ما يعنى كذلك إمكانية تقييد حق الصحفيين فى الحصول على المعلومات.

وفى المادة ٩ من القانون نفسه يحظر فرض أى قيود تعوق حرية تدفق المعلومات أو تحول دون تكافؤ الفرص بين مختلف الصحف فى الحصول على المعلومات، أو يكون من شأنها تعطيل حق المواطن فى الإعلام والمعرفة، وذلك كله دون إخلال بمقتضيات الأمن القومى والدفاع عن الوطن ومصالحه العليا.

ويعنى هذا النص أن أى تقييد لحرية تدفق المعلومات قد أصبح محظورا بمقتضى هذه المادة وأن تعطيل حق المواطن فى الإعلام والمعرفة أصبح غير مشروع من الناحية القانونية، وذلك فيما عدا ثلاثة مجالات حددها المشرع على سبيل الحصر هى الأمن القومى والدفاع عن الوطن ومصالحه العليا، لكن يلاحظ أن المصطلحات المستخدمة فى تحديد هذه المجالات التى يجوز فرض القيود على الحصول على المعلومات عنها واسعة

---

(١) سليمان صالح، حق الصحفى فى الحصول على المعلومات، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الأول، يناير ١٩٩٧، ص١٩.

وفضفاضة، بحيث يمكن أن تتيح فرض السرية على الكثير من أنواع المعلومات بحجة أنها تتعلق بالأمن القومى أو الدفاع عن الوطن أو مصالحه العليا.

وتعطى المادة ١٠ من القانون ذاته الحق للصحفى فى تلقى الإجابة على ما يستفسر عنه من معلومات وإحصاءات وأخبار، وذلك ما لم تكن هذه المعلومات أو الإحصاءات أو الأخبار سرية بطبيعتها أو طبقا للقانون، ورغم ما تمنحه هذه المادة للصحفى من حق إلا أنها تبيح فرض السرية على أنواع غير محددة من المعلومات، لم يحاول المشرع تحديدها إلا بكونها سرية بطبيعتها أو طبقا للقانون.

من خلال هذا التناقض أو المنح والمنع الذى يظهر من خلال القانون الذى ينظم عمل الصحافة، تظهر إشكالية إضطرار الصحفى إلى اللجوء للخبر المجهل كنوع من الإلتفاف حول القانون، وممارسة حقه فى الحصول على المعلومات الذى يفتح الباب أمام إشكاليات أخرى تتعلق بالخبر المجهل مثل مصداقية الصحف والمسئولية الإجتماعية وتردى مستوى الأداء المهنى والتنافس على مجاراة رغبات القراء بعد أن بدأت الصحف تعانى من تراجع معدلات توزيعها.

إن ظاهرة الأخبار المجهلة ليست ظاهرة مهنية بحتة، لكنها تأتى كإستجابة لحالة سياسية عامة فى المجتمع المصرى، فإذا نحى الباحث القانون وما يفرضه من عقبات فى طريق الحصول على المعلومات جانبا، فإنه لا يستطيع أن ينحى الواقع جانبا وهو واقع يفرض على الصحف نوعا معينا من التعامل والمعالجة فى مساحة الأخبار تحديدا، ومن خلال الممارسة العملية يرصد الباحث الآتى:

- هناك مؤسسات حكومية تصدر تعليمات شفوية بعدم التعامل مع الصحفيين من الأساس وعدم منحهم أية معلومات أو أخبار سواء كان محظورا أو متاحا نشرها.

- بعض المؤسسات الحكومية ترفض التعامل مع الصحفيين فى صحف المعارضة والصحف الخاصة وتكتفى فى تعاملها مع الصحف الحكومية فقط.

- قد تحظر المؤسسات الحكومية التعامل مع صحيفة معينة لأنها انتقدت هذه المؤسسة فى معالجاتها أو تعرضت لرئيسها بما يسوءه.

- تكتفى معظم المؤسسات الحكومية فى التعامل مع الصحفيين بأن ترسل إليهم نشرات العلاقات العامة فقط دون إمدادهم بالأخبار التى يسألون عنها، وقد يكون هذا التعامل السياسى مع الصحفيين مبررا لهم فى أن يحصلوا على الأخبار بطريقتهم ونشرها ربما دون أن يستوثقوا منها.

وعلى **المستوى الإجتماعى :** تظهر إشكالية تتعلق بصعود طبقة جديدة تحاول فرض قيمها ومعاييرها التى تغلب إعتبارات التردى والإسفاف وانتهاك حرمة الحياة الخاصة وتوظيف النميمة فى كسر شوكة نجوم المجتمع والنيل من هيبتهم، ويجد الصحفيون أنفسهم فى مأزق، فهم أمام مادة يعتبرونها ثرية تضمن لهم إقبال القراء الذين يرغبون فى معرفة أخبار المشاهير ونجوم المجتمع الذين يرحبون بدورهم بتسريب أخبارهم إلى الصحفيين بل ويلحون عليهم فى نشرها، وهنا تظهر علاقة نفعية تبادلية بين المصدر والصحفى، فالمصدر يرغب فى نشر أخبار بعينها سواء كانت هذه الأخبار تخصه هو أو تخص آخرين والصحفى يرغب فى نشر خبر جذاب يهتم به أكبر عدد من القراء، وكما يسرب المصدر أخبارا صحيحة عن نفسه فإنه فى الغالب يحرص على أن يسرب أخبار مغلوطة وكاذبة عن خصومه.

وأمام هذا الإغراء يصطدم الصحفى بميثاق الشرف الذى يعمل من خلاله والذى يفرض إحترام الحياة الخاصة للمواطنين، فهناك ٩ دول عربية تضمنت قوانينها حظر نشر المعلومات التى تتناول الحياة الخاصة للمواطنين وهى مصر والأردن واليمن والإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان وسوريا والسودان والجزائر[(١)]، ولا يوجد هذا فى الدول العربية فقط، ولكن مواثيق الشرف فى العديد من دول العالم تفرض الحفاظ على الحياة الخاصة، ففى

(١) سليمان صالح، مرجع سابق، ص ٢٤.

ميثاق الشرف والنشر فى بريطانيا من حق كل فرد إحترام حياته الخاصة والأسرية، بما فى ذلك شئون المنزل والأمور الصحية والمراسلات الخاصة وذلك لأنه سيكون من المتوقع من أى صحيفة تبرير إقتحام الحياة الخاصة لأى فرد دون موافقته على ذلك[1].

وتظهر هنا إشكالية أخرى وهى أن نشر الخبر المجهل يرتبط بمدى إلتزام الصحيفة بأخلاقيات النشر كما تنص عليها مواثيق الشرف أو الإتفاقيات الدولية وإعلانات حقوق الإنسان فيما يتعلق بحق المعرفة والحصول على المعلومات ، إلا أنها من جانب آخر ترتبط بحق الصحفى فى الحفاظ على سرية مصادره أو ما يسمى بالحصانة الإعلامية، وهى تلك الضمانة التى كفلتها مواثيق الشرف وأيضا ميثاق الشرف الصحفى فى مصر والذى ينص على حق الصحفى فى الحصول على المعلومات وفى الوقت نفسه لا يجيز إجباره على إفشاء مصادر معلوماته[2].

ويشترط البعض لضمان حق الصحفى فى الحصول على المعلومات أن يكون الحصول عليها فى المقام الأول لمصلحة القارئ[3].

وهو ما يستدعى طرح سؤال يثير إشكالية جديدة، وهو:

هل كل الأخبار المجهلة المصدر من قبيل تحقيق الصالح العام وحق المتلقى فى الحصول على المعلومات؟، أم أنها شكل من أشكال إساءة الصحيفة لحق من حقوقها وعدم إلتزامها فى القيام بدورها وخاصة فى تحقيق دورها الأول وهو إمداد القارئ بالمعلومات وتحقيق وظيفة الإعلام ومراقبة البيئة وتقليل الغموض حوله؟[4].

---

(١) الهيئة العامة للإستعلامات، ميثاق شرف جديد للصحافة فى بريطانيا، يناير ١٩٩٨، ص٢.

(٢) آمال سعد المتولى، مرجع سابق.

(٣) حسن عماد مكاوى، أخلاقيات العمل الإعلامى، دراسة مقارنة (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣) ص١٩٨.

(٤) آمال سعد المتولى، مرجع سابق.

ويذهب الباحث إلى أن هذه الإشكاليات لايمكن أن تحل بسهولة، فالخلاف حولها هو خلاف فى العصب، بمعنى أن تحقيق الصالح العام للوطن أو حق القراء فى المعرفة أمور ليست بديهية أو متفق عليها بين الجماعة الصحفية فكل صحفى حتى لو كان مخالفا من وجهة نظر ما فإنه يرى فيما يفعله تحقيقا تاما للصالح العام، وإنحيازا تاما لحق القارئ فى المعرفة، ولا تخرج الأخبار المجهلة عن هذا الإطار.

وعلى المستوى الثقافى : ففى تكوين الشخصية المصرية بعدان مهمان يمكن أن يشكلان رافدا من روافد ظاهرة الأخبار المجهلة فى الصحف، البعد الأول وهو ما يمكن أن نطلق عليه ثقافة الستر، فالشخصية المصرية بطبيعتها لا تحب أن تعلن عن أسرارها بل تحتفظ بها، وكل منا يمضى حاملا على ظهره حجرة خلفية يلقى فيها ما يريد أن يكتمه أو يستره عن الآخرين.

فى مقابل هذا السلوك هناك رغبة فى معرفة ما يخفيه الآخرون، وتتعامل الصحافة على أن هناك دائما ما يقوم الاخرون بإخفاءه، ولا تشغل الصحافة نفسها كثيرا بما يخفيه الأفراد العاديون، لكنها تسعى وراء الشخصيات العامة التى لا يجب أن تخفى شيئا يتعلق بالشأن العام، وترى الصحافة أن المسئول فى أى موقع تنفيذى أو سياسى لا يجب أن يعمل ثقافة الستر فى عمله العام، فهى تعتبر أن كل ما يقوم الشخص العام به من حقها ومن حق قارئها أن يطلع عليه.

البعد الثانى هو النميمة: فالشخصية المصرية بطبيعتها تقبل على مجالس النميمة، وفى السلوك اليومى المصرى أن الحديث يدور فى الجلسات عن الغائب عنها، وقد اقتحمت الصحافة عالم الطبقات الثرية ورجال الأعمال، وهى الطبقة الجديدة التى تحيا حياة أسطورية ليس فى قصورها فقط ولكن على الشواطئ التى رغبوا أن تكون مغلقة عليهم.

أرادت الصحافة أن تنشر أخبار هذه الطبقة طمعا فى جذب قارئ يجهلها، ويهمه ولو من باب التطفل أن يعرف كيف تعيش، وأحدثت الصحف دون أن تقصد أثرا إجتماعيا

خطيرا، فأخبار هذه الطبقة تقبل عليها الطبقات الأدنى ليس من باب التطفل فقط، ولكن من باب الإسقاط الذى يبعث الراحة فى نفوس القراء، فالصحف تركز على الفضائح الجنسية فى هذه الطبقة وتظهر عوارها الأخلاقى، فينظر إليها القارئ الفقير رافضا لها، فهى طبقة غير أخلاقية وهو لا يزال يحتفظ بأخلاقه وعليه فهو بالتأكيد أفضل منها، وذلك على الأقل بينه وبين نفسه.

وعلى المستوى القانونى: لا يوجد فى القانون ولا فى مواثيق الشرف الصحفية ما يجرم بشكل مباشر وواضح الأخبار المجهلة، رغم أن نشر الأخبار المجهلة التى تمس خصوصية الأفراد وحقوقهم ويترتب عليها أضرارا مادية ومعنوية لهم، يجب أن يوضع فى إطاره القانونى، بما يصنع صيغة من التوازن الدقيق بين المصالح التى يحققها نشر هذه الأخبار والمصالح التى يضر بها.

وذلك لأن الغاية من النشر فى العموم هى الفيصل بين ما هو مباح وما هو مؤثم بنص القانون، وهو الأمر الذى يثير العديد من التساؤلات حول موقف التشريعات الصحفية من ظاهرة الأخبار المجهلة.

فى قانون تنظيم الصحافة لا توجد نصوص قانونية صريحة تتعلق بالأخبار المجهلة ، لكن هناك ما يمكن أن نسميه مواد غير مباشرة، وهى المواد١٨ و١٩و٢١ وتلزم الصحفى بالتمسك فى كل أعماله بمقتضيات الشرف والأمانة والصدق وآداب المهنة وتقاليدها وميثاق الشرف الصحفى، وعدم التعرض للحياة الخاصة للمواطنين إلا إذا تعلق ذلك بعمل الشخص العام، الأمر الذى يلزم الصحفى بعدم انتهاك حق من حقوق المواطنين أو المساس بإحدى حرياتهم وهو ما يتطلب من الصحفى توثيق معلوماته قبل النشر، وتجنب الوقوع فى خطأ التقصير بنشر أخبار غير صحيحة أو خطأ التجاوز بإنتهاك الحقوق والحريات.

وفى قانون العقوبات تعرض المشرع للخبر الكاذب بإعتباره عدوانا على الحقيقة وتضليلا للرأى العام، وحدد فى المادة ١٨٨ حالات محددة للتجريم والعقاب تتمثل فى أن

يكون الخبر الكاذب متصلا بالسلم العام أو الصالح العام أو يترتب عليه تكدير السلم العام أو الإضرار بالصالح العام.

وهو بذلك لا يتعرض للكثير من الأخبار المجهلة الكاذبة لأنها تركز فى أغلبها على الحياة الخاصة للشخصيات العامة، وقد أعفى القضاء الصحفى من عقوبة الخبر الكاذب إذا كان نشره من باب الخطأ غير المقصود[1] حيث أن رجال الصحافة وهم يؤدون رسالة سامية جديرون برعاية خاصة فى محاسبتهم على ما يقع منهم من أخطاء غير مقصودة فى مزاولتهم مهنتهم.

والواقع أن قانون العقوبات نفسه هو الذى شجع على ظاهرة الأخبار المجهلة، فالمشرع المصرى يسند عبء الإثبات على الصحفى، وهو افتراض تشريعى للإدانة ومناقض للصالح العام والعقل وموجبات قرينة البراءة وإهدار لمبدأ المساواة بين المواطنين وإنحراف بالتشريع لغرس الخوف والفزع فى نفوس الصحفيين[2].

وهو رأى تصدى له قانونيون.

يرى المستشار يحيى الرفاعى أن الموظف العام هو الذى يملك وسائل وأدلة إثبات صحة عمله[3].

ويوضح فتحى سرور أن إثبات الإدانة يقع على عاتق النيابة وحدها، أما المتهم فكل ما له أن يناقش أدلة الإثبات التى تتجمع حوله لكى يفندها أو يضع فيها بذور الشك دون أن يلتزم بتقديم أدلة إيجابية تفيد براءته[4].

(١) حكم محكمة بولاق الجزئية فى الدعوى المدنية رقم ٥٤٧ لسنة ١٩٥٨ بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٨.

(٢) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الأخبار المجهلة، مرجع سابق.

(٣) جريدة الشعب، مذكرة المستشار يحيى الرفاعى المقدمة لمحكمة الجنايات فى قضية حسن الألفى وزير الداخلية ضد جريدة الشعب، عدد ٢١ يوليو ١٩٩٨.

(٤) أحمد فتحى سرور، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان فى الإجراءات الجنائية (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٣) ص٢٠٣.

يفيد ذلك كله أن التعسف فى إفتراض علم الصحفى بالكذب ومطالبته بتقديم الأدلة وتعدد القيود المفروضة على حرية تداول المعلومات والتوسع فى قرارات حظر النشر، يؤدى إلى التوسع فى نطاق ظاهرة الأخبار المجهلة ليشمل الصحف القومية والحزبية والخاصة، حيث يمارس الصحفى حقه فى نشر الأخبار المحظور تداولها أو غير الموثوق فى صحتها مع الإفلات من المسئولية الجنائية والمدنية وأعباء تقديم الأدلة على صحة ما نشرته من معلومات.

وقد يكون تراجع قوانين الصحافة عن تجريم الأخبار المجهلة من باب أنها تتعامل معها على إعتبار أنها تندرج ضمن المسائل المتعلقة بأخلاقيات العمل الصحفى، ولذلك نجد أن ميثاق العمل الصحفى يتدارك إلى حد ما هذه الظاهرة.

وذلك من خلال إلزام الصحفى بتحرى الدقة فى توثيق المعلومات ونسبة الأقوال والأفعال إلى مصادر معلومة، وعدم نشر الوقائع مشوهة أو مبتورة وعدم تصويرها أو اختلافها على نحو غير أمين، وعدم إتهام المواطنين بغير سند أو استغلال حياتهم الخاصة للتشهير بهم أو تشويه سمعتهم أو لتحقيق منافع شخصية من وراءهم.

وفى المقابل يكفل ميثاق الشرف الصحفى حق الصحفى فى الإحتفاظ بمصادر معلوماته وحقه فى الكشف عن الذين يدخلون على الصحفى الغش فى الأنباء والمعلومات، ومن ينكرون ما أدلوا به ليتحملوا المسئولية عن ذلك[1]. يظهر من ذلك أن هناك حالة من الجدل حول ظاهرة الخبر المجهل، لكن حالة الجدل هذه لم تحاول أن تقدم تعريفا محددا لهذا الخبر، وإن كانت هناك إشارات إلى هذا التعريف[2].

فالخبر المجهل حقيقة واقعة فى الصحافة غربية وعربية، ووصل الأمر إلى ما رصدته تقارير الممارسة الصحفية إلى وجود ظواهر غريبة لا تمت لأخلاقيات الخبر، وأصبح

(١) ميثاق الشرف الصحفى عام ١٩٧٥ (القاهرة ، المجلس الأعلى للصحافة، ١٩٩٨).
(٢) آمال سعد المتولى، مرجع سابق.

الموقف ليس فى الأخبار المجهلة إنما فى نوع جديد من الإنتهاك لأخلاقيات المهنة وهو الشتائم المجهلة غير المرتبطة بأى واقع أو سياق موضوعى.

وقد أطلق تقرير المجلس الأعلى للصحافة على الخبر المجهل الذى يحمل شائعة مسمى نميمة[1] وهى ليست إلا كلمات مرسلة بلا دليل عليها.

وقد أضيفت فئة الأخبار المجهلة إلى المعايير الخاصة بفئة حقوق الجمهور ابتداء من تقارير عام ١٩٨٩، وذلك فى إجتماع أعضاء المجلس الأعلى للصحافة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٨٨[2]، لكن لم يرد فى هذا السياق تعريف للأخبار المجهلة سوى أنها تشمل عدم إحترام الخصوصية.

وفى التقرير الأول الذى صدر مباشرة بعد إضافة هذا التعديل[3] ظهرت محاولة أولى للتعريف فتمت الإشارة إلى أن : الأخبار المجهلة المصدر يصعب معها تحديد شخص معين ليلحق الضرر بسمعة أكثر من شخص وعلى نحو يصعب للفرد تكذيب الخبر أو حماية سمعته من الشائعات.

ويذهب الباحث إلى أن هذه الإشارات فى تعريف الخبر المجهل ليست إلا إشارات أخلاقية يتم من خلالها إدانته دون التعرف على تعريفه المهنى أو الدوافع التى تقف وراء صياغته أو السياق الذى ينتج فيه، ولذلك يرى الباحث ضرورة البحث عن تعريف مهنى للخبر المجهل، وإظهار سلبياته وإيجابياته وعلى هذا الأساس يمكن رفضه أو قبوله.

فالخبر فى تعريفه المثالى يمكن النظر إليه على أنه «تقرير يصف فى دقة وموضوعية حادثة أو واقعة أو فكرة صحيحة تمس مصالح أكبر عدد من القراء وهى تثير إهتمامهم بقدر ما

(١) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الممارسة الصحفية فى الصحافة المصرية خلال عام ١٩٩٩، ص١٤.

(٢) المجلس الأعلى للصحافة، التقرير الثانى عشر للممارسة الصحفية، غير منشور، ١٩٨٨، ص٦.

(٣) المجلس الأعلى للصحافة، التقرير السنوى الأول عن عام ١٩٨٩، ص٥٠.

تساهم فى تنمية المجتمع وترقيته»[1].

لكن هذا المعنى لا يسير على كل الأخبار التى تنشر فى الصحف، فهناك تنوعيات كثيرة على الخبر ولها جميعا مسميات عديدة ومنها الخبر الملون، وهو الخبر الذى يتعرض من قبل محرره لإعتداءات معينة هى[2]:

- حذف بعض الوقائع لا بقصد الإختصار وإنما بقصد إخفاء هذه الوقائع عن القراء.
- إختلاق بعض الوقائع التى لم تقع بالفعل إلى الخبر عند نشره.
- يتضمن الخبر رأيا أو وجهة نظر بهدف التأثير على القارئ.

وفى هذه الحالات يخضع الخبر لعملية تشويه متعمدة تفقده موضوعيته من ناحية ودقته من ناحية ثانية، بحيث يصل الخبر إلى القارئ لا كما حدث بالفعل فى الواقع، وإنما كما تريده الصحيفة أن يصل إلى القراء، وهو الأمر الذى من شأنه تضليل القراء وخلق رأى عام موجه فى المجتمع، وهو الشئ الذى يمكن أن ينعكس أخيرا فى فقد القارئ لثقته فى الصحيفة.

تعريف الخبر الملون يمكن أن يقودنا فى النهاية إلى التعرف على ملامح الخبر المجهل، فكل منهما تتدخل فى صياغته يد المحرر بما يتنافى مع القواعد المهنية التى تلزم المحرر بمعايير الدقة والصدق والموضوعية.

وقد وضع الباحث يده على حالة من الخلط الشديد بين ما يعنيه الخبر المجهل وما يعنيه الخبر غير المنسوب لمصدر والخبر ذى الخلفية والخبر المفسر والخبر الكاذب، وسيكون من الغريب أن يقول الباحث أنه إذا كان الخبر الصحيح يفتقر للتحديد الدقيق لمفهومه سواء فى التشريعات الصحفية أو فى مواثيق الشرف الصحفى، فإن الخبر المجهل يستمد بعضا من مشروعية الواقع من خلال الغموض الذى يحيط به.

---

(١) فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحفى (بيروت، دار الشروق، ١٩٨١)ص٤٤.

(٢) فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص١٣٥.

ورغم هذا الغموض لكن يمكن للباحث أن يضع حدودا لتعريف الخبر المجهل على أنه:

خبر ينشر رغم عدم إكتمال بعض عناصره من أسماء أو زمان أو مكان أو أقوال أو أفعال، وقد يكون إخفاء هذه العناصر بقصد أو بدون قصد.

وفى هذا الإطار فإن الخبر المجهل يتسم بالتعميم والتحرر من قواعد الكتابة الصحفية للخبر التى تلزم الصحفى بأن يستكمل عناصر خبره وأن يجيب على جميع الأسئلة التى تدور فى أذهان القراء، كما يعنى التجهيل أن هذه النوعية من الأخبار تفتقد مقومات الدقة والأمانة والموضوعية، ولذلك يجد الباحث أنه من الضرورى أن يفرق بين الخبر المجهل وعدة أنواع من الأخبار وذلك على النحو التالى:

أولا: الخبر غير المنسوب إلى مصدر: وهو الخبر الذى تنشره الصحيفة مضطرة لدواعى الحفاظ على سرية المعلومات وفى هذه الحالة فإن الصحفى ومن وراءه صحيفته يتحملان توابع الخبر.

ثانيا: الخبر ذى الخلفية : وهو الخبر الذى يستخدم عبارات مثل مصادر مطلعة ومصادر عليمة وأحد كبار المسئولين وعلمت الصحيفة، وغيرها من التعبيرات التى تخفى المصدر عمدا، وقد يكون ذلك نزولا على رغبة المصادر نفسها التى تطلب عدم ذكر اسمها، أو يكون الصحفى قد حصل على معلومات لكنها غير مؤكدة رسميا، فيحيلها على مصادر توحى بالرسمية حتى يضفى على خبره نوعا من الضخامة التى توهم القارئ ببعض المصداقية، وتستخدم هذه الأخبار كذلك لكشف إتجاهات متوقعة عند الرأى العام أو إطلاق بالونات إختبار سياسية.

- ويجب التفريق بين نوعين من الأخبار المجهلة على النحو التالى:

الأول : وهو الخبر المجهل الذى ينشر بحسن نية ويتعلق فى الغالب بقضايا عامة وشائكة ولا يتوفر لدى المحرر أدلة تحميه من المساءلة القانونية والمدنية فيلجأ إلى التجهيل مضطرا.

والثانى : هو الخبر المجهل الذى ينشر بسوء نية ويتعلق فى الغالب بأسرار خاصة تتعلق بنجوم المجتمع ومسئوليه وشخصياته العامة، ويتعمد المحرر فضحها مستترا بأداتى التجهيل والتعميم .

ويفرض الخبر المجهل الذى تنشره الصحيفة شكلا من أشكال التعامل المهنى الذى له جوانب متعددة:

- إذا كان من حق المحرر ألا يفصح عن مصادره للسلطات العامة، فليس من حقه أن يمارس حقه هذا مع رئيس تحريره، حيث يكون من حق رئيس التحرير أو من واجبه أن يتحقق من صحة الأخبار التى يحصل عليها مندوب جريدته ويطلب منه معرفة المصادر والأسماء الواردة فى تلك الأخبار ويكون له حق إتخاذ القرار بإخفاء معلومة معينة أو نشرها.

- يطبق الصحفى الذى اعتاد نشر الأخبار المجهلة قاعدة« الأفضل أن تكون غامضا ولا تقع فى الخطأ»، فهو لا يتوخى الحذر فى التعامل مع المصادر التى تحركها عادة دوافع خاصة وغير مشروعة، فبدلا من أن يلتزم منهج الشك فى التعامل مع المعلومات السرية والمجهلة، فإنه يتلقفها بحماس شديد وتستغل المصادر هذا الحماس فتمده بالأخبار التى يكون معظمها غير صحيح، فالمصادر غالبا ما تكون لها مصالح تسعى لتحقيقها حتى لو كان ذلك بالأخبار الكاذبة والشائعات.

- لا يتحمل الصحفى بمفرده مسئولية الأخبار المجهلة وإنما يقع العبء فى معظمه على الصحيفة، فهى التى تخصص بابا ثابتا لمثل تلك الأخبار وتشجع مندوبيها لتنشيطه واستمرار حيويته، وهو الأمر الذى ساهم فى جعل ظاهرة الأخبار المجهلة أمرا إعتياديا، بل وصل الأمر بها إلى درجة الروتين الدورى الذى تفعله الصحف دون أن تشعر أنها بذلك تخالف ميثاق الشرف الصحفى أو تعتدى على حرية الآخرين.

- هذا التعامل المهنى لا يعفى الصحفى فى كل الأحوال من مسئوليته عن إقامة توازن بين حق الجمهور فى المعرفة وحق الأفراد فى حماية خصوصيتهم، وهو الأمر الذى يحتم

عليه أن يقدم إجابات كاملة لعدد من الأسئلة عندما يجد نفسه فى مأزق من هذا النوع[1] وهذه الأسئلة هى:

- ما هو الهدف من البحث عن هذه المعلومات؟
- هل الجمهور فى حاجة حقيقية لمثل تلك المعلومات؟
- هل تورطت فى الخبر بإختيارى أم بالصدفة؟
- ما هو حجم الحماية التى يستحقها الشخص محور الخبر؟
- هل هو شخصية عامة أم لا؟
- ما هى طبيعة الضرر الذى سيقع عليه من النشر؟
- ما هى البدائل لتقليل الأضرار وفى الوقت نفسه القيام بواجبى الصحفى؟

ولا ينفى ذلك أن هناك دوافع عديدة وراء نشر الخبر المجهل وهى:

أولا : حرص الصحافة على تحقيق السبق الصحفى أمام القارئ مما أدى ببعض الصحف إلى الحرص على نشر أخبار توقعات تسبق بها الصحف الأخرى[2].

ثانيا: الإفلات من عقاب القانون فيما إذا تضمن الخبر قذفا أو سبا أو انتهاكا للحق فى الخصوصية.

ثالثا: تفويت حق الرد والتصويب فما دام ما يتناوله الخبر غير مؤكد فإن إلزام الجريدة بإحترام حق الرد لا يكون بدوره ملزما ، ويرتبط بذلك نشر الوقائع بصورة مبتورة أو مبالغ فيها، ففى كثير من الأحيان تعمد الصحف إلى الإثارة الشديدة بنشر واقعة عادية بعناوين صاخبة أو مبالغ فيها لزيادة التوزيع كما أن بعض الصحف تعمد إلى نشر الوقائع مبتورة وغير كاملة للسبب نفسه[3].

---

(١) Steele.bob.respecting.privacy guidelins.in the pointer institute.may.1996.pp3.

(٢) آمال سعد المتولى، مرجع سابق.

(٣) نجاد البرعى، جرائم الصحافة والنشر (القاهرة، المجموعة المتحدة، ٢٠٠٤) ص ١٤.

رابعا: تقع الصحف غالبا أسيرة للسلطة التى تستغلها كأحد الأدوات التابعة للدولة فى نشر بعض الأخبار عن طريق بعض موظفى الحكومة وذلك لإثارة ردود الأفعال أو خلق مطالب سياسية جدية، ومن ثم يتم إتخاذ القرارات وكأنها استجابة للمطالب الشعبية أو الرجوع عنها[1].

دوافع اللجوء إلى الأخبار المجهلة يمكن أن يضعها الباحث جنبا إلى جنب مع الأسباب التى تجعل الصحافة تقع فى أسر المعالجات الخاطئة للأخبار، ويحددها محمد حسام الدين فى الآتى[2]:

أولا: ضغوط غرفة الأخبار: حيث تظهر قيم ومعايير وإتجاهات صحفية ما عند معالجتها للموضوعات الإخبارية بالإهمال أو التضخيم والإبراز، وقد تتعارض هذه القيم والمعايير والإتجاهات مع مثيلاتها التى يعتنقها الصحفى، ولكن بمرور الوقت يتم تطبيع الصحفى وفق قيم ومعايير واتجاهات الصحيفة، بعد إخضاعه بأساليب عدة منها: استخدام سلطة الصحيفة والعقوبات التى يلوح بفرضها أو توقيعها عليه، واستغلال ميل الصحفى ورغبته فى نشر الأخبار التى يحصل عليها، ويستجيب معظم رجال الأخبار لضغوط وتوقعات غرفة الأخبار، حيث أن آليات السيطرة وإستجابة القائم بالإتصال لها تشكل عملية التنشئة الإجتماعية للصحفى وهى التى يمكن أن نطلق عليها التنشئة الإجتماعية الصحفية.

ثانيا: السرعة والسبق: فعنصر الزمن والوقت المحدد لدوران المطبعة فى الجريدة من العناصر البالغة الأهمية التى ينبغى حسابها بدقة فى التغطية الصحفية، والصحفى المكلف

(١) محمد أسعد أبو عامود، الوظائف السياسية لوسائل الإعلام، مجلة الدراسات الإعلامية، عدد ٥٠، يناير، ص١٨.

(٢) محمد حسام الدين، المسئولية الإجتماعية للصحافة (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣)ص ص ١٨١-١٩٥.

بموضوع ما، عليه أن يحدد الوقت اللازم للاتصال بالمصادر المختلفة، والوقت المستغرق فى تجميع المادة، وموعد تقديم المادة مكتوبة إلى المسئولين فى الجريدة، بما يتناسب وموعد دوران المطبعة، لأن الجريدة سوف تصدر فى موعدها سواء لحق بها أم لم يلحق ، لذلك يجد الصحفى نفسه تحت ضغط عامل الوقت والحاجة إلى سرعة الإنجاز، ليس فقط فى حاجته لتقديم المادة فى موعدها، ولكن أيضا خشية المنافسة والإنفراد والسبق الصحفى من الجرائد المنافسة، مما قد يؤثر على درجة الدقة والعمق والتوازن فى المادة الخبرية المقدمة، فالسرعة فى العمل الصحفى ينتج عنها معالجة سطحية وغير كاملة للأخبار وتجعل المندوبين ملهوفين على أحدث الوقائع وأكثرها إثارة ودرامية بالنشر، كما أن المنافسة تدعم سطحية الأخبار لا موضوعيتها.

ثالثا: كم المواد الصحفية المعدة للنشر : فى كل عدد من الصحيفة عادة بالقياس للمساحة التى تخص المادة التحريرية بعد حجز الأماكن الخاصة بالمادة الإعلانية، وعلى ذلك فالإنتقاء يصبح مطلبا لابد منه ولا مهرب، ومن المفترض أن يكون معيار النشر هو الأهمية النسبية لكل مادة صحفية، كى تقرر المساحة المخصصة لكل مادة ما يتناسب مع قيمتها الفعلية، وتتركز المشكلة فى كلمتى الأهمية والنسبية، إذ تتدخل عدة عوامل لتحديد هذه الأهمية النسبية مثل عملية حراسة البوابة وضغوط غرفة الأخبار التى تقرر مدى أهمية الموضوع الصحفى بالنسبة للصحيفة وجودته من حيث المصادر والصياغة، كما تلعب ظروف مساحة الموضوع، كما تم رسمه من قبل المخرجين الصحفيين على نموذج الصفحة دورا فى اختصار الموضوع، لاسيما إذا قام مندوب آخر أو محرر غير متخصص بحذف أو إختصار الموضوع وهو أمر قد تتدخل فيه أيضا صراعات وخلافات المحررين والمندوبين.

رابعا: استقاء الأخبار من المصادر: فالإنتقال لمكان الحدث هو أهم جانب فى التغطية الخبرية، إذ ليس من المفروض على الصحفى أن يحصل على معلوماته وهو جالس فى

الجريدة أو بالتليفون، ولكن ينتقل إلى مكان الحدث ليرى بنفسه ويتحدث مع شخوص الحدث فقد يعثر هناك على وثائق أو مستندات لازمة لموضوعه هذا، بالإضافة إلى أن مكان الحدث قد يحوى مفاجآت غير متوقعة قد يكتشفها الصحفى بحاسته الإخبارية، وقد لا يستطيع الصحفى أن يجمع كل الحقائق المتصلة بالخبر، وهو فى مكان الحدث كأن يشاهد مظاهرة فى الشارع تنادى بمطالب معينة، ففى مثل هذه الحالات عليه أن يرجع إلى الخبراء المعنيين سواء أكانوا أشخاصا أم كتبا ومراجع.

خامسا: صراع المصالح : فالمندوب يقدم قصته الخبرية للمحرر بعد أن يستبعد الوقائع والمعلومات التى تتعارض مع مصالحه الشخصية، ثم يقوم المحرر الذى لديه دراية بالمحظورات، التى تمنع من النشر فى فترة زمنية ما تحت قيادة صحفية معينة بمنع القصة الخبرية كلها أو ينشر بعضها، وبالتالى يكتشف المندوب محظورات الجريدة بنفسه، فلا يأتى بالأخبار التى تتناقض مع مصالحه الشخصية أو مصلحة جريدته، التى هى إنعكاس لمصالح جماعات المصالح الخاصة.

أثبت الباحث هذه الأسباب ليس عن قناعة تامة بها، فعندما يخضعها للتحليل الواقعى يجد أنها تتسق مع أنماط صحفية فى دول أخرى ليس من بينها مصر، وقد يرجع ذلك فى إعتقاد الباحث إلى أن الصحافة المصرية تفتقد حالة الإحترافية التى يمكن من خلالها إعمال هذه الأسباب، فالمنظومة فى منتهاها تتحكم فيها العشوائية، وبالنظر إلى منظومة إنتاج الأخبار فى الصحف المصرية سنجدها كالتالى:

- فى الصحف الحكومية يحصل الصحفيون على الأخبار من خلال نشرات العلاقات العامة والبيانات الصحفية التى ترسلها الوزارات والمؤسسات الحكومية عبر الفاكس للجريدة، ولا يتم التدخل فيها غالبا بل تنشر كما هى، وإذا حدث ونشر خبر خارج هذه الآلية عن مسئول أو وزير فإن ذلك يكون مقصودا لذاته ويتم عبر توجيهات معينة أو عن طريق إجتهادات صحفى يعرف كيف تدار موازين القوى فى النظام.

- فى الصحف الحزبية...هناك إتجاهان فى معالجة نشر الأخبار ، فالأخبار التى تخص الحزب تنشر بشكل رسمى يصل إلى معالجة الصحف الحكومية لأخبار المؤسسات الحكومية، أما الأخبار التى تخص المؤسسات الحكومية فتخضع للتلوين سواء بالحذف أو الإضافة أو تلبيسها بالرأى الذى يخرجها من موضوعيتها وحيادها.

- فى الصحف الخاصة والتى تقترب أكثر من نمط صحافة الإثارة تأتى الأخبار فى الغالب موجهة ليس لمصلحة جهة أو شخص ولكن لمصلحة النمط العام للجريدة حيث يهتم محرروها وصناعها بجلب الأخبار الغريبة والطريفة والشاذة أحيانا، ولا يوفق المحررون الصغار فى جلب الأخبار من هذا النوع حيث تحتاج إلى منظومة من العلاقات الخاصة جدا بمصادرومنتجى الأخبار، ولذلك تسجل معظم أخبار هذه الصحف بأسماء قياداتها الصحفية العليا، لكن هذا لا يمنع أن كثيرا من هذه الأخبار تكون كاذبة أو ناقصة أو غير دقيقة أو حتى مفبركة، ويصاحب ذلك ظاهرة التصحيح التى تلجأ لها صحف الإثارة كثيرا، وهو تصحيح يلزمه إعتذار لأن الأخبار فى الغالب تكون ماسة بمصالح وحياة الشخصيات الخاصة.

ولا ينكر الباحث أن ظاهرة الأخبار المجهلة فى الصحف المصرية تعبر عن حالات مهنية بعينها ويتبدى ذلك من المعالجات الواقعية التى تقوم بها الصحف خاصة أن الظاهرة ليست مقصورة على نمط معين من الصحف ولكنها جميعا تشترك فى نشرها بصورة أو بأخرى ويمكن للباحث تحديد هذه المعالجات فى الآتى:

أولا: تعبر ظاهرة الأخبار المجهلة فى أحد وجوهها عن رغبة فى الإغراق فى الغموض ورغبة القارئ فى البحث عن حل لهذا الغموض، وفى هذه الحالة يكون لدى الصحيفة العناصر الكاملة للخبر لكنها تقوم بإخفاء بعضها إمعانا فى الغموض والإثارة والرغبة فى خلق حالة من التساؤلات اللامتناهية حول العناصر التى تم إخفائها وهوما يجعل الصحيفة فى دائرة الضوء والإهتمام والمتابعة.

ثانيا: وجه آخر من وجوه الأخبار المجهلة وهو يعبر عن حالة من العجز المهنى يتمثل فى عدم قدرة الصحيفة على إستكمال الأخبار التى لديها، وبدلا من أن تبذل الجريدة جهدا مضاعفا فى إتمام عملها فإنها تكتفى بما لديها من عناصر للخبر معتبرة أن ذلك نمطا من المعالجة، وهو نمط سلبى بلا شك، فإذا ما وقعت الصحيفة فى مأزق تقديم معلومات الخبر لجهة ما فإنها تعجز عن ذلك لأن هذه العناصر لا تكون متوافرة لديها من الأساس.

ثالثا: دأبت بعض الصحف من خلال أبوابها الثابتة التى تخصصها لهذا الشكل من الأخبار على صناعة الخبر وتخليقه إن لم تعثر عليه، ولذلك فإن كثيرا من هذه الأخبار لا يكون موجودا من الأساس أو لا علاقة له بالواقع وهو يدخل بذلك إلى دائرة الأخبار المفبركة، التى تقوم الصحف بصياغتها بشكل كامل، وتكون هذه الأخبار فى الغالب فى المساحة الإجتماعية والفنية، وتبتعد عن المساحة السياسية، وذلك لتبتعد عن المخاطرة.

رابعا: لا يمكن للباحث أن يفصل ظاهرة الخبر المجهل عن القدرات المهنية لمجموعة الصحفيين المصريين والذين لا يستطيعون الوصول إلى الأخبار، وذلك لأسباب تتعلق بهم أو تكون متعلقة بالمؤسسات التى يتعاملون معها وهى مؤسسات فى الغالب تجتهد فى إخفاء الأخبار عن الصحفيين بإعتبارها سرا من الأسرار العسكرية، ولذلك يحاول الصحفيون التغلب على هذه الصعوبات بما يمكن أن نسميه أخبار الملاحظة أو التخمين أو الإكتفاء بما تقوله مصادر لا ترتبط بعلاقة وثيقة بصانع الخبر فيأتى ناقصا أو مغلوطا.

خامسا: تطورت ظاهرة الخبر المجهل لتصبح صبغة تصطبغ بها الأشكال الصحفية الأخرى، فيمكن أن نصادف تقريرا كاملا أو قصة إخبارية أو تحقيقا صحفيا مجهلا يتحدث عن شخصية أو شخصيات بعينها دون أن يحددها بالإسم، وقد يكون لذلك أسبابه المهنية أو القانونية، ويكون لهذه الأشكال ضررها وخطرها، فهى تثير الشبهات حول عدد كبير من الشخصيات التى تكون فى مساحة الشخصية أو الشخصيات المستهدفة من المعالجة الصحفية.

ثانيا : معالجة شئون الحياة الخاصة للشخصيات العامة

ينصرف الذهن عند الحديث عن الحياة الخاصة إلى أنها تلك الحياة المتعلقة بالشخصيات العامة والمشاهير والمسئولين فى مختلف مناحى العمل العام، وهو تصور- من وجهة نظر الباحث- قاصر إلى حد بعيد، فكل المواطنين سواء كانوا شخصيات عامة أو أشخاص عاديين لهم حياتهم الخاصة التى يرغبون ألا يتعرض لها أحد.

وإذا كانت الشخصية العامة تخشى من التعرض لحياتها على إعتبار أن ذلك يمكن أن يعرضها للقيل والقال على مستوى عام، فإن الأشخاص العاديين يكون لديهم نفس التخوف من أن يتعرضوا للقيل والقال على المستوى الخاص، وهو المستوى الذى يحيط بهم فى حياتهم اليومية، وحتى لو كانت هذه الحياة ضيقة ولا ثراء فيها فإنها مهمة بالنسبة لهم ومن حقهم أن يدافعوا للحفاظ عليها.

ويذهب نجاد البرعى[1] إلى أنه لكل فرد الحق فى إحترام حياته الخاصة، فلا يجوز للصحافة إقتحام الحياة الخاصة حتى للشخصيات العامة، متى كانت تلك الحياة الخاصة لا تؤثر بشكل أو بآخر فى تأدية أعمالهم، أو فى الطريقة التى يؤثرون بها فى مجريات الأمور، فعندما ينشر خبر عن لاعب كرة قدم دولى مثلا بأنه دائم السهر فى الملاهى الليلية، فإن ذلك لا يكون انتهاكا لحقه فى الخصوصية باعتبارأن المحافظة على مستواه البدنى والمهارى أمر يخص كل المهتمين بكرة القدم، وقد يؤثر كثيرا أو قليلا بسلوكه هذا على المجتمع، ولكن ماذا لو اعتزل اللاعب نفسه كرة القدم وتحول إلى شخص عادى ، ربما لازال مشهورا ولكنه شخص عادى ...هل يجوز متابعة تصرفاته عن بعد؟

يجيب نجاد البرعى على هذا السؤال: فى تقديرنا فإن الإجابة تكون بالنفى، فتصرفات هذا اللاعب لم تعد تهم الجمهور أو تؤثر فيه.

هذه الثنائية تصلح مدخلا لمناقشة معالجة صحافة الإثارة للقضايا والأحداث المتعلقة

---

(١) نجاد البرعى، مرجع سابق، ص ١٤.

بالحياة الخاصة للمواطنين، فإذا كانت حياة الشخصية العامة الخاصة فيها مايؤثر على المصلحة العامة فيجب متابعتها وكشفها، لكن إذا كان الشخص العام يمارس نشاطا خاصا به وبأسرته فيجب أن يترك الشخص فى هذه الحالة وشأنه دون أن تتعرض له الصحافة بحجة أنه شخص عام، فهو فى هذه الحالة ليس أكثر من شخص خاص له حياته التى يرغب أن يحتفظ بأسرارها لنفسه.

لكن يظل السؤال الذى يبدو أن صحافة الإثارة حسمته مبكرا والدليل فى ممارساتها هو: ما هو الخاص فى حياة الشخصية العامة الذى لا يجب الإقتراب منه، وما هو الخاص الذى لابد من إقتحامه وتعريته؟

حقيقة الأمر أن صحافة الإثارة لا تفرق بين النوعين بل تعتبر أن حياة الشخصية العامة سواء كانت سياسية أو ثقافية أو فنية أو رياضية ساحة مستباحة لها، فهى منذ اللحظة التى تولت فيها عملا عاما، أو أصبحت مشهورة فإن حياتها أصبحت بكل تفاصيلها ملكا للرأى العام من حقه أن يطلع عليها فى كل حالاتها.

وحجة الصحافة فى ذلك أن أى تصرف حتى لو كان صغيرا أو تافها أو عابرا فإنه يهم القراء، الذين يبدون رغبة دائمة فى معرفة كل صغيرة وكبيرة عن نجومهم فى كل المجالات، وبذلك تحول صحافة الإثارة الشخصية العامة إلى سلعة من حق القارئ أن يستهلكها فى أى وقت وعلى أى صورة يريد.

هذا لا يمنع الشخصية العامة بالطبع من أن تقاضى الصحف إذا ما رأت أنها تتطرق إلى مساحات خاصة ما كان لها أن تدخلها أو تطرق بابها، ويؤخذ هذا السلوك فى الغالب تكأة لتقييد الصحف والوقوف فى طريق حريتها، إذ تصبح الحياة الخاصة أمر نسبى لا يمكن الإتفاق على حدوده التى يجب أن تقف الصحافة على تخومها دون أن تتعداها.

لكن فى هذا الإطار تظهر رؤية مهمة[1] حيث لا يتعين استغلال أخطاء الصحف فى

(١) وحيد عبد المجيد، محنة الصحافة العربية ...هل لها آخر، جريدة الحياة، عدد ٢٦ أغسطس ١٩٩٨.

التدخل فى الحياة الخاصة للمواطنين لتغذية نزعات معادية لحرية الصحافة وإشاعة مفهوم الإحترام المطلق للحياة الخاصة للأفراد من دون تمييز بينهم من حيث مواقعهم.

وبغض النظر عما إذا كان تناول جانب من جوانب هذه الحياة يخدم مصلحة عامة أم لا، فليس كل تناول للحياة الخاصة متعارضا بالضرورة مع الأخلاق والتقاليد المهنية السليمة، ففى بعض الأحيان تكون متابعة شأن يخص هذا الشخص العام أو ذاك حتى لو كان متعلقا بصميم حياته الخاصة مدخلا للفت الإنتباه إلى قضية ذات صلة بمصلحة الدولة أو المجتمع .

وربما تكون قصة مشهورة عن شخص ما أو صورة التقطت له بداية لكشف قضية فساد مثلا، وفى مثل هذه الحالات يصير تقييد حرية الصحافة مؤديا للتستر على أوضاع لا يراد كشفها، وهذا التستر أخطر بكثير من أى أخطاء قد تترتب على الغوص فى الحياة الخاصة للشخصيات العامة.

ولا يستطيع الباحث أن يكون رأيا واضحا ومحددا فى إشكالية الحياة الخاصة للشخصيات العامة دون البحث عن تعريف واضح لها وكذلك التعرف على الموقف القانونى المنظم لها.

لقد اهتمت المنظومات القانونية فى دول العالم المختلفة بالتعرض للحياة الخاصة لدى الشخصيات العامة، فلا يزال النظام الإنجليزى[1] يرفض الإعتراف بالحق فى الخصوصية بإعتباره حقا مستقلا، فقد رفض القضاء الإنجليزى الإعتراف للشخص بالحق فى الإعتراض على تصويره ونشر صورته طالما أنه لا يشكل أى إعتداء على حقه فى الملكية، وذهب القضاء فى إنجلترا إلى أن هذا السلوك وإن كان يتعارض مع قواعد السلوك والمعيشة فى المجتمع إلا أنه لا يمكن أن يكون محلا لمنازعة قضائية طالما أنه لا يشكل قذفا

(١) مصطفى أحمد عبد الجواد حجازى، المسئولية المدنية للصحفى عن إنتهاك حرمة الحياة الخاصة (القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤)ص ٣١.

أو سبا للشخص.

وبالتالى فإن المشرع لا يستطيع أن يتدخل لحماية الشخص ضد هذا السلوك رغم أن الأخلاق ترفض إتيانه ويأباه الذوق العام، ويمكن من ثم بحث هذا الفعل فى نطاق قواعد الأخلاق.

إلا أن عدم النظر إلى الحق فى الخصوصية كحق مستقل فى القانون الإنجليزى لا يعنى عدم توفير حد أدنى من الحماية عند المساس بالخصوصية، وإنما يحاول القضاء الإنجليزى الوصول إلى هذا القدر من الحماية بوسائل متعددة، فأحيانا يعتبر المساس بالخصوصية من قبيل القذف وأحيانا يعتبره من قبيل التعدى على ملك الغير، وتارة يعتبر من قبيل الإخلال بالثقة وكل ذلك يشكل أخطاء معترف بها فى القانون الإنجليزى.

وفى أمريكا[1] يلفت الفقه الأمريكى النظر إلى أهمية الحق فى الخصوصية وأهمية حمايته من أى إعتداء قد يهدده، وقد صدر مشروع قانون عن أفعال الخطأ عام ١٩٣٥، وجاء فيه الإعتراف بالحق فى الخصوصية وجواز إقامة الدعوى ضد الإعتداء على حرمة الحياة الخاصة، وعلى الرغم من أن هذا المشروع لم يصدر كقانون إلا أن تأثيره كان واضحا فى هذا الصدد، وقد قابلته أغلب المحاكم بإرتياح أدى إلى تأكيد إعترافها بحماية الحياة الخاصة.

وصدرت بعد ذلك عدة لوائح فى الولايات المتحدة الأمريكية لحماية مختلف صور الخصوصية، وقد تضمن التعديل الرابع لدستور الولايات المتحدة حماية حق الفرد فى الخصوصية ضد كل تدخل غير مبرر من قبل الحكومة، وفى سنة ١٩٦٨ أصدر الكونجرس الأمريكى قانونا خاصا بمكافحة الجريمة فى سيارات الركاب والشوارع، وقد تضمن النص على حماية الأحاديث الشخصية والمحادثات التليفونية من التسجيل أو التنصت الذى يتم بدون ترخيص ووضع عقوبات جنائية ومدنية على من يخالف ذلك.

(١) مصطفى أحمد عبد الجواد حجازى، مرجع سابق، ص٣٣.

المشرع الفرنسى تدخل من جانبه سنة ١٩٧٠ ليدعم صراحة الحق فى إحترام الحياة الخاصة ويسبغ عليها حماية أعم وأشمل، وذلك بموجب القانون الصادر فى ١٧ يوليو ١٩٧٠ الخاص بحماية الحياة الخاصة ، فقد نصت المادة ٢٢ من هذا القانون على أن لكل شخص حق فى إحترام حياته الخاصة ويستطيع القضاة دون المساس بحق المضرور فى التعويض، أن يأمروا بإتخاذ كل الإجراءات كالحراسة والحجز وأى إجراء آخر من شأنه منع أو وقف الإعتداء على ألفة الحياة الخاصة، وهذه الإجراءات يمكن الأمر بها من قاضى الأمور الوقتية فى حالة الإستعجال.

لقد اعتبر المشرع الفرنسى[١] الحق فى الحياة الخاصة كحق مستقل وبسط عليه حماية أوسع من تلك التى توفرها قواعد المسئولية المدنية حيث اعتبره من الحقوق الشخصية ، لكنه لم يفعل سوى تقنين ما انتهى إليه الفقه والقضاء من قبل.

الخصوصية فى القانون المصرى لها وضعية خاصة، فالشاهد أن القانون المدنى المصرى لم ينص صراحة على الحق فى الحياة الخاصة، واكتفى بنص المادة ٥٠ التى أشارت صراحة إلى حماية الحقوق الملازمة للشخصية، حيث لكل من وقع عليه إعتداء غير مشروع فى حق من الحقوق الملازمة لشخصيته أن يطلب وقف هذا الإعتداء مع التعويض عما يكون قد لحقه من ضرر[٢].

وفى المادة ٤٥ من الدستور المصرى الصادر سنة ١٩٧١ نجد أن للحياة الخاصة للمواطنين حرمة يحميها القانون وللمراسلات البريدية والبرقية والمحادثات التليفونية وغيرها من وسائل الإتصال حرمة ، وسريتها مكفولة ولا تجوز مصادرتها أو الإطلاع عليها أو رقابتها إلا بأمر قضائى مسبب ولمدة محددة وفقا لأحكام القانون.

وتضيف المادة ٥٧ من الدستور أن كل إعتداء على الحرية الشخصية أو حرمة الحياة

(١) مصطفى أحمد عبد الجواد حجازى، مرجع سابق، ص٣٩.

(٢) مصطفى أحمد عبد الجواد حجازى، مرجع سابق، ص٤٠.

الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التى يكفلهـا الدستور والقـانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم وتكفل الدولـة تعويضـا عادلا لمن وقع عليه الإعتداء.

وعندما صدر القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٧٢ أضاف مادتين جديدتين إلى نصوص قانون العقوبات هما المادة ٣٠٩ مكرر ونصها: يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنة كل من اعتدى على حرمة الحياة الخاصة للمواطن وذلك بأن ارتكب أحد الأفعال الآتية فى غير الأحوال المصرح بها قانونا أو بغير رضاء المجنى عليه:

- استرق السمع أو سجل أو نقل عن طريق جهاز من الأجهزة أيا كان نوعه محادثات فى مكان خاص أو عن طريق التليفون.

- التقط أو نقل بجهاز من الأجهزة أيا كان نوعه صورة شخص فى مكان خاص.

فإذا صدرت الأفعال المشار إليها فى الفقرتين السابقتين أثناء إجتماع على مسمع أو مرأى من الحاضرين فى ذلك الإجتماع فإن رضاء هؤلاء يكون مفترضا، ويعاقب بالحبس الموظف العام الذى يرتكب أحد الأفعال المبنية بهذه المادة اعتمادا على سلطة وظيفته ويحكم فى جميع الأحوال بمصادرة الأجهزة وغيرها مما يكون قد استخدم فى الجريمة، كما يحكم بمحو التسجيلات المتحصلة عنها أو إعدامها.

والمادة ٣٠٩ مكرر أ وتنص على أنه يعاقب بالحبس كل من أذاع أو سهل إذاعة أو استعمل ولو فى غير علانية تسجيلا أو مستندا متحصلا عليه بإحدى الطرق المبنية بالمادة السابقة، أو كان بغير رضاء صاحب الشأن.

ويعاقب بالسجن مدة لا تزيد عن خمس سنوات كل من هدد بإفشاء أمر من الأمور التى تم التحصل عليها بإحدى الطرق المشار إليها لحمل شخص على القيام بعمل أو الإمتناع عنه، ويعاقب بالسجن الموظف العام الذى يرتكب أحد الأفعال المبينة بهذه المادة إعتمادا على سلطة وظيفته، ويحكم فى جميع الأحوال بمصادرة الأجهزة وغيرها مما يكون

قد استخدم فى الجريمة أو تحصل عنها، كما يحكم بمحو التسجيلات المتحصلة عن الجريمة أو إعدامها.

فى نص المادتين جرم المشرع أفعال الإعتداء على حرمة الحياة الخاصة للمواطنين، ووضع عقوبات جنائية توقع على من يعتدى على حرمة الحياة الخاصة، وفى نفس الإطار تم تعديل المادة ٢٥٩ من قانون الإجراءات الجنائية حيث تقرر مبدأ عدم تقادم الدعوى المدنية الناشئة عن جريمة الإعتداء على حرمة الحياة الخاصة.

وفى القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٦ بشأن تنظيم الصحافة تم إستحداث جريمة الإعتداء على الحياة الخاصة بطريق النشر وذلك بنص المادة ٢١، حيث قضت بأنه لا يجوز للصحفى أو غيره أن يتعرض للحياة الخاصة للمواطنين، كما لا يجوز له أن يتناول مسلك المشتغل بالعمل العام أو الشخص ذى الصفة النيابية العامة أو المكلف بخدمة عامة، إلا إذا كان التناول وثيق الصلة بأعمالهم ومستهدفا المصلحة العامة، ويتعرض الصحفى الذى يخالف هذا النص إلى عقوبة الحبس مدة لا تزيد على سنة وبغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين.

ومن متناقضات إشكالية الحياة الخاصة لدى الشخصيات العامة أن الإجتهاد فى تقنين الإعتداء على الحياة الخاصة تم دون الإتفاق بشكل نهائى على تعريف واضح ومحدد للحياة الخاصة.

ويذهب مصطفى حجازى[1] إلى أن الفقه والقضاء عجزا عن وضع تعريف محدد للحياة الخاصة، وذلك بسبب نسبية الفكرة ومرونتها وإختلافها من مجتمع لآخر، ومن زمن إلى آخر، ومن شخص إلى آخر، وهى تتأثر بالقيم السائدة فى المجتمع ومستوى الأخلاق وطبيعة النظام السياسى السائد، ولهذا يترك تحديد ما يعتبر من الحياة الخاصة للقضاء فى كل حالة على حدة، مراعيا فى ذلك المناخ السائد فى المجتمع والقيم والتقاليد

(١) مصطفى أحمد عبد الجواد حجازى، مرجع سابق، ص ٧٠.

والأخلاق السائدة والمستوى الإجتماعى للشخص ودرجة شهرته.

لكن هذا لم يمنع المهتمين بالتشريعات الصحفية من أن يقدموا تعريفات محددة، ومنها على سبيل المثال[1] :

- الموظف العام هو كل شخص يباشر جزءا من إختصاص الدولة ويعمل فى مرفق تديره بصفة منتظمة أو دائمة.

- الأشخاص ذوى الصفة النيابية وهم أعضاء المجالس النيابية العامة أعضاء مجلسى الشعب أو الشورى أو المجالس المحلية كأعضاء مجالس المحافظات والمدن سواء المنتخبين أو المعينين.

- المكلف بخدمة عامة وهو كل شخص مكلف من قبل الدولة للقيام بعمل مؤقت يتصل بالصالح العام كالأمن والقضاء.

وفى ضوء هذه التعريفات التى تنضوى تحتها الشخصيات العامة، نجد أن المشرع نظم التعامل معها، وهو التنظيم الذى تستند إليه صحف الإثارة وهى تعالج ما يتعلق بالشخصيات العامة، وهنا تبرز حالات إباحة القذف والنقد المباح والطعن فى أعمال الموظف العام أو من فى حكمه ويتضح ذلك فى التالى[2]:

أسباب إباحة القذف:

- حق نشر الأخبار بحيث تكون أخبارا لا يجرم القانون نشرها، إذا أن حرية الصحافة مبدأ أساسى مع الإلتزام بمراعاة الحقيقة والتأكد من صدق الأخبار ومصدرها- أى تكون الأخبار صحيحة كاملة- والفائدة الإجتماعية لنشر هذه الأخبار بالنسبة للجمهور على أن يستهدف النشر تحقيق المصلحة العامة لا التشهير أو الإنتقام.

(١) ليلى عبد المجيد، تشريعات الإعلام فى مصر (القاهرة، ٢٠٠٢)ص ٢٤١.
(٢) ليلى عبد المجيد، مرجع سابق، ص٢٤٤.

- حق النقد.

- الطعن فى أعمال الموظف العام أو من فى حكمه.

- حق التبليغ عن الجرائم والمخالفات الإدارية.

- حق الدفاع أمام المحاكم مثل إسناد الواقعة الشائنة من خصم إلى خصم آخر فى الدعوى أثناء الدفاع الشفوى أو الكتابى أمام المحاكم.

- واجب أداء الشهادة فقد تتعلق الوقائع التى يسندها الشاهد إلى الغير بموضوع الدعوى بشرط حسن نية الشاهد أى إعتقاده بصحة أقواله.

النقد المباح:

ويعنى به حكم أو تعليق أو تقييم واقعة ثابتة أو إبداء الرأى فى أمر أو عمل أدبى أو فنى أو فلسفى أو سياسى أو بحث علمى أو تاريخ أو غير ذلك دون المساس بشخص صاحب الأمر أو العمل بغية التشهير به أو الحط من كرامته، فإذا تجاوز النقد هذا الحد وجب العقاب عليه وإعتبار صاحبه مرتكبا لجريمة سب أو إهانة أو قذف حسب الأحوال.

ومن النقد المباح أن يمس النقد بعض مظاهر الحياة الخاصة للفرد إذا كانت تتصل إتصالا وثيقا بالمصلحة العامة ويتطلب النقد المباح: أن يرد النقد على واقعة ثابتة وصحيحة مطابقة للواقع، أن تكون هناك أهمية إجتماعية للواقعة بمعنى إرتباطها بالمصلحة العامة، وإن كان لا يجوز تحت دعوى النقد التعرض للحياة الخاصة إلا إذا ارتبط ذلك بشئون الحياة العامة، وأن يكون الرأى أو التعليق فى حدود الواقعة محل النقد وعدم التعرض فى النقد للأشخاص أو إهانتهم والتشهير بهم، ولابد من توفر حسن النية من خلال استهداف خدمة المصلحة العامة واعتقاد الناقد بصحة الرأى أو التعليق الذى يبديه بناء على الواقعة الثابتة محل النقد وتقدير ذلك يترك لمحكمة الموضوع.

الطعن في أعمال الموظف العام:

أباح المشرع للمواطنين فى إطار الرقابة الشعبية على أعمال الموظف العام كشف العيوب والأخطاء والإنحرافات التى قد يرتكبها الموظف العام بسبب مزاولة أعماله ولو كانت تمس شرفه أو إعتباره.

وعلى هذا نصت المادة ٣٠٢ مكرر من قانون العقوبات على أن الطعن فى أعمال موظف عام أو شخص عام أو شخص ذى صفة نيابية عامة أو مكلف بخدمة عامة لا يدخل تحت حكم القذف، إذا تم النشر بسلامة نية وكان لا يتعدى أعمال الوظيفة أو النيابة أو الخدمة العامة، ويشرط أن يثبت مرتكب جريمة القذف حقيقة كل فعل أسنده إليه بكل الطرق القانونية مثل شهادة الشهود والقرائن، ولا يغنى عن ذلك اعتقاده صحة هذا الفعل ولا يقبل من القاذف إقامة الدليل لإثبات ما قذف به فى هذه الحالة.

وتتمتع حياة الموظف العام الخاصة بما كفله الدستور للمواطن العادى من إحترام الخصوصية إلا إذا اتصلت حياته الخاصة بوظيفته وواجباته نحو المجتمع.

الإعتداء على حرمة الحياة الخاصة:

تنص العديد من تشريعات الإعلام على ضرورة حماية مبدأ مهم وهو الحق فى الخصوصية ويعنى هذا أن لكل منا حياته الخاصة التى يحرص على أن تظل بعيدة عن العلانية والتشهير، فحياة الناس الخاصة بأسرار عائلاتهم ومشاكلهم الشخصية كلها أمور لا تهم الرأى العام ولا تعنى المصلحة العامة بل أن الخوض فيها يمس حقا مقدسا من حقوق الإنسان وهو حريته الشخصية فى التصرف والقول والعمل بلا رقيب إلا القانون والضمير ويترتب على مخالفة هذا المبدأ فى بعض الأحيان الوقوع فى بعض الجرائم، وإذا كان ما نشر عن الحياة الشخصية صحيحا وليس ما يخدش الإعتبار، فإن نشره وإن كان مباح قانونا إلا أن آداب الصحافة التى تنظمها مواثيق أخلاقيات المهنة قد تقتضى عدم نشره طالما أن فيه ما يمس الحياة الخاصة للمواطنين.

إلا أن هذا الحق فى الخصوصية قد يتوقف فى حالة ما إذا تعارض مع ما تقتضيه حماية مصالح المجتمع، فالنشر أو عدمه يجب أن يكون مبنيا على موازنة أمينة بين المصالح التى يحققها النشر والمصالح التى قد يضر بها.

هذا التنظيم القانونى الواضح لوضعية الحياة الخاصة يوضع بين قوسين من وجهة نظر القانونيين، فبالنسبة لهم[1] لا تجب المبالغة فى إظهار حرية الصحافة كما لو كانت مطلقة، فكما هو مسلم به ترد عليها قيود وضوابط تحد من إستعمالها حتى لا تصيب الغير بضرر وتصبح وبالا على المجتمع وأداة للبغى على نظام وأمن البلاد أو العدوان على حقوق وحريات العباد، والدستور نفسه حين قرر حرية الصحافة جعلها حرية مسئولة واعتبرها مقيدة تمارس فى حدود القانون.

فإذا تعلق الأمر بالحياة الخاصة للأفراد فلا يمكن التسليم بقيام الصحفى بإنتهاك حرمة الحياة الخاصة للأفراد إستنادا إلى الحق فى الإعلام لأن للحياة الخاصة حرمة لا تمس لمجرد الحق فى الإعلام، إذ أن تلك الحياة محمية دستوريا وقانونيا، ولا يعنى ذلك الإنتقاص من أحد هذين الحقين لحساب الآخر على أساس أن أحدهما أهم من الآخر، وإنما يعنى إقامة نوع من التوازن أو التوفيق بينهما، وتحديد مجال كل منهما بدقة، ومن ثم فإن حرية الإعلام وبصورة عامة حرية النشر والصحافة تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين.

ذلك لأن الحماية التى كفلها الدستور لحرية التعبير تنحسر عنها إذا فقدت هذه الحرية قيمتها الإجتماعية أو اقترنت ممارستها بمخاطر تهدد حريات الآخرين، فحرية التعبير يجب أن تمارس ضمن الحدود المرسومة لها دون إفراط أو تفريط ودون أن تشكل تهديدا لخصوصيات الأفراد وأسرارهم.

ومن المفارقات أن مبدأ الحق فى الخصوصية ظهر فى أواخر القرن التاسع عشر نتيجة ممارسات الصحافة الصفراء[2] حيث عمدت الصحف الغربية إلى اقتحام حياة المشاهير

---

(١) مصطفى أحمد عبد الجواد حجازى، مرجع سابق، ص ص ١٤-١٦.

(٢) حسن عماد مكاوى، مرجع سابق، ص٢٦٧.

والأغنياء والعمل على إبتزازهم عن طريق نشر أسرار حياتهم وفضائحهم الأخلاقية.

والمشكلة التى تمثل تحديا للصحف هى:

إلى أى حد يمكن أن تبحث الصحف عن المعلومات بدون أن تتعدى على حقوق الآخرين، وخاصة حق الأفراد فى الحفاظ على أسرار حياتهم الخاصة؟فهناك حدود قانونية يجب ألا يتجاوزها الصحفى أثناء بحثه عن المعلومات ويؤدى هذا التجاوز إلى إجراءات ضد وسائل الإعلام نتيجة غزو الخصوصية ويتم توجيه القذف أو السب طبقا لنوع المعلومات المنشورة.

وتكمن المشكلة الأساسية فى وجود إختلاف بين الصحف والأفراد فى تحديد المقصود بدقة من الحياة الخاصة، فعلى سبيل المثال يعتقد معظم الناس أن نشر صور الضحايا فى حادث ما يعد من قبيل غزو الخصوصية ، وكذلك تقديم قصة إخبارية عن واقعة انتحار أحد الأشخاص أو نشر عناوين الأشخاص الذين تعرضوا لحادث سطو، وفى الوقت الذى تفعل فيه الصحف ذلك دون أن تعتبره عدوانا على الحياة الخاصة لهؤلاء الناس أو تجاوزا للقانون، فإن هناك دراسات تشير إلى أن أحد عوامل إنخفاض مصداقية الصحف لدى عامة الناس يعود إلى إدراكهم أن الصحفيين يعتدون على الحياة الخاصة للأفراد[1].

ويمكن للباحث أن يستعرض نماذج عديدة للإعتداء على الحياة الخاصة يخضعها بعد ذلك للتقييم وهى نماذج تتنوع بين الصحف المصرية والصحف الغربية[2]:

- فى عام ١٩٧١ اقتحم أحد مندوبى مجلة لايف منزل أحد الأطباء مدعيا أنه مريض، ثم استولى بطريقة سرية على بعض الصور والتسجيلات الخاصة بالطبيب ونشرها فى مجلته.

- تم تكليف أحد المندوبين بجريدة dayton journal herald خلال الخمسينات،

(١) حسن عماد مكاوى، مصدر سابق، ص٢٦٩ .

(٢) حسن عماد مكاوى، مصدر سابق، ص ص ٢٧٥-٢٨٢.

وكان غريبا على المدينة بمحاولة إيجـ ـــ في مستشفى الأمراض العقلية بالمدنية، وكان الهدف تقديم تحقيقات عن سوء معامده المرضى، استطاع المندوب الإلتحاق بوظيفة فى المستشفى لمدة ثلاثين يوما قدم خلالها سلسلة من التحقيقات الصحفية عن فساد ذلك المستشفى وأدت هذه التحقيقات إلى تغيير إدارة المستشفى.

- فى أواخر سبعينيات القرن العشرين تم تكليف اثنين من مندوبى جريدة Chicago sun times شراء حانة وتشغيلها وكان الهدف هو محاولة التحرى عما يقوم به مفتش البناء بالمدينة من إبتزاز لأصحاب الأعمال الصغيرة وصغار المقاولين، وقد تأكد الصحفيان من هذه الإنحرافات واستخدما كاميرات وميكروفونات مخبأة لتسجيل هذا الإبتزاز، واستمر تقديم هذه التحقيقات لمدة أربعة أسابيع.

- فى شهر مايو ١٩٨٧ نشرت جريدة Miami herald قصة جارى هارت مرشح الرئاسة الأمريكية عن الحزب الديمقراطى فى إنتخابات عام ١٩٨٧، وكان هذا المرشح قد وضع نفسه فى مأزق نتيجة علاقة غير شرعية مع سيدة عمرها ٢٩ سنة مع أن عمره ٥٠ سنة، وتناقلت الشائعات أنه فاسق وزير نساء، والمشكلة أنه كان أحد رموز المجتمع الأمريكى، ونشرت الصحف كذلك صورة الممثلة الحسناء وهى ترتدى ملابس البحر المايوه البكينى، ونشرت جريدة الواشنطن بوست أن هارت كانت له علاقة طويلة مع إمرأة أخرى، وقد اتهم هارت هذه الصحف بالتشهير وعدم توخى الحقيقة وعدم نشر وجهة نظره وقد أسفرت الحملة الصحفية عن إنسحاب هارت من الإنتخابات.

- فى ٢٨ فبراير ١٩٧٦ نشرت جريدة dallas times herald تقريرا ظلت تجمع فى معلوماته لمدة ثلاثة أشهر، وكشفت فيه عن تورط مهندس بترول سابق يدعى نورمان ريس فى العمل جاسوسا للإتحاد السوفيتى منذ الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٧٥، ومنذ عام ١٩٧١ كان ريس عميلا مزدوجا لمكتب التحقيقات الفيدرالى، وفى مقابلة صحفية مع الجريدة اعترف ريس أنه حصل على أموال من الإتحاد السوفيتى نظير تقديمه

لمعلومات فنية، وعندما علم أن الجريدة تنوى نشر التحقيق هدد بالإنتحار، وفى صباح يوم النشر انتحر ريس بالفعل، وقد علقت الجريدة على ذلك الحادث بأن التهديد بالإنتحار لا ينبغى أن يحول دون تقديم قصة إخبارية تهم عامة الناس.

- فى عام ١٩٨٦ قام المصور الصحفى جون هارت الذى يعمل بجريدة Bakersfield Californian بتصوير جثة طفل عمره ٥ سنوات أثناء إلتقاطه غريقا فى إحدى البحيرات، وقام المصور بالتقاط صور لوالدى الطفل وأخيه الأكبر فى لحظة فتح الحقيبة التى تضم جثمان الطفل للكشف عن وجهه، وفى هذه اللحظة انحنى الأب فوق الجسد ثم ضغط بقبضته ليغلق عينى الضحية وهو يبكى بشدة، وقد وقف الأخ الأكبر يصرخ على ذراع أمه، وقد استخدمت الجريدة هذه الصورة فى اليوم التالى للحادثة، كما قدمتها إلى وكالة أسوشيتدبرس التى وزعتها على المستوى القومى، وخلال اليومين التاليين تلقت الجريدة أكثر من خمسمائة مكالمة هاتفية من القراء يحتجون فيها على هذه الصورة، ويعتبرونها غزوا لخصوصية الأسرة.

ويعلق رئيس تحرير الجريدة على ذلك قائلا: إننا كجريدة فكرنا أننا نفعل الصواب حسب مقتضيات المهنة، ولكن معظم القراء اعتقدوا أننا على خطأ وأبلغونا أن نشر هذه الصورة يعتبر عدوانا على ذكرى الطفل ولذلك اضطررنا إلى الإعتذار للقراء.

لكن المصور كانت له وجهة نظر آخرى حيث قال: إنه فخور بهذه الصورة وأنها تمثل قوة لتذكرة الآخرين بضرورة الحذر من المياه أثناء السباحة، ورغم إعتذار رئيس تحرير الجريدة للقراء عن نشر هذه الصورة، إلا أنه عاد ليقول: من حق المصور أن يفخر بهذه الصورة وأنه يوافقه على أنها كانت لقطة قوية ودراماتيكية، وأنه كان ينوى ترشيحها للحصول على جائزة بوليتزر.

على مستوى الصحافة المصرية وقعت العديد من الأحداث التى تبلور فيها إقتحام الصحف للحياة الخاصة للمشاهير ولحياة الأفراد العاديين ومنها:

- فى ١٧ من يناير ١٩٨٥ وقعت القضية المعروفة بقضية فتاة المعادى ، وقد حظيت هذه القضية بشهرة كبيرة، ليس بسبب شهرة صاحبتها، وإنما لعدد الجناة والطريقة التى حدثت بها، وملابسات القضية حتى أن عدد صفحات حيثيات الحكم فيها بلغت ٣٥ صفحة فولسكاب، ولم تنته الإثارة عند هذا الحد بل وصلت إلى منصة القضاء والحكم فيها بالإعدام.

كانت الضحية تجلس مع خطيبها فى أحد شوارع المعادى داخل سيارته، وإذا بستة شبان يقتحمون عليهما السيارة ويجردونهما من نقودهما، ولم تشفع توسلات الضحية وخطيبها عندما أصر الجناة على أخذهما معا، وفى أحد الأماكن المهجورة تمت أبشع عملية إغتصاب هزت المجتمع المصرى.

فى الجلسة الأولى للمحاكمة حضر أكثر من ألف مواطن، وفى جلسة النطق بالحكم فى ٢٦ مارس ١٩٨٨ تم الحكم بإعدام اثنين من الجناة وبالأشغال الشاقة المؤبدة لثلاثة جناة، أما الأخير فحكم عليه بخمس سنوات ولم يشفع لهم مفاجأة الطب الشرعى الذى أكد أن الفتاة رغم الإعتداء عليها إلا إنها لاتزال عذراء.

فى هذه القضية تتبعت الصحافة المصرية على إختلاف ألوانها تفاصيل الواقعة صغيرها وكبيرها، دخلت إلى حياة أسرة الفتاة وأسرة خطيبها، ونشرت أسماء الضحايا والجناة بالتفصيل، بل فتشت فى علاقة الفتاة بخطيبها وسيرتها الأولى وهو ما أعطى للقراء فرصة التفسير والتأويل لما جرى.

- فى مارس ١٩٩٢ حدثت واقعة مشابهة تماما، ففى شهر رمضان وبميدان العتبة حيث الزحام الرهيب الذى لا يطيقه أحد تم هتك عرض فتاة أثناء صعودها الأتوبيس، عرف هذا الحادث بقضية فتاة العتبة، واتهم فيها اثنان من الرجال وظلت القضية تشغل الرأى العام لمدة عام كامل، وفى النهاية أعلن القاضى براءة المتهمين لتضارب أقوال الفتاة.

وكما فعلت الصحف فى القضية الأولى فعلت فى القضية الثانية حيث نشرت اسم الفتاة

بالكامل وعنوان سكنها ومكان عملها ونشرت صورتها، والأمر نفسه فعلته مع المتهمين حيث نشرت صورهم وقصة حياتهم وسبقت القضاء وأصدرت الحكم ضدهم.

- ومن نماذج اقتحام الصحافة للحياة الخاصة والتى رصدتها تقارير المجلس الأعلى للصحافة فى وقت مبكر، ما جاء[1] عن صحف مايو ويونيو ويوليو ١٩٨٦ حيث أورد التقرير موضوع نشرته إحدى الصحف اليومية[2] يتضمن سردا لوقائع قضية بين زوجين تتعلق بموضوع النفقة والنشوز، ونشرت الجريدة نفسها خبرا عن قرار لمحكمة الإستئناف بطلاق إحدى الزوجات من زوجها المهندس لأنه يسيئ معاملتها، مما يستحيل معه دوام العشرة ولكنها لم تستطع إثبات الضرر لأنها لا تطلع أحدا على خصوصيات حياتها.

وكذلك ما نشرته إحدى الصحف اليومية تحت عنوان: سماح المشتركة فى قتل أبيها وأخيها حضرت للمحكمة بطلاء الأظافر ووقفت دون إكتراث، ونشرت الجريدة اسم المتهمة وصورتها وهى من الأحداث وجاء فى الخبر : لفت نظر الجميع أن صباح متبلدة المشاعر وقد وقفت تنظر دون إكتراث فى الوقت الذى اهتز فيه الحاضرون بالمحكمة عندما كان وكيل النيابة يسرد وقائع إرتكاب الأم وعشيقها للجريمة.

- فى تقارير تالية حرص القائمون على إعداد التقرير الإشارة لإسم الصحيفة المتجاوزة، فقد أشار أحد تقارير ١٩٨٨[3]، إلى نشر قضايا متصلة بأمور شخصية مثل ما جاء فى جريدة المساء فى ١٠ أغسطس عن متابعة لحادث الأستاذ الجامعى وطالبة الإعدادى وفيه إتهام إحدى الفتيات لأحد الأساتذة بمحاولة الإعتداء عليها ونشرت

---

(١) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الممارسة الصحفية عن الفترة من مايو إلى يوليو ١٩٨٦، ص٨-٩.

(٢) يلاحظ أن تقارير المجلس فى هذه الفترة لم تكن تدكر اسم الصحيفة التى ترتكب تجاوزات معينة، بل كانت تكتفى برصد التجاوزات فقط.

(٣) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الممارسة الصحفية عن الفترة من أغسطس وحتى اكتوبر ١٩٨٨، ص ١٧.

الجريدة اسم الطالبة وصورتها، وما جاء فى نفس الجريدة فى ١٢ أكتوبر عن عائشة والأزواج الثلاثة وهو خبر عن إتهام إحدى السيدات بتعدد الأزواج ونشرت الجريدة اسم المتهمة.

تظل هذه فى النهاية تجاوزات صغيرة يقع فيها الصحفيون المصريون عن غير قصد أو عن سوء تقدير لعواقب الأمور، إن هناك قاعدة يعتنقها منتجو صحافة الإثارة وهى أن: « **المجرم لابد أن يجرس**»، فقد ارتكب جريمته ولابد أن يدفع ثمنها حتى النهاية، وإذا تجاوبنا مع هذا المنطق، ففى حالة الإعتداء على فتاة لماذا تنشر الصحف صورة الفتاة ولا تنشر صورة الجانى ، إنه الأولى بالتجريس وليست هى، لكن فى الغالب تنشر الصحف ما تستطيع الوصول إليه من صور وبعد ذلك تجعل من نشرها نظرية.

لكن هناك نماذج ضخمة لدخول الصحف فى الحياة الشخصية وإقتحامها، فى مايو ٢٠٠٢ نشرت جريدة الميدان صورة للرئيس السادات عاريا فى المشرحة بعد إغتياله وبدت عليه آثار الطلقات النارية والدماء، ولم يكن نشر الصورة فى سياق موضوع صحفى يخص السادات لكنه جاء ضمن تحقيق حول الطب الشرعى.

كان نشر الصورة فى حد ذاته حدثا ضخما، على أعقابه قدم مصطفى كمال حلمى رئيس المجلس الأعلى للصحافة بلاغا لكل من النائب العام ونقيب الصحفيين لإتخاذ الإجراءات القانونية ضد المسئولين عن الصحيفة معتبرا ما نشر ينطوى على مخالفة صارخة لقيم الصحافة ورسالتها كما حددها الدستور وانتهاك لحرمة الحياة الخاصة للمواطنين وخروج عن ميثاق الشرف الصحفى.

ويرصد نجاد البرعى[1] تفاصيل ما جرى فى هذه القضية، فعقب النشر قام مالك الجريدة محمود الشناوى بإقالة رئيس التحرير سعيد عبد الخالق، وذكرت صحيفة الأهالى

(١) نجاد البرعى، المقصلة والتنور...حرية التعبير فى مصر ٢٠٠٢-٢٠٠٣المشكلات والحلول(القاهرة، المجموعة المتحدة، ٢٠٠٤)ص ص ٣٧١-٣٧٣.

أن سعيد عبد الخالق شعر بالصدمة على الرغم من أن أكثر من صحفى بالصحيفة حذره من نشر الصورة ما لم يكن هناك إذن من السلطة المسئولة بنشرها، كما قام شقيق الرئيس السادات بتحريك دعوى قضائية ضد الصحيفة وأجهزة الأمن المصرية بحكم أن الملف بحوزتها.

أثار نشر الصورة تعليقات عدة، فى صحيفة الأهرام وصف سلامة أحمد سلامة فى عموده من قريب[1] نشر الصورة بهذه الطريقة بأنه يدخل فى نطاق الجليطة الصحفية لكنه لا ينطوى على جريمة يعاقب عليها القانون، وانتقد سلامة موقف صاحب الجريدة الذى قام بفصل رئيس التحرير.

وفى نفس الإطار كتب فاروق جويدة[2] تحت عنوان : صاحبة الجلالة فى قفص الإتهام، يصف الواقعة فى حد ذاتها بأنها مفزعة ليس لأن الصورة صورة رئيس الدولة السابق أو صورة زعيم سياسى كان له دوره فى تاريخ مصر اتفقنا أم اختلفنا لكن الصورة قبل هذا كله صورة مواطن مصرى رحل، وللموت حرمة وللجسد حرمة ولذكرى الإنسان حرمة، فكيف استبحنا كل هذه الحرمات فى وقت واحد.

قبل شهور من النشر كان محرر هذا الموضوع وليد الدرمللى قد أحضر للباحث هذا التحقيق بنصه وبنفس الصورة للرئيس السادات، بالإضافة إلى مجموعة من الصور الأخرى لقتلى بطرق مختلفة حقق فيها أطباء الطب الشرعى، وكان الباحث وقتها مسئولا عن التحقيقات فى جريدة صوت الأمة.

وعندما عرض الباحث الصور والموضوع على رئيس التحرير، رفض نشر الصورة بشكل مطلق وكانت حجته فى ذلك أن الصورة قبيحة ولا يجب أن نؤذى مشاعر القراء بها، لكن شئيا من هذا لم يلتفت إليه سعيد عبد الخالق رئيس تحرير الميدان، بل نظر إلى

(١) سلامة أحمد سلامة، الأهرام، عدد ٣٠ مايو ٢٠٠٢.

(٢) فاروق جويدة، الأهرام، عدد ١٢ يوليو، ٢٠٠٢.

عناصر الإثارة فى الموضوع، فالصورة جديدة لم تنشر من قبل كما أنها لرئيس جمهورية أثار جدلا خلال فترة حياته ولا يزال يفعل ذلك رغم وفاته.

لقد حصل المحرر على الصورة فى إطار معين وهو تحقيق عن الدور الذى يقوم به أطباء الطب الشرعى، لكن تم نزع الصورة من سياقها، وتم تصديرها للقراء على أنها موضوع مستقل، وهذا نمط تراد فيه الإثارة الصحفية لذاتها، وليس لتحقيق أية أهداف أخرى يكون من شأنها أن تدعم دور الصحافة فى خدمة قضايا القراء والمجتمع.

ومن الأمثلة الدالة على تعامل الصحافة مع الحياة الخاصة للمشاهير ما نشرته جريدة الفجر[1] ففى العدد ١٢٥ وبعد أن نشرت الجريدة خبرا موجزا عن خبر زواج أحمد عز وشاهيناز النجار[2] تعرضت للقضية بمزيد من التفصيل حيث نشرت تقريرا عنوانه: زواج أحمد عز وشاهيناز النجار سياسياً.. بااااطل، وحرصت الجريدة على وضع محتوى التقرير فى عناوين بارزة لتسهيل مطالعته على القارئ وهى:

- القضية تسيطر علي كواليس مؤتمر الحزب الوطنى وتتجاوز القضايا المهمة المعروضة علي ٦٥٠٠ عضو.

- أحمد عز تعمد إخفاء الخبر وتجاهل أهم شروط الزواج وهو الإشهار رغم أنه مدرب علي تعدد الزواج ويتمتع بخبرات هائلة في تنوعه.

- أمين التنظيم يشترط علي زوجته الأخيرة أن تستقيل من مجلس الشعب وإلا حرمها من مؤخر الصداق.. في حزب يدعو لنزول المرأة إلى العمل السياسى.

---

(١) جريدة الفجر، أعداد ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩ الصادرة فى الفترة من ١٢ نوفمبر ٢٠٠٧ إلى ٣٠ يونيو ٢٠٠٨.

(٢) أحمد عز وشاهيناز النجار من الشخصيات الشهيرة لموقعها السياسى ، فالأول رئيس لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب، وأمين التنظيم بالحزب الوطنى ورجل أعمال، والثانية كانت عضو مجلس شعب وسيدة أعمال.

- عز نسى وهو يشترط على شاهيناز الاستقالة من مجلس الشعب أنها شخصية طموحة ومقاتلة وعنيدة ولا توافق علي عودة المرأة إلى زمن الحرملك.

- صديقات شاهيناز التقين بها عند الكوافير الأسبوع الماضى ولاحظن أنها لاتضع فى إصبعها دبلة.

- عز يغير ديكورات الشقة التى يملكها بفندق الفورسيزونز لتكون عش الزوجية.. ومهندس ديكور أجنبى يتولى المهمة ولايتقيد بميزانية.

- سافرت شاهيناز لأداء عمرة رمضان علي طائرة عز الخاصة.

- تبادلا رسائل الحب على الموبايل فى رمضان فى سحور فاطمة الفاسى.

- بعد وفاة والد شاهيناز اختلفت مع شقيقها وقسما التركة.. احتفظت هى بفندق «النبيلة» وسفينتين ومجوهرات أمها ونصيبها من أموال البنوك في الداخل والخارج.

وفى العدد ١٢٦ طرحت الجريدة بعدا جديدا فى القضية حيث تساءلت: هل يخجل أحمد عز من إعلان زواجه بشاهيناز النجار؟

وجاء فى التقرير:

السؤال الأكثر أهمية هو: لماذا يخفى أحمد عز خبر زواجه؟ هل يخجل من إعلان الخبر؟هل يفتش عن طريقة تناسبه للإعلان غير أن تسب الصحف المعبرة عنه كل من يقترب من هذا الموضوع بوقاحة لا تؤثر في تقييم الأمور؟إن أحمد عز شخصية سياسية وحزبية، لو كان رجل أعمال فقط ما اقترب أحد من حياته، فهو حر فيها، لكنه أمين التنظيم في الحزب الوطنى، وأكثر نواب الحزب تأثيرا في مجلس الشعب، والمتحكم في أبحاث الحزب ودراساته واستقصاءاته ومؤشراته، والمعبر عن تياره الجديد المتطور، وكل ما يفعله في حياته الخاصة ينعكس علي الحياة العامة.

لقد جاء فى المادة التاسعة من الدستور: أن«الأسرة أساس المجتمع»و«تحرص الدولة على الطابع الأصيل للأسرة المصرية وما يتمثل فيه من قيم وتقاليد مع تأكيد هذا الطابع

وتنميته في العلاقات داخل المجتمع»، ولا نتصور أن تكون الأسرة التى هى أساس المجتمع متماشية مع تصور أحمد عز لها، رجل وأربع زوجات وعدد من الصغار من أكثر من أم، هذه هى صورة شهريار وليست صورة رجل الدولة والحزب والبرلمان.

بعد ذلك نقلت الجريدة القضية من صفحات السياسة إلى صفحات المجتمع ، ففى العدد ١٢٨ نشرت الجريدة خبرا تحت عنوان «أول ظهور لشاهيناز النجار وأحمد عز فى محل كباب وكفتة».

يقول الخبر: يصر أحمد عز على عدم إعلان زواجه رسميا من شاهيناز النجار رغم أنها نفذت كل ما أراد واستقالت من مجلس الشعب، لكنه فى الوقت نفسه بدأ فى إقناع الناس بزواجه بالظهور مع آخر زوجاته فى أماكن عامة، آخرها فندق فورسيزون جاردن سيتى وهو ملتقى شخصيات سياسية وحزبية وإجتماعية وبرلمانية معروفة، ويبدو أن بعض هذه الشخصيات مثل رشيد محمد رشيد وأحمد المغربى وزهير جرانة وأنس الفقى قرروا بسبب صعوبة شعورهم بالخصوصية فى الفورسيزون أن ينتقلوا إلى فندق سوفتيل الجديد الذى كان من قبل شيراتون الجزيرة، ورغم أن الناس تشكو من جنون الأسعار فيه فإنهم يتزاحمون عليه، إن الفرد يتكلف ٤٠٠ جنيه فى غداء كفته وكباب فى مطعم الكبابجى، ولا يقل الحد الأدنى فى بودا بار عن ١٥٠٠ جنيه دون عشاء.

ويوم الجمعة الماضى كان رجل الأعمال إبراهيم كامل قد دعا رجل الأعمال وشريكه فى فورسيزون الجيزة حمزة الخولى إلى تناول الغداء فى الكبابجى وانضم اليهما الدكتور مصطفى الفقى وهو زميل دراسة وتختة واحدة لحمزة الخولى والدكتور ممدوح البلتاجى والدكتور أسامة سليمان، وأغلب الظن أنهم فتحوا سيرة زواج أحمد عز وشاهينازالنجار، وقبل أن يتورط أحد منهم فى تعليق ما، قال إبراهيم كامل إنهما سيأتيان حالا، ولم تمر عدة دقائق حتى دخل العروسان فى أول ظهور لهما بعد إستقالة شاهيناز من مجلس الشعب.

بعد حوالى ٦ شهور وفى العدد ١٥٥ عادت الصحيفة مرة أخرى لفتح قضية زواج

أحمد عز من شاهيناز ولكن هذه المرة من باب الطلاق، فعلى الصفحة الأولى نشرت تقريرا بعنوان: محامو إمبراطور الحديد وزوجته الأخيرة يتفاوضون على تفاصيل الطلاق، وخلص التقرير إلى أنه فى سرية تامة يتفاوض محامو أحمد عز وشاهيناز النجار على الطلاق بعد زواج دام أقل من سنة، فقد عقد القران فى سبتمبر الماضى، مفاوضات الطلاق الصامتة سببها مؤخر الصداق الكبير الذى كتبه أحمد عز على نفسه متصورا أن شاهيناز النجار ستكون آخر زوجاته، وأن علاقته الشرعية بها ستطول إلى شوط بعيد، شاهيناز النجار تقيم عند إحدى صديقاتها الآن ويقوم محاموها بإبلاغها بنتيجة المفاوضات مع محامى أحمد عز أولا بأول، وكانت قد جلست مع محاميها وجها لوجه يوم الآثنين الماضى وحددت معهم طلباتها.

وقد حرصت الجريدة فى تقريرها أن تذكر أن شاهيناز النجار تعتقد أن زواجها وطلاقها مسألة خاصة لا تهم أحدا سواها، وقد سألتها الجريدة أثناء حملتها الإنتخابية: هل تزوجت خمس مرات فقالت إنها لن تصحح الرقم فالزواج زواج ولو كان خمسين مرة، ثم أضافت قائلة: الناس مالهم ومال حياتى الشخصية.

فى العدد التالى مباشرة وعلى صدر الصفحة الأولى نشرت الجريدة عنوانا يقول: طلاق أحمد عز وشاهيناز النجار بالتلاتة إلى جوار صورتين لهما، وفى صفحة المجتمع قالت الجريدة: يبدو أن هذا الأسبوع سيكون أسبوع طلاق وزواج المشاهير ورجال السياسة فى مصر، البداية كانت بطلاق أحمد عز وشاهيناز النجار الذى بات مؤكدا على ما يبدو بعد انتهائهما من تصفية المتعلقات المالية المرتبطة بعقد زواجهما، فطوال الأشهر الماضية كانت قصة الزواج التى انطلقت من قاعات الضجيج السياسى فى مجلس الشعب هى وجبة النميمة الشهية على جميع الموائد السياسية والإجتماعية مؤخرا، ويبدو أن النميمة لن تتوقف قريبا خاصة مع استمرار أحمد عز فى أداء عدة أدوار بطولة فى نفس الوقت من مجلس الشعب إلى أسواق الحديد التى يقود أزمتها وانتهاء بقصص زواجه، فكل الذين

يعرفون أحمد عز جيدا يصرون على أنه سيسارع بالزواج من جديد، بعد انتهاء قصة شاهيناز النجار وفى هذه المرة يرشحون له مطربة شهيرة لن يقترن بها رسميا إلا بعد أن تعتزل الفن مثلما اعتزلت شاهيناز النجار الحياة السياسية من أجل عيون أحمد عز لينجح بذلك فى أن يضيف لألقابه المتعددة لقب«مسئول عزل النساء من مناصبهن» .

بعد نشر هذا الخبر لم يصدر تكذيب رسمى من عز لما نشر، لكن وعلى الصفحة الأخيرة من جريدة المصرى اليوم[1] نشر خبر عن حضور أحمد عز وشاهيناز النجار إحدى المناسبات الإجتماعية فى رسالة لتأكيد أنهما لا يزالان زوجين، ولم تجد جريدة الفجر أمامها إلا أن تعيد نشر الصورة مرة ثانية فى صفحة المجتمع بالعدد ١٥٩ الصادر فى ٣٠ يونيو ٢٠٠٨ وإلى جوار الصورة توضيح يقول:

تبدو مصادر أخبار زواج وطلاق المشاهير مصادر سرية لأنها غالبا ما تكون قريبة منهم، وقد صدق مصدرنا عندما أخبرنا بخبر زواج شاهيناز النجار وأحمد عز واطلعنا على كل التفاصيل بما فى ذلك نبوؤة أنها ستترك مجلس الشعب وتقدم استقالتها، المصدر نفسه أخبرنا بخبر مفاوضات الطلاق التى يجريها محامو الطرفين، ثم أخبرنا بأن الحادث الجلل قد تم ولأنه أفلح فى المرة الأولى فلم نجد ما يمنع من أن نصدقه فى المرة الثانية ونشرنا الخبر.

لكن فؤجئنا بالمهندس أحمد عز وشاهيناز النجار وعلى غير عادتهما يدخلان قاعة فرح ابن عضو فى مجلس الشعب فى فندق ماريوت ميراج وسمح بالتقاط الصور، وسرب الصورة لجريدة المصرى اليوم فى إشارة منه إلى أنهما لا يزالان على قيد الزواج، وتضيف الجريدة أن أحمد عز كان قد قابل منال لاشين مسئولة البرلمان فى الفجر عقب نشر خبر مفاوضات المحامين لكنه لم يأت بسيرة ولم يكذب الخبر كما فعل عندما نشرت الفجر خبرا عن زواجه من الفنانة ميرفت أمين.

(١) المصرى اليوم، عدد ٢٠ يونيو٢٠٠٨.

تعامل الباحث مع هذه المعالجة على أنها تدخل فى الحياة الشخصية لأن هناك قضية تتداولها المحاكم المصرية إتهمت فيها الجريدة بأنها إعتدت على الحياة الشخصية لأحمد عز وشاهيناز النجار، وأثناء عمل الباحث فى الدراسة كانت تجرى أحداث المحاكمة.

* من خلال هذه النماذج يستطيع الباحث أن يخلص إلى الآتى:

أولا: تقتحم الصحافة الحياة الخاصة للمشاهير والشخصيات العامة قناعة منها أن هذا حقها المهنى، فلابد أن يعرف القارئ كل صغيرة وكبيرة عن هذه الشخصيات، فهم نجوم لامعة فى حياته، يهتم بها لأنها بصورة أو بأخرى تؤثر فيه.

ثانيا: يعتبر الصحفى المعلومات الخاصة التى توصل إليها عن الشخصيات العامة مهارة مهنية ويجب أن يتم الإحتفاء بها، وهنا يأتى مصدر الخطورة فى نمط الإثارة المصرية تحديدا فثقة من الصحفى فى مصدره ينشر كى ما يصل إليه عن الشخصيات العامة على أنه صحيح، وحتى لو ورد له تكذيب من صاحب الشأن الذى نشر، فإنه يظل مصرا على موقفه ورأيه وكأنه أعلم من صاحب الشأن بشأنه، ولا يمكن أن يذكر أى صحفى مصر مهما كانت قوة مصادره أن كل ما ينشره عن الحياة الخاصة صحيح، ففيه قدر كبير من الإجتهاد ولن يقول الباحث الفبركة، ففى بعض النماذج يجد الصحفى نفسه فى مأزق، فهو لديه جانب واحد من القصة، ولابد أن ينشرها كاملة من أجل قارئ ينتظرها وإلا إنصرف عن الجريدة، وفى هذه الحالة لا يستطيع الصحفى أن يتأخر، مهما كانت الأداة أو الوسيلة التى يتبعها فى ذلك.

ثالثا: تقف الشخصيات العامة موقفا واحدا من الإقتراب من حياتها الشخصية حيث ترى أن هذه الحياة ملك لها وحدها ليس من حق أحد إقتحامها مهما كانت الأسباب، فمن حق الشخصية العامة أن تعيش حياتها خارج نطاق عملها مع أسرتها بالشكل الذى تراه مناسبا دون أن تتعقبها الصحافة أو تعد عليها أنفاسها.

رابعا: لا يستطيع الباحث أن يستبعد مجموعة من الشخصيات العامة على المستويات

المختلفة السياسية والإجتماعية والفنية والإقتصادية تسعد بسعى الصحف إليها، فتفتح ملفاتها بما يوحى أن هذه الحياة ساحة مستباحة للجميع، يمكن أن يدخلوا إليها فى أى وقت يشاءون، ولا ينفى هذا وجود شخصيات عامة تبعد كل ما يتعلق بحياتها عن الإعلام وتحرص على ذلك أشد الحرص، وهو ما يجعل الصحف لا تقترب منها ولو حتى بحساب.

خامسا: يتضح من معالجات الصحف لشئون الحياة الخاصة أنها لا تتعرض لقضاياهم إلا إذا كان هناك حدث مرتبط بالشخصية وتقوم فيه بدور سواء كانت فاعلة أو حتى مفعولا بها، أى أن الصحف لا تأتى بالشخصية العامة إلى دائرة الضوء، بل هى التى تدخلها بقدميها ولا تفعل الصحافة بعد ذلك إلا أنها توسع دائرة الضوء حول الشخصية، فتبحث عن المعلومات التى تتعلق بالحدث المثار، وعندما تنشر معلومات لا تتعلق بالحدث الآنى فإنها تفعل ذلك لأن هذه المعلومات حتى ولو كانت بعيدة إلا أنها يمكن أن تساهم فى فهم ما يجرى للشخص الآن.

سادسا: قد يعيب البعض على صحف الإثارة أنها تنشر صور الضحايا وأسماؤهم وعنوان مساكنهم دون أن تفعل ذلك مع الجناة، رغم أن الجناة هم الأولى بالفضح والتجريس الإجتماعى، ويحسب ذلك على الصحف بأنه خطأ مهنى، وواقع الأمر أن هذا ليس خطأ مهنى بقدر ما هو عجز مهنى، فالصحيفة التى تفعل ذلك تكون بالكاد قد استطاعت أن تحصل على صور وأسماء الضحايا وهذا طبيعى فهم ضحايا، أما الجناة الذين يمكن أن يكونوا محلا للمطاردة لا يزالون، فلا تحاول الصحف أن تقترب منهم، وهنا يمكن أن تدخل هذه الإثارة تحت مسمى **الإثارة المتاحة أو الإثارة المنقوصة**.

سابعا: النموذج التطبيقى الذى أثبته الباحث فى هذا الإطار وهو زواج أحمد عز وشاهيناز النجار، كان مقصودا لأنه أثار جدلا وصل إلى ساحات القضاء، واعتبره البعض يمثل نموذجا كاملا لإقتحام الصحافة للحياة الخاصة للشخصيات العامة

وظهرت فى إطار المعالجة ملامح مدرسة الإثارة والتى جاءت كالأتى:

- خصصت الجريدة عنوانا رئيسيا فى صفحتها الأولى مصحوبا بالصور لأحمد عز بمفرده مرة ولشاهيناز النجار بمفردها مرة ثم لهما معا مرة ثالثة.

- اهتمت الجريدة بنشر أكبر قدر من التفاصيل عن الزواج، فقد اجتهدت فى البحث ليس عن ماذا حدث فقط ولكنها بحثت عن كيف ومتى وأين ثم فى النهاية لماذا حدث؟

- خرجت الجريدة فى معالجة الموضوع من الإطار الشخصى إلى الإطار السياسى والنفسى، فقد جعلت مما حدث قضية سياسية وتحديدا فى أن أمين الحزب الوطنى الذى ينادى بحقوق المرأة وتمكينها يسعى إلى الزواج من نائبة فى مجلس الشعب ويجبرها على أن تترك عملها، وفى هذا تناقض هائل بالطبع، وعلى المستوى النفسى راحت الجريدة تقدم تحليلا نفسيا مستعينة فيه بمتخصصين فى الطب النفسى لشخصية المزواج، على إعتبار أن عز تزوج أكثر من مرة.

- وسعت الجريدة من دائرة القضية، لم تتعامل معها على أنها قضية زواج فقط، بل هى قضية مجتمعية متشعبة ولذا من الطبيعى أن تفرد لها الجريدة كل هذه المساحة ولأسابيع متعددة، بل تهتم أيضا بخبر الطلاق.

- وهنا يمكن أن يرصد الباحث سمة من سمات صحافة الإثارة فعندما كان لدى الجريدة خبر خاص بها ضخمته وجعلت منه عنوانا فى الصفحة الأولى، لكن عندما تم تكذيب الخبر لم تتم الإشارة إليه إلا فى ركن قصى من إحدى الصفحات الداخلية للجريدة، وإذا كان هذا هو دين الصحف ومذهبها عامة، فإن صحف الإثارة تتميز بأنها الأحرص عليه من غيرها.

- إن هناك شد وجذب بين رغبة صحف الإثارة فى إقتحام الحياة الخاصة للمشاهير ورغبة هذه الشخصيات فى الإحتفاظ بحياتها بعيدا عن القيل والقال، وبين محاذير المجتمع ورقابة القانون التى تمنح الحياة الخاصة قدسية ، وكل جهة من هذه الجهات تملك

منطقها ومنهجها ومبررها فيما تفعله، ولذلك من الصعب أن يتم حسم أمر هذه القضية، لأن الآراء فيها متباينة إلى درجة التناقض الحاد.

لكن يظل هناك سؤال يتعلق بهذه القضية تحديدا وهو هل ما فعلته جريدة الفجر يعتبر تعديا على الحياة الخاصة للشخصيات العامة؟

لقد إعتبر أصحاب الشأن فى هذه القضية وهما أحمد عز وشاهيناز النجار أن ما حدث تعديا على حياتهما الخاصة ولذلك وصلا بالأمر إلى القضاء، لكن الباحث ينظر إلى هذه المعالجة من زاوية أخرى، فلم يكن الزواج فى حد ذاته هو الهدف للجريدة، ولكن كان هناك هدف آخر وهو قراءة هذا الزواج من خلال دلالاته السياسية والإجتماعية والثقافية، ولما كانت الجريدة لا يمكن لها أن تقنع القارئ بهذه الدلالات إلا من خلال إغراقها فى التفاصيل فقد لجأت إلى هذه المعالجة.

ولا يستطيع الباحث أن يستبعد معالجة الصحف لشئون الحياة الخاصة لدى الشخصيات العامة والجدل الذى تحدثه دون البحث عن جذور هذه المعالجة فى الصحافة المصرية، ومن خلال شهادة الباحث والكاتب أحمد أمين نستطيع أن نعرف كيف بدأت الصحافة المصرية فى تعاطى هذه الشئون[1] يقول:

كنت فى صباى لا أقرأ الجرائد فهى لا تدخل بيتنا ولست أجلس فى مقهى أقرؤها فيه، إلى أن كانت حادثة زواج الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد بالست صفية بنت الشيخ السادات، وهى حادثة تحدث كل يوم ولا تحرك ساكنا، ولكن هذه الحادثة بنوع خاص أقامت مصر وأقعدتها، من الخديو إلى البائع الجوال، فرجل كهل تزوج بنتا بلغت سن الرشد برضاها دون رضاء أبيها، واعترض أبوها على هذا الزواج، فماذا عسى أن يكون لهذا الحادث من أهمية؟

ولكن لعبت الخصومات السياسية فى هذا الموضوع وإثارة شعور العامة عن طريق

(١) أحمد أمين، حياتى (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣) ص ٩٢.

المحافظة على الدين، وفراغ عقول الناس جعل هذه المسألة مسألة الرأى العام، فقد رفعت قضية بطلب فسخ عقد الزواج لعدم كفاءة الزوج للزوجة، إذ هى شريفة من نسل النبى وهو ليس بشريف، واشترك فى هذه المعمعة القضاء والسياسة والأدب، فجلسات المحاكم وما دار فيها من مرافعات تطلع على الناس فى الجرائد، والشعراء يصنعون المقطوعات الطريفة فى هذا الموضوع تنشرها الجرائد، والجرائد الهزلية تنشر النكت اللاذعة، وهكذا اهتاجت عواطف الناس وترقبوا الجرائد وتلقفوها تطلع عليهم كل يوم بجديد.

من هنا تحديدا بدأت الصحافة تعالج الحياة الخاصة للمشاهير، مستجيبة فى ذلك لحدث إجتماعى تحول إلى حدث سياسى، أطرافه من نجوم المجتمع ومشاهيره، وهنا يبدو سؤال يمثل إشكالية كبرى فى سياق صحافة الإثارة، وهو ما الأكثر إثارة؟ الواقع الذى تنقله الصحافة أم المعالجة التى تنقل من خلالها هذا الواقع؟، وهى إشكالية فى واقع الحال لايمكن حسمها بسهولة، فهى إشكالية جدلية تتصارع حولها الرؤى، بين منحاز للصحافة وناقم على الواقع وبين متعاطف مع الواقع ولاعنا الصحافة....وبين القطبين تظل الإشكالية معلقة.

■ ■ ■

ثالثا: آليات نشر الرد والتصحيح

فى القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦ الخاص بتنظيم الصحافة، وفى الفصل الثالث الذى يحدد واجبات الصحفيين فى المواد من ٢٤ إلى ٢٩ يرد الآتى:

- يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسئول أن ينشر بناء على طلب ذى الشأن تصحيح ما ورد ذكره من الوقائع أو سبق نشره من تصريحات فى الصحف فى غضون الثلاثة أيام التالية لإستلامه التصحيح أو فى أول عدد يظهر من الصحيفة بجميع طبعاتها أيهما يقع أولا، وبما يتفق مع مواعيد طبع الصحيفة ويجب أن يكون النشر فى نفس المكان وبنفس الحروف التى نشر بها المقال أو الخبر أو المادة الصحفية المطلوب تصحيحها.

- فى هذه الحالة يكون النشر دون مقابل إذا لم يتجاوز مثلى مساحة المقال أو الخبر المنشور، فإذا كان للصحيفة الحق فى مطالبة طالب التصحيح بمقابل نشر القدر الزائد محسوبا بسعر تعريفة الإعلان المقررة ويكون للصحيفة الإمتناع عن نشر التصحيح حتى تستوفى المقابل.

- على طالب التصحيح أن يرسل الطلب إلى الصحيفة المعنية بموجب خطاب موصى عليه بعلم الوصول أو ما يقوم مقامه إلى رئيس التحرير مرفقا به ما قد يكون متوفرا لديه من مستندات.

- يجوز للصحيفة أن تمتنع عن نشر التصحيح فى الحالتين الآتيتن: إذا وصل طلب التصحيح إلى الصحيفة بعد مضى ثلاثين يوما على النشر، وإذا سبق للصحيفة أن صححت من تلقاء نفسها ما يطلب تصحيحه، وفى جميع الأحوال يجب الإمتناع عن نشر التصحيح إذا انطوى على ما يخالف النظام العام والآداب.

- إذا لم يتم التصحيح فى المدة المنصوص عليها فى المادة ٢٤ من هذا القانون جاز لذى الشأن أن يخطر المجلس الأعلى للصحافة بكتاب موصى عليه بعلم الوصول لإتخاذ ما يراه فى شأن نشر التصحيح.

- إذا لم يتم التصحيح فى المدة المحددة يعاقب الممتنع عن نشره بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وبغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تجاوز أربعة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين.

- للمحكمة عند الحكم بالعقوبة أو بالتعويض المدنى أن تأمر بنشر الحكم الصادر بالعقوبة أو بالتعويض المدنى فى صحيفة يومية واحدة على نفقة الصحيفة فضلا عن نشره بالصحيفة التى نشر بها المقال أو الخبر موضوع الدعوى خلال مدة لا تجاوز خمسة عشر يوما من تاريخ صدور الحكم إذا كان حضوريا أو من تاريخ إعلانه إذا كان غيابيا ولا يتم النشر إلا إذا أصبح الحكم نهائيا.

- تنقضى الدعوى الجنائية بالنسبة لرئيس التحرير أو المحرر المسئول عن جريمة الإمتناع عن النشر إذا قامت الصحيفة بنشر التصحيح قبل تحريك الدعوى الجنائية ضدهما.

وفى اللائحة التنفيذية للقانون نجد أنه على الصحيفة عندما تمتنع عن نشر طلب التصحيح لعدم استيفائه الشروط المنصوص عليها فى القانون أو لوجود مانع قانونى يحول دون نشره أن تكتب لصاحب الطلب بذلك خلال ثلاثة أيام من تقرير عدم النشر.

وعلى طالب التصحيح أو الرد إذا لم يتم التصحيح فى المدة المشار إليها فى المادة ٢٤ من قانون الصحافة أن يرفع الأمر إلى الأمين العام للمجلس الأعلى للصحافة موصى عليه بعلم الوصول أو ما يقوم مقامه مرفقا به صورة من طلب التصحيح وصورة مما يكون متوافرا لديه من المستندات التى بعث بها إلى الصحيفة المعنية، ويحيل الأمين العام للمجلس الطلب إلى لجنة الشكاوى وطلبات الرد والتصحيح التى تعد تقريرا بالرأى حول مدى أحقية طالب الرد أو التصحيح فى نشر رده أو تصحيحه، ويخطر المين العام للمجلس اصحيفة وطالب التصحيح بالنتيجة التى تنتهى إليها اللجنة.

وفى ميثاق الشرف الصحفى الذى وافق عليه المجلس الأعلى للصحافة فى ٢٦ مارس

١٩٩٨، نجد أ، ه نص على أن كل خطأ فى نشر المعلومات يلتزم ناشره بتصحيحه فو اطلاعه على الحقيقة وحق الرد والتصحيح مكفول لكل من يتناولهم الصحفى، على ألا يتجاوز ذلك الرد أو التصحيح حدود الموضوع وألا ينطوى على جريمة يعاقب عليها القانون أو مخالفة الآداب العامة مع الإعتراف بحق الصحفى فى التعقيب.

ولم يكن ما ذهب إليه قانون ٩٦ لسنة ١٩٩٦ بدعا فى التشريع فيما يخص حق الرد والتصحيح، فقد حرص المشرع المصرى[1] على تقرير حق الرد منذ أول قانون صدر لتنظيم المطبوعات عام ١٨٨١ ، وفى القوانين التالية لذلك، إذ أقر قانون المطبوعات عام ١٨٨١ حق الشخص الذى حصل التعريض به أو ذكر اسمه فى تلك الجريدة فى الرد والزام صاحب الجريدة بنشره خلال ثلاثة أيام من وروده للصحيفة أو أول عدد يصدر إذا كان ميعاد صدورها بعد ثلاثة أيام، ويكون نشر هذا الرد بدون أجرة ويجوز أن يكون مطول الشرح خمسة أضعاف المقالة المردود عليها.

وفى القانون ٩٨ لسنة ١٩٣١ أصبحت مسئولية نشر التصحيح ملزمة لرئيس التحرير أو المحرر المسئول لتصحيح ما ورد ذكره من الوقائع أو سبق نشره من التصريحات فى الجريدة وذلك فى أول عدد يظهر منها بعد استلامه أو فى العدد الثانى فى نفس المكان وبنفس الحروف التى نشر بها المقال المطلوب تصحيحه، ويكون نشر التصحيح بدون مقابل طالما أنه لم يتجاوز ضعف المقال المذكور، وما زاد يحق للمحرر أن يطالب صاحب الشأن قبل النشر بأجرته عن المقدار الزائد على أساس تعريفة الإعلانات.

وحدد قانون ٢٠ لسنة ١٩٣٦ أنه يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسئول إدراج التصحيح بناء على طلب ذوى الشأن خلال الثلاثة أيام التالية لإستلامه أو على الأكثر فى أول عدد يظهر من الجريدة فى نفس المكان وبنفس الحروف التى نشر بها المقال المطلوب التصحيح من غير مقابل اذا لم يتجاوز ضعف المقال المطلوب تصحيحه ، فإذا تجاوز ذلك

(١) ليلى عبد المجيد، مرجع سابق، ص ١٢٣.

كان للمحرر الحق فى مطالبة صاحب الشأن قبل النشر بأجرة النشر عن المقدار الزائد على أساس تعريفة الإعلانات.

هذا التقنين القانونى يعنى أن هناك ثمة مشكلة ما فى استيعاب الصحف لحق قراءها فى التصحيح والرد، ولذا لزم وضع حدود قانونية لهذا الأمر، وفى مصر كما فى غيرها من الدول[1] يعتبر نشر حق الرد والتصويب التزاما قانونيا وليس أخلاقيا فقط، فيتعين على الصحيفة أن تنشر الرد إذا لم يجاوز المساحة التى نشر فيها الخبر، وهى ملزمة أيضا بالنشر حتى لو تجاوز الرد هذه المساحة ما دام طالب الرد مستعد لسداد قيمة الفرق وفقا لتعريفة الإعلان بالصحيفة.

لكن يلاحظ أن حق الرد ليس حقا لكل من له آراء مخالفة لموضوع المقال أو التعليق أن يرد عليه ولكن الرد يثبت فى حالتين:

أولا: هو حق من تناوله المقال أو التعليق أو الخبر فى الرد على ما جاء فيه عنه، ولكن هذا الحق مشروط بأن يكون الرد فى حدود المساحة التى نشر فيها الخبر أو التعليق من ناحية، وألا يكون الرد ذاته متعارضا مع آداب مهنة الصحافة بأن يتعرض بالقذف أو السب للمحرر ذاته أو آخرين، أو أن يؤدى إلى إذكاء نزعات التعصب الدينى أو الطائفى.

ثانيا: هى حالة تصويب البيانات غير الدقيقة أو غير الصادقة، وهى حالة من حالات حق الرد المتاح لكل من تحت يدهم معلومات أو بيانات صحيحة تكشف عن عدم دقة ما سبق نشره من بيانات، فحق الجمهور فى المعرفة مقدم على أية حقوق أخرى، وهو شئ أشبه بدعوى الحسبة فى الشريعة الإسلامية التى تتيح لأى مسلم الدفاع عن أحد حقوق الله تعالى التى يرى أنها تعرضت للإنتهاك.

وكما حدد القانون حدود المادة الصحفية التى ينشأ عنها حق التصحيح[2] بأنها كل ما

(١) نجاد البرعى، جرائم الصحافة والنشر، مرجع سابق، ص١٣.

(٢) ليلى عبد المجيد، مرجع سابق، ص ١٣٨.

ينشر فى صحيفة من مواد تتصل بالشخص الذى يطلب التصحيح وحتى لو لم يكن النشر منطويا على قذف أو سب فى حقه ويكفى أن تكون له مصلحة مشروعة فى تصحيحه، فإن القانون[1] حدد الحالات التى يجوز للصحيفة أن تمتنع فيها عن نشر التصحيح على النحو التالى:

- إذا وصل طلب التصحيح إلى الصحيفة بعد مضى ثلاثين يوما على النشر.
- إذا سبق للصحيفة أن صححت من تلقاء نفسها ما يطلب تصحيحه.
- وفى جميع الأحوال يجب الإمتناع عن نشر التصحيح إذا انطوى على جريمة.
- أو كان فى التصحيح ما يخالف النظام العام والآداب.

ويعتبر حق الرد بمثابة دفاع شرعى للمواطن ضد ما ينشر عنه محرفا أو كاذبا، وقد وصل الأمر إلى جعلِ حق الرد يصل إلى مستوى الحماية الدستورية فى بعض الدول[2]، كما أنه فى الوقت نفسه يشكل جزءا من ممارسة الصحافة ووسائل الإعلام لحريتها، ويعمل على التوسع فى النقاش العام حول القضايا والموضوعات الشائكة وغيرها مما يتيح المشاركة التفاعلية من قبل الأفراد بتصحيح أية معلومة تنشر عنهم ويرون فيها تناقضا مع الحقيقة، وعليه فإن الصحفيين يجب أن يلتزموا بحق الرد طواعية واختيارا انطلاقا من مسئوليتهم الإجتماعية تجاه المجتمع ومبادئهم الأخلاقية[3].

لكن لا يستطيع الباحث أن يغفل المشاكل التى تعترى الممارسة المهنية بالنسبة لحق الرد والتصحيح ويمكن إجمال هذه المشكلات فى الآتى:

---

(١) إبراهيم عبد الله المسلمى، التشريعات الإعلامية، قراءة نقدية للأسس الدستورية والقانونية التى تحكم أداء وسائل الإعلام (القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٤)ص ٢٢٥.

(٢) عادل حمودة وفايزة سعد، إنقلاب فى بلاط صاحبة الجلالة (القاهرة، روزاليوسف، ١٩٨٠)، ص٢٢٣.

(٣) سليمان صالح، أخلاقيات الإعلام (بيروت، مكتبة الفلاح للنشر، ٢٠٠٢)ص ٤٢٤.

أولا: لا تلتزم معظم الصحف بنشر الرد أو التصحيح لما سبق ونشرته من معلومات كاذبة أو وقائع تفتقر للدقة والمراجعة سواء من ناحيتها أو جاء التصحيح من أصحاب الشأن الذين مستهم المعلومات أو الوقائع.

ثانيا: إذا حدث وإلتزمت الصحيفة بنشر الرد أو التصحيح فإنها لا تلتزم بالشروط التى حددها القانون للنشر، فلا تنشر التصحيح فى نفس المكان الذى نشرت فيه الموضوع الأول ولا بنفس المساحة، بل تجتهد أن تقلصه للدرجة التى يمكن ألا يلتفت إليه أحد.

ثالثا: بعض الصحف لا تلتزم بالمواعيد المحددة لنشر التصحيح والتى حددها القانون، رغم أن الرد أو التصحيح يكون قد وصلها فى وقت مناسب، لكنها وهى فى سبيلها لتخفيف وطأة هذا الرد على قراءها فإنها تستعين بحيلة مهنية ليست غامضة على القراء، وهى أن الرد وصل إلى الجريدة وهى ماثلة للطبع وسوف تنشره الجريدة فى العدد القادم، وهى بذلك تحقق هدفين الأول أنها تخرج من تحت طائلة القانون، والثانى أنها تبعد تفاصيل الموضوع والرد عليه عن أذهان القراء.

الخروج عن القوانين واللوائح فيما يخص حق الرد والتصحيح يمكن أن يضع الصحفى والصحيفة تحت طائلة المساءلة والعقاب، لكن الباحث من خلال دراسته لصحافة الإثارة وتحديدا فى الفترة الراهنة التى تبدأ مع العام ١٩٩٦، يجد أن الصحف لا تخرج عن مقتضيات القانون فقط فيما يخص حق الرد والتصحيح، ولكنها استطاعت أن تحوله إلى وسيلة تضفى من خلالها معالجات تتسم بالإثارة فى المضمون الذى يحمله الرد ويمكن إجمال ذلك فى الآتى:

أولا: تعمد الصحيفة إلى جعل الخطأ الذى وقعت فيها خطأ عاما، فليست هى وحدها الجريدة التى تخطئ، وفى هذا الإطار تقلل من قيمة الإعتذار الذى تقدمه، بأن تطالب كل الصحف التى تخطئ أن تعتذر مثلها قبل أن يطالبها أحد بالإعتذار، وتوصلت الصحف إلى صيغ مختلفة تبعد بها عن الإعتذار المباشر، مثل سرد المعلومة الصحيحة ثم تعقبها

بكلمة فعفوا، وتم صك عبارات من قبيل : من كان منكم بلا خطئية فليرمنا بخبر، وهو أمر فيه تهوين من الأخطاء التى تقع فيها الصحف رغم أن الطبيعى أن يتم تعظيمها.

ثانيا: تحول بعض الصحف الرد إلى قضية للمناقشة وتنشرها فى شكل تقرير صحفى وتفرد له عناوين كثيرة بما يوحى أن ما ينشر إكمال الموضوع الأول، وليس معارضة له، بل إن بعض صحف الإثارة تجعل من الرودود مانشيتات دون أن تنوه أن ذلك رد أو تكذيب لما سبق ونشرته الصحيفة.

ثالثا: تتبع بعض الصحف أسلوب السخرية من أصحاب الردود وتصورهم فى صورة مزرية، كأن تنشر لهم صور تسيئ إليهم فى ثنايا الموضوع، أو يركزون على بعض العبارات التى وردت فى الرد وتضخيمها والتندر عليها، فلا يربح صاحب الرد توضيح الحقائق للقراء بقدر ما يخسر جولة جديدة مع الصحيفة، ولا يفكر صاحب الرد فى أن يعيد الكرة مرة أخرى ويرسل للصحيفة ردا جديدا تحسبا لأن يحدث له مثل ما جرى فى المرة الأولى.

رابعا: يرتبط بذلك أن الصحيفة يمكن أن تناور صاحب الرد والتصحيح خاصة إذا كان رجل أعمال، بل لا يتجاوز الباحث إذا ذهب إلى أن بعض الصحف تنشر أخبار كاذبة عمدا أو منقوصة عن قصد عن أشخاص بعينهم لمعرفتها الوثيقة أن أصحاب هذه الأخبار سيسارعون إلى الجريدة للتكذيب، وفى هذه الحالات يتم النشر مدفوعا مسبقا، ويفاجأ القارئ بأن الصورة تحولت تماما، فما نشر لا يكون فقط تصحيحا بل إعلانا يقول فيه صاحبه ما يشاء حتى لو كان سبا وقذفا فى آخرين.

خامسا: بالقرب من آلية الإبتزاز هذه هناك آلية التهديد التى تتبعها بعض الصحف، فإذا كان من تعرض للضرر من النشر بلا مصالح مباشرة مع الجريدة ، ولجأ إلى القضاء ليحصل على حقه، تصله تهديدات فحواها أن القضاء لن يعطيه حقه، وحتى لو حصل على شئ فإنه بذلك يكسب عداء الصحافة وبشكل مجانى وهو ما يمكن أن يعرضه للنقد، حيث ستصبح الصحيفة التى ذهب بها إلى المحكمة على الأقل متربصة به ولن تتركه بعد ذلك.

سادسا: يحدث أحيانا أن يصل الجريدة ردا أو تصحيحا لمعلومة من مصدر معين، ومن المفروض أن يكون للمصدر مصداقية لأنه فى الغالب هو صاحب الشأن، لكن الجريدة تكذبه وتؤكد أن لديها مستندات سوف تخرجها فى الوقت المناسب وأنها مستعدة لأن تذهب إلى المحكمة، وهو ما يجعل المصدر يتراجع عن المواجهة تحسبا منه أن تكون الصحيفة لديها ما يدينه، ويغذى هذه الآلية أن الصحافة ابتداء تعرف أنه لا أحد يعمل فى مصر دون أن تكون لديه ملفات سوداء فى غرفته المظلمة، ويستفيد الصحفى من ذلك أنه يبدو فى موقف العالم ببواطن الأمور.

كل هذه الآليات لم يتم رصدها من قبل، لآن الصحفيين من الصعب أن يصرحوا بها، ولذلك فكل تقارير المجلس الأعلى للصحافة التى صدرت لترصد واقع الممارسة الصحفية لم تستطع أن تسجل ملاحظات فيها يخص الرد والتصحيح، والمصدر الوحيد لمعرفة ذلك هو الشكاوى التى تصل للمجلس الأعلى للصحافة، حيث يرسل صاحب الرد تصحيحه إلى صحيفة لكنها لا تنشره فيلجأ إلى المجلس الأعلى على إعتباره الجهة التى تستطيع أن تجبر الصحيفة على النشر، وإن كان لكثيرون من أصحاب الردود لا يهتمون بالرد بداءة لأنهم بردهم سيجعلون الخطأ الذى أشارت إليه الصحيفة فى بؤرة الضوء أطول فترة ممكنة خاصة أنهم لا يملكون ضمانة أن الجريدة ستنشر الرد دون أن تعقب عليه .

وهناك من يزهد فى الرد على الصحف، فكثير من الأفراد الذين تنشر عنهم مادة صحفية تفتقر إلى الصحة أو الدقة، أو تتضمن إتهامات أو تشهيرا أو إفتراءات تضر بسمعتهم، فلا يوجد ما يضمن لهم ولو بقوة القانون أن من قرأ المادة التى تضمنت الأكاذيب أو التشهير سيقرأ التصحيح أو الرد فى المكان والمساحة الهامشية التى نشر فيها الرد من الصحيفة.

■ ■ ■

رابعا: الترويج للدجل والخرافة

فى تقرير الممارسة الصحفية الذى أصدره المجلس الأعلى للصحافة عن الصحافة المصرية عام ١٩٩٩، سجلت الملاحظات المتعلقة بالترويج للدجل والخرافة أقل المعدلات بين الفئات السبع لتحليل الممارسة، ودلل التقرير بذلك على تراجع الإتجاه المروج للتفكير الخرافى كمادة صحفية تستقطب اهتمامات بعض القراء، وهى نتيجة تحتاج إلى إعادة نظر.

ويلاحظ كما رصد نفس التقرير أن مجموعة الصحف الحزبية جاءت فى المقدمة من حيث عدد الملاحظات المتعلقة بالترويج للدجل والخرافة، وهو الأمر الذى يثير التساؤل حول مصداقية وصورة بعض الصحف الحزبية التى عمل بعضها على ترويج خرافات تتعلق بالجن والسحر وقراءة الكف والفنجان والعلاج بواسطة الدجالين.

ويحدث ذلك فى الوقت الذى تحتدم فيه المنافسة العلمية على الساحة الدولية فى قضايا علمية مثل الإستنساخ والهندسة الوراثية والجينوم البشرى، ومن ناحية ثانية وفى إطار الترويج الخرافى تتأثر مصداقية الأقلام الداعية إلى تعقب الفساد وتعبئة الجهود من أجل تنمية شاملة ومستديمة وسط صفحات وأبواب تدعو إلى تغييب العقول وتعليق الصحة والسعادة والتقدم على عاتق ملوك الجان.

ويرى الباحث أن التقرير بنى نتيجته على رصد غير مكتمل للواقع، فالصحافة الحزبية فى مصر لم تكن صحافة واحدة ولكنها كانت صحافتان فى الواقع، فالأحزاب الكبرى مثل التجمع والوفد والناصرى لها صحفها الأساسية التى تصدر عنها (التجمع – الأهالى) (الوفد – الوفد) (الناصرى – العربى)، لكن الحالة التى يقصدها التقرير هى حالة حزب الأحرار، فالحزب يصدر صحيفته الأحرار التى تعبر عن خطه السياسى، لكنه إلى جانب هذه الصحيفة قام بتأجير الرخص الصحفية التى حصل عليها، ووصل عدد الرخص التى كان الحزب يمتلكها إلى ١٨ رخصة.

من هذه الرخص تحديدا دخلت صحف الإثارة السلبية ومن أهمها كانت صحف

المواجهة وحديث المدينة، وهما تحديدا اللتان اعتمدتا على ترويج الخرافة التى التصقت زورا بصحف المعارضة الجادة، ولذلك لم يكن التقرير دقيقا فى تحميل الترويج للدجل والخرافة للصحف السياسية الجادة لأنها لم تقترف ذلك، وبالتالى لا يؤثر ذلك على مصداقيتها.

وتأكيدا لما يذهب إليه الباحث يورد التقرير أن جريدة حديث المدينة استحوذت وحدها على ما يقرب من ثلثى ملاحظات فئة الدجل والخرافة، وهو ما يعنى تحملها للجانب الأكبر من المسئولية عن الملاحظات السلبية المتعلقة بالترويج للفكر الخرافى، ويلاحظ أن هذه الجريدة تعتمد بشكل أساسى على هذه الفئة كعنصر من عناصر بناء شخصيتها وتميزها، فهى تخصص صفحة عن الأنس والجان، بجانب باب أسرار علم النفس والتحقيقات الصحفية الموسعة والحوارات المزعومة مع الجان وذلك مثل:

- تحقيق بعنوان: رؤساء وملوك عرب يحكمون بالسحر وأوامر العرافين....أسماء وزراء الجان ورئيس وزراء الجان.

- تحقيق بعنوان: السحر يدمر الحياة الزوجية ...ماذا يفعل الشيطان حتى يرى العريس عروسه قبيحة[1].

- تقرير إخبارى بعنوان: البيت المسحور ...تنفيذا لتعليمات الدجال يقتل ابنه ليتخلص من الفشل مع زوجته[2].

ويذهب التقرير فى محاولة لتفسير مسلك بعض الصحف فى الترويج للتفكير الخرافى بأن هذا الإهتمام واكب فى الوقت نفسه اهتمام عدد من القنوات الفضائية العربية بمعالجة موضوعات من هذا القبيل، واستضافة الدجالين والمعالجين الجدد مما يعكس مسايرة الإعلام المطبوع لتوجهات تلك القنوات فى التطرق لموضوعات غير مألوفة ومثيرة

(١) حديث المدينة، عدد ١٧ فبراير ١٩٩٩.
(٢) حديث المدينة، عدد ٣ فبارير ١٩٩٩.

للجدل ، وإن كان المسئولون عن الفضائيات فى أغلب الأحيان أكثر نضجا وعقلانية من زملائهم فى الصحف المطبوعة، الذين اقتصر دورهم على الترويج للتفكير الخرافى بدلا من محاربته وفضح دعاته.

تفسير التقرير لظاهرة الترويج للجدل والخرافة بواسطة الصحف تنقصه الدقة والموضوعية فى آن واحد، فمن حيث الدقة فليس صحيحا أن إهتمام الصحافة المصرية بالدجل والخرافة تواكب مع إهتمام الفضائيات بها، حيث اهتمت الصحافة المصرية بذلك منذ نشأتها ناقدة مرة ومروجة مرات، ومن حيث الموضوعية فالقائمون على فضائيات الدجل والخرافة ليسوا أكثر وعيا من صحفيى الصحف المطبوعة فهم يقعون فى أخطاء عواقبها أفدح، فالصحف فى النهاية لابد أن يتوفر لقارئها درجة من الوعى والثقافة تجعله قادرا بدرجة ما على فرز الحقيقى من المزيف، لكن مشاهدى الفضائيات منهم من يفتقد لأى درجة من درجات الوعى، وهو ما يجعل تأثير مثل هذه الفضائيات عليه أشد وأعتى وأكثر تدميرا.

*** ويرصد الباحث نمطين من المعالجة لشئون الدجل والخرافة فى الصحافة المصرية:**

الأول: يقدمها كما هى دون نقد أو تفنيد بل تعرضها محبذة لها ومصدقة ومقتنعة بها، وهو ما يجعل القارئ يصدقها ويقتنع بها.

والثانى: يقدمها ناقدا ورافضا لها، جاعلة ذلك فى بابا الخرافات، وتجتهد الصحف التى تقدم هذا النمط فى أن تبين أوجه الخرافة وتأثيرها على الحياة العامة للناس من جراء تأثير إنتشار الخرافات.

لكن الأحكام التى تنتهج سبيل التعميم ترى فيما تقدمه الصحف نمطا واحدا، ولا تترد فى إدانته ورفضه، وهو نوع من التجنى العلمى، ويمكن للباحث أن يدلل على ذلك من خلال ما ذهب إليه فتحى حسين عامر[1] فقد أشار إلى أن الترويج للدجل والخرافة

(١) فتحى حسين عامر، أخلاقيات نشر الجريمة فى الصحف المصرية الخاصة، دراسة تحليلية مقارنة، ماجستير (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠٠٥)ص ٢٩٤.

من بين الخروج على أخلاقيات الممارسة الصحفية عامة ونشر الجريمة بصفة خاصة، وضرب لذلك أمثلة:

- تجنيد الجن الكافر بالزئبق الأحمر وجماجم البشر لحل المشاكل، خروف سمين وهدايا ذهبية لإرضاء ملك الجان[1].

- زواج مصرى من إمبراطورة الجان على دم القطط والفئران[2].

ويرى حسين عامر أن جريدة النبأ نشرت العديد من الجرائم عن الدجل والشعوذة والترويج لهم وكأن شيوخ الدجل هم المنقذ للإنسان من كل هموم الدنيا ومبعث السعادة والأمان، مثل : حواديت دجال المشاهير بالجيزة حول ليلى علوى وبوبى وهالة صدقى شكل تانى[3].

ففى هذه الواقعة أظهرت النبأ مدى القوة الخارقة التى يتمتع بها هؤلاء الدجالين الذين يأتى إليهم المشاهير فى كافة مجالات الحياة فى السياسة والفن والرياضة حتى يتباركوا بهم، ويحصلوا على أفضل المناصب والأوضاع المالية والإجتماعية.

وقد خصصت جريدة النبأ صفحة كاملة لنشر جرائم الدجل والشعوذة بها تحت عنوان«عالم تانى»، عرضت فيه قصص وحكايات الجن والعفاريت وهى مواد تلقى من وجهة نظرها قبولا عاليا لدى القراء.

ومن جريدة النبأ إلى جريدة الأسبوع، حيث نشرت الجريدة تقريرا عنوانه: دجال المحافظات يوهم ضحاياه بأنهم ملبوسون من الجان السفلى، ويشير حسين عامر إلى أن جريدة الأسبوع ركزت فى هذه الواقعة على إظهار مدى فساد الدجال وأنه من النصابين، حيث كان يدعى قدرته على شفاء المرضى.

---

(١) جريدة النبأ، عدد ٤ مايو ٢٠٠٣.

(٢) جريدة النبأ، عدد ٢١ سبتمبر ٢٠٠٣.

(٣) جريدة النبأ، عدد ٩ مايو ٢٠٠٤.

وعلى مستوى جريدة صوت الأمة فقد نشرت تقريرا عنوانه: قرية يحكمها ٢٠٠ دجال ويتبرك بها المشاهير فى البحيرة.

ويفسر حسين عامر مقاصد هذا التقرير بقوله: فى هذه الواقعة تنشر صوت الأمة دعوى صريحة للترويج لأعمال الدجل والخرافة والشعوذة ودعوة المشاهير إلى زيارة هذه القرية فى محافظة البحيرة، وقد بالغت صوت الأمة فى هذا الرقم الذى على ما يبدو غير مؤكد حيث عرضت هذه الواقعة بشكل مثير وجذاب للقراء وهو أمر ليس له ما يبرره.

وهنا تحديدا يكمن اللبس الذى يقصده الباحث، فهذان نمطان بالأمثلة لمعالجة شئون الدجل والشعوذة، لكن تم الخلط بينهما، فالنبأ يمكن أن تكون نشرت ما نشرته بقصد الإثارة فقط، لكن الأسبوع وصوت الأمة من واقع تفاصيل تقاريرهما، قدمت معالجة قائمة على رصد واقع يعيشه المصريون ثم رفضته وعلقت عليه وأظهرت مخاطره، وفى الغالب يكون مقصد الصحف الناقدة للظاهرة من عرضها لها هو تنبيه المسئولين لمواجهة الظاهرة من المنبع، حيث أن القراء حتى لو قدمت لهم الظاهرة فى إطار نقدى فإنهم يسيرون خلف أهواءهم.

وقد تكون هناك وجهة نظر تقوم على أنه طالما أن القارئ لا يقتنع بكلام الصحف الناقدة للظاهرة، فلا داعى ولا مبرر لنشر معالجات الدجل والشعوذة حتى ولو كانت فى إطار رؤية نقدية، وهى رؤية مردود عليها، فلا يعقل أن الصحافة تتراجع عن رصد الواقع ومواجهة ما فيه من سلبيات لمجرد أن هناك فئات من المجتمع لا يساعدها وعيها على أن تتواصل مع الرؤية التى تقدمها الصحف، ثم أن تراكم الرؤى النقدية يمكن أن يحدث أثرا فيما بعد، فالمرضى لا يمتنعون عن تعاطى الدواء لمجرد أن له أعراضا جانبية.

لكن السؤال الذى يطرحه الباحث هو: هل تقدم صحف الإثارة معالجات موسعة لشئون الدجل والشعوذة لأنها تعتبرها وسيلة لزيادة التوزيع ؟أم أنها بذلك تستجيب لرغبات قارئ يلح فى معرفة هذه الجوانب الغيبية؟

لا يستبعد الباحث بالطبع أن تكون الصحف ترغب فى زيادة توزيعها، لكن على الجانب الآخر هناك قارئ يعيش فى بيئة مؤهلة لتلقى الكلام عن الدجل والشعوذة وتصديقه والتفاعل معه.

ثم أن الصحفيون أنفسهم أبناء هذه البيئة فهم يصدقون الخرافات ويقتنعون بها ولذلك لا يجدون حرجا فى نشرها والدعوة لها، ومن واقع التجربة العملية، وفى يناير ٢٠٠٧، دخل على محرر مكتبى وبيده صورة لجذع شجرة مكتوب عليها «الله- محمد»، قال لى أنها شجرة الكافور المباركة، وكانت القصة التى رواها أن هذه الشجرة الموجودة فى موقف العاشر من رمضان على طريق مصر -'الإسماعيلية الصحراوى تمثل الآن صداعا للبعض من سكان المنطقة ورجال الأمن.. بعد أن روج البعض أن لفظ الجلالة واسم الرسول الكريم محفوران على لحائها.

قال لى المحرر أن الآلآف تجمعوا بعد ساعات، وبدأوا يحصلون على البركة، تم تشكيل لجنة علمية برئاسة عميد كلية الزراعة بجامعة عين شمس الدكتور عبد العزيز حسن، وأصدرت اللجنة تقريرها بأن العبارات الموجودة على الشجرة حفرها أحد الأشخاص منذ ستة أشهر، وأفرزت الشجرة مكان الحفر ما يسمى بـ «التكلسات» والتي صبغت العبارات المحفورة باللون البنى مما أعطى انطباعاً بأنها طبيعية.

كان من المفروض بعد أن أعلنت اللجنة العلمية تقريرها أن ينفض الناس من حول الشجرة، لكن ما حدث فعلا أن الشجرة أصبحت مزارا دينيا تسمع عنده بوضوح صيحات تكبير الرجال وأصوات النساء وهن يجهشن في البكاء.

أخذت قرارا بعدم نشر القصة من أساسها، لكنى وجدت إتجاها لدى مجلس التحرير بضرورة نشر القصة وإبرازها، ففيها عناصر جذب وتشويق، وبالتعبير الدارج فى الصحافة: «الناس عايزة تقرأ الموضوع كده».

هذه الجملة تحديدا لها منطقها وتفسيرها ، فقبل نحو عقدين من الزمان تحديدا فى العام

١٩٨٧[1] انتشرت فى الشوارع والميادين الرئيسية في مصر لوحة ملونة، كان الباعة يهتفون للترويج لها باعتبارها معجزة.. اللوحة كان مكتوبا تحتها أنها صورة التقطها شخص ما في إحدى غابات ألمانيا حيث تبدو الأشجار المتراصة وكأنها تشكل جملةَ «لا إله إلا الله».

جازت الخدعة على كثيرين وانتفخت معها جيوب الباعة ومن ورائهم أصحاب هذه الحيلة بعد أن نجحوا في خداع العديد من المواطنين الذين كانوا يقفون أمام هذه اللوحة بانبهار ثم يمدون أيديهم في جيوبهم ليشتروا «المعجزة» بمبلغ لا يزيد على جنيه واحد.. ثم ينطلقون إلى أعمالهم ومنازلهم ويعلقونها كى يراها غيرهم ويردد مثلهم: «سبحان الله».

لكن اللعبة«المعجزة» لم تستمر طويلاً، فقد ظهر الدكتور سيد الخضرى أستاذ علم الأدوية ليؤكد أن الصورة المزعومة ليست سوى لوحة، مجرد لوحة عادية رسمها بنفسه وصاغها بفرشاته وسجلها في الشهر العقارى في المنصورة فى العاشر من سبتمبر عام ١٩٨٧، لكنه فوجىء بمن يستغل الفكرة بشكل سيىء ويغرر بالعامة من دون أى مراعاة لحقوق الفنان الأدبية، فليس من المهم هذه الحقوق بقدر ما يهم المنتفعين جنى مزيد من الأرباح ولو كان ذلك عن طريق نشر الأكاذيب والضلالات وادعاء المعجزات والخوارق.

والغريب أن هذا الفنان التشكيلى والأستاذ الجامعى الذى أبدع اللوحة تلقى تهديدات بالقتل في محاولة لإسكاته..ربما لأنه قطع الطريق على من حاولوا استغلال اللوحة وبيعها على أنها صورة مأخوذة من إحدى غابات ألمانيا لتدلل على أن قدرة الخالق وصلت إلى قلب أوروبا..وربما أيضا لأنه أيقظ الناس من سباتهم على حقيقة اللوحة التي يملك نسختها الأصلية للتدليل على صحة كلامه.

لا تفعل صحف الإثارة أكثر مما يفعله باعة المعجزات والمتاجرين بالخرافات، حيث

(١) ياسر ثابت، جمهورية الفوضى، قصة إنحسار الوطن وإنكسار المواطن (القاهرة، كتاب ميزان، ٢٠٠٧) ص ١٣.

أنها تعرض معالجاتها بعناوين دالة للغاية تجعل أسرى الخرافات يقبلون عليها، وفى الغالب لا يحمل الموضوع المنشور على صفحات الجريدة الداخلية تفاصيل تتناسب مع صخب العنوان الخارجى فى الصفحة الأولى.

ويذكر ياسر ثابت [١] أنه بين الفنية والأخرى يأتى أحد تجار المعجزات إلى صحيفة ما ليعرض حبة فاكهة أو حجرا أو حتى قوقعة كتب عليها لفظ الجلالة أو ما شابه ذلك.. وطبيعي أن يسعد صاحب هذه «المعجزة» بنشر اسمه وربما صورته وبين يديه تلك «المعجزة» الجديدة، وفي النهاية تساهم بعض الصحف في الترويج لهذه الأشياء الغريبة عندما تنشرها على صفحاتها تحت عناوين من عينة «سبحان الله».

حدث الأمر نفسه مع ياسر ثابت[٢] يقول: «فى عام ١٩٩٤ وجدت أمام مكتب الاستعلامات في المؤسسة الصحفية الكبرى التي كنت أعمل بها سيدة في منتصف العقد الرابع..استوقفنى موظف الاستعلامات ليبلغنى بطلبها لقاء أحد الصحفيين لتكشف له عن ظاهرة غريبة تمتلك الدليل عليها.. سألتها عن مطلبها فوجدتها تخرج من كيس أسود اللون برتقالة حفر على قشرتها لفظ الجلالة..مدتها فى اتجاهى وهى تقول بابتسامة عريضة: «انظر إلى هذه المعجزة الإلهية».

تأملت البرتقالة قليلاً ولاحظت أن الكتابة على قشرتها تبدو وكأنها تمت باليد لدرجة أنها حفرت مجرى واضحاً على القشرة..فاعتذرت لها بلباقة بالرغم من إلحاحها الشديد..لكننى فوجئت على صفحات الجريدة بعد فترة لا تزيد على أسبوع بصورة السيدة وهى تحمل البرتقالة وقد كتب تحتها كالعادة «سبحان الله» أو شيء من هذا القبيل.

إن المتلقى للصحف المصرية وخاصة الإثارة منها يعيش فى مجتمع تصيغه الخرافة، فهناك أشخاص يصرون على معالجة «الخضة» بالطاسة..والإمساك بالخشب منعا

(١) ياسر ثابت، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) كان وقتها صحفيا فى جريدة الأهرام المسائى الصادرة عن مؤسسة الأهرام.

للحسد..وكسر «القلة» بعد انصراف ضيف ثقيل الظل..وقرص العريس أو العروس فى الركبة للحاق سريعا بركب المتزوجين..ونجد من يخشى القطط السوداء اللون والكنس ليلا وترك المقص مفتوحا..ويرى أن رمى قشر الثوم أمام عتبة المنزل يجلب النكد..ويرفض غسل الملابس يوم الاثنين أو خلع الأسنان يوم الاثنين أو الأربعاء أو هز الأرجل وأنت جالس على طرف السرير لأن ذلك يجلب «الفقر».

وعندما كان الدكتور عبد المحسن صالح[1] يعد دراسته عن الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، ذهب لزيارة مريض ريفى شاب أثناء وجوده فى قريته بصعيد مصر، ولفت نظره وجود ضمادة غريبة مربوطة على ذراعه، ولما استفسر عما يمكن أن تكون، فقيل له أنها تعويذة كتبها سيدنا لطرد الروح الشريرة أو لإبطال أثر العين الحاسدة التى أصابت الشاب بالمرض والهزال.

ويفسر عبد المحسن صالح ذلك بقوله: هذا الإعتقاد الغريب ليس إلا عينة واحدة من آلاف العينات التى تتكرر دائما فى المجتمعات المحدودة الثقافة أو التعليم، لا فى ريف مصر وحدها بل فى كثير من الدول العربية، أو حتى بعض الدول التى كان لها نصيب من التقدم والحضارة، فالإعتقادات الخرافية موجودة وإن اختلفت أثوابها التى تلبسها بين بيئة وأخرى.

كل هذه خرافات وأساطير وأوهام بالطبع ، لا يمكن لأحد أن يتنكر لها لأنها تمثل جزءا مهما من تكوين المصريين الثقافى، وهو التكوين الذى يجعل التربة صالحة وممهدة أمام المعالجات الشاذة فى أحيان كثيرة التى تقدمها صحافة الإثارة لشئون الدجل والخرافات.

ولعل ذلك يفسر إهتمام الصحف بالخرافات والدجل، فلم يصبح الأمر مقصورا على

---

(١) عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، ط٢ (الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٨)، ص ٧٧.

صفحات متخصصة فى هذا الشأن، بل صدرت صحيفة مصرية متخصصة فى شئون السحر والدجل والخرافات، أطلق عليها أصحابها اسم التعويذة وصدرت فى أغسطس ٢٠٠٥، عبر فكرة تحمس لها ثلاثة صحفيون مصريون يعملون فى مؤسسات صحفية حكومية، هم دينا ريان(الأهرام) ومحمد رجب(أخبار اليوم) ووائل أبو السعود (أخبار اليوم)، كان التخصص الدقيق للجريدة هو الإهتمام بعالم القوى الخفية، والباراسيكولوجى، والسحر والجن والعفاريت، والأبراج، وتفسير الأحلام، وكل ما يقترب من هذه الأشياء الخرافية.

اختارت الجريدة أن يكون غلافها أسود لزيادة الإثارة والرعب، حاولت الجريدة أن تقدم نفسها على أنها ضد الدجل والشعوذة، لكن من هذا المنفذ تحديدا هوجمت لأنها بما تفعله تحرض وتروج للفكر الخرافى بصوره المختلفة.

بدا فيما قاله القائمون على الفكرة تأثرهم الشديد بما يدور فى الصحافة الأمريكية تقول دينا ريان ناشرة الجريدة[1]: لقد اكتشفت أن فى أمريكا جريدتين متخصصتين في عالم القوى الخفية في حجم التابلويد، وتعالجان أشياء موجودة لدينا في الشرق أكثر من وجودها لديهم، وهي الأمور المتعلقة بالقوى الخفية، ومع ذلك فهناك إقبال كبير عليها هناك، وقمنا في الشارع المصري وفي شارع الصحافة بعمل استطلاع رأى، فوجدنا أن كل الجرائد الموجودة تغطي شئونا سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية ولا توجد جريدة واحدة لا في مصر ولا في العالم العربى تهتم بهذا الموضوع، وكانت الفكرة في حد ذاتها مبتكرة، وغير موجودة فى دولنا العربية، وبهذا نكون نحن أول من يعمل جريدة من هذا النوع.

الغريب أن المعلنين رفضوا الإعلان فى هذه الصحيفة ، وقد يكون ذلك لأنهم كرهوا أن ترتبط أسماؤهم وبضائعهم بجريدة تتماهى مع الخرافة حتى لو كانت تدعى أنها

(١) محمد أبو زيد، جريدة الشرق الوسط، عدد ١١ سبتمبر، ٢٠٠٥.

تجاربها، كان القائمون على الجريدة يعتقدون أن الحصول على الإعلانات سيكون سهلا خاصة أن هناك دراسات تذهب إلى أن مصر ينفق فيها سنويا حوالى ١٠ مليار جنيه على السحر والشعوذة، لكن إعتقادهم خاب واضطروا إلى تمويل جريدتهم بأنفسهم حتى عجزت عن الصدور بعد أعداد قليلة للغاية منها.

أشارت دينا ريان إلى الهدف من الجريدة تقول[١]: رغم أننا لسنا بقدر المواجهة مع السحرة والمشعوذين، إلا اننا قررنا أن نواجههم وأن نكشف عالمهم، وأن نتحدث عن الغرب.. كيف يفكرون في هذه الأشياء، وأن نطعم ذلك بالأشياء التي تحدث فى مصر من النصب والسحر، وأن نعالجها فى النهاية بعيدا عن التصادم، وقد جمعنا جميع الحوادث المسجلة بأرقام في أقسام البوليس، ومن المعارف الموثوق فيهم لنشرها.

ولا تنفى دينا وجود رغبة في الربح تقول: أى جريدة تصدر في أى مكان في الدنيا تصدر من أجل هذا الغرض، وقد مررنا بتجربة البحث عن ممولين، لكننا وجدنا أن كرامة الصحفى تجعله يتجه لإصدار جريدته الخاصة من جيبه الخاص، لذا قلنا يجب أن نتعامل بشىء من الكرامة المهنية، بدلا من أن نعمل لدى التجار.

ويظهر سر هذه الفكرة حيث أظهرت دينا ريان إعتزازها بأنها وزميليها في الجريدة من مدرسة مصطفى وعلى أمين التى تعتمد على الأخبار اللافتة، والكتابة المثيرة ، تقول: كلنا من مدرسة واحدة، ولذلك اتفق تفكيرنا على هذا الاتجاه، بل وكشفت دينا أن إبراهيم سعدة رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير أخبار اليوم السابق، أعجب جدا بالفكرة وعرض عليهم شراءها، لكى تصدر عن دار أخبار اليوم، إلا أن التغييرات الصحفية أطاحت به قبل أن ينفذ فكرته، وهو ما يعنى أن مؤسسة حكومية كان يمكن أن تصدر عنها جريدة تعنى بشئون الجن والخرافات.

فى إفتتاحية العدد الأول كتبت دينا ريان:

---

(١) محمد أبو زيد، مرجع سابق.

لا أنكر أننا اتعفرتنا طوال عدة أشهر ماضية نستعد بتعويذتنا لمواجهة ولأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية القوى الخفية والغيبيات وننبش في دهاليز المستخبى، ونمسك الطبلة والطار وندق دقات الزار، ولا أنكر أن العفاريت الزرق والحمر والخضر ركبونا لدرجة أننا كدنا في الآونة الأخيرة أن نمسك في زمارة رقبة بعضنا لولا الذكر والقرآن والاستعاذة بالله من الشيطان ومدد، مدد، حى الله الله.

يقول وائل أبو السعود رئيس مجلس إدارة الجريدة : الفكرة أننا كنا نريد أن نعمل جريدة مختلفة، فوجدنا أن هناك جرائد كثيرة متخصصة في الحوادث، وهذه الفكرة ليست جديدة في العالم العربى، واكتشفنا أن فى البرازيل وحدها ٨٠ مجلة عن القوى الخفية، وفي إنجلترا مجلة أسبوعية، وفي أمريكا جريدتان، ولا توجد أى مطبوعة متخصصة فى هذا المجال بعالمنا العربى، رغم أننا نصرف ١٣ مليار دولار في العالم العربى على الدجل والشعوذة، ونحن نريد من خلال هذه الجريدة أن يستيقظ الناس وأن يفهموا أن الإنسان أقوى من الجن، نريد أن نقول للناس أن هناك قوى خفية وهذه القوى قدرات، ولكن ليست عفاريت وشعوذة.

ويضيف أبو السعود: هناك فرق بين رصد الظاهرة وصناعتها، ونحن نرصد الظاهرة لنحللها، ولا نصنعها، تماما كما أن ليس محررو الحوادث مجرمين، بل هم يرصدون الحوادث، الشعوذة موجودة بالفعل ونحن نحللها، فعندما تقول وكالة ناسا أن هناك كائنات أخرى في الكون، نحن لا نقول عنهم مشعوذين ولا نقول أنهم يشعلون البخور، والقرآن ذكر الجن، وقال انهم موجودون، ولابد من مقاومتهم بعقلنا وعلمنا.

الشريك الثالث فى هذه التجربة والفكرة محمد رجب رئيس تحرير الجريدة قال عنها : نحن الجريدة الوحيدة المتخصصة في العالم العربى فى علم الباراسيكولوجى، وهو علم في أوروبا له منهجه الأكاديمى، وفيه علماء متخصصون وله صحافة متخصصة يقبل عليها ملايين القراء، وأى صحفى عندما يقبل على صناعة أى جريدة لا بد أن يبحث عن مجال

لا توجد به منافسة، لذلك وجدت أن هذا النوع من الصحافة متقدم جدا فى أمريكا، ومع ذلك ليس له شبيه في العالم العربى.

ويتابع محمد رجب توضيح فكرته يقول : العالم ملىء بالقوى الخفية، في الخارج يسمونها الأرواح الشريرة، ومع ذلك فأفلام الخيال العلمى التى كانت تقدم فى الخمسينات على أنها خيال انقلبت إلى واقع مع صعود الإنسان إلى سطح القمر، ونزوله إلى أعماق البحر، وعندما تتحدث وكالة ناسا الآن عن إمكانية وجود مخلوقات على كواكب أخرى، أو عن ظهور الأطباق الطائرة، لا نستطيع أن نتهمها بالدجل لان الخيال غدا يصبح واقعى.

وعن السياسة التحريرية التى يتبعها رجب فى جريدته يقول: نحن نرصد الأحداث فقط، نحن لا نعالج أناسا ممسوسين، ولا ندخل كطرف في الأمر، وإنما نوضح الأمر ونحاول أن نقدم خدمة متميزة، عبر التعرض للقوى الخفية، هناك تخاطر عن بعد، وقراءة فنجان، وأبراج، وتفسير أحلام، وغير ذلك، وزعماء العالم من المعروف أن لهم عرافات ومنجمين وهو مجال خصب للمعرفة.

دارت معظم موضوعات الجريدة حول قصص السحرة والعفاريت، ومن خلال استعراض الباحث للموضوعات يتضح ما يلى:

- فى العدد الأول تحذير للنساء من ساحر قليل الأدب! وشبح المطربة ذكرى يظهر في الزمالك، العفاريت تسكن شقة الفنانة القتيلة بعد ٢٠ شهرا من المذبحة، سكان العمارة يسمعون أصواتا غريبة وأحجارا تتطاير ليلا فى شقة ذكرى، وطفل يختفى تحت الأرض كل ليلة ، وعلم الحساب القرآنى يؤكد: نهاية إسرائيل عام ٢٠٢٣ وحوار مع كاميليا اشهر قارئة كف في مصر، و١٣ طريقة لفك السحر.

- فى العدد الثانى بأمر الجان بنات ممنوعة من الزواج، وزفاف في المقابر! رجل أعمال تزوج من عفريتة فى مقابر العريس! والشعراوى يتحدث عن السحر أضراره وعلاجه،

ورحلة في عالم الأحلام، وحوار مع يسرا قالت فيه: عفريت شيكوريل جعلنى اجرى حافية القدمين، وحكاية الرئيس ميتران واشهر عرافة بأوروبا، ونوع من الجنون اسمه «عشق الموتى»، و معجزات الشيخ حسين فى الأراضي المحتلة، سفينة فضاء تهبط على فلسطين تحمل كائنات أخرى، وسفير المكسيك في إسرائيل من أهم اتباع الشيخ حسين ويروج له في بلاده.

- و فى العدد الثالث كان المقال الرئيسى فيه بعنوان «كفيف يتزوج من العالم الآخر، سمير: تزوجتنى جنية رغما عني وجعلتنى أطلق زوجاتى الثلاث ، وملف كامل عن الخرافة فى أوروبا.

***

اختار الباحث أن يعرض بإستفاضة لملامح تجربة جريدة التعويذة رغم أنها ليست ضمن الصحف التى يدرسها، لكنها مع ذلك يمكن أن نعتبرها نموذجا نناقش من خلاله الأساس الفلسفى الذى تعمل من خلاله صحافة الإثارة وذلك من خلال وضع أيدينا على الآليات الآتية:

أولا: ترى صحف الإثارة أنها لا تأتى ببدعة عندما تقدم موضوعات عن السحر والشعوذة والخرافات، فهذا أسلوب متبع فى صحف العالم كله وخاصة الأمريكية والأوربية، رغم أن الخرافة لا تحتل لديهم المكان والمكانة التى تشغلها فى العقلية الشرقية.

ثانيا: لا يأتى إهتمام الصحف بموضوعات السحر والشعوذة من فراغ، لكنه تلبية لإحتياجات قارئ تشغل هذه الموضوعات جزءا كبيرا من حياته اليومية، ويتم التدليل على ذلك بأن المصريين يدفعون حوالى ١٠ مليار جنيه على الخرافة، والعرب مجتمعين يدفعون حوالى ١٣ مليار دولار على الشأن نفسه، ورغم أن الباحث لا يثق كثيرا فى هذه الأرقام إذ كيف يمكن حسابها وحصرها، لكنه لا ينكر أن هناك إنفاقا ضخما على الخرافة، وهو ما يعنى أن الصحف فى هذا الإطار تتعامل مع القارئ على أنه زبون، والزبون لديها

كما لدى غيرها على حق.

ثالثا: تصدر صحف الإثارة معالجاتها لشئون السحر والشعوذة بأنها تفعل ذلك لأهداف مجتمعية فهى تحمى المجتمع من السحرة والمشعوذين الذين يخدعون الناس وينصبون عليهم ويستولون على أموالهم باسم الخرافة، لكن ورغم ذلك يبدو أن ذلك ليس حقيقيا، فالمعالجات الصحفية فى هذا الإطار تأتى فى الغالب لتجعل الخرافة أمرا عاديا ومعتادا، بل تساعد الصحف فى نشر الفكر الخرافى، وتعرف الناس بأماكن الدجالين وطرق الوصول إليهم، وإن كان الباحث ينحاز كما قال سابقا، إلا أن ذلك ليس معناه أن تكون هذه الموضوعات منطقة محظورة لا تقترب منها الصحافة، ولكن عليها أن تدخلها، فعلى الأقل هناك بعض القراء الذين يسيرون فى طريق الخرافات عن جهل ويحتاجون لمن ينير لهم الطريق.

رابعا: يجب على الصحف التى تريد أن تتصدى لمواجهة الفكر الخرافى أن تظهر بداية من عناوينها أنها ضد هذه الأفكار فليس معقولا أن يكون العنوان فى الصفحة الأولى محبذا لهذا الإتجاه ثم تأتى المعالجة فى الداخل مناهضة له، فمعظم القراء يكتفون من الصحف بعناوين الصفحة الأولى.

■ ■ ■

خامسا: النشر العاري

ظهرت أول صورة فو تغرافية فى الصحافة المصرية من خلال جريدة الأهرام التى نشرت فى ٤ من مايو ١٨٨١ صورة فريدينان دى ليسبس[1]، ومن شكل الصورة يتضح أنها طبعت من لوحة خشبية محفورة نقلا عن إحدى الصور أو الرسوم، وبلغت درجة كبيرة من الدقة والإتقان، وقد احتلت هذه الصورة وما يحيط بها من بياض نحو ربع مساحة الصفحة الأولى.

ولا يعنى هذا أن هذه كانت أول صورة على الإطلاق، فقد استخدمت الصور مع الإعلانات، وفى ٢٨ من يوليو ١٩٠٨ نشرت صحيفة «الجريدة» صورة فوتوغرافية لمدحت باشا زعيم الإصلاح الدستورى فى تركيا، ثم ما لبثت الجريدة أن استخدمت صورا فوتوغرافية للأشخاص والأماكن والأحداث المهمة، وتبعتها الصحف الأخرى فى هذا المسلك، فنشرت جريدة «المؤيد»صورة إبراهيم الوردانى قاتل بطرس غالى باشا فى ملحق العدد الصادر يوم ٢١ من فبراير ١٩١٠.

قادت بعد ذلك أحداث الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ إلى أن تكون الصور خاصة لرؤساء الدول المتحاربة ومواقع عمليات القتال من المعالم الأساسية للصحف، وأصبحت الصور أمرا حتميا بعد ثورة ١٩١٩، ولم يكن هذا التطور بعيدا عن حالة النهضة العامة التى كانت تعيشها مصر، فقد شهدت تقدم فنى وصناعى جوهره التصوير فى مختلف نواحيه، إذ ظهرت الأفلام المصرية وانتشرت المجلات المصورة.

وفى العشرينات لعبت جريدة «الأهرام»دورا أساسيا فى تطوير إستخدام الصورة الصحفية، وإن كانت أول صورة نشرت فيها كانت متصلة بالألعاب الرياضية، كانت الصورة شبه مطموسة، لكن بعد شهور بدأت الأهرام فى نشر صور جيدة للأشخاص

---

(١) شريف درويش اللبان، فن الإخراج الصحفى(القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٥)ص ص ١٢٧- ١٣٠.

والأحداث بصفة منتظمة.

وفى المرحلة بين الحربين العالميتين حاول إسكندر شاهين مكاريوس صاحب اللطائف المصورة، أن يصدر جريدة يومية تعتمد على الصورة الخبرية والموضوعات القصيرة، وصدر العدد الأول من الجريدة فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٣١ باسم السيار لكنها لم تستمر لأكثر من شهر، ويفسر شريف درويش ذلك بأنها اعتمدت على الحجم النصفى الذى لم يكن شائعا لتصدر فيه فلم تستطع منافسة الصحف كاملة الحجم.

وظلت الصورة الصحفية فى محاولات دؤوبة للتطور حتى صدرت أخبار اليوم التى كانت ثورة صحفية شاملة على العصر الذى صدرت فيه، كان محمد يوسف هو أول مصور صحفى لها، وصاحب المدرسة التصويرية التى تخرج فيها كثيرون فى التصوير الصحفى، إستطاع محمد يوسف أن يقوم بتمصير فن التصوير الصحفى فى الأربعينات بعد أن ظل مقصورا على مجموعة من المصورين الأجانب والمتمصرين، فقام بتطوير الصورة الصحفية من صورة تذكارية إلى صورة حية مليئة بالحركة.

وقد ساعدت الصورة فى أخبار اليوم على نشر الرياضة وقدمت لقرائها لقطات من المباريات عوضتهم فى كثير من الأحيان عن مشاهدة المباريات ذاتها، وسجلت الصورة الأحداث المهمة والمحاكمات والحوادث الخطيرة.

ومن خلال أخبار اليوم دخلت الإثارة من خلال الصورة الصحفية ولذلك نماذج كثيرة[1]:

-نشرت أخبار اليوم صورة لمصطفى النحاس رئيس الوزراء عام ١٩٥١ وهو يخرج لسانه فى حين تقف زوجته بجواره، وذلك قبل سفر رئيس الوزراء إلى أوربا، وحقيقة هذه الصورة أن مصور صحيفة «المصرى» المعبرة عن الحزب الحاكم فى ذلك الوقت استطاع

---

(١) شريف درويش اللبان، أخبار اليوم مسيرة صحفية فى نصف قرن(القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)ص ٥٢.

أن يلتقط هذه الصورة لرئيس الحكومة، ولم يهن عليه أن تضيع قيمتها الصحفية، فقدمها إلى أخبار اليوم، وكانت تعارض الحكومة وتتهم النحاس بالبله فجاءت هذه الصورة تأكيدا لإتهامها.

- نشرت جريدة الأخبار وهى إحدى صحف أخبار اليوم صورة لسيدة والحبال تطوق عنقها فى ١٧ يونيو ١٩٥٢ على ثلاثة أعمدة بالصفحة الأولى، وكان العنوان أسفل الصورة يقول: أم تشنق نفسها لأنها لا تجد مليما طلبه ابنها، ونشرت الجريدة أسفل الصورة من جهة اليمين صورة أخرى للإبن محمد الذى طلب مليما من أمه فشنقت نفسها لأنها لم تجده.

وينحاز شريف درويش إلى أن الإثارة التى تخلقها الصورة الصحفية فى مدرسة مصطفى وعلى أمين الصحفية تتولد من الحركة والحيوية اللتين تتمتعان بهما الصورة مما يثير القارئ ويدفعه إلى مشاهدة هذه الصور، ومن أمثلة ذلك الصور التى تنشرها الصحيفة فى صفحة الرياضة وكانت هذه الصور تمثل صراعا على الكرة أو صرخة لاعب يتألم بعد إصابته إصابة شديدة وكل هذا يمثل عنصر إثارة للقارئ.

لكن يرى الباحث أنه كان هناك عنصر أكثر إثارة إعتمدت عليه صحف أخبار اليوم، وهو نشر صور المرأة، ويرى شريف درويش[1] أن صحيفة أخبار اليوم اهتمت عند بدء صدورها عام ١٩٤٤ بنشر صور المرأة لتكون بذلك من أوائل الصحف التى تهتم بنشر صور المرأة فى الوقت الذى كان يعد خروجها للعمل أمرا غير طبيعى، وهذا ما كان يمثل إثارة للقارئ فى البداية ولا سيما أن نشر صور النساء فى الصحف والمجلات كان محرما فى الصحافة المصرية فى أواسط العشرينيات.

وفى هذا الإطار تنشر مجلة الكشكول عدد ٦ مايو ١١٩٢٣ ما يكشف حساسية نشر صور المرأة تقول:

(١) شريف درويش اللبان، أخبار اليوم مسيرة صحفية فى نصف قرن، مرجع سابق، ص ٥٣.

«لما نشرت مجلة المجلات الأمريكية صور فريق من السيدات المصريات المحجبات قلنا إن هذا العمل لا يوافق العادات الشرقية والشرع الشريف، وأنه قد يجرؤ غير واحد من أصحاب الصحف المحلية على إعادة نشر الصور فى جريدته ويكون من وراء ذلك ما وراءه، وقد حدث ذلك فعلا، فإن نسيم أفندى فهمى الصحافى رغم أنفه ومدير أشغال جريدة النيل طرق أبواب السيدات صاحبات الصور، وسألهم التكرم بصورهن لنشرها فى جريدته فلم يلبين طلبه، فعمد إلى مجلة المجلات وأكبر ما فيها من الصور وأخذ ينشرها فى جريدته بشكل مشوه قبيح بالرغم من صاحباتها، وكانت صاحبة العصمة حرم شعراوى باشا أول من اعترض على هذا العمل وسألت نسيم أفندى بواسطة الأستاذ الهلباوى بك عن مصدر الرسم، وبعد أخذ ورد أعلن صاحب جريدة النيل اعتذاره عن العمل بفصل بارد ثقيل، ثم طفق ينشر صور السيدات المصريات مكبرة من المجلة الأمريكية تكبيرا مشوها»

ويمنح شريف درويش أخبار اليوم سبق نشر صور المرأة يقول: وهكذا جاءت صحيفة أخبار اليوم لتحطم كل هذه التقاليد البالية التى تقضى بعدم تماشى نشر صور السيدات مع العادات الشرقية والشرع، وتوسعت أخبار اليوم فى نشر صور السيدات عند بدء صدورها بشكل لم يسبق له مثيل، وكانت معظم صورها لا تخلو من إثارة تنبع من جمال نجمات هوليود وفتنتهن.

وواقع الحال أن الباحث لا يستطيع أن يقر بما ذهب إليه شريف درويش فى دراسته، لأن ذلك من بين ما يخالف ثوابت تاريخ الصحافة المصرية، وهناك أكثر من دليل على ذلك:

أولا: فمن خلال إستعراض العدد الأول من مجلة الكواكب الذى صدر يوم الإثنين ٢٨ مارس ١٩٣٢ أى قبل صدور أخبار اليوم ب١٢ سنة كاملة، يتضح أن أخبار اليوم لم تكن صاحبة السبق فى نشر صور المرأة وتحديدا صور نجمات هوليود بفتنتهن وسحرهن،

وذلك كالآتى:

- نشرت الجريدة على الغلاف الأول صورة للسيدة نادرة فى رواية أنشودة الفؤاد.

- وعلى الغلاف الأخير للمجلة نشرت صورة لممثلة من هوليود والتعليق أسفلها: لا ريب فى أن جوان كروفورد لا تستطيع أن تشكو الوحدة أو تسأم الخلوة إذا جلست أمام مرآتها، فهنالك تجد معها أجمل كواكب هوليود

- وعلى الصفحة الثانية فيما يشبه الإفتتاحية نشرت المجلة صورة لممثلة أمريكية وكان التعليق: جانيت مكدونالد تحيى القارئ وتستقبله بابتسامتها التى طالما فتنت الملايين، وأسفل الصورة كتبت المجلة بدون توقيع: نتقدم إلى القراء الكرام بهذه المجلة الجديدة وغايتنا أن نؤدى خدمة للفن ورجاله وأنصاره، فقد أصبح للفنون عموما ولا سيما التمثيل المسرحى والسينمائى شأن كبير فى مجتمعنا الحالى، وقد كنا نخصص لها بضع صفحات فى المصور فضاقت اليوم عن أن تستوعب التقدم المطرد فى هذا الميدان وأن تسجل كل ما يجد من تطورات فى مناحيه المختلفة، لذلك رأينا أن نخصص لهذه المباحث مجلة الكواكب وهى إبنة المصور درجت بين أحضانه وسوف تقتفى خطواته فى سبيل الخدمة العامة، وإننا نعاهد القراء أن نكون دائما عند ظنهم فى تشجيع كل حركة شريفة تقوم بيننا وأن نتوخى سبل الرقى الصحيح التى تلائم مجتمعنا وتوافق عاداتنا وأحوالنا بإذن الله.

- وفى الصفحة ١٨ تنشر المجلة صورة بكامل مساحة الصفحة للممثلة سلفيا سيدنى ، وعلى الصورة تعليق تحت عنوان: تحت ظلال النخيل....وتقول المجلة: هل تستطيع أن تقاوم فتنة سلفيا سيدنى كوكب السينما الذى أشرق حديثا فى هوليود وهى ترنو إليك فى إبتسامة ملؤها السحر ونظرة ملؤها الإغراء.

معنى ذلك أن أخبار اليوم لم تكن صاحبة السبق، وإذا كانت نشرت صور نجمات هوليود فإن الكواكب فعلت ذلك، وإن لم تقدمه فى إطار موضوعى، فقد نشرت الصور

من باب جمالى وليس موضوعى، مثل صورة الممثلة التى نشرت فى الصفحة الثانية وهى تبتسم لا لشئ إلا لتقول المجلة أنها تحيى القراء فى العدد الأول.

ثانيا: وقبل أن تصدر مجلة الكواكب بسنوات وتحديدا فى منتصف العشرينات[1] كانت الصحف الفنية تنشر بعض الأغلفة النسائية التى تتصف بشئ من العرى والحركات الراقصة والنظرات التى لا تخلو من دلال ونداء، ولكن كان يخفف من وقعها الإختلاق الذكى لمناسبة نشرها والتعليق الذى يحاول أن يحمل صفة الجد والتقعر أو العمق الفنى محاولا مخاطبة التسامى الفنى وليس الحس الملموس.

ففى مجلة المسرح على سبيل المثال، لم تكن تخلو رغم رسالتها الجادة ودورها البارز من الصور العارية، وكانت الصورة تنشر على الغلاف، فعلى غلاف عدد ١٦ مارس ١٩٢٦ نشرت المجلة على الغلاف صورة للسيدة روزاليوسف ونصف صدرها عار والعقد موضوع بطريقة معكوسة على الظهر بدلا من الصدر، وعلى غلاف عدد ٢ مايو ١٩٢٧ نشرت المجلة صورة غلاف بالبكينى ذى القطعتين مع إجراء الحركة الراقصة التى تحقق الإثارة المطلوبة، وكانت لإحدى الآنسات الراقصات بفرقة الريحانى.

لقد تغلبت الصحافة على تقاليد المجتمع الذى كان يرفض نشر صور المرأة بأن حجبت صور سيدات المجتمع وإختارت أن تنشر صور الممثلات سواء كن من هوليود أو ممثلات مصريات، وهو ما يعنى أن المجتمع لم يكن يرفض نشر صور المرأة على إطلاقها، لكنه كان يرفض أن يحدث ذلك مع نساء العائلات، وهو ما يعكس نظرة فوقية كان المجتمع ينتهجها مع الفنانات، فصورهن وكذلك أجسادهن مستباحة.

وفى تقرير الممارسة الصحفية[2] أن الصحف القومية احتلت المركز الثانى فى ملاحظة

(١) أحمد المغازى، التذوق الفنى والفن الصحفى الحديث(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ص ١٦٥.

(٢) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الممارسة الصحفية لعام ١٩٩٩، ص ٤٥.

عدم مراعاة الآداب العامة والذوق العام، وهى ملاحظة تنقسم إلى شقين الأول هو نشر ألفاظ وكلمات لا تناسب الذوق العام والثانى هو نشر صور غير لائقة.

أرجع التقرير ذلك إلى أن معظم هذه الصحف تنتمى إلى شكل المجلة التى تحاول أن تنافس على القارئ وجذب إنتباهه إلى الغلاف والصفحات الداخلية بأساليب قد تعمد أحيانا إلى الإثارة، من خلال صور الفنانات المثيرة على الأغلفة والصور المصاحبة لبعض الموضوعات التى تتحدث عن الحب والعلاقات بين الجنسين ولا سيما فى المجلات الإجتماعية أو مجلات الأسرة.

قدم التقرير عدة نماذج لهذه الصور كالتالى:

أولا: مجلة حريتى[1] فى عدد ٢٤ يناير١٩٩٩ نشرت صورة غير لائقة للمذيعة البريطانية دينيس فان وكانت الصورة مصاحبة لخبر بعنوان السهر يفيد الجسم ، وفى ٣١ يناير نشرت صورة غير لائقة لشارون ستون وإليزابيث هيرلى مصاحبة لموضوع عنوانه: أسرار الرشاقة ترويها النجمات.

ثانيا: فى مجلة حريتى أيضا وفى عدد ١٤ فبراير ١٩٩٩ صور الغلاف والصور المصاحبة لتقرير بعنوان الحسناء العارية أحدث صيحة لمكافحة السرعة، وذلك فى العدد نفسه الذى تضمن أيضا صورة على الصفحة ٢٨ مصاحبة لخبر بولا تحت المراقبة ، كما تضمن العدد ثلاث صور غير لائقة نشرت على الصفحة ٦٢ مصاحبة لتقرير بعنوان: عودة القطة المتوحشة ...سامنتاوكس سبقت مادونا فى الإثارة.

ثالثا: فى جريدة صوت الأمة[2] عدد ١٤ فبراير ١٩٩٩ نشرت الجريدة على الصفحة الأخيرة موضوعا جاء فيه: خد بالك وانت بتتعامل مع الإنترنت ممكن تشوف صورة

---

(١) حريتى..مجلة حكومية تصدر بدورية أسبوعية عن دار التحرير وهى مجلة إجتماعية فنية.

(٢) صوت الامة...جريدة خاصة تصدر عن شركة صوت الأمة بدورية أسبوعية بترخيص من المجلس الأعلى للصحافة وهى جريدة سياسية عامة.

مش حلوة مجانا أو بفلوس ونشر مع الموضوع ٣ صور غير لائقة لعناق وقبلات بين رجال ونساء.

رابعا: فى مجلة صباح الخير[١] يشير التقرير إلى أن المجلة نشرت فى أول إبريل ١٩٩٩ على الصفحة ٤٢ صورة خادشة للحياء والذوق العام، وكانت هذه الصورة مصاحبة لموضوع عنوانه: على شاشة القناة الرابعة بالتليفزيون البريطانى : جنس بلا حدود ، كما نشرت المجلة فى عدد ٢٢ إبريل على صفحتيها ٤٤و٤٥ صورا خادشة للحياء ومصاحبة لتحقيق بعنوان: إسرائيل وكتابة التاريخ بالنهود.

خامسا: جريدة النبأ[٢] نشرت فى عدد ١٨ إبريل ١٩٩٩ موضوع بعنوان أسرار جديدة تنشر لأول مرة عن الفياجرا ونشرت الجريدة صورة لإمراتين ورجل وعلى وجوههم تعبيرات جنسية واضحة.

سادسا: مجلة نصف الدنيا[٣] نشرت فى عدد ٢٣ مايو ١٩٩٩ على الصفحة ٩٦ صورة غير لائقة للممثلة باميلا أندرسون فى موضوع عنوانه : آخر تقاليع حشو الثدى ...ثدى بالصويا وآخر بالجيلى والسكر.

سابعا: جريدة المواجهة[٤] نشرت فى عدد ٢٩ يونيو عدة صور غير لائقة لموضوع بعنوان عاملة السوبر ماركت التى أصبحت أجمل نجمات هوليود.

---

(١) صباح الخير: مجلة حكومية تصدر عن مؤسسة روزاليوسف بدورية أسبوعية، وهى مجلة شبابية إجتماعية.

(٢) النبأ : جريدة خاصة تصدر عن شركة النبأ بدورية أسبوعية بترخيص من المجلس الأعلى للصحافة وهى جريدة عامة.

(٣) نصف الدنيا...مجلة حكومية تصدر عن مؤسسة الأهرام بدورية أسبوعية وهى مجلة نسائية إجتماعية.

(٤) المواجهة...جريدة حزبية تصدر برخصة عن حزب الأحرار بدورية أسبوعية وهى جريدة عامة.

ثامنا: مجلة الكواكب[1] رصد التقرير أنها نشرت فى عدد ١٢ أكتوبر على الصفحتين ٣٤و٣٥ عددا من الصور غير اللائقة لإحدى الممثلات الأمريكيات ، وكانت هذه الصور مصاحبة لموضوع عنوانه«صاروخ الإثارة القادم»، وفى عدد ١٩ أكتوبر نشرت المجلة على صدر غلافها صورة غير لائقة أخرى وتكررت هذه الممارسة على صدر غلاف عدد ٢٦ اكتوبر عندما نشرت المجلة صورة لكلوديا شيفر عارضة الأزياء الشهيرة وكان العنوان المصاحب للصورة يقول: عندما اخلع ملابسى أكون سعيدة وأشعر بأنوثتى.

حتى هذه المرحلة كان التقرير يكتفى بوصف الصور العارية بأنها غير لائقة، وهو فى النهاية تعبير مطاط لا يمكن حصره فى معايير معينة، فما يعتبره البعض غير لائق يمكن أن يعتبره البعض لائق جدا ولا عيب فيه.

لكن تقرير الصحافة الصفراء فى مصر[2] أشار إلى الصور بوصف العارية، حيث اعتبر أنه من المؤشرات والمعايير لتوصيف صحافة الإثارة نشر الصور الفاضحة التى تزداد فيها مساحات العرى بما يتنافى والأخلاقيات العامة فى المجتمع، وتوزع الصور على مختلف الصفحات دون النظر لأية إعتبارات فنية أو موضوعية ترتبط بعلاقة مع الصورة المنشورة بالموضوعات المصاحبة لها.

لكن هذا لم يمنع أن تثار فى أحد إجتماعات اللجنة المشكلة لإعداد التقرير مسألة الصور العارية[3]، وكان من رأى الدكتور فاروق أبو زيد أنه لا تجب المبالغة فى إعتبار الصور التى تنشرها الصحف عارية، فهناك صور تكون بها أجزاء من جسد المرأة مكشوفة، لكن لا يمكن إعتبار الصورة عارية ولا يمكن أن تؤخذ كملاحظة.

وللباحث فى واقع الأمر رؤية مهنية فى مسألة نشر الصور العارية فى الصحف يمكن أن

(١) الكواكب...مجلة حكومية تصدر عن دار الهلال بدورية أسبوعية وهى مجلة فنية.

(٢) المجلس الأعلى للصحافة، الصحافة الصفراء فى مصر، مرجع سابق، ص ١٤ .

(٣) إجتماع حضره الباحث فى مقر المجلس الأعلى للصحافة ورأس الإجتماع الدكتور فاروق أبو زيد.

يلخصها على النحو التالى:

أولا: الصور التى تنشرها الصحف ورغم أنها تكون عارية إلا أنها لا تكون فى واقع الأمر كذلك ، فالعيون التى تراها كذلك هى العارية، والعقول التى تستقبلها بحالة غير طبيعية من الهياج الجنسى المفضوح هى العارية.

ثانيا : رد الفعل الذى يصل لدرجة الهستيرية لنشر الصور العارية يكشف عن عقلية ذكورية لا ترى فى المرأة الا صدرا وأفخاذا وأداة جنسية فقط لاغير ، فصور الرجال العارية وهم على الشواطئ لا يعترض عليها أحد مثلا.

ثالثا: قد تكون الصورة حتى لو كانت عارية خبرا صحفيا فى حد ذاته، والأمثلة على ذلك كثيرة فصور الأميرة ديانا وهى على يخت دودى الفايد وهى بالمايوه البكينى لا يمكن النظر إليها على أنها صور عارية بقدر النظر إليها على أنها قصة خبرية تستحق النشر، أو صورة بنازير بوتو التى نشرت عقب إغتيالها مباشرة وهى فى مراحل دراستها الأولى وكانت ترتدى المينى جيب الذى يكشف عن ساقيها.

هذه الصورة تحديدا كان الباحث وراء نشرها[1] وكانت له مبررات مهنية فى ذلك، نشرها فى العدد التالى لنشر الصورة[2] وجاء فيها:

الصحافة تبحث طول الوقت عن خبر، وهو ما دفعنا تحديدا لنشر هذه الصورة التى كانت خبرا مكتمل الأركان، إن القارئ ليس فى مصر وحدها ولكن في العالم كله وبعد لحظات من إغتيال بنازير كان يريد أن يعرف كل شئ عنها ولأنه قارئ نهم وطماع فانه لا يملأ عينه شئ الا الجديد والغريب والمثير أيضا، لم نهتم ما إذا كانت الصورة عارية أم لا، لأننا فى الحقيقة لسنا مرضى، لكن رأينا أنها صورة ليست معروفة أو مشهورة لزعمية سياسية كانت تعتبر نفسها كما قالت ملكة سبأ العالم الاسلامى.

---

(١) جريدة الفجر، عدد ١٣٣ ، بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧ .

(٢) جريدة الفجر، عدد ١٣٤ ، بتاريخ ٧ يناير ٢٠٠٨ .

وقد يسأل القارئ : ألم يكن من الافضل أن يؤجل نشر الصورة قليلا محافظة على مشاعر العالم الاسلامى فهى لم تكن قد دفنت بعد؟والإجابة بسيطة فالصحافة الحقيقية لا تنتظر ولو كنت منصفا حقا لا حسبتنا على التأخير وليس على المبادرة بنشر الصورة، هذه واحدة.... ثم أننا لو كنا نشرنا الصورة بعد فترة من وفاتها كما تقول لما نقصت حالة الهجوم بل كانوا سيقولون لقد ماتت وهذا انتهاك لحرمة الموتى، ففى كل الحالات كنا سنلام ولذلك فعلنا ما نعتقد أنه واجبنا المهنى.

هذه الرؤية لا تجعل الباحث موافقا على نشر الصور العارية على إطلاقها بل هناك معايير تحدد ذلك، وإذا كان نجاد البرعى يرى[1] أنه لا يجوز للصحف بوجه عام عدم الإعتماد على الصور الفاضحة لزيادة التوزيع، كما لا يجوز لها استخدام ألفاظ مبتذلة لضمان الإنتشار، ولا يسرى هذا المنع على الصحف التى تعلن أنها صحف جنس، فرغم أن تجارة الجنس عن طريق الإعلان أمرا غير مستحب إلا أن فكرة منع الصحف من نشر الصور الفاضحة لا دخل لها بقيم الفضيلة ولكنها موضوع مهنى، فلا يجوز لجريدة تدعى أنها جريدة سياسية أن تدس بين صفحاتها صورا خادشة أو تستخدم ألفاظا ذات طبيعة توحى بالإثارة، فيجب على كل من يتقدم لشراء صحيفة ما أن يعرف على وجه القطع مضمون مادتها التحريرية بشكل عام.

وإذا كان محمود أدهم[2] يرى أنه من سلبيات استخدام الصورة فى الصحافة أنها تتيح الفرصة لنشر الصور الخليعة والماجنة وصور العرى والفجور والإباحية،بتأثيرها الضار على أفراد المجتمع وعلى أركانه وعمده الأساسية وعلى قيمه ومبادئه، خاصة على الشباب والمراهقين والأطفال.

فإن الباحث يرى أن نشر الصور العارية ليس مخالفة مهنية فى حد ذاته، فهو آلية من

(١) نجاد البرعى، جرائم الصحافة والنشر، مرجع سابق، ص ١٦.
(٢) نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان (القاهرة، الهئية المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣) ص ١٦٣.

آليات صحافة الإثارة لجذب القراء، لكن السؤال:

هل هذا النشر يتم بمبرر أم لا؟

لقد اعتادت صحف الإثارة أن تنشر صورا لنساء جميلات عاريات على الصفحات الأولى وفى الصفحات الداخلية دون أن تكون لهذه الصور أدنى علاقة بالموضوع المنشور، وهنا تتحول الآلية إلى مخالفة صحفية صريحة لا يمكن التغاضى عنها، وقد وضحت هذه المخالفة فى الصحف المصرية بأنماطها الثلاثة الحكومية والحزبية والخاصة، وإن كان للباحث على إنتشار هذا النمط فى الصحف الحزبية ملاحظة فإنه يوضحها فى التالى:

إن الصورة الصحفية تفرض ضرورة نشرها حتى لو كانت عارية، لكن فى الأغلب الأعم تنشر الصور العارية لذاتها، والنموذج واضح فى الباب الإخبارى الذى تنشره مجلة روزاليوسف وهو اليوم الثامن، تحرص المجلة على نشر خبر عن فنانة أو ممثلة أو راقصة وإلى جوار الخبر صورة شبه عارية لصاحبته، وقد يكون الخبر لا صلة له بعرى الفنانة، لكن تنشر الصورة عارية وكأنها وحدة مستقلة عن الخبر.

وقد ظلت المجلة لسنوات طويلة، تقريبا طوال عقد التسعينات تعتمد على صور ممثلات هوليود، فلم تكن من الممثلات الجديدات فى السينما المصرية من تمتلك صورا مغرية، لكن هذه المشكلة تم حلها بالنسبة لروزاليوسف وغيرها من الصحف بظهور جيل المطربات الجديدات الوافدات من لبنان، حيث أصبحت المجلة تكتفى فى هذا الباب بصورهن.

هنا هذا النشر العارى ليس له ما يبرره على الإطلاق، فهو من أجل جذب عين وغريزة القارئ، وما يؤكد ذلك أن المجلة تفعل ذلك بوعى هو أنها خصصت لهذه الصفحات الملزمة الملونة، فالصور العارية وحدها تكفى لجذب الإنتباه، لكن عندما تنشر ملونة فإنها تكون أكثر إثارة وتشويقا، الأمر نفسه يتكرر فى مجلة حريتى، التى كانت تنشر صورة عارية على غلافها لممثلة أجنبية أو حتى صورة لإمراة مجهولة ومغمورة، المهم أن تكون

عارية حتى لو لم يكن لها علاقة بموضوع الغلاف أو ليس لها أى موضوع داخلى يبرر وجودها.

وهنا يبرز سؤال آخر: هل من حق الصحف السياسية أن تنشر صورا عارية فى صفحاتها؟هذا السؤال مرتبط بما طرحه نجاد البرعى من أن القارئ عليه أن يعرف على وجه القطع مضمون مادة الصحيفة التحريرية بشكل عام، وكأنه يريد أن يخصص صحفا للصور العارية يكون مقبولا منها أن تفعل ذلك، لكن الصحف السياسية لا يجب أن تقترب من هذه المساحة وإلا يكون ذلك خروجا عن مقتضيات عملها ورسالتها.

وهو كلام تنقصه الدقة فالصحف السياسية فى النهاية تهتم بالقارئ بشكل عام، وإذا كان هناك ما يدعو إلى نشر هذه الصور فلا مانع مهنى من ذلك.

إن الصحف السياسية التى تدخل تحت مظلة صحف الإثارة مثل الدستور وصوت الأمة والفجر وخلال الفترة منذ أواخر تسعينات القرن العشرين توسعت فى نشر صور الأفراح وصور العائلات الكبرى على شؤاطى الساحل الشمالى تحديدا، وهى فى الغالب تكون صور عارية، حيث يتبارى أبناء هذه الطبقة ليس فى أن يعيشوا حياة الرفاهية ولكن فى التعبير عن هذه الحياة بكل أشكالها، ولم تقدم هذه الصحف على النشر بهذه الطريقة لمجرد أن الصور عارية فهناك أكثر من دلالة لنشر الصور العارية:

أولا: تكشف الصحف من خلال هذه الصور ملامح طبقة جديدة تكونت فى مصر وأصبح ثراءها محيرا، فلا أحد يعرف من أين لها بكل هذه الثروة التى ينفقها أبناؤها دون حساب.

ثانيا: تداعب الصحف قراءها من المواطنين البسطاء على خلفية أخلاقية فعرض الصور العارية بهذه الطريقة يبعث على الراحة والإطمئنان فى نفوس المواطنين العاديين حيث المعنى واضح، فهذه الطبقات لابد أن تكون فاسدة وأموالها من حرام ولذلك فهم ينفقونها بكل هذا السفه، أما القارئ العادى فما أجمله لأنه ليس فاسدا ولا يقدم على مثل

هذه السلوكيات غير الأخلاقية.

لكن مع ذلك يذهب نبيل عبد الفتاح[1] إلى تحميل نشر الصور العارية دلالات تنوء عن حملها جبال الصحف.

فتحت عنوان: النشر الفضائحى والعنف اللغوى والدلالى فى الخطاب الصحفى السائد فى مصر، يرى أن النشر العارى الذى يطلق عليه البورنوجرافى فى الصور واللغة والنزعة التهتكية أصبح يمثل أحد مكونات السياسة التحريرية فى بعض الصحف والمجلات المصرية طلبا للترويج السهل ولتنشيط الإعلانات أو الإبتزاز والتشهير والتحريض، البعض يعدها بخفة وعدم تبصر توابل إثارية هدفها تحقيق الرواج، لكن نحن إزاء نمط تحريرى ساد وامتد إلى بعض الصحف القومية.

ويشير عبد الفتاح إلى أن الإدانة الأخلاقية للنشر الإثارى مطلوبة ويسيرة والأهم هو تحليل ما وراءها، وأن القيود القانونية أو السياسية عليها لن تحول دون تدفق الصور العارية والكتابات الإثارية، فثمة نمط من الخطابات الشفاهية والكتابية تنطوى على المساس بالعقائد والأديان والرموز والمؤسسات الدينية عبر شبكات إتصالية كالأنترنت والموبايل.

ويحدد عبد الفتاح المرامى المتغياة من السياسة التحريرية الإثارية والتزوع إلى ترويج العرى واللغة الفظة والخشنة التى تدخل ضمن دائرة التجريم الذى يستهدف هذا النمط الإثارى فى ثلاثة أهداف هى:

أولا: النفاذ إلى قلب الحياة العامة وتحقيق مكانة سريعة نظرا للجمود الذى يعترى آليات الحراك داخل النخبة السياسية والإعلامية.

ثانيا: سرعة الترويج للمطبوعة بهدف الإبتزاز المالى والمعنوى لبعض الشخصيات العامة ورجال الأعمال والتجار.

---

(١) المصدر السابق .

ثالثا: إضعاف تأثير صحف المعارضة والكتابات النقدية التى تدور حول السياسيات العامة أو الظواهر السياسية والإقتصادية والإجتماعية التى تعكس إختلالات فى الهياكل القومية والنظام الإجتماعى.

واقع الحال أن هذه رؤية نظرية بحتة لدوافع نشر الصور العارية، فالهدف المهنى منها حتى الآن فى الصحافة المصرية هو زيادة التوزيع والترويج للصحيفة ليس أكثر من ذلك، لكن ترجمة نشر الصور العارية وإحالتها على أهداف أخرى هو أمر يعتقد الباحث أن الصحافة المصرية لم تدركه أو تعيه بعد، فإذا كانت هذه الصحف الخاصة التى تنتهج هذا الإسلوب من أجل إبتزاز رجال الاعمال، فلماذا دخلت صحف الحكومة على نفس الخط ...هل من أجل الإبتزاز أيضا؟

إن نشر الصور العارية فى الصحف المصرية على إختلاف أشكالها ليس سوى آلية لزيادة التوزيع فى ظروف سوق يعانى من الركود ويعتبر التوزيع فيه حلما بعيد المنال.

■ ■ ■

سادسا: آليات نشر الجريمة

من الركائز الأساسية لصحافة الإثارة[1] التركيز على نشر مضامين الجرائم ذات الطابع الجنسى والشاذ، مع المبالغة غير المبررة فى نشر التفاصيل الخاصة بنوعية هذه النوعية من الجرائم كشبكات الدعارة وزنا المحارم والشذوذ الجنسى ومن خلال تخصيص غالبية مساحات صفحات الحوادث والجريمة لمثل هذه المضامين واللجوء إلى استخدام بعض الأوصاف والتعبيرات المبتذلة والمنافية للذوق العام.

معنى ذلك أن نشر مادة الجريمة فى حد ذاته أمر مطلوب وله أهدافه المهنية والتحريرية، لكن الإشكالية فى الآلية التى تستخدمها الصحف فى نشر الجريمة، فمادة الجرائم من المواد التى تركض خلفها الصحف[2]، فهى فى جزء منها لون من ألوان نشر الفضائح، كما أن الجريمة بما تحمله من إثارة تساعد على زيادة مبيعات الصحف، بل إن هناك الكثير من الصحف تخصص أكثر من صفحة يومية أو أسبوعية لنشر أنباء الجرائم فضلا عن صدور بعض الصحف المتخصصة فى نشر أنباء الجريمة.

ومن المفارقات التاريخية أن أول نشر لمواد الجريمة حدث فى جريدة الوقائع المصرية [3]، ففوق سبقها فى الصدور كأول جريدة مصرية صدرت عام ١٨٢٨، فقد كان لها سبق نشر أخبار الجرائم والحوادث التى شهدها المجتمع المصرى.

كان أول خبر عن جريمة تنشره الوقائع يدور حول رجل يعذب زوجته بقطع أجزاء من جسمها كل يوم جمعة كأنفها وأذنيها وشفتيها، وكان أول خبر عن جريمة ترتكبها إمراة نصه: «سرقت السيدة مبروكة خمسة أصحن من منزل محمد أغا وتمت معاقبتها

(١) المجلس الأعلى للصحافة، الصحافة الصفراء فى مصر، مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) نجاد البرعى، جرائم الصحافة والنشر، مرجع سابق، ص ١٦.

(٣) أحمد محمد المنزلاوى، الصفحات المتخصصة فى الصحافة المصرية، دكتوراه غير منشورة (كلية الإعلام، قسم الصحافة، ١٩٩٢)ص ٤٢.

بإرسالها إلى بيت الإمام لتحبس فيه ثمانية عشر يوما».

وهى فى النهاية حوادث مثيرة، وكأن القاعدة التى أرادت أن تضعها الصحافة المصرية وهى تخط الخط الأول فى نشرها لأخبار الجريمة أن يكون الخبر مثيرا وجذابا ويحمل فى ثناياه عناصر الجذب الإنسانى والجماهيرى.

لكن هذه الجاذبية التى يجب أن تتمتع بها مواد الجريمة لا تنفى أن هناك وظائف معينة يقوم بها نشر مواد الجريمة ويمكن تقسيمها إلى وظائف إيجابية وأخرى سلبية:

أولا: الوظائف الإيجابية[1]: حيث يجب أن تلعب صحافة الجريمة دورا فى تنظيف المجتمع من الفساد وذلك بأن تلاحق حالات الإنحراف والفساد فى المجتمع، وتقوم بتنبيه المجتمع لخطورة ما يحيط به من أخطار خاصة عندما تتمثل هذه الأخطار فى بعض الظواهر الإجرامية التى تقع فى المجتمع دون أن يلتفت إليها أحد، وهذه الظواهر تفرض على الصحافة دورا يتمثل فى كشفها والتصدى لها قبل أن تتحول إلى وباء إجتماعى يصعب علاجه بعد ذلك، ولعل ما قامت به الصحافة فى الكشف عن ظواهر إجرامية مثل إنتشار المخدرات وكشف مخططات بعض الجماعات المتطرفة يعطينا مؤشرا لما يمكن أن تقوم به الصحافة فى هذا الصدد، ويمكن أن تقوم صحافة الحوادث أيضا بتثقيف القارئ وتحديدا من الناحية القانونية وذلك بنشرها لنصوص القوانين وأحكام القضاء فى قضايا يمكن أن يتعرض لها المواطن، وكان من الممكن ألا يقع فيها إذا ما أمدته الصحيفة بالحكم القانونى.

ثانيا: الوظائف السلبية[2]: ويمكن أن تتمثل فى نشر الشائعات من خلال النشر

(١) محمد الباز ومحمد إسماعيل زاهر، ورقة بحثية بعنوان "القيم الثقافية فى صفحات الجريمة بالصحف المصرية، ندوة ثقافة ووسائل الإعلام العربى وتشكيل الهوية، مركز البحوث العربية، القاهرة، من ٨ إلى ٩ نوفمبر ٢٠٠٠.

(٢) أمل دراز وسحر فاروق، أخلاقيات نشر مادة الجريمة فى الصحافة المصرية، دراسة تحليلة وميدانية على عينة من الصحف والقائمين بالإتصال، المؤتمر العلمى السنوى التاسع لكلية افعلام، ٢٠٠٣.

المجهـل لمصـدر المـادة أو الفاعـل، والخـروج عـلى الآداب العامـة للمجتمـع، واخـتراق الخصوصية ونشر المعانى الزائفة من خلال إستخدام العناوين المضـللة والمثيرة والمتحيزة، وكلها لا تصب فى وظائف الصحافة بقدر ما تصب فى المخالفات والتجاوزات التى تقع فيها الصحف.

بتأثير هـذه الوظـائف السـلبية تـدخلت يـد المشرع لتنظم عمليـة نشر مـواد الجريمة[1] فالتغطية الصحفية للجرائم والإجراءات القانونية تمثل إحدى الضمانات التى تكفل حمايـة الحقوق والحريات وسيادة القانون وحماية القضاء من إحتمالات التحيز والهـوى، ومـن ثـم فإن علانية الإجراءات القانونيـة ونشرهـا تحقـق رقابـة الـرأى العـام عـلى سـير العدالـة ولا تنتقص من إستقلال القضاء أو هيبة القضاة.

ولما كانت المادة ٦٧ من الدستور تؤكـد أن المتهم بـرئ حتـى تثبـت إدانتـه، فـإن المشرع حـدد الضـمانات والشروط التـى تفـرق بـين الـنشر المبـاح والـنشر المجـرم، وهـى نفـس الضمانات الواردة فى ميثـاق الشرف الصـحفى، وتتمثـل فى ضـوابط الـنشر عـن الجـرائم فى الإبتعاد عن النشر المؤثر على سير العدالـة، وعـدم الـنشر بسـوء قصـد، وعـدم نشر أسـماء وصـور المتهمـين فى جـرائم الإغتصـاب والزنـا والطـلاق والأحـداث، وعـدم التوسـع فى إجراء تحقيقات صحفية مع أطـراف القضـية أثنـاء نظرهـا، وألا يـتم الـنشر بشـكل مثـير لا يتناسب مع حجم القضية وأهميتها.

بهذا التصور تقتصر دائرة النشر المباح على نشر ما يصدر عن جهات التحقيق وما يدور فى الجلسات العلنية للمحاكم والجرائم الهامة التى تستوجب طبيعتها إعلام الرأى العام بما يجرى من تحقيقات تأكيدا لنزاهة التحقيقات وردعا للمجرمين والمنحرفين.

لكن وكما يرصد تقرير ١٩٩٩ لممارسات الصحافة المصريـة ، فـإن المراقـب لمـا يـنشر فى الصحافة المصرية عن الجريمة يلاحظ إبتعاد بعض الصـحف عـن الغايـة الإجتماعيـة التـى

---

(١) تقرير الممارسة الصحفية لعام ١٩٩٩، مرجع سابق، ص ٥٩.

توخاها المشرع فى النشر المباح، وعدم الإلتزام بآداب نشر الجريمة وتوظيف أبواب الحوادث والقضايا كآلية من آليات إستقطاب القراء وزيادة التوزيع، الأمر الذى يحول المادة الصحفية إلى عنصر جذب وإثارة وتشويق وتسلية، بدلامن أن تكون مصدرا لإستخلاص الدروس والعبر ووسيلة لردع 'المجرمين والمنحرفين.

إن الصحافة عندما تتعامل مع الجريمة فهى بالنسبة لها[1] حدث غير مألوف لا يتفق مع الناموس الطبيعى للحياة، ولهذا السبب فإن كثيرا من الجرائم تستحق أن تتحول من حدث إلى خبر ينشر فى الصحف، إذ أن كل حدث ليس بالضرورة أن يصير خبرا، فالحدث يظل مجرد حدث ولا يتحول إلى خبر إلا حين ينشر ويذاع، ففى العالم تقع كل يوم ملايين الأحداث ولكن لا يرقى من هذه الأحداث إلى مرتبة الخبر إلا تلك الأحداث التى تستحق أن تنشر فى الصحف أو تذاع فى الراديو أو من التليفزيون، فقيمة الحدث تتحدد بمدى قابليته للنشر.

وقابلية الحدث للنشر كانت تتحدد فى ضوء من المعايير والمحددات حرصت الصحف على التأكيد عليها فيما تنشره من أخبار الجرائم، فالجريمة يجب أن تكون مرتبطة بالأشخاص المشهورين، ويجب أن تكون الأماكن التى وقعت فيها الجريمة معروفة للقراء، كما أن ضحية الحدث يجب أن يكون معروفا ومحددا، ويراعى أن يتم الإهتمام بإبراز الظروف غير المألوفة التى تمت فيها الجريمة، كما يجب أن تتضمن الجريمة التى تنشر على القراء بعض الجوانب الإنسانية أو العاطفية التى تمس الناحية العاطفية عند القارئ والتى تضمن إنجذاب القارئ واهتمامه بالجريمة المنشورة[2].

هذه المحددات لم تعد هى الأساس فى التغطية الصحفية رغم حرص الصحف عليها، لكن الصحف تهتم أيضا بالجرائم والحوادث التى يرتكبها مواطنون عاديون وفى أماكن

(١) فاروق أبو زيد، الصحافة المتخصصة(القاهرة ، عالم الكتاب، ١٩٨٦)ص ١٣٠.

(٢) فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص ١٣٤.

قد تكون مجهولة تماما للقراء، لكنها كانت مسرحا للجريمة، والصحيفة عندما تفعل ذلك تقوم بمهمة تعريف القارئ بالمشتركين فى الجريمة«جناة وضحايا»، وبالمكان الذى ارتكبت فيه الجريمة وبالظروف التى أدت إليها، فالجرائم ليست تلك التى يرتكبها المشاهير فقط، فالجريمة فى النهاية هى كل خرق للقوانين كالقتل والخطف والإغتصاب وجرائم العرض والشرف والسرقة والإختلاس والتبديد والسب والقذف والإنحراف بالسلطة واستغلال النفوذ والمنصب والتحايل على القوانين.

ويتسع مفهوم بعض الصحف للجريمة بحيث يغطى حوادث التصادم حتى لو لم يكن وراءها قصد إجرامى، وهى فى ذلك مثل حوادث الغرق والإنتحار وسقوط المبانى وتحطم الطائرات وتصادمات القطارات والحرائق، وهذه الجرائم يرتكبها مواطنون عاديون كما يمكن أن يرتكبها مشاهير، فمعيار الشهرة ليس هو الأهم وإن كانت الجريمة التى تجرى على يد أحد المشاهير لها وقع مختلف وتأثير قوى وقدرة على إثارة القراء وجذبهم للمتابعة وتحفيزهم على شراء الجريدة لمعرفة الجديد عن الجريمة.

إن هناك إشارة واضحة لنقلة نوعية فى صحافة الجريمة جرت على يد صحافة الإثارة فى مصر، ويقصد تحديدا ما أضافته أخبار اليوم إلى معالجة صحافة الجريمة، كانت صحافة الجريمة قبلها تنحو إلى الفبركة وإختلاق الوقائع، بل إن بعض من عملوا مع مصطفى أمين كانوا يعتمدون على الفبركة أكثر من تحرى الدقة والواقعية فى نقل أخبار الجريمة.

ويحكى محمود صلاح[1] أن محرر الحوادث كامل الدغش الذى كانت تعتمد عليه أخبار اليوم كان محترفا فى الفبركة الصحفية، وكان مصطفى أمين يعرف ذلك، فأراد أن يسخر منه، استدعاه إلى مكتبه وقال له لماذا تأخرت فى تغطية حادث مصرع سفير بلغاريا وهو يعبر كوبرى قصر النيل، فرد الدغش فى الحال بأن تفاصيل الحادث لديه، فطلب منه مصطفى أمين أن يكتبه ويقدم الصور.

(١) محمود صلاح، مقابلة خاصة معه فى مكتبه.

على الفور أخذ الدغش معه أحد المحررين الذى كان يعمل تحت التمرين وجعله ينام تحت الكوبرى وغطاه بالجرائد وصوره على أنه القتيل، وكاد مصطفى أمين أن يضربه وقال له المقولة الشهيرة التى صارت مثلا فى أخبار اليوم: هو السفير جزمته مخرومة، لأن المحرر الذى تم تصويره بدت جزمته فى الصورة وكانت مخرومة.

قام تناول مادة الجريمة فى أخبار اليوم وهو الأسلوب الذى تتبعه حتى الآن، على أ، الإثارة فى الموضوع نفسه، فالصحف على سبيل المثال تجرى حوارات مع أوائل الثانوية العامة، لكن أخبار اليوم تفكر فى أن تجرى حوارا مع الطالب الأخير بل وتسأله نفس الأسئلة التى تطرح على الطلاب الأوائل.

كان التركيز كما يروى محمود صلاح على الحوادث الغريبة أكثر من جرائم العنف، ويضرب مثلا على ذلك أنه كان يهتم مثلا بحادثة المسئول عن مدفع الإفطار فى رمضان الذى انفجر فيه المدفع، حيث بحث فى قصته كاملة وعرضها على القراء، وعندما حملها إلى مصطفى أمين قال له أن القصة رائعة لكن العنوان يجب أن يكون هكذا: الرجل الذى أطلق مدفع الإفطار ولم يفطر.

وهى سمة أخرى من سمات مدرسة أخبار اليوم فى نشر الجرائم حيث كان مصطفى أمين يهتم بالعناوين المثيرة والجذابة التى تعلى من شأن عناصر الإثارة فى الموضوع.

لكن الأهم من ذلك كله أن مدرسة أخبار اليوم كانت تتفنن فى صنع الأساطير المتعلقة بالجريمة وقد بدا هذا واضحا فى معالجة قصة لسفاح محمود سليمان، يقول محمود صلاح: تجلت الإثارة الصحفية فى تناول شئون الجريمة فى العام ١٩٦٠ عندما ظهر محمود أمين سليمان الذى أطلقت عليه أخبار اليوم لقب السفاح، وهو فى حقيقة الأمر لم يكن سفاحا، لكن أخبار اليوم رأت أن تجعل منه سفاحا حتى تشغل به الرأى العام وتحرك خيال الناس وكانت النتيجة فى النهاية أن زاد توزيعها زيادات بالغة.

لكن يبدو أن الإثارة التى سعى وراءها مصطفى أمين كانت سببا فى وضع جريدته

ومؤسسته فى ورطة ففى اليوم الذى سقط فيه السفاح، كما يقول محمود صلاح، فقد نشرت جريدة الأخبار فى صفحتها الأولى المانشيت الأول: سقوط السفاح، وفى المانشيت الثانى كان: عبد الناصر فى باكستان، وكان عبارة عن تغطية لزيارة عبد الناصر إلى باكستان، لكن تم إلحاق العنوانين على بعضهما ليصبح مانشيت الأخبار: سقوط السفاح عبد الناصر فى باكستان.

ولا يستبعد الباحث أن يكون هذا العنوان من أسباب توتر العلاقة بين عبد الناصر ومصطفى أمين، ولا يستبعد أيضا أن يكون من الأسباب التى دعمت الإيقاع بمصطفى أمين فى قضية التجسس الشهيرة.

هذه المدرسة المهنية فى الإثارة من خلال معالجات الجريمة وضعت الدستور العام لمادة الجريمة فى الصحف بشكل عام، لكن هذا لا يمنع أن هناك مدارس أخرى تحدد طريقة المعالجة والهدف من نشر مادة الجريمة، وتوجد فى مصر ثلاث مدارس لنشر الجريمة على النحو التالى:

الأولى: مدرسة ترفض نشر أية أخبار عن الجرائم باعتبارها مادة عديمة الجدوى عظيمة الضرر يحاكيها الصغار ويكتوى بنارها الكبار، وهذه المدرسة تظهر بوضوح فى الصحف الإسلامية أو التى لها إتجاه إسلامى، فهى تتغافل عمدا عن نشر أية أخبار عن الحوادث وذلك بألا تخصص ولو مساحة ضئيلة لها.

الثانية: وتوافق على نشر الجرائم وتتوسع فيها وتبالغ فى تقديمها فى محاولة لجذب القارئ لزيادة التوزيع والإنتشار، وتخضع الصحف الخاصة بأشكالها المختلفة سواء كانت حاصلة على ترخيص من المجلس الأعلى للصحافة أو بتراخيص من الخارج لهذه المدرسة، فهى تحرص على نشر الحوادث الغريبة وتصيغ الجريدة حوادثها بشكل درامى تلجأ فيه أحيانا إلى وضع بعض التفاصيل «لتسخين»[1] الجريمة المنشورة.

---

(١) هذه الكلمة تستخدم بنفس اللفظ من بعض محررى الحوادث فى الصحف الخاصة.

الثالثة: مدرسة تقع فى المنطقة الوسط بين المدرستين السابقتين فهى توافق على نشر الجرائم ولكن تضع أمام هذا النشر بعض الشروط التى من خلالها تحاول أن تضبط ما يمكن أن ينجم عن نشر الجرائم من أضرار أقلها أن يقوم القارئ تحت تأثير إعجابه بما قرأه بتقليد الجريمة أو محاكاتها، وهذا النمط من المعالجة نراه بوضوح فى الصحف التى تصدرها المؤسسات الصحفية الحكومية، وإن كانت هذه الصحف نفسها تعمد فى بعض الأحيان إلى أن تسلك مسلك الصحف الخاصة حتى يزيد توزيعها، بصرف النظر عن نمط ملكيتها وما يفرضه عليها من تحفظات فى المعالجات الصحفية لمادة الجريمة.

- هذه المدارس الصحفية أفرزت وجهتى نظر مختلفتين فى نشر الجرائم على القراء:

الأولى: أن التوسع فى نشر الجريمة يساعد على إنتشارها ويشجع على إرتكابها خاصة وأنه غالبا ما تمر فترة زمنية طويلة بين وقوع الجريمة وبين صدور الحكم فيها، وهو ما يجعل القارئ لا يقرن نشر الجريمة بالعقاب الذى يناله الجانى عنها، ولذا يجب التقليل قدر الإمكان من المساحة التى تعطيها لأخبار الجريمة وأن تحتاط فى الطريقة التى تنشر بها قصة الجريمة والصور التى تصحبها عادة، هذا التوجه يظهر بدوره بعض المخاوف من أن يتأثر القارئ بأحداث الجريمة التى يقرأها فيحاول أن يقلدها.

الثانية: أن نشر أخبار الجريمة يمنع من تكرارها لما يحققه النشر من التوعية بأساليب المجرمين وكيفية مواجهة الجريمة، وكذلك فإن نشر العقاب الذى يناله المجرم يلعب دورا مهما فى ردع الاخرين من التفكير فى الجريمة، ويعضد هذه الرؤية أن الجريمة فى حقيقتها جزء من الواقع الإجتماعى، وعليه فتجاهلها والتعامل معها كأن لم تكن يحرم الصحافة من أداء جزء من واجبها ووظيفتها التى يجب أن تؤديها فى المجتمع.

يمكن للباحث بناء على هذا التصور أن يحدد وجهته بطريقة صحيحة، فهناك معايير محددة لنشر الجريمة، وفى حال عدم إلتزام الصحف بهذه المعايير تكون الصحافة قد وقعت فى تجاوزات ومخالفات مهنية تتعارض مع ما استقرت عليه مواثيق الشرف الصحفية.

لكن السؤال هو: هل ما تقع فيه الصحف من مخالفات يعتبر وسيلة من وسائل وآليات الإثارة؟.

وقبل الإجابة على هذا السؤال لابد من إبراز المخالفات التى تقع فيها الصحف وهى فى طريقها إلى نشر مادة الجريمة وهى[1]:

أولا: النشر المجهل للمواد الخاصة بالجريمة، ويتم التجهيل على ثلاثة مستويات، على مستوى اسم الكاتب بأن تنشر المواد دون أن تصاحبها أسماء محرريها، والتجهيل على مستوى الفاعل بأن تنشر مواد دون الإشارة إلى أسماء الفاعل بها سواء كان مجنيا عليه أو متهما أو متورطا فى الأحداث أو شاهد عيان، والتجهيل فى المستوى الثالث على مستوى المصدر بأن تنشر مواد دون الإشارة إلى أسماء المصادر التى أدلت بها سواء كانوا أشخاصا أو جهات مسئولة.

ثانيا: الخروج على الآداب العامة للمجتمع ويتمثل فى ثلاثة مظاهر هى استخدام الألفاظ غير الملائمة، والمبالغة فى سرد تفاصيل الحدث، ونشر الموضوعات ذات الطبيعة الغريبة أو الشاذة أو الجنسية.

ثالثا: اختراق الخصوصية حيث تقوم بعض الصحف من خلال ممارساتها إلى تشويه سمعة الأفراد والعائلات سواء بنشر أسماءهم أو صورهم فى غير محلها أو تؤدى لكشف الشئون الخاصة للمتهمين أو المتقاضين أو إستغلال أسماء وصور المشاهير للزج بها فى حوادث بعيدة عنهم من أجل إكسابها المزيد من الإثارة.

رابعا: التأثير على سير العدالة وذلك من خلال التعليق على أحد جوانب القضية مثل المتهم أو الموضوع أو القضاء أو الشهود سواء كان التعليق بالتبرئة أو الإدانة، وكذلك نشر أسماء الأحداث وصورهم حتى وإن أصدر القضاء حكمه بشأنهم.

وفى الوقت الذى يحظر فيه قانون العقوبات نشر أخبار التحقيقات فى ثلاث حالات

---

(١) أمل دراز وسحر فاروق، مرجع سابق.

من أجل توفير محاكمة عادلة من جانب الخصوم وعدم التأثير على حياد القضاة والنيابة من خلال إطلاق الأحكام المسبقة[1] وهى:

- إذا قررت سلطة التحقيق إجراء التحقيق فى غيبة الخصوم أو كانت قد حظرت نشر أو إذاعة شئ منه مراعاة للنظام العام أو للآداب.

- إذا كان التحقيق متعلق بجريمة من الجرائم الماسة بأمن الدولة من جهة الخارج.

- إذا كان التحقيق خاص بدعوى من دعاوى الأحوال الشخصية كالطلاق أو التفريق أو الزنى.

فإن قانون العقوبات نفسه أعطى الصحافة الحق فى نشر الجلسات العلنية للمحاكم، باعتبار أن هذا الحق صورة علانية للمحاكمة، فطالما أن مشاهدة المحاكمة العلنية من حق الكافة فإن نشر أخبارها من حق الكافة أيضا، حيث يعتبر النشر مباحا فى هذه الحالة حتى لو تضمن قذفا، وقد وضع القانون عدة قواعد يجب أن تراعى فى هذا الأمر وهى[2]:

- حصانة النشر مقصورة على الإجراءات العلنية للقضايا والأحكام الصادرة عنها. -
- لا تمتد هذه الحصانة لما يجرى فى الجلسات غير العلنية ولا إلى ما يجرى فى الجلسات التى قرر القانون الحد من علنيتها.

- هذه الحصانة لا تمتد إلى التحقيق الإبتدائى ولا إلى التحقيقات الأولية أو الإدارية.

- الحصانة فى النشر مقصورة فقط على مجرد الأخبار وسرد الوقائع والحوادث ورواية الأقوال.

- يتم النشر بأمانة وحسن نية وضمير يقظ.

- إرتباط الحصانة بوقت المحاكمة أو الحكم فيها.

---

(١) حسن عماد مكاوى، أخلاقيات العمل الإعلامى، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

(٢) جمال الدين العطيفى، حرية الصحافة وفق تشريعات جمهورية مصر العربية (القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٢)ص ١٦٢.

خامسا: الإستخدام المثير والمضلل للعناوين ويعنى إستخدام الصحف لعناوين مضللة أو مثيرة تحمل للقارئ معنى يتنافى مع نص الحدث وتفاصيله أو لا تربطه أى علاقة به.

لم ينظم القانون وحده حدود نشر مادة الجريمة، لكن الباحثون[1] أيضا وضعوا بعض الشروط التى تحكم التغطية الصحفية لشئون الجرائم...وهذه الضوابط هى:

- عند وقوع جريمة ما لا يجب أن ينصب الإهتمام على الجانى وإنما لابد من توجيه نفس الإهتمام إلى المجنى عليه.

- لابد من التحقق من شخصيات المتهمين، ومن شخصيات المجنى عليهم، فإن وقوع خطأ فى نشر بعض الأسماء قد يسيئ إلى بعض المواطنين.

- إذا كان من حق الصحيفة نشر أسماء المتهمين بعد إتمام القبض عليهم أو توجيه الإتهام لهم، فإن نشر أسماء المجنى عليهم يجب أن تحكمه ضرورات أخلاقية أو إجتماعية، ففى الجرائم المتعلقة بالشرف كالإغتصاب أو قضايا الأحوال الشخصية كالطلاق، فإن نشر الأسماء من شأنه أن يسبب أضرارا قد لا تقل عن الضرر الذى تم بوقوع الجريمة.

- يجب على المحرر ألا يسمح لوجهة نظره الشخصية أن تؤثر على معالجته للجريمة.

- يجب على المحرر أن يتعرف على النظام القضائى وأن يكون ملما بالقانون الجنائى وهناك بعض الصحف التى تشترط على محرر شئون الجريمة أن يكون حاصلا على شهادة عليا فى القانون.

وإلى جانب هذه الضوابط ، فإن الباحث يمكن أن يضيف ضوابط أخرى من واقع الممارسة المهنية وهى:

- يجب على المحرر أن يعتمد فى أسلوب كتابته لمادة الجريمة على البساطة فى العرض

(١) فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص ١٤٠.

والدقة فى سرد البيانات، والموضوعية فى عرض وجهات النظر، فعدم الدقة واختلاق الأحداث قد يعرض الصحفى والصحيفة التى يعمل بها للمساءلة القانونية.

- على محرر شئون الجريمة ألا يتعامل مع المجرم أو الجانى على اعتبار أنه بطل وأن يتوخى أن يلصق به صفات معينة قد تروج له كنمط ونموذج يمكن أن يقتدى به الآخرون، فالتعامل مع مرتكب الجريمة يجب أن يتم فى إطار أنه جانى دفعته ظروف معينة لإرتكاب جريمته وليس بطلا جاء بعمل بطولى.

- يجب على محرر شئون الجريمة ألا يسهب فى ذكر تفاصيل الجريمة وخاصة التفاصيل التى تساعد على إثارة القارئ أكثر من إمداده بمعلومة أو تحليل منطقى، ولأن التفاصيل يمكن أن تجعل القارئ يتعايش معايشة كاملة مع الحدث بما يدفعه إلى محاكاته وتقليده.

- يمكن أن تلعب صحافة الجريمة دورا كبيرا فى الترويج للخرافة ولبعض الأخلاقيات التى تشكل خطرا على المجتمع، وعليه فيجب ألا يركز محرر شئون الجريمة على جرائم الخرافات والدجل والشعوذة ولكن يجب أن يشير إليها بشكل نقدى يكشف للقارئ كذب وإحتيال المتورطين فى هذه الجرائم ومصائرهم الغريبة ، فالعرض السردى لها يمكن أن يؤدى إلى إعجاب القارئ بها وتصديقه لها.

تأتى الإجابة على السؤال الذى يطرحه الباحث فى هذا الإطار مهمة إذن، فهل إذا وقعت الصحف فى إرتكاب هذه المخالفات تصبح مثيرة؟

يرى الباحث أن وقوع الصحف فى مثل هذه المخالفات ليس شرطا أن يدخل بها فى مساحة صحافة الإثارة، حيث يمكن ألا تزيد هذه المخالفات عن تجاوزات قانونية يتم حسمها فى المحاكم، دون أن يشعر بها القارئ الذى هو فى النهاية مقصد صحف الإثارة، لكن هذا لا ينفى أن هناك آليات بعينها تستخدمها الصحف لتكون مادة الجريمة عاملا مساعدا إن لم يكن أساسيا فى الإثارة الصحفية، ويمكن للباحث أن يرصد هذه الآليات فى الآتى:

أولا: تعتمد الصحف فى صياغتها لعناوين مادة الجريمة على أكثر العناصر بها إثارة وقدرة على جذب الإنتباه، وفى الغالب يكون العنوان ملخصا لما جاء فى الجريمة، حتى يكون لافتا، وإذا كانت مهمة العنوان الرئيسى للمادة الصحفية المنشورة هى أن يدل القارئ على القرار الصحيح بهل سيقرأ المادة الصحفية أم ينصرف عنها، فإن عنوان مادة الجريمة يصاغ بطريقة لا تترك للقارئ أى خيار لديه، فهو لابد أن يقرأ، وفى الغالب أيضا تكون العناوين مضللة وغير صادقة أو لا تنقل بأمانة المحتوى الفعلى لمادة الجريمة، ورغم أن هذا فيه خداع للقارئ لكن الصحيفة لا تتورع عن الإتيان به، وإذا قيل أن القارئ عندما يقع فى فخ التضليل مرة فإنه لن يشترى الصحيفة مرة أخرى، يكون الرد على ذلك أن الجريدة معروضة وأنها يمكن أن توقع قراء آخرين فى شركها.

ثانيا: العناوين الرئيسية تسلم تلقائيا إلى العناوين الفرعية التى من المفروض أن يكون هدفها هو زيادة الإيضاح للمادة المنشورة، حيث تقدم جزئيات وتفاصيل مختلفة فى الواقعة محل النشر، وتقوم الصحف من ناحية بإختيار أكثر الجوانب إثارة فى الحادثة وإبرازها فى العناوين الفرعية التى يتم توضيبها إخراجيا بصورة بارزة وملفتة للإنتباه وجاذبة للنظر.

ومن ناحية أخرى لا تتردد صحيفة الإثارة فى أن تحول مادة الحادثة كلها، خاصة إذا كانت بلا تفاصيل كثيرة إلى مجموعة من العناوين، حتى إذا جاء القارئ ليقرأ متن مادة الجريمة بعد أن يكون قرأ عناوينها لا يجد شئيا تضيفه الصحيفة إليه، ولا يعتبر هذا شئيا مؤرقا للصحيفة ما دامت حققتت هدفها الأساسى وهو شراء القارئ للصحيفة.

ثالثا: إهتمام صحف الإثارة بالعناوين سواء كانت العناوين الرئيسية للمادة أو العناوين الفرعية لها، جعلها تعتمد على آلية خاصة بها، ففى صفحتها الأولى التى تجعل مرآة تعرض من خلالها أهم ما لديها من موضوعات، تضع الجريدة عنوانا أو اثنين من مادة الجريمة فى الصفحة الأولى ، وفى الغالب تكون هذه العناوين مدعمة بصور شخصية أو حتى موضوعية.

ويقصد الباحث بالصورة الموضوعية فى الصفحة الأولى أنها تكون صورة لإمراة عارية إلى جوار عنوان لجريمة جنسية.

رابعا: تفرط صحف الإثارة فى العرض الوصفى لمادة الجريمة، وتعتمد فى الغالب على الكتابة الأدبية لها، بحيث تعلى من عناصر التشويق اللغوى والبلاغى، حيث تحول الجريمة التى يمكن أن تكون عادية جدا فى أحداثها وأثرها إلى قصة درامية كاملة الأركان، بها عنصر الصراع الذى يكون قادرا على أن يجعل القارئ يهتم بالمادة المنشورة حتى نهايتها، وهذا المسلك يبتعد بصحافة الإثارة عن وظيفة أساسية يجب أن تقوم بها صحافة الجريمة، وهى الترويع.

فمن المفروض أن تعرض الصحف لمادة الجريمة بطريقة تبشعها فى عين القارئ وتجعله يبتعد بذهنه تماما عن إرتكابها أو حتى الإقتراب منها، لكن صحف الإثارة تحاول أن تجعل من الجرائم التى تنشر قصتها أسطورية والمشاركين فيها أبطال خارقين للعادة، وهو ما يغرى القارئ أن يأتى بمثل هذه الجرائم لا أن يبتعد عنها، وهنا تأتى أهمية العرض النقدى لمادة الجريمة، ولا يعنى هذا العرض ألا تكون مادة الجريمة جذابة ومثيرة، لكن يجب أن يحدث نوع من التوافق بين الصيغتين، أن تجعل مادة الجريمة مقروءة وعاملا مساعد فى توزيع الصحيفة وفى نفس الوقت تصبح ذات أهمية مجتمعية للقارئ.

خامسا: تعتمد صحف الإثارة فى تقديمها لمادة الجريمة على أشكال تحريرية غير تقليدية، ويقصد الباحث بالأشكال التقليدية الصيغ الخبرية وتحديدا- الخبر والتقرير الإخبارى و القصة الخبرية- وهى أشكال تكتفى بعرض المهم من تفاصيل الجريمة من وجهة نظر الجريدة بالطبع.

لكن صحافة الإثارة تجند كل الأشكال التحريرية الأخرى، فنجدها تقدم تحقيقا صحفيا مستوفيا من خلال المصادر – مختلف أطراف الجريمة محل النشر- والصور والتى يراعى فيها أن تكون نادرة وغير منشورة قبل ذلك، فالصحف التقليدية تكتفى مثلا

بصور الضحايا أو الجناة التى تقوم وزارة الداخلية بتوزيعها والتى تكون قد التقطتها، لكن صحف الإثارة تسعى لأن تنفرد هى بصور خاصة بها وبكادرات مختلفة للمجرمين أو الضحايا.

وتقدم صحف الإثارة فن البورتريه لبطل من أبطال الجريمة وتهتم فيه بتفاصيل الحياة الخاصة وغالبا ما تبحث عن النساء فى حياة أطراف الجريمة، لأن وجود عنصر نسائى يعلى من قيمة الجريمة، بل إن الجريمة عندما يكون الجنس طرفا أصيلا فيها تصبح أكثر جاذبية لقارئ يبحث عما يمكن أن يسليه.

ولا يعنى ذلك أن صحف الإثارة تخترع شيئا لا يكون لدى أطراف الجريمة، لكنها فقط تكتشف وتلقى الضوء بشدة على ما اكتشفته، تضيف صحف الإثارة كذلك إلى هذه الأشكال الصورة الصحفية فهى تبحث عن الصورة المختلفة وتجعل منها بطل الموضوع، وإن كان هذا العنصر لم يعد مؤثرا حيث استطاعت الصورة المتحركة عبر الفضائيات أن تسرق الإهتمام من الصور الثابتة، خاصة أن هناك من بين برامج الفضائيات ما يهتم بمادة الجريمة ويحققها على الهواء مباشرة.

سادسا: عنصر المنافسة هذا بين الصورة المتحركة والصورة الثابتة ؛ جعل صحف الإثارة تلجأ إلى آلية ترى أنها مضمونة فى جذب إنتباه القارئ والسيطرة على إهتمامه وهى الإغراق فى التفاصيل ذات الطابع الجنسى للجريمة، فلا تكتفى الصحيفة بذكر الفعل الجنسى بل تقدم عملية وصف تفصيلية لما حدث.

تعتمد فى ذلك على تحقيقات النيابة التى تكون فى الغالب تفصيلية لمصلحة التحقيق، وكلام من الشهود ومن المتورطين فى الجريمة أنفسهم، ويقتضى الإغراق فى ذكر التفاصيل الجنسية الهبوط إلى إستخدام ألفاظ غير لائقة أو لا يستسيغها المجتمع، لكن الصحف تنشرها بحجة أنها قيلت فى محاضر رسمية أو فى تحقيقات النيابة، وعندما تفتقد الجريمة التى وقعت بالفعل إلى تفاصيل جنسية فإن محرر المادة الصحفية يضيف هذه التفاصيل من

عنده معتمدا فى ذلك على خياله الخصب من ناحية، ومن ناحية ثانية أنه يجهل الفاعلين فى مثل هذه الجريمة بها يمنحه الحرية فى إضافة كل ما يريدّه دون أن يسأله أحد عن ذلك.

ومن خلال هذه الآلية التى تضمن تحقيق توزيعا كبيرا وإنتشارا واسعا للجريدة، فإن صحافة الإثارة تقع فى جملة مخالفات قانونية، وهى نشر تفاصيل جنسية، وتجهيل المادة الصحفية المنشورة، والخروج على الآداب العامة للمجتمع التى تصدر فيه هذه الصحف.

سابعا: تهتم صحف الإثارة فى المقام الاول بالجرائم التى يكون أحد اطرافه مشهورا فى أى مجال من المجالات، وإن كانت الشهرة فى مجال الفن والرياضة ترجح كفة المشاهير فى المجالات الأخرى، إلا إذا كانت الشخصية الشهيرة قادمة إلى صحافة الإثارة من السياسة وكانت تشغل منصبا سياسيا كبيرا، فإن جريمته تظل ولفترة طويلة هى الموضوع الرئيسى للصفحة الأولى وللصفحات الداخلية للجريدة كذلك، وهى فى ذلك تستغل رغبة القراء فى تتبع أخبار المشاهير وأفعالهم خاصة إذا كانت هذه الأفعال خارجة عن القانون.

ثامنا: كل هذه الآليات لا تعمل بمفردها، فالباحث يرى أن صحافة الإثارة خلقت فضاءا واسعا قدمت من خلاله معالجاتها لمادة الجريمة وهذا الفضاء الواسع يمكن أن يطلق عليه الباحث التسطيح.

فصحف الإثارة لا تهتم بدلالات الجريمة الإجتماعية والثقافية والنفسية، وهى الدلالات التى يمكننا من خلالها أن نعرف أين يقف المجتمع بالضبط، لكنها تهتم بأكبر قدر من التفاصيل التى تقدر من خلالها على إثارة القارئ، ورغم أنه يمكن أن تلعب صحف الإثارة فى عرضها لمادة الجريمة على إثارة عقل القارئ بها يجعله أكثر فاعلية فى التعامل مع ما ينشر، لكنها تلجأ إلى الطريق الأسهل وهو إثارة عواطفه وفى مرحلة أخرى إثارة غرائزه، لأن الإستجابة لها تكون أسرع وهى فى النهاية الإستجابة المطلوبة لأنها ستودئ بالقارئ إلى شراء الصحيفة.

■ ■ ■

سابعا: الخروج على الآداب العامة

ترتبط الآداب العامة فى أى مجتمع بمنظومة القيم العامة التى تحكم الحياة فى هذا المجتمع، وهى فى النهاية منظومة نسبية غير مطلقة، فما يمكن أن يرفضه مجتمع ويعتبره خروجا عن أخلاقياته وقيمه العامة، فإن مجتمعا آخر يمكن أن يقبله ويعتبره متسقا مع ما يؤمن به ويعتقده، ويمكن للباحث أن يحدد مصادر المنظومة القيمية التى يجعلها المجتمع المصرى مرجعيته الأخلاقية التى يحكم من خلالها على الممارسات المهنية فى الصحافة، بما إذا كانت متوافقة مع قيمه أو متنافرة معها وهذه المصادر هى:

أولا: الدين : حيث يتجاور فى المجتمع المصرى الدين الإسلامى الذى يعتبر المصدر الأساسى للتشريع بنص الدستور، والدين المسيحى الذين يؤمن به حوالى ١٥ ٪ من المجتمع المصرى[1]، ورغم أن هناك إختلافات كثيرة بين الديانتين إلا أن هناك أصول وقواعد تحكمهما تكاد تكون متشابهة فى الحض على الفضيلة والتمسك بالأخلاق الكريمة ومحاربة إبتزاز المشاعر والعواطف خاصة الجنسية منها.

فكل منهما يمتلك مجموعة من الأوامر والنواهى تنحصر فى ثنائية «افعل ولا تفعل»، وعندما يكون الحكم على صحافة الإثارة من مرجعية دينية فإنها تكون مخالفة للدين، لأنها تنقل أخبار الناس وتتجسس عليهم وتنشر صور العورات التى حرمها الله.

بما يعنى أنه يمكن أن يكون هناك تصنيف للصحافة من وجهة نظر الدين وهو صحافة حلال تأتى مع كل ما يأمر به الدين وصحافة حرام تأتى بكل ما يعارضه.

ثانيا: العادات والتقاليد : حيث أن هناك مجموعة من الأخلاقيات التى تربى عليها المجتمع، وهى التى تحكم ردود أفعاله حيال ما تقدمه الصحف وتجعله يقبل أولا يقبل

(١) لا توجد إحصائية رسمية أو غير رسمية بأعداد الأقباط فى مصر، حيث يحجب الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء أعداد الأقباط لأنه لا يحصر أعداد المواطنين على أساس الدين، وإن كانت الإشارات التى ترد فى حوارات مع مسئولين أقباط فى الكنيسة تميل إلى النسبة المذكورة.

ممارسات بعينها، وعادات وتقاليد المجتمع ليست ثابتة لا على المستوى الرأسى ولا على المستوى الأفقى، فهى تختلف من وقت إلى آخر وتختلف كذلك من طبقة إلى طبقة ومن فئة إلى فئة فى نفس الفترة، وهو ما يجعل ممارسات صحف الإثارة مقبولة حينا ومرفوضة حينا آخر، ويجعلها كذلك مقبولة لدى طبقات وفئات معينة ومرفو ضة لدى طبقات وفئات أخرى، ويدخل فى هذا التفاوت درجة التعليم ومستوى الوعى وإدراك الدور الذى يجب أن تقوم به الصحف.

ثالثا: أولويات السلطة الحاكمة : فتركيبة السلطة الحاكمة وما الذى تريده فى فترة معينة تحدد للجماهير ما تقبله وما ترفضه من الصحف ، حتى لو لم تكن صحف إثارة، وأولويات السلطة فى الغالب تتغير وتتحول طبقا للظرف المجتمعى الذى يحكمه، ويمكن للباحث أن يدلل على ذلك بمثال تطبيقى:

فالسلطة تسمح للصحف الحاصلة على تراخيص من الخارج أن تنشر صورا عارية وموضوعات جنسية تصاحبها صور عارية فى الغالب لا تكون لها علاقة بالمادة المنشورة، لكن هناك مناسبات معينة يتم منع نشر هذه الصور والموضوعات من خلال الرقابة على المطبوعات التابعة لوزارة الإعلام، منها مثلا خلال شهر رمضان، الذى يعتبر شهر عبادة ولا يجب أن يرتكب فيه الصحفيون ممارسات تخدش إيمان الناس، فترفض نشر الصور العارية حتى لا يفسد صوم الصائمين.

وفى فترات المنافسة السياسية التى فى الغالب تكون محصورة بين الحزب الوطنى والإخوان المسلمين فى الإنتخابات البرلمانية، يتم التضييق على الصحف التى تراقبها الدولة فتمنع نشر الصور العارية، وذلك حتى لا تكون مبررا للهجوم عليها من جماعة إسلام سياسى بأن الحكومة التى يجب أن تكون مسلمة تسمح بنشر ما يخالف الإسلام، فتلجأ الحكومة إلى نوع من المزايدة السياسية والدينية، حيث تمنع نشر الصور العارية وتحجب الألفاظ الخارجة حتى لا يقال أن الحكومة تفعل ما يتعارض مع الإسلام.

لكن ذلك ليس معناه أن الخروج على الآداب العامة يظل معنى مطلق بلا حدود ولا ملامح، فقد استقر فى ضمير اللجنة القائمة على إعداد تقرير الممارسة الصحفية الذى يصدره المجلس الأعلى للصحافة[1] أن ملاحظة عدم مراعاة الآداب العامة والذوق العام تعتبر أمرا طبيعيا فى ظل مجتمع متدين ينأى بنفسه عن الإبتذال سواء بالصورة أو الرسم أو اللفظ، معنى ذلك أن آليات الصحافة للخروج على الآداب العامة تتحدد فى الصور والرسوم والألفاظ، لكن ذلك لا يفى بتحديد مفهوم الآداب العامة التى يمكن أن تشتبك معها صحف الإثارة إما سلبا أو إيجابا.

وتذهب ليلى عبد المجيد[2] : إلى أنه يقصد بالآداب العامة كل ما يتصل بأسس الكرامة الأدبية للجماعة وأركان حسن سلوكها ودعائم سموها المعنوى وعدم الخروج عليها بمهاجمة إعتبارات المجتمع المجمع على وجوب رعايتها فى العلانية على الأقل، وتشمل الآداب العامة الأخلاق العامة.

ولكن ليس كل إنتهاك لحرمة الأخلاق يعد انتهاكا لحرمة الآداب العامة، لأن إنتهاك حرمة الآداب لا يكون إلا بإرتكاب القبائح ويحمل إنتهاك الأخلاق طابع الإخلال بالحياء أو الفساد والفجور والفسق والدعارة والبغاء والتهتك والخلاعة.

وتحدد ليلى عبد المجيد المعايير التى يقاس على أساسها مدى إلتزام الصحف بعدم الخروج على الآداب فى مستويات الجماعة ومدى التأثير المتوقع للمضمون المقدم على الفرد العادى وإن كان ليس للآداب العامة مقياسا ثابتا يمكن الأخذ به.

وتنص المادة ١٧٨ عقوبات على أنه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين وبغرامة لا تقل عن ٥ آلاف جنيه ولا تزيد عن عشرة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من صنع أو حاز بقصد الإتجار أو التوزيع أو الإيجار أو اللصق أو العرض مطبوعات أو

---

(١) تقرير الممارسة الصحفية لعام ١٩٩٩، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) ليلى عبد المجيد، مرجع سابق، ص ٢٥١.

مخطوطات أو رسومات يدوية أو فوتوغرافية أو إشارات رمزية أو غير ذلك من الأشياء أو الصور عامة الجنسية والروايات والكتب التى تبوح بأسرار مشينة وشرائط الكاسيت والأفلام التى تعرض ما يخدش الحياء العام.

ورغم هذا التحديد القانونى إلا أن الباحث لا يستطيع أن يحدد ما الذى تفعله الصحف ويدخل فى نطاق الخروج على الآداب العامة وما تفعله فتعفى من الدخول تحت هذه المظلة، لكن يمكن للباحث الإسترشاد بنماذج مما قدمته الصحف عبر تاريخ الصحافة المصرية وعبر فترة الدراسة وصحفها ليخرج بتصور عن الآداب العامة التى يجب أن تراعيها الصحف، وكيف يمكن أن تكون هذه الآداب العامة نفسها منفذا تدخل منه صحف الإثارة لتكون جاذبة للجمهور وملفتة لإنتباه القارئ.

***

وهذه بعض النماذج:

- فى العدد الأول من جريدة «أبو نظارة زرقا» التى أصدرها يعقوب صنوع[1] استخدم يعقوب الرسم الكاريكاتيرى ليؤكد وجهة نظره فى أن الخديو إسماعيل هو الذى ينهب مصر، وذلك من خلال رسم جعل فيه مصر بقرة حلوبا ويقف إسماعيل بالقرب منها ليشرف على إبنه توفيق وهو يحلبها بنفسه ويقف إلى جواره أبو الحلم، الذى كان يعقوب يرمز به إلى الأمير حليم بن محمد على ويقول له : ارحم البقرة أبوك مصها ولا خلى فيها نقطة لبن وحش البرسيم اللى قدامها ...انت ايه؟ما فيش فى قلبك شفقة ...ما أزرط من الوحل إلا الطين.

- بعد ثورة ١٩١٩ ظهرت مجلة الكشكول وصدر العدد الأول منها تحديدا فى ٢٤ مايو ١٩٢٤، وكانت تسمى الكشكول المصور نسبة إلى الرسم وليس إلى الصور بالطبع، فلم تكن الصحف المصرية حتى ذلك الوقت تستطيع أن تقدم صورة جيدة من الناحية

(١) إبراهيم عبده، أبو نظارة إمام الصحافة الفكاهية (القاهرة، درب الجماميز، ١٩٥٣).

الفنية، بنت هذه المجلة شهرتها على سب وشتيمة سعد زغلول والتريقة والتأليس عليه[1]، فقد كتبت أن سعد زغلول بدأ حياته يسقى القهوة فى مكتب حسين بك صقر المحامى ووصفته بأنه سفيه وذليل وأثيم وعريض القفا.

- ومن بين تجاوزات الكشكول ما نشرته فى عدد ١٤ سبتمبر ١٩٢٨، فتحت عنوان«النحاس يطرطر»كتبت : رأى الذين يتفسحون فى سكة الهرم مساء يوم الإثنين الماضى منظرا عجيبا، كان الباشا النحاس والباشا الغرابلى يسيران على أقدامهما، ووقف النحاس على حافة الطريق، وعلى مرأى ومسمع من السيدات والرجال الذين يمتطون الأوتومبيلات بين صاعد إلى الهرم ومنحدر منه يطرطر بينما الباشا الغرابلى واقفا ينتظره، فهل تجوز شهادة الباشا النحاس بعد هذه المشهد العجيب عند رجال الشرع، وأمام أية محكمة شرعية؟وهل كان خفير الشارع يتركه إذا رأى دولته يطرطر فى الشارع العام؟وهل هذا العمل الفاضح يتفق مع جلالن وصفه بصاحب الدولة؟ثم هل هذا يصدر عن رجل سليم العقل؟.....يا ضيعة الألقاب.

- كان رد الفعل من صحف الوفد عنيفا[2] ويرصده مصطفى أمين، فقد ردت عليهم جريدة البلاغ بقولها: استحوا يا دواعر ....استحوا يا شراميط...فوالله إن كلمة الدعارة لأخف مما توصفون به، ووجهت روزاليوسف موالا إلى صاحب الكشكول سليمان فوزى قالت له فيه: أبوك وأمك مجال محناش فرسانه...الراية لك فيه ووش البركة ميدانه...ويا شيخ مراتك كمان والبيت وجدعانه.... الله يسامح ويرخى الستارة ع الجانى...ونعيش لك أنت كمان أسبوع على التانى...على الله نغسل قذارتك بالسليمانى....ونسقى للبأف كاس المر لكعانه، وهو موال عنيف حيث يتهم صاحب مجلة الكشكول بأن أباه وأمه من حى وش البركة وهو حى العاهرات فى القاهرة واتهم زوجة صاحب المجلة فى شرفها وعرضها.

(١) عادل حمودة، النكتة السياسية (القاهرة، سفنكس للطباعة والنشر، ١٩٩٤) ص ١٥٥.
(٢) مصطفى أمين، من عشرة لعشرين، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٨١) ص ١٥٥.

- يرصد تقرير الممارسة الصحفية[1] الملاحظات المتعلقة بنشر ما قد يتعارض مع الآداب العامة أو يتنافى مع الذوق العام والتقاليد ويدلل عليها بأمثلة منها: خبر بعنوان: يا وزير الزراعة ما هذه اللكاعة ، عمود كل أسبوع وفيه العزيزة سامية صادق أرجو الإنتباه إلى بعض المسلكاتيه والمدلكاتية الذين يقدمون فقرات إعلانية، وعمود خرابيش وجاء فيه : وتذكرت على الفور ذلك الصحفى الكبير فى السن والنقائص يرفع لواء العهر الماهر فى الخسة ...ذلك المهرج لا أستطيع إخفاء إعجابى برقاعته وتلك الموهبة أن يكون لأى حاكم بوقا وحذاء.

- وفى تقرير الممارسة الصحفية عن شهر مايو ١٩٨٨ إشارة إلى مقال صلاح عيسى مشاغبات فى جريدة الأهالى وفيه تحت عنوان مشاغبات : قبقاب يوسف والى وشبشب رفعت المحجوب.

- وفى مجلة المصور كتب محمود السعدنى كما رصد تقرير شهر يوليو ١٩٨٨ ما يتعارض مع الآداب العامة، ففى مقاله: ملعون أبو الدولى ، وفوق أن العنوان من الأساس غير لائق، فإن ما جاء فى المقال يتطلب وقفة طويلة حول أدبيات النشر حيث أن ما جاء فيه يثير المشاعر الأخلاقية والدينية فلقد قال الكاتب: ويا أيها البنك الدولى لن تجد أحدا فى هذا العالم على دينك ودين ابوك ودين اللى جابوك.

- يرصد تقرير الممارسة الصحفية عن العام ١٩٩٩ أن جريدة الأحرار تجاوزت الآداب العامة وذلك من خلال قيامها بنشر مذكرات مونيكا لوينسكى المتدربة السابقة بالبيت الأبيض وعلاقتها بالرئيس الأمريكى، حيث نشرت المذكرات على حلقات خلال شهور مارس وإبريل ومايو ١٩٩٩، وقد حفلت عناوين ما نشرته الصحيفة عن هذه المذكرات بالعديد من الألفاظ والعبارات التى تخدش الذوق العام.

ومن أمثلة ذلك : وسلمت نفسى لمارك مقابل قطعة شيكولاته – أقمت علاقة جنسية

(١) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الممارسة للفترة من أول أغسطس إلى نهاية أكتوبر، ١٩٨٦، ص١٤.

مع الطلبة والمدرسين – مونيكا تعترف: الجنس غذاء روحى وجسدى – مارست الجنس بطريقة حيوانية ووجدت الفحولة المنشودة فى آندى – تجردنا من ملابسنا داخل المكتب البيضاوى.

– تقرير الممارسة الصحفية يرصد حالة الصحف مع الآداب العامة من خلال ملاحظات محددة وهذه بعض النماذج:

– فى عدد ١٠ مارس نشرت مجلة روزاليوسف على الصفحة ٨٢ فى باب بورصة الأخبار صورة غير لائقة.

– وفى عدد ٢٥ مارس من مجلة صباح الخير نشرت المجلة على غلافها صورة غير لائقة وقد تكرر نشر الصورة على الصفحة ٦٨ فى خبر بعنوان : الألوان تصرخ فوق أجساد البنات.

– فى عدد ١٥ إبريل نشرت جريدة النبأ على الصفحة الرابعة موضوعين بعنوان: أحدث وسيلة لتسويق الدعارة وإجبار صباح على ممارسة الجنس الجماعى.

– وفى عدد ٣٠ سبتمبر من جريدة أخبار الأدب نشرت الجريدة قصة قصيرة بعنوان «تنتظرنى فى الصيدلية»، ضمن مختارات قصصية لخوان مياسى، فى إطار ملف البستان ترجمة مروة رزق، تضمنت خروجا عن الآداب العامة والذوق العام من خلال إحتواء متن القصة على تعبيرات وألفاظ تخدش الحياء العام من بينها: عجلت الخطى فأسرعت هى، وتيقنت أنها رغم وجودى فى شارع آخر، تشعر بين أرجلها بصعوبة ضم منطقة بين الفخذين، كما أشعر أنا فى نفس المنطقة بإحتكاك سروالها الداخلى وفى لحظة ما وصل الخلط بين أعضائها التناسلية وأعضائى حتى شعرت بثقل ثدييها الهائلين وخشونة الجلد حول الحلمتين«...أيضا »أخذت تمص أصابعى وهى تنظر لى بهياج يطابق شهوتى وأنا أتاملها.

– فى تقرير عام ٢٠٠٢ وفى شهر أغسطس رصد التقرير فى جريدة صوت الأمة عدم

مراعاة الآداب العامة والذوق العام فى نماذج محددة هى:

صورة غير لائقة مع خبر بعنوان معهد دينا للرقص الشرقى(عدد ٥ أغسطس).

صورة غير لائقة مع خبر بعنوان فيفى عبده تحيى حفل زفاف جماعى(العدد السابق).

صورة غير لائقة تحت عنوان العلاج بالبكينى(عدد ١٢ أغسطس).

صورة غير لائقة مع خبر بعنوان الريجيم ينقذ ليلى علوى من الإعتزال(العدد السابق).

صورة غير لائقة مع خبر بعنوان أنوثة شاكيرا تبطل أنوثة نوال الزغبى(عدد ١٩ أغسطس).

صورة غير لائقة مع موضوع موسم سينمائى بدون قبلات (عدد ٢٦ أغسطس).

- فى تقرير عام ٢٠٠٣ وفى شهر مارس رصد التقرير فى صحيفة النبأ ١٥ ملاحظة فى بند عدم مراعاة الآداب العامة والذوق العام:

فى عدد ٢ مارس صورة غير لائقة تحت عنوان صداع غامض يحول العلاقات الزوجية إلى كابوس.

وفى نفس العدد وعلى الصفحة الأخيرة صورة غير لائقة للنجمة كاترين زيتا جونز تحت عنوان«الوضع لا يمنع».

وفى عدد ٩ مارس وعلى الصفحة الأولى نشرت الجريدة صورة غير لائقة تحت عنوان قصة حب ليلى علوى الجديدة .

وفى نفس العدد وعلى الصفحة ١٤ نشرت صورة غيرلائقة تحت عنوان: التحقيق فى عرض أغانى شاكيرا الإباحية فى التليفزيون.

وفى شهر سبتمبر رصد التقرير فى مجلة روزاليوسف عدد ١٣ سبتمبر نشر صورة غير لائقة تخدش الحياء فى تحقيق على صفحتى ٤٤ و٤٥ بعنوان أرباح الملابس الداخلية تنافس

المخدرات وتتحدى تجارة السلاح.

- وفى تقرير عام ٢٠٠٥ تم رصد ملاحظات على جريدة الحقيقة التى تصدر بترخيص من حزب الأحرار، فى سياق الخروج على الآداب العامة:

ففى عدد ١٢ فبراير وعلى الصفحة الأخيرة باب «جهينة يقول» الذى يصاغ فى الغالب بالعامية عناوين على شاكلة : ملاعيب سحس يقول عمايله سودة، الوزير وعجايب السنيورة يقول ويا داهية دقى على الوزير والغلابة.

وفى عدد ١٩ فبراير وفى نفس الباب عناوين على شاكلة: دنجوان كلية البزنس يقول: الدكتور سوسو بتاع البزنس، ملاعيب الوزير يقول، لأنه مطنش آخر طناش، إدارة الهرم لهفت فلوس المدرسين، المنولوجست والصبايا يقول: يصطحب معه الوظاويظ لزوم تظبيط المخرجين.

وفى صحيفة الفجر فى شهر يونيو رصد التقرير ١٥ ملاحظة فى سياق الخروج عن الآداب العامة ، فى عدد ٢٥ يونيو عنوان: من نيل القاهرة إلى بحر الأسكندرية حفلة بوس مجانى فى حدائق المنتزه، وفى نفس العدد عنوان: حرب الصدور بين ماريا ومروى فى لبنان صور غير لائقة.

من خلال هذه النماذج يستطيع الباحث أن يحدد إختراق الصحف للآداب العامة بأنه أى معالجة خارجة عن المألوف والمعتاد لحياة الناس اليومية سواء على مستوى الصورة غير اللائقة أو الرسم أو الألفاظ التى لا يستخدمها الجمهور فى مخاطباته اليومية، وهو ما يجعلها غريبة ومستهجنة.

لكن هل الخروج على الآداب العامة يعتبر مخالفة للقواعد المهنية؟، أم يعتبر آلية من الآليات التى تعتمد عليها صحف الإثارة فى الترويج لنفسها وزيادة توزيعها؟

الإجابة على هذا السؤال تستدعى مراجعة النماذج التى استعان بها الباحث، إن هذه النماذج يمكن أن تعتبر وسيلة لجذب القراء، لكنها فى الوقت نفسه يمكن أن تعتبر وسيلة

تنفير للقراء فلا يقبلون عليها، خاصة عندما تكون غارقة فى الإبتذال والسطحية والإستعانة بالألفاظ المستهجنة دون غرض إلا للإختلاف فقط.

لقد انتهجت بعض صحف الإثارة نهجا يعتمد على إستخدام ألفاظ عامية سواء فى عناوين الصفحة الأولى أو العناوين الداخلية أو فى المتن، وحجتها فى ذلك أنها تخاطب القارئ بلغته اليومية التى يستخدمها فى محادثاته مع الناس دون أن يكون فى ذلك الهبوط باللغة التى تكتب بها الصحافة.

وإذا كان الباحث يؤيد هذا الإتجاه، إلا أنه لا يؤيد ذلك على إطلاقه فقد تستدعى الصياغة اللغوية فى صحف الإثارة أن تستعمل بعض الألفاظ العامية وذلك لجعل العنوان أو جملة المتن أكثر مرونة وتعبيرا عن المعنى، لكن ليس معنى ذلك أن يصبح إستخدام اللهجة العامية منهجا فى الصحف، خاصة أن اللهجة العامية يمكن أن تنزلق بلغة الصحافة إلى الهاوية فبها ألفاظ يمكن أن تكون جارحة أو خارجة عن المألوف أو منافية للذوق العام.

■ ■ ■

ثامنا: معالجة القضايا الجنسية

فى النصف قرن الأول الذى قطعته الصحافة المصرية منذ أن تحولت إلى صحافة شعبية على يد الخديو إسماعيل لم تكن تهتم بمعالجة القضايا الجنسية، فقد كانت تلح عليها القضايا الوطنية، حيث كانت ظروف الإحتلال البريطانى ضاغطة على الجميع ومن بينها الصحف، وحتى عندما تطرقت الصحف إلى معالجة القضايا الإجتماعية ، لم تصرح بالكلام عن الجنس الذى جاء ضمنيا، ففى إطار وصف عبد الله النديم[1] لأحد مجالس الأنس أشار إلى أن ما ينفق سنويا على الخمور والقمار والحشيش يصل إلى ١٨ مليون و٤٨٠ ألف جنيه مصرى، وهذ خلاف ما يصرف فى المجالس الخصوصية والهدايا والمعاجين وخلاف من يشرب عشر كبايات أو عشرين تعميرة أو يقيم فى بيت الفحش شهرا أو يتخذ له مجلس ولدان كل ليلة، فكل هذه الأموال يمكن أن تستفيد منها البلاد إذا ما تم إنفاقها فى أوجهها الصحيحة.

ومن هذه الإشارة يمكن أن نفهم أن النديم كان يقصد بيوت الدعارة التى أشار إليها بوصف بيوت الفحش التى كان يقيم فيها الأغنياء شهرا كاملا من أجل إشباع رغباتهم الجنسية، هذا غير مجالس الولدان التى كان يمارس أصحابها الشذوذ الجنسى، لكن أغلب الظن أن النديم لم يشر صراحة إلى ذلك لأن المجتمع لم يكن ليتحمل الكلام عن الجنس بصراحة وبشكل مكشوف خلال الفترة التى كانت تصدر فيها جريدته التنكيت والتبكيت.

لكن الحديث عن الجنس أصبح واضحا وصريحا مع صدور الصحافة الفنية فى مصر، ويرصد أحمد المغازى[2] هذه الظاهرة حيث أن الإثارة الحسية والجنسية على وجه الخصوص كانت متمثلة فى أذهان القائمين على إصدار الصحافة الفنية عموما، وكان

(١) التنكيت والتبكيت، عدد ٢٦ يونيو ١٨٨١.

(٢) أحمد المغازى، مرجع سابق، ص١٧٠.

المطلوب من ذلك هو جذب القارئ ورفع أرقام التوزيع وتأكيد سطوة المجلات الفنية فى الأسواق الإعلامية وبالتالى فى الأوساط الإعلانية.

ويمكن القول أن الصحف الفنية عموما : قد دارت حول الحمى أحيانا وبعضها وقع فيه فعلا، وبعضها دار دورانا فنيا وبعضها دار فى إشتهاء وفر هاربا ومن الواضح أن الصحافة المتخصصة كانت أقل تعرضا للإثارة الجنسية وأن الصحافة الفنية العامة أكثر تعرضا وميلا وأن بعض هذه الصحف الفنية العامة قد مال كل الميل فعلا.

بدأت الصحف الفنية تقترب من الجنس على إستحياء من خلال مجلة المسرح عام ١٩٢٦ حيث نشرت صورة للممثلة روزاليوسف ونصف صدرها عار تماما، وكانت تحرص دائما على نشر صورة لفنانة فى وضع جميل ومثير عامة، ثم تطور الأمر إلى نشر صورة غلاف بالبكينى ذى القطعتين مع إجراء الحركة الراقصة التى تحقق الإثارة المطلوبة وكانت لإحدى الآنسات الراقصات بفرقة الريحانى.

كانت الإثارة الجنسية حتى هذا الوقت تتم بالصورة العارية فقط، لكن الأمر تطور إلى متابعة نشر القصص والفضائح الخليعة فى الوسط الفنى وأمام المحاكم، وقد أخذت هذه المتابعة صفة الضبطية القضائية المعنوية التى حاولت من خلالها تطهير الوسط الفنى وتهديد هذه الطبقة المستهترة بأنها مكشوفة، وإن كانت هذه الحجة تتداعى أمام الباب الذى كانت تنشره مجلة المسرح عام ٢٦ بعنوان شخصيات، ونشرت من خلاله كل أسبوع أهم الحوادث التى تحدث فى البيوت وتمتد إلى أسوار المحاكم ودور النيابة ونشرت أيضا كل ما يقع من الحوادث الفاضحة التى تشوه السمعة والتى يجب أن يهتم البوليس بها بمراقبة هؤلاء الفتيات اللواتى ينتسبن إلى المسرح والفن وهن لطخة تشوه سمعة رجال الفن.

وعندما صدرت المجلات السينمائية زادت فيها الجرعة الجنسية نظرا لطبيعة تعاملها الأوسع مع الجميلات الفاتنات من الممثلات ولكن ظلت هذه الميول أيضا أكثر حشمة مما

فى الصحف الفنية العامة، التى توسعت فى نشر الموضوعات الجنسية تحديدا بعد الحرب العالمية الثانية إذ زاد طلب نوعيات معينة من القراء على هذه الإهتمامات الجنسية الصحفية، وارتبط ذلك بالأزمة الإقتصادية الطاحنة التى شهدها العالم فى حقبة الثلاثينات.

ولعل هذه الأزمة مثلا هى التى دفعت مجلة الحسان إلى أن تفرد تحقيقا صحفيا كبيرا وموثقا عن «الإباحية الجنسية» التى انتشرت فى مصر آنذاك وبصورة دنئية ويحدد أماكن مزاولة الجنس وطرقه المستحدثة فى مصر وأبطاله وشخوصه وضحاياه، ويدعو إلى صرخة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ويحمل على تهاون البوليس الذى بدا وكأن كل شئ يسير فى ظلال تهاونه، وبدا أن القاهرة كمدينة من المفروض أن تتميز بالنشاط الصناعى أو التجارى أو الإدارى باتت تتميز بالنشاط الغرامى والجنسى الجديد.

وإذا كانت هناك مجلات فنية مثل مجلة النجوم التى صدرت عام ١٩٤٥، دعت إلى مهاجمة الصور العارية والمناظر الجنسية فى الأفلام واستعدت الحكومة على من يعبث بأخلاق هذا البلد المسكين بهذه الصورة.

إلا أن مجلة دنيا الفن التى صدرت عام ١٩٤٦ كانت أكثر الصحف الفنية قاطبة أخذا بسياسة المعالجات الصحفية الجنسية، وإن اتسمت معالجاتها بالذكاء الشديد وذلك بمطالبتها بتربية التذوق الفنى لدى الجمهور بصورة شجاعة ومتنورة من ناحية، وذلك عندما نشرت ما اسمته تماثيل حية كباب ثابت تنشر فيه المجلة صورا عارية تماما وكيف أنها تفعل ذلك بوحى من الفن.

وقدمت المجلة لمعالجتها تلك بما قاله المثال رمبراندت من أن الجسم الإنسانى هو أجمل ما خلق الله، وقد ألهم الجسم الإنسانى الجميل العارى أروع ما أنتجته العبقريات من آثار فنية خالدة على الزمن، وأنه قد نبا كثير من الفنانين المحدثين على تقليد التماثيل الفنية الرائعة فى لوحات فنية يسجلونها بواسطة الفوتوغرافيا ذلك الفن الوليد ويطلقون على

هذا العمل اسم التماثيل الحية، علقت المجلة على أول صورة نشرتها فى هذا السياق بأن فنانا محدثا استوحاها من بقايا تمثال للألهة أفروديت، وقد أسماها الخضوع، هذا إلى جانب حسن إستغلال الصيف ونشر مودة المايوهات لإستعراض مفاتن النساء مع إستخدام التعبيرات الخفيفة والراقصة.

وقد زاوجت مجلة دنيا الفن فى نفس الصفحة بين نشر التماثيل العارية الآدمية، وبين نشر مادة مثيرة أخرى تحت عنوان فضائح من هوليود، وقد احتوت القصص المنشورة على إنحرافات وبوهيميات جنسية وغير جنسية، وهو ما حدث فى أول حلقة نشرتها عن هذه الفضائح فى عدد ٢٢ اكتوبر ١٩٤٦، حيث أشارت إلى كيف هجمت إحدى فاتنات السينما على راعى بقر لأنها تريده.

لكن الملاحظ أن طابع العرى المثير الصارخ فى الصحافة الفنية قد قلت حدته بشكل واضح بعد فترة حرب ١٩٤٨، حيث بدأت الأمور السياسية والفنية والصحفية تسير إلى منحدر وتفاقمت المشاكل كلها مرة واحدة، وتضاعفت بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ والهزيمة التى وقعت، حيث أخذت أغلفة الصحف الفنية العامة وقتها طابعا جماليا بعد تقدم فن التصوير الفوتوغرافى وفنون التجميل والأزياء الأخرى، ولم يعد جسد المرأة فقط أو التماثيل الحية كما أسمته دنيا الفن مصدر الجمال والإثارة، هذا إلى جانب الإغراق أكثر فى الطابع الخفيف والمسلى فى عرض المادة الفنية واختيارها .

ولا يستبعد الباحث أن يكون الظرف السياسى التاريخى الذى كانت تمر به البلاد وهو حرب فلسطين قد أثر بشكل جاد على توجهات صحف الإثارة الفنية، فقد تراجع أصحابها ولو قليلا عن نشر الصور العارية والقصص الجنسية مراعاة لحدث سياسى ضخم إذ أن القارئ لن يقبل على هذه المعالجات وهو مهتم ومشغول بالأساس بمصير أمة.

ولا يسوق الباحث هذا التفسير بشكل تخيلى ولكنه يصيغه على هدى ما حدث من صحافة الإثارة فى العام ٢٠٠٣ عندما قامت القوات الأمريكية بغزو العراق بغرض

إحتلالها وإسقاط نظام صدام حسين، رأى القائمون على هذه الصحف أن نشر المواد الخفيفة والمسلية ونشر الصور العارية وقصص الفنانين والفنانات أمر لا يتناسب ووقار الحدث وجلله، فالأمة العربية كلها تقف على أعصابها فى إنتظار ما يمكن أن تسفر عنه الأحداث وليس من اللائق أن يتم شغلها بأمور تافهة، وقد وصل الأمر بجريدة «صوت الأمة» إلى أن ألغت صفحات الفن بها لمدة أربعة أسابيع واستبدلتها بصفحات سياسية تتابع من خلالها شئون الحرب وأخبار الغزو.

فى فترة ما بعد حرب ٤٨ بدأت صحف الإثارة الجنسية تتساءل عن أحقية نشر الصور والتماثيل واللوحات العارية، وكأنها تحاول أن تجد لنفسها مبررا لما تفعله أو أنها تعتذر عن سلوك سابق سلكته.

فى عدد ٣ فبراير ١٩٤٨ وجهت مجلة دنيا الفن سؤالا لأحمد راسم مدير المطبوعات وقتها عن أحقية الصحف الفنية فى نشر الصور العارية؟وكانت الإجابة التى نشرتها على لسانه هى:

«لا مانع فى نشر الصور العارية عموما لأننا إنما نساير بها روح العصر ونهضته الفنية وكيف أن هذه الصور العارية لا تخرج عن كونها صورا فنية حية، أو صور تماثيل فى المسارح ودور السينما واللهو، وعلى المحتجين أن يرفعوها من هذه الأماكن أولا، أو أنها صور حسان على البلاج وكل إنسان يمكنه أن يذهب إليها ليراها متجسدة أمامه وليس مجرد صور على ورق»

وأرجع مدير المطبوعات إتجاه نشر الصور العارية فى الصحف الفنية إلى أن الرأى العام نفسه هو الذى شجعها منذ البداية.

لكن المفاجأة أن مجلة دنيا الفن فيما يبدو كانت تعبر عن وجهة نظر تتمنى أن تعلنها على لسان رجل مسئول عن الفنون ورقابتها فى مصر، أو هكذا أراد المحرر الذى قرب السؤال لمدير المطبوعات ، فقد حدث أن أحمد راسم أرسل بتكذيب للمجلة وكيف أنه لم يأت

بحديث للنشر من هذا القبيل، وأن حديثا كهذا لم يعرض عليه لمراجعته، ثم يعلن أنه قد أبدى رأيا فى هذا الموضوع فهو خاص بفنى النحت والرسم اللذين تزخر بهما متاحف العالم، وليس فيه سوى العرى المتزن البرئ الذى لا يحمل إلى النفس إلا كل تقدير للفن وإحساس بالجمال، أما الصور الخليعة سواء كانت أشخاصها عارية أم مكسية فهى بأوضاعها ومعانيها التى تكون عليها مما ينبغى العزوف عنه.

ما فعلته مجلة دنيا الفن من إعلان رأيها فى القضايا الجنسية ومعالجتها، لا يخرج كثيرا عما تردده صحف الإثارة فى فتراتها المتعاقبة، بل تكاد تكون العبارات واحدة من أن نشر الصور العارية أمر طبيعى يحرص عليه القراء، كما أن هناك أماكن مثل البلاجات يمكن أن يتردد عليها الجمهور ليشاهد النساء العاريـت، فما الفارق أن تنشر نفس الصور فى الصحف طالما أنها موجودة فى الواقع، وهى فى لنهاية آلية من آليات الدفاع التى تنتهجها صحف الإثارة فى صد موجات الهجوم عليها.

لقد أثارت ممارسات الصحف الفنية فى النصف الاول من القرن العشرين إشكالية مهمة وهى العلاقة بين الجنس والفن وكيفية تعامل الصحف مع هذه الإشكالية، وفى هذا يقول أحمد المغازى[1]: تمثل المعالجات الجنسية فى الصحافة الفنية عقدة خاصة من عقدها التى لم تلتزم فيها بموقف محدد، فأعطت للجماهير المكبوتة بها ما يخدر إحساسها فقط، دون أن تعالج جذور المشكلة من أساسها وأصول التربية الجنسية السليمة، وتدفق فى مفارقات الفن السامية واحساساته الشهوانية، وتدعو إلى صحافة جديدة تواجه العقد الإجتماعية صراحة وخاصة ما يتصل منها بالتحريمات الدينية كمشكلة الجنس ذاته.

وينتقد المغازى معالجة الصحف للقضايا الجنسية فى الآتى: لا يصح مثلا أن نعلم أن شخصا مصابا بعقدة نفسية من منظر القطار وصوته أو من أزيز الطائرة لأنه نجا بأعجوبة مثلا من حادثة وقعت له فى أى منهما، ثم تلاحقه بعد ذلك يصورهما أو صوتهما وبصورة

(١) أحمد المغازى، مرجع سابق، ص ١٧٦.

فجة عنيفة، وقبل أن تعيد إليه التوازن النفسى والأبعاد العقلانية والإنسانية اللازمة المتصلة بعناصر الحدث وموقف الحرية والإختيار، أو يصح مثلا أيضا تقدم إلى جائع صورا أو إكسسورات لصنوف الطعام وأشهاها قبل أن تحل مشكلة جوعه وتقدم إليه ما يناسبه من طعام أساسا وإلا فإن الجوع بالحالحاته المادية واستغلال عنصر الصورة والوهم الحقيقى الملاصق لها أن يحولنا إلى مرضى لهذا الوهم فلا نميز بينه وبين الحقيقة.

ويرصد أنور الجندى[1] سمات الصحافة المصرية التى إنتهجت الإثارة أسلوبا للمعالجة منذ صدور مجلة روزاليوسف فى العام ١٩٢٦ ومن بين هذه السمات:

أولا: تأصيل كتابات الجنس...وذلك بإستغلال الأحداث وإبرازها والتوسع فيها وتحويلها من أحداث فردية إلى ظاهرة عامة فى المجتمعات ونقلها إلى مجال القصة وإلى مجال الجريمة، وإلى مجال الإجتماعيات والتركيز على المرأة تركيزا شديدا...ملابسها وأزيائها ومفاتنها والمرأة فى السينما والمرأة فى الرقص والمرأة فى الغناء، ووضع إطار وهمى زائف لهذه الصور وإعتبار الفن علما له أصول وواقع له قداسة وتقدير ومعجبون ورسالة، ووصف هذه الرسالة بأنها كرسالات الأنبياء.

ويهدف هذا كله إلى خلق مثل أعلى ضال ومسموم للفتيات من الفنانات والراقصات والمغنيات، وخلق مثل أعلى للشباب من لاعبى الكرة والممثلين والراقصين، وهذه هى أخطر محاولة للصحافة، وكل ما وراء الصحافة بعد ذلك لاقيمة له، وقد رفعت الصحافة كتاب الفراش وأغانى الجنس إلى أعلى الدرجات أمثال يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس ونزار قبانى.

ثم هناك الخوف المبيت من كلمة الدين وإعتبارها مصدر الخطر، والمراوغة فى تفسيرها واعتبار كل من يدعو إلى أخلاقية المجتمع أو تطبيق أصول الشرع مخرفا أو دجالا، أو راغبا فى الهدم، هكذا تنطلق أقلام محمد التابعى وإحسان عبد القدوس ومصطفى أمين

(١) أنور الجندى، الصحافة والأقلام المسمومة(القاهرة، دار الإعتصام) ص ٧٥ -٨٦.

وأحمد بهاء الدين.

وقد زيفوا المثل الأعلى للمرأة وقدموا للشباب صورة أخرى باهتة وتافهة: وزيفوا المثل الأعلى للرجل وقدموا للفتاة صورة منحرفة خادعة، ودخلت مفاهيم زائفة وكاذبة على علاقات الشباب والفتيات والمرأة والرجل هدمت الأسرة، ولقد كان حقا للمرأة أن تسأل: ما هو المثل الأعلى للشباب الذى يصلح زوجا رجولة وإيمان وخلقا، وكذلك على الرجل أن يسأل عن الفتاة المؤمنة، أما هذا الزيف فإنه مضروب بالباطل وذاهب إلى نهايات كلها هزيمة وشر.

ثانيا: وضع الكتابات الجنسية بسمومها فى قالب خداع...فقد حرصت الصحافة على أن تنجح فى الترويج لأهدافها عن طريق لمراوغة والخداع والتضليل، فجعلت فى جزئيات من هنا وهناك كلمات تحمل طابع الحماس الوطنى أو الدفاع الخلقى، هذه السطور لا قيمة لها إزاء الصفحات الواسعة والموضوعات المتعددة الملئية بالسموم.

بل لقد برع كتاب الجنس فى تقديم مادتهم فإنهم يأخذون من الأحداث الواقعة غلافا للإباحية، من حيث استغلالهم للسياسة والاحداث الوطنية وغيرها ليجعلوها إطارا يصبون فيه سمومهم محاولين إرضاء القراء بإثارة مشاعرهم وأهوائهم تحت أسماء كثيرة.

وقد تعجب أن يقدم لك الكاتب كل الأحداث المشينة بتفصيلاتها التى تتقزز لها النفس، ثم يختم القصة بأن يقول أن البطل هزم أو مات أو قتل أو تحطم لأنه كان فاسدا، إن هذه النتيجة السريعة لا تؤثر فى النفوس شئيا إزاء التفصيلات الواسعة والوقائع المريرة المكشوفة التى تبقى صورها فى الذهن والنفس وتفعل فعلها فى أعماق الشباب والفتيات.

ثالثا: تلخيص الكتب الجنسية والأفلام الجنسية وشرح الفلسفات المادية....وهذا عمل حرصت عليه الصحافة لإحداث بلبلة فى نفوس الشباب والفتيات، وقد تولى هذا صحفيون كثيرون فى مقدمتهم أنيس منصور الذى قدم ركاما أسودا مظلما من الفسلفات والمذاهب والنحل الباطلة المدمرة سواء منها اليونانية أو الشرقية أو الحديثة فى موضوعات

غامضة مختلفة كالسحر والأساطير، خلط فيها بين جد الفلسفات وهزلها وبين صحيحها وفاسدها فى عملية عجيبة يحاول فيها تقديم الغريب والمثير، دون تقدير لمسئولية الكاتب ومهمة صاحب القلم فى حماية القارئ من السموم والعثرات وتقديم الخبر له.

رابعا: تحسين الجريمة والخمر والبغاء....فلأول مرة نجد صحفيين مسلمين يدافعون عن البغاء وعن الفساد الإجتماعى ويقاومون كل صيحات الدعوة إلى الحد من القمار أو الخمر فى المجتمع، فى مقدمة هؤلاء محمد التابعى وتتبعه مدرسة أخبار اليوم وروزاليوسف، هذه المجلات التى ما تزال تهدر بالسموم، مجلة حواء وصباح الخير والكواكب وآخر ساعة من صور عارية وتجسيم للجنس حيث يكتب مصطفى أمين وزكى عبد القادر وهما فوق الستين قصصا غريبة، يقلد فيها مصطفى أمين إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وينشر فيها زكى عبد القادر كل آراء تجرى على ألسنة المفتونين والمغرورين.

خامسا: الدعوة إلى إعادة البغاء...فقد طالب يوسف السباعى وأنيس منصور بالعودة إلى الدعارة العلنية بدعوى أن ذلك يقضى على القلق الذى يساور الشباب فى المجتمعات العربية.

لقد حرص الباحث على إستخلاص هذه السمات من بين إثنى عشر سمة وضعها أنور الجندى للصحافة المصرية فى كتابه الذى منحه عنوانا دالا وهو «الصحافة والأقلام المسمومة»، رغم أنها تنطلق للنظر لصحافة الإثارة من أرضية أخلاقية ذات مرجعية إسلامية بحتة لا إشارة فيها من قريب أو بعيد للحالة المهنية التى يجب أن توضع فى إعتبار الناقد الذى يتعرض للصحافة أيا كان توجهه، لكن أهمية ما قاله أنور الجندى ترجع إلى عدة أسباب:

أولا: أن كتابه هذا يعتبره كثير من الناقدين للصحافة المصرية عموما وصحافة الإثارة خاصة كتابا عمدة ومرجعية لا يرقى إليها الشك ولا يساورها القلق العلمى، رغم أن الرؤية التى قدمها ليست إلا مخاصمة تامة لما قدمته الصحافة المصرية بمختلف مدارسها، وقد تكون هناك بعض وجوه النقد لما تم تقديمه لكن لا يمكننا أن نهيل التراب على كل ما

أنجزته الصحافة المصرية.

ثانيا: أخضع الجندى ما قدمته الصحافة المصرية إلى نظرية المؤامرة، فهى تهدف من خلال إغراقها المبالغ فيه فى الجنس إلى هدم المجتمع الإسلامى وهدم قيمه الراقية والسامية، وهو تفسير لا يمكن أن نستسلم له بسهولة، لأن الصحافة المصرية قد يكون لها أخطائها الكثيرة، التى يمكن أن تخضع للتفسير المهنى ولا مكان لمؤامرة خاصة أن القائمين على هذه الصحافة لها تكوينهم النفسى والإجتماعى والعملى الذى لا يمكن أن نعزله عما أنتجوه من صحافة، ولو حدث ذلك فإنه يكون إجتزاء للظاهرة وإفتئات عليها، وهو سلوك غير مقبول من الناحية العلمية.

ثالثا: الدخول إلى نقد المنتج الصحفى من خلال مداخل أخلاقية أو دينية فيه نوع من فساد الإستدلال الذى لا يؤدى بنا إلى نتائج علمية، فكأننا نقيس سرعة الصوت بمقياس كثافة السوائل، ولذلك فإن بحث الجندى عن صحافة الجنس لم يقدم نتائج بقدر ما قدم إتهامات من السهل الرد عليها، خاصة إذا وضعنا المنتج الصحفى الذى تناوله بالنقد فى سياقه المجتمعى العام الذى أنتجه.

وهو مايحاول أن يقدمه الباحث من خلال رصده لتناول الصحافة المصرية لقضايا الجنس فى الفترة المعاصرة ويقصد بها الفترة التى تمتد من بداية التسعينات، وهى الفترة التى تولى فيها عادل حمودة منصبه فى مجلة روزاليوسف كنائب لرئيس التحرير، وهى الفترة التى قدم فيها الجنس لذاته وليس لإرتباطه بالجريمة أو حادثة معينة.

وقد يكون غير مناسب أن نقدم النقد قبل الرصد، لكن الباحث سيفعل ذلك وله مبرراته العلمية، فمعالجة القضايا الجنسية فى الصحف لحق بها الكثير من الصور الذهنية المشوهة ومن بين ما تردد كنموذج فقط ، ما كتب بعنوان «عار على الصحافة المصرية»[1] ، فقد كتب جمال سلطان:

(١) جمال سلطان، عار على الصحافة المصرية، جريدة المصريون الإليكترونية، عدد ٣٠ يونيو ٢٠٠٨.

أندهش كثيرا من إصرار بعض الصحفيين كبار السن على ترويج الأعمال المنافية للآداب في صحفهم «المستقلة» بدون أى معنى معقول أو مبرر من مقتضيات المهنة ذاتها ، ولا أقول مبرر من الأخلاق لأن الأخلاق منعدمة في هذه الحالة بكل تأكيد ، وكان الزميل عادل حمودة قد اشتهر قبل سنوات بأنه «رائد» الصحافة الجنسية في مصر ، عندما تولى مسؤلية تحرير مجلة روزا اليوسف ، فتحولت في عهده إلى نسخة مترجمة من مجلات الجنس المتخصصة فى أوربا ، مع بعض التلطيف بما يلائم الأوضاع في مصر.

وكان حمودة يخصص مجموعة كبيرة من المحررين في المؤسسة وعدد كبير من المترجمين للتنقيب المضنى عن أى موضوعات جنسية صارخة يمكن إعدادها أو ترجمتها من أى مجلة أجنبية متخصصة في هذا «الصنف» كما كان هناك فريق آخر متخصص فى البحث عن الصور المناسبة والمعبرة عن ثقافة العري والإباحية، وكان هذا التوجه من «حمودة» يبرر بالبحث عن «السوق» ومعدلات البيع والتوزيع ، وأن التجارة شطارة ، وهو نفس منطق بيوت الدعارة والقوادين ، ووصل الحال إلى حد أن أرسلت أسرة زعيم يساري تقدمى وحدوى تستنكر هذا الإسفاف والخلق المنحط فى المجلة ، وتؤكد السيدة الفاضلة[1] أنها أصبحت تستحى أن تدخل المجلة إلى بيتها أو أن يتداولها أحفادها وهى بمثل هذه «القذارة».

وتقول بأن روزا بعد أن كانت مجلة تنويرية وتمثل المعارضة المستنيرة من داخل النظام تحولت إلى هذا الانحطاط والإسفاف بحيث أصبحت مثل مجلات البورنو والصحف الإباحية ، ولكن كلام زوجة الزعيم اليسارى الكبير لم يؤثر في سياسة المجلة قيد أنملة ، رغم أن «حمودة» لم يجرؤ على أن يتهمها بالظلامية والأصولية والرجعية لأنها تصبح نكتة.

ولك أن تتخيل أن يأتي النقد لهذا الانحطاط من ذلك البيت ، وتصور معي «قرف» بقية الخلق ، وعندما تم طرد عادل حمودة من روزا انتقل بعدها إلى صوت الأمة المستقلة ،

(١) يقصد زوجة القيادى اليسارى خالد محيى الدين.

فانتقلت معه إليها نفس «التجارة» وتحولت الصحيفة الوليدة وقتها إلى موضوعات جنسية وإباحية وصور مزرية وفضائحية يستحى أن يدخلها أى شخص إلى بيته ، ثم خرج حمودة بعد ذلك من صوت الأمة إلى جريدة «الفجر» ، فانتقلت نفس الآفة إليها ، وبعد فترة من الحذر الذي نبهه إليه فيها شركاؤه ، لم يستطع صبرا على «الطهارة» فعادت ريما لعادتها ، وبدأت صحيفة الفجر تتخصص فى نشر الموضوعات الإباحية مصحوبة بالصورة الفاجرة ، ولكن المستفز أكثر في هذه الجرائم المستمرة في حق الصحافة المصرية ، وتلويث شرفها ، هو اتجاه عادل حمودة إلى الصحافة الإسرائيلية لنقل موضوعاتها الجنسية إلى القارئ المصرى ، حيث ترجم من صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية موضوعا إباحيا وحرص على أن ينشر معه صور كبيرة وبالألوان ، وأنا أفهم أن ننقل عن صحافة العدو بعض التقارير والأخبار التي تكشف عن عقلية العدو وخططه وبرامجه تجاه الوطن ، ولكنى لا أفهم أي معنى لنقل الموضوعات الجنسية والإباحية من الصحافة الإسرائيلية إلى القارئ المصرى.

يلخص هذا المقال ملامح الصورة العامة المرسومة عن إستخدام الصحافة المصرية للجنس خلال فترتها المعاصرة التى ارتبطت بمجلة روزاليوسف وظاهرة الصحف الخاصة التى صدرت عن شركات مساهمة مصرية بترخيص من المجلس الأعلى للصحافة، وهى صورة تعتمد على أن الجنس لم يظهر فى الصحافة إلا لغرض تجارى ترويجى بحت، وأنه لا يخرج عن كونه نشر فضائحى لا يليق بالصحافة أن تفعله.

إنها ليست إلا صورة ذهنية تراكمت عبر السنين، وإذا كان أنور الجندى حاصر الصحافة الجنسية كما يقول من الباب الأخلاقى، فإن الصور الذهنية التى أحاطت بصحافة الإثارة الحديثة تنطلق من أرضية التسطيح للظاهرة الصحفية وعدم إدراكها لا من أرضية مهنية ولا حتى من أرضية مجتمعية، فالجنس فى الصحافة ليس كله شر.

لقد خطت روزاليوسف فى فترة مسئولية عادل حمودة بالصحافة المصرية إلى هذا

الإتجاه، لا يقصد الباحث نشر الصور العارية ولكن من خلال تقديم الجنس الذى ظل طويلا أحد التابوهات التى لا يقترب منها أحد فى الصحافة المصرية بحيث جعلت منه رغيف خبز يومى على كل مائدة مصرية أو هكذا اعتقد أصحاب هذه المعالجة.

لقد كانت هناك رؤية واضحة لدى عادل حمودة[1] وهو يوظف الجنس فى تجربته الصحفية يقول عن ذلك : بالنسبة لنا فى روزاليوسف أن الموضوعات الجنسية كانت كالشحم الذى تضعه بين أشياء تحتك ببعضها، وأنا لم أكن أتضايق من فكرة أن يهاجموننا في قضية الجنس، كى تبعد عنا مشاكل كثيرة كانت ستحصل، في أمور أخرى.

كانت جرعة الجنس فى روزاليوسف إذن محاولة لتخفيف حدة التوتر الذى كانت تصنعه المادة السياسية التى تنشرها المجلة وقضايا الفساد التى تفجرها، ومن ناحية ثانية كانت محاولة لكسر تابو يحيط بأعناق المجتمع المصرى، ربما إعتقادا أن كسر هذا التابو يمكن أن يؤدى فى فترة لاحقة إلى كسر تابوهات أخرى سياسية مثلا، وهو لم يحدث فى المدى القريب على الأقل وهو ما جعل المراقبين للمعالجات الجنسية فى روزا يعتبرون أن هذا الكلام ليس إلا تنظيرا فى الهواء.

لكن الباحث يرجح من خلال رصده للمعالجات الجنسية التى دأبت عليها روزاليوسف، أنها فعلت ذلك فى سياق، لم تكن المجلة تنشر الجنس للجنس، ولكنها كانت تحيطه بسياج علمى وطبى، ولعل هذا يفسر إستعانتها بأطباء متخصصين ليكتبوا فى هذه المساحة ومن كتابها كان الدكتور خالد منتصر، الذى انتقل بمعالجاته للقضايا الجنسية بعد ذلك إلى الصحف الخاصة مثل الدستور وصوت الأمة، وظهر كذلك الدكتور خليل فاضل إستشارى الطب النفسى، الذى كان يدخل للقضايا الجنسية من مساحتها النفسية.

لا يعنى هذا أن روزاليوسف قدمت معالجة متكاملة أو نموذجية للقضايا الجنسية، بل

(١) عادل حمودة، حوار مع الكاتب السورى حكم البابا...بعنوان أزمة الصحافة العربية هى أزمة رؤساء تحرير، منشور على موقع حكم البابا الإليكترونى.

إن ما فعلته يكاد يكون جناية على المهنة، فمن ناحية لجأت المجلة فى كثير من موضوعاتها الجنسية إلى مداعبة غرائز قارئها بما يضمن إقباله على المجلة وشرائها وهو ما يصب فى النهاية فى مساحة زيادة التوزيع.

ومن ناحية ثانية فقد سارت الصحف الخاصة وراء هذه المعالجة لكن بعد أن فرغتها من مضمونها تماما، فقد لجأت للجنس من أجل زيادة التوزيع ليس إلا، ولذلك فقد وضعت الجنس فى كل صفحاتها دون تمييز عن سياقها ، وهل مناسب للمجتمع أم لا؟، وقد يكون النموذج المثالى لهذه المعالجة فى جريدة النبأ التى تحولت منذ منتصف التسعينات وبداية الألفية الثالثة إلى جريدة جنسية بحتة، وقد أشار تقرير الممارسة الصحفية للعام ١٩٩٩ إلى ذلك صراحة.

حيث يرى التقرير أن صحيفة النبأ تعمد إلى الإثارة كوسيلة وتكنيك متعمد، ومن هنا نجدها تطرح موضوعات حول غرف النوم المغلقة ومتابعة أسعار الغانيات وفتيات الإعلان وزواج الجن بالبشر وممارسة الجنس مع الفتيات ومنها:

- أسرار إلقاء القبض على ٢١ فاتنة فى شبكة مصنفات.
- القصة الكاملة للصور الجنسية ليسرا ومادلين طبر وأصالة.
- أغرب حكايات العلاج بالجنس عند أولاد الذوات.
- الليلة الحمراء بألف جنيه مع ٣١ فتاة إعلانات.
- نص إعتراف أكبر شبكة رجال تمارس الشذوذ بملابس الحريم.
- حبوب جديدة بالأسواق تمكن الشباب من إغتصاب البنات.

ولم تكن جريدة النبأ وحدها هى التى سلكت هذا المسلك فقد قامت به أيضا الصحف المصرية الحاصلة على تراخيص أجنبية، وتحديدا التى تخصصت فى الجريمة، فقد جعلت من نفسها صحف جنس من الغلاف إلى الغلاف، وقد ساعد هذه الصحف إنتشار

التعامل مع شبكة الإنترنت التى توفر الموضوعات ذات الطابع الجنسى محليا وعالميا وبالمجان.

وهنا يقف الباحث أمام نمطين من أنماط معالجة الشئون الجنسية، الأول يدرك أن القارئ يحتاج بشكل أو بآخر إلى موضوعات ذات صبغة جنسية فيقدمها له، مع مراعاة أن يقوم بتهذيب هذه المادة حتى تتم ترقية مشاعر وغرائز المتلقى، ونمط يستجيب مباشرة لغريزة القارئ فيمنحه ما يريد كما يريد، ويترك القارئ لعواقب ما نشر، وهو فارق بين نمطين يمكن أن نحصره فى ثنائية هى:

صحف تسأل ماذا يريد القارئ؟وتحاول أن تقدم إجابة مهنية على السؤال.

وصحف تقول...هكذا يريد القارئ ولا تجتهد إلا بالقدر الذى يلبى هذا الإحتياج فقط.

■ ■ ■

تاسعا: معالجة شئون الأديان

يحتل الدين فى حياة الشعب المصرى مساحة كبيرة، فهو يكاد يدير حياتهم اليومية، وذلك بصرف النظر ما إذا كانت هذه الإدارة حقيقية تعبر عن قناعة تامة بدور الدين على إختلاف أسماءه (إسلامى أو مسيحى)، أو كانت إدارة زائفة وشكلانية تهتم بالمظهر دون الجوهر وهى فى حقيقة الأمر الصيغة الغالبة من خلال إزدواجية تحكم الشعب المصرى من خلال فعل الشئ ونقيضه فى ذات الوقت دون شعور أن هناك تنافر أو تضاد.

وقد ظلت الصحافة المصرية تحفظ للدين والقائمين عليه صورة لا تخرج ملامحها عن التوقير والإحترام، إلا فى بعض الحالات التى تكاد تكون نادرة، ومنها مثلا ما فعلته إحدى الصحف[1] فى العام ١٩٠٤ كان الخديو عباس حلمى قد استمع إلى نصائح الشيخ محمد عبده فى العمل لإصلاح الأزهر، وفوض للشيخ أمر السير فى حركة الإصلاح، وأعتقد الخديو أن الشيخ محمد عبده لن يعارضه فى شئ مطلقا من تصرفاته ورغباته مقابل ذلك، لكن خاب ظنه فى تقدير الأمر، فقد إنحلت كسوة من الدرجة الأولى من كساوى التشريف العلمية بموت أحد كبار العلماء، فأرسل الخديو إلى شيخ الأزهر يبلغه شفويا أن يوجه الكسوة إلى الشيخ محمد راشد مفتى المعية، ولم ينفذ الأمر وأسندت الكسوة إلى شخص آخر.

وعندما إجتمع العلماء عند الخديو فى التشريفات نصف الشهرية قال الخديو لشيخ الأزهر غاضبا: ألم آمرك بتوجيه كسوة فلان إلى فلان؟فتلعثم الشيخ معتذرا، فرد الشيخ محمد عبده قائلا: إن الذى قرره مجلس إدارة الأزهر إنما هو التنفيذ لأمر أفندينا وهو ما نص عليه القانون المتوج باسم سموكم، وأما الأوامر الشفوية فلا يعتمد عليها المجلس، فإذا شاء أفندينا أن تكون كساوى التشريف العلمية بمقتضى إرادته الشخصية فليصدر بذلك قانونا آخر ينسخ هذا القانون أو مادة قانونية نصها: كساوى التشريف للعلماء

(١) جريدة صوت الأمة، عدد ٤ أغسطس ٢٠٠٣.

توجه بأمر منا، فلما سمع الخديو هذا الرد أحمر وجهه ووقف إيذانا للحاضرين بالإنصراف.

عرف شيوخ الازهر أن الخديو غاضب على الشيخ محمد عبده فشرعوا أسلحتهم تجاهه، فاتفق الشيخ محمد توفيق البكرى مع بعض أعوان الخديو على حمل بعض أعضاء مجلس إدارة الآزهر على الإستقالة واستبدالهم ببعض خصوم محمد عبده، وبذلك يكون فى مجلس الإدارة حزب قوى لمعارضة نفوذه وتأييد الخديو فى كل ما يقوله.

لم يستقل أحد ممن فاوضهم الشيخ البكرى على ذلك، بل تمسكوا بمناصبهم فى مجلس الإدارة، وعندما عرف الشيخ محمد عبده بما يدبر ضده، عزم على أن يقدم إستقالته ليريح نفسه ويريح خاطر الخديو، لكن الخديو لم يرض بذلك، فقد كان يرى دأب الشيخ البكرى وتصميمه على الإطاحة به، ولذلك ظل يدعم الشيخ البكرى ويثنى على ما يفعله وينتظر النتيجة، كان الخديو فى المنتزه بالإسكندرية فكتب له الشيخ البكرى يقول: مولاى أدام الله ملكه أخبرنى محمد بك بيرم أمس بخبر، ولكنه يقبل قدم أفندينا بألا يسمعه أحد فإنه إن سمع لغط، وذلك الخبر هو أن الشيخ محمد عبده توجه أمس إلى اللورد كرومر وقال أن سمو مولانا الخديو يريد رفتى ورفت مجلس الإدارة جميعه، وطلب منه أن يتدخل فى الأمر، فقال اللورد كرومر إنه لايمكنه التدخل، ولما يئس الشيخ محمد عبده منه قال له: ائذن لى أن أتوجه إلى الأسكندرية لمقابلة ولى النعم، فأشيع الخبر فى مصر بأنه سافر حتى أنه كتب فى بعض الجرائد، ولكنى طلبت مقابلة الشيخ محمد عبده أمس فحضر عندى، فسألته عن المسألة بوجه الإجمال لأعرف فكره، فوجدت أنه خضع وغير الموضوع حيث قال إنه لا يوجد أدنى توقيف منا لتغيير مجلس الإدارة، ولكن لم نفهم قصد سمو أفندينا تماما، فنحن ننتظر مقابلته بالذات لنفهم الغرض فننفذه، وكذلك شيخ الجامع، قال لشفيق بك صباحا بأن المشايخ مستعدون لتقديم الإستعفاء ولكن لسمو أفندينا بالذات ، وهذا كله غير ما كان يقولونه قبل مقابلة الشيخ عبده لكرومر، ورأى عبدكم أن سموكم

لا تظهرون لهم أدنى غضب ولكن حيث أنهم لم يفهموا أو لم يثقوا بأن أكون أنا واسطة بين سموكم وبينهم فسموكم تفهمونهم المسألة وتأمرونهم بتنفيذها فى الحال وقبل صدور الأمر بالتنفيذ تتكلمون مع اللورد كرومر فيها من باب حسن المعاملة، هذا وعندى أشياء كثيرة سأتشرف بعرضها عند تشريف الركاب العالى، إلى هنا أدام الله مولاى ولى النعم مؤيدا بالعز والنصر دوام الدهر....والتوقيع العبد الخاضع محمد توفيق البكرى.

لم يستحسن الخديو رسالة البكرى رغم ما فيها من خضوع لأنه أشار إليه باستشارة كرومر، فلم يستعن به، بل استخدم أسلحة جديدة ضد محمد عبده، فقد أثار عليه جريدتا اللواء والظاهر، وكانت الثورة بسبب فتوى قالها الشيخ.

كان السؤال الأول: بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته ثم يذبح قبل أن يموت دون تسمية هل يجوز أكل لحمه؟ءالسؤال الثانى: يوجد أفراد فى هذه البلاد يلبسون البرانيط لقضاء مصالحهم فهل يجوز ذلك أم لا؟

أفتى الشيخ بالإباحة فى الحالتين فقام العلماء وقعدوا بخصوص الفتوى الأولى على الأخص يحرمون فيها أكل لحوم هذه الأبقار بإعتبار أنها موقوذة وطعنوا على الشيخ، فرد عليهم بأن الموقوذة هى ما ضرب بغير محدد كالخشب والحجارة حتى انحلت قواه ومات.

لم يكتف الخديو بذلك بل حرض العلماء عليه فرموه بأنه وهابى كما رموه بالزندقة لعدم أخذه بآراء شيوخ المذاهب وزاد خصوم الشيخ على ذلك بأن لفقوا له صورة شمسية مع بعض نساء أوربا وحملوها إلى اللورد كرومر وأفهموه أنه يجب إقالة الشيخ من منصبه، سخر منهم كرومر وقال لهم: إن الأستاذ يزورنا هنا وتحضر لدى كرومر وغيرها من عقائلنا، فهل يصح أن نعد هذا إهانة له أو لنا؟وبذلك فشلوا عند كرومر، لكنهم أصروا على المؤامرة فنشروا الصورة فى جريدة «حمارة منيتى»لتكون فضيحة الشيخ عامة.

وفى حالة أخرى فى خريف العام ١٩٥٥ عندما وقعت حادثة لإثنين من قضاة المحكمة الشرعية، وهما الشيخ سيف والشيخ الفيل، اللذان راوادا بعض السيدات عن أنفسهن

وطلبا منهن رشوة جنسية مقابل الحكم لهن فى قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بهن والمنظورة أمامهما، نشرت جريد الأهرام الإتهام[1] وجاء فيه أن الشيخ الفيل طلب الخلوة ولوازمها لقاء حكمه لصالح شفيقة حامد شاكر فى القضية رقم ٣٨ لسنة ١٩٥٥ المنشية الشرعية، ولصالح جميلة على فايد فى القضيتين ١٠٠ و١٦٨ لسنة ١٩٥٥ المنشية الشرعية، ولصالح سعاد محمود بسيونى أخت عوض وصبرى اللذين استضافا الشيخ فى منزلهما ووفرا له الخلوة مع شفيقة وجميلة، وقد طلب الشيح عبد الفتاح سيف من سعاد دسوقى عامر وعزيزة السيد منصور نفس الطلب ليحكم لهما فى القضايا رقم ١٤٠ و٥٠٥ و٥٨٥ و٥٥٨ و ٦٢٦ لسنة ١٩٥٤ اللبان الشرعية، وقد تحقق للرجل ما طلب فقد وفر له عبده السيد نصار خلوة فى منزله اجتمع فيها بالمرأتين، وتكررت الخلوة مرة ثانية، وتكرر اللقاء الخاص مرة ثانية بين الشيح سيف وسعاد وعزيزة فى منزل عوض وصبرى محمود بسيونى.

وجهت المحكمة للشيخين سيف والفيل تهمة الزنا وتعاطى مواد مخدرة، واكتفت بتوجيه تهمة الرشوة لبقية المتهمين.

ظلت محاكمة الشيخين حديث الناس فى مصر، وتابعتها الصحف ليس لتسجيل وقائع المحاكمة فقط ولكن لتسجيل كل شاردة وورادة تصدر عن الرجلين، وتنقل آخر ساعة الخبر[2] تقول: أخيرا وقف القاضيان الشرعيان الشيخ الفيل والشيخ سيف المتهمان بالرشوة والزنا أمام قضاة يحاكمونهما وفتحت أبواب سجن الحدراء وأراد القاضيان المتهمان الخروج من الباب ليستقلا السيارة فى طريقهما إلى المحكمة ولكنهما أبصرا مصورى الصحف فانسحبا إلى الداخل، وكان الشيخ الفيل يسير بخطى بطئية وهو يسير نحو عربة السجن، ويجذب يد الشيخ سيف الذى ما إن رأى عدسات المصورين حتى لمعت ثورة

(١) الأهرام، عدد ٦ نوفمبر ١٩٥٥.
(٢) مجلة آخر ساعة، عدد ٩ نوفمبر ١٩٥٥.

عينيه، وصاح فى وجه زميله: سيبنى يا شيخ فيل، ثم ركبا سيارة السجن دون أن يراهما أحد، غير أن ضابط البوليس المكلف بالحراسة وضع فى أيديهما القيود لأول مرة قبل أن يسمح لهما بمغادرة السجن.

وتضيف آخر ساعة أن الشيخان كانا أثناء وجودهما فى سجن الحدراء نزيلين ملتزمين، وأكد جميع ضباط ونزلاء السجن ارتياحهم لسلوك نزيلى الزنزانتين ٢١و٢٢ ، لأنهما يحافظان على النظام ويحرصان على تلاوة القرآن ويؤديان الصلاة فى مواعيدها، لم يتخلى الرجلان عن ثباتهما، وعندما كانا يسألان عن رأيهما فيما حدث وما يتوقعانه فى المحكمة كانا يقولان: منتظرين الفرج.

فى هذين النموذجين كان رجال الدين طرفا فى صراع وقد تناولت الصحافة قضاياهم من منطلق أنهما مسئولون عن أنفسهم وعن تصرفاتهم وأنهم ليسوا بما يفعلون حجة على الإسلام، بل الإسلام هو الذى يمثل حجة عليهم، وهى آلية تلجأ إليها الصحافة بغرض أن تبتعد بنفسها عن التهمة الجاهزة وهى أنها تعمل ضد الإسلام.

لكن فى مرحلة لاحقة خطت الصحافة المصرية من خلال مجلة روزاليوسف خطوة متقدمة جدا فى معالجاتها لشئون الأديان[1]، كان ذلك تحديدا فى عام ١٩٥٥ أيضا وكانت الصحافة وقتها لم تؤمم، وكانت الرقابة عليها ثقيلة وعنيفة، كان إحسان عبد القدوس يومها هو صاحب المؤسسة وحتى يهرب بنفسه وبروزا من ثقل الرقابة أنقص صفحاتها السياسية، وفتح صفحات أوسع للمواد الإجتماعية والأدبية، وهو نفس السبب الذى جعل إحسان عبد القدوس يطالب بتأميم الصحافة لأن الرقابة كانت قد وصلت إلى حد أن أصبحت الصحف أقرب فعلا إلى ملكية الدولة.

فى هذه الفترة كان جمال عبد الناصر يقرأ قصص «البنات والصيف» التى كان ينشرها إحسان فى روزاليوسف، أرسل له عبد الناصر عدم موافقته على ما ينشر أو على الأقل عن

(١) عادل حمودة، جريدة صوت الأمة، عدد ٢٨ مارس ٢٠٠٣.

عدم رضاءه عن تفاصيل ما تقدمه هذه القصص التى لم يكن عبد الناصر يصدق أنها يمكن أن تحدث فى مصر.

بالتزامن مع قصص البنات والصيف كان إحسان عبد القدوس يفتح صفحات روزاليوسف للأبحاث الدينية وكان الكاتب مصطفى محمود فى مرحلة معينة من مراحل فكره الدينى، وكان ينشر دراسات دينية اعترض عليها عبد الناصر أيضا، وعندما أبلغ محمد حسنين هيكل إحسان عبد القدوس بإعتراضات عبد الناصر إختار إحسان أن يرسل بخطاب إلى الرئيس ليوضح له وجهة نظره فيما فعل، ورغم أن الرسالة بها جزء كبير عن التعرض للأمور الجنسية فى الصحافة إلا أنها تمنحنا إشارة واضحة عن نقطة التحول فى معالجة شئون الأديان فى الصحافة المصرية، ولأن هذه الرسالة من وجهة نظر الباحث تعتبر وثيقة مهمة[1] فإنه يوردها بنصها أولا ثم يعقبها بمناقشة لحدودها وعطاءاتها:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

عزيزى السيد الرئيس

تحية حب وشوق

أبلغنى صديقى الأستاذ هيكل رأى سيادتكم فى مجموعة القصص التى نشرتها أخيرا بعنوان البنات والصيف ، وقد سبق أن أبلغنى نفس الرأى السيد حسن صبرى مدير الرقابة واتفقت معه على تعديل الإتجاه الذى تسير فيه قصصى.

ورغم ذلك فإنى أريد أن أشرح لسيادتكم الدافع والهدف اللذين يدفعاننى إلى كتابة قصصى لا دفاعا عن نفسى بل فقط لأكون قد أبلغتكم رأيى.

أنا لا أكتب هذه القصص بدافع الربح المادى، فإنى ما زلت أقل كتاب القصة ربحا، ولا أكتبها بدافع الرغبة فى رفع توزيع المجلة، فقد كنت أكتب هذه القصص فى الوقت

(١) نص الرسالة عن جريدة صوت الامة، عدد ٢٨ مارس ٢٠٠٣.

الذى لم تكن المجلة فى حاجة إلى رفع توزيعها، وقبل الثورة وعندما كنت أكتب فى قضية الأسلحة الفاسدة وأثير حملاتى على النظام القائم وكان عدد روزاليوسف يباع بعشرين قرشا(١٠ أضعاف السعر)..فى نفس الوقت كنت أكتب قصة النظارة السوداء وأنشرها مسلسلة وهى قصة تصور مجتمع المتمصرين تصويرا صريحا جرئيا.

وإذا كان رفع توزيع المجلة يعتمد على نشر القصص المسلسلة فإن القصص الإجتماعية الصريحة ليست وحدها التى ترفع التوزيع، وقد سبق أن نشرت فى روزاليوسف قصة «فى بيتنا رجل» وهى قصة وطنية خالصة ليس فيها مشكلة حب ولا مشكلة جنس، ورغم ذلك فقد رفعت هذه القصة من توزيع المجلة أكثر مما رفعته «قصة لا أنام» مثلا التى تدور حول مشكلة عاطفية وذلك كما هو ثابت فى كشوف توزيع المجلة.

فأنا لا اتعمد إختيار نوع معين من القصص أو إتجاه معين، ولكن تفكيرى فى القصة يبدأ دائما بالتفكير فى عيوب المجتمع، وفى العقد النفسية التى يعانيها الناس، وعندما أنتهى من دراسة زوايا المجتمع أسجل دراستى فى قصة، وكل القصص التى كتبتها كانت دراسة صادقة وجرئية لعيوب مجتمعنا وهى عيوب قد يجهلها البعض ولكن الكثيرين يعرفونها، وهى عيوب تحتاج لجرأة الكاتب حتى يتحمل مسئولية مواجهة الناس بها، ومنذ سنين عديدة وجدت فى نفسى الجرأة لتحمل هذه المسئولية.

والهدف من إبراز هذه العيوب هو أن يحس الناس بأن أخطاءهم ليست أخطاء فردية بل هى أخطاء مجتمع كامل، أخطاء لها سببها وظروفها فى داخل المجتمع ونشر هذه العيوب سيجعلهم يسخطون، وسيؤدى بهم هذا السخط إلى الإقتناع بضرورة التعاون فى وضع تقاليد جديدة لمجتمعنا تتسع للتطور الكبير الذى نجتازه وتحمى أبناءنا وبناتنا من الأخطاء التى يتعرضون لها نتيجة هذا التطور، وهذا هو الهدف الذى حققته قصصى، فقد بدأ الناس يسخطون، ولكنهم بدلا من أن يسخطوا على المجتمع سخطوا على أنفسهم، وبدلا من أن يسخطوا على المجتمع سخطوا على الكاتب، أى سخطوا على أنا، ولكنى

كنت مؤمنا مع إستمرارى وتصميمى بأنه سينقلب السخط على إلى سخط على عيوب المجتمع، ومن ثم يبدأ الناس فى التعاون على إصلاح ما بأنفسهم.

وإن ما أراه يا سيدى الرئيس فى مجتمعنا لشى مخيف، إن الإنحلال والأخطاء والحيرة والضحايا، كل ذلك لم يعد مقصورا على طبقة واحدة من طبقات المجتمع بل امتد إلى كل الطبقات، وحتى الطبقة الثورية بدأ الجيل الجديد منها ينجذب إلى مجتمع الخطايا وأصبحت البيوت المستقرة التى تقوم على الخلق القوى والتقاليد القويمة بيوتا لا تمثل مجتمعنا بل تمثل حالات فردية متناثرة هنا وهناك.

وقد أبلغنى صديقى هيكل أن سيادتكم قد فؤجئت عندما قرأت إحدى قصص «البنات والصيف» بما يمكن أن يحدث داخل الكبائن على شواطئ الإسكندرية، والذى سجلته فى قصصى يا سيدى الرئيس يحدث فعلا، ويحدث أكثر منه، وبوليس الآداب لن يستطيع أن يمنع وقوعه والقانون لن يحول دون وقوعه، إنها ليست حالات فردية كما قلت، إنه مجتمع منحل، ولن يصلح هذا المجتمع إلا دعوة، إلا إنبثاق فكرة تنبثق من سخط الناس كما انبثقت ثورة ٢٣ يوليو ، لهذ أكتب قصصى.

وفى جميع فترات التاريخ كان هذا دور كتاب القصة، وقد كان الكاتب الفرنسى بلزاك يكتب قصصا أشد صراحة من قصصى، قصص تدور فى مخادع بنات الداخلية فى المدارس وفى أقبية الرهبان والراهبات فى الأديرة وفى القصور والأكواخ، وثار الناس على بلزاك فى عصره ولكنه يعتبر اليوم مصلحا إجتماعيا وقصصه تترجم بالكامل فى الإتحاد السوفيتى حيث يعتبر هناك أحد المعاول التى هدمت الطبقات الإجتماعية المنحلة، وغيره كثيرون من كتاب القصة مهدوا بقصصهم للإصلاح الإجتماعى، وبين كتاب العصر الحديث أيضا تقوم قوة الكاتب على قدرته على إبراز عيوب المجتمع دون أن يطالب بوضع العلاج لها، إن مهمته تقتصر على التشخيص أى إبراز المرض ونتائجه...البرتومورافيا فى إيطاليا وجان بول سارتر فى فرنسا وهمنجواى وفولكنر فى أمريكا، وغيرهم عشرات كلهم

يكتبون قصصا أكثر صراحة وبشاعة من قصصى، ورغم هذا فهم يرشحون لجائزة نوبل.

وحاول كثيرون من الكتاب فى مصر أن يحملوا هذه المسئولية...عبد القادر المازنى فى قصته «ثلاثة رجال وإمرأة»، وتوفيق الحكيم فى قصته«الرباط المقدس»، ولكن ثورة الناس عليهم جعلتهم يتراجعون وظهرت طبقة من كتاب القصص فتعرضوا لتصوير عيوب المجتمع وأخطائه وعقده الجنسية ولكنهم صوروها بعيدا عن الجو الواقعى فلم يتأثر الناس بها، أو صوروها داخل الطبقة التى لا تقرأ، الطبقة الفقيرة فلم تحس بها الطبقة القارئة لأن كل طبقة تعتبر الطبقة الأخرى عاما وحده، عالما بعيدا لا يهمها ما يجرى فيه.

وكل ما فعلته أنا بعد ذلك هو أنى تحملت المسئولية بما فيها مسئولية سخط الناس على وإعتقدت سواء خطأ أو صوابا أن قصصى تؤدى دورا فى التمهيد لإصلاح المجتمع بتجسيم عيوبه.

ولعل سيادتكم تذكر أنى حادثتكم كثيرا عن الدور الكبير الذى يمكن أن يؤديه الأدب القصصى وأسهمت تحت رعايتكم بمجهود كبير فى تنشيط الحياة الأدبية فى مصر، سواء بتجميع الأدباء والكتاب فى الهئيات الأدبية المختلفة أو برفع مستوى كاتب القصة المادى والأدبى، ولم يكن لى أى كسب شخصى من وراء هذه الجهود ولم أحقق كسبا أدبيا أو كسبا ماديا، بل إن دار روزاليوسف خسرت ثلاثة آلاف جنيه فى مشروع الكتاب الذهبى نتيجة نشر قصص الناشئين، لم يكن لى أى غرض إلا الجرى وراء إيمانى.

يبقى بعد ذلك ما حدثنى به الزميل هيكل عن دعوة الإلحاد فى صحف دار روزاليوسف والمقالات التى ينشرها مصطفى محمود الخاصة ببحث فلسفة الدين ولكنى أحب أن أرفع لسيادتكم رأيى فى هذا الموضوع حتى أكون قد صارحتكم بكل شئ.

إنى مؤمن بالله ياسيدى، لست ملحدا، ولعلك لا تعرف أنى أصلى، ولا أصلى تظاهرا ولا نفاقا، فجميع مظاهر حياتى لا تدل على أنى أصلى، ولكنى أصلى لأنى أشعر بإرتياح نفسى عندما أصلى.

ورغم ذلك فإنى أعتقد أن ديننا قد طغت عليه كثير من الخزعبلات والأتربة والتفسيرات السخيفة التى يقصد بها بعض رجال الدين إبقاء الناس فى ظلام عقلى حتى يسهل عليهم إستغلال الناس والسيطرة عليهم، فى حين أنه لو تطهر الدين من هذه الخزعبلات ونفضنا عنه هذه الأتربة لصلح ديننا وصحت عقولنا ونفوسنا وسهل على قيادتكم أن تسير بالشعب فى الطريق الذى رسمته له.

ومن أجل هذا بدأت منذ زمن طويل أنشر فى روزاليوسف مقالات تبحث فى الدين، ولم أكن أنا أشترك بقلمى فى هذه المقالات لأنى لست رجل دين، ولكنى دعوت إليها فريقا من رجال الدين المتحررين ومن الكتاب الذين أعتقد أنهم درسوا وقرءوا إلى الحد الذى يتيح لهم الكتابة فى الدين، وقد سبق مثلا أن نشر الدكتور محمد أحمد خلف الله مقالا فى روزاليوسف يؤكد فيه أن القرآن لا يمنع زواج المسلمة من الكتابى أو من المسيحى ، وهى دعوة جرئية ولكن الدكتور خلف الله أستاذ فى الدين ودراسته وعلمه يخولان له ان يحمل مسئولية مثل هذه الدعوة.

وهكذا كنت أعطى الفرصة لكثير من الكتاب ليبحثوا فى أمر الدين معتقدا أن فتح هذا الباب سيؤدى حتما إلى رفع مستوى الإيمان الدينى، وقد وقع كثير من الأخطاء نتيجة فتح الباب لمقالات مصطفى محمود مثلا، ولكن لا شك أننا خرجنا إلى جانب هذه الأخطاء بمقالات جيدة كان لها أثر كبير فى التفكير الدينى، وكان آخر ما حاولته هو أنى حاولت تصفية الأحاديث التى لا يمكن أن تنسب إلى نبينا كحديث : «خير اللحم ما جاور العظم»أو «الذبابة على أحد جناحيها داء وعلى الآخر دواء»، وهى للأسف أحاديث معترف بها وتنشر فى المجلة التى تصدر عن وزارة الأوقاف، فدعوت أحد علماء الأزهر وكتب مقالا عن الأحاديث حذفته الرقابة.

وهذا هو الهدف والدافع اللذان يدفعاننى إلى التعرض للمواضيع الدينية لا لأننى ملحد، بل لأننى مؤمن ولأننى أعتز بإيمانى من أن يكون إيمانا لا يقره عقل.

وبعد يا سيدى الرئيس..

إن كل ما قصدته بخطابى هذا هو أن أظل محتفظا بثقتك فى، وأنا محتاج إليك كسند وأخ، وقد عشت حياتى كلها أشعر بالوحدة بين الناس وأكافح وحدى ضد دسائس الناس وظلمهم لى ، دون أن آخذ من كفاحى شئيا إلا استمرارى فى الكفاح.

المخلص

إحسان عبد القدوس

لقد انحاز الباحث إلى إثبات نص هذه الرسالة كاملة كما ذكر لأهميتها، ورغم أنه كان من الممكن أن يثبتها فى مرتكز معالجة القضايا الجنسية حيث أن غضبة عبد الناصر على روزاليوسف كانت بسبب ما ورد من حديث مكشوف عن المشاكل الجنسية والعاطفية فى قصص إحسان عبد القدوس، فإن جزءا مهما من الرسالة كان عن إتهام روزاليوسف بالإلحاد.

ولا ينظر الباحث إلى هذه الرسالة على أنها كانت دفاعا مهنيا شرعيا عن النفس قام به إحسان عبد القدوس أمام جمال عبد الناصر، ولكنها كانت بمثابة التنظير المهنى لمعالجات صحفية تتصف بها صحف الإثارة تحديدا فى مساحتى القضايا الجنسية والدينية، خاصة أن إتهام صحف الإثارة بالدعوة إلى الإنحلال يأتى متبوعا دائما بالإتهام بالدعوة إلى الإلحاد والكفر.

وقد طورت الجبهات المعارضة لهذا النمط من الصحافة أدواتها، فأصبح منها التقاضى فى المحاكم وإصدار الفتاوى الدينية بتحريم شراء الصحف التى تتطرق إلى القضايا الدينية برؤية ناقدة حتى ولو كانت هذه الرؤية موضوعية.

- لقد وضع إحسان عبد القدوس ما يشبه المنهج لمعالجة القضايا الدينية ويمكن أن نحصره فى الآتى:

أولا: تقدم الصحف دراسات إسلامية من أجل تنقية الدين مما لحق به من أتربة وأكاذيب وخرافات تسيئ فى النهاية إلى قيمة الدين.

ثانيا: يساهم هذا الدور الذى تقوم به الصحافة فى كسر شوكة رجال الدين الذين يستغلون الناس ويسيطرون على عقولهم.

ثالثا: تستعين الصحف فى هذا الإطار بكتاب متخصصين من رجال الدين تكون لديهم رؤى نقدية، حتى يكون لما يكتبونه مصداقية لدى رجل الشارع الذى لا يزال أسيرا لسطوة رجل الدين.

فى تجربة روزاليوسف الحديثة عندما أصبح عادل حمودة نائبا لرئيس تحريرها لم تسلك مسلكا مغايرا لما خطه إحسان عبد القدوس فى رسالته لجمال عبد الناصر، وإن لحق بما قدمته من معالجات للقضايا الدينية بعض التطوير والتغيير، فلم تعد الكتابة فى الأمور الدينية قاصرة على المتخصصين فى العلوم الدينية بل ساهم محرورو المجلة ممن لهم إتجاهات دينية فى هذا السياق، واستعانت المجلة بكتاب من تيارات علمانية مثل نصر حامد أبو زيد وسيد القمنى والمستشار محمد سعيد العشماوى.

كانت مما انطلقت إليه روزاليوسف فى هذه الفترة أيضا أنها تصدت للمؤسسة الدينية والقائمين عليها بالنقد ليس لما يقولونه ويكتبونه فقط، ولكن لسلوكهم الإدارى والوظيفى أيضا، وكان هذا الهجوم فى إطار مواجهة المجلة للجماعات الإسلامية السياسية، حيث رأت المجلة أن المؤسسة الدينية لم تقم بواجبها تجاه هذه الجماعات، وكان هذا تحديدا وراء إتهام المجلة لعدد من رجال الدين والأزهر بالتطرف مثلهم فى ذلك مثل أبناء الجماعات الإسلامية.

وشنت المجلة حملة تكاد تكون منظمة ضد الشيخ الشعراوى وبلغت ذروتها للدرجة التى دفعت الشيخ الشعراوى إلى أن يهاجم المجلة ويعتبر هجومها عليه هجوما على الإسلام ذاته، ووقتها كتب عادل حمودة[1] تحت عنوان: الشيخ الشعراوى ومطرب الأخبار قال: كانت روزاليوسف قد أنكرت أن تتناقض فتاوى الشيخ الشعراوى الذى

(١) روزاليوسف، العدد الصادر فى ٢٦ سبتمبر ١٩٩٤.

يصفه كاتب خواطره فى الأخبار بأنه إمام الدعاة إلى الله، حول مؤتمر السكان من الحرام إلى الحلال، ومن الترحيب إلى الرفض، وأن تنشر هذه الفتاوى المتضاربة فى يوم واحد، فلم نعرف من نصدق: شعراوى الموافقة أم شعراوى المعارضة؟

كان من الطبيعى أن نندهش من هذا الإضطراب، فالشيخ الشعراوى يعرف ما يقول، ولا يجوز أن تهتز ثقة الناس فيما يقول، لكن بدلا من أن يقول لنا الشيخ شكرا، ثم يوضح لنا ولمريديه سر تناقض فتاواه على هذا النحو الصارخ، ترك هذه المهمة لمطرب الأخبار الجديد الذى يكتب له خواطره، وهو مطرب عصبى سريع الغضب مصاب بعمى ألوان، لا يعرف كيف يمسك نفسه، ولا كيف يضبط كلماته، ولا يتمتع بخفة ظل المطرب الأصلى الذى اخترعته سخرية أحمد رجب وجسدته ريشة مصطفى حسين.

كان هذا النقد تمهيدا لمدفعية ثقيلة وجهها إبراهيم عيسى للشيخ الشعراوى فتحت عنوان: الشعراوى والإفتراء على الإسلام، أشار إلى أن الشيخ لا يكتب ولا يقرأ ويفتى فى الكيمياء الحيوية والعيش البلدى ، ويدعو بصراحة لتدخل المجلس الأعلى للصحافة ضد المجلات التى تهاجمه لأن الهجوم عليه موجه ضد الإسلام.

كان هذا المسلك المهنى يمثل جانبا واحد من جوانب المعالجة التى قدمتها روزاليوسف للقضايا الدينية، فقد عمدت إلى نشر ما يمكن أن نعتبره تكسيرا للتابوهات الدينية، مثل مناقشة قضايا الحجاب ومشروعيته فى الإسلام وعذاب القبر وهل هو موجود فعلا أم أنه ليس سوى أسطورة من الأساطير الكثيرة التى تزخر بها كتب التراث، والخلافة الإسلامية وهل كانت إيجابية أم أنها كانت حكما سلطويا جائراجاء بالخراب على الأمة الإسلامية ولذلك فإن الذين يدعون إليها الآن إنما يجرون العالم الإسلامى إلى الخلف، وهى قضايا فى النهاية كانت ولا تزال تمثل ما يتعارف عليه الناس بالثوابت الدينية التى لا يجب المساس بها.

تعرضت روزا اليوسف ومن على شاكلتها إلى أن ما تقوم به ليس إلا إزدراءا بالأديان،

وهو ما جعل المجلى تحتفى فى تقرير نشرته[1] بأن تهمة إزدراء الأديلن فى المحاكم براءة، وذلك إستنادا إلى أن كلمة إزدراء لم ترد فى نصوص قانون العقوبات، وبالتالى لا يجب أن توجه لأى شخص كإتهام، فالقانون محدد والعقوبات لا يجب التوسع فيها ولا توجه إلا بنص.

هناك كذلك مساحة أخرى لروزاليوسف سبق الدخول فيها، وهى مناقشة قضايا الدين المسيحى، بل إن المجلة كانت صاحبة الفضل فى إعادة صياغة رجال الدين المسيحى وخاصة البابا شنودة التى انفردت بأكثر من حوار معه.

كان دخول المجلة إلى هذه المساحة وبكثافة متعمدة من أجل أن تربح الجمهور المسيحى النائم الذى لم تكن الصحف ملتفتة له ولا مهتمة بقضاياه، وبعد أن تحقق لها ذلك، بدأت تطور معالجاتها فلم تعد لصالح الكنيسة ولكنها فتحت صفحاتها أمام المعارضة الكنسية التى تنتقد البابا شنودة وكذلك مخالفات الرهبان وتجاوزات رجال الدين المسيحى، وفى الحالتين كانت المجلة محط أنظار القراء، وكان هذا هدف من أهدافها استطاعت أن تحققه.

وكما أثرت روزاليوسف سلبيا على معالجة الصحف الأخرى للقضايا الجنسية فقد فعلت الأمر نفسه فى معالجة القضايا الدينية، إن النهج الذى انتهجته المجلة ربما منذ مؤسستها الأولى، كان يقوم على وضع معالجات هذه القضايا الشائكة فى سياق مجتمعى يسهل معه تفهم دوافع هذه المعالجات، لكن الصحف التى بلا رؤية تقدم على هذه المعالجات لذاتها دون تبصر بعواقب الدخول إلى معتركها للإثارة فقط.

وهو ما تمثل فى معالجة جريدة النبأ لقضية الراهب المشلوح برسوم المحرقى، فى هذه المعالجة يختلط الدين ممثلا فى الراهب رجل الدين المسيحى، بالجنس فى الإنحراف من خلال المعاشرة الجنسية المحرمة، لكنها وضعت فى إطار مجرد من الأهمية للمجتمع،

(١) روزاليوسف، عدد ٣٥٨٣ الصادر فى ١٠ فبراير ١٩٩٧.

ولذلك جاءت عارية من القيمة، فلم تهتم الجريدة بوضع إطار لها اللهم إلا زيادة التوزيع وهو ما حدث بالفعل حيث وصل سعر النسخة من هذا العدد إلى عشرة جنيهات كاملة فى حين أن السعر العادى الذى كان يباع به هو جنيه واحد فقط.

كانت هذه المعالجة رغم شذوذها المهنى ترجمة للتوجه الجديد الذى سارت فيه الصحف الخاصة فى معالجة ما يتعلق برجال الدين، لقد فشلت صيغة نقد أفكار وآراء وفتاوى رجال الدين فى نزع ثوب القداسة عن أكتافهم، ولذلك اتجهت الصحف إلى تعرية رجال الدين من خلال فضح حياتهم الشخصية وما يقع فيها من تجاوزات، وقد تكون هذه المعالجة أتت ببعض ثمارها، فقد إهتزت صورة رجال الدين، ولم يكن هذا هو الهدف فى حد ذاته، ولكن عملت الصحافة من أجل التأكيد على أن رجال الدين فى النهاية مجرد بشر لهم أخطاءهم مثل الجميع، وأن قيامهم بالدعوة ليس إختيارا من السماء أو سمة رفعهم الله بها على الناس، ولكنها فى النهاية وظيفة يقومون بها، ولذلك فإن ما يقولونه لا قداسة له، فهو كلام بشر يؤخذ منهم ويرد عليهم.

- **ويمكن للباحث أن يحدد مصدر الإثارة فى معالجة الشئون الدينية فى الآتى:**

أولا: تحرص صحف الإثارة على مناقشة ما تعارف عليه الناس بأنه ثوابت، وتتعرض لذلك بشكل نقدى، وهو ما يأتى بالصدمة الفكرية والإيمانية للقارئ العادى، الذى لا يريد أن يعمل عقله، حيث تهدف الصحافة من خلال هذه المعالجة إلى إعلاء قيمة العقل وجعله هو الفاعل الأساسى فى حياة الناس.

ثانيا: تجرى صحف الإثارة حوارات موسعة مع رجال الدين وتركز خلالها على الجوانب الأكثر إثارة فى الدين وذلك من خلال الفتاوى المثيرة وأكبر مثال على ذلك فتوى إرضاع الكبير الذى أثارت جدلا واسعا بعد أن أطلقها أحد أساتذة جامعة الأزهر فى حوار صحفى.

ثالثا: تبحث الصحف عن الجوانب الشخصية فى حياة نجوم المشايخ وخاصة ما يتعلق

منها بحياتهم الخاصة أى الزواج والطلاق والعلاقات النسائية والمالية، ورغم أن هـذا يـتم فى الغالب لتقريب حقيقتهم من أنهم بشر من أذهان الناس، إلا أن هـذه المعالجـة تصـب فى النهاية فى نهر الإثارة الصحفية لأنها تلقى إقبالا هائلا من القراء، فهى مادة غير مألوفة مـن ناحية، ثم أنها تشكل كذلك مادة للنميمة تتغذى عليها المجتمعات المختلفة.

رابعا: تبحث صحف الإثارة فى كتب الإثارة عن الغريب والشـاذ لتـنشره عـلى القـارئ العادى، ولا تفعل الصحف هـذا عـلى نيـة واحـدة، فهنـاك صـحف تفعـل ذلـك مـن أجـل الإثارة بالغريب والمهجور من الأفكار والحكايات والمواقف، وهناك صـحف تفعـل ذلـك بغـرض فكـرى وهـو التحـريض عـلى تنقيـة كتـب الـتراث مـن الأكاذيـب والخرافـات والخزعبلات التى لحقت بهـا، وهـو هـدف فى الطريـق إلى تحقيقـه لا يخلـو هـو الآخـر مـن الرغبة فى إثارة الإنتباه ولفت الأنظار إلى الصحيفة.

■ ■ ■

عاشرا: العناوين المضللة

لم يلتفت الكثيرون ممن انتقدوا ظاهرة صحافة الإثارة إلى الدور المهم والأساسى الذى يلعبه العنوان الصحفى فى تحقيق عنصر الإثارة فى المعالجة الصحفية المثيرة، وربما كان ذلك فى الأساس لأن الدراسات التى تعرضت لفن التحرير الصحفى لم تلق بالا للعنوان إلا على مستوى تعريفه وتقسيمه إلى أنواع فقط، دون الإنتباه إلى ما يمكن أن يقوم به العنوان الصحفى من مهام ووظائف سواء فى سياق الصحافة المثيرة أو حتى الصحافة التقليدية.

وقد تكون الإشارة الوحيدة إلى الدور الذى يقوم به العنوان الصحفى فى معالجات الإثارة ما أثبته شريف درويش[1] عن إستخدام أخبار اليوم للعناوين، فقبل صدور أخبار اليوم كانت العناوين تظهر فى الصحف المصرية بالحروف المجموعة جمعا يدويا من خط النسخ الرفيع أو الثلث البسيط، وكانت هذه العناوين محدودة الأحجام غير متنوعة الكثافة، فقيرة فى جمال شكلها، تبدو باهتة على الصفحة خاصة إذا جمعت على إتساعات كبيرة نظرا لقلة حجم حروفها، بالإضافة إلى أنها تظهر فى بعض الأحيان بصورة مشوهة نتيجة لعدم الدقة فى إتصالها مما يؤدى إلى ظهور فواصل دقيقة بيضاء بين الحروف المتصلة، وكذلك نتيجة لتآكل بعض أجزائها أو كسرها لتكرار الإستخدام فى عملية الطباعة.

وقد فطنت أخبار اليوم عند صدورها إلى هذا العيب الخطير فى حروف العناوين فاستبدلت العناوين الخطية بها، وأصبحت الصحيفة تستخدم العناوين الضخمة الملونة وغير الملونة، وأخذت تتدرج فى أحجام العناوين العريضة فى الصفحة الأولى حتى وصل إرتفاعها إلى ١٢ سم.

ويذهب شريف درويش إلى أن مصطفى وعلى أمين عندما كانا يوجهان السياسة الإخراجية للصحيفة منذ نشأتها وحتى عام ١٩٦٠ كانت العناوين تزداد سواء من حيث

(١) شريف درويش اللبان، أخبار اليوم مسيرة صحفية فى نصف قرن، مرجع سابق، ص ٥٦.

المساحة أو العدد لدرجة أن النسبة المئوية التى تحتلها العناوين من المساحة الكلية للصحيفة قد تضاعفت ثلاث مرات تقريبا منذ عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٦٠، مما يعطى مؤشرا ذا دلالة على مدى الإثارة التى اتبعتها الصحيفة من خلال المبالغة فى عدد العناوين والمساحة التى تشغلها.

لكن شريف درويش لا ينحاز إلى أن الإثارة الصحفية كانت هى المقصد من زيادة العناوين وعددها رغم صغر الأبناط المجموعة بها، ولكن الصحيفة استخدمت فى عناوينها الأحجام الكبيرة لأنها كانت تعهد للخطاط بكتابة هذه العناوين بهذه الأحجام ولا سيما على الصفحة الأولى.

قد تحقق العناوين الكبيرة والملونة نوعا من الإثارة وجذبا للإنتباه عندما تنشر على الصفحة الأولى من الجريدة ما فى ذلك شك، فالقارئ العابر الذى لا يكون مرتبطا بجريدة معينة ينتظرها أو يسعى إليها ، يكون من المهم أن تقوم الجريدة بلفت إنتباهه من خلال النظرة الأولى لها، وهذا القارئ ينضم إلى مجموعة من القراء يطلق عليهم منتجو صحف الإثارة فى مصر «**القراء العائمون**»، وهم قراء ليس لديهم إنتماء لصحيفة معينة يحرصون على قراءتها، بل يقصدون بائع الصحف للبحث عن جريدة تجذب إنتباههم أو يشدهم إليها عنوان مختلف أو صورة غير تقليدية أو قضية تثيرها الجريدة تخرج بها عن النمط المنتشر فى الصحف.

وفى الغالب فإن صحف الإثارة تحديدا تتسارع على إختطاف هذا القارئ، وتتنافس فى أن تفوز به قارئا ولو لعدد واحد، من هنا تأتى أهمية عنوان الصفحة الأولى أو ما يطلق عليها مانشيتات الصفحة الأولى، فهى بمثابة بطاقة التعريف الأولى بين القارئ وبين الصحيفة وهى البطاقة التى على أساسها سيأخذ القارئ قرار شراء الصحيفة من عدمه.

لقد ظل الغلاف الملون الذى يحتوى على صور وعناوين فقط سمة مميزة للمجلات فقط ، بل إنه من الفروق الكلاسيكية بين الجريدة والمجلة أن المجلة لابد لها من غلاف

يجمع صفحاتها فى حين أن الجريدة لا تحتاج إلى هذا الغلاف[1]، لكن الصحف الأسبوعية التى صدرت فى إطار الشركات الخاصة والتى تتسم بالإثارة فى معالجاتها جعلت من نصف الصفحة الأولى الأعلى غلافا يشبه غلاف المجلات، عناوين وصور فقط، وذلك بأغراض ترويجية، فهى تعرض للقارئ أفضل ما عندها.

ويمكن للباحث أن يعتبر أن عناوين الصفحة الأولى تأتى على عدة عناوين هى :
النمط الأول : من العناوين التى تعتمد عليها صحف الإثارة ففضلا عن كبر أبناطها وتلوينها فإنها على مستوى الصياغة التحريرية تقدم أهم المعلومات والعناصر التى تضمن أن يكون العنوان مثيرا بما يكفى، وليس شرطا أن يلتزم عنوان الصفحة الأولى بمعايير العنوان الجيد كأن يكون مختصرا ومكثفا وفى أقل عدد من الكلمات، فقد يطول العنوان حتى يحتل سطرين كاملين بما يتجاوز العشرين كلمة، وذلك حتى يتم التأثير على القارئ بشكل كامل ولا تتركه الجريدة حتى يشتريها.

النمط الثانى : من العناوين هو العناوين الرئيسية الداخلية التى توضع على رؤوس الصفحات، ويمكن أن تكون عبارة عن عنوان واحد أو عبارة عن تمهيدى ورئيسى يكمل كل منهما الآخر، فقد يعجز المحرر عن صياغة المعنى الذى يريده فى جملة واحدة فيحتاج إلى جملتين كى يقدم للقارئ ما يريده.

النمط الثالث : هو العناوين الفرعية وهى مجموعة من العناوين التى يقدم المحرر من خلالها أهم المعلومات والأفكار الواردة فى الموضوع خاصة إذا كان منشورا على صفحة كاملة ويعجز القارئ عن قراءتها مرة واحدة فيتم تلخيص الموضوع بالكامل فى أكبر عدد من العناوين التى يمكن أن تقدم تلخيصا وافيا ونهائيا للموضوع المنشور.

ومن خلال معالجة تحريرية معينة يمكن إستخدام كل نمط من هذه الأنماط فى إحداث الإثارة المطلوبة وذلك كالتالى:

(١) فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة(القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨)ص ١٣٤.

أولا: عنوان الصفحة الأولى...يمكن أن يتم تضمين هذا العنوان معانى ومعلومات وآراء تكون أكبر وأضخم مما تملكه الجريدة بالفعل من معلومات وأفكار وآراء، بما يوهم القارئ بأن الجريدة تمتلك ما لا تملكه غيرها، وفى هذا الإطار تستخدم كلمات معينة مثل : (**إنفراد ...سر ينشر لأول مرة...تحقيق خاص...الجريدة تكشف بالمستندات**)...وهى كلمات تعكس الضخامة رغم أن المضمون الذى يقدم لا يكون على شئ من هذه الضخامة.

وقد أطلق على هذه الآلية آلية **التضليل**، فالقارئ يشترى الجريدة إعتمادا على وجود معلومات معينة، لكنه عندما يشترى الجريدة وبمجرد أن يطالعها فإنه لا يجد ما اعتقد أنه موجود، والتضليل فى عناوين الصفحة الاولى فى صحف الإثارة فى الغالب يكون متعمدا لأنه وسيلة مضمونة لجذب الإنتباه.

ثانيا: يفهم منتج صحافة الإثارة أن القارئ فى الغالب لا يقرأ الصحف بعناية ولكنه يمر على صفحاتها بعينيه ولا يستوقفه إلا العنوان الصارخ، ولذلك فإن التضليل الذى يمارس منذ اللحظة الأولى لا ينتهى فى الصفحات الداخلية حيث يعتقد منتج صحافة الإثارة أن العناوين الجذابة على الموضوعات الداخلية حتى ولو كانت غير جدابة بما يكفى فإنها تكون قادرة على جذب القارئ واستمراره فى قراءة الجريدة ومتابعتها أطول فترة ممكنة.

ثالثا: هذه السمة نفسها ويعنى بها الباحث عدم قراءة الصحف بجدية من قبل جمهورها والإكتفاء بالعناوبن الداخلية سواء كانت رئيسية أو فرعية، فإن الصحيفة تقوم بتفريغ موضوعاتها الداخلية فى صورة عناوين كثيرة ومتعددة بحيث يمكن للقارئ أن يكتفى بالعناوين عن قراء ة الموضوع من الأساس، وهو ما يجعله منجذبا إلى الجريدة لأنه من الأساس لا يقرأ المضمون الذى تقدمه وبالتالى لا يكتشف الخدعة التى يتعرض لها القارى وهو أن العناوين ليست على قدر المضمون الذى يرقد تحتها أو أن المضمون المقدم قد لا تكون له علاقة بالعنوان من الأساس.



الفصل الرابع

في نقد خطاب النقد
لصحافة الإثارة



منذ اللحظة الأولى لظهور الصحافة ليس فى مصر وحدها ، ولكن فى دول العالم المختلفة وهى تسير جنبا الى جنب مع الخطاب الناقد لها، وهو أمر منطقى فالصحافة أداة ووسيلة ناقلة للنشاط الانسانى ومسجلة وموثقة له بإيجابياته وسلبياته، وفى سبيل قيامها بهذا الدور فإنها تتشابك مع مصالح مختلفة وأفكار متباينة، وتتعارض مع إتجاهات وعادات وتقاليد ومقدسات لفئات عديدة، وعندما تخوض الصحافة فى تقاطعات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مع ما استقر عليه المجتمع فإنها تحاصر بالعديد من الخطابات الناقدة لها والمعترضة على أدائها.

وفى الغالب تتقنع هذه الخطابات بأقنعة أخلاقية تتخفى خلفها، لأنها تسعى فى مقصدها الأخير الى إدانة هذا النمط من الصحافة أوذاك، وليس أجدى وأكثر تأثيرا على الرأى العام اذا ما أريد له أن يأخذ موقفا ما من أن يكون المدخل لهذا الموقف أخلاقى بالدرجة الأولى.

ومن خلال تعرض الباحث للخطابات التى تعرضت لصحافة الاثارة، يتكشف له أنه كانت هناك دائما خطابات ضد الصحف المتجاوزة سواء لما اتفق عليه المجتمع من عادات وتقاليد وأخلاقيات عامة، أو لما اتفق عليه النظام السياسى فى الحقب التاريخية المختلفة على أنه يمثل مصلحة عامة للناس، أو ما رأت فئات معينة من أصحاب المصالح والتكتلات الاقتصادية أنه يصب فى النهاية ضد مصالحها.

وترجع هذه الظاهرة ونعنى بها الخطابات الناقدة فى مواجهة الصحافة، إلى أن الصحافة لم تكن فى أى مرحلة من مراحل تاريخها منذ نشأتها فى عصر محمد على بجريدة الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ مستقلة عن مالك يتحكم فيها ويصوغها فى الوجهة التى يريدها.

والمتبع لنشأة وتطور الصحافة المصرية كما يرى محمود خليل[1] يستطيع أن يرصد عددا

(١) محمود خليل، ماضى الصحافة ومستقبلها، مجلة الهلال، عدد يوليو ٢٠٠٢، ص ٣٠٦.

من الملامح الأساسية، إن لم يكن من القوانين التى تفسر تاريخها وحاضرها ومستقبلها:

- الملمح الأول: يتمثل فى إرتباط الصحافة المصرية منذ نشأتها بل فى فكرة نشأتها ذاتها بالسلطة السياسية.

- الملمح الثانى: يتمثل فى إرتباط الصحافة فيما تقدمه من مضامين بالنخبة منذ نشأتها سواء نظرنا إلى النخبة بالمفهوم التعليمى أو الثقافى أو الجغرافى وأحيانا الاقتصادى، وفى هذا التوجه النخبوى تظل معادلة البحث عن صحافة شعبية تعتمد على الإثارة والبساطة وأحيانا السطحية فيما تقدمه قائمة، ترتفع أسهمها فى فترات معينة وتقل قيمتها فى بورصة القراء فى أحيان أخرى، ولكن وجود هذا النوع من الصحف لا يرسم مثل الصحافة النخبوية خطا مستقيما متصلا بل خطا متقطعا يتصل فى فترات وينقطع فى أخرى

- الملمح الثالث: ويتمثل فى النظر إلى الصحافة كمظهر من مظاهر القوة وكأداة من أدوات السيطرة على الجماهير، وهذا الملمح ليس بدعا فى الصحافة المصرية، وانما هو سمة تميز نظرة العديد من المجتمعات الى الصحافة كحامل ومروج لأفكار القوى الساسية والإجتماعية المختلفة، بالإضافة الى تدخلها فى تحديد نظرة القارئ إلى العالم الذى يعيش فيه، كما تعد إحدى الأدوات الأساسية للتنمية الثقافية سواء نظرنا إلى الثقافة بمعنى الفن والأشكال التعبيرية ذات الدلالة، أو نظرنا إليها بمعنى طرق وأساليب الحياة life-style.

هذه الملامح الثلاثة التى يمكن التعامل معها على أنها قوانين حاكمة يمكن أن تفسر حركة الصحافة المصرية فى إطار صيرورتها من الماضى وصولا الى الحاضر وعبورا إلى المستقبل، تؤكد ما يذهب إليه الباحث من أن الصحافة المصرية نشأت وما زالت تعمل فى ظل قوانين تؤكد أنها تابعة، وما دامت تابعة فلابد أن يكون خطابها تابعا لخطاب آخر.

ويتنوع هذا الخطاب الآخر طبقا لنوعية المالك ما اذا سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، كما أنه يمكن من خلاله أن نفسر لماذا كانت صحافة النخبة خطا مستقيما لم يتعرض للإنحناء أو الإنثناء فى أى مرحلة من مراحل الصحافة المصرية، بينما تعرضت الصحافة

التى ظل يطلق عليها الصحافة الشعبية إلى منتصف التسعينات من القرن العشرين فأصبحت فى الأدبيات السياسية والعلمية والصحفية بعد ذلك تسمى صحافة الاثارة إلى تقلبات عديدة.

ففى كل مرة تزدهر هذه الصحافة كانت تتعرض لخطاب نقدى حاد من أصحاب المصالح السياسية والاقتصادية يجعلها تتراجع إلى الخلف مرة أخرى استعدادا لاستئناف العمل فى مرحلة تاريخية لاحقة، والغريب أن هذا الخطاب لم يصدر فقط عن مناوئى هذه الصحف ولكنه كان يصدر عن أصحابها أنفسهم، وقد يفسر ذلك بأنه محاولة للتبرؤ من هذه الصحافة أو على الأقل محاولة للتخفف من آثارها وتبعاتها.

وفى حقيقة الأمر فان الخطابات المناوئة لصحافة الاثارة تنوعت ما بين السياسى والبحثى والصحفى ، وكان لكل منها ملامحه التى تميزه والأرضية التى ينطلق منها.

فالخطاب السياسى كان ينطلق دائما من أرضية أن هذا النمط من الصحافة لا يليق بأخلاقيات الشعب المصرى ، وكانت هذه المقولة التى تكررت كثيرا كفيلة وحدها بمحاصرة الصحف التى تتطبع بهذا الطابع، وفى مرحلة معينة كان الخطاب البحثى تابعا للخطاب السياسى يفسره ويدعمه من أرضية أخلاقية، فقد وقع كثير من الباحثين الذين تعرضوا لنقد ظاهرة صحافة الاثارة فى إشكالية التوفيق بين حرصهم على الحفاظ على حرية الصحافة بما تتيحه من آفاق واسعة فى التعبير والنقد وقيامها بدورها التنموى واضطلاعها بمسئوليتها الاجتماعية.

أما الخطاب الصحفى فقد انصرف إلى إتجاهين، **الأول** : الى إدانة هذا النمط من الصحافة إدانة كاملة ، **والثانى** : إلى الدفاع عن هذا النمط وكان لكل منهما آلياته وحججه فى الإدانة أو الدفاع.

وقد اختار الباحث نماذج محددة للخطابات التى تناولت الظاهرة فى تجلياتها المعاصرة حيث كانت الأكثر ارتباطا بصحافة الإثارة وتم نقدها فيها من خلال هذه الزاوية تحديدا، وقد

وضع الباحث لهذه الخطابات معيار الدافع للنقد ويمكن تقسيمها على هذا الأساس إلى:

- النقد بدافع البحث وتأطير الظاهرة.
- النقد بدافع التماهى مع الخطاب السياسى المعارض لها.
- النقد بدافع شخصى وهى كتابات تقاطع أصحابها مع الظاهرة فى موقف معين.
- النقد من أرضية رصد العلاقة بين الفساد المهنى ومعالجات الإثارة.

أولا: خطابات بحث الظاهرة وتأطيرها

من أرضية حالة المهنة والثروة فى مصر كتب أحمد المسلمانى[1] عن الصحافة الصفراء والصحافة البيضاء.

ويذهب المسلمانى إلى أن فى مصر حالتين من الصحافة، البيضاء والصفراء، ويعنى بالصحافة البيضاء تلك التى تتسم بضعف المستوى ووهن اللغة وضحالة الرؤية وركاكة الأسلوب وإجمالا انحطاط المهنة، وقد أدت هذه الصحافة بذاتها وبضغوط رأس المال لبروز الصحافة الصفراء التى تقوم على الابتذال والابتزاز وما بينهما.

ويصف المسلمانى الصحافة البيضاء بأنها صحافة تحالف عديمى الموهبة، وتبدو فيها المشكلة المهنية هى الأكثر حدة، ولا يحتاج المراقب إلى إمعان النظر لكشف الحالة وتشخيصها، فضعف اللغة والمضمون تجرى تطبيقاته على نطاق واسع، وتواضع الخلفية التعليمية والثقافية وشيوع آليات الوساطة والمحسوبية والعصبية فى التجنيد والتصعيد الصحفى تتوافر حالاتها على اتساع الساحة الصحفية.

وقد أدى التجنيد الصحفى غير الرشيد وزيادة عدد الصحفيين الذين دخلوا المهنة من غير قدرة حقيقية متوازية مع ضعف الخلفية الإجتماعية إلى ظهور ميكانزم تحالف عديمى

(١) أحمد المسلمانى، عن الصحافة الصفراء والصحافة البيضاء، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٩٥، إبريل - مايو ١٩٩٩، ص ص١٤١ - ١٥١.

الموهبة، ولأن الموهبة فى مهنة الصحافة أصل أصيل فيها لا وجه تكريم لها، ولكى يكون الإنسان صحفيا وجب أن تتوافر فيه الموهبة والرغبة الملحة، والصحفى مهما تتسع حقول تجاربه فإنه لا يمكن أن يصبح صحفيا إن لم تكن فيه تلك العبقرية أو تلك الشعلة المقدسة التى تميز الصحفى الذى يولد صحفيا.

ولأن الموهبة كذلك فى حتميتها فقد كان غيابها عنصر تعجيز لا مجرد تعطيل فى أداء الرسالة الصحفية، ولقد أدى هذا الأمر إلى نتيجتين متلازمتين خلقتا مشكلة الصحافة فى مصر وهيأتا السبل لنفوذ رجال الأعمال ولإتساع اللون الأصفر.

تمثلت النتيجة الأولى فى تحالف عديمى الموهبة وتمثلت النتيجة الثانية فى رسوخ الصحافة البيضاء، فقد امتدت آلية المحسوبية من التجنيد الصحفى إلى إختيار الصحفيين لممارسة المهنة وتشكيل القاعدة الصحفية إلى التصعيد الصحفى، أى إختيار الصحفيين من المواقع الدنيا إلى المواقع الوسطى والعليا فى البناء الصحفى، ولأنه من بين الصحفيين المصريين عدد غير قليل ممن يمتلكون إمكانات تعليمية وعلمية مهنية رفيعة، ولأن معظم قنوات التصعيد كانت مفتوحة باتجاه عديمى الموهبة لحائزيها، فقد تولد ما يشبه جماعتين فى الواقع الصحفى، جماعة الموهوبين وجماعة تحالف عديمى الموهبة، وقد تعاظمت القدرة الوظيفية للقيادات الصحفية الذين يكونون فى معظمهم تحالف عديمى الموهبة، فقد تم التضييق على جماعة الموهوبين، مما أدى فى النهاية إلى قلة إفرازهم وخصوبة إفراز تحالف عديمى الموهبة بما يمثل وضعيتهم من الموظفين، وهكذا وجدت الصحافة البيضاء ميدانا فسيحا للعمل، فسادت الوظيفة الرتيبة واختفى بريق الرسالة المقدسة، وصارت القضية الأولى فى الخطاب الإنتخابى الصحفى كل عامين هى حجم الزيادات المالية التى تتولد عن كل إختيار.

يعتبر أحمد المسلمانى إذن أن الصحافة البيضاء هى التى فتحت الطريق أمام الصحافة الصفراء، وإذا ما أضيف إليها دور رجال الأعمال فإن جوانب الصورة يمكن أن تتضح،

فقد ظهر واضحا لدى هذه الفئة فى تسعينات القرن العشرين القيام بدور أكبر فى الحياة العامة، فبدأ البعض يتحدث عن دور إجتماعى واسع، من نوع بناء المدارس والمستشفيات ودور العبادة وإقامة مشروعات خيرية لرعاية الأيتام والمرضى والفقراء، غير أن شبهة عدم الإخلاص فى هذه الأعمال كانت قوية ليس فقط لأن جزءا كبيرا مما قيل فى هذا الإطار لم يكن صحيحا أو لم يكن بنفس القدر، أو لأن ذلك لم يكن بعيدا عن تسويات ضريبية معينة وربما فى بعض الحالات محاولات لغسيل الأموال، ولكن أيضا لأن شبهة المصلحة المباشرة فى التغطية بالدور الإجتماعى المبالغ فيه على دور سياسى بالغ بالفعل كان واضحا وإلى حد كبير.

لقد حملت إنتخابات البرلمان التى شهدتها مصر فى أكتوبر ١٩٩٥ أكثر من ثلاثين رجل أعمال إلى مجلس الشعب، كان هذا الوجود البرلمانى لرجال الأعمال مدخلا جيدا للدور السياسى ، وكانت الصحافة بالنسبة لهم كالسلطة التشريعية قد مثلت مدخلا جيدا هى الأخرى، وقد بدأ ظهورهم بالأساس فى الوجود الإعلانى الكثيف فى عموم الصحافة المصرية، ولم يكن النجاح الإعلانى الذى حققته المؤسسات الصحفية الكبرى وبعض الصحف الوسطى والصغرى راجعا إلى ارتفاع الكفاءات لإدارات الاعلانات بها، وإنما كان بسبب قوة وجود جيلى الإنفتاح والإصلاح ورغبتهما الجارفة فى الإعلان عن النفس قبل السلعة أو هما معا، وأدى ذلك إلى وجود علاقة مباشرة بين بعض الصحفيين وبين رجال الأعمال تحكمها رغبة متبادلة فى النفع والإفادة وشكل رجال الأعمال بدلا من الباحثين والمحللين والمراقبين مصادر أساسية فى الصفحات الإقتصادية فى الصحف، وبدورهم أفسح رجال الأعمال أماكن ذات عوائد كبيرة فى شركاتهم لهؤلاء الصحفيين للعمل بصفة مستشارين أو مسئولى إعلام وعلاقات عامة.

وزادت بالتوازى حفلات الإستقبال الباذخة وآلية (الندوة- الرحلة)، وهى الندوات التى تقام فى أماكن فاخرة بأشهر المصايف والمشاتى المصرية، بدعوى بحث أمور

إقتصادية، واتسع مع ذلك مفهوم الهدية التى صارت طقسا مهما فى معظم هذه اللقاءات.

فى هذا الإطار توازى طريقان بين رجال الأعمال وبعض دوائر الصحافة فى مصر، الإعلان على مستوى الصحيفة والهدية على مستوى الصحفى، غير أن بعضا آخر من رجال الأعمال لما إقترب من الصحافة وتعامل مع الصحفيين ربما للمرة الأولى فى حياتهم نظر إلى القضية بعين المستثمر وكان ما يدفعه هؤلاء من مقابل لإعلاناتهم كافيا للتفكير فى إصدار صحف خاصة بهم، وظهرت بعض الصحف نتاجا لهذا التفكير.

غير أن صحفا أخرى هى الأكثر عددا لم يكن وراءها رجال أعمال مهمون بقدر ما كان وراءها أشخاص متوسطون وربما عاطلون قد ظهرت وبكثافة لافتة للنظر بغية الشرعية الوظيفية والتربح المالى، أو أنها لم تكن وسيلة لرجال الأعمال وإنما طريق لهم، وهكذا فتحت طاقات كثيرة لتسرب اللون الأصفر إلى الصحافة المصرية، ولم تتمثل الظاهرة فقط فى وجود إنتعاش بعض الصفحات الصفراء فى صحف قد لا تكون صفراء.

وقد اتسمت الصحافة الصفراء صحفا وصفحات بما قاله «إيمرى» عن الصحافة الصفراء الإمريكية من جهل وسطحية، ومن استخدام واسع النطاق وغير الرشيد للعنف والجنس، ومن اندفاع موغل فى الإنحطاط الإجتماعى.

ويذهب المسلمانى إلى أن قضية الصحافة الصفراء لم تلق إهتماما ذا بال من المؤسسة الصحفية المصرية إلا بعد قيام رئيس الجمهورية بتوجيه اللوم وضرورة التحرك لمواجهتها ، وما يثير الإنتباه أكثر أن التحرك لم يكن فعالا فى المضمون ولا صحيحا فى الإتجاه.

فمن بين قرارات متلاحقة بتوقيع الجزاءات على الصحف الصفراء وإلزامها بميثاق الشرف الصحفى وضبط الهيكل التنظيمى للصحفيين المصريين، ومن منتحلى صفة الصحفى من الاستمرار فى فعل الانتحال، لم يحدث شئ ما فى هذا السياق بل توسعت الصحف الصفراء وتقوى المنتحلون لصفة صحفى، وأعلن بعض الأشخاص عن قيام نقابة للصحفيين المستقلين.

ويذهب المسلماني إلى أن الإتجاه ضد الصحافة الصفراء كان مرتبكا ومخطئا، إذ لم تكن هناك نتيجة واحدة لحملة الهجوم على الصحافة الصفراء إلا خروج عادل حمودة من روزاليوسف، ووقف صدور وتداول صحيفة الدستور فى إصدارها الأول فى فبراير ١٩٩٨، التى برغم جنوحها خلقت أطرا جديدة فى حرفة الصحافة ومثلت منفذا مهما لخطاب جيل التسعينات.

وهكذا وجدت الصحافة الصفراء دعما عاما من الصحافة البيضاء، ووجد تحالف ضعاف الخلق مؤازارة مهمة من تحالف عديمى الموهبة وبقيت الصحافة المصرية على حالها، مشكلة فى المهنة وأزمة فى المعايير.

تتحدد رؤية أحمد المسلمانى إذن فى ثنائية شكلت الصورة العامة التى بدت عليها الصحافة المصرية فى تسعينات القرن العشرين ، وهى الفترة التى شهدت حملة سياسية أعقبتها حملة صحفية على الصحافة الصفراء، ورغم وضوح الثنائية بأنها صحافة بيضاء بلا مضمون حقيقى، وصحافة صفراء متجاوزة.

ويمكن إجمال أسباب ظهور هذه الثنائية فى تحالف المسئولين فى الصحف الحكومية التى سيطر عليها غير الموهوبين الذين وصلو إلى مناصبهم بالواسطة والمحسوبية فى ظل مناخ عام سيطرت عليه حالة تامة من غياب المعايير والانتصار لعوامل الكفاءة، ورجال الأعمال الذين أرادوا أن يتعاظم نفوذهم السياسى ولما كان النفوذ السياسى يحتاج إلى نفوذ صحفى وإعلامى، ولما كان من الصعب على رجال الأعمال أن يسيطروا بشكل كامل على الصحف الحكومية، فقد لجأوا لإصدار صحف خاصة بهم وتمويل صحف أخرى من وراء ستار.

ورغم أنه لا توجد وثائق لدى الباحث أو أى من الجهات الرسمية تؤكد أو تشير إلى سيطرة رجال الأعمال على مقاليد الصحافة إلا أن تجليات هذه السيطرة بدت واضحة جدا، حيث أصبحت الصحف هى الأدوات التى من خلالها أدار رجال الأعمال معاركهم وصراعاتهم.

إن خلفية الحدث التى أدت إلى الحملة على الصحف الصفراء فى هذه الفترة كانت معروفة، فقد نشرت جريدة الدستور[1] تقريرا يلخص بيانا قيل أنه صادر عن الجماعات الإسلامية يهدد بقتل رجال الأعمال الأقباط، ورغم أن البيان لم يكن صحيحا فقد تمت صياغته فى إحدى عوامات منطقة الكيت كات بمعرفة رجل أعمال قبطى وساعده صحفى وعضو فى مجلس الشعب فى حلقة من حلقات صراع البيزنس[2].

إلا أن نشر البيان بهذه الصورة تم التعامل معه على أنه محاولة لضرب الإقتصاد المصرى وإجهاض محاولات الإستثمار، وصدر على الفور قرار بوقف طباعة وتداول صحيفة الدستور فى مصر على إعتبار أنها صحيفة قبرصية، وعندما أقدمت مجلة روزا ليوسف[3] على إعادة نشر التقرير كنوع من الدعم لموقف صحيفة الدستور تمت الإطاحة بعادل حمودة من منصب نائب رئيس تحرير المجلة، رغم أن المسئول عن مجلس إدارتها وتحريرها كان محمود التهامى، لكن تم التعامل مع الأمر على أن عادل حمودة هو المسئول عن النشر، وتدخل رجل الأعمال نجيب ساويرس لدى السلطة وإعترف بذلك فى حوار مع مجلة الأهرام العربى[4] فقد قال أن النظام طالما أغلق الدستور لنشرها هذا التقرير فلابد أن تعاقب روزاليوسف على النشر ذاته.

كشف هذا الإجراء عن أن الصحافة المصرية كانت طرفا فى صراع ليس مهنيا فقط ولكنه كان صراع إختلطت فيه مقتضيات السياسة بمصالح البيزنس وكان لابد للصحافة أن تدفع ثمن تورطها فى هذا الصراع.

---

(١) جريدة الدستور، عدد ١١٦، الصادر فى١٢ فبراير ١٩٩٨.

(٢) كان هذا هو ما تردد عن هذا البيان وصياغته وطريقة تسريبه للصحف وقتها داخل الوسط الصحفى، وإن كان الباحث لا يملك ما يوثق به هذه المعلومة، إلا أنها لو صحت فستظل تشير إلى أن الصحافة تم إستخدامها وبشكل مباشر فى صراعات السياسة والبيزنس.

(٣) مجلة روزاليوسف، عدد ١٨ فبراير ١٩٩٨.

(٤) مجلة الأهرام العربى، عدد ١٥ مارس ١٩٩٨.

كانت مجلة روزاليوسف قد قدمت صيغة صحفية جديدة منذ بداية التسعينات تحديدا عندما أصبح عادل حمودة[1] مسئولا عن تحريرها، كانت صيغة قائمة على تقديم الإثارة بمعاييرها المهنية التى لم تكن الإثارة الجنسية سوى عنصرا واحدا من عناصرها.

وفى ديسمبر ١٩٩٥ صدرت جريدة الدستور كجريدة قبرصية لتكون رافدا من روافد مجلة روزاليوسف، حيث أن رئيس تحريرها هو إبراهيم عيسى الذى تعلم وتربى مهنيا فى مطبخ روزا الصحفى، بل كان مسئولا قبل أن ينتقل إلى الدستور عن قسم الديسك المركزى وهو المسئول عن الصياغة النهائية التى تكتب بها موضوعات المجلة، وهو ما يعنى أن جريدة الدستور كانت تنويعة على اللحن الأساسى الذى عزفته روزا فى هذه الفترة.

استطاعت هذه الصيغة الصحفية أن تتصدر المشهد الصحفى، لكنها لم تكن الصيغة الصحفية الوحيدة.

كان إلى جوار روزاليوسف صيغتان صحفيتان عاملتان....

الأولى تقدمها جريدة النبأ التى كانت من أوائل الصحف التى حصلت على ترخيص بالصدور من المجلس الأعلى للصحافة بموجب القانون ٩٦ لسنة ٩٦ ، اعتمدت النبأ فى معالجتها على إبراز العنصر الجنسى فى كافة القضايا التى تتناولها، رافعة بذلك شعار «**ابحث عن الجنس**»، ولم يكن لديها فرق فى هذا البحث إذا ما كانت القضية التى تتناولها سياسية أو إقتصادية أو فنية أو دينية.

وإلى جوار النبأ كانت هناك الصحف التى تصدر بموجب تراخيص من الخارج وأتفق على تسميتها بالصحف القبرصية، نظرا لأن الغالبية العظمى منها كانت صادرة عن

(١) تم تعيين عادل حمودة نائبا لرئيس تحرير مجلة روز ليوسف منذ فبراير ١٩٩٢، إلا أن كواليس العمل فى المجلة كانت تؤكد أنه كان رئيس التحرير الفعلى، بما يؤكد أن الصيغة الجديدة التى عملت بها المجلة فى عهده كانت تعبر عن توجهه ونظرته للصحافة.

شركات قبرصية، وهذه الصحف لم يكن لديها من الإمكانيات المادية أو المهنية لتدخل فى سباق صحافة الإثارة، ولذلك إكتفت بأن تعيش على تسول الإعلانات.

يمكن أن نسمى هذه الصحف «صحف لمعلنها»، فالقائمون عليها يضعون أمامهم هدفا واحد وهو أن يصلوا إلى المعلن وتحديدا للمنطقة التى يتواجد فيها المعلن، وفى الغالب لم يكن يزيد المطبوع من أعداد هذه الصحف عن خمسة آلاف نسخة فقط[1].

كان لابد للسلطة من أن تتكأ على سند قوى لمهاجمة صحف الإثارة الجادة، وكانت الآلية التى إتبعتها فى ذلك هو الهجوم على الصحف الصفراء، جاعلة الجميع فى سلة واحدة، لتجعل من المجتمع الذى يرفض بالطبع صحافة الفضائح والإبتزاز داعما لها، لكنها أغلقت الصحف الجادة وأفسحت الطريق أمام الصحف الصفراء لتقوى ولتستخدمها فى جولة جديدة من جولات الصراع مع الصحافة.

ولذلك يختلف الباحث مع طرح أحمد المسلمانى، فالصحافة البيضاء وهو مسمى يمكن لنا أن نقبله بدلالاته فقط، فهو ليس توصيفا حقيقيا لحال صحف الحكومة التى كانت تعانى ولا تزال من حالة ضعف مهنى عام، وكذلك ضغوط رجال الأعمال، لم تكن حتى هذه الفترة هى العوامل والأسباب التى أدت إلى ظهور صحافة الإثارة.

فالنظام السياسى حتى هذه اللحظة كان هو السبب المباشر فى تمكن نمط صحافة الإثارة السلبية، فبعد أن أجبرت الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين النظام السياسى على سحب القانون ٩٣ لسنة ٩٥ والذى كان مقيدا للحريات وأطلق عليه الصحفيون قانون ذبح الصحافة، وإجباره على إقرار القانون٩٦ لسنة ٩٦، حاول النظام السياسى أن يضرب الصحافة من داخلها، فى هذه الفترة توسع النظام فى الموافقة على منح الموافقة على

(١) يمكن للباحث أن يؤكد هذه المعلومة على مسئوليته المباشرة حيث أنه إقترب من هذه الصحف التى كان يطبع بعضها ٥ آلاف نسخة وبعضها يطبع ما هو أقل من هذا الرقم بكثير، وكانت هذه النسخ توزع فى مراكز التوزيع القريبة من المعلنين الذين يتعاملون مع الجريدة فقط.

صدور الصحف الأجنبية[1].

وهى صحف صغيرة كان مقرها لا يتجاوز الشقة الصغيرة وكان الطاقم التحريرى المسئول عن إنتاجها لاعلاقة له بالعمل الصحفى لا من حيث الإستعداد او الموهبة أو حتى القدرة على العمل.

بدأت هذه المجموعة تمارس سلوكيات أبعد ما تكون عن سلوكيات العمل الصحفى التى أقرته مواثيق الشرف الصحفية، وبدأت تظهر على السطح ممارسات مثل الإبتزاز المباشر للحصول على الإعلانات والتهديد بشن حملات على المصانع والشركات الصغيرة التى لا يستطيع أصحابها أن يحموا أنفسهم من هذا الإبتزاز.

ولأن هذه الصحف كذلك لم تكن قادرة أو على الوجه الصحيح لم تكن لديها القدرة على تقديم معالجة صحفية راقية فقد قامت بنقل مادتها من الصحف الأخرى فيما يشبه حالة السطو الصحفى المباشر على مجهود الغير المهنية، وبدأت تزيد الشكاوى من هذا النمط من الصحف بالتوازى مع حملة صحفية قادتها صحف المعارضة والحكومة ضد هذه الصحف.

لكن ما بدا تلقائيا ولا يعتقد الباحث أنه كان كذلك أن الحملة الصحفية جعلت الصحف كلها فى سلة واحدة، وأصبحت المعالجات غير المهنية والإبتزاز والسطو الصحفى هو السمة الأساسية لما أطلق عليه صحف الإثارة أو الصحف الصفراء.

كان ما حدث من النظام حيال هذه الصحف وكأنه مؤامرة لتخريبها من الداخل، وضربها من خلال عناصر تعمل فيها وتقدم نفسها للمجتمع على أنهم صحفيين، فيتم رسم الصورة الذهنية للصحفى من خلالهم، وقد تم تفسير ذلك على أنه تم بحيلة متعمدة، فقد أفسح النظام الساحة والمساحة لظهور صحف لم تكن قد استكملت هياكلها التحريرية أو الإدارية، ولم تكن الجهة التى توافق على منح هذه التراخيص مجهولة بل

(١) وصل عدد هذه الصحف طبقا لورقة بحثية أعدتها عواطف عبد الرحمن وقدمتها ضمن أعمال مؤتمر الصحفيين الرابع عام ٢٠٠٤ إلى ٧٥ صحيفة منها ١٥ تصدر باللغات الأجنبية.

كانت هى وزارة الإعلام التى كان يتولى شئونها فى هذه الفترة الوزير صفوت الشريف.

كان الشغل الشاغل لملاك هذه الصحف هو أن يحققوا أكبر قدر من الأرباح من خلالها، وكان طبيعيا أن يعمل فى هذه الصحف من هم غير مؤهلين للعمل الصحفى بالمرة وظهرت فى هذا الإطار بالفعل نماذج مشوهة مهنيا وإنسانيا.

وعندما أراد النظام أن يضرب الصحافة قدم هؤلاء على أنهم الصحفيون وحصل دون عناء على تفويض من المجتمع بضرب هذه الفئة التى بلا أخلاق ولا ضمير مهنى ولا إنسانى، لم يهتم النظام بالطبع بضرب هذه الفئة لكنه استفاد منهم فى تقليم أظافر من رأى أنهم عناصر تقدم معالجات جادة للقضايا المجتمعية على الساحة وتخالف ما استقر عليه أو على الأقل تسبب له إحراجا من نوع ما .

وعلى ذلك فإن القوى الفاعلة التى قدم لها المسلمانى على أنها هى التى وقفت وراء ظهور الصحافة الصفراء لم تكن على أرض الواقع فاعلة، وإن كان يمكننا أن نشير إليها على أنها كانت بمثابة العوامل المساعدة لضعف الأداء المهنى فى الصحف الحكومية، وهو الضعف الذى قاد فى النهاية إلى إنجاح صيغ صحفية جديدة، ما كان لها أن تنجح أو تتمكن من تحقيق أرقام توزيع كبيرة، إلا لأن الصحف الحكومية وبعض الصحف الحزبية قد تخلت عن مهمتها الأساسية وانسحبت من ميدان الدفاع عن الناس وتبنى قضاياهم فى مواجهة السلطة بمستوياتها المختلفة سواء كانت سلطة النظام السياسى أو سلطة رؤساء الأحزاب الذين جعلوا صحفهم مجرد أبواق تنطق بلسانهم وتعبر عن مصالحهم الخاصة أو سلطة رأس المال التى تمثلت فى مجموعة رجال الأعمال التى صنعت على عين النظام السياسى وتحت رعايته.

وإذا كان خطاب الصحافة البيضاء والصحافة الصفراء تم توجيهه إلى الجهة الخطأ، فإن جلال أمين[1] حاول أن يبحث عن جذور الصحافة الصفراء بشكل أكثر دقة، فقد

(١) جلال أمين، عصر الجماهير الغفيرة ١٩٥٢ – ٢٠٠٢ (القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٣)، ص ٣٧ – ٤٧.

لاحظ أن نشأة الصحف المطبوعة والمنتظمة الصدور كانت وثيقة الصلة بنمو الطبقة الوسطى، وأنها كانت ظاهرة بورجوازية بحتة، كانت الأخبار الغالبة فى الصحف الأولى هى أخبار التجارة وما يهم التجار معرفته كخبر وصول باخرة إلى الميناء وبيان ما تحمله من سلع، بل قيل أن الصحف اليومية فى أمريكا لم تظهر إلا لمنافسة المقاهى التى كانت تعلق على جدرانها آخر الأخبار عن حركات التجارة، وسرعان ما أضيفت الأخبار السياسية المهمة والتعليقات عليها، ولكن ظلت الصحف فى الأساس صحف الطبقة الوسطى منذ ظهورها فى أوائل القرن السابع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، تنشر ما يهم هذه الطبقة معرفته وتستجيب لأذواق هذه الطبقة ومعاييرها الأخلاقية، وتتجنب ما يؤذيها أو يجرح حسها الأخلاقى أو الجمالى.

هكذا نجد جريدة التايمز اللندنية مثلا عندما ظهر أول عدد منها فى أول يناير ١٧٥٨ تنشر وعدا من مؤسسيها للقراء بأن هذه الصحيفة الجديدة لن تحتوى على أى شئ من شأنه أن يخدش الحياء أو يفسد الخلق، وستمتنع عن نشر أى شئ يتضمن تحيزا ظالما أو قذفا مبتذلا فى حق أى شخص.

وعندما تولى رئيس تحرير جديد إدارة صحيفة النيويورك تايمز فى ١٨٩٦ رأى من المفيد أن يتبنى شعارا للصحيفة مؤداه أنها: **لن تنشر من الأخبار إلا ما كان من الملائم نشره وأنها لن تلوث المفرش الذى يغطى مائدة الإفطار.**

لكن قبيل القرن العشرين بسنوات قليلة بدأت ثمار الثورة الصناعية فى دول غرب أوربا وأمريكا تصل إلى أيدى الجماهير الغفيرة، إذ كان التقدم التكنولوجى قد وصل إلى درجة تتطلب توسيع دائرة القدرة الشرائية، وإلا عجز المنتجون عن تصريف منتجاتهم، ومن ثم كانت الإستجابة لمطالب النقابات العمالية ليست فقط ضرورة إجتماعية وسياسية بل وضرورة تكنولوجية.

كان لابد أن ينعكس هذا فى أحوال الصحف، ففى سنة ١٩٠٠ كانت معرفة القراءة

والكتابة والقدرة الشرائية قد انتشرا إلى حد سمح لجريدة الديلى ميل البريطانية أن تطبع وتوزع مليون نسخة يوميا، الأمر الذى جعل أذهان بعض الأذكياء تتفتق عن فكرة معينة.

يرصد جلال أمين هذه الفكرة على النحو التالى:

إن القدرة على تعبئة مثل هذا الطلب الواسع على الصحف بسبب تحقق القدرة على القراءة والقدرة على الشراء فى نفس الوقت يمكن أن يكون مصدر ربح وفير لمن يستطيع أن يخاطب هذه الجماهير الغفيرة بالطريقة التى تحب أن تخاطب بها.

فما هى هذه الطريقة؟

تفضل الجماهير الجرائد ذات العناوين المثيرة والمكتوبة بخط كبير، والجماهير تحب أن ترى الصورة أكثر مما تحب أن تقرأ الكلام، والجماهير تحب إذا كان المقال فى موضوع علمى أن يكون مبسطا للغاية، وإذا كان فى السياسة أن يكون مثيرا وحماسيا، أما الأخبار فالأفضل منها هو ما يتعلق بالفضائح وأسرار الناس وأما القصص فأفضلها قصص الحب والجنس.

وقد دخل العرض والطلب فيما يتعلق بالصحافة الصفراء فى حلقة مفرغة من زيادة عدد القراء الناجمة عن زيادة السكان وزيادة القدرة الشرائية وانخفاض مستوى الأمية وكلها تؤدى إلى زيادة الطلب على الصحف، وهذه الزيادة بدورها تؤدى إلى الإستجابة إلى القاسم المشترك الأعظم بين القراء، وهو حب كل ما هو مثير وسهل وسريع، ومن ثم يزيد المعروض من مواد الصحافة الصفراء، ولكن زيادة المعروض من هذه المواد يضاعف من حجم الطلب الذى يضاعف بدوره من حجم العرض وهكذا تظل الدائرة قائمة.

ويضع جلال أمين يده على فكرة ملخصة لهدف صناع الصحافة الصفراء:

فعندما بلغ عدد قراءها حجما ضخما، كان من الطبيعى أن تحدث الخطوة الخطيرة التالية، وهى أنه بدلا من أن تقوم الصحيفة ببيع أخبارها ومقالاتها وصورها للقراء، بدأت الصحيفة فى بيع قرائها للمعلنين.

قد يبدو التعبير قاسيا ومبالغا فيه، ولكنه لا يبعد كثيرا عن الحقيقة، فالصحيفة عندما يبلغ مستوى إنتشارها حدا معينا يمكنها أن تعتمد فى تحقيق الربح ليس على قارئ الجريدة كقارئ، وإنما كمشتر لسلع أخرى كثيرة، ومن ثم فهى الآن قادرة على تقديم خدمة أعلى ثمنا وأكثر ربحا بكثير من الخدمة التى قامت فى الأصل لتقديمها، وهى الإعلام والتثقيف، هذه الخدمة هى الإعلان وهذا هو المقصود بأن الصحف تقوم ببيع القراء بدلا من بيع الأخبار.

وللقارئ أن يتخيل المتغير الذى كان لابد أن يطرأ على الصحيفة نتيجة لهذا التغير الخطير فى طبيعة ما يعرض للبيع والشراء، فلابد من مراعاة ما يريده القارئ أولا وأخيرا، سواء كان المباع هو الخبر والمقال أم عدد القراء الذين سوف تقع أعينهم على الإعلان، ولكن زيادة أهمية الإعلان ضاعفت من أهمية الانتشار الواسع بالنسبة لأهمية الخبر أو جودة المقال، بل إن رأى القارئ نفسه لم يعد مهما بنفس الدرجة، طالما تحققت واقعة الشراء إبتداء.

كان المهم هو جذب القارئ إلى شراء الصحيفة الآن، وليس من المهم كثيرا رأيه بعد إنتهائه من الإطلاع عليها، المهم هو النجاح فى خداعه بأن هناك شيئا فى الصحيفة يتعين قراءته حتى لو إكتشف بعد لحظات قليلة أن ما ظنه مهما ليس فى الحقيقة كذلك، إذ أنه فى هذه اللحظات القليلة يكون عدد من الإعلانات قد وقع بالفعل تحت بصره ودخل فى وعيه أو لاوعيه.

فى مصر الوضع يختلف كثيرا كما يرى جلال أمين:

ففى مجتمع ظلت نسبة الأميين فيه تزيد على ٨٠٪ من السكان حتى منتصف القرن العشرين، لم يكن من المتوقع أن تصدر الصحف حتى ذلك الحين، إلا لنسبة ضيئلة من السكان ممن ينتمون إلى الطبقتين العليا والوسطى وهما طبقتان كان يتمتع أفرادهما بوجه عام وحتى منتصف القرن بمستوى عال من التعليم ويمتلك ناصية اللغة التى تكتب بها

الجريدة عربية كانت أو إنجليزية أو فرنسية، مع إحترام تام من جانب أفراد الطبقة الوسطى على الأقل للغة العربية وقدرتهم على تذوق ما فيها من جمال.

ومن ناحية أخرى كان عدد قارئى الصحف من الصغر بحيث لم يكن ليسمح للصحيفة أن تحقق إيرادا من الإعلانات ذا أهمية تذكر، وقد تضافرت هذه الظروف لتحديد طبيعة الصحف والمجلات الصادرة فى مصر حتى منتصف القرن.

لكن حدث إنقلاب فى الصحافة المصرية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة، وكان هذا الإنقلاب بظهور مدرسة أخبار اليوم فى الصحافة المصرية فقد شاهد قراء الصحف المصرية لأول مرة المانشيتات المثيرة والمكتوبة بحروف ضخمة دون إهتمام كبير باتساق العنوان المثير مع مضمون الخبر المكتوب تحته، وزاد عدد الصور المنشورة مع مراعاة إعتبارات الإثارة فى إختيار الصور والأخبار على حد سواء.

وعندما قامت ثورة ١٩٥٢ أضيف عنصر جديد إلى الإثارة إذ إنضمت الإثارة السياسية إلى مواد الإثارة المستمدة من الجرائم والفضائح وأسرار الفنانين والفنانات.

ولكن كل هذا لم يكن من شأنه أن يزيد من توزيع الصحف لولا ما حدث من تطور فى إرتفاع مستوى الطبقات الدنيا اقتصاديا وتعليميا وهو ما تكفل بعمله العقدان التاليان (الخمسينات والستينات)، وكان التفسير المنطقى لهذا الإرتفاع فى التوزيع هو الإنخفاض فى مستوى ما تنشره الصحف لغة ومضمونا، وكان هذا هو ما يتفق مع ما يطلبه ويقدر على إستيعابه قارئو الصحف الجدد الذين إنضموا حديثا جدا إلى الطبقة الوسطى، وهم الذين حققوا قدرا من التعليم على عجل فى مدارس وجامعات مكتظة بالتلاميذ وعلى أيدى مدرسين تخرجوا هم أنفسهم على عجل لمواجهة حاجات المدارس المتزايدة بسرعة.

ويذهب جلال أمين إلى أن عنصر الإثارة التى بدأت على إستحياء قبيل منتصف القرن العشرين على يد مصطفى وعلى أمين تحول من إثارة الأخبار الصغيرة المتناثرة إلى الإثارة السياسية والقومية فى الخمسينات والستينات، ثم إلى الإثارة الدينية فى السبعينات، ثم

اضيف إلى كل ذلك الإثارة المعتمدة على الرياضة فى الثمانينات والإثارة الجنسية فى التسعينات، كان كل شئ فى هذه المرحلة يحمل طابع التبسيط الشديد، وهو التبسيط الملائم بالطبع للجماهير الغفيرة من القراء.

لكن المدهش أن هذه النزعة للتبسيط أصابت حتى ما كان فى الأربعينات أو مطلع الخمسينات أكثر الصحف والمجلات وقارا ورصانة، فنفس المجلات التى كانت تنشر المقالات البديعة لصلاح حافظ[1] فى الخمسينات تحت عنوان إنتصار الحياة، أو التى أسسها أحمد بهاء الدين[2] فى منتصف الخمسينات لمخاطبة القلوب الشابة والعقول المتحررة، ونشر أول مقال له فيها تحت عنوان معنى اليسار، وجدت أنها لن تستطيع الإستمرار وتحقيق مستوى معقول من التوزيع ما لم تنشر صورا مماثلة لما تنشره الصحافة الصفراء، وما لم تتوسع فى أخبار الرياضة وفى نشر المقالات المبسطة جدا فى الدين مثلما تتوسع الأخريات.

كما ظهرت مجلات جديدة من نوع جديد تماما على مصر حققت نجاحا باهرا رغم إرتفاع ثمنها تطبع على ورق مصقول وتعتمد على الصور الجميلة وإذاعة الأسرار ونشر كل ما هو مدهش وغريب.

حاول جلال أمين فى طرح تصوره لجذور الصحافة الصفراء أن يربط الظاهرة بتطورها التاريخى سواء فى الغرب أو فى مصر، وإعتمد على إبراز العامل الإجتماعى والإقتصادى ثم فى خلفية الصورة العامل السياسى، لكنه فعل ذلك من أرضية أن الظاهرة سلبية وقد يكون السبب المباشر فى ذلك أنه لم ينظر للظاهرة من أرضيتها المهنية وبالتالى أغفل تماما الظروف المهنية التى قادت مثل هذه الصحف إلى مسلكها الذى سلكته.

---

(١) إشارة إلى مجلة روزا اليوسف.

(٢) إشارة إلى مجلة صباح الخير.

ويمكن تبرير هذه النظرة ليس لدى جلال أمين وحده ولكن لدى أصحاب هذه النظرة للصحافة الصفراء أو صحافة الإثارة بشكل عام، بأنهم ينظرون إلى الصحافة على أنها غاية فى حد ذاتها وليسست وسيلة وأداة تحقق فى النهاية أهداف من يملكها سواء كان فردا أو شركة أو حكومة، وتأسيسا على أنها أداة فإنها فى النهاية تخضع للظروف والمتغيرات التى تحيط بها، وتجد نفسها فى النهاية مضطرة إلى الإستجابة لهذه المتغيرات وإلا فإنها لن تستطيع أن تستمر.

لقد كان الربط بين التطور التاريخى من الناحية المجتمعية والتطور فى ظاهرة الصحافة الصفراء لدى جلال أمين مساعدا فى فهم الدوافع الظاهرة لنقد هذا النمط من الصحافة وهى دوافع أخلاقية فى المقام الأول، ولذلك ركز على إفتتاحيات الصحف التى أشارت إلى أنها لن تحتوى على أى شئ من شأنه أن يخدش الحياء أو يفسد الخلق، وأنها كذلك لن تلوث المفرش الذى يغطى مائدة الإفطار.

لكن فى المجتمع المصرى كان العامل السياسى هو الفاعل فى إضافة عناصر جديدة لصحافة الإثارة، فمن الإثارة التى تنطلق من الأرضية الشخصية لدى القائمين بالإتصال حيث أن ثقافة وتعليم على ومصطفى أمين فى إنجلترا وأمريكا كانا عاملا حاسما فى تبينهما لهذا اللون من الصحافة.

ثم تطورت الإثارة إلى السياسية فى عهد عبد الناصر وارتبط ذلك بحالة التعبئة السياسية العامة التى كانت تعيشها البلاد فى هذه الفترة، فقد كان عبد الناصر يتعامل مع الصحافة على أنها أداة من أدوات الحكم يستخدمها لتحقيق أهدافه وتمرير سياساته وتبرير قراراته، ولذلك لم يكن غريبا أن تخرج الصحف المصرية فى عهد عبد النناصر وكأنها نسخ متعددة من جريدة واحدة تعزف نفس اللحن فى أوركسترا يقودها الرئيس بنفسه.

ثم الإثارة الدينية التى إرتبطت بنمو وصعود المد الدينى بفعل سياسات السادات، فقد فتح السادات ذراعيه للتيارات الدينية ليواجه من خلالها التيارات الناصرية واليسارية،

ولما كانت المواجهة ستصل إلى حدود الصدام، فكان لابد من خطاب صحفى لهذه الجماعات يعبر عن رأيها وتوجهاتها.

ثم الإثارة الإستهلاكية المتمثلة فى الإهتمام بكرة القدم وأخبار الجريمة بفعل السياسات الإستهلاكية التى ارتبطت بسياسة الإنفتاح الإقتصادى.

ثم الجنوح التام إلى الإثارة الجنسية التى زادت معدلاتها مع نظام مبارك الذى طغت عليه السطحية السياسية وتم تفريغ المناخ السياسى من أى قضية حقيقية يمكن أن يلتف حولها قراء الصحف، فاختاروا أن يصرفوا أوقاتهم فى القضايا التافهة والسطحية وجاءت قضية الجنس فى القلب منها.

لكن ما يأخذه الباحث على جلال أمين أنه:

أولا: تعامل مع التطور التاريخى للظاهرة تعاملا متعسفا، فلم يكن التطور حادا بهذه الطريقة ولم يظهر نمط من أنماط صحافة الإثارة ثم أعقبه ظهور نمط آخر، ولكن هذه الأنماط كانت موجودة فى الصحافة المصرية فى فترات تطورها المختلفة، وكان بعضها يطغى على الآخر فى فترة زمنية معينة لظروف خاصة ومرتبطة بظروف ومتغيرات هذه الفترة.

ثانيا: أغفل أن الصحافة المصرية عرفت الإثارة قبل ظهور مدرسة أخبار اليوم، وذلك توافقا مع الصورة العامة عن هذه الصحافة، فرغم أهمية مدرسة أخبار اليوم التى يعتبرها البعض أنها كانت ثورة فى الصحافة[(١)]، إلا أنها كانت نتاج ممارسات سابقة فى هذا الإطار قد تكون غير منظمة أو غير قائمة على أساس علمى، لكن فى النهاية لا يمكن أن نسقط هذه الفترات من مسيرة صحافة الإثارة فى مصر.

ويرصد الباحث ثلاثة خطابات تم من خلالها التعليق على نشر جريدة النبأ لقضية

(١) التعبير لسامى عزيز الذى أصدر كتابا عن أخبار اليوم عاد ١٩٥٦ حمل هذا التوصيف «ثورة فى الصحافة».

وصور الراهب المشلوح من دير المحرق[1]:

الخطاب الأول للمؤرخ يونان لبيب رزق..

والثانى لنبيل عبد الفتاح...

والثالث لمأمون فندى...

اختار الباحث هذه القضية تحديدا لأنها حملت فى طياتها ما يمكن أن نعتبره قمة صحافة الإثارة، التى يختلط فيها الدينى بالجنسى والإجتماعى بالسياسى ومخالفة أدبيات نشر الجريمة بالخروج عن الآداب العامة، وإنتهاك مواثيق الشرف الصحفية بضحالة الوعى الإجتماعى الذى وقف وراء إنتاج هذه المعالجة.

ثم أن نشر هذه القضية الذى كان مدعما بالصور كان له أثرا ملحوظا كاد أن يتسبب فى فتنة طائفية عارمة بعد أن شهدت كاتدرائية الأقباط مظاهرات عارمة للإحتجاج على معالجة القضية صحفيا، وطالب الشباب المتظاهر بإغلاق الصحيفة وعقاب الصحفى.

اعتبر يونان لبيب رزق[2] أن صحيفة النبأ مجرد نشرة إباحية، إذ يصعب تسميتها بالصحيفة ، حتى لو حملت شكل الصحيفة سواء من ناحية الإخراج أو من الجهة القانونية بحكم صدورها بترخيص من جهة من جهات الدولة.

ومصدر التسمية ليس ناشئا فحسب عن إستباحة الأعراف والتقاليد ولكنه ناتج فى نفس الوقت عن التحول من النقد المباح إلى النقد غير المباح وهى جريمة يعاقب عليها القانون المصرى كما يعاقب عليها كل قانون.

---

(١) نشرت جريدة النبأ فى عددها الصادر فى ١٧ يونيو ٢٠٠١ تحقيقا مصورا عن إنحرافات برسوم المحرقى راهب دير المحرق بأسيوط الجنسية، ومثل هذا النشر فى وقتها صدمة هائلة للمجتمع المصرى بمختلف طوائفه، وحتى الآن يمكن الإشارة إلى أن هذه المعالجة تمثل ذروة صحافة الإثارة فى مصر.

(٢) يونان لبيب رزق، شئون وشجون تاريخية (القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥)ص ص ٧٧ – ٨٤ .

أما مصدر الصعوبة فهو أن هناك عقدا غير مكتوب قائم بين الصحيفة وبين المجتمع، بأن لا تسعى الأولى إلى هز القوائم التى يقوم عليها الثانى أو العمل على تدميرها بكل ما يترتب على ذلك من تداعيات، ومن هنا تصدر التوصيفات المختلفة عن أمانة الكلمة أو شرفها، بمعنى آخر أن أى كاتب مفروض أن يتسلح بالحد الأدنى من الحس العام الذى يدعوه إلى التفكير أكثر من مرة قبل إقتحام أية منطقة تؤثر على كينونة الوطن وأمنه، وهو إن خرق هذا العقد فقد خرج عن مسلمات الضمير الجمعى الذى يتأثر كثيرا بهذا الخروج.

وقد لا يعلم كثيرون بالمبدأ الذى يحكم الصحافة المحترمة فى الدول ذات التقاليد العريقة بأنه لا ينشر أى مكتوب، خبرا كان أو مقالا أو تحقيقا دون الرجوع إلى المسئولين للتأكد من أن ذلك لا ينزل ضررا بالصالح الوطنى، هذا فى حالة ما إذا استشعر القائمون على تحرير الجريدة أن ذلك المكتوب له صلة بهذا الصالح من قريب أو بعيد، وهى الحقيقة التى يخرج بها أى مشتغل فى دور الوثائق الغربية.

ويذهب يونان لبيب رزق إلى أن وجهة نظره هذه عبارة عن بعض ما خلص إليه من الإطلاع على الأضابير السرية لوزارة الخارجية البريطانية المحفوظة بدار الوثائق العامة القائمة فى إحدى ضواحى لندن، والتى تحفل بالمراسلات المتبادلة بين الصحف والإدارات المختلفة لتلك الوزارة، وكانت هذه المشاورات تجرى أحيانا بين هذه الجهة الحكومية وبين صحف الحزب المعارض، عمالا كانوا أو أحرارا أو محافظين.

فعند المصلحة العامة يتحد الجميع حتى لو اختلفوا فى كل ما دون ذلك، ولقد وعى العاملون فى مجال الصحافة المصرية هذه الحقيقة بإمتداد تاريخها الطويل الذى اقترب من قرن ونصف ، حتى إن أحدهم وهو الكاتب سلامة موسى وضع مؤلفا يتضمن القواعد الأساسية لهذا العقد تحت عنوان «**الصحافة حرفة ورسالة**»، فللحرفة قواعد وللرسالة مبادئ.

وانطلاقا من هذا الفهم يبنى يونان لبيب رزق توصيفه للنبأ على أنها منشور إباحى

وليست صحيفة، فقد افتقر كاتبوها الذين لا يصفهم بأنهم محررين إلى الحد الأدنى من فهم رسالة الصحافة ، وطالما خرجوا عن كل قواعد العقد غير المكتوب، ومن ثم يتم التعامل معها على ضوء هذا الفهم.

وتأسيسا على هذا الإدراك ينبغى التعامل مع تلك المنشورات ليس على إعتبارها صحفا وبالتالى لا يطلق لها العنان تحت ذريعة أن الإقتراب منها مساس بحرية الصحافة التى نحرص عليها جميعا، فهى أقرب إلى النبت الشيطانى الذى يتوجب اقتلاعه قبل أن يخنق النباتات المحيطة.

ويفرق يونان بين الصحيفة المعارضة التى ينبغى أن تتمتع بكل أسباب الحرية فى كل ما تكتبه، وبين المنشورات الإباحية التى قد تجد سوقا رائجة بين قطاعات بعينها من المجتمع المصرى، والتى ينبغى التعامل معها بنفس معايير التعامل مع سائر المنشورات المعادية للمجتمع.

ويبرر يونان لبيب رزق عداءه الظاهر لهذا النمط من الصحافة، بأن صحف المعارضة تسعى وراء تحقيق الصالح العام حتى لو اختلفت فى ذلك مع السياسات الحكومية أو الآراء المعلنة للرسميين، والإختلاف فى مثل هذه الحالة يكون حول الوسائل وليس الأهداف.

بينما تعمل الصحف الإباحية وهى منفلتة من كل تلك القواعد وليس لها هدف سوى زيادة التوزيع وتحقيق المكاسب، وعندما يتحكم هذا الهدف وحده من سياسات المكتوب قل على الدنيا العفاء، وذلك لأسباب كثيرة فهى من ناحية تغلب الصالح الخاص على الصالح العام وهى من ناحية أخرى مستعدة لإستخدام كل الوسائل التى تحقق لها المزيد من الربح، حتى لو كان بينها وسائل غير مشروعة، حيث يمتلئ تاريخ تلك المنشورات بأعمال الابتزاز التى تقوم على التشهير ونشر الفضائح، وهى من ناحية أخيرة على إستعداد أن تكون طرفا أصيلا فى مؤامرة تستهدف صالح الوطن وأمنه سواء بالوعى أو اللاوعى.

وإذا كان يونان لبيب رزق حاول تفسير النشر الإباحى من خلفيته التاريخية معتمدا على أن التفسير الموضوعى لأية حادثة يقوم على أساس رصد الوقائع وطرح الأسئلة والبحث عن إجابات عليها، وعندما يعجز منهج البحث التاريخى عن التوصل إلى مثل تلك الإجابات أو أغلبها، فإما أن يكون هناك قصور فى تطبيقه وإما أن يكون هناك شئ غامض غير معلوم كنهه، ولأنه كان باحثا له تاريخ طويل فى ميدان العمل التاريخى فيصعب القبول «بإما» الأولى ولا يبقى لنا سوى «إما» الثانية، فإن نبيل عبد الفتاحاول تفسير النشر الإثارى على أرضية الواقع والممرسات المهنية الحالية.

ينحاز نبيل عبد الفتاح[1] إلى أن نشر الصور الفضائحية ليس حالة طارئة أو واقعة استثنائية فى مجال تطور هذا النمط من الصحافة الذى لا يقتصر فقط على صحيفة النبأ التى نشرت قضية دير المحرق، وإنما بدأت فى عدد من الصحف والكتابات وبعضها قومية لأنماط من السياسات التحريرية لفظة التى تميل إلى مجموعة من الرهانات الفضحائية والتشهيرية والجنس المبتذل واللغة السوقية الركيكة كما يتناولها الدهماء ، فضلا عن السب والقذف.

ويعكس إنتشار هذا النمط الصحفى ثقفة تبلورت داخل أوساط وفئات إجتماعية تدعمها وتنتجها وتستهلكها وتعيد توزيعها على القراء.

ويميل عبد الفتاح إلى أن النشر العارى - البورنوجرافى السمات - فى الصور واللغة والنزعة التهتكية أصبح يمثل أحد مكونات السياسات التحريرية فى بعض الصحف والمجلات المصرية طلبا للترويج السهل ولتنشيط الإعلانات أو الإبتزاز والتشهير والتحريض، البعض يعدها بخفة وعدم تبصر توابل إثارية هدفها تحقيق الترويج، لكن نحن إزاء نمط تحريرى ساد وامتد إلى بعض الصحف القومية.

---

(١) نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان الصراعات وضرورات الإصلاح (القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣)ص ص ٢٩٧ – ٣١٠ .

وقد تكون الإدانة الأخلاقية للنشر الإثارى مطلوبة ويسيرة، لكن الأهم من ذلك هو تحليل ما وراءها، فالقيود القانونية أو السياسية عليها لن تحول دون تدفق الصور العارية والكتابات الإثارية.

فثمة نمط من الخطابات الشفاهية والكتابية تنطوى على المساس بالعقائد والأديان والرموز والمؤسسات الدينية عبر شبكات إتصالية كالإنترنت والموبايل، وهنا لابد من البحث فى مدى دقة الأسئلة التى نطرحها بحثا عن إجابات.

فعلى ما يبدو أن البحث عن المرامى المتغياة من السياسة التحريرية الإثارية والنزوع إلى ترويج العرى واللغة الفظة والخشنة التى تدخل ضمن دائرة التجريم يمكن أن يقودنا إلى أن هذا النمط الإثارى يستهدف تحقيق عدد من الأهداف يمكن إيجاز بعضها فى الآتى:

أولا: النفاذ إلى قلب الحياة العامة وتحقيق مكانة سريعة نظرا للجمود الذى يعترى آليات الحراك داخل النخبة السياسية والإعلامية.

ثانيا: سرعة الترويج للمطبوعة بهدف الإبتزاز المالى والمعنوى لبعض الشخصيات العامة ورجال المال والتجار.

ثالثا: إضعاف تأثير صحف المعارضة والكتابات النقدية التى تدور حول السياسات العامة أو الظواهر السياسية والإجتماعية والإقتصادية التى تعكس اختلالات فى الهياكل القومية والنظام الإجتماعى.

وهناك أسباب كامنة وراء هذه الظواهر الصحفية والسياسات والقرارات التحريرية يمكن إيجازها على النحو التالى:

أولا: غياب تدفق مستمر للمعلومات الدقيقة من المصادر الرسمية والغير رسمية إلى الصحف ووسائل الإعلام، بحيث يدور النشر الصحفى بمختلف أنماطه ومن ثم الجدل العام حول القضايا المختلفة من خلال تحليل وتفسير بنيات المعلومات المتاحة أمام الجماعة الصحفية سواء من الجماعتين الثقافية والسياسية أو من القراء عموما، ومن ثم يؤدى

غياب وإبتسار المعلومات المتاحة إلى شيوع النزعة السجالية والهجائية التى تتغذى من منابع إيديولوجية تتدثر بأحكام القيمة والإنحيازات والأهواء السياسية.

ثانيا: تراجع العقل النقدى ومدارس النقد الإجتماعى لصالح اللغة السجالية العنيفة، الأمر الذى يحول دون حوارات موضوعية ترمى إلى تغليب مفاهيم الصالح العام الوطنى، وبناء جسور بين مدارس العمل السياسى على إختلافها ابتغاء إعادة تجديد أواصر الموحدات القومية.

ثالثا: غلبة النزعة الاستعراضية فى الخطابات الوعظية عموما والكتابات الصحفية وفى العمل السياسى والبرلمانى والميل إلى تحقيق صورة إعلامية من قبل بعض الوزراء ورجال السياسة ورجال دين وإكليروس وفى البرلمان والأحزاب، بديلا عن تفكير دينى متجدد وأداء سياسى رصين، ولعل نظرة على أداء غالبية تشكيلات برلمانية عديدة تشير إلى هذا النمط من الأداء من حيث الجمود والضعف، والإستعراضية كبديل عن الفكر الدينى والفقهى الإجتهادى والأداء السياسى والتشريعى والرقابى.

رابعا: غياب منظومة قيمية ومهنية تشكل موضعا للتراضى والإتفاق العام الذى يتشكل طوعا لا قسرا تضع الحدود بين ما هو مباح وما هو خارج عن نطاق الإباحة الإجتماعية والدينية والسياسية، وهى حالة عامة لا تقتصر فقط على الصحافة وإنما تمتد إلى الثقافة والمؤسسات الدينية.

خامسا: ضعف الدور التأديبى للمؤسسات الصحفية والمهنية نظرا لشيوع التراخى المرتبط بالجمود الداخلى وعدم الحراك لأعلى فى هياكلها الجيلية، فضلا عن أنماط من الفساد السياسى والوظيفى الذى أصبح موضوعا للنقاش منذ سنوات عديدة ولا صدى.

سادسا: الجمود الهيكلى والجيلى أدى إلى نشوء بؤر وهياكل متناثرة للقوة فى المؤسسات المختلفة، مما أدى إلى التأثير على التكامل المؤسسى وفعالية القانون وصناعة القرارات ومن ثم تنفيذ السياسات بكل إنعكاسات ذلك الوعى الجماعى لفئات إجتماعية عديدة.

ويخلص نبيل عبد الفتاح من هذه الأسباب إلى أن الحالة الإثارية والهجائية فى الصحافة المصرية أدت إلى إضفاء التشوش والضبابية على عمليات رصد وتحليل الظواهر والمشاكل الموضوعية التى تواجه المجتمع المصرى، وصرف الإنتباه عن قوائم الأعمال الأساسية التى تواجه البلاد من قبيل أزمة هياكل الدولة والتطور الديمقراطى المعاصر ، وفشل صيغة الدمقرطة من أعلى، والعلاقات بين الأجيال فى الحياة السياسية والحزبية ، ورغبة البعض فى سيطرة رأس المال على الحكم والفساد الوظيفى ، وتحولات أنساق القيم والخلل فى العلاقات بين المؤسسات الدينية وبين الحياة السياسية والثقافية والمدنية والنزعة الاستعراضية والصحفية فى البحث السياسى والإجتماعى والكتابة عموما، والموقف من عمليات تشكل مجتمع مدنى لا يزال تحول دون ميلاده عقبات وقيود قانونية وسياسية وإجتماعية عديدة وأزمة الأدوار الإقليمية المصرية وتراجع مصر الثقافى والسياسى ومستقبل التسوية السياسية للنزاع العربى الإسرائيلى.

وينظر مأمون فندى[1] فى تقييمه لأزمة الصحافة المصرية من منظور مختلف.

فنشرت جريدة النبأ لقضية القس المشلوح أمر يعد بداية تيار وليس نهايته، بمعنى أن لجوء الصحف إلى الإثارة والجنس كوسيلة لزيادة التوزيع فى طريقه إلى الإزدياد وليس النقصان، والأمر لا يتعلق بموضوع القس أو قضية الأقباط ، بقدر ما يتعلق بأزمة الصحافة المكتوبة فى مصر، ولذلك أسباب عديدة:

السبب الأول: أن الصحف المصرية إتخذت بعد فترة الثورة منحى مختلفا من حيث التطور المهنى، فبدلا من البناء على صحافة ما قبل الثورة والتى كانت تهتم بأخبار الإقليم وتحليل أحداثه، انتقلت إلى صحافة التعبئة الجماهيرية التى تحاول المشاركة فى بناء دولة ما بعد الثورة واتجهت إلى الأسلوب الخطابى فكثرت المقالات والخطب على حساب الخبر والتحليل.

(١) مأمون فندى، ضحايا الحداثة (القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣)ص ص ١٢٥ -١٣٠ .

وفى الوقت الذى بقيت فيه الصحف المصرية متمسكة بخطابيتها انتقل الإنسان المصرى وتواصل مع العالم من حوله تدريجيا، ليتجاوز إعلامه المحلى فى آفاق جديدة بصورة هائلة نتيجة إنتشار الفضائيات والكمبيوتر الذى يتيح للقارئ الإطلاع على معظم الصحف العربية والعالمية كل صباح، وتكون الصحف المصرية مجرد واحدة من الوجبات الإعلامية الصحفية التى تصدر فى العالم يوميا .

السبب الثانى: التوجه المصرى إلى الصحف الأجنبية والخارج للحصول على المعلومة الصحيحة ناتج عن أزمة ثقة بين الإعلام المصرى وجمهوره.

بدأت هذه الأزمة عام ١٩٧٦ عندما أعلن أحمد سعيد للمصريين أن طائرات اسرائيل تتساقط كما الذباب، ليصحو المصريون بعد أيام ليكتشفوا صدق الإعلام الأجنبى وكذب إعلامهم ليدركوا حجم الهزيمة التى حلت بالعرب .

ورغم كل محاولات الصحف المصرية إكتساب القارئ منذ ذلك الحدث وحتى الآن، لكن فجوة الثقة ورغم أنها تضيق إلا أنها لا تزال باقية، وبقاء هذه الأزمة لا تسأل عنه الصحف فقط ، ولكن جزءا كبيرا من ذلك يعود إلى أن المجتمع المصرى فى طريق تواصل المعلومات ما زال مجتمع شفاهة أو مجتمعا شفويا أكثر من كونه مجتمع كتابة.

السبب الثالث: هيمنة الخطاب الإسلامى على لغة الشارع المصرى، واللغز هو كيف طغى هذا الخطاب رغم معرفتنا بأن الإسلاميين لا يملكون صحيفة أو على الأقل إذا قارنا منابرهم الإعلامية بمنابر الدولة فلا يكون هناك وجه للمقارنة، فالتليفزيون المصرى تملكه الدولة وكبريات الصحف هى مشاركة بين المؤسسات الإعلامية والدولة ممثلة فى مجلس الشورى، فأين هى أوعية التواصل الإعلامى التى تنجح فى حالة الإسلاميين وتفشل فى حالة إعلام الدولة؟

هذه القنوات الإتصالية توجد فى مواقع إتصال المواجهة، أو الاتصال الشخصى كالمساجد والأسواق والمقاهى إلى آخر الأماكن التقليدية للإجتماع، ويتمتع هذا الإسلوب

الإتصالى بمصداقية أعلى من مصداقية الصحف، حيث ترى ناقل الخبر بنفسك وتتفحص ملامحه ويمكنك أن تسأله عن مصدره الأول والثانى والثالث الأمر الذى لا يتوفر فى حالة الإعلام المكتوب.

السبب الرابع: الخبر فى الصحافة المصرية فى الغالب خبر رسمى دونما وجود مصدر آخر للمعلومة، فمثلا فى حالات التحقيق فى جريمة فى مصر تعتمد الصحيفة على ما ينقله مراسلها فى وزارة الداخلية، دونما اللجوء إلى مصدر آخر من موقع الحدث أو من رؤية أخرى لشهود العيان.

هنا تكون للمجتمع رؤية فيما يقدم إليه إعلاميا، لذا تجد المشاهد أو المستمع أو القارئ المصرى يقرأ خبرا فى صحافته ثم يقلب فى المحطات الأجنبية للتأكد من صدق الخبر، وعليه فإن أزمة المصداقية أو هوة الثقة الموجودة جعلت القارئ قديما يحاول أن يقرأ ما بين السطور، أما الآن فالقارئ أو على الأقل هناك شريحة كبيرة من القراء والمشاهدين المصريين لا يقرأون ما بين السطور، ولكنهم يتجهون مباشرة إلى صحف غير مصرية سواء كانت هذه الصحف عربية أو غير عربية حسب اللغة التى يجيدها المواطن.

السبب الخامس: عندما صرحت الحكومة للشركات الخاصة بحرية تملك الصحف سرعان ما اكتشفت هذه الشركات أنها لا تستطيع البقاء إن لم يكن لها مصدر دعم من الخارج لأن التوزيع وحده لن يكفى لتغطية تكاليفها.

وقد لجأت بعض الصحف إلى دول أخرى لتمويلها، فهناك الصحيفة التى تعيش على دعم العراق الكامل ، وإذا ما قرأتها خيل إليك أنك تقرأ صحيفة بابل لصاحبها عدى صدام حسين.

السبب السادس: هناك صحف مثل النبأ حاولت اللجوء إلى وسائل أخرى لزيادة توزيعها كى تبقى فى السوق، فاستخدمت خليطا من الدين والجنس والجريمة أو الإثارة لزيادة توزيعها، وبالفعل نجحت فى زيادة توزيعها وكذلك إرتفاع سعرها، وقد وصل

سعر جريدة النبأ فى يوم نشر قصة القس المشلوح والصور الجنسية إلى عشرين جنيه للعدد، رغم أن سعرها الأصلى كان جنيها واحدا.

السبب السابع: الطريق أمام الصحف المصرية هو إما مزيدا من الإثارة لكسب الجمهور الذى يتركها لصالح الفضائيات ُو لصالح الصحف الأجنبية، أو تحاول ردم هوة المصداقية بين الصحيفة والقارئ وهى تحتاج إلى سنوات من العمل ومن الإبداع وهذا أمر غير وارد فى الفترة الحالية.

السبب الثامن: الحوار حول معالجة قضية النبأ هو ضلال للطريق وفقدان للهدف، فالحوار الحقيقى يجب ألا يكون عن الصحف المغلقة ولكن يجب أن يكون عن الصحف المفتوحة وأول أسئلة الحوار هو :

لماذا فشلت الصحف المفتوحة فى الطغيان على الصحف المغلقة وإزاحتها عن السوق؟أم أن الصحف تحتاج إلى قرارات من الدولة لإزاحة المنافس فتلك ليست بصحافة محترمة.

والسؤال الثانى أنه رغم أن الصحف تتمتع بهامش من الحرية فى عهد الرئيس مبارك لم يسبق له مثيل لكن كيف فشلت الصحافة المصرية فى هذا الجو من الحرية أن تطور نفسها مهنيا وكيف خسرت جمهورها؟

وهذا سؤال يخص الصحافة والصحفيين ولا يخص الدولة.

ناقشت هذه الخطابات صحافة الإثارة إنطلاقا من حالة معينة وهى نشر جريدة النبأ لإنحرافات قس مشلوح كان يعمل فى دير المحرق بأسيوط.

جسد هذا النشر أزمة صحافة الإثارة أو ليكن الباحث أكثر دقة ويشير إلى أن هذه المعالجة تترجم الجانب السلبى من هذه الصحافة، فلم يكن جذب الإنتباه لأهمية القضية المطروحة هو الهدف بقدر ما كان الرغبة فى التوزيع وزيادة الإنتشار وإحداث دوى هائل بصرف النظر عن عواقب هذا الدوى.

ويذكر الباحث أنه أثناء هذه الأزمة وقبل أن تتوالى تبعاتها من إغلاق الجريدة وشطب رئيس تحريرها من جداول نقابة الصحفيين والحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، سأل أحد رؤساء التحرير[1] عن تقديره لنشر هذه القضية بهذا الشكل الموسع، فأكد أنه لم يكن ليفعل أكثر مما فعله ممدوح مهران رئيس تحرير النبأ مع الوضع فى الإعتبار الفروق بين صحيفته وصحيفته النبأ ، فلم يكن من الضرورى نشر كل هذه الصور الجنسية ، لكن بعد أن أصبحت النبأ فى مرمى الهدف تراجع رئيس التحرير ذاته وأشار إلى أن مهران خانه التوفيق فى نشر هذه القضية بأكملها.

وهو ما يعنى أن القائمين بالإتصال فى هذا النمط من الصحافة لهم حساباتهم الخاصة بهم وهذه الحسابات تحديدا لا تجعلهم يلقون بصحفهم فى التهلكة، فهم يصيغون الموضوعات بحسبة معينة وإذا ما أثارت هذه الصياغة الغبار من حولهم حاولوا أن يؤكدوا على حسن نواياهم وأنهم لم يقصدوا الإساءة.

وهو ما فعله ممدوح مهران نفسه[2]، حيث أكد أن نشر القضية بهذا الشكل الموسع كان الهدف منه هو أن يكشف الفساد فى الكنيسة وليس أكثر، لكنه لم يجد من يستمع إليه.

ولذلك يرى الباحث أن هذه الخطابات التى يغلب عليها الطابع العلمى إقتربت من روح الظاهرة، لأنها لم تعزلها عن السياق المجتمعى الذى أنتجها وساهم فى صناعتها وترويجها.

لكن ما يؤخذ على هذه الخطابات أنها لم تضع فى خلفيات تحليلها الظروف المهنية والأسباب التى يمكن أن تجعل صحيفة معينة تقدم معالجة معينة لقضية بعينها بينما تقدم صحيفة أخرى معالجة مختلفة لنفس القضية.

(١) حوار دار بين الباحث وبين عادل حمودة فى مكتبه بجريدة صوت الأمة خلال فترة أزمة النبأ بعد نشر صور راهب دير المحرق.

(٢) مؤتمر صحفى عقد فى مقر جريدة النبأ وحضره الباحث.

ثانيا: خطاب التماهى مع الخطاب السياسى

فى نهايات ١٩٩٧ قاد الكاتب الصحفى جمال بدوى[1] من خلال صحيفة الوفد الحزبية حملة على الصحافة الصفراء.

كانت الرصاصة الأولى فى هذه الحملة مقالا بعنوان «الصحافة الصفراء»، وفيه رأى أن الحرية مسئولية وإلتزام ورسالة الصحافة هى البناء والتربية والانتصار للمثل العليا، والترفع عن إثارة الغرائز، ولأن الحرية لها إلتزامات وضوابط أصعب من حالة الفوضى، فالأديان لها حرمة والأعراض لها حرمة لا يجوز الخوض فيها، والأمن القومى له حرمة إذا اخترقت تعرضت البلد للخطر، ولا يليق ولا ينبغى أن نسكت على ظهور الصحافة الصفراء كما هو الحال فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا، فنحن لسنا أمريكا ولا إنجلترا ولا فرنسا.

نحن مجتمع شرقى له تراث أخلاقى قديم، وتحكمه قيم وتقاليد وآداب تراكمت عبر آلاف السنين، ولذلك لابد من وقفة صارمة مع الصحافة الصفراء التى أخذت تصبغ الصحافة بكل ما هو مشين.

ويحدد جمال بدوى الجهة التى يتوجه إليها بحملته، فهو لا يتوجه بدعوته إلى الحكومة فهى التى تصدر تراخيص هذه الصحف، ولأن الحكومة تخاف من الشتامين وتشترى سكوتهم بالتستر عليهم، ولا يتوجه بدعوته إلى مجلس الشورى الذى يملك ولا يحكم ، ولا إلى المجلس الأعلى للصحافة الحاضر الغائب الذى يرى ولا يتكلم ويسمع ولا ينطق وتتحرك أمام ناظريه مواكب الفساد الصحفى فلا يمسها بسوء، ولا إلى نقابة الصحفيين لأنها تخشى أن تتخذ موقفا جادا فتحاسب عليه فى الإنتخابات، وهى التى أصدرت ميثاق الشرف الصحفى ثم تحول إلى جثة هامدة.

أجمل جمال بدوى جهات بعينها هى الحكومة ومجلس الشورى والمجلس الأعلى

(١) جمال بدوى، جريدة الوفد، عدد الخميس ٦ نوفمبر ١٩٩٧ .

للصحافة فى خطابه مؤكدا أنه لـن يوجه إليها خطابه لـيس لأنـه يـبرئ هـذه الجهـات مـن مسئوليتها عن الوقوف خلف ظهر الصحافة الصفراء، ولكن جاء ذلك فى إطار تأكيـده أن هذه الجهات نفسها قد تكون هى التى أدت مـن خـلال السياسـات التـى انتهجتهـا خـلال سنوات عديـدة إلى بـزوغ نجـم صـحافة الإثـارة وتمكنـه مـن الإنتشـار والتـأثير حتـى بـات مفروضا أن تتم مواجهة هذا النمط وحصاره ومحاصرته.

ولذلك إختار بدوى أن يوجه دعوته إلى الرأى العام وفى ذلك تأكيـد آخـر منـه عـلى أن الرأى العام هو الذى يضار من ممارسات الصحافة الصفراء بمستوياتها المختلفة، فالقـارئ من وجهة نظر جمال بدوى هو المجنى عليه الذى تقدم إليه السموم فى شـكل صـور عاريـة وفضائح جنسية وقضايا ملفقة.

وعندما عاد المجلس الأعلى للصحافة للإجتماع بعد غيبة ثلاث سـنوات مـن الإنقطـاع عن العمل والإجتماع فى ٢٨ فبراير١٩٩٨، استقبله جمـال بـدوى[١] بسـؤال صـاغه بشـكل مباشر: **يا قيادات المجلس الأعلى للصحافة ماذا أنتم فاعلون مع الصحافة الصفراء؟**

ووضع بدوى القضية كاملة من وجهة نظره أمام قيادات المجلس، فهناك قائمة طويلـة من الهموم والمشاكل تنتظر البحث والنظر من أرباب الصحافة المصرية.

ولكن القضية التى يجـب أن تكـون لهـا الأولويـة هـى الصـحافة الصـفراء التـى فاحـت رائحتها وعم بلاؤها حتى شوهت وجه الصحافة المصريـة وأسـاءت إلى سـمعتها ولوثـت صورة المجتمع المصرى أمام العالم.

وقد بين جمال بدوى خطورة القضية من عدة جوانب:

أولا: لابد من الفصـل بـين حريـة الصـحافة وحريـة الإبتـزاز والتهتـك والفجـور، فـلا يمكن أن تكـون حريـة الصـحافة غطاء يمـرح تحتـه تجـار الرقيـق الأبـيض ومقـاولو المحـارة

(١) جمال بدوى، جريدة الوفد، عدد السبت ٢٨ فبراير ١٩٩٨ .

والبياض للعبث بقيم المجتمع المصرى وأخلاقياته ونشر بضاعتهم الفضائحية على الملأ، وإلا صار من حق تجار الهيروين والبانجو أن يطالبوا بحريتهم فى بيع سمومهم أسوة بأصحاب الصحف الصفراء، ويصير من حق عصابات الرقيق أن يطالبوا بمنحهم رخصا لممارسة نشاطهم بنفس الطريقة التى حصلت بها صحف الفضائح على رخصها.

ثانيا: حرية الصحافة ليست فى نشر قطع الملابس الداخلية للسيدات والتسلل إلى غرف النوم وإقتحام دورات المياه لإلتقاط القاذورات وتسجيل أحاديث الشذوذ والخلاعة والدعارة، وتقديم كل هذه السموم إلى الناس بدعوى حرية الصحافة وخدمة العدالة وحق الجماهير فى التلصص على المشاهير فى خلوتهم، ونشر ما يدور وراء الأبواب المغلقة ونهش أعراض النساء وعلى المتضرر أن يلجأ إلى أقرب محكمة

ثالثا: الاستهتار بالحقوق الأساسية للانسان، وهذا الإجرام فى سمعة المجتمع المصرى أدى إلى هجمة فضائحية وضعت ضحاياها فى موقف لا يحسدون عليه، فهم لا يستطيعون اللجوء إلى المحاكم لأسباب ثلاثة هى:

حبال المحاكم طويلة ، والذهاب إلى المحاكم سيزيد الفتنة إشتعالا، والعقوبة لن تعيد الإعتبار إلى الكرامة الجريحة.

وفى هذا الموقف لا يكون أمام الضحية إلا أن تطوى نفسها على الأذى وتسلم أمرها لله.

كان إجتماع المجلس الأعلى للصحافة على خلفية بعض الأحداث التى شهدها الوسط الصحفى، ومنها إغلاق صحيفة الدستور والحكم بالسجن على مجدى أحمد حسين ونقل عادل حمودة من روزاليوسف إلى الأهرام، وقد أكمل جمال بدوى حملته الصحفية[1] تأسيسا على هذه الأحداث بحديث فرق فيها بين حرية الصحافة وحرية الدعارة ويمكن للباحث إجمال ما قاله فى الآتى:

(١) جمال بدوى، جريدة الوفد، عدد الخميس ٥ مارس ١٩٩٨ .

- لابد من التفريق بين حرية الصحافة كما استقرت عليها المفاهيم والمواثيق الصحفية وبين حرية الدعارة والإفك والفجور، ولابد من التمييز بين إجراء تعسفى يصدر لتكميم الأفواه وقصف الأقلام، وبين إجراء جراحى لابد منه لتطهير الساحة الصحفية من الأعشاب السامة وإستئصال الورم السرطانى الذى تمكن من جسد الصحافة المصرية.

- المجتمع المصرى يتعرض لهجمة من صحف الفضائح ، وهى هجمة لا تقل فى ضراوتها عن هجمة تجار الهيروين وأفلام الجنس والرقيق الأبيض، وكلهم تتضافر جهودهم لهدم قيم المجتمع وركائزه الأساسية.

- القول بأن الجمهور هو الحكم وهو صاحب الحق فى إسقاط الصحف الصفراء قول هزيل ومتهافت والهدف منه تسهيل مهمة الأفاقين وتجار الأعراض لترويج بضاعتهم.

- اختلطت ظاهرة الصحافة الصفراء بقضية حرية الصحافة وقضية حق إصدار الصحف، وتحولت عملية الإصدار إلى تجارة غير مشروعة يمارسها كل من يملك رخصة فيتنازل عنها مقابل أجر باهظ إلى تجار الأعراض، والمؤسف أن هؤلاء التجار يشترون الرخص من بعض الأحزاب التى حصلت على تراخيص قديمة تحت دعوى إصدار الصحف وتشغيل الشباب، ثم تحولت هذه الرخص إلى منجم لاستلاب الأموال وتسهيل مهمة فتح الدكاكين الصحفية تحت لافتة أحزاب يفترض أن مهمتها سياسية بالدرجة الأولى وليس المساهمة فى هدم المجتمع.

- بريطانيا أم الديمقراطية فى العالم فطنت إلى خطورة الإسراف فى إقتحام الحياة الخاصة للمشاهير، حتى لو كان هؤلاء المشاهير يرغبون فى ذلك، فالقضية ليست ماذا تحب أن تكون ؟ولكن ماذا يجب أن يكون عليه المجتمع؟

وقد ثارت هذه الصحوة الأخلاقية على أثر الحادث الذى أودى بحياة الأميرة ديانا وما كان من مطاردة الصحف الصفراء لها حتى فى مخدعها، وقد وضعت مجموعة من الضوابط المهنية والأخلاقية التى تحمى الأفراد وفى الوقت نفسه تدعم حق الجمهور فى المعرفة.

ولا تحول هذه المبادئ دون النشر فيما يتعلق بالمصلحة العامة بشرط أن تكون معلومات صادقة ولا تكون كاذبة أو مضللة أو مشوهة، وهى تخول لكل فرد حق إحترام حياته الخاصة والأسرية، والإمتناع عن التصوير عن بعد لأناس فى أماكن خاصة دون موافقتهم، كما لا ينبغى على الصحفيين والمصورين السعى للحصول على معلومات أو صور عن طريق الإبتزاز والملاحقات والمحاولات الدءوبة، ولا ينبغى على الصحفيين الإلحاح فى الإتصال التليفونى أو البقاء فى أماكن هى ملك لأولئك الأفراد بعد أن يطلب منهم مغادرتها، وتلزم هذه المبادئ رؤساء التحرير التأكد من أن العاملين معهم يلتزمون بهذه الآداب بالكامل، ولا ينبغى عليهم نشر مواد من مصادر أخرى لا تلتزم بهذه القواعد.

ظل خطاب جمال بدوى حتى هذه اللحظة خطابا ذاتيا، يعبر عن رؤية كاتب يرى فى ممارسات بعض الصحف معالجة صفراء مسيئة لمنظومة الصحافة المصرية ككل، لكن حدث ما جعل هذا الخطاب تابعا للرؤية السياسية الرسمية لهذه الظاهرة.

ففى صباح يوم السبت ٧ مارس ١٩٩٨، اجتمع الرئيس مبارك مع أعضاء المجلس الأعلى للصحافة فى مقر الرئاسة بمصر الجديدة، وحضر الإجتماع الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء والدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى ورئيس المجلس الأعلى للصحافة وصفوت الشريف ءزير الإعلام.

ركز حديث الرئيس على وضع الصحافة بعد إنتشار ظاهرة صحف الفضائح وتأثيرها السلبى على سمعة مصر فى الخارج، وأشار كذلك إلى المنشور الذى نشرته صحيفة الدستور ومجلة روزاليوسف بشأن مؤامرة وهمية لإغتيال بعض رجال الأعمال الأقباط، وما أدى إليه هذا النشر من إساءة لسمعة مصر فى الخارج، حتى أن الرئيس اضطر إلى تأجيل زيارته إلى الولايات المتحدة، ووجه الرئيس اللوم إلى أعضاء المجلس الأعلى للصحافة ونقابة الصحفيين وطالبهما بتحمل المسئولية لحماية الصحافة المصرية من الإتجاهات الضارة.

ويمكن إجمال وجهة نظر النظام السياسى فى الصحافة الصفراء من خلال ما قاله الرئيس نصا عن الصحافة المصرية قال:

- ما أدعو إليه هنا ليس التستر على الفساد أو تقييد حرية الصحافة، فذلك زمن ولى وراح ، ولكن ما ندعو إليه ونمارسه من حرية الرأى داخل الجماعة الصحفية يدعونا لأن نحذر من قلة تجذبنا جميعا بعيدا عن أهداف هذا الوطن ومقاصده، وهناك فارق واضح بين النقد والتهجم وبين الرصانة والإثارة وبين العمل على الإصلاح والعمل على الهدم وبين الحرية المسئولة والفوضى المدمرة وبين الذين يعرفون أولويات الوطن وهؤلاء الذين يستوردون له أولويات مجتمعات لها ظروفها المختلفة عنا.

- لا يمكن أن تكون هذه صحافة مصر، فالمصريون فى الخارج الناس تعايرهم وتقول لهم شوفوا صورة بلدكم فى صحفكم، ووناسيين أن عندنا صحافة محترمة عندنا الأهرام والأخبار، لكن للأسف عندنا صحف تتعرض للأعراض ولمسائل تعرض أمن الوطن للضرر، صحيفة الدستور دخلت فى المسيحيين وعقدوا لى الدنيا، وفى أمريكا كانوا يطلبون منى الذهاب ولكنى أجلت السفر بعد أن كتبت هذه الصحيفة عن المسيحيين، هناك الكونجرس يتلقف هذه الأشياء ويدعى حماية الأقباط.

- هناك أشياء فى الصحافة صادمة ويقول الرئيس عنها: ساعات اقرأ حاجات تصدمنى، وساعات اقرأ مقالات الناس الوطنيين، أنا قعدت مع رجال الأعمال واتكلمت معاهم بشأن استخدام الصحافة ضد بعض، بعض رجال الأعمال الخليجيين توقفوا عن الاستثمار لما سمعوا الهجمة على رجال الأعمال فى مصر، أنا لا أعفى رجال الأعمال من الأخطاء، مفيش شكوى من مصرى فى الخارج إلا من الصحافة

- لابد أن تكون الصحافة سندا للقيم والآداب، فبعض الشخصيات غير المصرية تتسلل إلى الصحافة المصرية عشان تهاجم حكام بلدهم، يروحوا عاملين شركة وجريدة علشان تسب القذافى، طيب مش قادرين يشتموه فى بلدهم ييجوا يشتموه فى مصر، وفيه

واحد اتصل بصحيفة فلتانة مقابل مبلغ شهرى عشان يشتم السعودية وهو مش قادر يعمل كده فى بلده.

مين يدفع ثمن الأذية دى؟هم المليون مصرى الذين يعملون فى السعودية ويسممون حياتهم هناك، الناس فى البلاد العربية يقولون للمصريين هناك: شوفوا الدعارة فى بلدكم.

إلتزم الباحث قدر الإمكان باللهجة العامية التى تحدث بها الرئيس كنوع من الأمانة فى عرض الخطاب الرئاسى، ولأن استخدام هذه اللهجة يعطى انطباعا أن الرئيس أراد أن يكون الإجتماع ليس رسميا فهناك مهمة محددة يريدها من المشاركين فى الإجتماع.

وقد أراد أن تتم هذه المهمة بشئ من الود والتفاهم وليس عن طريق الأوامر المباشرة التى يمكن أن تشى بأن هناك قصدية وإستهداف للصحافة، وقد يكون إختيار المكان الذى عقد به الإجتماع فيه دلالة شبه مؤكدة على ما يذهب إليه الباحث.

فقد فضل الرئيس أن يتم الإجتماع فى مقر الرئاسة بمصر الجديدة ، ولم يذهب إلى مقر المجلس الأعلى للصحافة، وهو ما يعكس حالة الغضب الشديدة التى كان عليها رأس النظام من الصحافة والقائمين عليها وهو ما جعله لا يفكر فى الذهاب إلى بيتهم الرسمى أو الذى أراد النظام أن يكون بيتا رسميا لهم.

لقد استعان الرئيس فى هجومه على الصحافة بالخطاب الذى قدمته الصحف القومية والحزبية وتحديدا جريدتى الأهرام والوفد ففى أثناء كلمته استعان بما جاء فى ثلاثة مقالات:

الأول كتبه إبراهيم نافع رئيس تحرير جريدة الأهرام وجاء فيه:

الحرية غير المسئولة فى العالم الثالث لابد أن تنقلب بعد فترة قصيرة إلى سيادة تيارات فوضوية وفاشية تأكل الأخضر واليابس فى حياتنا، وتحولنا إلى مجتمع يأكل بعضه بعضا، ويشيع فيه الابتزاز والبلطجة الفكرية والإرهاب المعنوى، وبالتأكيد فإنها ليست الحرية التى حاربت جموع الصحفيين الشرفاء من أجلها، والتى كان متعارفا عليها بين جميع

المخلصين، إنها الحرية التى تضيف للوطن ولا تنتقص منه وتدفعه إلى الأمام ولا تجذبه إلى الخلف.

الثانى كتبه سعيد عبد الخالق وجاء فيه:

هناك صحف تحولت إلى دكاكين دعارة، تقدم على صفحاتها ما يثير الغرائز الجنسية، مانشتات وصور عارية صالحة للقراءة فى دورات المياه، وحكايات جنسية وأفعال فاضحة وأوصاف منافية للآداب تنافس حكاوى العاهرات والساقطات داخل الغرف المغلقة.

والمصيبة الأخرى التى ابتليت بها الصحافة أن هناك جرائد نصبت من نفسها سلطة توجيه الإتهام، وأصبحت القاضى الذى يصدر الأحكام وارتدت رداء عشماوى المنوط به تنفيذ أحكام الإعدام، إن بعض الممارسات الصحفية فى الهجوم على رجال الأعمال بتوجيه الإتهامات إليهم بالباطل هو أمر يجاوز كل الحدود وكل القوانين، كما أنه إغتصاب لسلطات أخرى.

الثالث كتبه جمال بدوى وجاء فيه:

لابد أن نفرق بين حرية الصحافة والتعبير وحرية الإفك والفجور والفاحشة.

استند الرئيس فى هجومه على الصحافة على ما سبق وكتبته الصحافة نفسها، لكن بعد أن وجه الرئيس انتقاداته الواضحة للصحف وممارساتها عادت الصحف مرة أخرى لتبنى خطاب معادى تماما لصحف الإثارة.

فقد كتب إبراهيم سعدة[1] : أن الخطأ الذى وقعت فيه ما يسمى بصحافة الدكاكين هى أن أصحابها سمحوا لمن لا مهنة له بأن يحصل على الخبر ويكتب التحقيق ويهاجم من يشاء ويمدح من يريد بلا ضابط ولا رابط ولا حتى مناسبة غير محاولة الإبتزاز والرغبة فى الإثارة الرخيصة التى لابد أن تجد من يقرأها ويعجب بها أو يقرأها ويلعنها فى نفس الوقت.

(١) إبراهيم سعدة، جريدة أخبار اليوم، عدد ١٤ مارس ١٩٩٨ .

وينتقل إبراهيم سعدة نقلة جديدة في نقد الظاهرة قائلا:

إن الصحفي الحقيقي - عضو النقابة - سيفكر ألف مرة ومرة قبل أن يوافق على ما يريد صاحب الدكان كتابته ونشره من موضوعات إباحية وتحقيقات إبتزازية وأخبار تحريضية وآراء تزعزع وتهدم الوحدة الوطنية وتهدد الأمن القومي، بعكس الجورنالجي الصايع الذي لا مهنة له الذي يقبل أن يفعل ذلك ويكتب ما يملى عليه كتابته حتى يستمر في ممارسة عمله.

لهذه الأسباب كلها فإن أصحاب الدكاكين الصحفية يحرصون على تشغيل هؤلاء المتعطلين الذين لانقابة تحميهم ولا قانون عمل يحمي حقوقهم، ويقنعون بالحصول على ملاليم من الصحيفة والمئات والآلآف من رجال الأعمال ونجوم المجتمع والفن والأثرياء الذين يبتزونهم ويهددونهم بالتشهير بهم.

ويضع إبراهيم سعدة ما يشبه العلاج لأزمة الصحافة أو قضية الصحافة الصفراء، ويمكن تحديد وجهة نظره في نقاط محددة:

- لابد أن يطبق النص القانوني الذي يحظر عمل غير النقابيين في الصحافة بكل صرامة حماية للمهنة وحتى لا تختلف نقابة الصحفيين عن باقي النقابات الأخرى مثل الأطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين التي لا تسمح بمزاولة المهنة إلا لأعضائها، وعندما يطبق هذ القانون على رؤساء مجالس إدارات الصحف ورؤساء تحريرها، فمن المؤكد أنهم لن يتساهلوا في تشغيل غير النقابيين لديهم، سواء من جداول الأعضاء تحت التمرين أو جداول الأعضاء المشتغلين.

- إيجاد وسيلة فعالة لإجبار كل الصحف بلا إستثناء على إحترام حق الرد المقدس، هذا الحق تلتزم به كل أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في كل الدول المتقدمة والتي لا حدود أمام حرية صحافتها وإعلامها، لكن الصحافة المصرية لا تحترم حق الرد، وإذا تم إحترامه بالمصادفة فلا ينشر إلا في زاوية بريد القراء في ذيل إحدى الصحف

الداخلية بحيث لا تقع العين على سطوره القليلة والمبتورة.

- قانون الصحافة الحالى وضع من النصوص والمواد ما يكفل لكل مواطن أن يسحب الصحفى والصحيفة إلى ساحة القضاء ليسترد فيها كرامته التى أهينت وشرفه الذى مرغ فى الطين وطهارة يده التى أشبعها الصحفى باتهاماته المنشورة تشكيكا وانتقاصا وتحقيرا.

وعليه فلا حاجة لنصوص جديدة لمعاقبة الصحفى والصحيفة عند إرتكابهما جرائم قذف وذم وتشهير ، ولكن ما يجب أن يتم البحث عن آلية لتحقيقه هو سرعة نظر القضايا وسرعة البت فيها، فقضايا القذف لها أهمية كبرى تحظى بها فى محاكم الدول المتقدمة، ويمكن أن تشكل محكمة خاصة للنظر فى هذه القضايا وتحدد لكل قضية فترة زمنية لا تزيد على شهرين أو ثلاثة فقط.

أصبح الخطاب السياسى للرئيس مبارك هو المرجعية الأساسية للخطاب الصحفى الناقد لصحافة الإثارة بعد ذلك، وأعقب جمال بدوى بثلاثة مقالات كانت عناوينها كالتالى[١]:

- **لا تجعلوا من حرية الرأى حائط المبكى للصحف الصفراء.**
- **إنهم يصنعون للصحافة جنازة يشبعون فيها لطما.**
- **الصحافة الصفراء فى ساحة المهاترات.**

أجمل جمال بدوى رأيه فى هذه المقالات وهو ما يمكن لنا أن نجمله فى نقاط محددة:

أولا: لا يمكن أن تتحول المعركة ضد الصحافة الصفراء إلى معركة يستغلها البعض ليقلبوا الحقائق ويشيروا إلى أن المساس بالصحف الصفراء سيؤدى إلى المساس بحرية الرأى وتضييق هامش الديمقراطية وفتح الباب أمام السلطة لفرض وصايتها على الصحافة.

(١) جمال بدوى فى ثلاثة أعداد من الوفد فى ٢ و٩ و١٦ إبريل ١٩٩٨ .

ثانيا: حرية الرأى ليست فى العرى والإبتزاز والانحلال ونهش الأعراض والتعيش من عرق المنحرفات، وإقتحام غرف النوم وتعرية الناس من ثيابهم وتسجيل قصص الشذوذ والفضائح وفرض الإتاوات على القادرين والمشاهير.

ثالثا: حرية الرأى لا تعنى الفبركة والإختلاق ونسج الأكاذيب والتطاول على كرامات الناس بالبذاءات والألفاظ الفاحشة وتهديدهم فى سمعتهم.

رابعا: الربط بين حرية الرأى وحرية الصحافة الصفراء فيه محاولة للتضليل والمراوغة والتحريف والخروج بالقضية عن مسارها حتى يتم إغلاق ملف صحف الفضائح.

خامسا: الهدف من تجريم السب والقذف هو تأمين حقوق الأفراد من العدوان على شرفهم وذممهم وأعراضهم وسمعتهم وعدم تحقيرهم بين ذويهم وأهليهم وحماية الكيان الإجتماعى كله من التحلل والتفكك، والشريعة الإسلامية تضمنت تأثيم هذه الجريمة ، وقررت لها عقوبة نص عليها القرآن الكريم ضمن الجرائم القليلة التى حرص القرآن على تحديدها لأهميتها وخطورتها وهو ما يعرف بجريمة رمى المحصنات.

اعتمد الخطاب الصحفى قبل وبعد الخطاب الرئاسى الرسمى على الخلفية الأخلاقية لرفض الصحافة الصفراء على أساس أنها تسيئ إلى سمعة مصر وتشوه صورتها فى الخارج، ولذلك تم التركيز على أنها صحافة الفضائح الأخلاقية بالمقام الأول التى تفتش عن الحياة الخاصة للمواطنين وخاصة المشاهير منهم، ولا تقدم هذه الصحافة إلا الدعارة والعهر بصورة لا تختلف عما يقوم به تجار المخدرات.

لكن الخطاب الرئاسى أضاف إلى سوءات هذه الصحافة أبعادا سياسية فهى تضر بالإقتصاد القومى حيث جعلت المستثمرين الخلايجة على وجه الخصوص يمتنعون عن إستثمار أموالهم فى مصر بعد الهجمة الشديدة التى تعرض لها رجال الأعمال المصريين، وهى تضر كذلك بالأمن القومى المصرى، فعندما تعرضت هذه الصحف لما يمكن أن يمس الأمن القومى فإنها جعلت الرئيس يتراجع عن زيارته للولايات المتحدة حيث أن ما

كتبته يمكن أن يعرض رئيس الدولة لحرج بالغ.

تعرض الخطاب الصحفى كذلك إلى القائمين بالإتصال فى هذه الصحف وكان من الأوصاف التى تم إسباغها عليهم أنهم : صيع وبلطجية وتجار أعراض ومثل تجار المخدرات.

وهى أوصاف تجعل من العاملين فى هذه الصحف مجرمين يستحقون العقاب على الجرائم التى يقومون بإرتكابها بدلا من التعامل معهم كصحفيين يجب أن ينالوا إحترام المجتمع، وأغلب الظن أن هذه الأوصاف التى حظى بها صحفيو هذه الصحف كانت إفرازا طبيعيا للمعالجات المهنية التى قدموها عبر صحفهم.

ولا يستبعد الباحث أن يكون تعميم هذه الأوصاف على العاملين فى هذه الصحف مقصودا ، وذلك للحط من كرامة العاملين فيها وتشويه صورتهم فى محاولة لتعبئة الرأى العام ضدهم وتأهيله نفسيا لتقبل أى إجراء إدارى ضدهم وضد صحفهم.

حرص الخطاب الصحفى كذلك على التفريق بين حرية الصحافة التى تطالب بها الجماعة الصحفية والحرية التى يسعى خلفها العاملون فى الصحف الصفراء، حيث أنها حرية يرغب هؤلاء فى إستغلالها أسوء إستغلال لتحقيق أغراضهم.

وقد يكون الهدف من هذا التفريق هو إثبات حسن النية تجاه المهنة والنهوض بها، ولذلك كان طبيعيا أن ينص هذا الخطاب على أن الهجوم على الصحافة الصفراء ليس الغرض منه النيل من حرية الصحافة ولا حصار المعارضة والأصوات المناهضة للحكومة، وذلك فى إطار رغبة حكومية فى إسكات الصحف.

ولا يستطيع الباحث أن يشكك فى نوايا أصحاب هذا الخطاب لأن دوافعهم كانت من أجل حماية المهنة من الدخلاء، لكن ما تم بعد ذلك لم يكن أصحاب هذا الخطاب لهم يد فيه، فقد تم حصار الصحف الجادة والتسامح مع الصحف التى كان لها سبق تقديم المعالجات المغضوب عليها، ولم يكن ما حدث بعيدا عن تفكير النظام فيما يتعلق بعلاقته

بالصحافة حيث يثير الغبار حول الصحافة مستغلا بعض الممارسات الشاذة فى أدائها ولا يعاقب إلا أصحاب التجارب الجادة.

وإذا كان الباحث يستبعد أن يكون الخطاب الصحفى مشاركا فى تنفيذ هذه الآلية فإنه على الأقل تم استخدامه فى التمهيد لها واستغلاله لمباركتها.

ثالثا: خطاب النقد بدوافع ذاتية

جاءت بعض الخطابات التى تناولت صحافة الإثارة من منطلق ذاتى ، والمقصود بذلك أن يكون الكاتب قد تعرض لهجوم من هذه الصحافة أو أن الصحافة ورطته بشكل ما فى أزمة بعرض أفكاره بطريقة مبتسرة أو مبتورة ، والمثال الواضح على ذلك ما حدث فى نوفمبر ٢٠٠٦ مع الدكتور حسن حنفى أستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، كانت مكتبة الإسكندرية قد نظمت ندوة عن الحرية الفكرية وكان حنفى أحد ضيوفها الرئيسيين.

لكن تناول الصحف[١] للندوة كان مفاجئا للمتحدث نفسه فقد وصفت ما قاله حنفى بأنه تطاول غير مسبوق على الذات الإلهية والسخرية من بعض آيات القرآن الكريم والسنة والأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى، بعد أن وصف أسماء المهيمن والمتكبر والجبار بأنها أسماء تدل على الديكتاتورية للذات الإلهية وأنه يجب حذف تلك الأسماء.

وأشارت الصحف إلى أن حنفى قال أن هناك تناقضا بين آيات القرآن الكريم وخاصة التي وردت عن الرسول الكريم، مشيرا إلى القرآن ذكر فيبعض آياته أن الرسول هو مذكر للعباد وليس مسيطرا عليهم وفي هذا تعبير عن الحرية، على حد تعبيره.

وقال أنه ليس هناك آية قرآنية واحدة تتحدث عن أن الرسول قد أمر أن يقاتل الناس حتى يشهدوا ويدخلوا الإسلام، معتبرا ذلك أقصى درجات العنف في الإسلام.

(١) جريدة المصرى اليوم، عدد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٦.

كما انتقد الحديث الشريف الذي قال فيه الرسول : «**خير القرون هو قرني ثم الذى يليه**»، قائلاً: ما ذنبي أنا حسن حنفى أن أعيش فى قرن من أسوأ القرون ولماذا لم أعش فى خير القرون.

بعد النشر حاولت صحف مختلفة أن تستطلع رأى حسن حنفى فيما قاله لكنه رفض التعليق ، وعندما وصل إليه محرر موقع العربية نت الإليكتروني قال له: أنا آسف لا اتكلم للصحافة أو القنوات الاعلامية، عليكم الاتصال بمكتبة الاسكندرية فهذا أمر بينها وبين الاعلام.

لكن الدكتور حسن حنفى لم يلتزم الصمت حيث إختار أن يقدم رؤيته لصحافة الإثارة وكتب مقالا عنوانه عن صحافة الإثارة[1].

ذهب حسن حنفى فى مقاله إلى أن الإعلام أحد العلوم الحديثة الناتجة عن علوم الاتصال ، ورث الروايات القديمة التى كانت الطريق لنشر الخبر، جيلا وراء جيل كما ورث طرق جمع المعلومات القديمة وتبادل الرسائل واقتفاء الأثر مثل الحمام الزاجل، والأحصنة وسماع وقعها على الأرض، واقتفاء الأثر مثل الرمال وتلتها الأجهزة السلكية واللاسلكية ثم الموجات الصوتية ثم الموجات الضوئية والأقمار الصناعية وكل وسائل الاتصال الحديثة التى أحدثت ثورة فى المعلومات.

فالمعلومات قوة ومن يمتلك معلومات أكثر ويعرف كيفية تحليلها يمتلك قوة أكثر والحرب هى أساسا حرب معلومات واستحدثت أجهزة الكمبيوتر لتخزين المعلومات وفهرستها وتحليلها، وسهولة استدعائها لضعف الذاكرة البشرية وسرعة تلف أرشيفات الحفظ وأنشأت كليات الإعلام وعلوم الإتصال لهذا الغرض تعلم الطلاب الخبر وتحليله والصحافة وتبويبها، والفرق بين الخبر والتعليق والتحليل والمقال.

وعرض الفلاسفة المعاصرون للأمر نظرا لما رأوه من خطورة الإعلام على نقل

---

(١) حسن حنفى، جريدة العربى ، العدد ١٠٣٤ فى ١٩ نوفمبر ٢٠٠٦، ص١٠.

الحقائق، وأثره على تكوين الرأى العام، وتحديد رؤى العالم، واختيار أنماط السلوك كما فعل هربرت ماركوز فى كتابه الشهير الإنسان ذو البعد الواحد« تحليل دور الإعلام فى المجتمعات الصناعية المتقدمة لتسويق المنتجات فى النظم الرأسمالية»، والتوحيد بين الخبر وطريقة إيصاله بحيث يوحى بتوجه معين، ويدفع إلى سلوك خاص لشراء البضائع لأنها الأفضل نوعا والأرخص ثمنا، كبيرة ولذيذة، لا يضارعها مثلها، فرصة العمر قبل أن يحين الأجل.

كانت هذه مقدمة ضرورية لأن حسن حنفى بنى عليها رؤيته فى الدور الذى تقوم به صحافة الإثارة، فهى فى البلاد المتخلفة تقوم بمثل هذا الدور عن طريق الإثارة والدفع إلى الحد الأقصى فى مجتمعات التطرف والتعصب واخدة، ويصل الأمر إلى الكذب ونقل أخبار مختلقة أو أقوال مبتسرة خارجة عن السياق بهدف الإثارة وليس بهدف التوعية عن طريق إيصال الخبر الصحيح.

وقد فرق القدماء بين الخبر الصحيح والخبر الكاذب ووضعوا شروطا لنقل كل منهما كما تنقل المعلومات الصماء دون تحليل لها حتى يؤدى الخبر دوره فى يقظة الوعى القومى والدعوة إلى التفكير والتساؤل.

وقد يتم توظيف الخبر دفاعا عن الأنظمة القائمة وليس نقدا لها كما هو الحال فيما يسمى بالصحافة القومية التى تمتلكها الدولة.

وفى هذه الحالة تتحول الصحافة إلى إعلانات حكومية بدلا من البيانات الثورية للصحافة السرية أو صحافة المعارضة، ويصل الأمر إلى حد عدم تصديق مثل هذه الصحف، وهبوط توزيعها، وتكرار مادتها مهما تعددت عناوينها، وتصبح مجرد ديكور للدولة الحديثة وأحد متطلباتها.

ويحدد حسن حنفى الهدف من صحافة الإثارة بأنه ليس نقل الخبر أو تحليله بل بيع الجريدة وزيادة توزيعها وانتشارها بدلا من ركودها وتفاقم الديون عليها.

ويكون الهدف أيضا ترقية الصحفى الشاب أو الصحفية المبتدئة لأنها هى التى أذاعت الخبر المثير، وترقية المسئول عن الصفحة أو القسم أو مدير التحرير إلى رئيس للتحرير لأنه هو الذى قرر نشر الخبر المثير، وخبط خبطة صحفية استرعت الانتباه، وأثارت الرأى العام، وأصبح حديث القاصي والداني، وربما استعمله النظام السياسى لأغراضه الخاصة ضد خصومه السياسيين، وأصبح من أعمدة النظام الإعلامي.

وتصبح الغاية من الإعلام ليس يقظة الوعى القومى بل تصفية خصوم النظام، والكشف عن الفضائح، وفتح الملفات السرية التى يبقيها النظام لديه لحين الوقت الذى يقرر فيه تصفية خصومه أو عملائه الذين أصبحوا عبئا عليه أو رفضوا الامتثال المطلق لأوامره وإذا ما أرادوا ترك السفينة قبل أن تغرق واللحاق ببر الأمان أو ركوب سفينة أخرى مازالت قادرة على عبور اليباب.

وقد يكون الهدف من الإثارة إشعال الفتنة، وكب الزيت على النار، وحرق البلاد بتدخل أيدى أجنبية تدفع إلى الحدة والتطرف للقضاء على وحدة البلاد، وإثارة حرب أهلية بين الطوائف والأعراق والأيديولوجيات السياسية.

ويشير حسن حنفى إلى أن صحافة الإثارة تعتمد فى معالجاتها على الثقافة الشعبية والمحافظة الدينية السائدة فى الرأى العام، واستقرار الأعراف التى تحولت إلى قيم ثابتة من طول قبولها والرضوخ لقيمها وطاعة أوامرها، كما تعتمد على الأفكار الشائعة والمعتقدات الموروثة والقوى السياسية المحافظة إذا ما برز رأى جديد أو عبر كاتب عن موقف بديل، فتحاصر كل رأى، وتجرم كل فكر، وتتملق الذوق العام، وتجعل نفسها حارسة القيم، والمدافع عن الإيمان ضد المنحرفين الملحدين المارقين المرتدين الخارجين عن النظام.

وتتعرض هذه الصحف للمسائل الإيمانية والمعتقدات الموروثة، وتدافع عما استقر منها عبر مئات السنين ضد أى اجتهاد جديد أو قراءة معاصرة، وتدخل فى أدق المسائل

العلمية والعقائدية لتعرضها على الرأى العام فى الصحف السيارة مع أن مكانها الطبيعى فى الجامعات ومراكز الأبحاث والمعاهد المتخصصة.

ودون أدنى حرج تتعرض هذه الصحف للمسائل العقائدية مثل الذات الإلهية، صفاتها وأفعالها وأسمائها، وكأنها قرب المنال، يعرفها الصحفى كما يعرفها النبى، وتتعرض لقضايا الوحى والتاريخ، والنص وحوامله فى الزمان والمكان، وتتهم المفكرين والباحثين بأنهم ينكرون الوحى والنبوة والمقدس، وما هو نازل من السماء يجعلونه صاعدا من الأرض، والناس فى لحظات ضعفها وهزيمتها وعجزها لا تجد قوة إلا فى الدفاع عن المقدسات التى تعطيها الأمل فى المستقبل، والتمسك بالثوابت دون المتغيرات.

ويصل حسن حنفى إلى بيت القصيد فصحف الإثارة بالنسبة له تترصد لهذا المفكر أو ذلك الباحث، لكلمة منه أو تشبيه عفوى تلقائى، وتلقى عليه الأضواء، تترك المعانى والمقاصد، وتتمسك بالألفاظ والحروف، ويقضى الباحث العمر فى البحث العلمى والتأليف الجاد الرصين، ولا يسمع عنه أحد شيئا، ولتشبيه عابر أو عبارة عفوية بقصد التقريب إلى الإفهام تتناقله أجهزة الإعلام، وتطير به وكالات الأنباء، ويصبح اسمه على كل لسان فى مشارق الأرض ومغاربها، ويعرف بما لم يقصده، ويجهل بما قصده، وتضيع سنوات العمر لصالح لحظة عابرة، ويضيع المقصود لصالح غير المقصود.

ومثل القضايا الدينية الإيمانية تثار الفضائح الجنسية للشخصيات العامة، ولرجال الكهنوت، والزواج العرفى، والأطفال الشرعيين وغير الشرعيين.

والجنس مثل الدين والسياسة محرمات ومقدسات فى الثقافة الشعبية، ويقرن بها أخبار الزواج والطلاق، والخلع والهجر، والحب والعشق لنجوم المجتمع من رجال السياسة والمال والسلطان، مع أخبار الفنانين والفنانات، المحجبات وغير المحجبات، الصادقات والطالبات منهن الشهرة والإعلانات لتسويق الأفلام القادمة.

ومعها تنشر مذكرات السياسيين الصامتين، وتذاع أسرار المجتمع بعد كشف الغطاء،

ويعلن عن تصريحات القادة المنسيين الذين يقلبون صفحات التاريخ، ويعيدون تركيب الحوادث من جديد بعد أن طواها النسيان.

وقد يكون الهدف من صحافة الإثارة كما يرى حسن حنفى هو الإنحراف بالرأى العام، وإبعاده عما يهم الناس وما سماه القدماء عموم البلوى، قضايا الاحتلال والتحرر، القهر والحرية، الفقر والعدالة الاجتماعية، التجزئة والوحدة، الإعتماد على المعونات الخارجية والتنمية المستقلة.

و قد يكون الهدف هو إبعاد الناس عن التفكير فى الدماء التى تسيل كل يوم فى فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير، وعن كوارث القطارات والعبارات ومياه الشرب المسمومة وأنفلونزا الطيور، والأمراض المستوطنة وتعذيب المواطنين فى السجون والمعتقلات وامتهان كرامتهم فى أقسام الشرطة، وقد تكون مهمتها هى تزييف الوعى القومى واغترابه، وإدخاله فيما لا نفع فيه، وترك الصالح العام.

ويصف حسن حنفى صحافة الإثارة بأنها غبار يعمى الرؤية، وعلى هذا النحو تضحى صحافة الإثارة بالوطن من أجل المهنة الزائفة، وتضرب بعرض الحائط الصالح العام من أجل الصالح الخاص للصحفى أو لجريدته.

تضرب المفكرين بعضهم ببعض وتجعلهم يكيلون السباب والشتائم لبعضهم البعض بلا حياء أو خلق، ويصل الأمر بفضل الإثارة إلى تبادل الاتهامات بالتكفير، وإطلاق الأحكام بالتخوين، ويتبارى فقهاء السلطان، ويتسابقون فى تكفير الخصوم السياسيين، والحكم عليهم بالقتل لأنهم مرتدون، وما أسهل أن يأتى متعصب لتنفيذ الحكم إذا ما تقاعست الدولة بعد فتوى أحد الفقهاء أنه يجوز لأى مسلم توقيع العقاب على مسلم آخر إذا ما صدر ضده حكم بالردة احتسابا لوجه الله.

صحافة الإثارة إذن وفى التصور الأخير لدى باحث متعمق مثل حسن حنفى هى البديل الأسوأ للعلم والتحليل الموضوعى للأحداث فى هدوء ودون انفعال، إيثارا

للإعتدال على التطرف، دون إثارة للفتن والنعرات الطائفية والعرقية، ومنع تدخل الأيادى الأجنبية لإشعال الحريق، وتفتيت الأوطان، وإحداث حروب أهلية بين فرقاء الوطن الواحد.

لا يمكن التعامل بتهاون مع رؤية باحث وفيلسوف مثل حسن حنفى تحت دعوى أن خطابه المناوئ لصحافة الإثارة كان قد تم دفعه إليه لأسباب موضوعية، ولذلك تغلب على الخطاب النبرة الإنفعالية والتلميح إلى ما حدث معه شخصيا من تحميل كلامه بكلام ودلالات ومعانى أخرى لم يقلها ولم يتفوه بها.

ولذلك كان طبيعيا أن لا يكون فى صحافة الإثارة لدى من يأخذ منها هذا الموقف إلا الشر المطلق والتجاوزات الكاملة والأهداف الضارة بوحدة الوطن وأمنه، ففى ثنايا هذه الخطاب إجمال للجوانب السلبية فى نمط المعالجة المثير ويمكن تلخيص هذه الجوانب من بين سطور الخطاب الغاضب كالتالى:

١- لا تهتم صحف الإثارة بنقل الخبر وتحليله بل يكون إهتمامها الأول بيع الجريدة وزيادة توزيعها وإنتشارها بدلا من ركودها وتفاقم الديون عليها.

٢- تستخدم السلطة صحافة الإثارة فى تحقيق أهدافها ضد خصومها السياسيين وتصفيتهم معنويا بتسريب ملفات فضحائهم السرية التى يجمعها النظام بدأب وحرص.

٣- تعمل صحافة الإثارة على إشعال الفتنة وإثارة الحرب الأهلية بين الطوائف والأعراق والأيديولوجيات السياسية

٤- إثارة الفضائح الجنسية للشخصيات العامة وولرجال الدين ولرجال الكهنوت

٥- تضرب صحافة الإثارة عرض الحائط بالصالح العام من أجل الصالح الخاص للصحفى أو الجريدة.

٦- تنحرف بالرأى العام عن القضايا المهمة والحيوية وتبعده عن مشكلاته الرئيسية بما يجعل مهمتها الأساسية تزييف الوعى القومى.

رأى حسن حنفى نصف الكوب الفارغ من صحافة الإثارة، فرغم أن الباحث يقره على كثير مما ذهب إليه فى توصيفه لصحافة الإثارة لكن أسلوب التعميم الذى استخدمه حسن حنفى فى خطابه هو الذى يجعل الباحث يتحفظ على كثير مما جاء فى هذا الخطاب، ويضع الخطاب الذاتى الذى تعرض لنقد الظاهرة فى سياق الإنفعال النفسى الذى يلقى بظلاله على تفسير وتحليل الظاهرة.

رابعا: خطاب نقد الفساد المهنى

فى مساحة معينة من خطابات نقد صحافة الإثارة يتم النظر إليها على أنها نوع من الفساد المهنى الذى يضرب فى أوصال الصحافة، وفى هذا الإطار يمكن للباحث أن يشير إلى وجهات نظر مختلفة فى هذا الإطار منها:

كتب أحمد بهاء الدين عن جريمة الإعلان الكاذب[1] معلقا على تحقيق نشرته جريدة أخبار اليوم بعنوان: جريمة إسمها الإعلان الكاذب، وتساءلت فيه عن موقف القانون أمام البيانات الكاذبة، على إعتبار أنها قضية لفتت نظر الكثيرين ممن يهولهم هذا الكم من الإعلانات المتدفقة من الصحافة والتليفزيون.

ويعيب بهاء الدين على الذين تحدثوا فى هذه القضية لأنهم ليسوا من أهل الصحافة ولذلك فإنهم أخطأوا الحقيقة، فالقاعدة المقررة فى العالم كله: أن التحرير مسئولية الجريدة أما الإعلان فمسئولية المعلن، فالجريدة لا يمكن أن يطلب منها التحقق قبل النشر من صحة إعلان قد يكون قاتلا، أو شركة قد تكون وهمية، والصحف تنشر إعلانات عن آلاف السلع، فالمسئولية هنا لا تقع على عاتق الجريدة، ولكن أى متضرر من إعلان كاذب يستطيع أن يتجه إلى القضاء مباشرة، ليقاضى المعلن لا الجريدة.

لكن الإعلان الكاذب لم يكن هو الأساس الذى لفت إنتباه بهاء فقد دخل إلى مساحة جديدة وهى الإعلان المستتر فى شكل مادة تحريرية.

(١) أحمد بهاء الدين، يوميات هذا الزمان (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩١)، ص ١٧٩ -١٨٣.

يقول بهاء الدين عنه: هذا الإعلان تمنعه قوانين الصحافة فى الخارج وآداب الصحافة فى كل مكان، وهو مصدر الغش أحيانا والإبتزاز أحيانا، والإعلان المستتر فى شكل مادة تحريرية يقرأه القارئ ويتلقى معلوماته منسوبة إلى الجريدة لا المعلن، وهذا هو التضليل المحرم، والكثير من هذا ينشر فى شكل خبر أو تحقيق، أو أحاديث صحفية، فالقارئ أمام الإعلان متحصن بمعرفته أن هذا إعلان، ما فيه ينسب إلى المعلن الذى يروج بضاعته، ولكن القارئ لا يكون محصنا حين يقرأ هذه المعلومات نفسها فى شكل ماة تحريرية.

ويضرب أحمد بهاء الدين عدة أمثلة على ما يذهب إليه:

- أيام الحملة على إبراهيم الإبراهيمى الرئيس المستقيل لمجلس إدارة البنك العربى الإفريقى، فالمتهم رد أحيانا بإعلانات صريحة، وهذا من حقه، ومن واجب الجريدة نشره لأنه إعلان وأصبح منسوبا إلى صاحبه، ورد أحيانا أخرى بموضوعات وأحاديث نشرت فى الصحف وأذيعت فى التليفزيون، دون أى إشارة إلى أنها إعلان مدفوع للجريدة أو مجاملة لشخص ما، إذ تلقاها القارئ على أنها تعبر عن رأى محرر فى جريدة، أو صاحب برنامج فى التليفزيون، وامتد هذا إلى إعلانات مستترة ذات صيغة سياسية.

- عندما سقطت فرنسا تحت أقدام ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية، واستسلمت بعد ثلاثة أسابيع، ظهر أن كل الصحف الفرنسية كانت تنشر قبل الحرب إعلانات مدفوعة لحساب ألمانيا بطريقة لا تظهر بها كإعلان بل كتحرير عادى، فلما إنهزمت ألمانيا وتولى ديجول رئاسة أول حكومة فرنسية بعد الحرب تم إلغاء رخص كل الصحف المذكورة، وصدرت صحف جديدة تماما هى المعروفة الآن فى فرنسا مثل اللموند والفيجارو.

وصدر قانون فى فرنسا يعاقب على نشر مادة إعلانية فى صورة مادة صحفية، وهذا القانون ليس موجودا فى كل بلاد العالم، ولكن العرف الصحفى لا يختلف بشأنها: فالمادة الإعلانية أى المدفوع أجرها من صاحب الإعلان، يجب أن يكون واضحا من طريقة

نشرها أنها إعلان، ولا يجوز التحايل على نشرها فى شكل مادة تحريرية.

ويقارن بهاء الدين بين وضع الإعلانات والتحرير فى مصر قبل تنظيم الصحافة وبعده، ويصدر مقارنته بأنه كان الظن بأن تأميم الصحافة سوف يبعد الصحف نهائيا عن أى شبهة من سطوة الإعلانات، ولكن هذا لم يكن الحال دائما، وعلى سبيل المثال جاء وقت كان القطاع العام هو المعلن الأساسى فى الصحف والمجلات، وانزلق البعض إلى مجاملة إعلانات القطاع العام على حساب حرية التحرير.

ويروى بهاء الدين:

أذكر أننى زرت السد العالى أثناء العمل فيه وعدت وكتبت مقالا شاملا ملأ صفحة كاملة فى الجريدة التى كنت فيها، وبعد شهور اتصل بى تليفونيا المهندس صدقى سليمان المشرف على بناء السد، وقال لى: إنه كان يراجع عقد الجريدة الإعلانى مع السد العالى، فوجد من المساحات المقدمة له المقال الذى كتبته وقال أنه أراد أن يبلغنى بذلك لإعتقاده أننى لا أعرف.

والمفارقة التى رصدها بهاء الدين أن القطاع العام أصبح لا يستطيع أن يعبر عن إنجازاته مهما كبرت، إلا بإعلانات مدفوعة فى الصحف التى تملكها الدولة، فصارت تلك العلاقة غير الصحية ضد مصلحة الطرفين، والقاعدة أن الصحيفة إذا نجحت فى تنويع مصادر إعلاناتها، فإنها تصبح أقوى من ضغط أى معلن محدد، أما إذا أقامت الصحيفة أحد نشاطاتها مستندة إلى معلن، أو مجموعة واحدة من المعلنين فإنها تفقد إستقلالها فورا.

وقد لا يكون للنقد الذى وجهه أحمد بهاء الدين لعلاقة التحرير بالإعلان علاقة وثيقة بصحافة الإثارة، فقد قصد إلى إشكالية تكاد تكون أزلية فى الصحافة المصرية والعالمية أيضا، لكن من بين ما قاله يمكن أن نتعامل معه على أنه كان مثل النبوءة لما ستصل إليه سيطرة الإعلانات على التحرير، وللعواقب التى ستقف وراءها هذه السيطرة، فالإثارة

ليست فقط فى المبالغة فى مدح المعلن، ولكن يمكن أن تكون بإخفاء معلومات أو حقائق عنه وعن نشاطه الإقتصادى الذى يكون فى الغالب غير قانونى، وفى الحالتين خداع كامل للقارئ.

وللتدليل على ذلك فإن الباحث يسوق مثالا واحدا رصده تقرير أخلاقيات الإعلان فى الصحافة المصرية[1]، حيث أشار إلى أنه من الظواهر المميزة للممارسة الإعلانية فى الصحافة المصرية خلال عامى ٢٠٠٠، ٢٠٠١ نشر الإعلانات التحريرية الإنتخابية، ففى الفترة من يونيو إلى نوفمبر ٢٠٠٠ نشرت الصحف المصرية بقطاعاتها المختلفة عددا أكبر من الإعلانات التحريرية غير المميزة التى تتصل بإنتخابات مجلس الشعب، كما نشرت الصحف المصرية خلال عام ٢٠٠١ إعلانات تحريرية غير مميزة عن إنتخابات مجلس الشورى وإعلانات مماثلة عن إنتخابات النقابات المهنية.

ومن هذه النقطة تحديدا يمكن للباحث أن يربط بين الإعلان وبين صحافة الإثارة، فهذه الإعلانات التى اطلق عليها بهاء الدين «المستترة»، واطلق عليها تقرير المجلس الأعلى للصحافة «غير المميزة» فى نهاية الامر تكون تعبيرا عن صراع سياسى بين متنافسين، والشاهد أن هذه الإعلانات لا تقدم كفاءة المرشح الذى يدفع فقط، ولكنها تركز على عيوب المرشحين المنافسين، وهى منافسة فى الغالب لا تكون شريفة حيث تستخدم فيها كل الأسلحة من التشهير والإساءة والمستندات المضروبة والشائعات، وكلها أدوات تستخدمها وتجيدها صحافة الإثارة.

إفساد الصحافة لم يكن عن طريق الإعلانات فقط، فمن وجهة نظر سلامة أحمد سلامة[2]: أن ظاهرة إفساد الصحافة بدأت تستشرى فى مرحلة التسعينات، بعد أن بدأت

(١) المجلس الأعلى للصحافة، أخلاقيات الإعلان فى الصحافة المصرية، ٢٠٠٣، ص ٣٣.

(٢) سلامة احمد سلامة، حوار مع كريمة كمال، نشر ضمن كتاب: فساد الكبار (القاهرة، سوزانا للنشر، ١٩٩٦) ص ٩٨.

الدولة ترفع يدها عن سد العجز فى ميزانيات الصحف، فأصبحت الصحف القومية مطالبة بأن تعتمد على نفسها فى كل شئ، ويحدث أحيانا أن تلجأ الصحف القومية للدولة من أجل إصلاح هياكلها المالية، لكن هذه الصحف تعانى موقفا غريبا فلا هى ملكية خاصة ولا هى ملكية عامة، وهو موقف خطر وبسببه تشجع إدارات الصحف القومية الإتجاه إلى زيادة الدخل بأية طريقة ممكنة حتى على حساب القيم الخاصة بالعمل الصحفى.

فطبقا لكل مواثيق المهنة المطبقة فى مصر وفى كل بلاد العالم - كما يقول سلامة - يوجد فصل تام بين الإعلان والتحرير، ولا يسمح لمن يعمل صحفيا أن يعمل فى مجال الإعلان، ومن يثبت عليه هذا يستبعد من المهنة، وهذا يحدث فى كل بلاد العالم.

لماذا؟

لأنه فى اللحظة التى يقبل فيها الصحفى أن يكون أداة من ادوات الإعلان يفقد قدرته على الموضوعية ويفقد رؤيته كصحفى مهمته نشر الحقيقة وتوصيلها للجمهور، وكذلك يفقد قدرته على النقد، لأن الصحافة مهمة لها شقان، فمن ناحية عليها توصيل الحقائق للقارئ، ومن ناحية أخرى هى أداة نقد ورقابة على أجهزة الدولة والأجهزة المعنية أو المؤسسات العامة.

والأخطر من ذلك كما يرى سلامة أحمد سلامة أن كثيرا من الوزارات والأجهزة والمؤسسات الحكومية رغبة منها فى القضاء على الهامش الضيق لحرية الصحافة تقوم بشراء صفحات كاملة فى الصحف هى التى تحررها وهى التى تنشر ما تشاء فيها.

ففى الصحف القومية صفحات كاملة تحرر لحساب وزارة الزراعة ووزارة البترول ووزارة الكهرباء والبنوك، وبدلا من أن يحصل القارئ على معلومة عن الإقتصاد أو الزراعة، لا يجد سوى ما تقوله الحكومة وكلها أخبار موجهة، والمحرر لا يراجع ولا يتأكد من حقيقة هذه الأخبار ولا ينقدها، هو فقط يقوم بنشرها لحساب سياسات معينة.

إن هذه الصيغة فى النشر الموجه من شأنها أن تستر الفساد فى المجتمع، فإذا ما كان جهاز ما فاسدا فإن أفضل شئ ألا يكشفه أحد، ولذلك يرسل المعلومات وينشرها كإعلان ويشترى المندوبين ولا يترك مجالا للسؤال أو المناقشة، وهذا يساعد على نمو الفساد الداخلى فى مثل هذه الأجهزة.

يضيف صلاح الدين حافظ[1] إلى رؤية سلامة أحمد سلامة، أن الصفحات الإعلانية المتخصصة لم تقتصر على الصحف القومية فقط، فصحف المعارضة أيضا تقوم بنشر موضوعات تبدو للقارئ العادى وليس للصحفى المحترف، كما لو كانت رأيا مثلا أو تحقيقا صحفيا أو خبرا عاديا، والواقع أنه إعلان، ويصف حافظ أن ما يحدث فى هذا السياق بأنه خديعة، حيث تمتد يد الزيف لتلون الإعلان وتزيف الحقيقة وتضعه فى صورة مادة إعلامية، وهذه تحديدا يمكن أن تكون نقطة النهاية فى مصداقية الصحافة المصرية.

*** ويحدد صلاح الدين حافظ أربعة محاور يتم من خلالها إفساد الصحافة وهى على النحو التالى:**

- صورة الصحافة ورسالتها الحقيقية حيث تصبح الصورة العامة عنها الخداع والتضليل بين الإعلام والإعلان.

- المعلن سواء كان جهة أو فردا، فلو كان وزارة أو وزيرا يتصور أنه إستطاع أن يشترى هذه الجريدة لأنه يمن عليها بهذا القدر من المال الذى يذهب إليها فى صورة الصفحة المخصصة لهذه الوزراة، فيبدأ فى ممارسة شروطه.

- الصحفى حيث يتحول فى هذه المرحلة من محرر إلى مندوب إعلانات، وبدلا من أن يقال فلان مندوب الجريدة فى وزارة كذا يقال مندوب وزارة كذا فى الجريدة، أى أن الآية عكست تماما ولولا الإغراءات الشديدة ما حدث هذا.

- القارئ حيث تقول الصحافة له ببساطة : نحن نخدعك...نحن نضللك ، فيبدأ

---

(١) صلاح الدين حافظ، حوار مع كريمة كمال، مرجع سابق، ص ١٠١.

هذا القارئ عندما يكتشف الحقيقة فى أن يفقد ثقته، ليس فى الصحافة فقط ومصداقيتها، ولكن فى كل التركيبة أو العملية الإجتماعية كلها من المعلن وخاصة إذا كان وزارة أو حكومة، إلى الصحافة، إلى أجهزة الإعلام، إلى الصحفيين، إلى الكتاب، إلى الوزراء، إلى المسئولين، إلى السياسيين، هذه التركيبة الإجتماعية كلها تفقد مصداقيتها.

وإذا كان سلامة أحمد سلامة وصلاح الدين حافظ قدما رؤية نقدية واضحة للخداع بالإعلان، فإن مكرم محمد أحمد[1] يخفف وطأة هذه الظاهرة بعض الشئ يقول:

هناك خلط حدث بالفعل بين الإعلان والتحقيق الصحفى، لكننا لا نستطيع أن نقول أنه مرض تعانى منه الصحافة المصرية، لكنه ظاهرة موجودة فى عدد من الصحف والمجلات، وهذا الخلط يقع فيه القارئ حسن النية فلا يستطيع أن يميز بين ما هو تحرير وما هو إعلان، وبالتالى يقبل حقائق ربما تكون من قبيل الدعاية، بينما أنا كمحرر لا أكتب إلا ما يثبت لى صحته وصدقه، وأنا لا أتهم الإعلان بعدم الواقعية، لكن الإعلان يشوبه قدر من التغريب ومحاولة إستلاب إرادة القارئ وجذبه بأية وسيلة.

ويفرق مكرم محمد أحمد بين الإعلان التحريرى والإعلان التسجيلى، ويشير إلى أنه لابد أن تكون التفرقة بين الإعلان والتحرير واضحة، بحيث يكتب على الإعلان«موضوع تسجيلى»، ويقول مكرم: علينا أن نتخلص تدريجيا من الموضوع التسجيلى الذى ما زال يشكل جزءا كبيرا جدا من دخل الإعلانات وخاصة فى مصر والعالم النامى، بينما الموضوع التسجيلى قد انتهى تماما فى الصحافة إلا من خلال إشهار موقف ما، أما تقديم وقائع معينة فى شكل تحقيق صحفى بينما هى إعلان فأعتقد أنه قد آن الأوان للصحافة المصرية فى أن تفكر فى التخلص منها، وأن يقدم الإعلان على أنه إعلان عن سلعة، ربما يحدث أن تتعثر بعض المشروعات وتواجه بعض العقبات فتحاول أن تسعى لإثارتها على نحو تحريرى، بينما يشعر الجرنال أنه إذا دافع عنها فإنه يضع نفسه فى موضع الشبهات فيؤثر أن

(١) مكرم محمد أحمد، حوار مع كريمة كمال، مرجع سابق، ص ١١٢.

تنشر فى شكل إعلان وبالطبع الإعلان يقلل من مصداقية الإبلاغ.

ولا تنقص مكرم محمد أحمد المبررات التى تجعله يدافع ولو من طرف خفى عن الحاجة إلى الإعلان بصوره المختلفة وهذه المبررات يمكن أن تبدو على النحو التالى:

الإعلان مهم لأنه يعنى زيادة فى الموارد، وإذا صدرت جريدة خالية من الإعلان فإن تكلفتها قد تصل إلى سبعة جنيهات، ولذلك فالمؤسسات تعوض هذا الفارق من هذه المصادر الثلاثة للتمويل وهى التوزيع والإعلان والطباعة للغير، وبدونها تصبح الصحافة المصرية فى مأزق.

لكن تظل هناك إشكاية وهى أن الإعلان وسطوته وحاجة الصحيفة إليه يمكن أن يقود إلى الإبتزاز، وهو ما يعتبره مكرم محمد أحمد دائرة مختلفة عن العمل الصحفى ، وفى هذا الإطار يجب الفصل بين ما هو أخلاقى وما هو غير أخلاقى وما هو ضرورة مهنية وما هو غير ذلك.

هذه الآلية تحديدا وهى الإبتزاز هى التى جعلت الباحث يهتم برصد إفساد الصحف من خلال الإعلانات، فالإبتزاز يكاد يكون العلامة المميزة للصحافة الصفراء، لأن الإبتزاز يجر وراءه معالجات تقوم على تقديم مادة الفضائح وخاصة الجنسية منها، ويتعرض للحياة الخاصة، وكأنه بذلك يمثل السد الذى تقف من وراءه كل المعالجات المهنية المثيرة والتى يكون الهدف منها إجبار جهة ما على الإعلان.

الإفساد بالإعلان يفتح مساحة الإفساد على مصراعيها أمام الباحث، وهناك أشكال عديدة لذلك رصدها نجاد البرعى فى إطار نظرة خاطفة على ظاهرة الفساد داخل الصحف(١):

- عندما يورط أحد مراسلى مؤسسة صحفية جريدته فى صفقة مشبوهة باسم جلب الإعلانات وتفتح الدولة أمام صاحب تلك الصفقة المشبوهة الأبواب تحت الضغط

(١) نجاد البرعى، الإنكشارية والترحيلة، مقال منشور على موقع المجموعة المتحدة الإلكترونى.

الصحفى الصاخب والدعاية المزيفة والمبالغ فيها، ثم يقع الخلاف المصلحى أو المالى فإذا بكل هذا الوهم ينهار بسرعة البرق وينكشف الغطاء عن روائح الفساد.

- وعندما يمارس صحفى بلطجة التهديد ضد زملائه بأنه على علاقة بهذا المسئول أو ذاك ويحترف كتابة التقارير ضدهم إيقاعا بهم ثم ينس فوق مكتبه مسودة أحد التقارير وبها أسماء اللذين أوقع بهم كذبا.

- وعندما تجند دول خارجية عملائها فى الصحافة الوطنية وتدفع لهم المرتبات والمكافأت ثم تقوم تلك الدولة نفسها بكشف أسماء هؤلاء الصحفيين علنا، لدرجة أن رئيس الدولة فى أحد المناسبات الثقافية الهامة رد على أحد الصحفيين الشبان الصاعدين حين سأله عن مدى إمكانية التخوف من سيطرة رأس المال على الحكم، فرد عليه بقول: اقعد احنا عارفين فلوسكم بتيجى منين، فإبتلعها وصمت.

- وعندما يشغل كاتب مرموق المساحة التى افردتها له صحيفته اليومية فيكتب ٢٥ يوما من ثلاثين يوما عن دولة واحدة أو حاكم بعينه منافقا ومادحا.

يخلص نجاد الرعى من كل ذلك إلى أن المشكلة أكبر من القول بأن هناك صحافة صفراء تعتمد على العنف والجنس والدين، إلى القول بأن هناك صحف أصبحت تخلق شبكات من الفساد والمفسدين وتمارس صنوفا من الإبتزاز والضغط، وعبر هذه الممارسات تتحقق المكاسب الضخمة، وهناك من يرى أن هذه الشبكات لا تخلقها فقط الدكاكين الصحفية الصغيرة، ولكنها إمتداد طبيعى للفساد المنبعث مما يمكن أن يسمى صحافة السوبر ماركت الكبيرة والتى تدار تحت غطاءات حكومية او حزبية، وهى تحديدا التى شجعت بعض صغار الصحفيين على الإنفصال كلا بمشروعه الخاص، بعدما رأوا أنهم اداة وطعم أو أداة يلقى بها فى الماء لإصطياد الأسماك فقرر كل منهم أن يصيد لحسابه الخاص حتى لو كانت الغنيمة أقل.

والمفارقة التى يرصدها نجاد البرعى أنه إذا كان الفساد يبدو واضحا فى الصحف

الصغيرة وأقل وضوحا فى المؤسسات القومية والحزبية الكبيرة، فذلك ليس لأن المؤسسات الكبيرة ليست فاسدة بما يكفى، ولكن لأنها تملك آليات أكثرة دقة وكفاءة للتعتيم على الفساد بداخلها، ولأن الدخول فى معارك معها لكشف فسادها إنما يكون أكثر كلفة من الدخول فى معارك مع صحف موسمية وصغيرة، كما أن القول بأن هناك فساد فى هذه الصحيفة الصغيرة أو تلك يجعل من السهل على هواة دفن الرؤوس فى الرمال الحديث عن وقائع فردية وليس ظاهرة عامة.

وعليه فالصحف الصفراء من هذه الناحية هى تلك الصحف التى يسيطر فيها الإعلان على التحرير، وتسعى إلى التشهير بقصد الإبتزاز، وتحمل خطابا إعلاميا يحض على الكراهية ولا تلتزم بالحد الأدنى من آداب مهنة الصحافة ومن أهمها احترام الحق فى الخصوصية والخلط المتعمد بين الرأى والخبر ونشر معلومات غير صحيحة عمدا وعدم إحترام حق الرد.

لقد كشف هذا الخطاب الذى يرصد عملية إفساد الصحافة أن الإثارة الصحفية يمكن أن تكون ترجمة فى النهاية لحالة من الزلل المهنى، وليست توجها مهنيا لزيادة التوزيع فقط، فإلاعلان حتى تحصل عليه الصحيفة يتم إما بزيادة التوزيع، والإثارة الصحفية صيغة مضمونة للتوزيع المرتفع، أو عن طريق الإبتزاز ولا يتم ذلك إلا بعد أن تعمل الإثارة ضد أصحاب المال من المعلنين عملها فيأتون إلى الجريدة وهو راكعون.

ويستطيع الباحث من خلال تعرضه للخطابات الرافضة لصحافة الإثارة أن يحدد الأوصاف العامة التى أطلقت على هذا النمط من الصحافة مع تحديد مدلولاتها من خلال السياقات العامة التى أطلقت فيها وهذه الأوصاف ودلالتها تأتى كالتالى[1]:

(١) لم يعتمد الباحث فى صياغة هذه التعريفات على دراسات سابقة أو إجتهادات باحثين أو كتاب سابقين، حيث لم يحاول أحد من قبله رصد هذه المسميات، ولكن الباحث حاول أن يقدم تعريفات دالة على كل مصطلح لغويا ومهنيا.

- **الصحف القبرصية:** وتطلق عامة على الصحف التى تصدر بتراخيص من الخارج، ورغم أن هناك صحف من بينها تحصل على تراخيص الصدور من لندن وأمريكا واليونان، إلا أن صفة القبرصية إلتصقت أكثر بهذه الصحف لأن عدد التراخيص القبرصية كان هو الأكبر، لأن معظم هذه الصحف كانت تطبع فى قبرص، وقد أصبح الأسم مرادفا للصحف التى تنشر الجنس والفضائح وأخبار النميمة ، ولا يعمل فيها صحفيون محترفون، بل يقوم بإنتاجها أشخاص لا علاقة لهم بالعمل الصحفى اللهم بإعتباره مصدرا مناسبا للرزق.

- **الدكاكين الصحفية:** وهى صفة تمت صياغتها لتناسب الدور الذى تقوم به الصحف القبرصية، حيث أنها بل رسالة ولا مضمون ولكنها فقط مثل الدكان الصغير الذى يفتتحه صاحبه ليبيع من خلاله البضاعة التى يريدها الجمهور ليحقق من خلالها المكسب الذى لا يكون له أى هدف غيره.

- **صحافة البوتيكات:** وهى صفة لا تبتعد كثيرا عن وصف الصحف بالدكاكين، وإن كان التوصيف يحمل شئيا من الرقى يتعلق بإختلاف الجمهور، فالجمهور الذى يتردد على البوتيك يختلف نوعيا عن الجمهور الذى يتردد على الدكان، وإن كان يجوز للباحث أن يطلق عليه فى الحالتين الزبائن، وقد ارتبطت ثقافة البوتيكات فى مصر بفترة السبعينات وما تم فيها من إنفتاح حيث أصبح كل شئ مباح ومستباح فى الوقت نفسه.

- **صحافة بير السلم:** وهذا الوصف ينصرف فى الذهن الشعبى إلى المنتجات المغشوشة أو التى يتم إنتاجها بدون ترخيص ويشوب إنتاجها مخالفات من نوع ما، حيث يطلق على هذه المنتجات منتجات بير السلم لأنها تنتج فى الخفاء وبعيدا عن العيون وكذلك هذه الصحف التى تنتج فى الخفاء لأنها تحمل فى النهاية مخالفات قانونية وأخلاقية من نوع ما.

- **صحافة تحت الطلب:** وهو معنى آخر استقر فى الذهنية الشعبية العامة على الشخص أو المؤسسة التى تقدم ما يطلب منها بمقابل يتم تحديده مسبقا، وتطلق تحديدا على

سيارات دفن الموتى، وهى السيارات التى تكون مخصصة لنقل الموتى من مكان إلى مكان مقابل أجر تحصل عليه مقدما، وكأن هذه الصحف يتم استئجارها لمدة معينة لتقوم بدور معين مقابل أجر معين يدفع فى الغالب مقدما أيضا وتنتهى مهمتها بعد ذلك.

- الجرائد المشبوهة: وهى تسمية تناسب وجهة نظر الناقدين لهذه الصحافة حيث أنها تقوم بأدوار غير قانونية أو أخلاقية فى المجتمع الذى تعمل فيه، وهو ما يضعها فى دائرة الشبهات وإرتكاب التجاوزات والمخالفات، حيث أن ما تقوم به ليس واضحا ولا صريحا بل يكتنفه الغموض، بحيث لا يكون واضحا الهدف الذى تعمل من أجله هذه الصحف.

- الصحافة السوقية: وهو اسم يدل على أن الرافضين لهذا النمط من الصحافة يتعاملون معه على أنه نمط مبتذل، فالسوقية تنحى إلى الخروج على الآداب العامة والتقاليد والعادات التى يتفق عليها المجتمع، والشخص السوقى هو الشخص الذى لا يلتزم بخلق ولا يحافظ على أى قيمة، ويتصرف فى الغالب بطريقة عشوائية، وعندما ينصرف هذا المعنى للصحافة فإنه يعنى أنها صحافة متجاوزة تعمل بشكل عشوائى ولا تراعى أو تحمى مجموعة القيم التى يعمل من خلالها المجتمع الذى تصدر فيه.

- صحافة الإبتزاز: وهو توصيف ينصرف إلى أداء هذه الصحافة حيث يقوم القائمون عليها بإبتزاز أصحاب المصالح ورجال الأعمال من خلال المستندات والوثائق التى قد تكون الجريدة قد حصلت عليها بطريقة أو بأخرى، وذلك لتحقيق كسب مادى سريع وهو ما يعنى أن ما تردده بعض هذه الصحف عن محاربتها للفساد ليس حقيقيا ولا أمرا واقعيا، حيث أنها بمجرد أن تنجح فى عملية الإبتزاز فإنها تتراجع مباشرة عن عملية النشر لصالح من يدفع.

- صحافة الشائعات: وهو توصيف أيضا لجزء من أداء هذه الصحف ولا يعنى أنها لا تتوخى عناصر الدقة أو الموضوعية فى نشر الأخبار والتقارير والقصص الإخبارية، أو أنها

تنشرها دون أن تستوثق منها، أو أن أخبارها ناقصة فقط، ولكنها تعمد عن قصدية تامة إلى نشر أخبار مفبركة وقصص إخبارية ملفقة وذلك من أجل أن تنصر جهة على جهة أخرى، أو تتبنى وجهة نظر رجل أعمال ضد رجل أعمال آخر، ورغم أنه لا توجد جريدة فى مصر بل فى العالم كله تستطيع أن تعيش على الشائعات فقط ، إلا أن الصورة العامة التى أصبحت تؤخذ عن هذه الصحف أنها تصنع الشائعات وتنفخ فيها وتروج لها.

- **صحافة الساقطات**: وهى تسمية تنصرف إلى الصحف التى تهتم بنشر أخبار شبكات الدعارة وتبرز الصور العارية على صفحاتها الأولى حتى لو لم تكن لهذه الصور علاقة بالمضمون الذى تقدمه هذه الصحف على صفحاتها الداخلية، وتهتم هذه الصحف بقصص حياة الراقصات وأخبارهن بما يعكس رغبة لديها بأنها تريد أن تزيد من توزيعها بأخبار النميمة وأسرار الحياة الخاصة لفئة تعرف جيدا أنها تثير إهتمام فئات عديدة من القراء.

- **صحافة الشتائم**: وهو اسم أطلق على صحف بعينها لأنها تقوم بالأساس على المعارك الكلامية بين الصحفيين، ورغم أنه لا غبار على المعارك الصحفية التى تدور حول الأفكار والمشكلات والقضايا الكبرى التى تهم الرأى العام ، إلا أن معارك هذا النمط من الصحف تتسم بأنها قائمة على الشتائم الشخصية التى تدخل تحت مظلة السب والقذف، ويمكن تفسير اعتماد هذه الصحف على الشتائم بالمقام الأول لافتقادها المعلومات والأخبار الدقيقة والحجة والمنطق فى الدفاع عن قضاياها ولذلك تلجأ إلى الصوت العالى والصراخ والشتائم التى يكون دويها أعلى وأقوى فى الغالب من صوت العقل.

- **الصحافة السوداء**: والمقصود بها تلك الصحف التى تتبنى فى معالجاتها نظرة تشاؤمية للأمور وترى أن كل ما يدور فى مصر ليس إلا فساد واستغلال نفوذ، وهى بهذا تشيع حالة من الخوف والرعب من المستقبل بما يصادر على رؤية الأجيال الجديدة فيما يمكن أن تقوم بها من أجل نفسها ومن أجل وطنها، ورغم أن صحافة التشاؤم تحمل

الكثير من السلبيات، إلا أن هذا الإسم الذى تحمله مسئولة عنه الصحف الحكومية التى ترعى نصف الكوب الممتلئ والتى ترى فى كل ما تفعله الحكومة إنجاز حتى لو كان غير ذلك.

- **صحافة رجال الأعمال**: وأطلقت هذه التسمية على بعض الصحف التى تخضع لسيطرة رجال الأعمال، ومن خلال هذه السيطرة يستطيع رجل الأعمال أن يوجه الصحيفة التى يريدها، حيث أن السياسة التحريرية لهذه الصحف تكون خاضعة تماما لأجندة رجال الأعمال التى تحددها مصالحهم وعلاقاتهم المالية، ولما كانت مصالح رجال الأعمال متعارضة ومتضاربة فإن الصحف تصبح متعارضة ومتناقضة و تدخل فيما بينها فى معارك تصفية حسابات لصالح رجال الأعمال، وفى هذه المعارك ترتكب تجاوزات مهنية عديدة ويتم إختراق ميثاق الشرف الصحفى، فالقيمة فى هذه الصحف ليست للتقاليد المهنية ولكنها لمصلحة من يمول أو يملك من فئة رجال الأعمال.

- **صحافة الشيكات**: وهو اسم ليس بعيدا عن صحافة رجال الأعمال والدلالة واضحة وهى صحف تعمل لصالح من يدفع حتى لو كان ما يريده صاحب الشيكات مخالف للأعراف الصحفية، وتستخدم الشيكات فى هذا النمط من الصحف بعيدا عن مساحة الإعلانات الصريحة والواضحة والمدفوعة، فالشيكات فى الغالب تدفع للصفقات التى يمكن أن نطلق عليها صفقات« تحت الترابيزة»، وهى صفقات تتم فى الخفاء بين صحفى ورجل أعمال دون الإعلان عن تفاصيلها ويمكن أن تظل هذه الصفقة طى الكتمان حتى يختلف أطراف الصفقة فيظهر ما خفى أو ما تعمدا إخفاءه عن الجميع.

- **صحافة الحواوشى**: وهو تعبير صكه الكاتب الصحفى صلاح عيسى فى نهايات التسعينات، على إثر موقف تعرض له هو شخصيا[1] يقول عنه: أنه أجرى حوارا مع صحفى فى إحدى الصحف التى تصدر بترخيص من الخارج، وسأله الصحفى عن

(١) صلاح عيسى، مقابلة خاصة فى مكتبه.

حضور بعض المثقفين والمفكرين بعض المؤتمرات أو المناسبات العلمية، ويكون من بين المشاركين فيها إسرائيليين، وقال صلاح عيسى كلاما لا يختلف عن موقفه من رفض التطبيع مع إسرائيل وإن طالب مراعاة الموقف وأن من يحضر مثل هذه المناسبات قد يفاجأ بوجود الإسرائيليين فيها، وليس معقولا أن كل من قابل إسرائيليا بالصدفة نتهمه بأنه مطبع، ورغم أن هذه الرؤية أكد عليها صلاح إلا أن الجريدة وضعت عنوانا لحوارها معه على النحو التالى: صلاح عيسى: الجلوس مع الإسرائيليين على مائدة واحدة ليس تطبيعا، وكانت هذه المعالجة سببا لإطلاق «صحافة الحواوشى» على هذا النوع من الصحافة، ويمكن ترجمته بشكل مهنى أنه يقصد تحديدا العناوين المضللة التى تكون مثل الوجبة التى تشعر أنها من رائحتها رائعة ويمكن أن تجذبك إليها، رغم أنها فى حقيقتها ليست سوى وجبة فاسدة لا تصلح للإستخدام الآدمى.

ولا يمكن للباحث أن يستسلم لهذه المسميات التى يغلب عليها الطابع السياسى والأخلاقى، فلا توجد معايير علمية راسخة تقف وراء هذه المسميات التى ساهمت إلى حد بعيد فى تشويه صورة الصحافة المصرية بشكل عام، حيث أنها كانت تطلق بنوع من العمومية التى تخاصم المنهج العلمى، كما أنها كانت فى معظمها ترجمة لموقف معين من هذه الصحافة سواء كان هذا الموقف تأخذه السلطة أو قوى معينة من القوى الموجودة فى المجتمع أو حتى أفراد.

وما حدث مع حوار صلاح عيسى يؤكد ذلك، فرغم موضوعية طرحه من أن الجريدة ضللت قارئها وخدعته بعنوان لم يرد فى الحوار من قريب أو من بعيد، وأنها حاولت توريطه فيما لم يقل، حيث إهتمت فقط بجذب قارئها الذى يعرف موقف من تحاوره من التطبيع، وعندما يأتى ليوافق على التطبيع هكذا مرة واحدة، فإن هذا يعتبر بالنسبة إليها غنيمة صحفية، لكن رد الفعل فى النهاية وهو إطلاق تعبير معين على هذا النمط من الصحافة لا يخرج هو الآخر عن أن يكون نوعا من الإثارة، فهو يهدف إلى تشويه هذا النوع من الصحافة والحط من شأنها، بإلصاق مسميات بها تحمل على السخرية أكثر مما

تحمل على الإحترام والتقدير.

وجدت الصحف التى صادفت نفسها متورطة بشكل أو بآخر فى هذا النمط فى موقف الهجوم، وهو الهجوم الذى هدف إلى إفقادها شرعيتها، وهدد مصالحها، فحاولت أن تدافع عن نفسها، وقد إتبعت فى هذا الدفاع آليات محددة يمكن للباحث أن يرصدها فى الآتى:

أولا: آلية النسبية : الدفع بنسبية الأخلاقيات وإختلاف مفهومها من مكان إلى آخر ومن زمان إلى زمان، ومن مجتمع إلى مجتمع، وهى آلية يحاول من يستخدمها إيهام القارئ أن ما يقدم له صالح لإستهلاكه الصحفى، فالعادات والتقاليد فى المجتمع المصرى ليست ثابتة وما كان يرفضه المجتمع فى السابق يمكن أن يعود ويقبله بعد ذلك، ويرتبط ذلك بدرجة نمو وتطور ونهضة المجتمع.

ويعتقد أصحاب هذه الصحف أن هذه الآلية يمكن أن تؤتى أكلها عندما تقارن نفسها بالصحف الحكومية التى تيبست أوصالها ولم تعد قادرة على جذب القارئ أو الإستحواذ على إهتمامه، ولذلك كان طبيعيا أن تظهر هذه الصحف لتحل محل الصحف العتيقة التى انتهى دورها، والتى تقدم معالجات تقليدية لمشاكل المواطنين لا مكان فيها للتجديد أو الإبداع أو الإبتكار، وهو ما تستطيع صحافة الإثارة أن تفعله وبكفاءة عالية.

هذا الدفع قد يكون سليما ومستقيما بالطبع فى حالة ما إذا كانت السلوكيات والأخلاقيات التى تمررها صحف الإثارة إيجابية تتفق مع ما استقر عليه المجتمع من عادات وتقاليد وأخلاقيات، لكن ليس منطقيا أن تروج صحف الإثارة للدجل والشعوذة والخرافة، وتناهض قيم التنوير وحقوق الإنسان ثم تريد أن يكون مقبولا منها أنها تباشر أخلاقيات تناسب المجتمع أو أن القارئ نفسه يحرص عليها أو يتابعها عن قرب ويلح على نشرها.

ثانيا: آلية الإلتفات : حيث تبادر صحف الإثارة بالهجوم على الظاهرة، وتعتبر[1] أن الهدف الأساسى من هذه الصحف- تشير إليها من بعيد وكأنها ليست متورطة فيها حتى

(١) ممدوح مهران، جريدة النبأ، عدد ١٩ أكتوبر ١٩٩٧ .

أذنيها- هو الحصول على الأموال بأية طريقة ولا رسالة لها فى ذلك، ولا حل لهذه الظاهرة إلا بمنع هذه الصحف من الحصول على إعلانات من مصر لأنها ليست صحفا بالمعنى المفهوم، وهذا الإجراء وحده كفيل بأن يجعل ٩٠٪ من هذه الصحف تتساقط مثل الذباب لأنه حرمها من تحقيق الهدف الذى تصدر من أجله.

قدم هذا الحل ممدوح مهران رئيس تحرير جريدة النبأ وقد حاول أن يفصل فيه بين الصحف الخاصة والصحف التى تصدر بتراخيص أجنبية، إتهمها بأنها صحافة الإثارة ولا تقوم إلا من أجل جمع المال، وإذا تم حجب الإعلانات عنها، خاصة أنها ليست صحف مصرية ولا حق لها فى الإعلانات المصرية، فإنها ستتوقف تماما، وفى هذه الرؤية إختزال للظاهرة، وإن كان الإختزال هنا من صاحب مصلحة فيه، فهو كواحد من صناع صحافة الإثارة يجرى عملية إلتفات عن صحيفته إلى الصحف الأخرى، وهى صيغة يمكن من خلالها تخفيف الضغط عليه وعلى النمط الذى يمثله.

ومن بين ملامح آلية الإلتفات أن صحف الإثارة تركز على ما تقع فيه الصحف الحكومية من أخطاء وما تقترفه من تجاوزات، معتبرة أنها بذلك ليست وحدها التى تمارس هذا النمط، وهى حجة عليها وليست لها فى حقيقة الأمر، فليس معنى ان يخطئ الآخرون أن يكون نفس الخطأ جائزا أو حلالا لى، وليس مبررا أن يكون رد صحف الإثارة على الصحف التى تنتقدها أن يكون ردها: من كان منكم بلا خطئية فليرمنا بخبر.

ثالثا: آلية الدور: وفيها تذهب بعض الصحف إلى إعتبار ما تفعله من أجل القارئ وحده فهى تدافع عن حقوقه ومنها حقه الأصيل فى المعرفة، وترفض صحف الإثارة توجه ناقديها[1] فهؤلاء يريدون صحافة تفصيل تتحدث دائما عن الإنجازات، وتحاول تجميل الواقع لا كشفه، صحافة يصبح فيها النقد جريمة ونشر خبر صدام قطارين أمر يهدد إستقرار المجتمع، هؤلاء يريدون نصف الأشياء، فهم مع الإقتصاد الحر ولكنهم

(١) مجدى الدقاق، جريدة الدستور، عدد ٥ يناير ١٩٩٧ .

ليسوا مع الرأى الحر، يريدون سوقا مفتوحة وصحافة مغلقة، يتحدثون عن الملكية ويحاربون حق تملك الصحف، يتحدثون عن الحريات الإقتصادية وينكرون على الناس حقهم فى المعرفة وتدفق المعلومات.

وتشير صحافة الإثارة فى معالجاتها إلى أن القارئ هو سيدها الوحيد، فهو الذى يدفع رواتب محرريها ولذلك فهى لا تعمل له وحده دون شريك، وذلك بغض النظر عن أن هذه الصحف فى الأساس تبيع القارئ للمعلن ويتحدد سعره بالنسبة لها بالثمن الذى يدفعه هذا المعلن فيه، وهى بذلك تعزز من دورها الذى تقوم به، ولا يستطيع أن يضطلع به غيرها من الصحف الأخرى التى تعتبرها تحت السيطرة سواء من الحكومة أو الأحزاب، غافلة أنها فى النهاية صحافة مملوكة لأفراد وجماعات مصالح يوجهونها فى الوجهة التى يريدونها.

ومن خلال الإشارة إلى هذه الآلية فإن الباحث يكشف عن تناقض هائل فى الخطابات المتبادلة حول ظاهرة صحافة الإثارة.

فالمعارضون لها يركزون فقط على سلبياتها ومنافاتها للأخلاق والقيم الراسخة فى المجتمع، ويستعرضون تجاوزاتها من نشر الصور العارية وفضائح الشخصيات العامة والتدخل المباشر والسافر فى الحياة الشخصية، وهى بذلك لديهم صحافة تقريبا بلا دور فى المجتمع اللهم إلا الدور التخريبى للقيم والأخلاقيات.

والمؤيدون لها أو صناعها يركزون على الجوانب الإيجابية فيها، من أنها وسيلة لكشف الفساد ويشيرون إلى نماذج عديدة من ذلك، بل ويعتبرون أنفسهم يخدمون القارئ ويلبون حقه فى المعرفة، فهم فى النهاية أداة يتم من خلالها تدفق المعلومات من مصادرها إلى القراء، وبذلك فهم يعظمون من دورهم ويعتبرونه دورا أساسيا فى المجتمع ومن الصعب التضحية به.

ورغم أن هذه المفارقة منطقية إلى حد بعيد إلا أنها كاشفة عن حالة التطرف الحادة التى

تتشابك مع الظاهرة المدروسة، فلا يوجد وسط معها فهى إما لا صحافة على الإطلاق أو أنها الصحافة المطلقة.

رابعا: آلية خلط الأوراق : وفيها يتم التركيز على أن صحافة الإثارة هى الصحافة الحقيقية فهى التى تتعقب الفساد وتلبى حق القارئ فى المعرفة، ويتم الدفاع عنها فى إطار أنها صحافة لا عيب فيها طالما التزمت بالمعايير المهنية المتفق عليها.

ويمكن للباحث أن يشير فى هذا الإطار إلى رؤية[1] مؤداها أن «المفيد فى إستخدام أسلوب الإثارة هو مزج الشكل المثير مع المضمون المفيد الذى يضيف إلى المستوى الفكرى للقارئ ويعالج الفكرة التى يتم تناولها، وليس بالشكل الأجوف الذى لا فائدة منه، وهذا شئ بديهى ومنطقى خاصة أن التناول فيها صحفى وليس تقريرى، فالصحافة دورها يجب أن تأخذ الشكل المثير وذلك لجذب إنتباه القارئ وشد إنتباهه، وهذا الأداء بالطبع ليس عيبا، فما المانع من إستخدام أساليب الإثارة المختلفة ما دامت المعلومات التى يتم نشرها صادقة ومبنية على أساس متين لا يشوبه الشك».

قدم هذه الرؤية حاتم مهران نائب رئيس تحرير النبأ ، ووجه خلط الأوراق فيها أنه اعتبر أن الصحافة يجب أن تكون مثيرة، وهى رؤية يمكن للباحث إحترامها إذا كانت تفسح المجال لوجود أنماط أخرى من الصحافة إلى جوارها، لكنها تنفى هذه الأنماط تماما، وتعتبر نفسها هى الصيغة الوحيدة التى يجب أن تسير الصحافة خلفها.

والوجه الآخر لخلط الأوراق فى الجزم بأن صحافة الإثارة مقبولة إذا كانت تقوم على معلومات صادقة ومبنية على أساس متين، وهو تصور نظرى مقبول إذا كانت المعلومات بالفعل صادقة وصحيحة، لكن الممارسة الصحفية تشير إلى عكس ذلك تماما، وهو ما يضعف موقف هذه الصحف فى الدفاع عن نفسها.

خامسا: آلية التحقق : وفيها تصدر صحف الإثارة للقارئ نفسها بأنها صحف ناجحة

(١) حاتم مهران، جريدة النبأ، عدد ٩ نوفمبر ١٩٩٧ .

وتحقق إنتشارا واسعا، وتستخدم فى ذلك عدة أشكال منها نشرها لشهادات بتوزيعها من المؤسسات التى تتولى توزيعها لتثبت بذلك أنها الأكثر توزيعا من خلال مستندات موثقة، مخالفة بذلك ما تم الإستقرار عليه من إعتبار توزيع الصحف سرا يرقى إلى درجة الأسرار الحربية.

وإن كان الباحث لا يطمئن كثيرا لمثل هذه الشهادات، فيمكن لهذه الصحف أن تحصل على هذه الشهادات من خلال علاقاتها بإدارات التوزيع فى المؤسسات دون أن تكون معبرة عن الواقع أو عاكسة لأرقام التوزيع الحقيقية.

لجوء بعض رؤساء تحرير هذه الصحف[1] إلى التصريحات الإعلامية بأن جريدته هى الثالثة من حيث التوزيع بعد جريدتى الأهرام وأخبار اليوم، وهو تصريح يكون المقصود به فى الغالب الإيحاء بأن الصحيفة لها ثقل وتحظى بثقة القارئ ولذلك فهو يقبل عليه بما يؤكد نجاحها وتحقيقها لأهداف ومصالح هذا القارئ.

وقد لا تكون الصحيفة هى الأكثر توزيعا لكنها تلجأ لرفع شعارات توحى بنجاح من نوع ما وهذه الشعارات مثل، نحن الأكثر تأثيرا[2] أو المستور على صفحاتنا مكشوف[3]، وهى نوعية من الشعارات تداعب رغبة القارئ فى أن يشعر بأن الصحيفة التى يقرأها متفوقة، ولما كان التوزيع هو معيار النجاح، ولما كانت هذه الصحف لا تحقق توزيعا مرتفعا فإنها تلجأ إلى الإستعانة بألوان وأنواع أخرى من النجاح التى قد تتفاعل معها نوعية معينة من القراء.

سادسا: آلية التماهى : وتستعين فيها الصحف بمبررات صحف الإثارة فى الغرب

(١) تصريح كان يردده ممدوح مهران فى الندوات التى يحضرها وفى مقالاته الإفتتاحية فى جريدته فى أواخر التسعينات.

(٢) شعار جريدة العربى الصادرة عن الحزب الناصرى.

(٣) شعار جريدة الفجر، الصادرة عن شركة خاصة بنفس الإسم.

للتأكيد على أنها تسلك المسلك الصحيح، ويمكن أن يكون النموذج الواضح على تطبيق هذه الآلية هو التقرير الذى نشرته مجلة روزاليوسف[1] بعنوان: تقرير أمريكى يرصد الشعرة الواهية بين الصحافة المحترمة والصحافة الأخرى، ثم عنوان رئيسى يقول: دفاعا عن الصحافة الصفراء.

ثم العناوين الفرعية التى تقول: عضو البرلمان الإنجليزى مات بالسكتة الجنسية...هل هذا عنوان أصفر؟بيل كلينتون مفضوح جنسيا أمام الرأى العام....هل هذا عنوان أصفر؟الأميرة سارة تمص أصابع عشيقها...هل هذا عنوان أصفر؟خيانة وزير الخارجية فى ساعات العمل الرسمية ...هل هذا عنوان أصفر؟.

عرض التقرير الصحفى للتقرير الذى أعدته جمعية الصحافة الأمريكية الحرة فى فبراير ١٩٩٨ وكان عنوانه: الشعيرة الفاصلة بين الصحافة الصفراء والمحترمة فاصل وهمى، ودافعت فيه الجمعية عن الصحف المحترمة والمشهورة فى العالم التى دأبت على الإكثار من التقارير والقصص الصحفية التى تندرج تحت مسميات الصحافة الصفراء، وأشار التقرير من واقع أرقام مركز الإحصائيات الأمريكية الفيدرالية المختص فيما يتعلق بالصحافة فى أمريكا والعالم إلى أن عام ١٩٩٧، كانت هناك موجة عداء ضاربة بالعالم ضد صحافة الحقائق والقصص الإجتماعية الخاصة والشاذة، وأن ٩٢٪ من صحف ومجلات العالم الجرئية قد سقطت لأول مرة فى التاريخ ضحية للشك والإتهام والظلم من جراء الوصف الذى وصفت به العديد منها بأنها صحافة صفراء.

وقد حدث ذلك بعد أن نشرت خلال عام ١٩٩٧ تقارير صحفية كان الجنس قاسما مشتركا فيها، ولا يمكن فصله صحفيا وفنيا عن الحقائق التى وقعت فى القصة الأصلية التى تحدثت عن الحياة الشخصية لمشاهير أثروا بشكل او بآخر فى حياة مجتمعاتهم أو عن جرائم أو أفكار جديدة أو تصرفات ساسة العالم، وكان لابد من محاربة تصرفاتهم الشاذة

(١) توحيد مجدى، مجلة روزاليوسف، تقرير مترجم، ٢٣ فبراير ١٩٩٨ .

ومن وضع حد للأفكار السلبية التى من الممكن أن تتسرب للمجتمع لو فضلت الصحافة الحرة بالعالم عدم النشر فيها خشية أن توصف بالصحافة الصفراء.

وقد يكون هذا الدفاع عن الصحف الأمريكية مناسبا فى المجتمع الأمريكى، لكن بالقياس قد يكون غير مقبول فى المجتمعات العربية أو المجتمع المصرى، إن الباحث لا يناقش هل مبررات التقرير حقيقية أم زائفة، لكنه يرصد فقط، حيلة تلجأ إليها صحف الإثارة المصرية فى تبرير المنهج الذى تسير عليه.

ولا يحدث التماهى مع صحف الغرب فقط، ففى كل مرة تنشر تقارير المجلس الأعلى للصحافة عن أداء الصحف المصرية، تبرز صحف الإثارة المخالفات التى وقعت فيها الصحف الحكومية مشيرة بذلك إلى أنها ليست وحدها التى تسلك هذا المسلك ولكن الصحف التى تملكها الحكومة.

ويرى مصطفى عبد العزيزرئيس تحرير صحيفة الحادثة[1] أنه لماذا نتهم الصحافة المستقلة دائما بأنها صحافة الإثارة؟ فهناك بعض المطبوعات لبعض المؤسسات القومية الكبرى التي تدعمها الدولة صور الغلاف فيها صور عارية، ويأتى دفاع صحف الإثارة عن نفسها بهذه الصورة وكأنها تريد بذلك أن تكسب نفسها شرعية مما تفعله الصحف الحكومية، وإن كان المنطق يشير إلى أن خطئية الصحف الحكومية على المستوى المهنى لا يمكن أن تبرر خطئية صحف الإثارة على نفس المستوى.

سابعا: آلية المزايدة : حيث يركز خطاب صحف الإثارة وخاصة فى الفترات التى يزيد الهجوم عليها، على أنها تحمى الفضيلة والأخلاق وأنها تعمل لتحقيق أهداف المجتمع فى التنمية، وتضيف الصحف إلى ذلك هجوما مكثفا على كل ما تتهم به صحف الإثارة، وهى حيلة خداعية يمكن أن يقع القارئ فى شركها بسهولة، فليس معقولا أن تكون

---

(١) مصطفى عبد العزيز، رئيس تحرير جريدة الحادثة، تصريح لبرنامج كواليس، قناة الجزيرة، أذيع فى ٢٨ يوليو ٢٠٠٥ .

الصحف التى تهاجم صحافة الإثارة هى نفسها صحافة إثارة.

ويمكن للباحث أن يلحق بهذه الآلية وسيلة أخرى من وسائل صحف الإثارة التى تدافع بها عن نفسها وهى وسيلة التبرؤ، حيث تعمد هذه الصحف إلى إعلان إعتراضها على ممارسات ومعالجات صحف الإثارة وتبرئها منها، بما يوحى للقارئ أيضا أن هذه الصحف أبعد ما تكون عن هذه المعالجات.

ثامنا: آلية الإستشهاد : وهى آلية تظهر بوضوح فى إدعاء صحف الإثارة أن المواجهة والمقاومة التى تلقاها من قوى المجتمع الأخرى تأتى لأنها صحافة تقف فى وجه الفساد وتكشفه وأنها بذلك تدفع ثمن مواقفها المهنية، ولا ينفى الباحث أن هذا يحدث كثيرا، أى أن يتم إستهداف صحيفة بعينها أو صحفى بعينه، لأنه يواجه موجات الفساد المتتالية والمتعاقبة فى المجتمع سواء كان هذا الفساد سياسى أو إقتصادى أو إجتماعى،ولكن لا يمكن تعميم ذلك على كل صحف الإثارة وكل الصحفيين العاملين فيها، فكثير منها يتم إستخدامها من قبل جماعات بعينها ولا يكون تعرض الصحف لضربات إنتقامية إلا تجليات للصراع بين جماعات المصالح المختلفة، لكن الصحف تستغل ذلك فى تصوير الأمر على أنها تدفع ثمن الحرية والدفاع عن حقوق المواطنين.

تاسعا: آلية المرآة : فقد صكت بعض صحف الإثارة شعارا تعمل به وتترجمه وهو «الصحافة لا تخلق العالم بل تسجله»، وعلى ذلك فإذا كان ما تقدمه للمجتمع من مادة صحفية مثيرا فإن ذلك يحدث لأن الحدث نفسه كان مثيرا، فهى لا ترتكب مثلا حوادث الإغتصاب وهى لا تقر الجرائم الأخلاقية التى ينفر منها المجتمع، ولكنها تنقل فقط هذه الأحداث كما جرت فى المجتمع دون زيادة بل إنها فى الغالب تحاول أن تقلل الإثارة الموجودة فى الأحداث حتى لا تصدم القارئ ولا تجرح مشاعره.

ورغم أن هذا التصور قد يكون صحيحا إلى حد كبير، فالصحافة أداة من أدوات التوثيق التاريخى التى يستعين بها المؤرخون فى كتابة تاريخ الأمم، إلا أن الباحث لا يمكن

أن يقر بصحة هذا التصور بشكل مطلق، فهنك من الأحداث التى تنشرها صحف الإثارة ولا يكون فيها عنصر جذب واحد لكن هذه الصحف تختلق هذه العناصر إختلاقا حتى يتعاظم عنصر الجذب فيها لدى القراء، وبذلك فهى لا تسجل الواقع فقط ولكنها تضيف إليه وتحذف منه بما يحقق لها جعله حدث يصلح للنشر فى صحيفة إثارة.

عاشرا: آلية الإعتراف : من النادر أن تعترف صحيفة أو يعترف صحفى بأنه يقدم الإثارة، ذلك أن الصحفيين لا يريدون أن يقعوا أسرى تصنيفهم على أنهم غير أخلاقيين أو لا يحافظون على الآداب العامة فى المجتمع، لكن هناك صحيفة واحدة وصحفى واحد هو إبراهيم عيسى الذى إعترف بأنه صحفى إثارة وأن صحيفته صحيفة إثارة[1] ، وكان ذلك بعد مرور عام على صدور جريدة الدستور فى إصدارها القبرصى[2] فى مقال عنوانه: إحنا بتوع الإثارة، ركز فيه على الآتى:

فند إبراهيم عيسى الإتهامات التى وجهت للجريدة، ويتوقف الباحث عند ما قاله عن صحاقة الإثارة يقول:

تبقى حكاية الإثارة وهى كلمة مظلومة بعلا، فيمكن أن تكون إثارة العقل ، إثارة الوجدان، إثارة الجدل، إثارة الإنتباه، وهى كذلك فعلا عندنا، لكن البعض يقول أننا بتوع الإثارة الغريزية ونتناول قضايا جنسية، ومن هؤلاء من خصص نصف حزبه للدعاية المسترة للميلاتونين(من باب التقوية الجنسية)، ثم تأتى له عين ليقول عنا إثارة، ومن هؤلاء من إرتكب إثم ترويج اللبان الجنسى الذى صور نساء مصر على أنهن هائجات ثم تأتى له عين ليقولوا عنا إثارة.

إن كل قضايا مست الجنس عندنا كانت تتم معالجاتها طبيا وعلميا وإجتماعيا بدون تعال أو ترفع عن هموم الناس وبدون تدن رخيص، لكن أن يفشل البعض صحفيا

(١) إبراهيم عيسى، إحنا بتوع الإثارة، جريدة الدستور، عدد ١١ ديسمبر، ١٩٩٦.
(٢) صدر العدد الأول من الدستور فى إصدارها القبرصى فى ١٣ ديسمبر ١٩٩٥.

وسياسيا، وتقول لأ أصل أنا لست ناجحا لأننى لست مثيرا فهذا قصر ذيل.

ثم يعترف إبراهيم عيسى: إحنا بتوع الإثارة، إثارة العقل والفكر والإنتباه والوعى وبالمناسبة إثارة الشغب، فنحن القلة المنحرفة التى آمنت بأن الإنحراف عن الجموع خير من السير وراء القطيع.

ورغم جرأة هذا الإعتراف إلا أن الباحث لابد أن يضعه فى سياقه الذى أنتج فيه، فقد كان رئيس تحرير الجريدة إبراهيم عيسى صغيرا عمره يتجاوز الثلاثين عاما بقليل، جريدته بلا حسابات لا سياسية ولا إجتماعية، ثم أن الجريدة كانت قد حققت نجاحا ضخما لم يكن يتوقعه أحد، للدرجة التى دفعت إبراهيم نفسه لأن يعترف أن الدستور «ابن موت» فى إشارة إلى أن النجاح الذى حققه لا يتناسب لا مع إمكانياته المادية، ولا مع عمره المهنى، وقد يكون هذا الإعتراف ردة فعل عنيفة على الإنتقادات التى واجهتها الجريدة، لكن يظل الشاهد فى الأمر أن الإعتراف جاء منقوصا، فهو يعترف بالإثارة التى تضيف له، حيث إثارة العقل والوجدان والإنتباه وإثارة الشغب إن جاز التعبير، وليس الإثارة الجنسية التى من الصعب أن نجد صحفيا يعترف بها، وحتى لو إعترف بأن جريدته تتعاطى الجنس فإن ذلك يحدث لضرورة ويتم بشكل علمى وموظف مهنيا.

كان إبراهيم عيسى يدافع عما يعتقد أنه صحيح، وقد جاء الدفاع حادا لأن الإنتقادات التى وجهت للتجربة التى استمرت بين العامين ١٩٩٥ و١٩٩٨، كانت حادة وعنيفة، وعندما صدرت الدستور فى إصدارها الثانى عام ٢٠٠٥ وخطت لنفسها خطا مختلفا عن خطها الأول، ما كان لإبراهيم عيسى أن يكتب: إحنا بتوع الإثارة، لأن نوعية الإتهامات التى وجهت للإصدار الثانى كانت مختلفة، كان منها أن الجريدة لا ترى شئيا إيجابيا فى مصر وأن كل ما تعرضه من قضايا وموضوعات يشير إلى أن هناك إنهيارا قادما فى كل المجالات.

ولذلك عندما سأل الباحث إبراهيم عيسى، هل يمكن أن تكتب: إحنا بتوع الإثارة

مرة أخرى؟قال[1]: بل سأكتب: إحنا بتوع الصحافة السوداء، لأن الصحف الحكومية أطلقت علينا هذا التوصيف وهو يناسب موجة الهجوم الجديدة على الدستور، ولا يمكن أن أدافع عن الصحافة التى نقدمها دون أن نهاجم الصحافة البيضاء التى تعتبر أن كل شئ فى مصر إيجابى وأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان.

***

يخلص الباحث من ذلك إلى أن هناك خطابات متناقضة ومختلفة حول ظاهرة صحافة الإثارة فى مصر، وهى خطابات حدث بها خلط هائل ربما لأن الظاهرة نفسها لم تكن قد تبلورت بعد، ثم وهذا هو المهم أنه لم تكن هناك دراسة ساهمت ولو بقدر يسير فى التنظير لهذه الظاهرة بما يكشف حدودها وملامحها للقراء وللذين تصدوا لها من الباحثين القادمين من تخصصات أخرى غير حقل الدراسات الإعلامية.

ولذلك يرى الباحث أن هناك خلط بين الصحافة الصفراء وصحافة الإثارة، وقد تم التعامل معهما طول الوقت على أنهما شئ واحد رغم أن الفارق بينهما كبير، فالذين لا يفصلون بينهما يعممون الجزء على الكل، وبذلك تضيع أهمية صحافة الإثارة التى يمكن أن يكون لها دور حقيقى فى المجتمع، فالإثارة ليست هى الصحافة ولكنها فلسفة معالجة للقضايا التى تتناولها الصحف.

ويلاحظ الباحث أن هناك فى الخطابات التى تناولت الظاهرة حالة من تبادل العداء بين من يؤيدون وبين من يعارضون، وقد يكون تفسير ذلك لأن إنتاج هذه الخطابات تم على أرضية إجتماعية أخلاقية ولم يتم على أرضية مهنية، والأرضية المهنية تفيد فى فهم الظاهرة وتحديد ملامحها وإظهار إيجابياتها وسلبياتها، ثمبعد ذلك يكون من حق المجتمع الذى تصدر فيها هذه الصحف أن يقبلها أو يرفضها بالكلية.

(١) إبراهيم عيسى، مقابلة خاصة معه فى مكتبه بجريدة الدستور.

الفصل الخامس

التكوين النفسي والاجتماعي لآباء صحافة الإثارة



تظل صحافة الإثارة مرهونة بمن يقومون بها وينتجونها، فالعامل الشخصى فى هذا التيار بالنسبة للباحث هو الأهم، فقد تتوفر الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية لتنامى هذا التيار فى السوق الصحفى لكن دون أن يكون هناك محرك له من القائمين بالإتصال فلن يكون له وجود أو على الأقل لن يكون له التأثير المتوقع والمرجو منه.

ولعل هذا ما يدفع الباحث تحديدا إلى رصد وتقصى الملامح العامة لمنتجى هذا النمط فى مصر عبر مراحله المختلفة، ومن خلال الرصد العام يتضح للباحث أن الإثارة الصحفية منتج يتعلق بالرأس المحرك للصحيفة التى تنضوى تحت هذا النمط.

فليس شرطا مثلا أن يكون جميع العاملين فى الصحيفة ممن يجيدون التعاطى مع آليات الإثارة أو حتى الذين يقتنعون بها وبضرورتها، لكن لابد أن يكون رئيس التحرير ومعاونيه فى الدائرة الضيقة جدا التى يطلق عليها مجلس التحرير قادرين على صياغة آليات الإثارة الصحفية وتحويل المادة التى يجمعها المحررون وقد تكون عادية جدا ولا إثارة فيها إلى مادة صاخبة قادرة على جذب القراء ومداعبة إهتماماتهم.

ويفضل الباحث أن يبدأ من الصورة الذهنية العامة التى يحاول معارضى تيار الإثارة الصحفية أن يروجوها عن منتجى هذه الصحف، وبالتحديد أنهم ليسوا أسوياء نفسيا، وتتمثل ذروة ذلك فى تحقيق صحفى نشرته مجلة روزاليوسف[1] تحت عنوان الأمراض النفسية للعاملين فى الصحف الصفراء، ويجد الباحث أن من المهم عرض ما جاء فى هذا التحقيق عرضا دقيقا تمهيدا لتحليله وتفسيره بما يوضح الصورة العامة لسيكولوجية العاملين فى تيار الإثارة.

لقد رأت المجلة أن مجتمع الصحافة الصفراء بات يهدد المهنة بلا هوادة بعدما تفشت الظاهرة بشكل مخيف، وهو ما يجعل من الضرورى وضع أصحاب هذه التجارب السلبية تحت مجهر الدراسة النفسية والإجتماعية والمهنية حتى تكون المواجهة على أسس سليمة،

(١) روزا اليوسف، العدد ٣٩٧٤ فى ٧ أغسطس ٢٠٠٤.

تضع الأمور فى نصابها الصحيح بما يجعل الظاهرة تنحسر فى أضيق الحدود، حيث إعتبرت المجلة أن الصحافة الصفراء لا تقل خطورة عن ترويج المخدرات التى تدمر صحة الشباب لأنها فى الواقع تدمر عقولهم وتقودهم إلى الهاوية والسطحية والإبتزاز من خلال القيم الشاذة التى ترتكن عليها.

استعانت المجلة فى تحقيقها بعدد من المتخصصين فى مجال الطب النفسى ليشخصوا الأمراض النفسية لمنتجى صحافة الإثارة ويمكن رصد آراءهم وأفكارهم على النحو التالى:

الدكتور فكرى عبد العزيز أستاذ الطب النفسى: القائمون على الصحف الصفراء مرضى نفسيون يجب أن يتوجهوا إلى المصحات النفسية للعلاج من العقد والإضطرابات المرضية التى يعانون منها قبل فوات الأوان، فهى شخصيات سيكوباتية مهمشة ضلت طريقها وفشلت فى إثبات ذاتها داخل الوسط الصحفى المحترم، لذا لجأت إلى الأبواب الخلفية والصحف الملاكى التى من خلالها يسقطون كل آلامهم النفسية.

فهم تأثروا بالظروف المحيطة الشديدة القسوة من خلال التنشئة وما اكتسبوه من الأسرة والبئية والمجتمع ولم تكتب لهم الخبرة الإنسانية الكافية وبالتالى أصبحت هذه النزاعات والرغبات تسير فى طريق الضلالة والعدوانية ضد كل قيمة ومقدس فى المجتمع، وهى فى ذلك تستخدم حيل الإستغلال والخداع على حساب الآخرين فى كرامتهم وكلمتهم وتسقط ما بحوزتها من عقد نفسية نتيجة التنشئة الإجتماعية غير السوية على الآخرين بتشويه القيم والأخلاق وإشاعة الإباحية والفساد فى المجتمع متخطية كل الحدود بحيث تكون رغباتهم فى إتجاه مضاد للمجتمع وهذا نمط سلوكى غير سوى.

وقد تحولت الصحافة على أيدى هذه العصابة من منبر تنويرى له القدرة على التنمية والارتقاء بمستوى أفراده إلى مجرد مرتع وأداة مسلطة على رقبة المجتمع دون رابط لهدم

كل مقدس، فهم يرفعون شعار «تصعيد الأخطاء»، وعلى الرغم من زخم الأمراض النفسية التى تعتريهم تجدهم يتميزون بالذكاء الشديد فهم يعلمون أنهم يحملون سلاحا قويا يهددون به الآخرين ولا يصونون فى ذلك كرامة أو فضيلة بل يضعون نصب أعينهم لافتة عريضة مضمونها «ماذا سوف أكسب من وراء هذا»، وبالطبع هى إستفادة لذاته العليلة سواء كانت مادية من خلال المكسب أو معنوية من خلال الشهرة وعلاقات المصالح مع الآخرين.

لقد فشل القائمون على هذه الصحف فى بداية حياتهم فى الإلتحاق بقائمة الصحفيين المحترمين، ولهذا اتجهوا إلى هذه الصحف بدافع الحقد والإنتقام من المهنة وتلويث هذه الرسالة ولا تهمهم الصحافة فى شئ بقدر أنها تمثل لهم مجرد «سبوبة»، كل ذلك لا يهمه وهذه سمات شخصية «النصاب السيكوباتى»، وهذا النوع من الصحافة ليس مؤثرا بشكل ملحوظ فى المجتمع أمام الفيضانات والشلالات التى تنشر من الصور الإباحية والتحقيقات التى تثير البلبة عن طريق هيستيريا الشائعات.

الدكتور هاشم بحرى أستاذ الطب النفسى بجامعة الأزهر: جمهور الصحف الصفراء من نوعية خاصة جدا أغلبها من المراهقين والفاشلين، فإذا كانت الصحافة المعتدلة تتعرض إلى مواضيع تثير الفضول لدى المتلقى وهذا هو المحرك الرئيسى الذى يجعله يشترى الصحيفة، فإنه قياسا على ذلك هناك فضول سياسى وإجتماعى مشروع، إلا أنه بالنسبة للصحافة الصفراء نجد دائما أنها تصر على تقديم وجبة من الأسرار الشخصية التى تنبش فى المسائل الشخصية الساخنة والملتهبة دون وازع مثل أسرار الغرف المغلقة للشخصيات العامة للسياسيين والفنانين والمشاهير.

والخطير فيها أنها تنشر أخبارا مغلوطة تفتقد للصحة حيث تقوم بتأليف القصص وبحرفية شديدة تنصب على فكرة الشائعات وتحت هذه الحروف البسيطة تضع كل أطياف الطبخة السحرية مع جزء من الحقائق مع خلطة مثيرة وتلطيخها بعنوان أمامى

أحمر ضخم وبناء حبكة وسرد حدوتة وينتهى الأمر بأقل تكاليف وأحط إنحراف أخلاقى وسلوكى.

إن هذا النوع من الصحافة له زبونه الخاص الذى أهم ما يميزه الشعور بالعنف والفشل، لأنه لم يحصل على أية فرصة نجاح متصورا أنه يجب أن يكون مشهورا فى مقدمة صفوة المجتمع لكنها الظروف التى حرمته من ذلك، ولهذا نجده يقبل على شراء هذه الصحف وقراءتها بإستمرار كنوع من التشفى فى النجم المشهور أو الشخص الناجح ويشعر عندها بالراحة النفسية.

من خلال هذه الصحف وما تحويه من قصص ردئية يجد القارئ السيكوباتى ضالته فى وجود شماعة يعلق عليها الإخفاق والفشل حيث يقول فى قرارة نفسه أنه تنازل عن منزلة الشهرة والتقدم حتى لا ينال منه مثلما يحدث مع المشهورين من فضائح وبالتالى يضيف مشروعية غير مقبولة على الفشل.

ويتمثل الهدف الرئيسى فى هذه الصحف فى قالب واحد هو المكسب المادى بأية وسيلة ويلعب فى ذلك على أوتار الغرائز المكبوتة عند القارئ، فهى رغبات لسيكوباتى فاشل يقدم على بضاعة مريضة تلقى رواجا بين فئة مريضة هى الأخرى، وبالتالى فالإضطراب النفسى هو شعار الصحف الصفراء فى سبيله إلى تحقيق إنتعاشة مالية وشهرة مفقودة لن تكون إلا بهذا الأسلوب الرخيص مثل مجلة «بلاى بوى» الأمريكية، إذ أن الرجل الذى أنشأها يعانى من إضطرابات جنسية، فكانت مجلته تعتمد على الجنس فى كل موادها التحريرية وبالتالى فإن القائمين على هذا النوع من الصحافة يسقطون ما بهم من آلام نفسية على الصحف التى يمتلكونها.

فى نفس الوقت نجد أن رؤساء تحرير هذه الصحف يتميزون بالذكاء الشديد حيث أنهم يفكرون دائما ماذا يريد قراؤهم المراهقون منهم؟، ومن هذا المنطلق يلعبون على جبال الغرائز وتحكمهم فى ذلك ما نطلق عليه فى علم النفس «العقل الباطن الجمعى»، والذى

يعتمد على قاعدة الفضول وما يشغل الجمهور من غرائز مكبوتة، وبالتالى فإن نجاحه مضمون لأن الفضول جزء من الطبيعة البشرية، لكن يجب أن نفرق فى هذا الشأن بين الفضول المشروع والفضول المرضى إذ تعتمد الصحف الصفراء على النوع الأخير وتلك الصحف تؤثر على حياة القراء وتوقف نجاحهم لأنها تؤدى فى النهاية إلى الإنشغال بالضلالات والإنغماس فيها، ولن نجد ضمن فريق العمل صحفيا واحدا شريفا لديه مبادئ أو أخلاق لأنهم يركزون على الكذب وقلب الحقائق بالقوة بما يتفق مع أغراضهم غير المشروعة والفرقعة والفبركة.

الدكتور أحمد شوقى الفنجرى أستاذ الطب النفسى: تستخدم الصحف الصفراء كل الأساليب الملتوية والمشبوهة من أجل الربح بغض النظر عن أخلاقيات المهنة وقيم المجتمع وثوابته ومصداقيتها لدى القارئ، وترفع فى سبيل ذلك شعارات المغالاة والتبجح مستخدمة لافتة «اللى تكسب به العب به» وذلك من خلال منطقة الشائعات الشائكة التى تلقى رواجا بين الناس.

كل هذا بالطبع وراءه خلل نفسى وآخر إجتماعى ولا نجد فى قاموس العمل ما يسمى بمواثيق الشرف الصحفى أو قوانين رادعة للتصدى لهذه المحاولات المفسدة لدور الصحافة فى المجتمع، فأصحاب الصحف الصفراء لا يبالون بأى شئ لا قيم ولا أخلاق.

إن هذه الصحافة يمكن أن نطلق عليها صحافة «التلسين» والشائعات التى تشبه إلى حد ما جرائد التابلويد فى الخارج التى تهتم بالفتيات العاريات والعلاقات الشاذة بين الرجل والمرأة والأسرار الشخصية، فالقارئ يرى فيها ضالته من معرفة الأسرار الخاصة التى تشبع فضوله رغم أنه يعلم أنها كاذبة ولكنه يقبل على شرائها والمعلن يتوجه نحوها أنها توزع أكثر والقائمون عليها يربحون ويحققون أغراضهم.

ولا يمكن أن نعتبر أصحاب الصحف الصفراء مرضى نفسيين، لأننا بذلك نعطى لهم شرفا لا يستحقونه، فالمريض النفسى غير مسئول عن أفعاله والظروف المحيطة به التى

شكلت ذلك، وبهذا الوصف قد أخلى عنهم المسئولية بينما نجدهم مسئولين مسئولية كاملة عما يقترفون فى حق المجتمع من أفعال.

وإذا كان تعريف المواطن الصالح يقول أنه الشخص الذى يوازن بين طموحاته الشخصية وأهداف المجتمع حول مجتمع نظيف فإن هذا الشرط لا يتوافر فى هذه النوعية من البشر حيث أنه يتمركز فقط حول ذاته لتحقيق مصالحه، وإذا كان بعد ذلك يوجد شى جدير بالإهتمام فهو أسرته المباشرة، أما عدا ذلك فالجميع يذهبون إلى الجحيم طالما أنه يحقق أهدافه الشخصية فلا يبالى بالآخرين أو بالمجتمع الذى يعيش فيه.

الدكتور على شوهدى أستاذ الطب النفسى: لابد من الإعتراف أن المناخ الإجتماعى الحالى فى مصر يتقبل هذه النوعية من الصحف التى تعتمد على الإباحية والشذوذ والتطرف فى الأفكار والمواد الفضولية اللزجة التى تلوكها ألسنة الناس ويتشدقون بها فى الأحاديث والسهرات الجانبية على طريقة«شفت الوزير فلان مع الممثلة علانة» وهكذا.

والصحافة بالنسبة لهؤلاء ماهى إلا مكسب سريع وللتوزيع الأولوية ولا يتضمن القاموس لديهم أيا من القواعد ولا يعنيهم الإنسان أو المجتمع معا، ويتصف القائمون على هذه الصحف بالسيكوباتية، وتلك الشخصية تمتاز بأنها ضد الأعراف الإجتماعية وليس لديه مانع من كسر كل القيود، كما أنه ليس لديه ولاء وطنى أو قومى أو دينى فهو مهمش جدا وبالتالى لديه نوع من الإندفاع والعدوان ضد كل قيمة من قيم المجتمع، بالإضافة إلى أنه يتصف بالتمركز حول الذات ولا يهتم بأى عواقب حتى إذا صدرت ضده أية عقوبة يكون تأثيرها مؤقتا جدا ولا يتعلم من التجارب السلبية السابقة، ويصر بشدة على إختراق كل الحواجز والقيود وتحطيمها.

وعلى سبيل المثال نجد المجرم يصدر ضده حكم بالسجن ولا يتورع عندما يخرج من السجن عن ممارسة نشاطه الإجرامى مرة أخرى على نطاق أوسع، والصحافة الصفراء تسلك نفس الطريق ولا تتورع فى أن تأتى بكل محرم ومقدس وممنوع الإقتراب منه فى

تحقيق المنفعة الشخصية.

وجمهور قراء هذه الصحف لا يختلف عن فئة المشاهدين لأى فيلم جنسى، وهم الشريحة العمرية التى نطلق عليها المراهقين الذين لم يكتمل بعد تكوين شخصيتهم، تلك الشريحة التى لديها إستعداد للفضول على الغرائز المكبوتة، ويساعد على إنتشار هذا النمط المناخ الإجتماعى السائد حيث يتقبل هذه النوعية من فيضانات المواد الإعلامية التى تهتم بالإباحية والجنس، كما أن الإعلان المتكرر عنها هو الذى جعلنا نتقبلها وجعل «الفلتر» الإجتماعى يتسع لقبول مثل هذه المهاترات.

وعليه تجد الشخصية السيكوباتية تسعى لتحقيق أهدافها فى ظل الظروف التى أصبحت معها القيود والقواعد الإجتماعية مرنة لقبول تجاوزاتها.

يمكن أن يتم التعامل مع هذه الرؤى النفسية على أنها توصيف دقيق لما يعانى منه القائمون على إنتاج الصحافة الصفراء من مشاكل نفسية وأمراض تجعلهم ينحازون إلى هذا النمط تحديدا دون غيره.

لقد اتفق أصحاب هذه الرؤى فى أن العاملين بالصحف الصفراء مرضى نفسيون، ولم يشذ عن هذا الرأى أحد الإ شوقى العقباوى، الذى حمل توصيفه لصحفيى الصحف الصفراء بعضا من المزايدة، فقد حرمهم من شرف الإنتساب إلى المرض النفسى الذى لا يسأل أصحابه عما يفعلون، وأبقى على أنهم مجرمين لا أكثر من ذلك ولأن المجرم يعاقب على جريمته فلابد أن يعاقب هؤلاء الصحفيين، ولم يترك العقباوى الأمر على علاته هكذا بل وضع تصوره الخاص للعقوبات التى يمكن أن تفرض وهى: إصدار قوانين كسحب الرخصة أو المنع من مزاولة المهنة أوحتى عقوبات مالية ضخمة وغيرها من الجزاءات المناسبة التى تقف حائلا قويا ضد كل من يحاول تجاوز الحدود المسموح بها أخلاقيا[1].

لكن لا يمكن أن نغفل أن هذا التحليل يفتقد إلى الموضوعية والمنهجية فى آن واحد،

(١) شوقى العقباوى، روزاليوسف، مرجع سابق.

وذلك من الناحيتن المهنية والنفسية على حد سواء.

من الناحية المهنية لم يحدد التحقيق مفهوما واضحا للصحافة الصفراء، وهل هى الصحف التى تحصل على ترخيص من الخارج وتصدر هنا فى مصر وتعتمد بشكل أساسى على نشر الصور العارية ومادة الجريمة وتتسول الدعم الإعلانى من بعض الشركات والمصانع عبر أساليب إبتزاز تكاد تكون بدائية للغاية، أم أنها الصحف الخاصة التى تصدر بتراخيص من المجلس الأعلى للصحافة وهى صحف مصرية إسما ومضمونا، وتعتمد على أساليب الإثارة الصحفية بشكل واضح فى معظم معالجاتها من أجل زيادة التوزيع وجذب القارئ لها دون غيرها من الصحف.

هذا التحديد كان ضروريا، لأن هذا التحليل انصرف إلى الجميع دون تفريق، من أجل وصم كل من يعمل فى الصحف الخارجة عن الخط الرسمى للدولة بما يشوههم ويفقد القارئ المصداقية فيهم، إذ كيف يمكن أن يقرأ هذه الصحف أو يتعامل مع أصحابها وهم فى النهاية مرضى نفسيون ومعقدون وحاقدون على المجتمع.

ولا يستبعد الباحث أن يكون هذا الخلط مقصودا من الجريدة وذلك لخلق حالة من الفوضى حول صحف الإثارة فى مصر وجعلها جميعا فى إناء واحد، كل ما يخرج منه مرفوض دون حتى قراءته أو التفكير فيه، فمنذ خرج عادل حمودة من روزاليوسف حيث كان مسئولا عن تحريرها وأحدث فيها نقلة تحريرية حيث جعل منها صحيفة إثارة مكتملة الأركان والمجلة تحاول أن تبعد عن نفسها شبهة أن تكون مجلة إثارة، وذلك عن طريق تبنيها حملات مكثفة ضد صحف الإثارة والصحافة الصفراء وإجتهدت المجلة فى حملاتها تلك ووضعت توصيفات أخرى لهذه الصحف منها أنها صحافة سوداء وصحافة مسمومة.

لكن ورغم هذه الحملات المكثفة التى إمتدت تحديدا من العام ١٩٩٨ وحتى الآن ويقودها من عملوا فى تجربة عادل حمودة بل وكانوا نجومها وصانعيها إلى جواره، فإن

هناك تناقضا حاد تقع فيه المجلة، وقد أثار الباحث هذا التناقض مع كرم جبر[1] رئيس مجلس إدارة مؤسسة روزاليوسف، ولم يكن ذلك بوصفه مسئولا عن الجوانب الإدارية فى المؤسسة ولكن بوصفه كاتبا فى المجلة والجريدة اليومية التى صدرت عن المؤسسة فى العام ٢٠٠٥، وكذلك كان أحد الفاعلين فى تجربة عادل حمودة وهو الآن فاعل فى التجربة الحالية، أى أنه شهد التجربة وشهد الهجوم عليها أيضا.

كان التناقض الذى رصدته أن روزاليوسف المجلة والجريدة بعد ذلك وعلى مستوى الخطاب الرسمى بها والتوجه العام لها ترفض صحافة الإثارة التى تعتمد على الفضائح والصور العارية ومادة الجريمة والتدخل فى الحياة الشخصية للأفراد وكذلك الإبتعاد كلية عن الأخبار المجهلة، وعندما يتجاوز الباحث هذا الخطاب الرسمى يجد أن معالجات المجلة والجريدة لا تخرج كثيرا عن معالجات صحافة الإثارة، وإن كان لديها فى ذلك منطقها.

فإذا كانت الصحف الخاصة والحزبية التى يشار إليها على أنها صحافة إثارة وصحافة فضائح تقدم معالجات مثيرة لما يخص العاملين مع الحكومة والمسئولين فيها، فإن روزا اليوسف تفعل الشئ نفسه مع المعارضة ورموزها، فهى تفتش فى حياتهم الشخصية وتنشر ما قد يقعوا فيه من جرائم بل وتجتهد فى نشر حكايات وقصص مجهلة عنهم.

وكان السؤال هو: هل الخطاب الرسمى لروزا اليوسف يتماهى مع توجهات رسمية حكومية ترفض ما تفعله بها الصحف الخاصة والصحف الحزبية، ثم تأتى معالجتها متماهية مع صحف الإثارة لأن روزا فى النهاية ترغب فى زيادة التوزيع والإنتشار والوصول إلى القارئ على الأقل ليعرف هؤلاء القراء السياسات التى أصبحت روزا فى طبعتها الجديدة تدافع عنها وتتبناها؟

كانت إجابة كرم جبر محددة ودقيقة حيث قال: من حيث أن روزا تتبنى خط الدولة

(١) كرم جبر، مقابلة خاصة فى مكتبه بمؤسسة روزاليوسف فى ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨.

وتوجهاتها فهذا أمرر صحيح ولا يمكن أن ينكره أحد، لكن لابد أن نشير إلى أنها مجلة الدولة المصرية وليست مجلة الحكومة بالمعنى الضيق، فهى تعمل بنوع من الإنسجام مع القوى الوطنية المختلفة حتى لو كانت خارجة على خط الحكومة، ولذلك تراها تقف إلى جوار حزب الوفد وتدافع عنه رغم أنها مملوكة للحكومة التى يعارضها حزب الوفد.

وأما من حيث أن روزاليوسف تقع كثيرا فى بعض ما تهاجمه أو تنتقده فيقول كرم جبر: وهذه أيضا نقطة صحيحة، ولابد أن نراعى أن روزاليوسف ليست مجلة منعزلة عن المجتمع ولا ما يجرى فيه، فهى بنت التجربة السياسية لها ما لها وعليها ما عليها، ولا يمكن أن تظل روزا فى مقاعد المتفرجين فهى تنزل إلى ميدان القضايا العامة وتشتبك معها وتعرضها وتعالجها بأسلوب مثير وجذاب يلفت القارئ لها، فهى تشارك فى الأحداث والحراك السياسى الذى يحدث ومن الجائز فى هذا الإطار أن تقع روزاليوسف فى بعض التجاوزات التى تقع فيها الصحف الخاصة والحزبية التى هى فى النهاية صحف إثارة وترفض روزا كثيرا من أساليبها ومعالجاتها.

ومن الناحية النفسية، فلا يمكن إصدار هذه التوصيفات النفسية دون أن يتم فحص العاملين فى صحف الإثارة بشكل كامل، وقد عرض الباحث نتائج هذا التحقيق على الدكتور خليل فاضل[1]، وكان السؤال هو هل يمكن أن يقوم طبيب نفسى بتوصيف حالة صحفى أو غير صحفى دون أن يفحصه؟

يقول خليل فاضل: كلمة التحليل النفسى تعتمد على اللقاء بين المحلل والمبحوث فى مكان خاص وفى وقت خاص، وأن يكون هذا التحليل مدفوع الأجر حتى يشعر الطبيب

(١) خليل فاضل إستشارى الطب النفسى، وقد إختار الباحث أن يعرض عليه نتائج هذا التحقيق دون غيره، لأنه يكاد يكون المتخصص النفسى الوحيد فى مصر المهتم بالعمل الصحفى ليس كمتابع وقارئ أو مصدر يستقى منه الصحفيون معلومات أو آراء وتحليلات، ولكن لأنه يكاد يكون قريبا من العمل الصحفى من خلال كتابته الدورية فى عدد من الصحف التى تنتمى بعضها إلى صحافة الإثارة، ويعرف أكثر من غيره كيف يتم العمل فى هذه الصحف.

بقيمة ما يقوم به ويشعر المريض أن الأمر يسير فى طريق الجدية، والمحلل يجب أن تكون لديه دراية ودراسة وتدريب وأن يكون نفسه قد تم تحليله من قبل لأنه بالأساس مثل أى شخص عنده شوائب وهو سيسقط من شوائبه على المريض المبحوث، ومن يقول رأيه فى نمط معين من الصحافة فهو لا يقدم تحليلا أو رأيا علميا دقيقا أو رؤية موضوعية خالية من الأغراض، ويمكن أن يكون ما قدم عبارة عن إستنتاجات عابرة وليس توصيفا دقيقا.

إن صحافة الإثارة تعمل فى سياق إجتماعى ونفسى خاص، ولا يمكن تجاهل أن يكون صحفيى الإثارة لهم تركيب نفسى خاص، لكن لا يمكن أن يصل بهم إلى مرحلة المرض النفسى ويمكن أن يرصد الباحث سمات المنتجين لتيار الإثارة النفسية وذلك من خلال عرض نماذج من العاملين فى هذا المجال وعرض تجاربهم على الدكتور خليل فاضل، وهذه السمات هى:

أولا: صحفى الفضائح : لا يختلف الصحفى الذى يحترف نشر الفضائح عن مريض الفصام، فهناك عينة من المرضى فى شمال ويلز يستمتعون جدا بمشاهدة أفلام الرعب، حيث تثير مشاهد الإثارة داخلهم إثارة نفسية بإثارة الموضوع نفسه، وهذا الصحفى تركيبته النفسية تحتاج إلى إثارة حتى ينتشى بصرف النظر عن المكسب الشخصى الذى يمكن أن يحققه من وراء النشر، فقد يكون هذا الصحفى نفسه بليد وخامل وكسلان ويحتاج إلى مثير خارجى كى يتحرك، فكتابته لمادة الفضائح تحقق له هو شخصيا لذة من نوع ما.

ثانيا: حاصد الشهرة : يميل صحفى الإثارة إلى أن يثير ويستثار، فهو يستمتع عندما يرى تفاعل ما يكتبه ويعرضه مع القراء، وتحديدا عندما يثير ما يكتبه ضجة، ويكون هذا الصحفى سعيدا عندما ترفع عليه قضية أو يسمع شتائمه أو يقرأها فى الصحف، لا يغضبه هذا السلوك بل ينتشى به، فبقدر إنزعاجه الواضح والظاهر من الشتائم والقضايا، فإنه يتحقق داخليا، ويحمل بذلك صحفى الإثارة حاصد الشهرة تكوينا عكسيا، فهو

يفعل الشئ وعكسه فى الوقت نفسه دون أن يشعر أنه يقع فى أى تناقض من أى نوع.

ثالثا: الصحفى المتوحد : ويظهر هذا النمط فى صحافة الجريمة تحديدا، والنموذج الواضح لذلك يبدو فى محمود صلاح وهو أشهر وأهم صحفيى الحوادث فى مصر، حيث تجده يكتب حوادث تافهة جدا ولا قيمة لها. لكنه يتوحد معها فيكتبها بحماس شديد بما يجعلها قادرة على جذب القارئ وجعله مهتما بها، لكن هذا التوحد مع الجرائم يخلف وراءه مشاكل نفسية عديدة لصحفيى الإثارة، فإذا انغمس الصحفى وغرق فى تناوله للجريمة سيلوث وجدانه، وسيكون التأثير عميقا على علاقاته بالناس وبأسرته، وإحتمال أن يرى ضعاف النفوس أو الصحفيين الهامشيين فى هذا النمط الناس جميعا من حولهم مجرمين، وإحتمال أن يتحول هو إلى مجرم أو يشعر بالإضطهاد أو ينتابه حالة شك وريبة فى الجميع أو يقسو ويتكلس أو تنزع الحساسية منه فيصبح جلده سميكا بعد تراكم مشاهد الجرائم عليه.

رابعا: الصحفى الإستعراضي : كثيرا ما يكون صحفى الإثارة إستعراضيا ، فهو يحب أن يبدو عارفا بالكواليس التى لا يعرفها أحد وهو يتأكد بذلك أن الجميع سينظرون إليه على أنه يعرف أكثر وعلى ذلك فهو قوى وواصل، وهو ما يدفعه أحيانا عندما لا يجد جديدا لا ينشره أن يفبرك أخبارا ليستمر فى إستعراضه.

خامسا: الصحفى الصادم : وهو نمط من الصحفيين الذين يحبون أن يبدوا أمام القارئ أنهم صادمون يكسرون القيود ويتجاوزن فى كلامهم إلى ما لا يستطيع أن يقوله غيرهم، وتحديدا فى الموضوعات الجنسية، فهناك بعض الألفاظ التى لا يمكن أن يسمعها القارئ إلا فى الشارع، فيجلب الصحفى هذه الألفاظ حتى يبدو صادما فكيف ينشرها وهى تكاد تكون محظورة فى الصحف، فهو موانعه قليلة ورغبته فى أن يصبح أبيحا ومفضوحا وقليل الأدب، وهو فى النهاية يحب أن يشتم أو يلقب بألقاب فاجرة.

سادسا: الصحفى الدونى : ويرتبط ذلك بالتنشئة الإجتماعية للصحفى ونظرته للمرأة

والمجتمع، وهل يشعر بالدونية تجاه الآخرين، أم يرتقى على عامل المصلحة الشخصية، إن التنشئة الإجتماعية تلعب دورا مهما فى صياغة الصحفى بصرف النظر عما يفعله، وهل يعمل فى صحف الإثارة أم يعمل فى الصحف التقليدية، حيث تحدد هل سيكون إنتهازيا أم يكون فى خدمة الاخرين، وهل سيكون إصلاحى يقدم حلولا حقيقية وواقعية لمشاكل المجتمع الذى يعيش فيه أم سيكون تلفيقيا يقدم حلولا وقتية حتى يتخلص من الموقف الذى يحاصر بصرف النظر عما يمكن أن تحدثه هذه الحلول الوقتية فى المجتمع بعد ذلك.

لم تقدم حتى الآن دراسة نفسية لصحافة الإثارة فى مصر، وإن كانت هناك إشارة إلى دراسة سيكولوجية الصحافة الصفراء فى الغرب قدمها نبيل راغب[١] يمكن من خلالها أن نرصد الملامح النفسية لصحافة الإثارة والعاملين فيها وذلك على النحو التالى:

أولا: يغلب على صحافة الإثارة العناصر الإنفعالية، ولا تستجيب هذه العناصر بالطبع للمثل والقيم والتقاليد التى تمثل الجانب الراقى والرفيع داخلنا، ولكنها تستجيب للجانب المعتم القابع فى أعماقنا، وهو البعد النابع من رغباتنا الدفينة وشهواتنا المكبوتة وانفعالاتنا الجامحة وشطحاتنا الفطرية، وتلبى صحافة الإثارة هذه الرغبات بشتى الطرق والوسائل مهما كانت مثيرة للصدمة أو الرفض، فهى تتعامل مع قارئها مثلما يتعامل الطاهى الماهر مع جائع لابد أن ينهال على الوجبة اللذيذة بمجرد أن يضعها النادل أمامه، كما أنها تحرص على أن تكون شهيته مفتوحة دائما للمزيد من هذه الوجبات حتى لو بلغ حد التخمة الكامنة[٢].

---

(١) نبيل راغب، الصحافة الصفراء الجذور والفروع (القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٤)، ص ١٧١ - ٢٢١.

(٢) يمكن أن يفسر ذلك فى ضوء ما تفعله صحافة الإثارة فى مصر، فهى تشوق القارئ ليس بما تنشره له الآن ولكن بما سوف تنشره بعد ذلك، من خلال التنويهات والإشارات لموضوعات وتحقيقات وملفات ساخنة وملتهبة حافلة بالأسرار، حتى يظل القارئ منتظرا صدور الجريدة، رغم أنه من خبرة الباحث فإن هذه الصحف لا تكون فى الغالب لديها ما تنوه عنه، ولذلك فهى تفعل ذلك بشكل مبهم وغامض يحسبها القارئ إمعانا فى الإثارة، رغم أنه بسبب الرغبة فى ربط القارئ بها دائما.

ثانيا: يرجع إقبال القراء على الصحافة الصفراء والصحف المثيرة لتأكيد الأثر الذى يلعبه الجانب الغريزى والإنفعالى فيهم، وتأكيد أيضا على صعوبة الإطمئنان لشطحات النفس البشرية التى هى أبعد ما تكون عن عالم المثال، فالإنسان كما يرى أرسطو حيوان إجتماعى، لكنه فى أوقات كثيرة يصبح حيوانا فقط، بل حيوان أحمر الناب والمخلب، وهو ما يتبدى فى حالات الغضب والكراهية والخوف التى يمر بها الإنسان، وكذلك فى حالات التشفى فى مصائب الآخرين الذين عجز عن الإنتقام منهم.

ثالثا: عندما يقبل القراء على صحف الإثارة فإنهم يجدون فيها متنفسا لغرائزهم وشطحاتهم بل والإنفجارات الكامنة فى أعماقهم المعتمة وكأنهم يمارسون النميمة والثرثرة عن شخصيات وأحداث ومواقف فى المجتمع، وهو ما يجعلهم يبدون فى نظر أنفسهم أفضل من المشاهير المتورطين فى الفضائح أو أكثر إطمئنانا لمصائرهم من مجرمين على وشك القبض عليهم.

رابعا: من أهم عوامل جاذبية صحافة الإثارة أن الإنفعالات والمشاعر والعواطف التى تثيرها والتى ترجع إلى الغرائز البدائية والفطرية الكامنة داخل القراء، هى عملية ممتعة، لأنها تعود إلى شطحات طفولتهم وصباهم الكامنة فى عقلهم الباطن، ويمكن أن تنفس عنها بل وتحررهم منها، دون أن يعانوا من المتاعب أو المصائب التى تمر بها الشخصيات المتورطة فى الحوادث المنشورة التى تبدو فى الصور لقطات تعبر عن مأساتها.

خامسا: الصحافة الصفراء تلعب فى حقيقة الأمر على الوتر المشدود بين الدافع والإستجابة بصرف النظر عن القيمة الإنسانية أو الدلالة الأخلاقية، فكل همها أن يسيل لعاب القارئ لمجرد التلميح له بالأطعمة الشهية واللذيذة التى ستقدمها له الصحيفة.

سادسا: يدرك صناع صحافة الإثارة أن العقل بطبيعته عقل طفولى، ولذلك ففى الجمهور ميل جارف للأحداث أو الحوادث أو المواقف أو المآزق التى تثير العواطف وتخلص القارئ من الرتابة والملل، وتعمل صحف الإثارة على إطلاق عواطف القراء من عقالها وتخدمها، حيث هى قابلة لإعادة صياغتها وتشكيلها لإحداث أكبر قدر من التأثير.

سابعا: تحاول صحف الإثارة أن تبيع نسخها بأقل من سعر التكلفة، حتى يزداد توزيعها ويكون ذلك فرصة لجذب أكبر قدر من الإعلانات، وتندفع صحف الإثارة إلى أفراد وأسر القاعدة الشعبية العريضة الذين يقبلون على المتع البدائية والحسية بل والطفولية أيضا، ولا يشغلون أنفسهم بهموم الفكر والثقافة، وتعدادهم أكبر من تعداد أى طبقة أو قطاع آخر من قطاعات المجتمع، ولذلك يحرص المعلنون على التوجه إليهم بشتى الوسائل المغرية، لأنهم يقبلون على الشراء كنوع من العدوى أو الحمى الجماعية التى تستمد وقودها من الإنفعالات السارية فيما بينهم، لدرجة أنهم قد يشترون مالا يحتاجون إليه لمجرد ممارسة لذة الشراء والتباهى أمام الآخرين.

تظل هذه الملامح أسيرة مقال كتب فى بداية القرن العشرين منسوب إلى وليم أيزاك توماس الأستاذ بجامعة شيكاغو ونشرته مجلة «أمريكان مجازين» فى خمس صفحات فى عددها الخامس والستين، وهو مقال يميل إلى حد كبير إلى الصيغة الوعظية، ولم تكن السمات السابقة إلا مجرد محاولة لإستخلاص سمات صحافة الإثارة من بين الأحكام الأخلاقية والوعظية التى وردت فى المقال.

ولذلك يمكن النظر إلى سيكولوجية الصحافة الصفراء على ضفاف نظريات سيجموند فرويد فى التحليل النفسى، يقول نبيل راغب: تخوض الصحف الصفراء وسط أحراش النفس البشرية الغامضة والمشحونة بالإنفعالات والأحاسيس التى تتجاوز كل حدود الواقع الإجتماعى التقليدى، سواء من منطلقات الموضوعات والقصص الخبرية التى ترصدها وتنشرها وتتوغل داخل أبطالها والأسباب التى أدت إلى مواقفها، أو من منطلق الأوتار المشدودة داخل القراء أنفسهم، وترحيبهم بالوتر المثير الذى يمارسه المراسلون والمحررون والصحفيون عليها.

* ويمكن توضيح ذلك من خلال المثال الآتى:

فصحافة الإثارة تسير فى ركاب نظرية فرويد فى تقسيم العقل البشرى إلى عقل واع

وعقل باطن، فالعقل منظومة متداخلة الأجزاء أو العناصر أو الأقسام، وفرق بينها فرويد لأغراض التحليل النفسى.

كانت الأجزاء التى بلورها فرويد هى «الأنا العليا» و«الأنا» و«الأنا السفلى»...

الأنا العليا.... هى الذات الأخلاقية أو الضمير وقد تتراوح بين الوعى واللاوعى، وفى كلتا الحالتين فإنها تكافئ أو تعاقب الإنسان من خلال أحاسيسه بفعل الصواب وإرتكاب الذنب، وطبقا لمدى إحترامه لتقاليد المجتمع وقوانينه.

الأنا أو الذات....هى الجسر الذى يصل الإنسان بعالمه الخارجى لأن فى إستطاعتها أن تفكر وتتصرف بحكم أنها الذات الواعية.

الأنا السفلى....هى الجزء غير الواعى تماما عن العقل، لكن له من الإحتياجات والرغبات والشطحات ما يفرض نفسه على سلوك صاحبه.

والعقل الباطن أو اللاواعى هو مخزون الأفكار والمشاعروالهواجس والمخاوف والتطلعات والآمال والآلآم التى لا يعرفها أو لا يدركها أو لا يفهمها العقل الواعى، لأنها كامنة فى مستوى عميق أو خفى أو معتم من مستويات العقل، ولا تبرز على السطح إلا إذا تم إستدعاؤها عن طريق تداعى الأفكار أو الخواطر تطبيقا لمبدأ الشئ بالشئ يذكر، أما العقل الواعى فهو الرقيب اليقظ الذى يعمل من خلال الأنا، ويرصد ويحلل ويفسر فى محاولة متجددة ومستمرة لإدراك ما يمر به صاحبه من مواقف وأحداث وتجارب وخبرات، من خلال الحواس الخمس التى تعتبر المنافذ أو البوابات التى تربطه بعالمه الخارجى.

وبهذا التصور فإن الصحافة الصفراء وصحافة الإثارة تتعامل مع الأنا السفلى، تتعامل مع كهف الرغبات والإحتياجات الحسية والغرائز والشهوات الدفينة المعتم والغامض الذى اكتشفه فرويد واخترق فتحته لكل راغب فى معرفة الجانب المظلم من النفس البشرية، وهو الجانب المشترك فى كل البشر، حتى فى هؤلاء الذين يرفعون من شأن الأنا

العليا ويحكمون العقل الواعى اليقظ من خلال الأنا فى تصرفاتهم، وهم فى الغالب نسبة صغيرة إذا ما قورنوا بالذين يسلسون القياد «للأنا السفلى» والذين يمثلون الأغلبية بين قطاعات الجماهير، ولعل هذا ما يفسر قدرة صحف الإثارة على أن تحظى بجمهور من القراء أضخم كثافة وعددا.

* إن هناك عمليات نفسية محددة تقوم بها صحافة الإثارة فى قراءها وهذه العمليات هى:

أولا: عملية التنفيس« تفريغ البالونة» : فالراحة النفسية التى يمارسها القارئ فى الوقت الذى يقضيه مع صحف الإثارة قد تجعل علاقته بها تصل إلى حد الأمان، ولذلك فصحف الإثارة تقدم منافذ عديدة ومتنوعة للتفريج عن الكبت الذى يعانيه القارئ، وقد يكون بعضها مرفوضا بحجج أخلاقية وذرائع تربوية، لكن هناك منافذ تنطلق منها الأفكار الساخرة والرسوم الكاريكاتيرية والموضوعات الفكاهية وروح الدعابة والإعترافات والمذكرات المثيرة وغير ذلك من الأساليب التى تخفف من وطأة القلق والإكتئاب على القارئ، وتحافظ على توازنه وهدوؤه الإنفعالى وتمنحه شعورا بالطمأنينة وتبدد بعض الإحساس بالحصار الناجم عن الصراعات النفسية الداخلية، وتسهل إرضاء بعض الرغبات التى لا يقبلها الوعى بحالتها الطبيعية ولا يمانع فى إشباعها إذا جاءت بشكل مستتر[1].

ثانيا: عملية التقمص : حيث تمد صحف الإثارة قراءها بأساليب التقمص أو التشبه، وهى تعتبر وسيلة هامة لتحقيق الرغبات التى لا يستطيعها القارئ بنفسه، فيقتنع

(١) المقابل الموضوعى لهذه العملية النفسية وهى تفريغ البالونة تمارسه صحافة الإثارة فى مصر، وإذا كانت صحافة الغرب تفعل ذلك بوعى فإن الصحف المصرية تفعله ربما بدون وعى، ففى الوقت الذى تعارض فيه صحافة الإثارة النظام الحاكم فإنها من خلال هجومها عليه ونقده تقوم بما يريد أن يفعله المواطن الغاضب، الذى يمكن أن يتحول غضبه إلى ثورة، لكن بمجرد أن تنشر هذه الصحف ما يريده فإنه يهدأ على الفور وتستقر نفسه، وهو هدف تسعى له السلطة وتحققه لها صحف الإثارة حتى وهى تعارضها.

بتحقيقها فى حياة الآخرين ويستعيرها لنفسه كأنه قام بها، وتتجلى عملية التقمص أو التشبه أو التوحد فى مظاهر المحاكاة سواء فى التفكير أو السلوك وتعلق الفرد بغيره خاصة إذا كان من الأبطال، لكن خطورة هذه العملية تبرز فى حالات القصص الخبرية التى تدور حول الشخصيات الإجرامية التى قد ينبهر القارئ المراهق أو الشاب بجرأتها البالغة وقدرتها الفائقة على تحدى المجتمع بأسره.

ثالثا: عملية التعويض : ويقصد بها محاولة القارئ للتعويض عن شعوره بالنقص، سواء أكان هذا النقص فعليا أم متوهما، وسواء كان جسديا أو نفسيا، وفى القصص الخبرية المثيرة يمارس القارئ عملية التعويض كمحاولة غير واعية للإرتفاع إلى المستوى الذى وضعه لنفسه أو الذى فرض عليه من علاقته بالآخرين.

رابعا: عملية التبرير : حيث يحاول القارئ إعطاء أسباب مبررة لسلوكه بشكل معين، وتهدف إلى إقناع نفسه بصواب مسلكه، وفى القصص الخبرية ما يرى فيه القارئ مبررا لما قد يعانى منه، وتلعب صحافة الإثارة بذلك دورا دفاعيا تهدف من خلاله إلى محافظة القارئ على إحترامه لنفسه وتجنبه الشعور بالإثم، وتمنحه شعورا بأن ما قام به قد جاء على تفكير إرادى منطقى معقول مع أنه كان فى حقيقته إستجابة لدوافع غير واعية.

وتكمن خطورة عملية التبرير فى أنها قد تأتى أحيانا لأعمال غير أخلاقية أو منافية للتقاليد التى ترسخت فى كيان المجتمع، وقصص الحوادث والجرائم حافلة بمثل هذه الأعمال، ويمكن أن تغرى ضعاف النفوس بإتخاذ ما يجرى فيها مبررا لما ارتكبوه أو على وشك إرتكابه خاصة إذا كان مكتوبا ومصاغا بأسلوب براق وجذاب.

خامسا: عملية الإستبدال : حيث تساعد صحف الإثارة قراءها من خلال قصصها الخبرية ومعالجاتها الصحفية بإستبدال أسباب أو شخصيات أو مواقف تمكنهم من استبدال هدف أو غرض أو عاطفة لا يمكن قبولها على حالها بشئ آخر يمكن قبوله، وفى هذه العملية يكون هذا الشئ الجديد أقل ضررا وإيذاء لنفسية القارئ الذى يعانى من

مرض نفسى ناتج عن كبت هذا الصراع النفسى، وتساعد عملية الإستبدال هذه فى التقليل من الشعور بالإحباط والحصار الناجم عن الفشل فى تحقيق هدف معين بتقديم بديل يعطيه بعض الإشباع لحاجاته.

سادسا: عملية الإستعلاء : وهى تساعد القراء على تحويل دوافعهم ورغباتهم غير المقبولة إلى مجالات مقبولة شخصيا وإجتماعيا، ويلجأ إليها معظم الناس بدون توجيه من وعيهم لتحقيق الرغبات الكامنة فيهم والتى لا يمكن تحقيقها بشكل طبيعى ومقبول، وتعتبر الأعمال الأدبية والفنية ومنها القصص الخبرية والموضوعات التى تصوغها صحف الإثارة بأسلوب تصويرى مثير من مظاهر الإعلاء أو التسامى بدوافع النفس الداخلية، وكثيرا ما تدل هذه المظاهر على طبيعة هذه الدوافع.

فبدلا من أن يغرق القارئ بين طيات همومه وإحباطاته وأحاسيسه بالعدم والتشاؤم والضياع والإكتئاب، يجد نفسه منطلقا إلى عوالم أخرى زاخرة بالصور الخيالية المبهرة والأجواء التى تخرجه من دائرة ذاته الضيقة وربما العتمة إلى الغوص فى حياة الآخرين لإستخراج معانيها ودلالاتها.

لا يستطيع الباحث أن يغفل جهود من قاموا بالتحليل النفسى سواء كان هذا التحليل لصحافة الإثارة وما تقوم به، أو للذين ينتجون هذا النمط من المعالجات، لكنه فى الوقت نفسه لا يمكن له أن يسلم بكل ما جاء فيها من نتائج، يعتقد أصحابها أنها حقائق مطلقة رغم أنها ليست كذلك، وذلك لسبب علمى وموضوعى أن الذين فعلوا ذلك كانوا يقفون على ضفة نهر ويصفون على البعد ما يحدث على الضفة الأخرى، ولذلك يمكن أن يثبت الباحث أن ما قيل حتى الآن لا يخرج عن كونه مجرد إشارات أو ملامح نفسية على البعد لظاهرة كانت لا تزال ملتبسة ما بين إنكارها بالكلية أو الإعتراف بها ولكن على إستحياء.

فلا يمكن مثلا أن نصف صحفيى الإثارة بأنهم مرضى نفسيين، وإلا فعلنا الأمر نفسه

مع الصحفيين الذين يعملون فى صحف الحكومة وصحف الأحزاب على السواء، فإذا كان صحفى الإثارة يعمل على إرضاء القارئ العادى، فإن صحفى الحكومة يعمل على إرضاء الحكومة ومن يسيرون فى ركابها، والصحفى الحزبى يعمل على إرضاء مستويات مختلفة ومتباينة من المسئولين الحزبيين، وكل منهم يعمل فى ظروف نفسية عادة ما تجعل لهم تكوينا خاصا يختلف عن بقية المواطنين الذين يعملون فى مهن أخرى.

وهو ما يطمئن إليه الباحث فى هذه المساحة التى لم تحسم بعد، وهى التكوين النفسى لصحفيى الإثارة، فهم يمتلكون تكوينا نفسيا مختلفا، يمكن أن يطلق عليه الأطباء مرضا نفسيا كما فعلوا، أو يطلق عليه المؤيدون للظاهرة إبداعا وكسرا للقواعد وخروجا على المألوف، وهى كلها آراء لا يمكن الإطمئنان إلى موضوعيتها وحيادها العلمى، فهى فى الغالب لا تكون خالية من الغرض، والغرض مرض كما هو راسخ فى تراثنا الشعبى، ، خاصة أن من فتحوا هذا الملف وهو التحليل النفسى لصحفيى الإثارة هم خصومها ومعارضيها والرافضين لكل ما تفعله جملة وتفصيلا.

ولم يكن غريبا أن تفعل الصحف التقليدية ذلك، فهى ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم كله دائمة الهجوم على صحف الإثارة ولذلك أسبابه بالطبع، فقد وجدت نفسها فى حرج بالغ عندما سحبت الصحف المثيرة البساط من تحت قدميها، وجعلت القراء يقبلون عليها، وقد تكون الصحف التقليدية راهنت بما تملكه من تاريخ وتراث عريق بأن هذه الصحف سرعان ما ستختفى، لكنها لم تختفى بل طورت من نفسها واستطاعت أن تظل منافسا قويا للصحف التقليدية، بل وجدت هذه الصحف نفسها متأثرة فى مواطن كثيرة بأساليب هذه الصحف ومحاولة تقليدها ليس على مستوى المضمون فقط ولكن على مستوى الشكل أيضا.

ولا ينطلق هجوم الصحف التقليدية على صحف الإثارة من أرضية مهنية فقط، ولكن من أرضية مجتمعية أيضا، فقد وهبت الصحف التقليدية نفسها للدفاع عن المجتمع بعاداته وتقاليده

وأعرافه ورموزه والسلطات الحاكمة فيه سواء كانت سلطات سياسية أو دينية أو إقتصادية.

ولما كانت صحف الإثارة تعمل على الجانب المناقض لما تقوم به صحف الإثارة، فهى ضد المجتمع بشكله الذى وجدته عليه، تريد أن تعيد تصنيعه وتخليقه من جديد، تقف ضد السلطة بكل أشكالها إن لم يكن لتغييرها فعلى الأقل لتعديل مسارها، فإن لم يكن هذا ولا ذاك فعلى الأقل للإستفادة منها، وهو ما تراه الصحف التقليدية تهديدا مباشرا وواضحا وصريحا لما تؤديه فى المجتمع من أدوار.

ولذلك يمكن أن نعتبر أن هجوم الصحف التقليدية على صحف الإثارة ليس إلا محاولة للدفاع عن النفس فى مواجهة طوفان صحفى يريد أن يقتلع كل شئ من طريقه ليصيغ الحياة من جديد على طريقته الخاصة.

وإذا كان لدى الباحث من توصيف نفسى لصحفيى الإثارة فى مصر فهو أنهم يمتلكون «نفسية التاجر».

إن نفسية التاجر تجعله يسعى دائما إلى المكسب والربح، وليس معنى ذلك أن يبيع بضاعة فاسدة حتى يربح منها أكبر قدر من المكاسب وبسرعة، بل إن العكس هو الذى يمكن أن يحدث تماما حيث يجود التاجر فى بضاعته حتى يقبل عليها الزبون ويثق فيها للدرجة التى تجعله لا يستغنى عنها.

لكن ولأن البضاعة الجيدة فى الغالب لا تكون متوفرة ولابد من بذل جهد مضاعف من أجل توفيرها، فإن التاجر يلجأ إلى حيل عديدة لتزيين بضاعته، فهو يخدع المشترى حتى يحصل على السلعة بصرف النظر عن رد فعله بعد ذلك.

وقد يكون هناك تماثل بين ما يفعله التاجر فى تحسين وجه بضاعته[1] وما يفعله صحفيو الإثارة فى تحسين صفحتهم الأولى التى يطلقون عليها اسم «المراية» أو «فاترينة

---

(١) فى التراث الشعبى المصرى يقال على التاجر الذى يسعى إلى تزيين بضاعته أنه «يوششها» أى يضع أعلاها أجود البضاعة ولا يهتم بأن يكون ما أسفلها جيدا، حيث أن الزبون سيهتم بما يراه أمامه.

العرض»، والدلالات واضحة، فالجريدة تختار أهم الموضوعات الموجودة فى صفحاتها الداخلية لتنشرها فى الصفحة الأولى بعناوين ضخمة وصور ملونة، وقد تحتل هذه العناوين والصور نصف الصفحة الأولى، أو تحتل الصفحة الأولى كاملة فيما يطلق عليه البوستر الصحفى، وكلها أفكار يتم من خلالها إدهاش القارئ وإبهاره حتى يشترى الجريدة.

إن العناوين التى تضعها صحف الإثارة على الصفحة الأولى لا تهدف إلى تعريف القارئ بما تحتويه الصحيفة فقط، ولكن الهدف الأول وربما يكون الوحيد هو أن ينحاز إلى شراء هذه الجريدة نفسها دون سواها، وهى ما يجعل هذه الصحف تقع فى مطبات مهنية من نوعية أنها تمارس المبالغة والتضخيم فى العناوين المعروضة فى الصفحة الأولى بمنحها دلالات ليست فيها، أو يكون الموضوع مجرد خبر صغير لكن تبرزه الصحفية وكأنه تحقيق العدد الرئيسى، ورغم أن هذه العناوين بهذه الصيغة يمكن التعامل معها على أنها مضللة لكنها فى النهاية تؤتى أثرها وأكلها أيضا.

إن هناك نوعين من التجار تنطبق أحوالهم على صحفيى الإثارة أيضا....

الأول : «تاجر الموقف» : وهى التاجر الذى يمتلك محلا فى أحد مواقف السيارات الكثيرة المنتشرة فى مصر، هذا التاجر لا يهتم كثيرا بتجويد بضاعته ولا تحسينها لأنه يعرف مسبقا أن الزبون الذى يتعامل معه ليس ثابتا وقد يشترى منه مرة ولا يشترى منه مرة ثانية فقد لا يمر من أمامه مرة ثانية، ولو تم خداعه فلن يؤثر على تجارته لأن هناك زبون آخر ستتم عملية خداعه بنفس الطريقة مرة أخرى.

زبون تاجر الموقف يقابه فى صحف الإثارة ما يطلق عليه القارئ العائم، فهو لا ينتمى إلى صحيفة معينة، وفى فلسفة صحف الإثارة يطلق على هذا القارئ أنه **«القارئ أبو جنيه»** والمقصود به ذاك القارئ الذى يمتلك ثمن جريدة واحدة يشتريها، وهو هنا لا يريد جريدة بعينها، فالجريدة التى تعجبه عناوينها هى التى سيشتريها فى هذا العدد، وبذلك

يدور هذا القارئ على الصحف كلها دون أن يستقر على جريدة واحدة، وهو القارئ الذى يمكن أن يتم خداعه كل عدد، ولا يهتم هو كثيرا بذلك طالما أنه يخدع كل مرة من جريدة مختلفة.

الثانى : «تاجر الميدان» : وهو التاجر الذى يمتلك محلا فى ميدان معروف لديه زبائن يترددون عليه دائما، وإذا وجدوا أن الخدمة التى يقدمها هذا التاجر أصبحت أقل جودة أو أنها رديئة فإنهم لا يترددون لحظة فى أن يتركوه إلى محل آخر، وهكذا التاجر الصحفى الذى يريد أن يحتفظ بقراءه فهو يحاول أن تظل الخدمة الصحفية التى يقدمها متميزة حتى لا ينصرف القراء عنه إلى صحيفة أخرى.

هذا التقارب بين صحفى الإثارة والتاجر من حيث التكوين النفسى الذى يسعى إلى الربح لا يصل فى النهاية إلى درجة التطابق، فالتاجر قد لا يهتم بصورته العامة طالما أن ما يملكه من بضاعة يتم تصريفه فى الوقت الذى يحدده ويريده، لكن صحفى الإثارة يحاول أن يبدو رغم النمط الصحفى الذى يقدمه، أنه صحفى أخلاقى يحافظ على عادات المجتمع وتقاليده، وهى إزدواجية يعانى منها صحفيو الإثارة، فهم يقدمون مادة الإثارة لكنهم لا يدافعون عنها علنا، معتبرين أن ذلك يمكن أن يسيئ إليهم وإلى صورتهم فى المجتمع الذى يعيشون فيه.

ويحرص صحفيو الإثارة على التأكيد على أنهم يلتزمون بالموضوعية ويبعدون عن التهويل والتضخيم والأحكام المفتعلة، ورغم أن الممارسة الفعلية قد تكشف خلاف ذلك على طول الخط إلا أن الحرص على الإعلان عن إلتزام صحفيى الإثارة بالموضوعية والصدق والدقة يأتى فى الغالب من قبيل تملق هؤلاء الصحفيين للجمهور ومحاولة كسب ثقته وضمان إقتناعه بما يروج له من مضامين إنطلاقا من القاعدة التى ترى أن الجمهور سوف ينصرف عن المضامين التى يشعر أنها لا تعبر عن الحقيقة والواقع[1].

(١) محمد حسام الدين، المسئولية الإجتماعية للصحافة (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣) ص٢٣.

إن هناك سمات عامة تجمع بين صحفيي الإثارة سواء فى مصر أو الغرب، وهى سمات لا تخرج عن الطموح وحب المغامرة والرغبة فى النجاح بها وراءه من شهرة ومكاسب مادية ومعنوية عديدة، تتفاوت هذه السمات طبقا للظرف المجتمعى الذى تصدر فيه صحف الإثارة، لكن ما لا يختلف بين هولاء الصناع لهذا النمط من الصحافة أن ولاءهم للمهنة والعمل الذى يؤدونه ويقومون به، بعكس أنماط الصحفيين الآخرين الذين ينصرف ولاءهم إلى من يقفون وراء إصدار صحفهم سواء كانوا صحفيين حكوميين أو صحفيين حزبيين.

ورغم أن الباحث يرصد عن قرب أن ولاء صحفيى الإثارة لمهنتهم فى مصر أصبح مشوها تحيط به الشبهات من كل مكان، حيث وضعوا مهنتهم وقدرتهم على التأثير فى خدمة أصحاب المصالح من رجال الأعمال ورموز الرأسمالية الجديدة التى لم يشهد المجتمع المصرى حتى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين خيرها بقدر من شهد شرها ودمارها وتخريبها للمجتمع، إن صحفى الإثارة عندما ينتمى إلى المهنة يستطيع أن يكسب، لكنه عندما يضع ولاءه فى خدمة أصحاب المصالح يكسب أكثر، وفى الغالب ينحاز إلى الاختيار الثانى، وقد يكون هذا هو السبب الرئيسى للحالة المشوهة التى تبدو عليها صحافة الإثارة، فقد باعت نفسها لشيطان رأس المال، ولا يشار إليها فى أغلب الأحيان بأنها صحافة فضائح أو جنس بقدر ما يشار إليها على أنها صحافة إبتزاز وبيزنس.

■ ■ ■

إن فهم التكوين النفسى لصحفيى الإثارة فى مصر لا يمكن أن يتم بمعزل عن معرفة الملامح الإجتماعية والنفسية لرموز مدرسة الإثارة الصحفية فى مصر عبر تاريخ هذه الصحافة، ولا يقدم الباحث فى هذا السياق ترجمة كاملة لهؤلاء الصحفيين، لكنه فقط يحاول أن يقدم إستقراء بسيط لملامحهم المهنية والثقافية والنفسية والتى تشكل فى النهاية محاولة لفهم مسلكهم وإختيارهم هذا النمط الصحفى دون غيره.

وقد استند الباحث فى إختياره لهؤلاء الصحفيين دون غيرهم لأنه ارتبطت بأسماءهم نقلات نوعية ومهنية فى مسيرة الصحافة المصرية، وارتبطت هذه النقلات فى نهاية الأمر بما أطلق عليه صحافة الإثارة أو الرغبة فى التوزيع الكبير حتى لو لم يتحقق لهم ذلك بسبب الظروف المجتمعية التى مرت بها الصحافة المصرية.

وهؤلاء الصحفيون هم:

أولا: محمد التابعى :

شهد العام ١٩٢١ أول إنطلاقة صحفية لمحمد التابعى الذى يقول عن ذلك[1]: إبان المظاهرات الوطنية التى قامت فى ذلك العام نشرت جريدة «إجيبشيان ميل» مقالا هاجمت فيه أسلوب الشباب المتحمس فكتبت مقالا بالإنجليزية وأرسلته إلى الجريدة والغريب أنها نشرته فى مكان بارز وعلقت عليه.

بعد نشر المقال صار التابعى صديقا لرئيس تحرير «الإجيبشيان ميل» السيد أوفارول وعلى هامش هذه الصداقة كتب أول مقال له باللغة العربية، كان أوفارول قد دعاه إلى مشاهدة مسرحية غادة الكاميليا فى مسرح رمسيس ، وطلب منه كتابة نقد لهذه المسرحية، فانتقد التابعى جميع الممثلين، ولكن النقد الذى كتبه التابعى لم يعجب جريدة «النظام» التى كان يصدرها السيد على فهاجمت مقال التابعى الذى كتبه بالإنجليزية، فكتب التابعى مقالا باللغة العربية ردا على ما كتبه سيد على.

---

(١) خالد عزب، روزاليوسف ٨٠ سنة صحافة (مكتبة الأسكندرية، ٢٠٠٦) ص ١٦٠.

وفى العام ١٩٢٢ قام التابعى بترجمة مذكرات اللورد سيسل المستشار المالى للحكومة المصرية، وصدرت فى كتاب وهو يعتبر أول كتاب يصدره التابعى، وفى المذكرات هاجم سيسل جميع المصريين من وزراء وأعيان وموظفين وتناولهم بالسخرية والتنديد والتشهير أيضا، ولم يقدم التابعى على ترجمة هذه المذكرات إلا من أجل أن يكشف فساد الإنجليز وتلاعبهم واحتقارهم الشديد للمصريين[1].

لم يكن التابعى حتى هذا الوقت مرتبطا بالعمل الصحفى لا من باب الإحتراف ولا حتى من باب الهواية، فقد كان كاتبا من الخارج فقط يعمل فى مجلس النواب، وقد حدث التحول فى حياته فى العام ١٩٢٥ تقول عن ذلك روزاليوسف[2]: كان التابعى فى ذلك الوقت فى مجلس النواب، ويكتب النقد الفنى لجريدة الأهرام، وعلمت أنه فى الأسكندرية، وكان الوقت صيفا، فاتصلت به تليفونيا ادعوه للحضور للإشتراك فى تحرير مجلة روزاليوسف، ولم يصدق التابعى وأخذ يحاورنى ويظننى اسخر منه أو أدبر له مقلبا، ولكنه لم يجد فى آخر الأمر بدا من أن يحضر إلى القاهرة ويشهد بعينيه.

لكن أين نجد جذور الإثارة لدى التابعى يقول هو: طبعنا من العدد الأول ثلاثة آلاف نسخة بيعت كلها فى بضعة ساعات وشجعنا ذلك على زيادة عدد النسخ، ومن ثم طبعنا من العدد الثانى أربعة آلاف نسخة، ولكن بيع منها ٥٠٠ نسخة فقط، والباقى أى ٣٥٠٠ نسخة أعيدت إلينا «مرجوع»، ذلك لأن الجمهور كان ينتظر من مجلة تحمل اسم ممثلته المحبوبة المشهورة أن تكون مجلة خفيفة الظل، ولكن العدد الأول من المجلة كان مملوءا بمقالات فى الأدب، أى أنها كانت مجلة لا تهضمها معدة القراء فى تلك الأيام[3].

هنا يتحدث التابعى عن القراء وما يريدونه ويفسر بطريقة غير مباشرة عدم إقبال

(١) مدحت البسيونى، صحفيون خلف القضبان، ج ١ (القاهرة، ١٩٩٠) ص ٧٧.
(٢) صبرى أبو المجد، محمد التابعى (القاهرة، دار التعاون، ١٩٨٦) ص ١٧٨.
(٣) صبرى أبو المجد، مرجع سابق، ص ١٩٤.

الجمهور على المجلة لأنها لم تقدم له ما تريده أو على الأقل ما ينتظره منها، ولذلك كان التابعي دائم السخرية من المضمون الذى تقدمه المجلة وعن ذلك تقول روزا: التابعي لا يكف عن السخرية من الأدب العالمى الذى تقدمه المجلة والتذكير بأرقام التوزيع الهابط، ومع كل صباح يحمل إلى البريد خطابات من القراء ملئية بالإحتجاجات على مقالات الفن المجرد مطالبة بأن تصبح روزاليوسف كغيرها من المجلات التى تدخل الكواليس وتنقب عن الأسرار الشخصية وتذيع الفضائح الفنية.

كانت صحافة الإثارة هنا رغبة من القراء الذين عبروا عما يريدونه من المجلة، ولذلك فكرت روزاليوسف أن تحدث تغييرا فى المجلة من أجل تنشيط التوزيع وينزل إلى مطالب الناس لكنها أرادت أن تفعل ذلك دون إبتذال وأخذت روزا عدة إجراءات فى هذا الإطار كالتالى:

أولا: خفضت سعر المجلة من عشرة مليمات إلى خمسة مليمات فقط لتشجيع القراء على شراءها، فهى بذلك ستكون أقل سعرا من المجلات الأخرى المنافسة.

ثانيا: بدأت المجلة تنشر صورا للممثلين والممثلات وبدأت الأبواب الخفيفة تظهر هنا وهناك وفى مقدمتها باب كان يكتبه التابعي نفسه بعنوان«طورلى».

رغم ذلك أصرت روزاليوسف على أن تحتفظ مجلتها بكبرياءها فلا تعرض بالتجريح لأحد ولا تنال بالشتائم من مخلوق.

وتقول روزاليوسف: كان الأستاذ التابعي يخالفنى حيث كان يريد أن يطلق لقلمه الساخر العنان فيدمى ويصيب حتى أنه كتب كلمة فى باب «طورلى» عن هذا الخلاف بعنوان صاحبة الجلالة وصاحب الطورلى قال فيه:

خصصنا هذه الصفحة كما أعلنا فى رأسها للحديث عن العظماء والصعاليك وسوف اتكلم اليوم عن صاحبة المجلة وعن نفسى، وللقارئ أن يسمينا عظماء أو صعاليك كما يشاء، تأمرنى بأن أكتب وأن املأ صفحة بشرط ألا أعرض بأحد أو أسب أو أقدح أو

أتملق أو انتقد ثم تقول لى: وفيما عدا ذلك فأمامك الميدان فسيح لتكتب ما تشاء.

اكتب ما أشاء وماذا أبقت لى لأكتب عنه؟تقوم بيننا المناقشة وهى دائما حادة تبدأ من القرار وترتفع إلى جوانب السيكا، فإذا طالت المناقشة ورأت هى إقفالها عمدت إلى طريقتها الخاصة فى الإقناع وهى أن تنظر بعين إلى أكبر وأضخم قاموس على المكتب ثم تنظر وهى تحرك يدها بحركة عصبية فإذا لم تصلح هذه الطريقة فى الإقناع عمدت إلى النشافة أو الدواية أو أى شئ آخر ما قد يكون قريبا إليها....وهكذا تنتهى المناقشة دائما بإنتصارها وانهزامى ثم أكتب.

كان محمد التابعى يريد نمطا مختلفا من الصحافة إذن لم تكن ترتح له روزا اليوسف، ويمكن للباحث أن يرى أن فى النمط الذى كان يسعى التابعى خلفه هو إرهاصات صحافة الإثارة الحقيقية فى مصر، وهو الصحافة التى تصنع بوعى وتلبى إحتياجات جمهور ما إلى مضمون ما دون النظر إلى آثار وعواقب نشر هذا المضمون، وكان لابد أن يفرض التابعى وجهة نظره، لأن المجلة كانت قد تعرضت للإنهيار ولم يمكن أمام صناعها إلا طريقا من إثنين إما إغلاقها أو زيادة توزيعها وهو الأمر الذى تصدى له التابعى.

هبط توزيع روزاليوسف إلى مائتى نسخة فقط، ولم يكن بمقدور القائمين عليها أن يستمروا على هذا الحال خصوصا وأن السيدة روزاليوسف كانت قد تركت فرقة رمسيس حيث كانت تتناول أعلى مرتب كان يتناوله ممثل أو ممثلة فى تلك الأيام وهو ستون جنيها.

وذات مساء سمع التابعى باعة الصحف فى شارع عماد الدين وهم ينادون بالصوت العالى«روزاليوسف بنكلة»..أى بمليمين فقط، فرغم أن صاحبة المجلة خفضت سعرها لكنها لم تنجح فى جذب الجمهور إليها، سأل التابعى المسئول عن الإدارة: لماذا تباع المجلة بمليمين اثنين؟فقال له أنه اضطر لبيع المرتجع بصفة ورق دشت أى أنه باعه بالأقة، لأنه كان فى أشد الحاجة إلى مال يشترى به ورقا للطبع ولدفع أجرة الطبع وحفر الإكليشيهات، أما التحرير فقد كان مجانا.

يقول التابعى[1]: بعد أن سافرت روزاليوسف إلى باريس غيرت وبدلت كثيرا فى أبواب المجلة ومن ذلك أننى منعت نشر المقالات الأدبية الرئيسية التى لا تهضمها معدة القارئ، وبدأت أنشر مقالات فى النقد المسرحى فى مجلة روزاليوسف بعد أن كنت أنشرها فى الأهرام، وكانت المجلة تنشر صورا لقدامى الرسامين مثل «تسيان ننسى» و«ليونارد دافنشى» على غلافها، ورحت أنشر صور الممثلات والممثلين المصريين وارتفع توزيع المجلة إلى أربعة آلاف نسخة فى الأسبوع وبدون «مرجوع» وهنا غطى بيع المجلة كافة مصاريفها من ثمن ورق وطبع وحفر كليشيهات.

ملامح تجربة التابعى فى روزاليوسف يزيدها إيضاحا إبراهيم خليل[2] يقول: عندما خلعنا ثوب الأدب عن روزاليوسف وأخرجناها فى ثوبها الحالى كانت التجربة خطرة لأنها لو فشلت لأسدلنا الستار على كل شئ، وهذا التغيير كان يستلزم من الأستاذ التابعى مجهودا كبيرا فوق عمله الحكومى فى مجلس النواب، فقد كان لزاما عليه ما دام قد ألغى الأدب والشعر والحكمة أن يبحث عن أبواب جديدة تكون محببة للجمهور أو تحاكى على الأقل ما ينشر فى مجلة «كل شئ» التى اكتسحت السوق بمقالاتها الخفيفة وصورها الرائعة.

وفى مرة عثر التابعى على كتاب أجنبى عن بعض الحوادث التاريخية مزينا بالصور المتعلقة بهذه الحوادث، وكانت مجلة كل شئ توالى نشر حادثة كل أسبوع وفى أول صفحة من المجلة، ونشر التابعى واحدة من تلك الحوادث التاريخية فى روزاليوسف كانت خاصة بنابليون وهو يودع زوجته جوزفين، وظهرت روزاليوسف فى السوق فى يوم الثلاثاء، ونشرت مجلة «كل شئ»هذا الموضوع بالذات بعد أربعة أيام وعلى الغلاف الذى لم يكن

(١) صبرى أبو المجد، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٢) كان إبراهيم خليل هو الشريك الثالث للتابعى وروزاليوسف فى إصدار المجلة وكان يضع اسمه مسئولا عن التحرير لظروف عمل التابعى فى مجلس النواب، وكان إبراهيم يعمل قبل روزا فى جريدة البلاغ ويصاهر صاحبها عبد القادر حمزة.

فى مقدروها إعدامه، ومن بعدها ألغت نشر هذا الباب وبقى لروزاليوسف وحدها، وضاعف التابعى من إتصالاته بالوسط المسرحى ونشر أخبار الممثلين والممثلات بأسلوبه الفكه مثل المجلات الأخرى التى كانت تزامل روزاليوسف فى المضمار.

كانت النقلة الأهم التى وقعت على يد التابعى هى تحويل المجلة إلى مجلة سياسية، فرغم أن التابعى لم يكن يميل إلى الكتابة السياسية، وكان يثور لمجرد أن تطلب منه روزاليوسف الكتابة فى السياسة أو ما حولها، كانت روزا تسهل له الأمر وتقول له أن الفرق بين كتابة أخبار السياسة وأخبار الفن بسيط، وهو فقط بدلا من الكتابة عن يوسف وهبى تكتب عن زيور باشا، كانت هذه البساطة فى الشرح تثير أعصاب التابعى.

لكن التابعى فى النهاية بدأ يكتب فى السياسة وخصص لذلك بابا هو «مسرح السياسة» وكانت كل أخباره مأخوذة من الصحف ولكنه كان يعلق عليها بأسلوبه المتميز، اتبع التابعى فى كتابة هذه الأخبار والتعليق عليها نفس الأسلوب الخفيف الذى كان يكتب به أخبار الفن وصفحة «طورلى»، وبالفعل وجدت قراء لها، وصار هذا الباب محببا إلى نفسه وخاصة بعد أن بدأ ينشر فيه أخبارا سياسية من مجلس النواب الذى يعمل فيه، أى أنها كانت أخبار خاصة بالمجلة لم تنشر فى الصحف الأخرى.

وضع محمد التابعى من خلال هذه الأفكار اللبنات الأولى فى صرح صحافة الإثارة المصرية ومن بينها أن تكون الصحافة متنوعة وأن تنزل على رغبات القراء وتلبيها لهم، وأن تحتفظ بالسبق فى الأخبار حتى لو أفسدت سبق الصحف الأخرى.

لم يكن النجاح الذى حققه محمد التابعى فى روزاليوسف مغريا له بالبقاء، فقد حاول أكثر من مرة أن يصدر مجلة خاصة به [1] كانت أولىٰ محاولاته فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ عندما قدم طلبا بالترخيص له بإصدار مجلة أسبوعية أدبية مصورة تحت اسم «النهارده»، لكن طلبه قوبل بالرفض، ثم عاد مرة ثانية فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٩ وقدم طلبا للترخيص لمجلة

(١) خالد عزب، مرجع سابق، ص ١٧٣.

اسمها «أنا وأنت» مجلة أسبوعية سياسية ، وبعد أن تم منحه الترخيص فى ١٣ يناير ١٩٣٠ تقرر إلغاؤه فى ١٨ سبتمبر ١٩٣٠.

وفى ١٩ فبراير ١٩٣٤ طلب محمد التابعى إصدار جريدة أسبوعية سياسية مصورة باسم الرئيس، وبالفعل نجح فى الحصول على الترخيص ، ثم طلب من وزير الداخلية تغيير اسمها إلى مجلة آخر ساعة المصورة.

كان واضحا فى إختيار التابعى لأسماء الصحف التى يريد أن يصدرها أنه يريد جذب القراء إليها، ويبدو أنه كان قد أدرك أسباب نجاح الصحف فأراد أن يجرب النجاح لنفسه وحده.

صدر العدد الأول من آخر ساعة فى ١٤ يوليو ١٩٣٤ وقد اختار التابعى هذا اليوم لأنه كان يوم عيد الحرية والثورة الفرنسية التى قامت فى ١٤ يوليو ١٧٨٩، وكانت آخر ساعة تكتب عناوين المقالات بخط الثلث أو النسخ وعناوين الأخبار الصغيرة بالخط الرقعة، وكان فى ذلك تجديدا من نوع ما لجذب القارئ.

لم يكن التابعى يتوقف عن التجديد وبعد أن قطع شوطا هائلا بآخر ساعة شعر أن المجلة تحتاج إلى إعادة نظر، وفى شهر فبراير ١٩٤٥ صدرت آخر ساعة فى عهدها الجديد[1] كانت تصدر فى الحجم الصغير فأصبحت تصدر فى الحجم النصفى (نصف حجم الجريدة اليومية)، وكانت تطبع على مطابع صغيرة فأصبحت تطبع على مطابع المصرى السريعة، كانت مقالاتها تكتب قبل ظهور الجريدة بأسبوع أو أربعة أيام، فأصبحت تكتب قبل صدورها بساعات، وكانت لا تهتم بالبرقيات الخارجية فعينت لها المراسلين والمندوبين فى أنحاء العالم.

كان التابعى يكتب مقالا واحدا فى العدد، فأصبح يعيد كتابة كل العدد، وكان نشاط التابعى فى تلك الفترة يثير إعجاب الجميع، لقد سبقت هذه الحركة فى آخر ساعة ثورة

---

(١) مى شاهين، شارع الصحافة (القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٧٨) ص ٨١.

نشاط فى التابعى نفسه، لقد سافر إلى أوربا وقام برحلة صحفية، كان يرسل التحقيقات الصحفية إلى أخبار اليوم وإلى المصور، وكان يكتب لمجلة آخر ساعة ويسجل نصرا صحفيا فى كل بلد ومن كل عاصمة.

عندما بدأت آخر ساعة عهدها الجديد شعر الجميع بمولد قوة صحفية هائلة ولكن لم تمض أسابيع على صدور آخر ساعة حتى شعر التابعى بضعف فى قواه، مصحوب بهبوط فى الحرارة مع زيادة فى سرعة النبض، ومع ذلك استمر فى مواصلة عمله فى آخر ساعة، ثم ساءت حالته الصحية ووجد الأطباء أنه يشكو من إلتهاب فى المرارة، كما أن ضغط الدم ارتفع بسبب إجهاده فى العمل وأشار الأطباء عليه بالإقلال من العمل.

استطاع التابعى أن يرفع توزيع آخر ساعة من عشرة آلاف نسخة فى الأسبوع إلى أكثر من أربعين ألف نسخة، لكنه لم يستطع أن يكمل طريقه حيث طلب فى ٣٠ مارس ١٩٤٦ من كامل الشناوى أن يزوره فى منزله، وعندما زاره أبلغه بأمر مرضه المفاجئ وأنه على استعداد أن يسلم دار «أخبار اليوم» مجلة «آخر ساعة» لتديرها.

وفى تجربة التابعى فى الصحافة وجهتى نظرى يعرضهما الباحث كالآتى:

وجهة النظر الأولى: يقدمها محمد حسنين هيكل[1] حيث يرى أنه يقال عن رجل أنه صاحب مدرسة فى علمه أو فنه إذا وصل تأثيره فى مجاله إلى درجة يختلف بها ما بعده عما قبله، بمعنى أنه إذا حذف دوره من المجرى العام للتطور انقطع الخط على فجوة واسعة، وذلك نموذجى فى حالة التابعى، فقد اختلف مجال الكتابة الصحفية بعده عما كان قبله، وفى هذا الإختلاف بين السابق واللاحق يتبدى حجم تأثيره، مثله فى ذلك مثل غيره من مستواه فى مسيرة أى علم أو فن.

ويوضح هيكل وجهة نظره يقول: وليس المقصود أن الكتابة الصحفية قبل التابعى

(١) فى تقديم محمد حسنين هيكل لكتاب من أسرار الساسة والسياسة لمحمد التابعى الذى أعادت دار الشروق نشره فى ٢٠٠٨، ص ص ٧ - ١١.

كانت أقل وزنا أو أدنى قيمة، فذلك بعيد عن القصد لأنه كان هناك قبل وغير التابعى كتاب لهم شأن ومقام، لكن التابعى أضاف شئيا آخر إذ صاغ أسلوبا مختلفا فى التناول الصحفى وهذا الإختلاف الذى أحدثه التابعى هو نعومة الكلمة وإنسياب الكلام.

وهناك إضافتان تحسبان للتابعى يمكن أن تتم نسبتها إليه - كما يرى هيكل - فى هذا السياق:

الإضافة الأولى فى اللفظ : فاللفظ الصحفى فى عرض خبر أو قصة إخبارية لابد له أن يكون رفيقا رقيقا مع قارئ لا يجلس على مقاعد الدرس والتحصيل يستعد لإمتحان آخر السنة وإنما هو قارئ يمسك الجريدة وسط مشاغله، وهدفه أن يعرف ما يريده فيما يجرى حوله ليزيد إطلاعه على ما يهمه ويعنيه بينما هو يمارس حياة كل يوم، إذ هو ليس طالبا فى نظام تعليمى مع منهج مقرر ومفروض وإنما قارئ يختار لنفسه وبرغبته وشهيته، ولذلك فإن الألفاظ كانت تبدو على نحو ما فى حالة عشق مع قلم محمد التابعى، فما إن يضع سن القلم على صفحة الورق حتى تذوب المعانى والصور لينة على السطور.

والإضافة الثانية فى السياق : فأى قارئ للتابعى سوف تنكشف له قاعدة كان يكررها كثيرا وهى أن القصة فى التفاصيل، حيث أن لوازم أى قصة أن تستوفى حقها بزيادة البحث فى وقائعها، وبالإقتراب أكثر من ناسها وأهلها والإهتمام بدوافعهم ومشاعرهم، وتلك ترجمة صحفية للقول المأثور بأن كل قصة فى دنيا الأدب هى فى المحصلة النهائية حكاية رجل وإمرأة، وربما دخول طرف ثالث بينهما أى إمرأة أخرى أو رجل آخر، لكن الفارق بين قصة وأخرى فى الأدب وفى الصحافة أيضا هو التفاصيل ونبضها بالحياة وبالإنسانية وتدفقها مع الرواية الواصلة بالتحقيق إلى أدق التفاصيل.

وجهة النظر الثانية يتبناها أنور الجندى عبر كتابيه[1] يقول: لا ريب أن محمد التابعى هو رأس هذه المدرسة الروزيوسفية التى خرجت مصطفى أمين وإحسان عبد القدوس

(١) الصحافة والأقلام المسمومة، وشخصيات اختلف فيها الرأى.

وهيكل وأنه هو الذى وضع الأسس لصحافة ساخرة خليعة تعتمد على الإثارة والجنس وتعقب الناس ومعرفة أسرار البيوت وكشف العورات[1].

وحتى يؤكد أنور الجندى أن النمط الذى سلكه التابعى فى الصحافة لم ينفصل عن حياته التى عاشها فقد أورد نماذج من حياته منها:

- ينقل عن التابعى ما قاله من أنه إعتاد أن يمضى كل سنة ستة أو سبعة شهور أو ثمانية خارج مصر بين باريس والريفيرا وسان موريتز، وأنه شبع من كل مفاتن الحياة ولم يعد هناك جديد يستهويه ، ويقول التابعى: كنت آخذ معى إلى الكباريهات على ومصطفى أمين الذى كان يأتى مرغما لأنه ليس له مزاج فى شيء من الحياة إلا الجرى وراء الأخبار والأحاديث وكان الناس يطلقون عليهم الحزب الخاص للتابعى.

- وينقل عن التابعى ما كتبه فى مقال منشور فى جريدة أخبار اليوم فى ٢١ إبريل ١٩٥٦ يقول فيه: على الشاطئ الرملى البدائى الساذج خطرت الغزلان..الغوانى والغانيات يرتدين ثياب الإستحمام وأحدث أزياء الصيف التى كن اشترينها من دورفيل ونيس وكان وروما وباريس، وكانت لى عشة صغيرة على شاطئ البحر مباشرة وكانت أشبه بدار ضيافة للأصدقاء ، فقد كنت أرجوهم أن يقيموا معى ويؤنسوا وحدتى(أم كلثوم وتوفيق الحكيم والصاوى وحفنى محمود ونجيب الريحانى وسليمان نجيب وفكرى أباظة ومحمد عبد الوهاب وسعيد عبده) وقد رووا قصصا مثيرة أو قصصا غامضة، وكلهم يؤكد أن قصته حقيقية وأن حوادثها وقعت وأبطالها عاشوا.

- ويستشهد الجندى بما كتبه حافظ محمود عن التابعى قال عنه: بدأ محمد التابعى من المسرح وجو المغنيات والممثلات ثم جاءت السياسة فأداها بنفس مفهوم السخرية والبحث عن وراء حجرات النوم، وفى مجلة روزاليوسف استعار أسلوب النقد المسرحى وحوله إلى نقد سياسى وأنشأ بأسلوبه مدرسة من ناشئة الصحافة وكبر تلاميذه وتفوقوا عليه.

---

(١) أنور الجندى، الصحافة والأقلام المسمومة (القاهرة، دار الإعتصام) ص ٨٩.

- ويسجل أنور الجندى رؤية محمد التابعى لنشر الصور العارية فى الصحف يقول التابعى: كان بعض أصحاب الفضيلة من رجال الدين قد أثار فى وقت ما ضجة حول الصور العارية التى تنشرها الصحف والمجلات، ولم يقل لنا أحد يومئذ هل الإعتراض مقصور على الصور العارية لكواكب السينما الأجنبيات ومن فى حكمهن والصور العارية لنساء وفتيات غير معروفات بالإسم واللقب والصور العارية المرسومة من الخيال أم بعض صور سيدات وآنسات المجتمع المصرى كما يظهرن فى الحفلات والمآدب والليالى الساهرة التى تقام فى أندية عامة أو فى بعض الفنادق، ثم ما هو المقصود تماما وعلى وجه التحديد من كلمة الصور العارية، هل يكفى مثلا أن تكون الصورة لسيدة قد عرت ظهرها وصدرها ونحرها نزولا على أحكام آخر موضة جاءتنا من باريس أو روما أو لندن، إن الأجساد العارية فى الأفلام وإعلانات الجدران خاضعة لرقابة الأفلام ولكن لأى رقابة تخضع الأجساد العارية فى حفلات مواسم الأوبرا.

ويرصد الجندى فى كتابه شخصيات اختلف فيها الرأى[1] أثرين للتابعى فى الصحافة المصرية:

الأثر الأول: أنه قدم الصحافة التى تنشر فاحش القول وسقطه وتغالى فى الأقذاع فى الناس والبحث وراء أسرارهم فى تعرض وتلميح، ويغمس أصحابها أقلامهم فى السموم القاتلة والتصاوير الخلاعية التى كان لها أسوء الأثر فى قرائها الشباب المراهقين، وكان التابعى حريصا على فضح أسرار البيوت وكشف خفاياها وأعراضها لحساب الخصومة الحزبية.

الأثر الثانى: موقفه فى التحريض على الدعاة فى سبيل الله ورجال الدعوة الإسلامية كراهية فى تطبيق الشريعة الإسلامية وعملا على تدمير القوى المؤمنة التى تحمل لواء الدعوة إلى تحرير الحياة الفكرية والإجتماعية من التحريض على الفساد والشهوات

(١) أنور الجندى، شخصيات أختلف فيها الرأى (القاهرة، دار الأنصار) ص ٨٥.

والصور العارية والقصص الماجنة.

من بين هاتين الرؤيتين تحديدا يظهر الفارق فى النظرة لصحافة الإثارة، فوجهة نظر محمد حسين هيكل مبنية على أساس مهنى بحت، رأى عن قرب التطور المهنى الذى أحدثه التابعى، وهو تطوير فى اللفظ المستخدم والأسلوب المتبع فى الكتابة الصحفية بما يوفر سهولة ويسر القراءة لجذب المزيد من القراء، لكن رؤية أنور الجندى مبنية على أساس أخلاقى بحت، مختلط بإيدلوجية إسلامية غارقة فى التطرف، وأصحاب هذه الإيدلوجية لا يتعاملون مع الصحافة بشفافية حيث يتدخلون فى مسارها، بالتحليل والتحريم وجعل ممارساتها طالما أنها لا تتفق مع توجهاتهم ولا تخدم أهدافهم حرام مطلق.

لقد كان هيكل منصفا وهو يتحدث فقد قام بتوصيف أداء التابعى المهنى، لكن أنور الجندى ذهب إلى تقييم أداء التابعى الشخصى والأخلاقى حتى يطعن فيه ويشوه صورته ويجعل منه مسخا مشوها ينشر الرذيلة ويحرض على الفسق، وهو معيار فاسد فى الحكم، فحتى لو كان الصحفى يعيش حياته بشكل مفتوح ومتحرر فليس معنى ذلك أن النمط الصحفى الذى يقدمه فاسد.

لقد ساهم التابعى فى وضع قواعد صحافة الإثارة، لكن لا يمكن أن يعتبره الباحث صاحب مدرسة متكاملة فى صحافة الإثارة ولا يختلف الباحث بذلك مع هيكل الذى يرى التابعى مدرسة صحفية، فهو يمثل مدرسة فى الصياغة والكتابة الصحفية، لكنه ليس كذلك فى آليات إنتاج صحف الإثارة الكبيرة، فقد كان التابعى يعتمد على قدراته ومواهبه وقدرته على الكتابة والنقد، ويمكن أن يوصفه الباحث على هذه الأساس بأنه كان صاحب مزاج إثارى ظهر فى معالجاته وكتاباته... لكنه ليس صاحب مدرسة.

ثانيا: مصطفى أمين

يسلمنا صاحب المزاج إلى صاحب المدرسة الأولى والأكبر فى مسيرة صحافة الإثارة فى مصر، يسلمنا محمد التابعى إلى مصطفى أمين.

فى عام ١٩٢٥ كان على ومصطفى أمين فى السنة الرابعة الإبتدائية ورأى والدهما الفصل بينهما حتى يذاكرا دروسهما[١] ويحكى مصطفى أمين: أجلستنى أم المصريين فى غرفة مكتب الزعيم الخالد سعد زغلول، ومعى كتب النحو والصرف، فقد كنت راسبا فى إمتحان اللغة العربية، وأستعد للملحق، وبينما كنت أدعبس فى المكتب وجدت مجلات الهلال والمقتطف وروزاليوسف، وأمسكت المقتطف فإذا به يتحدث عن نظرية دارون وتأثير الفلسفة الإسلامية فى حوض البحر الأسود...فقلت أعوذ بالله...إن كتاب النحو أرحم.

ويكمل مصطفى أمين: وأمسكت الهلال فإذا فى أول صفحة منه بحث عن آينشتين وتأثير نظرية النسبية فى عقلية الشعوب، ثم أربع خرائط جغرافية، وأقفلت مجلة الهلال وقلت لنفسى: لقد حبسونى فى زنزانة من الكتب العلمية والعياذ بالله، ثم رأيت مجلة روزاليوسف فإذا فيها مقال للتابعى عن الممثلات والممثلين ورأيه فى تمثيل زينب صدقى والنكتة التى قالتها عزيزة أمير، وأعجبت بالكاتب وتمنيت أن أصبح كاتبا مثله أستطيع أن أجلس مع زينب صدقى وأتحدث مع أم كلثوم، ومنذ ذلك اليوم دأبت على قراءة مقالات التابعى، كنت أخفى مجلة روزاليوسف بين كراسات الإنشاء ورحت أتتبع المجلات التى يكتب فيها وكنت أتمنى اليوم الذى يعرفنى فيه بزينب صدقى ويصحبنى إلى زيارة أم كلثوم.

كان تأثير التابعى على مصطفى أمين واضحا ومبكرا إذن، ويقول مصطفى أمين عن ذلك[٢]: يبقى الأستاذ التابعى بالنسبة لى هو الأستاذ الذى تأثرت به أكثر من غيره، حيث تابعت روزاليوسف منذ بداية صدورها وتأثرت بأسلوبه الذى كان يمثل وقتها ثورة صحفية.

(١) محمد فتحى، مقال بعنوان: ولادة الصحافة المصرية الحديثة فى معمل الأخبار، مجلة الشموع، عدد خاص عن مصطفى أمين، العدد ٣١، يناير وفبراير ومارس ١٩٩٤.
(٢) محمد مصطفى، مصطفى أمين فكرة لا تموت (القاهرة، أخبار اليوم، ٩٧) ٩١.

لكن يلفت الإنتباه هنا أن مصطفى أمين وهو الطفل ذو الفطرة النقية التى لم تتلوث بعد لم تجذبه المواد الجادة مثل نظرية دارون وآينشتين ولكن جذبه ما كتبه التابعى عن المثلاث والممثلين، ومن هنا يمكن أن نلتقط الخيط الأول فى تكوين مصطفى أمين الذى دفعه إلى أن يسلك طريق صحافة الإثارة ويمضي فيه إلى آخره، ويقصد الباحث بآخره هذا أخبار اليوم التى صدرت وقد إكتملت لها كل عناصر الإثارة.

كان الطريق إلى أخبار اليوم مفروشا بالصحف، ولم يكن على أمين يفارق مصطفى توأمه فى هذه الصحف ويمكن رصد التجارب السابقة على أخبار اليوم فى التالى[1]:

أولا: فى عام ١٩٢٢ أصدر مصطفى وعلى أمين مجلة الحقوق، كان عمرهما ٨ سنوات وفى تلك الفترة كانت أخبار بيت الأمة تملأ كل الصحف، واكتشفا أنهما يعرفان كل هذه الأخبار بحكم وجودهما فى منزل سعد زغلول، فكرا فى كتابة هذه الأخبار فى كراسة مدرسية واختارا لها اسم الحقوق، ولم يصدر منها إلا أربعة أعداد فقط.

ثانيا: فى العام ١٩٢٣ انفصل على ومصطفى كل بجريدته، استمر مصطفى يصدر مجلة الحقوق أما على فأصدر مجلة اسمها البيان، وتأثرت المجلتان بمجلة مصورة اسمها الأولاد التى أصدرها إسكندر مكاريوس للأطفال، وكانت تضم قصص بطولة عنوانها دان ودورا، وكان مصطفى أمين يوقع بإمضاء دان، أما على فقد حاول عمل رسوم كاريكاتورية فى مجلته مقلدا فيها صور نوادر الشاويش عطية التى كانت تنشرها مجلة الأولاد.

ثالثا: فى نفس العام أصدر على ومصطفى مجلة مشتركة اسمها الأسد مكتوبة بالقلم الرصاص وكانت تضم ألوانا مختلفة لتلوين عناوين الصفحات وتأثرت هذه المجلة بالأحداث الجارية، ففى العام ١٩٢٣ كانت تجرى إنتخابات لأول برلمان مصرى فقامت المجلة بدعوة قرائها من تلاميذ حارة البابلى وهى حارة خلف الشارع الذى كانا يسكنان

(١) خالد عزب وآخرون، أخبار اليوم مدرسة صحفية مصرية (مكتبة الأسكندرية، ٢٠٠٧)، ص٢١ – ٣٥.

فيه إلى إنتخاب جمعية تدافع عن حقوقهم وتنظم مباريات الألعاب الرياضية والرحلات، كما اهتمت المجلة أيضا بنجوم التمثيل أمثال شارلى شابلن وهارولد وايد وعلى الكسار.

رابعا: فى العام ١٩٢٤ اختفت مجلات التؤام الثلاثة الحقوق والبيان والأسد وظهرت مجلة «سنة ثالثة ثالث» على اسم فصلهما فى مدرسة المنيرة الإبتدائية التى انتقلا إليها بعد الفترة التى قضياها فى دمياط، وكانت عبارة عن صفحتين منسوخة بالكربون، أسبوعية تصدر كل يوم سبت، وكانت المجلة مليئة بالأخبار والنكت.

خامسا: فى نفس العام أصدرا مجلة أخرى اسمها حارة البابلى نشرا فيها خبرا بعنوان «الإفراج عن الأبطال» جاء فيه أن حكومة سعد زغلول أفرجت عن عبد الرحمن فهمى وجميع المسجونين السياسيين الذين حكم عليهم الإنجليز بالإعدام والسجن المؤبد، واحتوى نفس العدد على وصف لكنوز توت عنخ آمون وما فيها من عجائب وغرائب، كما كتبا أول تحقيق صحفى فى حياتهما بعنوان«أين المسدس»؟تناولا فيه التفاصيل الحقيقية لإطلاق الرصاص على سعد زغلول، قالا فيه إن المسدس الذى ضرب به الجانى محمد عبد الخالق الزعيم سعد زغلول اختفى ومعنى ذلك أنه كان هناك شركاء وأن هناك شريكا انتهز فرصة الفوضى التى قامت بعد إطلاق الرصاص على الزعيم فى محطة مصر فأخذ المسدس حتى لا يعرف أحد مصدره.

سادسا: تم تغيير اسم المجلة فى العام ١٩٢٤ من سنة ثالثة ثالث إلى مجلة الطالب، وتمت طباعتها بالبالوظة بدلا من النسخ بالكربون، واستفاد التؤامان من المجلات المصورة التى كانت تصدر حيث قاما بقص الصور ولصقها على أعداد مجلة الطالب ، وبعد أن صدرت مجلة «المصور» فى نفس العام، تغير اسم المجلة إلى «الطالب المصور» وبعد أن كان الأخوان أمين يقطعان الصور من المجلات المصورة أخذا يلصقان بعض الصور التى يقومان بإلتقاطها بأنفسهما، فكان فيها صور واضحة لإفتتاح البرلمان المصرى فى ١٥ مارس ١٩٢٤، وصورة غير واضحة لسعد زغلول بمناسبة إستقالته من الوزراة.

سابعا: فى العام ١٩٢٥ تغير اسم المجلة إلى «التلميذ»ولم يكن لذلك سبب يتعلق بالمضمون بل لأن المطبعة التى كانا يطبعان فيها المجلة لم يكن فيها حرف الطاء، وفى تلك الفترة كان على ومصطفى فى حاجة شديدة للمال للإستمرار فى طباعة مجلتهما، ولم يجدا سوى حل واحد هو أن يبيع كل منهما ساعته الذهبية، وفى نفس العام استأجرا مجلة اسمها «الأقلام» وصدر منها عددان فقط ثم توقفت نهائيا عن الصدور.

ثامنا: اتجه على ومصطفى بعد ذلك إلى مجلات وصحف الآخرين للعمل فيها على مستوى الإحتراف، قصدا دار البلاغ والجهاد وكوكب الشرق، لكن المفاجأة أن كل من رآهما كان يسخر من صغر سنهما، ولكن شاءت الظروف أن يتعرفا على موظف فى مصلحة التنظيم اسمه سيد أفندى عرضا على أن يعطياه الأخبار والمقالات والقصص لنشرها بأية صحيفة كبرى، ورحب الرجل بالفكرة وعرض أعمالهما على دار اللطائف المصورة ولكن باءت المحاولة بالفشل.

تاسعا: بدأت ملامح الإثارة والمشاغبة الصحفية على مصطفى أمين، عثر على شقيق زميل له فى الدراسة يدعى حسن أفندى يحمل شهادة البكالوريا، قدم مصطفى مقالا عن طريق شقيق زميله لمجلة الرغائب التى أصدرها الشيخ عبد الرحيم بدوى وكان المقال عن رجعية الملك فؤاد.

وفى العدد الصادر يوم الأربعاء ٧ أغسطس ١٩٣٠ وضع مصطفى أمين فكرة صورة لمجلة الرغائب ، وهى تمثل العرش جلس عليه توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكى وهو يدوس بقدميه على مصر وقد وقف إلى يمينه رئيس الوزارة اسماعيل صدقى باشا فى صورة جلاد يحمل سيفا يقطر منه الدم، ووقف إلى يساره توفيق رفعت باشا وزير الحربية يحمل بندقية ووضع بدلا من التاج بومة وعلامة الموت وعنوان الصورة «الرجعية كما تريد أن تحكم»، وعلى الفور أصدر اسماعيل صدقى قرارا بتعطيل المجلة نهائيا بسبب هذه الصورة[1].

(١) سامى عزيز، ثورة فى الصحافة (القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٦) ص ٤١.

عاشرا: فى هذا الوقت كانت مجلة «روزاليوسف» قد تعرضت للتعطيل هى الآخرى وبدأ التابعى مع روزاليوسف يصدران صحفا يطلق عليها الباحث«صحف تعويضية»[1] ، وعمل على ومصطفى مع التابعى فى هذه الصحف وكان منها: مجلة البرق التى صدر منها عدد واحد حيث أمر إسماعيل صدقى بمصادرة العدد الثانى، ثم عطلها نهائيا، ومجلة مصر الحرة التى صدر منها عدد واحد وعطلها إسماعيل صدقى فى نفس يوم صدورها، ومجلة الربيع التى تم تعطيلها فى نفس يوم صدورها ومجلة صدى الشرق التى صدر العدد الأول منها وتم تعطيلها فى نفس اليوم أيضا، ثم مجلة الصرخة التى عملا فيها إلى جوار التابعى حتى عادت مجلة روزاليوسف إلى الصدور مرة أخرى، فانتقلا إلى العمل بها، وحتى هذه اللحظة لم يكن التابعى يعرف على ومصطفى شخصيا بل كان يتعامل مع شخص اسمه حسن أفندى يأتى له بالأخبار والتحقيقات إلى صحفه.

حادى عشر: فى العام ١٩٣١ تعرف مصطفى أمين على محمد التابعى وعندما أقنعه بإمكانياته الصحفية عينه فى روزاليوسف نائبا لرئيس التحرير، وفى هذه المرحلة إنفصل على ومصطفى أمين بفعل الدراسة حيث سافر على إلى بريطانيا ليدرس الهندسة وذهب مصطفى إلى أمريكا ليدرس السياسة.

ثانى عشر: عندما ترك التابعى روزاليوسف إلى مجلة آخر ساعة رحل معه على ومصطفى أمين، وفى آخر ساعة لعب على أمين دورا كبيرا فى السياسة التحريرية للمجلة خلال فترة سفر مصطفى أمين إلى أمريكا، فكان على أمين يكتب مقالا أسبوعيا إلى جانب أنه كان يتولى تقديم أفكار الصور الكاريكاتورية للرسام صاروخان ويكتب أخبار المجتمع، ويعيد كتابة أخبار المسرح وأخبار التلاميذ ويقدم كل أسبوع فكرة لكاتب القصة

---

(١) الصحف التعويضية أطلقها الباحث على بعض الصحف التى صدرت فى فترة الثورة العرابية، حيث تتعنت السلطة مع الصحف فتعطلها بشكل مؤقت أو دائم فيلجأ الصحفيون إلى إصدار صحف أخرى بأسماء مختلفة، لكنها تحمل نفس الرسالة والمضمون ويحررها نفس المحررون، وقد تكررت هذه الظاهرة فى كل مراحل تطور الصحافة المصرية.

فى المجلة، أما مصطفى أمين فقد تولى رئاسة تحرير آخر ساعة بعد إنهاء دراسته وعودته من أمريكا عام ١٩٣٨.

ثانى عشر: عندما أصدر محمد التابعى مع محمود أبو الفتح وكريم ثابت جريدة المصرى عام ١٩٣٦ أوفد التابعى مصطفى أمين إلى أوربا لمقابلة النحاس باشا للحصول منه على حديث حول توقيع معاهدة ٣٦، ونجح مصطفى فى إجراء الحوار وأرسل به لينشر فى الصفحة الأولى من العدد الأول، وأثناء عمل مصطفى أمين بالمصرى استطاع أن يسبق صحف العالم بخبر زواج ملك إنجلترا بمسز سمبسون عام ١٩٣٧، ولم يكن اسم مصطفى معروفا فى تلك الأثناء حيث كان يوقع بإمضاء مصطفى محمد حرصا منه على عدم معرفة الأسرة بإشتغاله بالصحافة، وفى هذه الأثناء كان على لا يزال يعمل فى آخر ساعة بالإضافة إلى وظيفته الحكومية كمهندس فى وزارة الأشغال.

ثالث عشر: الخطوة التى تلت ذلك كانت فى جريدة الأهرام، ففى عام ١٩٣٩ عرض جبرائيل تقلا على مصطفى أمين أن يعينه رئيسا لقسم الأخبار بمرتب عشرين جنيها، قبل مصطفى أمين بشرط أن يظل رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة، كان مصطفى يرى أهمية الأهرام فى النفوذ، فقد كان الرجل الثانى بعد أنطوان الجميل رئيس تحريرها مباشرة، وفى الأهرام سجل مصطفى نجاحات صحفية عديدة، منها خبر أن الحكومة البريطانية أوفدت أمين عثمان فى رحلة سرية إلى لبنان لمقابلة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ليتوسط فى إجراء المفاوضات، وإستطاع مصطفى أمين أن يسبق صحف العالم كذلك بنبأ تسليم إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية.

رابع عشر: كانت هناك خلافات فى وجهات النظر بين أنطوان الجميل ومصطفى أمين، كان أنطوان يرفض أن ينشر أسماء الصحفيين فى ذيل موضوعاتهم، وكان مصطفى أمين يرفض هذا الإتجاه ويرى أنه من واجب الصحيفة أن تنشر أسماء محرريها ومندوبيها، لكن أنطوان الجميل أصر على موقفه، وفى تلك الفترة اتصلت دار الهلال بمصطفى أمين

وعرضت عليه العمل فيها، وكان العرض الأول أن يكون مصطفى أمين مساعد فكرى أباظة رئيس تحرير المصور، ورفض مصطفى أمين هذا العرض، ثم كررت دار الهلال عرضها بأن يكون مصطفى أمين رئيسا لتحرير مجلة الآثنين.

خامس عشر: فى ١٩ مايو ١٩٤١ تولى مصطفى أمين رئاسة تحرير مجلة الآثنين بمرتب قدره سبعون جنيها، وعشرة فى المائة من الأرباح إذا زاد توزيع الإثنين عن عشرين ألف نسخة، وأثناء عمله فى مجلة الآثنين لعب مصطفى أمين دورا كبيرا فى تطوير المجلة عن طريق البحث عن قراء جدد للمجلة فأدخل أبوابا للمرأة والشباب، وبذلك زاد توزيع المجلة من ١١ ألف إلى ١٠٠ ألف نسخة.

فى تلك الفترة كان على أمين يعمل فى آخر ساعة ونشر خبرا عن الأمير محمد على كاد أن يؤدى إلى فصله من وظيفته الحكومية حيث كان يعمل مديرا لمكتب عبد المجيد إبراهيم وزير التموين ، فترك على أمين العمل فى آخر ساعة وتم الإتفاق مع مصطفى أن ينقل نشاطه إلى مجلة الآثنين وادخل فيها بابا جديدا أسماه«كل شيء»، ولم يكتف بذلك فكتب العديد من التحقيقات الإجتماعية باسمه المستعار السندباد البحرى، ومن أهم القضايا التى طرحها إهتمام المرأة بتثقيف نفسها بالإقبال على القراءة، كما تناول العلاقة بين الرجل والمرأة.

لكن مصطفى أمين اختلف مع أصحاب مجلة الآثنين وكان الخلاف حول نقطتين هما سلطة رئيس التحرير ومعنى الحياد، فمصطفى أمين يرى أن رئيس التحرير هو المسئول وله أن يكتب ما يشاء وليس لأحد الحق فى أن يعدل عليه أو يحذف شئيا يكتبه، كما أن معنى الحياد ليس أن تقف الصحف موقف المتفرج على الأحداث دون أن تتخذ موقفا من هذه الأحداث، فيجب أن توضح رأيها سواء بالموافقة على القرارات التى تتخذها الحكومة أو برفضها، ولما وصل الخلاف إلى طريق مسدود إستقال مصطفى أمين من مجلة الآثنين وظل اسمه يكتب كرئيس تحرير لها حتى عدد ٦ نوفمبر ١٩٤٤ .

هذه التجارب كلها صقلت مصطفى أمين وتعكس ممارساته فيها أنه كان يضع عينه دائما على التوزيع وزيادته، لكن الباحث يعتقد أن شرارة الإثارة الأولى لدى مصطفى أمين كانت فى مجلة الآثنين، لا يشير إلى معالجة مصطفى السياسية حيث كان مهتما بالشأن السياسى، لكن يقصد الباحث الشأن الإجتماعى والإثارة من خلال إدخال عناصر جديدة على العمل الصحفى، ومن ذلك على سبيل المثال[1]:

فى عدد مجلة الآثنين الصادر فى ١٩ مايو ١٩٤١ نشر مصطفى أمين صورة لفتاة أنيقة جميلة ملأت صفحة كاملة فى المجلة وكتب عليها: هذه الفتاة...شوهدت فى حفلات الطبقة الراقية...من هى؟، وفى الصفحة التالية نشر صورة الفتاة فى سيارة أنيقة وكتب تحتها: فى الأسبوع الماضى شوهدت هذه الفتاة تسوق سيارتها بيدها فى طريق الجزيرة فى سرعة تستلفت النظر، تساءل الناس من هى؟وقيل أنها الآنسة روكية شريف ابنة المغفور له اللواء محمد شريف باشا.

ثم نشر مصطفى أمين صورة لنفس الفتاة بالمايوه فى حمام مينا هاوس وكتب يقول: رآها الناس فى الأسبوع الماضى تتردد على حمام مينا هاوس وتطفىء نار الحر فى الماء، فكانت محط الأنظار، أنظار الرجال الذين أعجبوا بجسمها، وأنظار النساء اللأتى أعجبن بإبتسامتها الفاتنة، وكانت لا تجلس على مائدة حتى تزدحم الموائد حولها بالذين يسارقونها النظر ولا تسير إلا ويتبعها طابور من المعجبين.

ثم نشر صورة أخرى لها وهى بجوار زوجة أحد الوزراء فى إحدى حفلات الطبقة الراقية وقال: أقيمت فى الأسبوع الماضى حفلة حضرتها سيدات ورجال الطبقة الراقية، وتساءل الناس من هى هذه؟ودعاها أحد كبار الموظفين إلى تناول الشاى مع أسرته، ووقف أحد الكبراء يتحدث إليها على البار ويسألها من هو أبوك؟

قالت: اللواء محمد شريف باشا.

(١) سامى عزيز، مرجع سابق، ص ص ٢٢ – ٢٧.

قال : آه إننى أعرفه فهو صديق قديم.

ثم نشر لها صورة فى حفلة الإتحاد النسائى وقال: وفى حفلة الإتحاد النسائى التى جمعت الكثيرين من الكبراء والعظماء وغنت فيها المطربة العظيمة أم كلثوم، كان الحديث كله من هى هذه الفتاة...أين صففت شعرها ...وأين حاكت ثيابها؟

ثم طلب مصطفى أمين فى نهاية الصفحة من القارئ أن يقلب الصفحة وكانت مفاجأة ..لقد كتب بالخط العريض«إنها خادمة»، ونشر صورة للفتاة بالملاءة اللف وهى تخرج من محل بقال وقال: هذه الفتاة الأنيقة الغامضة التى تألقت فى الأسبوع الماضى فى سماء الطبقة الراقية هى خادمة، لقد خطر ببالنا سؤال: هل نستطيع أن نحول خادمة إلى فتاة من الطبقة الراقية تنافس اللاتى ولدن وفى أفواههن ملعقة من الذهب؟وأوفدت الآثنين من مندوبيها ليحضرا أية خادمة يريانها فى الطريق لتحولها المجلة إلى بنت ذوات، وشاهد المندوبان هذه الفتاة تخرج من محل بقال فتبعاها وراحا يساءلان هل تصلح هذه الفتاة لتكون بنت ذوات؟...وأجاب الإثنان مستحيل...ولكنهما قررا أن يجربا.

ثم نشر مصطفى أمين صورة للفتاة وهى تمسح البلاط وكتب تحتها«وإذا باسم هذه الفتاة رقية محمد شرف وهى فى السادسة عشر من عمرها، تعمل كخادمة عند محام بشارع الدرمللى رقم ١١، ووظيفتها أن تكنس وتمسح وتغسل وتكوى بل وتمسح البلاط أيضا، وتتقاضى فى نظير ذلك ١٥٠ قرشا فى الشهر، وقالت أنه مضى عليها ثمان سنوات تشتغل خادمة منذ مات والدها، وكان يشتغل بناء، فاضطرت أن تخدم ، وعندما سألناها عن أملها فى الحياة قالت أن أملها أن تتزوج رجلا مرتبه ٢٠٠ قرش فى الشهر، وعندما عرض عليها المندوبان أن يحولاها إلى بنت ذوات قالت: ما انفعش يا سيدى ..الناس كلها راح تقول خدامة...خدامة».

ثم نشر صورة أخرى للخادمة وكتب تحتها:

وصحبناها إلى أكبر محلات للأزياء فى مصر فاشترينا لها حذاء سهرة بمبلغ ١٣٥ قرشا

وحذاء سبور بمبلغ ٦٥ قرشا، وفساتين سهرة أحدهما بسبعة جنيهات والآخر بعشرة جنيهات، وفستان اسبور ب ٢٨٠ قرشا وجوارب وقيمصا داخليا وحمالة للصدر، وكانت الفتاة سعيدة جدا بهذه المشتروات وقالت أنها ستبقيها زخرا ليوم زفافها بالعريس المجهول.

ثم نشر صورة لها وهى تركب عربة حنطور وتجلس بجوار العربجى وكتب تحتها: وصحب المندوبان الفتاة فى عربة حنطور إلى دار الهلال، والظريف أنهما رفضا أن تركب معهما فتاة بملاية لف فى المقعد الخلفى فأجلساها إلى جانب العربجى وأفهمناها مهمتها فضربت كفا على كف وقالت: ما انفعش يا سيدى...ده أنا خدامة وطول عمرى خدامة.

ويكمل مصطفى أمين:

وبدأنا فألقينا عليها بعض الدروس فى الإتيكيت وطريقة المشى وطريقة السلام واقتحمنا بكل جرأة صالون الحلاق المشهور«سقراط»، تتبعنا الفتاة واستقبلها الحلاق وراح يفحص وجهها وشعرها بنظرة الرجل الخبير فتوسم فيها النجاح قائلا: ييجى منها.

وكانت السيدة ببا شاهين قرينة الوجيه لولا شاهين، وهى سيدة معروفة فى الطبقة الراقية وزوجها ابن خالة الملكة نازلى موجودة فى الصالون، ولما رأتهابا لملاية اللف سألت عن حكايتها، فقيل لها أنها ستشتغل بالسينما وستمثل دور بنت ذوات فوقفت ترقبها ثم قالت: لا ...شكلها فلاحة ..ما تنفعش أبدا، والغريب أن السيدة نفسها رأتها بعد ذلك فلم تعرف أنها الفلاحة ولعلها ظنت أنها بنت أحد الباشوات.

وبدأت عملية التجميل ومع أن سقراط وهو المتخصص فى قص شعر الأميرات وسيدات الطبقة الراقية مشغول بطبيعة عمله، فقد ترك كل أعماله وتحمس للفكرة وراح يشتغل بنفسه ساعتين فى تجميل الفتاة، وعندما وضع المكواه والهواء الساخن على شعرها ووجهها، رقعت بالصوت وصاحت : راح يحرق شعرى..لا يا سيدى مش عاوزة أبقى حلوة، وتولت فتاتان عمل المانيكير فى أظافر يدها والبيديكر فى أظافر قدميها، وتولت

ثالثة تجميلها بالبودرة والأحمر والروج.

وما أن اكتملت زينتها وارتدت ثوب بعد الظهر الأنيق حتى نظرت رقية إلى المرآة، فلم تصدق أنها هى، بل أنكرت نفسها، وفى الحال بدأت الفتاة تتغير ، وشعرنا نحن أن إنقلابا تم فى مجرى حياتها، لم تعد رقية الخام بل أصبحت روكية أو على الأصح «ريرى شريف»، ابنة اللواء محمد شريف باشا، ورآها مسيو بلا المصور المعروف فالتقط لها ١٦ بوزا مجانا لأنها تمثل الجمال الإرستقراطى المصرى.

ويكمل مصطفى أمين: وبعد ذلك رحنا نزيد فى تعليمها الإتيكيت، علمناها كيف تتحدث وكيف تنحنى شاكرة وكيف تقول مرسى، وأخذناها إلى مدرسة للرقص فعلمناها كيف ترقص ثم تولينا تعليمها كيف تأكل وكيف تجلس على المائدة وصحبناها إلى بيت أحد النبلاء، فتولى نبالته بنفسه تعليمها بعض دروس فى البرتوكول.

ثم صحبناها إلى حمام مينا هاوس، ورفضت فى أول الأمر ان ترتدى المايوه، ثم اقتنعت لما رأت كل الفتيات هناك شبه عاريات، وأعطيناها ثلاثة دروس فى السباحة، والغريب أن أغلب الشباب الهاى لايف اشتركوا فى تعليمها السباحة على أساس أنها ابنة ذوات.

وفى سهرة أقامها أحد الأجانب تألقت ريرى الجميلة والتف حولها كبراء وأعيان يتحدثون إليها، ودعاها أحدهم إلى الرقص معه فرقصت، وقال لها إنك أرشق من رقصت معهن، وقد رأينا أنه لابد لريرى أن تحمل مجوهرات ثمينة فاستأجرنا لها قرطا ثمنه خمسمائة جنيه وعقدا من اللؤلؤ ثمنه ٢٠٠ جنيه لتظهر بها فى السهرة.

ثم ختم مصطفى أمين هذه المغامرة الصحفية بصورة لريرى فى ملابس السهرة ورجل يشعل لها سيجارة وصورة وهى جالسة فى بار أحد الفنادق الكبرى وكتب تحتها: وقد بدأت ريرى تشعر بقيمتها، فبعد أن كانت تسير وراءنا أصبحت تتقدمنا فى السير، وعندما سألناها فى آخر السهرة ما هو أملها فى الحياة؟قالت أنها تود أن تتزوج من أحد الباشوات ولا مانع لديها من أن يكون عجوزا.

وفى سهرة أخرى كان الشبان يتهافتوت لإشعال سيجارتها، وكانوا يسرعون لإحضار كوب من الماء تطلبه، بينما كانت وظيفتها أن تقدم للناس أكواب الماء، وها هى فى أحد الفنادق الكبرى تتناول على البار كأسا من الشامبانيا بعد أن أجادت دورها كإحدى زهرات الطبقة الراقية.

ويقول مصطفى أمين: إن الإثنين استطاعت أن تثبت أنه لو تحققت لأى فقيرة أسباب الحظ والنعمة لجعلت منها فتاة أرستقراطية تنحنى أمامها رؤوس الرجال ويسارع الشبان لتقبيل يدها، وقد تكلفت هذه المهمة ثلاثين جنيها، وما أرخص المصعد الذى يحمل فتاة من القرار إلى القمة.

هذه التجربة الصحفية يمكن أن يعتبرها الباحث تلخيصا لملامح مدرسة الإثارة عند مصطفى أمين وهى الملامح التى تبلورت بشكل كامل بعد ذلك فى أخبار اليوم، لقد حفلت مجلة الآثنين بنماذج كثيرة يمكن أن نوضح من خلالها هذه الملامح، لكى تظل هذه التجربة علما على كيف كان يفكر مصطفى أمين فى صحافة الإثارة.

لقد إنقلب المجتمع على مصطفى أمين بعد نشره لهذه التجربة، وكان لهذا الإنقلاب أسبابه:

الأول: أن مصطفى أمين يثبت من خلال هذه التجربة تفاهة أولاد الذوات من خلال إدخال خادمة إلى حفلات القصور الضخمة وإلى سهرات الذوات الباذخة.

الثانى: يمكن تحويل أى خادمة إلى بنت ذوات بتكلفة لا تزيد عن ثلاثين جنيها فقط.

الثالث: أن المطلوب من بنات الذوات فى مصر حتى يثبتوا أنهن من طبقة أرستقراطية أن ترقص البنت وتدخن وتجلس على البار وتسبح فى حمام مينا هاوس وتركب سيارة وترتدى الملابس الفاخرة وتتزين بالمجوهرات حتى ولو كانت مستأجرة.

ووصل نقد ما فعله مصطفى أمين إلى إعتباره دعوة صريحة للشيوعية وتأليب الطبقات الفقيرة ضد الطبقة الأرستقراطية.

كانت الفكرة التى قادت مصطفى أمين إلى إجراء هذه التجربة كما قال هو فى عدد مجلة الآثنين الصادر فى ٢٦ مايو ١٩٤١: أردنا أن نثبت بهذه القصة أن المجتمع لا يفرق بين العملة الميرى والعملة المزيفة، وأردنا أن ندل على عيب بارز من عيوبنا وهو أننا نعتبر بنت الذوات بشعرها المصفوف وبأناملها الملونة وبثوبها المزركش وبجواهرها الثمينة وليس بأخلاقها أو ثقافتها، أردنا أن نزيح الستار عن غباء المجتمع وأن نزيل الغشاوة التى على عينيه.

وبصرف النظر عن الهدف الإجتماعى الذى أراده مصطفى أمين من هذه القصة فإنها من خلال إعدادها وصياغتها تحمل كل عناصر الإثارة الصحفية وذلك يتبدى فى الآتى:

أولا: عنصر صناعة الحدث، فلم تفعل الفتاة هذا الأمر من تلقاء نفسها بل المجلة هى التى صنعته على عينها وأنفقت عليه وذلك من أجل تحقيق هدف معين، لقد أدرك مصطفى أمين أن هذه القصة سيتحدث عنها المجتمع عندما يكشف عنها الستار، ولذلك وفر لها كل عناصر النجاح، وفى ذلك إشارة إلى أن صحافة الإثارة لا تكتفى برصد الحدث وهو يقع أو كشفه إذا كان مخفيا، ولكنها تصنعه صنعا.

ثانيا: أراد مصطفى أمين بكشفه لتفاصيل القصة أن يحدث صدمة من نوع ما فى المجتمع، يصدمه فى الرؤية الثابتة لديه والتى كونها عن بنات الذوات، فها هى خادمة إستطاعت المجلة أن تحولها إلى بنت ذوات ب ٣٠ جنيها فقط، والصدمة مطلوبة بل وأساسية فى صحافة الإثارة، فالمطلوب منها ألا تكون بعد أن تطالعها كما كنت قبل أن تقرأ ما جاء فيها.

ثالثا: اعتمد مصطفى أمين فى كتابته للقصة على التفاصيل فقد أفرد وبسرد مطول كافة التفاصيل التى وقعت منذ أن تعرف مندوبا الجريدة على الخادمة وهى تخرج من محل البقال إلى اللحظة التى تم فيها الكشف عنها، والتفاصيل عنها لعبت دورا كبيرا فى التشويق وزيادة الإثارة لدى مطالعة القصة.

رابعا: إلى جانب التفاصيل إعتمد مصطفى أمين على نشر صور للخادمة وهى بالمايوه البكينى تكاد تكون عارية تماما وهى سمة أخرى من سمات صحافة الإثارة حيث تنشر الصور العارية لسابق معرفتها أن هذه الصور نلقى رواجا كبيرا لدى القراء وخاصة من الشباب.

خامسا: أعلى مصطفى أمين من عنصر النميمة الإجتماعية ، فقد دخل بالقصة إلى مجتمع الأثرياء والقصور والطبقة الأرستقراطية، حيث أشار إلى حفلاتهم ولقاءاتهم والطريقة التى يعيشون بها، وهى مادة يتسلى عليها القراء، خاصة أنها تتناول أسرار المجتمع الراقى وتدخل إلى حياتهم الخاصة التى لا يحبون أن يطلع عليها أحد وتفعل الصحافة ذلك رغما عنهم.

سادسا: راعى مصطفى أمين أن تكون الكتابة الصحفية سهلة وبسيطة وغير معقدة ومحررة من الكتابات المجازية والأدبية التى كانت تعانى منها الصحف المصرية خلال هذه الفترة، وهى إضافة قام بها قبله محمد التابعى حيث جعل الكتابة الصحفية فى متناول متوسطى الثقافة حتى يستطيعوا أن يتواصلوا مع المادة الصحفية المنشورة.

سابعا: لجأ مصطفى أمين إلى تكنيك فى نشر القصة عبر الصفحات التى نشرها فيها يعتمد على التشويق والإثارة، بدأ بسؤال عن الفتاة التى تحتل صورتها صفحة كاملة من الجريدة، وبعد ذلك بدأ يسرب صورها ومعلومات عنها، وفى النهاية وصل إلى الكشف عن الفتاة بأن طلب من القراء أن يقلبوا الصفحة حتى يعرفوا المفاجأة، وهى المفاجأة التى عرف القراء أن القصة من أولها إلى آخرها كانت مصنوعة ومدبرة.

لم تخرج الإثارة فى أخبار اليوم عن هذه العناصر تقريبا، وقد وضع مصطفى امين دستور جريدته الخاصة فى إفتتاحية العدد الأول من أخبار اليوم الذى صدر فى ١١ نوفمبر ١٩٤٤، حيث كتب تحت عنوان: هذا ما نريده:

- مبدؤنا هو الإستقلال فى الرأى لا الحياد فالمستقل الحقيقى الذى يبدى رأيه فى جميع

الشئون دون أن ينتسب إلى حزب معين أو هيئة معينة، يقول عن هذا مصيب وعن هذا مخطئ، أما الحياد فذلك موقف المتفرج الأجنبى الذى لا يهمه ما يحدث فى البلد وقد آن للمصرى أن يرفض موقف المتفرج على شئون بلاده.

- إننا فى سبيل الحق أشد على أصدقائنا من خصومنا، فالضعف فى خصومنا يفيدنا والضعف فى أصدقائنا يقتلنا.

- نريد أن تصبح مصر والسودان أمة واحدة يتوجها تاج واحد ويضم ممثليها برلمان واحد.

- نريد أن تكون علاقتنا بحليفتنا بريطانيا علاقة الصداقة الوطيدة والإخلاص الأكيد بين بلدين ومصلحة السلام أن تحالف إنجلترا العظمى مصر الصديقة المستقلة القوية.

- نريد للصحافة حرية كاملة تقول كل ما تعتقد أنه حق، فإن النكبات التى عانت منها مصر كان سببها أن الوزراء اعتقدوا أنه لا رقيب عليهم ولا حسيب، فأكلوا وجاع الشعب المصرى، واكتسوا وعرى الشعب المصرى، واغتنوا وزاد ابن البلد فقرا على فقر وهوانا فوق الهوان.

- نريد أن نحارب الطغيان أينما كان، لا نقبل أن يكون خصومنا طغاة ونأبى أن يكون أصدقاؤنا طغاة.

- نريد جيلا جديدا من النساء والرجال وطنيا متحمسا يضحى بنفسه فى سبيل رأيه ولا يضحى برأيه فى سبيل شخصه، نريد للشباب المصرى كرامة لا غرورا ووطنية لا تعصبا وإيمانا لا إدعاء.

- نريد حياة جديدة للعامل المصرى وللموظف الصغير، نريد له الصحة والكسب الميسور نريده كالعامل الأمريكى أو الإنجليزى، فإن الرجل المريض البائس لا يستطيع أن يخلق لمصر جيلا جديدا من الأقوياء.

- نريد للفلاح أن يعيش كما يعيش الأحياء لا أن يكون الدابة التى توصل النائب إلى

مقعد البرلمان ثم يتركها أمام باب البرلمان، نريد له عملا لا كلاما، نريد أن يحارب الطغيان المالى كما نحارب الطغيان السياسى سواء بسواء.

- نريد لكل عربى أن يكون إستقلاله كاملا فلا نريد أن نحتكر لأنفسنا الإستقلال والحرية والكرامة، ونحن نؤمن بوحدة العرب ولكن نرى أن الوحدة لا تتم إلا بين الأحرار.

وضع مصطفى أمين بذلك ما يمكن أن نطلق عليه السياسة التحريرية لأخبار اليوم، وهى تعبر عن أهداف عليا وعظيمة وقد تكفل الخط السياسى للجريدة بتحقيقها، لكن ظلت ممارسات مصطفى أمين التحريرية تصب فى إتجاه تنمية أسلوب الإثارة فى العمل.

كان مصطفى أمين يعقد إجتماعا أسبوعيا للتحرير فى أخبار اليوم يوم الجمعة من كل أسبوع وفيه كانت دروس صحافة الإثارة تتوالى، يقول موسى صبرى[(١)]:

«فى منتصف النهار...وأمام قسم عابدين وأمام مئات من الناس فى الشارع الكبير قفزت السيدة البدينة من سيارة التاكسى وهى تمسك مسدسا فى يدها، وأطلقت رصاصتين على الرجل الذى يطاردها ثلاثة أعوام بعد وفاة زوجها ليتزوج منها، رصاصة من الإثنتين أصابت قلب الرجل ومات بعد نقله إلى المستشفى»

قدم مندوب الحوادث هذه القصة ونشرت فى الصفحة الأولى مع صورة السيدة القاتلة، ولكن الخبر نشر ناقصا...

إن المسدس الذى استخدمته السيدة محاسن ميخائيل أبو سيف مرخص وهذا وجه الغرابة، ولكن المندوب لم يهتم بهذا الخبر، كان يجب عليه أن يتوجه إلى وزارة الداخلية ويسأل، هل يمنح الترخيص بحمل السلاح فى مصر للمرأة، ومتى أتخذ هذا القرار؟وكم سيدة فى مصر تحمل بندقية مرخصة أو مسدسا مرخصا؟

لم يهتم المندوب كذلك أن يبحث فى أرشيف وزارة العدل، هل هذه أول سيدة ترتكب جريمة قتل بمسدس؟إن المعروف أن المراة تلجأ إلى السم فى جرائم القتل، ولكن هل

(١) موسى صبرى، عشاق صاحبة الجلالة (القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٨١)ص ص ٦- ٨.

توجد سوابق لنساء مصريات قتلن بإطلاق الرصاص؟

وكان يجب على المندوب أن يذهب إلى منزل المتهمة، ويبحث فى ظروف حياتها الإجتماعية، لقد كتب فى الخبر أنها أرملة وأن القتيل كان شريكها فى محلات تجارية بعد موت زوجها واختلف معها، كان يجب على المندوب أن يقدم أسرتها للقراء، لقد اتضح بعد ذلك أن لها خمسة أبناء أكبرهم فى سن الخامسة عشر، وكان يجب أن يسجل أثر هذا الحادث فى نفوسهم، ماذا يقول الإبن عندما يعلم أن أمه قتلت رجلا برصاصة مسدس؟هل كان يعلم أنها تملك مسدسا؟هل استخدمه قبل الآن؟وما معلومات الأبناء عن القتيل؟هل كان يداوم على زيارة الأسرة؟هل كانوا يحبونه؟وكل هذه أسئلة إنسانية هامة كان يجب أن يهتم بها مندوب الحوادث.

لم تكن هذه رؤية خاصة بموسى صبرى لكنه أثبت هامشا فى كتابه: أن مادة هذا الفصل من محاضرة صحفية ألقاها مصطفى أمين فى الإجتماع الأسبوعى لتحرير أخبار اليوم فى الخمسينات.

السر لدى مصطفى أمين إذن...

وقد يكون فى إجتماعات مصطفى أمين التى كان يعقدها أسبوعيا السر الذى يجعلنا ننسب إليه ريادة صحافة الإثارة والتعامل معها كمدرسة صحفية كاملة، ويبدو ذلك أوضح من خلال قراءة وافية وتحليل لما جاء فى محاضر هذه الإجتماعات التى كان يحرص مطصفى أمين على تسجيلها[1]، نصوص الإجتماعات الكاملة ليست مهمة فالمهم فيها تلك العبارات

(١) فى أحد الأيام بأواخر الثمانينات وبينما كان علاء عبد الهادى الصحفى فى أخبار اليوم وكان فى بداية عمله بها، يسير فى أحد الشوارع الجانبية المؤدية إلى مبنى أخبار اليوم التقليدى القديم فى شارع الصحافة، وجد علاء فى سلة مهملات كبيرة مجموعة من الصورة التى تعلوها الصفرة، كانت مجموعة من صور الرئيس السادات خلال زيارات ميدانية ، وأوراق مكتوبة بالآلة الكاتبة، كانت الأوراق عبارة عن محاضر إجتماعات الجمعة التى كان مصطفى أمين يعقدها لمحررى أخبار اليوم، وقد جمع علاء عبد الهادى هذه المحاضر وأصدرها فى كتاب بعنوان "كنوز صحفية" عن الهئية العامة للكتاب فى العام ٢٠٠٥.

والفقرات التى تلخص فلسفة مصطفى أمين فى صياغة الإثارة الصحفية ومنها.

أولا: إجتماع الجمعة ١٠ أكتوبر ١٩٥٨:

يقول مصطفى أمين: يجب أن يترجم الخبر إلى كلام يلمس فيه القارئ ما يحتاج إليه، كما يفكر المحرر بعقلية الطبقة فوق المتوسطة يجب أن يفكر بعقلية سكان الأكواخ، ماذا يهمهم؟ما هى الموضوعات التى تشغل تفكيرهم ويتجاوبون معها؟إن كل قارئ يجب أن يجد مكانه فى الجريدة، ومن الممكن جذب القارئ إلى الموضوع الذى لا يهمه بإدخال عناصر مشوقة للقارئ فى مقدمة الموضوع أو فى نفس الموضوع.

وفى نفس الإجتماع يقول: يجب ترجمة كل شئ إلى أخبار شخصية، فإذا أردت أن تكتب عن شئ معين فترجمه إلى شخص.

وفى نفس الإجتماع: الفكرة فى كتاب الأخبار الصحفية هى محاولة جذب القارئ إلى الموضوع الذى لا يهمه، فهناك موضوعات جافة لا تهم القارئ، فالصحفى الماهر هو الذى يضع فيه شئ يجذب القارئ.

وفى نفس الإجتماع: البلاغة تحولت إلى السهولة، فى الماضى كانوا يقولون أن فلان بليغ لأنه يكتب مقالة لا يفهمها فى البلد إلا ٣ أشخاص، وكان يكتبها على ١٦ عمود، الآن البلاغة هى السهولة، فكلما كانت الألفاظ سهلة ومفهومة كلما كانت بلاغة ولا يجوز أن تطغى الكلمات على المعانى بل يجب أن تكون بسيطة على قدر المعنى.

وفى نفس الإجتماع: فى فن كتابة الجريمة يجب الإعتماد كثيرا على اللون ، يعنى إذا كتبت عن إمرأة ارتكبت جريمة وترتدى فستان أحمر فتكتب «ذات الرداء الأحمر » عملت كذا وكذا، وهذا يعطى قوة للخبر، إن محررى اجرائم يحتاجون إلى دروس كثيرة فى اللون، هناك بعض الناس عندهم عمى ألوان، الشخص من هذا النوع يجب ألا يعمل فى الحوادث، حيث يجب أن يعطى اللون فى الخبر، فلو كانت المتهمة لها سنة ذهب، ففى الخبر تضع هذا، إنما لا نقول المرأة القبيحة عملت كذا، لأنه لا يوجد فى العالم إمرأة قبيحة ، كل

إمرأة فيها شئ جميل، إنها الفكرة هى تمييز وتحديد، أن تعطى لون فى القصة، وقد سبق أن قلت أن القصة الإنسانية أحسن من خبريين سياسيين.

وفى نفس الإجتماع: الخبر الفاشل هو الخبر الذى لا يستطيع أن يفهمه القارئ إذا قرأه أول مرة، هو الخبر الذى لا يرد على الأسئلة وعلامات الإستفهام التى تجئ القارئ بعد قراءته، هو الذى يقرأه القارئ مرتين وثلاث مرات قبل أن يفهمه، يجب أن تضع أمامك هذه النقط...هل سيفهم محمد أفندى كعب الغزال الخفير فى وزارة الزراعة هذا الخبر أم لا؟هل سيقول وبعدين؟هل سيسأل بعده عن أشياء؟لو تساءل بعد قراءة الخبر فالخبر ناقص.

ثانيا: إجتماع الجمعة ١٧ أكتوبر ١٩٥٨:

يقول مصطفى أمين: الصحافة لم تعد أخبار الروتين وأخبار الوزارات ومقابلات الوزراء والموضوعات المتكررة، إنها أصبحت أهم وأخطر من هذا، إن الصحافة العظيمة هى التى تصنع الخبر والتى تصبح هى خبرا هاما.

ثالثا: إجتماع ٢٤ أكتوبر ١٩٥٨:

يقول مصطفى أمين: الطريقة الحديثة فى الصحافة هى الإعتماد على نوعين من الفوتوغرافيا، فوتوغرافية الرجل الصحفى وهى تستطيع أن تلتقط عددا كبيرا من الصور فالعدسات فى رأس الرجل الصحفى أكثر منها فى رأس المرأة الصحفية، ويجب الإعتماد أيضا على كاميرا المرأة الصحفية، فالعدسات التى فى رأسها تلتقط تفاصيل أكثر وإن كانت أقل من عدسات الرجل، بمعنى أنه إذا ذهب صحفى وصحفية فى حفلة، فالصحفى يستطيع أن يعرف أسماء جميع من حضر الحفلة والصحفية تحصل على تفاصيل أدق لعدد قليل منهم، الصحفى يستطيع أن يعرف مائة اسم من المدعوين والصحفية تقدم لك معلومات وافية عن عشرة من الموجودين ..لون ملابسهم...ومن حلق ذقنه؟أما الصحفى فلا يذكر هذا ولا ينتبه إليه.

رابعا: إجتماع ٣١ أكتوبر ١٩٥٨:

يقول مصطفى أمين : فى صحافة العالم يجتهدون دائما فى وضع صورة إمراة أو فتاة فى الصفحة الأولى، وفى الصفحة الأولى فى جرائد مثل «ديلى ميل» و«ديلى اكسبريس» و«ديلى ميرور» يجتهدون فى أن تكون صورة الصفحة الأولى لبنت حلوة جدا، ونحن أيضا فى آخر ساعة نختار بنت بمايوه أو بنت غالبا جميلة، والصحف الوقورة تختار خبر حول إمرأة تضعه فى الصفحة الأولى، ويجب أن يكون فى الجريدة دائما خبر بطلته إمرأة، لكن ليس أن تختار خبرا من الوفيات ووضع صورة سيدة وتكتب وفاة سيدة مبرورة.

خامسا: إجتماع ٥ ديسمبر ١٩٥٨:

يقول مصطفى أمين: الصحفى الغشيم قادر أن يقتل جريمة فيها مائة قتيل و٣٠٠ جريح فى أخبار الأقاليم، ولكن الصحفى العبقرى يستطيع أن يجعل من حكاية فتاة شكها دبوس فى السينما قصة للصفحة الأولى، هل فى الكرسى دبوس؟هل شكها فى جانبها؟هل هى طريقة غزل جديدة؟ممكن أن يمسك الصحفى خبر هادئ بسيط عادى متكرر ويفصصه ويحلله من زوايا مختلفة وتصبح قصة صحفية كبيرة.

وفى نفس الإجتماع: إن قسم الرياضة يجب أن يكون فيه من وقت لآخر صور بطلات، إنك تستطيع أن تجد هذا فى كل صفحة، اقلب مثلا صفحة ١٠ لا تجد فيها صورة سيدة واحدة، كلهم رجال خناشير بما فى ذلك خبر كتبه أنيس منصور يتكون من عدة سطور«٢٢ تقدموا لجائزة الدولة من بينهم سيدتان»، إن صورة هاتين السيدتسن مهمة جدا، كان يمكن أن يكتب الخبر هكذا: سيدتان ضد ٢٠ رجلا على جائزة الدولة للأدب.

وقالت إحدى المحررات أن إحدى هاتين السيدتين هى «سنية قراعة»، فرد مصطفى أمين: هذا خبر فى منتهى الأهمية لأن سنية قراعة لا تعرف أن تكتب اسمها، وإذا بحثت خلفها ستجدها جاهلة تماما، اذهبوا لها وقولوا اكتبى أمامنا، وستعلموا أن فيه ناس يكتبوا لها ويطبعوا لها ما يكتبوه، وممكن أن تخرج من هذا الخبر بقصص ممتازة، إن هناك سيدة

ليس عندها أى شهادة أو مؤهلات وتتقدم لطلب جائزة الدولة فى الأدب، وقد سبق أنها ادعت أن صدقى باشا يحبها وألفت كتابا عنه اسمه النمر.

هذه فقط نماذج مما كان يجرى، لم تكن إجتماعات مصطفى أمين صماء ولا جافة ولا عبارة عن توجيهات فقط، ولكنها كانت عبارة عن دروس تطبيقية فى الصحافة التى عندما ينظر إليها الباحث يجد أنها إشارة واضحة إلى صحافة الإثارة بكل عناصرها، فهو يتحدث عما يهم القارئ ويجذبه إلى الجريدة طوال الوقت، ولا يهتم بالقارئ فوق المتوسط فقط ولكن بالقارئ المتوسط وربما دون المتوسط، حتى يزداد عدد الذين يقرأون الجريدة، وحتى يحدث ذلك فهو يضع شروطا منها الإهتمام بالقصص الإنسانية التى تعزف على الأوتار العاطفية للقارئ، ويتحدث عن كيف تكتب هذه القصص بشكل صحيح وبلاغى يحقق متعة إضافية للقارئ، كما أنه يعلى من الإعتماد على صور المرأة وقصصها وأخبارها لأنها فى كل الحالات جاذبة للقراء.

لقد وضع مصطفى أمين دون أن يدرى دستور صحافة الإثارة فى مصر، وكان يعيش بنفسية الصحفى الذى يبحث عن الخطر طوال الوقت، كان يفرح عندما يزداد الهجوم عليه وعلى ما ينشره فى أخبار اليوم، وعندما كان يتلقى تهديدات بالقتل يعتبر أن ذلك نجاحا مضافا إلى النجاح الذى يحققه، ولعل فيما نشرته مى شاهين عن إحدى المظاهرات التى أحاطت بأخبار اليوم فيه ما يدلنا على ذلك[1] تروى ما حدث:

جاء وقت رأينا فيه جموعا هائلة تسير فى جنازة أمين عثمان، ثم تتجه إلى أخبار اليوم وتتوقف أمامها، وترفع يديها متوعدة هاتفة بالويل والثبور، كانت أخبار اليوم قد نشرت تفاصيل حادث ٤ فبراير لأول مرة، وكان الوفديون يتهمونها ويقولون أن هذا النشر هو الذى أدى إلى قتل أمين عثمان، وراح المتظاهرون يصرخون: العين بالعين والسن بالسن....سوف نقتلكم ...وسوف ننتقم ، وفجأة دوى هتاف كالزئير: يسقط مصطفى

(١) مى شاهين، مرجع سابق، ص ٦٩.

أمين رفيق كاريوكا.

كان غريبا أن تتحول جنازة إلى هتاف يذكر فيه اسم الراقصة تحية كاريوكا، فلم تكن تحية عشيقة مصطفى أمين، ولكن الذى حدث أن إحدى المحررات بدار أخبار اليوم حضرت قضية أحمد سالم، وكتبت تصف جو الجلسة، وترسم صورا للشهود ومن بينهم تحية كاريوكا.

اعتبر الوفديون هذا الوصف بما فيه من إطناب فى وصف جمال تحية كاريوكا، دليلا لا يقبل الشك على أن مصطفى أمين هو عشيق تحية كاريوكا، فراحوا يهتفون فى الجنازة بسقوط رفيق تحية كاريوكا.

وتواصل مى شاهين وصفها لما حدث: كنا نقف فى نوافذ أخبار اليوم لنطل على هذه المظاهرة الجنائزية فى مرح وسرور، وكان مصطفى أمين يضحك، ويلوح للهاتفين بيده، وكان على أمين يبدى أسفه لعدم وجود مصور يلتقط صور المتظاهرين وهم يقومون بحركات وقحة أثناء سير الجنازة موجهة إلى أخبار اليوم، وكنا جميعا فى دهشة مما نرى ونسمع.

وتقول مى شاهين: كان بريد أخبار اليوم يحوى خطابات تهديد بالقتل، بمتوسط خمسة خطابات كل يوم، وكان مصطفى وعلى يطلبان منا أن نحفظ هذه الخطابات فى دوسيه خاص، وكان يبدو عليهما السرور كلما انفتح الدوسيه، فإذا مضى يوم لا يصل فيه خطاب تهديد بالقتل قال على أمين: يظهر أن أخبار اليوم كانت فاضية هذا الأسبوع، وذات يوم وجدنا قنبلتين على باب أخبار اليوم، ولم تنفجر القنبلتان، وكان مصطفى أمين يعتبر هاتين القنبلتين إنتصارا لأخبار اليوم، وكان يقول أن أكبر دليل على أن المقالة قوية أن يفكر المضروب فى أن يرد عليها بقنبلتين.

لم تكن أخبار اليوم تبلغ النيابة ضد خطابات التهديد بالقتل وبالنسف وكان بعض المحررين لا يوافقون على هذه الخطة، ويعتبرون هذا التصرف عملا جنونيا، ولكن

الجريدة كانت ترى أن إبلاغ النيابة سيؤدى إلى أن يرسل البوليس جنودا ليقفوا أمامها، وسيخاف الذين يريدون إلقاء القنابل ولا يحضرون إلى الدار.

هذه الوقائع لا يمكن أن تدل إلا على شئ واحد وهو أن مصطفى أمين لم يكن يعمل بالصحافة المعتادة ولكنه كان يرغب فى أن يجعل الجميع يتحدثون عن صحافته وعما يقدمه حتى لو كان هذا الحديث بالقتل والتهديد بالإغتيال.

إن ما ذهب إليه خليل فاضل[١] من أن صحفى الإثارة يفرح بالنقد الموجه إليه بل ويردده ويعتبر أن هذا شهادة بنجاحه، حتى لو أبدى عدم إرتياحه ظاهريا فإنه داخليا يكون فى قمة سعادته، ينطبق تماما على حالة مصطفى أمين، فقد كان يبدى فرحا وسعادة غامرة ونادرة بالهجوم عليه.

كان مصطفى أمين واضحا حتى النهاية فصحافة الإثارة بالنسبة له قادرة على الفعل[٢]، هى صحافة تثير الحاكم، فالحكام لا يريدون صحفا ترضيهم ويطلقون عليها اسم الصحف الوقور، أما الصحف التى تقيم الوزير من نومه فهى صحف الإثارة، الصحف التى تنشر الحقائق التى لا يريد لها البعض أن يعرفها الشعب.

لم تخرج بعد ذلك صحف الإثارة جميعها عن معطف مصطفى أمين وما قدمه وما أضافه، قد تكون طورت أو غيرت أوبدلت أو أضافت عمقا ما أو حملت نفسها بفكرة أو إتجاه ما ، لكن تظل الآليات التى عمل بها وعليها هى الأساس فى كل ما قدمته الصحافة المصرية من إثارة سواء كانت إثارة سياسية أو إجتماعية، وسواء حدث ذلك فى صحف حكومية أو حزبية أو حتى خاصة بعد ذلك.

حتى أخبار اليوم فهى حتى الآن تعمل من خلال القواعد التى وضعها مؤسسها

(١) خليل فاضل، مقابلة خاصة معه.

(٢) عمر بطيشة، شاهد على العصر (القاهرة، أخبار اليوم، ١٩٨٤)ص ٢٦.

لكنها كما قال هو[1] احتفظت بشكل أخبار اليوم القديم لكنها لم تحتفظ بروحها[2].

ثالثا: على أمين

لايذكر اسم مصطفى أمين إلا ويلحق به اسم تؤامه على أمين، وقد يعتبر البعض أن على أمين له نفس الدور الذى قام به مصطفى فى الصحافة المصرية وتحديدا صحافة الإثارة، على إعتبار أنهما كانا معا دائما فكرة بفكرة ومقالا بمقال وتحقيقا بتحقيق، لكن هذه النتيجة تحتاج إلى قليل من التدقيق، وإذا جاز للباحث أن يعبر عن وجهة نظره فى دور كل منهما، فإنه ينصرف إلى أن على كان الصانع للشكل، ومصطفى أمين كان هو صانع المضمون فى الصحف التى قاما بإصدارها.

وإذا كانت جذور الإثارة لدى مصطفى أمين بدأت من خلال إنبهاره بمقالات التابعى عن الفنانين والفنانات، فإن على أمين هو الذى وضع الصحافة المصرية فى إطار الإثارة العالمية من حيث الشكل، حدث هذا تحديدا عندما سافر إلى إنجلترا فى العام ١٩٣٠، فقد احتك والتحم بالصحف هناك، ودرس الهندسة من أجل تطويعها لخدمة الصحافة فى المقام الأول حتى أن أنيس منصور أطلق عليه لقب«مهندس الصحافة المصرية»[3].

لكن على أمين لم يكن يحسن الشكل فقط فقد كانت له مساهمات عديدة فى الكتابة

---

(١) محمد مصطفى، نجوم الصحافة شهود على العصر (القاهرة، أخبار اليوم، ١٩٩٠)ص ١٨.

(٢) أرجع مصطفى أمين ذلك إلى عدة أسباب منها أن أخبار اليوم خرجت لتطلع الناس على كل الحقائق وهو لم يصبح متاحا بعد قانون تنظيم الصحافة الذى أعقبته ترسانة من القوانين المقيدة للصحف، فلا الرقيب كان يسمح أيام الثورة بنشر الحقائق، ولا المجلس الأعلى للصحافة يساعد الصحف أن تقوم بعملها، فهو بالنسبة لمصطفى أمين مثل مجلس الآباء فى المدارس، فهو لا يعين رئيس تحرير وإنما يقوم بالتوقيع فقط.

(٣) محمد صلاح الدين فياض، أخبار اليوم منذ صدورها وحتى صدور الأخبار اليومية من ١١ نوفمبر ١٩٤٤ إلى ١٦ يونيو ١٩٥٢ (جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة، ١٩٩٤) ص ٣٥.

والأفكار التى تنشر فى الصحف التى يعمل بها، ومن خلال كاريكاتير رسمه فنان الكاريكاتير عبد السميع[1] جعل فيه على أمين بجسده الضخم يكاد يقع على الأرض وهو يعمل، يحمل قلما فى يده اليمنى يكتب به مقالا، وبيده اليسرى يمسك يد رسام ليرسم رسما كاريكاتيريا، وتخرج من رأسه أشعة أفكار تصب فى رؤوس بعض المحررين وعلى الفور يكتبون من وحيها، وبين أصابع قدمه اليسرى يستقر قلم يحرر به أخبار الدار، بينما يحمل محرر قدمه اليمنى التى وضع بين أصابعها قلما وقد انحنى محرر فى وضع المنضدة ليكتب على أمين مقالا آخر، ومن رأسه تتطاير أفكار أخرى يطير خلفها المحررون، وفى خلفية ذلك كل يقول المدير العام لأخبار اليوم لآخر: بدل ما على أمين قاعد فاضى، ما نطلع مجلة جديدة نشغله فيها.

كان على أمين إذن يبذل مجهودا خرافيا فى أخبار اليوم، وكان يوجه هذا المجهود لتكون الصحافة أكثر قدرة على الجذب والإثارة، ويمكن أن يرصد الباحث بعض الشهادات التى تلخص ما أضافه على أمين لصحافة الإثارة فى مصر[2].

عبد الحميد عبد الغنى رئيس تحرير أخبار اليوم: كان على أمين العقل المفكر المبتكر والروح الدافع المثير فى كل صحيفة من الصحف العديدة التى أشرف على تحريرها، شهدت هذا منذ بدأ التفكير فى إصدار أخبار اليوم، يدخل عليه الواحد منا فيلقاه بإبتسامة وغالبا بحرارة، وقبل أن يجلس يطالعه بفكرة جديدة أو بإقتراح باب جديد وأحيانا بمشروع ضخم كبير، ويقول له: هذا هو دورك فى تنفيذ الفكرة أو الإقتراح أو المشروع، وهذه هى أدوار زملائك الآخرين، ويناقشه مناقشة علمية مركزة، مستشهدا بتجارب الصحافة الكبرى التى سبقتنا.

---

(١) خالد عزب وآخرون، أخبار اليوم مدرسة صحفية مصرية، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢) مصدر هذه الشهادات الكتاب التذكارى الذى أصدرته أخبار اليوم بعد وفاة على أمين عن سلسلة كتاب اليوم فى يونيو ١٩٧٦، وكان عنوانه: على أمين الصحفى والإنسان.

أحمد بهاء الدين: اشترك على أمين فى تأسيس مدرسة صحفية متكاملة، لها ما لها وعليها ما عليها، ولكنها مدرسة كان لابد أن توجد، إنها مدرسة الصحافة الجماهيرية الواسعة الإنتشار.

سعيد سنبل: فى نهاية الخمسينات قرر القيام بثورة فى الفن الصحفى وفى وسائل الطباعة، كانت العناوين الرئيسية (المانشيتات) تكتب بخط اليد، وكان هذا العمل يستغرق وقتا طويلا، واتفق على أمين مع بعض الشركات العالمية على إنتاج ماكينات خاصة لكتابة الحروف العربية والكلمات الكبيرة آليا، ومن المتناقضات أن دور الصحف العربية استفادت من هذا الإتفاق الذى عقده على أمين مع شركات الطباعة العالمية واستخدمت هذه الماكينات، بينما لم تستفد أخبار اليوم من هذا الإتفاق إلا بعد سنوات طويلة، بسبب تغير الإدارة فيها، وإرجاء تنفيذ المشروعات التى اتفق عليها.

فتحى غانم: الصحافة عند على أمين ليست مجرد صورة وخبر وتحقيق ورأى، إنها خطة شاملة لأموال تستثمر وطباعة وتكنولوجيا حديثة، وإعلانات وتوزيع وعلاقات عامة وأبحاث ودراسات تشمل نفسية القارئ والقارئة قبل القارئ أحيانا، وتشمل اللغة العربية وأساليب الكتابة بها، ويكفى فى هذا المجال وحده الخاص باللغة أن نذكر الثورة التى أحدثها بالكلمة المختصرة، وإلغاء نون النسوة وعدم إستخدام المبنى للمجهول، إلى آخر تلك الإبتكارات والتجديدات التى كان يرى أنها تخدم القارئ بسهولة التعبير وبساطته.

حامد دنيا: عندما عاد على أمين من منفاه فى لندن سنة ١٩٧٤، ذهبت والزميل أحمد يوسف كبير مصورى أخبار اليوم لزيارته بشقته بعمارة ليبون بالزمالك، وكان أول شئ يقوله لنا وكنا لم نره منذ ٩ سنوات: هل الصحافة تعجبكم بهذا الشكل؟لقد تأخرت الصحافة كفن ولابد من تطويرها، إذا قدر لى أن أعود إلى أخبار اليوم فسوف أنقل ما رأيته من تقدم فى الطباعة والإخراج والإعلان وكل فروعها إلى صحف دار أخبار اليوم،

لابد أن نعوض هذا التخلف فى الصحافة المصرية، يجب مضاعفة العمل لتصبح الصحافة المصرية هى الرائدة فى العالم العربى كما كانت، وإذا كنت قد أقمت مع أخى مصطفى أمين ثورة فى الصحافة المصرية فلابد أن نقيم ثورة ثانية على ثورتنا الأولى.

جاءت هذه الشهادات فى معرض الرثاء لعلى أمين، والمفروض أن كلمات الرثاء تكون مجاملة وودودة، وقد كانت كذلك بالفعل، لكنها كشفت للباحث عن الدور الحقيقى الذى لعبه على أمين فى تطوير مدرسة الإثارة فى مصر.

لم يكن على أمين مفكرا بقدر ما كان صانعا، ولم يكن كاتبا بقدر ما كان مديرا، ولم يكن منظرا بقدر ما كان منسقا، وكان مبتكرا بالقدر نفسه الذى كان فيه متابعا للمنجز الذى أحرزته صحافة الغرب، وكان لديه ولع دائم بأن ينقل ما وصلت له الصحافة العالمية من تقدم فى فنون الطباعة والإخراج والتوزيع والإعلان إلى الصحافة المصرية وتحديدا إلى صحف دار أخبار اليوم، لأنه كان يرى أن الصحيفة لابد أن تكون مؤسسة كبيرة تعمل وتنتج وتربح على الأقل لتصدر صحفا أخرى وتطور من أداء من يعملون فيها.

إن على أمين كان يجيد فن ربط القارئ بالجريدة التى يعمل بها ويروى صلاح حافظ عن تجربة عمله مع على أمين[1]، أن على طلب منه أن يكتب قصة ابن حسن التى كان يرسمها رخا، ويقول صلاح: كنت أتصور أننى سوف أنهى القصة كلها فى شهر لأن على أمين قال لى: اكتب قصة حسن لمدة شهر، وعندما قاربت القصة على الإنتهاء طلبنى على أمين وقال لى: ايه اللى بتعمله فى حسن ..إنت عاوز تقضى عليه وتحل اللغز...حسن لابد وأن يعيش إلى الأبد.

قصد على أمين ما قاله تماما، فما دامت المادة الصحفية قادرة على جذب القارئ، يتابعها بشغف كبير فلماذا لا تستمر أطول فترة ممكنة حتى يظل القارئ موجودا إلى جوارها.

كان يمكن للباحث أن يستسلم لحالة التؤامة التى يعانى منها على أمين فى كل مرة

(١) فتحى رزق، ٧٥ نجما فى بلاط صاحبة الجلالة (القاهرة، دار التعاون، ١٩٩١) ص ٤٧٥.

يتعرض بحث أو تقترب دراسة من أخبار اليوم، كان يلحق دائما على مصطفى، تتم الإشارة إليهما بالمثنى، وبعد أن تنساب الجمل ينسب الكثير إلى مصطفى أمين والقليل إلى على أمين، رغم أن لكل منهما دور لا يقل عن الآخر، وقد تكون تلك المشكلة أن الصحفى لدى المجتمع هو من يكتب وتصدر له الكتب، لم يفعل على أمين ذلك مثلما فعله مصطفى، لكنه فعل شئيا مهما آخر، فإذا كان مصطفى أمين قد نجح فى وضع دستور صحافة الإثارة من خلال أفكاره وقواعده وكتاباته، فإن على أمين هو الذى استطاع أن يسوق هذه الصحافة ويجعلها واسعة الإنتشار.

رابعا: صلاح حافظ

يعتقد الباحث أن سلسلة صحفيى الإثارة ممتدة لا تكاد تنقطع، فقد خرج مصطفى وعلى أمين من كف محمد التابعى، وعمل صلاح حافظ مع على ومصطفى أمين وتعلم كثيرا منهما، كما أنه أخذ من روح روزاليوسف التى عمل فيها فى بدايات حياته.

إن صلاح حافظ يحمل فى حياته مفارقة أنه ولد فى نفس العام الذى صدرت فيه روزاليوسف، وهو العام ١٩٢٥، ولابد أن عمله فى روزا ترك عليه بصمات عديدة، وقد أرخ صلاح لهذه الفترة من حياته[1] يقول: شاءت الصدفة أن ألتحق بروزاليوسف وقد تولاها رئيس تحرير شاب هو إحسان عبد القدوس، يريد أن يثبت جدارته، كان إحسان أديبا يتقمص دور الصحفى ويعيد صياغة كل سطر فى المجلة لا يروق له أسلوبه، وكان أول ما طلب منى لكى يختبر أسلوبى أن أعيد صياغة تحقيق قصير عن إحتفال أقيم فى الأسكندرية لإنتخاب ملكة جمال مصر، وشاءت الصدفة أن تكون التى فازت فى هذا الإحتفال فتاة يونانية، وكأن مقاييس الجمال المصرى لم تجد ما يعبر عنها غير وجه مستورد، فلم أتردد فى أن أجعل من هذه المفارقة محور الموضوع كله وأن أحول القصة من خبر إلى نكتة، ولم يكن ذلك عن قصد منى وإنما شاءت الصدفة أن أكون طول عمرى مولعا

(١) صلاح حافظ، روزاليوسف وأنا، فى جريدة الجمهورية عدد ٣ ديسمبر ١٩٨٥.

بالمفارقات، وأن يتأثر أسلوبى فى الكتابة دائما بطبيعة الموضوع.

هنا يمكن أن يمسك الباحث بأول خيط الإثارة لدى صلاح حافظ، وهو خيط يهتم بالصياغة الصحفية القادرة على جذب القارئ وجعله لا يغادر الموضوع مهما كان ثقيل الظل إلا بعد قراءته.

لم تكن تجربة صلاح فى روزاليوسف هى أول تجاربه فى الصحافة[1]، لقد جاء صلاح حافظ من الفيوم إلى القاهرة ليدخل كلية الطب فى منتصف الأربعينات، دخل الكلية بالفعل لكنه لم يصبح طبيبا، ولكنه دخل عالم الصحافة والكتابة والأدب، عندما كان فى المرحلة الإبتدائية حاول أن يكتب الشعر، وعندما انتقل إلى الثانوية العامة كتب القصة وكان فى ذلك متأثرا بكتابات المنفلوطى وطه حسين وتوفيق الحكيم.

فى هذه الفترة كان صلاح حافظ قارئا محترفا، يقرأ المجلات بكثافة شديدة، ولم يترك حتى «البعكوكة»، بل إنه حاول أن يقلد الأزجال التى تنشر فيها.

بهذه الخلفية الثقافية جاء صلاح حافظ إلى القاهرة طالبا فى كلية الطب، ولكن لم تنزعه دراسته من إهتماماته الأدبية وكتابة القصص القصيرة التى أيقن أنه يجيدها بعد أن فاز بأول جائزة من وزارة المعارف عن قصة قصيرة كتبها.

كان أول عهد صلاح حافظ بالصحافة فى جريدة «الكتلة» التى كان يصدرها مكرم عبيد، نشر له حلمى مراد قصتين وأعطاه ثمانية جنيهات مرة واحدة، ولحظتها أدرك صلاح حافظ أن الكتابة ليست هواية فقط، بل يمكن أن تصبح مهنة، ويصبح لما يكتبه قيمة تستحق النشر ويتقاضى عنه نقودا.

فى ١٩٤٨ صدرت الجريدة المسائية التى كان يرأس تحريرها كامل الشناوى ويصدرها أحد مليونيرات الوفد، حمل إليها صلاح حافظ بعضا من قصصه وقابله كامل الشناوى، أخذها منه وطلب منه أن يعود إليه بعد أسبوع، سافر صلاح إلى الفيوم وعاد بعد سبعة

(١) محمد الباز، مقال بعنوان الفيومى، جريدة صوت الأمة العدد ١٦٣ فى ١٢ يناير ٢٠٠٤.

أيام ليعرف أن كامل الشناوى بحث عنه فى كل مكان، وعندما رآه كامل قال له: سوف ننشر لك قصة فى العدد القادم، وطلب منه أن يذهب إلى الخزينة ليصرف عشرة جنيهات مقابلا لقصته.

ومن الجريدة المسائية إلى دار النداء التى أسسها يس سراج الدين لينافس بها أخبار اليوم، كانت دار النداء تصدر صحيفتين هما «النداء»و«صوت الأمة»، اختار صلاح صوت الأمة وتعلم فيها كل ما يتعلق بفن الطباعة والإخراج الصحفى من خلال علاقته بعمال المطبعة، ثم أصدر يس سراج الدين مجلة القصة ليصبح صلاح حافظ سكرتيرا لها الى جوار إبراهيم ناجى الذى رأس تحريرها.

حتى هذه الفترة كان صلاح لا زال يتعلم، لكن حدث التحول الصاخب فى حياته عندما إنتقل إلى جريدة الستار مع مأمون الشناوى، وخرج منها بقضية حكم عليه فيها بغرامة كانت كبيرة فى هذا الوقت وهى ٢٠٠ جنيه، كان صلاح قد أنشأ فى المجلة بابا عن الجامعة وضع له شعارا هو «اطلبوا العلم ولو فى مصر»وتعرض فيه لبعض الأوضاع لخاطئة فى الجامعة، رفع عميد كلية دار العلوم وعميد كلية الزراعة قضية على المجلة، جد صلاح نفسه وحيدا فيها، ودفع صلاح مبلغ الغرامة وحده بعد أن غضب بشدة من كامل الشناوى حيث كتب يدعو القراء للمساهمة فى مبلغ الغرامة.

بعد هذه القضية إنتقل صلاح إلى جريدة الملايين، أصدرها رجل ثرى يحلم أيضا بمنافسة أخبار اليوم، لكن صلاح حافظ وإلى جواره زهدى الرسام ومأمون الشناوى جعلوا من الجريدة منبرا لليسار للدرجة التى جعلت صاحب المجلة يسخر منهم ويقول لهم: مفيش جوابات وصلت لكم من موسكو.

بعد الملايين طلبه إحسان عبد القدوس ليعمل معه، كان صلاح قد نضج تماما، وقد حرر فى روزاليوسف بابا يمكن أن يعتبره الباحث الباب الملكى الذى دخلت منه صحافة النميمة وإقتحام الحياة الخاصة للفنانات والطبقات الغنية.

يقول صلاح حافظ[1]: رسخ فى ذهن إحسان عبد القدوس منذ قرأ صياغتى للتحقيق الخاص بملكة جمال مصر، أننى خلقت لكى أكتب أخبار المجتمع والحفلات والسهرات، كتب قصصا ونشرها، كتبت مقالات وأبرزها، كتبت بابا علميا بعنوان«انتصار الحياة»واحتفى به، توليت صياغة كافة أخبار السياسة وأخبار الفن والعلم والرياضة، لكن الأهم عنده كان الإلتزام بأن أكتب كل أسبوع أخبار المجتمع الراقى فى مصر، تحت عنوان: أين يذهب الناس؟

كانت مشكلة صلاح كما قال أنه رجل فلاح لم ير القاهرة إلا بمناسبة إلتحاقه بالجامعة والمناسبات الإجتماعية التى يعرفها كانت حفلات الزفاف وحفلات العزاء، ولم يكن قد سبق له فى ذلك الوقت أن شاهد سباق خيل أو سهرة راقصة أو مهرجانا فى نادى الجزيرة أو نساء يرتدين مجوهرات حقيقية.

ودار حوار بين إحسان عبد القدوس وصلاح حافظ على النحو التالى:

صلاح: أنا لا أعرف هذا الجو.

إحسان: لهذا ستجيد الكتابة عنه.

صلاح: ليس عندى حتى ما يلزم من ثياب لحضور هذه المناسبات.

إحسان: أنا لا أطلب منك حضورها..بل أحذرك من حضورها.

صلاح: كيف سأكتب عنها إذن؟

إحسان: بعد قليل سأعرفك بالمصادر التى ستزودك بالأخبار.

يقول صلاح حافظ: دعانى إحسان إلى مكتبه ليقدم لى صديقين: فلان وعلان، هما من أبناء الذوات وكلاهما ضابط بالقوات المسلحة وكلاهما يعيش سهرات المجتمع جميعا، ويعرف بالتفصيل ما جرى فى السهرات التى يشهدها، ويعرف ما سيجرى فى السهرات القادمة، وكان أحدهما أشبه بالكمبيوتر لا ينسى شئيا.

---

(١) صلاح حافظ، روزاليوسف وأنا، مرجع سابق.

كان يضع أمامى على المكتب أوراقا تملأ مجلدات، وكلها أخبار صحيحة وكلها مفصلة، فلانة ذهبت إلى سباق الخيل، وكان معها فلان وفلان، وكانت تلبس ثوبا أبيض وعقد أزرق وحلقا على هيئة الهلال، وكان حذاؤها فضيا وكعبه على إرتفاع بوصتين، وكان شعرها مضموما إلى الوراء، وكان زوجها يلبس بدلة زرقاء، وفى جيبه منديل أصفر، وعندما فشل الحصان الذى راهنت عليه غضبت، بينما ابتهج فلان بك، الذى سبق وأن فسخت خطوبتها له، والذى كان يلبس حذاء أبيض، وبنطلونا أصفر ومعه خطيبته الجديدة بنت فلان الفلانى، فى ثوب أزرق ذى خيوط ذهبية، وعقد من اللؤلؤ الأبيض المائل إلى الزرقة، والذى صنع هذا الجوهواجى الإيطالى السنيور «فلانو» الذى تزوج فى العام الماضى من كريمة فلان باشا.

تحدث صلاح حافظ ربما دون أن يدرى عن جانب آخر من جوانب دستور صحافة الإثارة، عندما فكر إحسان عبد القدوس فى هذا الباب كان يريد أن يرفع توزيع مجلته، وقد أشار صلاح حافظ إلى ذلك عندما يقول: أصبحت نوادى السادة فى مصر تتلقفه وتتوقعه وتتوجس مما ينشر فيه أسبوعا بعد أسبوع، وأصبح فقراء القراء يتابعونه ويقرأونه لبعضهم البعض بشهية الذى يطل من ثقب الباب على عالم غير مسموح له بأن يدخله من الباب، واستفاد صلاح من كتابته لهذا الباب فهو وكما يقول أيضا: كانت هذه الأخبار بالنسبة لى كنزا من الأعاجيب يسمح لى بممارسة ريضتى الأسلوبية المفضلة وهى رياضة العزف على المفارقات.

حقق كل منهما - رئيس التحرير والمحرر- هدفه وظلت الصيغة التى وضعت مثل الأيقونة التى استخدمتها الصحف بعد ذلك فى متابعة أخبار المجتمع، لكن الفارق أن الأخبار التى كانت تتراكم على مكتب صلاح حافظ صحيحة ودقيقة ويعرف أسماء أصحابها فى حين أن أبواب المجتمع فى الصحف الخاصة منذ منتصف التسعينات لم تكن تتحرى الدقة اللازمة وغلبت عليها الأخبار المجهلة والمجاملات وتصفية الحسابات بشكل كبير.

أثناء عمل صلاح فى روزاليوسف عمل أيضا فى جريدة الأخبار، وفى ظل مصطفى وعلى أمين[1] تولى صلاح حافظ الإشراف على إختيار الموضوعات والأخبار من الصحف الإنجليزية وتوزيعها على الأبواب والصفحات، وكان يترجم فى نفس الوقت قصة قصيرة فى عمود لكاتب أمريكى اسمه بيروز، وكان يكتب حواديت من الوسط الفنى إلى جانب ربع صفحة بعنوان وراء الحوادث والأخبار.

تشرب صلاح حافظ عناصر الإثارة فى المدرستين الكبيرتين، وعندما تولى مسئولية التحرير فى روزاليوسف خطا خطوات ملحوظة فى ملف الإثارة السياسية، يقول صلاح حافظ[2]: بعد حركة ١٥ مايو ١٩٧١ جاء عبد الرحمن الشرقاوى إلى روزاليوسف، كان رئيس التحرير وقتها هو أحمد حمروش وكنت أنا نائبا لرئيس التحرير، وقام الشرقاوى بإقصائنا عن مناصبنا، وقام الشرقاوى بتعيين زميلين هما يوسف صبرى وفهمى حسين لإدارة تحرير روزاليوسف، وظل نفس الحماس السياسى مستمرا، وأيضا تصنيف البشر على أساس سياسى، وهذا مناخ لا تزدهر فيه صحافة، وكان من الطبيعى أن يتأثر توزيع المجلة ويأخذ فى الهبوط وصار الناس فى روزاليوسف فرقا متناحرة.

كان لابد أن يرتفع التوزيع مرة أخرى.

يكمل صلاح ما حدث: ذات يوم كلمنى الأستاذ الشرقاوى وقال لى : أنا هاجيب فتحى غانم يمسك روزاليوسف وأذكر أنى قلت له: وأنا ممكن أساعده واشتغل معاه، وبعد أسبوعين أو ثلاثة كنت فى مكتب الشرقاوى، وكان عنده أيضا فتحى غانم فقال لى الشرقاوى فجأة: إيه رأيك تشتغل مع فتحى غانم على طول وتبقى رئيس تحرير معه؟، وقلت للشرقاوى بدهشة: وهل إستأذنت فى هذا القرار؟، فقال بعصبية: أنت مالك يا

(١) فتحى رزق، مرجع سابق، ص ٤٧٥.

(٢) رشاد كامل، الصحافة والثورة..ذكريات ومذكرات (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢) ص ٢٦٥.

أخى..أستأذن أو ما أستأذنش.أنا عينتك وخلاص...يعنى هيرفتوك؟

فى هذه الفترة كان الرئيس السادات قد بدأ يدخل فى مرحلة التمايز عن عبد الناصر، أنشأ المنابر وبعدها الأحزاب، ومن أجل أن يكسب أيضا رصيد حرب أكتوبر، دخل مرحلة حرية الصحافة، خاصة أن إتجاهه السياسى كان يميل إلى كسب أمريكا، وكان لابد من تغليب أن يكون النظام ديمقراطى ليبرالى حتى لو كان ذلك على المستوى الشكلى فقط.

وهنا تحديدا يضع صلاح حافظ قاعدة مهمة من قواعد صحافة الإثارة فى مصر التى لا تزال تعمل بها حتى الآن، ويقصد بها الباحث أن الصحف تهاجم الحكومة وتنتقد المسئولين بضرواة لكنها تتعامل مع شخصية الرئيس كخط أحمر لا يمكن لها أن تتجاوزه.

يقول صلاح حافظ عن ذلك: كنا حكماء وتجنبنا الصدام المباشر مع السادات أو الهجوم عليه شخصيا، ولكن قلنا وكتبنا ونشرنا ما يعجبنا ضد جميع المسئولين الآخرين الذين اتخذوا القرار، مثلا هاجمنا رئيس الحكومة ممدوح سالم، هاجمنا رئيس الإتحاد الإشتراكى وقتها الدكتور رفعت المحجوب، هاجمنا رئيس جامعة القاهرة وقتها الدكتور صوفى أبو طالب.

ويضيف صلاح: كل هؤلاء هاجمناهم أما السادات فقد وضعناه على جنب تماما ولم نقترب منه، وكان هذا فى رأيى صيغة جيدة فى أن نستغل المساحة الديمقراطية الموجودة، لأنه من غير المعقول أو المنطقى أنك أول ما تبتدى الديمقراطية تروح ماسك سيف وتضرب صاحب التجربة لأنه ساعتها هيرجع فى كلامه عن الديمقراطية، ونحن فى روزاليوسف التزمنا بمبدأ بسيط للغاية، وهو أنك تسيطيع توسيع مساحة حرياتك بأن تمارسها دون أن تصطدم بالسادات نفسه، وبدون أن تستفزه وإلى أن نتمكن من أخذ قاعدة ضخمة من الناس، عندها يمكن أن تنقده وسيكون وقتها معك حماية الجماهير.

هذه قاعدة لا تزال ممتدة حتى الآن فى صحف الإثارة، وقد أثبتت فاعليتها خلال

تاريخ الصحافة المصرية كله وتحديدا فيما يخص صحف الإثارة، فالحاكم يسمح بها عندما تهاجم الجميع إلا هو، لكنها عندما تصطدم به يعصف بها دون هوادة.

فعل ذلك الخديو إسماعيل مع صحف يعقوب صنوع، وفعلها السادات مع صحف الأحزاب ومع روزاليوسف نفسها عندما قدمت معالجة تناقضت مع رؤيته فى مظاهرات الجوع التى إندلعت فى ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، فقد كان السادات يرى أنها إنتفاضة حرامية بينما كانت روزاليوسف تعتبرها إنتفاضة شعبية.

يقول صلاح حافظ عن هذه المعالجة[1]: عملنا إجتماع فى روزاليوسف حضره عبد الرحمن الشرقاوى وفتحى غانم وحسن فؤاد ولويس جريس وجمال كامل وأنا، وقررنا أن يكون موقف روزاليوسف هو إعلان الحقيقة كاملة، وكلفونى بكتابة التحقيق الصحفى حول هذا الموضوع، وبعد أن قام الزملاء بتجميع مادة الموضوع، كان مانشيت الغلاف: أسبوع الحرائق، وكان عنوان التحقيق: الحكومة أشعلت الحريق والسادات أطفأه.

كان من بين ما جاء فى التحقيق:

على أن من حسن الحظ أن الداخلية ليست هى التى تحكم مصر، فلو أن رجالها كانوا المنفردين بالسلطة وتقاريرهم هى مصدر المعلومات الوحيد لكانت القاهرة الآن وتسع عواصم إقليمية أخرى أكواما من الرماد، إنما أنقذ الموقف تدخل العقل السياسى فى الوقت الحاسم وقرار الرئيس السادات بإعادة الأسعار إلى ما كانت عليه.

حاول صلاح حافظ أن يفعل الآلية التى وضعها يقول: كانت الفكرة أن نجنب السادات ما حدث، ولكن هذه المرة لم تفلح الفكرة، وأحس السادات أننا تخلينا عنه وأن الشرقاوى طعنه فى الظهر، لأن السادات شعر يومها أنها كانت لحظة طرده من السلطة.

كان صلاح حافظ قادرا على الإبداع والإبتكار الذى تتطلبه صحافة الإثارة، فقد كان

(١) رشاد كامل، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

أضخم موهبة عرفتها الصحافة المصرية على الإطلاق[1] عمل تغييرا حقيقيا فى كتابة القصة القصيرة مهد به لظهور يوسف إدريس، وكتب سيناريو وحوار زينب والعرش ومهد به لظهور أسامة أنور عكاشة فى عالم الكتابة التليفزيونية، أحيا مجلة «آخر ساعة» ليمهد بذلك لفكرة إحياء الصحف الميتة، ترجم لشارلى شابلن فمهد بذلك لترجمات راقية أخرى، كتب المقالة السياسية المتماسكة، فلمعت أسماء كثيرة فى كتابتها.

ولم يكن صلاح حافظ برئيا كما تعكس ملامحه، ويبدو ذلك من المقال الذى كتبه فهمى حسين[2] فقد كتب يقول: شهدت مملكة مصر والسودان طفرة أدبية وفنية، وكان من مظاهر هذه الطفرة مجلة خاصة بأدب القصة القصيرة اسمها «القصة» ومجلة أخرى اسمها «قصتى»، وكان من شأن هذه المجلات ولكونها لا يتجاوز ثمنها ثمن ساندوتش الفول أو قطعة الشيكولاته أننا كنا لا نفوت عددا يصدر منها، ولا يفوتنا سطر ينشر فيها إلا وقرأنه وتبادلناه بيننا، بحيث أصبحت القراءة هى الأكثر متعة من لعب البلى والترنجلية أو حتى كرة القدم والثعلب فات فات وفى ديله سبع لفات.

ويضيف فهمى حسين: فى ذلك الزمان استوقفتنا قصة للكاتب اللامع والأديب الواعد صلاح حافظ، مما جعلنا نقتبس بعض فقرات من قصصه لنسجلها فى كراسة تحسين الخط، الأمر الذى جعل المدرس يحذرنا من الإنسياق فى الدروشة وراء هذا الكاتب الذى لم تخل كتابته حتى القصصية من نوايا وأفكار سياسية لا تتناسب وبراءة الطفولة، وأوعز إلينا بأن ننصرف عنه إلى المنفلوطى ومصطفى صادق الرافعى والعقاد وطه حسين.

(١) عادل حمودة، من حوار أجراه معه الباحث بعنوان "الوى والمريد" ونشر فى صوت الأمة عدد ١٦٣ فى ١٢ يناير ٢٠٠٤.

(٢) ورد المقال فى العدد الخامس من مجلة "٢٧ أكتوبر" وهى مجلة داخلية كانت تصدر فى مؤسسة روزاليوسف، وكان اسمها مستمدا من يوم مولد صلاح حافظ، ويحررها العاملون فى مجلة روزاليوسف، وكانت من النوع الساخر.

ويكمل فهمى حسين الصورة: وعندما تجاوزنا هذه المرحلة بدأنا نفهم لماذا حذرنا مدرس اللغة العربية من كتابات صلاح حافظ، خاصة أنه كان قد بدأ يسفر عن نواياه تحت عنوان«إنتصار الحياة» على صفحات روزاليوسف التى تطورنا إلى قراءتها، ربما تعقبا له ولأمثاله من الكتاب أصحاب النوايا والأفكار السياسية غير البرئية، وتوالت السنون والحقب وشاءت الأقدار أن أصبح التلميذ زميلا للأستاذ، وفى نفس المجلة لأتيقن بنفسى أن صلاح حافظ الذى لمست براءة الصبية فى عينيه ليس برئيا بأية حال، ولأتيقن أن شيخنا المرحوم مدرس اللغة العربية كان على قدر من الفراسة عندما نبهنا إلى ذلك.

خامسا: عادل حمودة

يروى عادل حمودة قصة دخوله الصحافة وروزا اليوسف يقول[1]: كان من السهل أن أنسى محفظة نقودى، لكن كان من الصعب أن أنسى ذلك الكشكول الأخضر، فالمحفظة فارغة غالبا ونقودى القليلة يستوعبها جيبى، ولا أخشى عليها من أصابع النشالين، أما الكشكول الأخضر ففيه كتاباتى الأولى، محاولاتى البرئية لرؤيا الدنيا من خلال أبطال مثل كائنات الأساطير الخرافية، تفرح ..تحزن ...تقتل ..تبكى.. تعذب ..وتمارس الحب فى لحظة واحدة، فى ذلك الوقت كان الوطن فى إجازة، خطفه اليهود فى ستة أيام تحت شمس يونيو الحارقة فى ١٩٦٧ وأجبروه على السفر بعيدا عن الأحلام القومية التى ولدت تحت شمس حارقة أيضا ولكن فى ١٩٥٢.

ذات صباح من عام ١٩٦٨ حمل عادل حمودة كشكوله الأخضر، كان طالبا فى الجامعة، يدرس الإقتصاد والعلوم السياسية، ويحلم بالصحافة وفنون الكتابة، ويعطى بصره لمحاضرات رفعت المحجوب وبطرس غالى وعاطف صدقى وعمرو محيى الدين، ويسلم بصيرته لمقالات أحمد بهاء الدين ومحمد حسنين هيكل وإحسان عبد القدوس وصلاح حافظ ومحمود أمين العالم، وصعد إلى روزاليوسف.

(١) عادل حمودة، مقال مطاردة حزب لولو، روزاليوسف عدد ٣٥١٥ الصادر فى ٢٣ أكتوبر ١٩٩٥.

يقول عادل حمودة: كنت أقطع المسافة من منزلنا فى العباسية إلى الجامعة فى الجيزة بالتروللى باص، وهو أتوبيس يمشى بالكهرباء كان كثير الأعطال، كان الترولل باص يمر على روزاليوسف، فانظر إلى مبناها المتواضع وكأنه قلعة يصعب إختراقها، فوراء بوابتها الزجاجية كتب ثلاثة أرباع تاريخ الصحافة المصرية، وولد معظم نجوم الصحافة والثقافة، محمد التابعى..عباس محمود العقاد..فكرى أباظة..مصطفى أمين..محمد حسنين هيكل..لطفى الخولى ..فتحى خليل..يوسف السباعى..أنيس منصور..مصطفى محمود..ولويس جريس، فكيف أدخل هذه القلعة؟كيف أقنعهم أن يقرأوا بلا واسطة كتاباتى الأولى؟كيف أصبح واحدا منهم؟

فى ذلك الصباح تعطل الترولل باص أمام روزاليوسف مباشرة، حسم عادل حمودة تردده، عبر الشارع، ودخل القلعة، لكن بمجرد أن دخل من البوابة الزجاجية شعر أنه ليس فى قلعة وإنما فى مدرسة، مدرسة صحفية بلا أسوار وبلا أسلاك شائكة، مدرسة فى الهواء الطلق، وهذا هو الشعار الذى عرف أن روزاليوسف ترفعه فى عالم الصحافة، وكان أول من ردده على مسامع عادل حمودة هو كامل زهيرى.

يكمل عادل طريق وصوله إلى روزاليوسف وصلاح حافظ قائلا: كان موظف الإستقبال محمد أبو طالب يضع على رأسه بيريه مثل توفيق الحكيم، كان هادئا ومبتسما ومدربا على التعامل مع التلاميذ الجدد أمثالى، نظر إلى الكشكول فى يدى وفهم، سألنى عن الكاتب الذى أحب أن أقابله، ولأن المفاجأة أذهلتنى لم أتذكر من أسماء كتاب روزاليوسف فى ذلك الوقت سوى المعهم صلاح حافظ، ولم أصدق نفسى وأنا أراه وجها لوجه، وفى دقائق أقنعنى أن روزاليوسف فى حاجة إلى صحفيين لا إلى أدباء، وأن المجتمع المجروح بالهزيمة لن يشفيه إلا جيل جديد من الكتاب يرجم الأصنام التى تساقطت ويعرف قيمة الحرية والمعلومة معا ويكون قادرا على هزيمة الهزيمة.

كان هذا تقريبا أول درس تعلمه عادل حمودة من صلاح حافظ أن يصنع الصحافة وأن

يكتب ما يهدم الأصنام، وقد إمتد هدم الأصنام من السياسة إلى الثقافة ومن الفن إلى المجتمع.

يواصل عادل روايته: اعتذر صلاح حافظ لأنه ليس له مكتب نواصل الحوار فيه، فمكتبه كان حقيبة سوداء أشبه بحقائب تلاميذ المدارس يضع فيه مقالات وتحقيقات المجلة التى يضيف إليها لمساته قبل إرسالها إلى المطبعة بصفته نائب رئيس التحرير، أما المكتب الذى استقبلنى فيه فكان مكتب رئيس التحرير أحمد حمروش واحد من ضباط يوليو الأحرار الذين صنعوا الثورة ثم وجدوا أنفسهم فى الثقافة، وهكذا أصبحت محرراً فى روزاليوسف.

تبلورت العلاقة بين صلاح حافظ وعادل حمودة حتى صارت مثل العلاقة التى تربط بين الولى والمريد[1]، كانت أول فكرة حملها المريد للولى عن النكتة السياسية التى إنتشرت بعد النكسة، فرد عليه ردا لخص حياة عادل حمودة الصحفية كلها بعد ذلك، قال له: أول ما شطح نطح، عرض عليه عرضا لكتاب المخابرات والطلبة الذى كتبه ريتشارد هلمز الذى كان مديرا للمخابرات المركزية الامريكية، وفى النهاية استقر به المقام فى قسم الديسك حيث إعادة صياغة موضوعات المجلة حيث يبث فيها ألهة هذا القسم الروح ، فهم أحيانا يخلقونها من العدم.

لم يستمر عادل حمودة مع صلاح حافظ كثيرا، خرج من معطفه ليعمل فى مجلة «الشباب العربى» التى كانت تصدرها مجلة الشباب، وكان معه وقتها عدد من الصحفيين منهم أسامة الغزالى حرب وعبد القادر شهيب، وكانت المفاجأة أن معركة صحفية دارت بين صلاح وشباب المجلة، فوجئوا بمقال لصلاح حافظ يهاجم المجلة ، قال إنها عجوزة ولا توجد بها صورة بنت حلوة رغم أن من يصنعونها ومن يقرأونها المفروض أن يكون شبابا، هاجموا روزا واتهموها بأنها **صحافة صفراء**، فإذا بصلاح يرد الصاع صاعين، كتب يقول: إن مجلة الشباب العربى ليست عجوزة فحسب بل وعصبية أيضا.

(١) محمد الباز، مقال لم ينشر بعنوان:الولى والمريد.

كان فيما كتبه صلاح درسا مباشرا تعلم منه عادل أن أسلوب الدفاع عن القضية مهم والعجز عن التعبير عن هذه القضية يفسدها، بعد ذلك عاد عادل ليعمل مع صلاح وظل يكتب حتى تم تعيينه فى روزا عام ١٩٧٣، كانت روزا وقتها تعيش واحدا من عصورها الذهبية تحت ظلال الثلاثى الشهير عبد الرحمن الشرقاوى رئيسا لمجلس الإدارة، وصلاح حافظ وفتحى غانم رئيسين للتحرير، وظل يعمل إلى جواره سكرتيرا للتحرير حتى عام ١٩٧٧.

فى هذه الفترة تعلم عادل من مدرسة روزاليوسف مفارقة السائد وحرية العقل، واحترام المرأة والإنحياز للطبقات المعدمة.

من العام ١٩٧٧ إلى العام ١٩٩٢ اقتحم عادل المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والدراسات السياسية المهمة ، أتيحت له الفرصة كى يحول الفكرة الأولى التى طرحها على صلاح حافظ وهى النكتة السياسية إلى كتاب حمل نفس الإسم مع إضافة واضحة ودالة وهى كيف يسخر المصريون من حكامهم؟وظل هذا الكتاب متربعا على عرش مبيعات الكتب السياسية فترة طويلة، وظهر اسم عادل على أغلفة كتب كانت هى الأولى فى مساحاتها متل قنابل ومصاحف الذى روى من خلاله قصة تنظيم الجهاد فى مصر، وسيد قطب من القرية إلى المشنقة، وإغتيال رئيس وعبد لناصر والمخابرات الأمريكية ومحمد نجيب ضحية يوليو، وثورة يوليو وأزمة المثقفين، وكتابه المهم أمريكا الجنة والنار الذى سجل فيه رحلته إلى أمريكا وحصل من خلاله على جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الرحلات.

خلال هذه الفترة أيضا حقق عادل حمودة عدة ضربات صحفية كان من أهمها حصوله على حوارات من قتلة السادات فى جلسة محاكمتهم الأولى، ذهب إلى هناك بعد أن شهد بنفسه واقعة إغتيال السادات[1]، حيث حضر حادث المنصة، حمل جهاز تسجيل واقترب

(١) روزاليوسف، العدد ٢٧٩٠ الصادر فى نوفمبر ١٩٨١، كانت عناوين التحقيق كالتالى:روزاليوسف تستجوب قتلة السادات، عادل حمودة يكتب من قاعة المحاكمة:أسرار جديدة تكشفها التحقيقات،=

من القفص وسأل المتهمين بعض الأسئلة، شعر أنه حصل على سبق صحفى تاريخى، لكنه فوجى أن المحكمة تمنع التسجيل معهم فنصحته صحفية كانت حاضرة المحاكمة أن يستبدل شريط الكاسيت بآخر فارغ، وبالفعل عندما صادروا منه الكاسيت والشريط كان قد فاز بالحوارات ، فالشريط الأول كان لا يزال فى جيبه، وخرجت روزا اليوسف بعنوان ضخم يتحدث عن إنفرادها بالحوار مع قتلة السادات.

ظل عادل حمودة فى مساحة الكتاب خلال هذه الفترة وهى الفترة التى هبط فيها توزيع روزا إلى ثمانية آلاف نسخة واشتكت منها الدولة وجربوا مليون طريقة، وكان المسئولون عن المجلة يسألونه: ماذا يفعلون؟ وكان يقول لهم اعملوا كذا..وكذا، لكنهم لم يكونوا واعين للمسألة، بمعنى عندما تقول لشخص أن الصحافة نفس، كيف يفهمها ويترجمها[1]؟

كان لابد من وسيلة إنقاذ وطوق نجاة، اجتمع مجلس إدارة روز اليوسف ليقرر أن يتولى عادل حمودة مسئوليتها، قبل عادل حمودة التحدى وكان شرطه الأساسي أن مجلس الإدارة مستشارين فقط، وهو المسئول عن التحرير وصاحب القرار، ووضع لهم رقما للتوزيع، استلم المجلة في بثمانية آلاف نسخة، وقال لهم: أصعب عشرين ألف هي العشرون ألف الأولى.

بدأت عجلة التطوير فى المجلة بما أطلق عليه عادل نفسه نظرية اقتحام خط بارليف ، وذلك بأن تصنع ثغرة ثم تنظف على الجانبين، كانت الثغرة التى يقصدها هى أن تقدم مسلسلا سياسيا جذابا يشد الناس، وعندما تصل المجلة إلى أيدي الناس لن يتركوها بعد ذلك ، وعندما يأتوا ليقرأوا هذا المسلسل سيكتشفون أن في المجلة أمورا أخرى تستحق

=الطاقم الأصلى للسيارة أخذ إجازة قبل أسبوع من الجريمة، خالد الإسلامبولى:قتلت السادات لأنه اعتقل أقطاب الجماعات الدينية، عبد الحميد عبد السلام:دخلنا أرض العرض قبل ٣ أيام من تنفيذ الخطة، الجناة لم يحملوا ذخيرة إضافية، أول قنبلتين سقطتا بجوار اللورى والمنصة.

(١) عادل حمودة، مقابلة خاصة معه.

القراءة، كانت أجمل لحظة بالنسبة له عندما قرأت ابنته سلمى وهي في الصف الثاني الإعدادى موضوعا في (روز اليوسف) عندها أدرك أنه وصل للناس.

عبر عادل حمودة تجربته فى مجلة روزاليوسف بعد أن إختزن خبرات وأفكار السابقين عليه من آباء صحافة الإثارة، فقد أوقد محمد التابعى شعلة الإثارة ثم إنتقلت منه إلى مصطفى وعلى أمين ومنهما إلى صلاح حافظ ثم استقرت بعد ذلك عند عادل حمودة.

وعلى هامش هؤلاء تظهر تجربة إحسان عبد القدوس، وإن كان إحسان يختلف عنهما، لقد حرص الجميع على زيادة توزيع جريدته وكان إحسان يرغب فى ذلك أيضا، لكن لم يكن هذا هو هدفه الوحيد، يقول إحسان عبد القدوس[1]: الخلاف الأساسى بينى وبين والدتى هو أنها كانت تمثل الجيل القديم وأنا منطلق بكل كيانى مع جيلى، وكنت أرفض آراء الجيل القديم بما فيهم آراء والدتى، والتى كانت تقصده من وراء عبارتها «أنت دائما آراؤك تأتى على حساب مصالحك» أن مصالحى من ناحية رأس المال فى مجلة روزاليوسف كانت دائما تضيع، فقد كانت أى دار صحفية تتعامل مع الحكومة والأسواق التجارية إلا أنا لم أكن أتعامل مع الحكومة مطلقا، كنت دائما منطلقا مع آرائى، لدرجة أن الإعلانات توقفت تماما عن روزاليوسف أيام كنت رئيس تحريرها.

لكن لم يكن معنى ذلك أن إحسان لم تكن له إضافت مهمة فى مسيرة صحافة الإثارة، فقد إبتكر أسلوبا معتمدا على أنه روائى، فعندما كانت تخبره إدارة التوزيع أن هناك إنخفاض ملحوظ فى توزيع المجلة، كان يبدأ فى كتابة رواية جديدة ويبادر بنشرها حتى قبل أن ينتهى من كتابتها، ولأن روايات إحسان كانت تقتحم حياة الطبقة الراقية بما فيها من أسرار وما لها من سحر فقد كان القراء يقبلون عليها فيزداد التوزيع.

وعن ذلك يقول إحسان[2]: حكاية الطبقة الأرستقراطية التى حاول البعض إلصاقها

(١) محمود فوزى، إحسان عبد القدوس (القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٨٨) ص ١٢٣.
(٢) محمود فوزى، مرجع سابق، ص ١٢٥.

بى فهى الطبقة التى تشد القارئ أكثر لأنها الطبقة الحاكمة، معنى ذلك أن إحسان عبد القدوس كان يجعل من هذه الطبقة هدفا له سواء فى رواياته أو معالجاته الصحفية من خلال الموضوعات الإجتماعية وتحديدا باب«أين يذهب الناس؟» الذى كان يحرره صلاح حافظ، وذلك لأن هذه الطبقة من ناحية ستقرأ ما ينشر عنها، ومن ناحية ثانية ستقبل الطبقة الفقيرة على ما ينشر عن هذه الطبقة على الأقل من باب التطفل.

لكن عندما تولى إحسان عبد القدوس مسئولية أخبار اليوم كان يعمل قبل كل شئ على رفع التوزيع يقول عن ذلك[1]: من الأشياء التى أعتز بها فى حياتى أننى استطعت أن أرفع توزيع جريدة أخبار اليوم إلى مليون و٣٠٠ ألف نسخة، وكان هذا أول مليون فى توزيع جريدة فى تاريخ الصحافة العربية كلها، والفضل فى ذلك لا يعود إلى شخصى فقط، وإنما يعود أيضا لكل الشباب الذين التفوا من حولى وتعاونوا من أجل الإرتفاع بمستوى الجريدة، فقد تسلمت أخبار اليوم الأسبوعية التى تصدر يوم السبت وكان حجم توزيعها ٢٧٠ ألف نسخة فارتفعت بها إلى مليون و٣٠٠ ألف نسخة، وقد خصصت لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية صفحة كاملة للجرائم، وقد ساهم ذلك فى التوزيع بدرجة كبيرة ثم أصبحت صفحة الجرائم والحوادث من الصفحات المستقلة فى كل الصحف والمجلات.

اختزن عادل حمودة تجارب كل السابقين عليه، ويبدو أنه إضافة إلى أساتذته المباشرين صلاح حافظ وفتحى غانم[2]، فإنه كان يحمل إعجابا خاصا بتجربة إحسان عبد القدوس، إختزن تجربته الخاصة فى الكتابة، تلك التجربة التى كانت تجمع فى طياتها بين

(١) محمود فوزى، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٢) مقابلة خاصة مع عادل حمودة قال فيها أن فتحى غانم كان من الروائيين المفضلين لديه وأنه لم يترك رواية له دون أن يقرأها، وكانت له طقوس خاصة فى قراءة رواياته، حيث كان يحصل على الرواية الجديدة التى تصدر لفتحى غانم ويجلس على الأرض فى حجرته ولا يقوم من جلسته إلا بعد أن ينتهى من قراءة الرواية تماما.

السياسة والجنس والسياسة[1]، ولذلك جاءت تجربته إنعكاسا لما قدمه إحسان خلال عمله بالصحافة.

لقد مزج عادل حمودة فى تجربته بروزاليوسف بين العناصر الثلاثة، ويبدو هذا واضحا من أغلفة الأعداد التى أنتجها خلال الفترة من فبراير ١٩٩٢ وحتى إبريل ١٩٩٨ وهو التاريخ الذى خرج فيه من روزاليوسف ليعمل كاتبا فى الأهرام، ويمكن للباحث أن يعطى أمثلة تطبيقية على ذلك:

الغلاف الأول: عدد ٢ نوفمبر ١٩٩٢ العناوين كالتالى: ٥٢ ألف موظف ومهندس مبانى أمام النيابة، المتطرفون : إحتفال علنى بإغتيال السادات، ندوة روزاليوسف: الثقة الضائعة بين الحكومة ورجال الأعمال، ٤ أسماء لخلافة صدام حسين، إيراد لوسى وميزانية علماء الذرة.

الغلاف الثانى: عدد ١٥ أغسطس ١٩٩٤ العناوين كالتالى: منشورات ضد مؤتمر السكان: تحالف الأزهر والإخوان، إعلان الخلافة الإسلامية فى لندن، ٤٠٠ تأشيرة أمريكية لقيادات التطرف، بين جيهان ورانيا شعلان: مأساة ابن السادات، الحب والحجاب، لو نجحت فى الثانوية العامة إقرأ ص ٣٦.

الغلاف الثالث: عدد ٢٢ مايو ١٩٩٥ العناوين كالتالى: يوميا ..ألف تلغراف سرى للرئيس، القدس : صمت الحملان العرب، من أمريكا إلى مصر الجديدة: شذوذ القساوسة، مطلقة المليونيرات فى مصر، نساء يوسف إدريس.

الغلاف الرابع: عدد ١٣ أكتوبر ١٩٩٥ العناوين كالتالى: المحاكم العسكرية ..إلى متى؟، دكتور ميلاد حنا يكتب: لعبة البابا فى إنتخابات الأقباط، حرب المنشورات بين الداخلية والجامعة الأمريكية، أولاد الفنانين وقضايا الآداب، ننشر وصيتها: ناهد رشاد من بلاط الملك إلى دار المسنين، سها عرفات لروزاليوسف: زوجى غيور جدا.

(١) كرم جبر، مقابلة خاصة مع الباحث أجراها فى مكتبه فى مؤسسة روزاليوسف.

الغلاف الخامس: عدد ٦ يناير ١٩٩٧ العناوين كالتالى: بلطجة إسرائيل من الخليل إلى المهندسين، مفاجآت الأسبوع فى النيابة: فنانات يشهدن ضد الليثى، معركة الأزهر والرقابة: صور الجنة والنار بالألوان، د.مصطفى محمود: فيفى عبده فى الجنة، احتفال مختلف بعيد الأقباط: شهود الصراع بين السادات والبابا يتحدثون الآن، ابتزاز الأمراء العرب باسم صفية العمرى، قبل رمضان: استيراد جنون البقر من أيرلندا.

الغلاف السادس: عدد ١٠ فبراير ١٩٩٧ العناوين كالتالى: فى المحاكم: إزدراء الأديان براءة، جاسوس مصرى فى مكتب نتنياهو، عندما يصبح الزواج دعارة: نهاية عصر الزواج، أبطال المانشيتات الساخنة أين هم الآن؟، ديون النجوم من الإفلاس إلى السجن، دراسة ممنوعة من النشر: إغتصاب البنات فى مصر أكثر من أمريكا، دق الوشم من رسم الحواجب إلى عبادة الشيطان.

الغلاف السابع: عدد٢٨ إبريل العناوين كالتالى: الصحافة الأمريكية تعلن الحرب على روزاليوسف، قائد الطيران فى ١٩٦٨ يتحدث بعد ربع قرن، عبد الناصر: اضربوا الطلبة بالطيران، فلوس صفية العمرى: النصب باسم الشيخ الشعراوى، كارثة تهدد سمعة مصر: اترك دينك ترجع إلى وظيفتك، د.ميلاد حنا يفضل الرد على روزاليوسف: الإسلام المصرى وإضطهاد الأقباط، والبابا شنودة على شريط فيديو: اطرود الأقباط من مساكنهم وادفعوا لهم الثمن.

الغلاف الثامن: عدد١٨ أغسطس ١٩٩٧ العناوين كالتالى: نحن ننشر مستندات معونة ١٩٩٨: أمريكا تطلب مصر فى بيت الطاعة، قيود بناء الكنائس ضد الشريعة الإسلامية، إقرأ ص ٦٢ أولا: يا منقذنا من الفساد، قانون تفصيل لرجل أعمال واحد: الحكومة تدمر صناعة السينما، شرف الصحفيين فى مكتب سليمان متولى، الأميرة والبلاى بوى: الفايد يستغل ديانا فى الإنتقام من الإنجليز.

الغلاف التاسع: عدد ٩ فبراير ١٩٩٧ العناوين كالتالى: ضرب العراق ولو تراجع

صدام حسن: دول عربية وافقت على تقسيم العراق، بسبب مقال عن سيدنا محمد: أقباط يكفرون أقباط، رسالة عاجلة عن البيت الأبيض: كيف يمارس الرئيس الجنس، وعلى الغلاف صورة للرئيس الأمريكى بيل كليتون مصلوبا على فخذى إمرأة، حرب المعجبين الرجال: حادث راغب علامة إغتيال سياسى، محافظ الأسكندرية يعترف بهدم الفيلات: هؤلاء كسبوا مليار جنيه فى غمضة عين، بعد حادث سماح أنور: أطباء يطالبون إباحة البانجو.

لم يعتمد عادل حمودة على كسر التابوهات الثلاثة من خلال عرض الموضوعات الإعتيادية فى السياسة والدين والجنس ولكنه دخل بتجربته إلى الممنوعات والمحرمات، ويتضح هذا من:

الغلاف العاشر: عدد ١٧ يناير ١٩٩٤ العناوين كالتالى: لأول مرة فى الصحافة: نحن ننشر النصوص الممنوعة، الليالى الحمراء فى ألف ليلة وليلة، يوسف إدريس: مسرحية السادات فى حرب أكتوبر، نجيب محفوظ: فصل من رواية أولاد حارتنا، نزار قبانى: محاكمة علنية للزعماء العرب، سلمان رشدى: صفحات من آيات شيطانية.

وفى تقديمها للنصوص الممنوعة تقول المجلة تحت عنوان قبل أن تقرأ:

ما الذى يخيف فى هذه الكتب ؟لقد أصبحت رمزا لكل ممنوع ومحرم وآثم، قراءتها رجس من عمل الشيطان وتداولها جريمة تعاقب عليها القوانين الشرعية والوضعية، وتبادل أفكارها ذنب قد يؤدى للقتل.

ما الذي يخيف في هذه الكتب؟ حتى يصدرها الأزهر ويطاردها وتمنعها الحكومة وتعتقلها، ما الذي يخيف في هذه الكتب ؟ أفكارها .. آراءها .. صفحاتها .. أصحابها .. شجاعتها .. تمردها .. عنادها؟

هذه الكتب موجودة لدى بعض المثقفين سرا وتباع لدى بعض المكتبات سرا، وتتوافر لدى المهتمين والمشتغلين بالبحث والرأى والفكر، إذن لماذا لا نقرأ هذه الكتب؟

المشكلة أنها كتب، كتب لا تحمل مدافع رشاشة ولا قنابل مسيلة للدموع ولا عبوات ناسفة ولا مسامير حارقة، إن أبسط قواعد العدل أن يتاح للناس قراءة هذه الكتب ومناقشتها ورفضها أو قبولها، لكن المصادرة عليها ومنعها وإعتقالها جريمة، إن الإسلام لا يعرف المصادرة، لقد كانت الأفكار مفتوحة الشوارع، والكتب مسموحة والإختلافات متاحة، ثم جاءت السياسة فطغت وسادت وحرمت وقتلت، ثم جاء تجار الدين وكهان التدين، فطغوا وسادوا وحرموا وقتلوا، فصار طه حسين كافرا، ويوسف إدريس خائنا، وفرج فودة مرتدا، ونجيب محفوظ ملحدا، ونزار قبانى منحلا.

لذلك أصبحت كل الطرق تؤدى إلى التطرف وتمضى إلى الإرهاب، والأزهر يتصدر البطولة فى هذه المصادرات، وضع شيوخه وأساتذته أوصياء من دون الله على كل رأى أو إجتهاد، إنه زمن الحزب الفكرى الواحد الذى لا يسمح بالتعددية وبالإجتهاد.

الأزهر صادر على عبد الرازق وطه حسين ونجيب محفوظ ولويس عوض وفؤاد زكريا وفرج فودة وسعيد العشماوى وغيرهم.

لقد جعل بضعة أساتذة فى مشيخة الأزهر من أنفسهم قضاة على هؤلاء المفكرين العظام حجابا على أفكارهم، حواجز على آراءهم، رقباء على كتبهم، لكننا ونحن ننفرد بنشر نصوص ممنوعة من كتب محرمة نفعل ذلك إتفاقا لا إختلافا مع هذه النصوص، بل دفاعا عن حقها وحريتها فى أن تكون متاحة للناس جميعا وتدافع عن نفسها بنفسها.

إن المجتمع المفتوح الحر هو الذى يطلق أولى خطوات الحضارة والتقدم، والإسلام الحنيف العظيم لم يأت إلا بالحق ولم ينتشر إلا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يرق قمم الدول والأمم إلا بحق الإختلاف والإجتهاد، نحن ننشر هذه النصوص لأساتذة الفكر والأدب دفاعا عن الإسلام – وهذا يكفى – ودفاعا عن الحرية – وهذا يضيف – ودفاعا عن مصر – وهذا واجب – ودفاعا عن المستقبل – وهذا ضرورى – ، ودفاعا عن حق الجميع فى المعرفة – وهذا هام – ...ولا نامت أعين الجبناء.

تلخص هذه المقدمة التى نشرتها المجلة تمهيدا لنشر النصوص الممنوعة فلسفة عادل حمودة فى صحافة الإثارة، فهى صحافة ضد المنع والتحريم، قد تكون متجاوزة لكنها تتجاوز من أجل المجتمع، وقد تخطئ لكنها أخطاء من أجل المعرفة، وهى أخطاء لابد أن يغفرها المجتمع لأنها أرتكبت من أجله.

لقد جمعت النصوص الممنوعة بين التابوهات الثلاثة السياسة والدين والجنس، وهنا وجهتى نظر لابد من إستعراضهما:

الأولى : أنه ليس من المنطقى أن تنشر هذه النصوص فى مجتمع ليس أميا فقط ولكنه يعانى من قصور هائل فى درجة وعيه الفكرى والثقافى، وإذا كانت الحجة أن هذه النصوص تكون فى متناول الجميع حتى يحكموا عليها بأنفسهم ويعرفوا منها ما هو الصواب وما هو الخطأ، فإنها حجة باطلة وخادعة، فالذى يقوم بالفرز لابد أن يكون على درجة من الوعى وهى فى الغالب ليست موجودة لدى قارئ الصحف العادى فى مصر، ولذلك فإن النشر بهذه الطريقة يضر أكثر مما ينفع.

وجهة النظر الثانية : تقوم على أن صحف الإثارة تعرف جيدا الحالة الفكرية بل والذهنية التى عليها قارئها، وهى تريد أن تحدث له صدمة فكرية وإجتماعية ونفسية تجعله يفيق من الصور الثابتة التى يسير خلفها، وإذا أصيب بصدمة مع القراءة الأولى، فإنه سوف يستوعب الصدمات بعد ذلك ويتفاعل معها ويصبح أكثر قدرة على الفهم والنقد وإختيار الطريق الصواب.

من بين وجهتى النظر تسربت ملامح مدرسة الإثارة لدى عادل حمودة وهى ملامح يرى أنها كانت جميعها فى مصلحة الصحافة، وقد تبدى هذا فى مراحل مختلفة من تاريخه المهنى.

لقد إستطاع عادل حمودة أن يقفز بتوزيع روزاليوسف فى الفترة التى تولى خلالها مسئوليتها التحريرية إلى أن أصبحت المجلة رقم واحد فى مصر، وهو ما جعل النمط الذى

يقدمه متهما دائما ليس بالإثارة التى تظل أسلوب معالجة وليست تهمة، ولكن بالخروج عن آداب المجتمع. وقد تحدث عادل حمودة مبررا وشارحا ما قام بها فى مناسبات عديدة منها:

أولا: فى حوار بين عادل حمودة وسليم عزوز[1] قال له عزوز: مجلتك متهمة بالخروج على تقاليد المجتمع المصرى؟فأجاب عادل: التقاليد...روح نقابة الصحفيين لكى تحاسبنى على الخروج على التقاليد، عندما تصبح مجلة فى ٢٤ ساعة معبودة الجماهير وتحرك الرأى العام كله، فأنا آسف جدا لا أقبل أى إتهام...المسألة ليست هزارا.

قال له سليم عزوز: موضوعات الجنس والصور العارية والرسالة التى أرسلتها لكم زوجة رئيس حزب التجمع خالد محيى الدين والتى تقول فيها أنها لا تستطيع أن تطلع أحفادها على المجلة؟

رد عادل: الصور العارية لها ستة أشهر، المجلة قوية جدا بدون صور عارية، المسألة أنك تريد أن تنال من إجتهاد صحفى، إحنا المجلة الوحيدة التى قدمت قضية الحباك، المجلة التى فجرت كل القضايا الخاصة بالأقباط، المجلة التى دافعت عن وحدة هذا الوطن وكرامته وواجهت الإرهاب.

سأله سليم عزوز: يأخذ البعض عليكم الهجوم على رموز الإسلام ويرون هذا هجوم على الإسلام ذاته فما ردك؟

ويجيب عادل: عندما يأتى الشيخ الشعراوى فى الأخبار ويقول أنه مع مؤتمر السكان وفى الشعب والوفد يقول أنه ضده ويصادف أن الرأيين ينشران فى يوم واحد ...تصدق من؟أنا أريد أن اسأل هل فى الإسلام رجل دين؟هل فى الإسلام كهنوت؟هل فى الإسلام وساطة بين العبد وربه؟نحن نحترمهم كعلماء ونجلهم أيضا ونحن نختلف مع تناقضاتهم.

---

(١) حوار بين عادل حمودة وسليم عزوز فى ١٩٩٦ نشر فى جريدة الأحرار، عن: حمادة إمام، الجنس السياسى (القاهرة، مدبولى الصغير، ٢٠٠٢) ص ٢٦٠.

عندما يأتى أحدهم ويقول أن نقل الأعضاء حرام وأن العلاج حرام وتدخل فى مشيئة الله ثم يذهب لإجراء جراحة، وعندما يهاجم الأقباط ثم يجرى له طبيب مسيحى عملية جراحية ويقول أن المسيحيين كويسين، هل نسمى نقدى لمن يفسر الدين حسب مواقفه الشخصية هجوما على الإسلام، أنا أختلف مع مواقف رجال الدين المدنية وليست الإسلامية.

رفض عادل حمودة كل الإتهامات التى وجهت إليه فى هذه الفترة لأن مجلة روزاليوسف كانت فى قمة نجاحها وعنفوانها، لم يكن يقبل أن يراه أحد مخطئا أو أن ما يقدمه من صحافة غير مقبول، لكنه بعد أن إبتعد عن التجربة ورآها من على البعد بدأ يراها بعين مختلفة.

ثانيا: أجرى الصحفى السورى حكم البابا حوارا مع عادل حمودة فى دمشق[1] تناول فيه تجربة روزاليوسف، وهى التجربة التى يقول عنها حكم البابا أن عادل حمودة تماهى بها، إلى حد أن ذكر اسم (روز اليوسف) يستدعى اسمه والعكس صحيح.

ومن بين ما احتواه هذا الحوار ما يلى:

• اتهمت روز اليوسف فيما اتهمت بأنها صحافة إثارة للانتقاص من قيمتها وتأثيرها، وتحويلها إلى صحافة درجة ثانية.. ما رأيك أنت ؟

• بصراحة سأقدم لك أرقاما محددة وأنا مسئول عنها، بدقة شديدة كان مرتجعى فى روز اليوسف فى أسوأ أحواله ثلاثة بالمائة، والثلاثة بالمائة مع رقم كبير جدا في التوزيع هو أربعة آلاف إلى خمسة آلاف نسخة، وكنت أرتعب، لاحظ أننا نتكلم على الثلاثة بالمائة، أى الخمسة آلاف نسخة الذين هم حجم توزيع مجلة تصدر معك فى نفس الأسبوع.

(١) حوار عادل حمودة مع حكم البابا منشور على موقع حكم البابا الإليكترونى، وهو بدون تاريخ، لكن وقائع الحوار تدل على أنه أجرى بعد أن خرج من روزاليوسف بفترة طويلة.

ما الذي كنت أعمله وأنا عند رقم معين، لا أستطيع أن أزيد الطبع، كي لا أحقق خسارة.. لأن تكلفة المجلة أعلى من أى رقم توزيع يأتى به، والربح يكون في الإعلان، وأنا كنت مصرا على تحقيق ربح لروز اليوسف يزيد عن عشرة بالمائة، ولم أكن مستعدا للتنازل عن هذا، مثلما لم أكن مستعدا للتنازل عن جيل جديد يخرج من روز اليوسف بحيث أننى أصنع مشروعا متكاملا.

المهم لم أكن أستطيع أن أزيد التوزيع، لأن قانون التوزيع يقول لك، أنك تستطيع أن تزيد في أرقام الطبع لغاية ١٥ ٪ لأن الـ ١٠ ٪ هي أقصى ما تفعله أعظم شركة توزيع فى تأثيرها بتوزيعك، والـ ٥ ٪ هي النسخ التالفة نتيجة الربط والحمل والنقل، فإذا كان مرتجعى ٣ ٪ فهذا يعنى أن لدى ١٢ ٪ فى السوق فى أسوأ أحوالى، ويعنى أننى أستطيع أن أزيد.

لماذا أقوم بذلك؟

أقول لك بأمانة لماذا أستخدم الجنس.

أولا كنت أشعر أن هناك تابوهات معقدة فى المجتمع المصرى أكثر من اللازم، مجتمع يبدو لك محافظا لكنه فى أعماقه ليس محافظا، وهذا يعنى إزدواجية، وعندما تجبر مجتمعا على الحديث فى أى شيء معناه أنك قد نكشت دماغه، وحفرت أفقه. إياك أن تتصور أن الجنس وحده يوزع، هناك مجلات تنشر صورا لكنها لا توزع، لماذا؟ إياك أن تتصور أن هذه بضاعة رائجة، هى بضاعة مكلمة، وأنا مستعد أن أحلف لك أننى نشرت الجنس لتخفيف صدمة السياسة، ليس على ولا على الرأى العام، إنما على الدولة.

• أنا لم أقصد الجنس وإنما قصدت الإثارة بكل المعانى؟

• أنا أريد الحديث عن هذه المسألة لأنها تقلقهم كثيرا، إياك أن تتصور أن مشهد عرى في فيلم يعنى أنه سيلاقى إقبالا، ولا عدة كلمات قبيحة في كتاب يعنى أنه سيبيع، ولا صورة فى مجلة ستمكنها من الانتشار، ربما تبيع مرة، لكن خطها البيانى لن يكون في

صعود دائم، سيصعد ثم سينزل ثانية، والقضية كانت بالنسبة لنا فى (روز يوسف) أن هذه المواضيع كانت كالشحم الذى تضعه بين أشياء تحتك ببعضها، وأنا لم أكن أتضايق من فكرة أن يهاجموننا فى قضية الجنس، كى تبعد عنا مشاكل كثيرة كانت ستحصل، في أمور أخرى، وعلى كل حال، القضايا التي حوسبنا عليها كانت قضايا أهم، فجرتها روز اليوسف.

كقضية الحباك مثلا.. فالدولة كانت تقول دائما أنها تعطينا قضايا الفساد.. في قضية الحباك نحن حاسبنا الدولة، وكانت أسوأ قضية فساد فى إعتقادى، ومع ذلك لم نكتب سطرا على الغلاف، لكن الناس شعرت.. لأنه من غير الممكن أن تقوم بعمل جدى في الحياة دون أن يشعر بك الناس، نحن لم نبع الجنس، وأنا كنت أعتبر الجنس هو كسر تابو في المجتمع، وهذه هى وظيفته.

• أعود إلى مسألة صحافة الإثارة بمعناها الأشمل؟

• ما هي صحافة الإثارة ؟

لا يوجد شيء اسمه صحافة إثارة، ويجب أن نفرق بين الكلام المتداول والعلم، الصحافة الصفراء أو التى قيل إنها صفراء، اسمها الدقيق (الصحافة الشعبية) وهى موجودة فى العالم كله، مؤسسها (جوزيف بوليتزر) صاحب أهم جائزة في الصحافة، ففى حين تعبر الصحف القوية الرسمية عن مراكز القوى، من المال للسلطة للنفوذ، وتنشر التصريحات الرسمية، تقدم الصحافة الشعبية وجهة النظر الشعبية فيما يجرى من أحداث، وتوزيع هذه الأخيرة يعادل عشرة أضعاف الصحافة الرسمية، بدليل أن مردوخ في إنجلترا عنده صحيفة (التايمز) التي توزع ٤٠٠ ألف نسخة، وعنده صحيفة (الصن) التي توزع (٤ , ٥) مليون نسخة.

بوليتزر عندما صنع الصحافة الصفراء، بدأ بأن قام بأهم تحقيق صحفى كتب فى كل أنحاء العالم، داخل مستشفى أمراض عقلية.

وهناك ثلاثة أسباب لنجاح الصحافة الشعبية و أعتقد أننا فى روز اليوسف قدمنا صحافة شعبية ولم نقدم صحافة إثارة.

السبب الأول لنجاح الصحافة الشعبية : أنها تقف أمام الصحافة صاحبة النفوذ.

السبب الثانى: أنها تكتب بأسلوب جاد ملائم أكثر للناس، بمعنى أنك تستمع بها، وأنت تقرأها ، فالأسلوب هو جزء من طبيعة الموضوع.

والسبب الثالث : هو كيفية مواجهة الناس للسلطة، أى بكشف جزء من عيوبها، وبتحطيم جزء من شكلها وهذا جزء أساسى من وظيفتها، فالسلطة لديها الأعلام والإذاعة والتلفزيون، بينما أنت عندك أن تنشر :

- صورة صاحب النفوذ وقد حضن امرأة ليست زوجته
- أو تنشر موضوعا حول فساده، وسرقته ونصبه

وهذا النوع من الصحافة ضرورى لأنه يصنع توازنا حقيقيا، كونها فى يد الناس فى مواجهة الصحافة التى فى يد أصحاب النفوذ، وعلى فكرة أنا لا أتحدث عن العالم الثالث، أنا أتحدث عن العالم الأول، الليبرالى جدا، أتحدث عن (الواشنطن بوست) و (التايمز) و (التجلراف) و (الإندبدنت) ، عندما تقرأ هذه الصحف يمكنك أن تعرف وجهة نظر الدولة أو الحكومة، حتى لو وجدت بعض الحريات، فهى آراء فى زوايا مختلفة لكنها فى النهاية تعبر عن دول.

فى الصحافة الشعبية التى تعبر عن الناس لديهم مثال واضح يدرس في الإعلام، ويعبر عن طريقة كتابة الموضوع، خذ مانشيت (الصن) الذي يقول لك أن فيدل كاسترو يمنع ماكدونالد في كوبا، ويهربه ليأكله لنفسه.. في الصحف الرسمية يوجد نفس الهجوم عل الزعماء الشيوعيين، لكن بأسلوب آخر، ويكتب العنوان هكذا: التناقض بين الفكر الشيوعى والواقع الشيوعى، إذن الأسلوب وسيلة من وسائل الصحافة الشعبية، التي يقرأها الناس كافة، بينما فى الصحافة الرسمية المفروض أن يقرأ صاحب القرار والمؤثر في القرار.

ثالثا: الحوار الثالث أجراه ماهر حسن مع عادل حمودة[1] وفيه تركيز على إعداد عادل حمودة وكيف تم تأهيله للعمل فى الصحافة وسلوكه وراء نمط صحفى معين وقد حوى الحوار ما يلى:

يقول عادل حمودة:

كل رؤساء التحرير يخرجون من رحم «ورش صحفية» تماما مثل «بلية» والذى يقول إنه وصل لدرجة الاحتراف الصحفى بدون أن يكون قد تلقى أصول الحرفة على يد «أسطى» أعرف أنه إما لا يفهم فى مهنته، أو «ابن حرام» يعنى بلا أب صحفى ومعلم.

وعلى هذا فهناك مدرستان كبيرتان أو ورشتان كبيرتان:

أولها ورشة الخبر بكل ما فيه من سرعة وإثارة وهى ورشة «أخبار اليوم»، وثانى هاتين الورشتين هى ورشة «روز اليوسف» والتى تقدم صحافة الرأى وصحافة العمق.

إلى أن جاء معلم كبير اسمه صلاح حافظ وقدر له أن يعمل فى الورشتين فى وقت واحد، فعمل فى «أخبار اليوم» فأخذ منها قيمة الخبر وجاذبيته وعمل فى «روزاليوسف» بعمق المدرسة الأيدلوجية والسياسية والثقافية التى تتميز بها فجمع بين الحسنيين وأنا أعتقد أننى تلميذ نجيب لهذا المعلم الكبير إن لم أكن تلميذه الوحيد. إذن فلابد لك كصفحى أن تتعلم على يد معلم كبير وأنا بين قوسين - أقول إن أعظم صحفى أنجبته مصر هو صلاح حافظ ولكنه كان أقل الصحفيين الكبار حظا لأنه لم يكن يبالى لا بشهرة ولا بمال ولا بمجد.

وأنت حين تتعلم فى ورشة صحفية فإنك لا تتعلم موهبة الصحافة لكنك تتعلم كيفية إدارة مشاكل وأزمات التحرير وقدرتك على التعامل مع فريق صحفى، وقدرتك على هذا أشبه بالقدرة الغريزية، تماما مثل غريزة قيادة سيارة والتى لا تكتسبها قبل أن تقطع مسافة توازى أربعة آلاف كيلو.

---

(١) ماهر حسن، جريدة العربى، العدد ١١٠٧ الصادر فى ١٠ مايو ٢٠٠٨.

• يبدو أن استفادتك من صلاح حافظ جاءت مبكرة ما الذى التقطه منه وما الذى طبقته؟

• أولاً لم أكن أتصور أننى سأعمل بالصحافة، فجيلنا كان يعتقد أنه سيحكم مصر، فأنا التحقت بمنظمة الشباب الاشتراكى وأنا فى الصف الثانى الثانوى، ، فلما وقعت النكسة عرفت أن هناك عالما آخر، وحين حدثت مظاهرات ١٩٦٨ كنت فى فرنسا وقدر لى أن أقابل فى ميدان جامعة السوربون هربرت ماركيوز الذى كان يلقب بنبى اليسار الجديد، ولم أكن أعرف «يعنى إيه صحافة» وكان متاحا لى أن التقيه، وكانت هناك مجلة اسمها «الشباب العربى» تطبع فى «روزاليوسف» ونشرت فيها الحوار وفوجئت أن صلاح حافظ كتب له المقدمة، ودخلت معه فى نقاش فتعلمت منه أنه ليس مهما أن تكون صاحب قضية بقدر ما تكون قادراً على الإقناع بقضيتك، وهنا بدأت انتبه للأسلوب الصحفي.

• أذكر حينما شغلت موقعك فى روزاليوسف أنك حرصت على فرز مسلمات المجتمع المصرى واجترأت على تابوهات الجنس والسياسة والدين مما حقق قفزة فى توزيع روزاليوسف... إلى أى حد يصح هذا التصور؟.

• إذا كانت المعادلة سهلة على هذا النحو الذى ذكرت فلماذا لا ينجح بعض الذين اجترأوا على التابوهات الثلاثة فى رفع معدلات توزيعهم؟ رغم أن الدنيا مازالت مفتوحة لماذا لم ينجحوا.

• ولكنك لجأت لهذه التابوهات أيضا فى صوت الأمة ومن بعدها الفجر؟

• إن هذا تبسيط لأن سر المعادلة ليس مجرد اجتراء على التابوهات وإنما فى كيفية صياغة هذه المعادلة، وآليات الاجتراء، وما لم تقدم هذه المعادلة فى إطار قضية لها حيثياتها الموضوعية فلن تنجح، وأقول لك ما الذى يحملنى على التصادم مع كل قوى الظلام الأصولية؟ ألا يمكننى مغازلتها وأعمل زى غيرى، الآن إذا أردت أن ترفع توزيعك

غازل الإخوان المسلمين والتيارات الدينية والسعودية، خاصة مع اختلاط الأمر على الشارع ما بين الدين الحقيقى والدين الشعبي، ولو القضية قضية توزيع لكان من السهل تحقيق قفزة فى التوزيع بمغازلة هذه التيارات وبمغازلة رجال الأعمال وبمغازلة الوزراء ورجال الدولة.

عندما خرج عادل حمودة من روزاليوسف أعاد تفعيل مدرسته لكن هذه المرة من خلال الصحف الخاصة فأصدر جريدتى صوت الأمة ٢٠٠٠، وجريدة الفجر ٢٠٠٥، وظل معه الخط الذى بدأه فى روزاليوسف وإن كان أضاف إليه خط إعلان الحرب على الفساد، وفى الفجر حاول أن يقدم صحافة الصفوة فى البداية وكانت وجهة نظره فى ذلك أن النخبة هى التى تؤثر فى الرأى العام وتصيغ حياته من خلال قراراتها وأفكارها لو ضمن التأثير فى النخبة، فإنه بالتالى يؤثر فى الرأى العام كله، لكن يبدو أن صحافة النخبة لم تناسب الصحفى ذى الطعم الحارق فعاد مرة ثانية إلى قواعد الإثارة الصحفية.

لقد قدم عادل حمودة خطابا مكثفا وواضحا يلخص تجربته، وهو خطاب يمكن أن يشتبك معه الباحث فى عدة مواقع أساسية:

الأول: أن هناك فارق كبير بين خطابه وهو حاضر فى تجربة روزاليوسف بتوزيعها الكبير وتأثيرها الأكبر، وخطابه وهو خارج التجربة وبعيدا عنها، والفارق على مستويين فى حقيقة الأمر، المستوى الأول يحركه الغرور المهنى والإمتلاء بالقوة والشهرة والتأثير ولذلك لم يقبل أية إتهامات تنال من تجربته، ولم يسمح لنفسه فى هذا الوقت أن يقيم تجربته أو يمنحها مسميات معينة إذ كان يراها الصحافة ولا صحافة غيرها، أما المستوى الثانى فيحركه العقل ورؤية التجربة من على البعد، وفى هذه المرحلة منح تجربته حجمها ومسمياتها، رفض أن تكون إثارة صحفية وإنحاز إلى أن ما فعله صحافة شعبية، وهو مسمى يجلب لها القيمة والإحترام اللذين حاول الكثيرون سلخ تجربة عادل حمودة عنهما.

الثانى: يشير عادل حمودة إلى أنه فى النهاية يمثل إمتدادا لأساتذة المهنة ونتاجا

للمدرستين الأساسيتن فى إنتاج نمط الإثارة وهما أخبار اليوم وروزاليوسف، ورغم أنه لم يعمل بشكل مباشر فى أخبار اليوم مدرسة الخبر لكنه تلقى تعاليمها من خلال خبرة أستاذه صلاح حافظ التى عمل فيها وتعلم بها، وهو ما يؤكد أن خبرة الإثارة فى الصحافة المصرية تنقلت عبر آباء المهنة، حتى وصلت إلى عادل حمودة وفى كل جيل كانت تضاف إلى مدرسة الإثارة ملامح وسمات جديدة تتسق فى النهاية مع الظروف والمناخ العام الذى يحكم المهنة وعلاقاتها مع المتغيرات السياسية والمجتمعية التى تخوضها الأجيال المختلفة.

الثالث: يفرق عادل حمودة فى تجربته بين صحافة الإثارة والصحافة الشعبية، يرفض وصف ما قدمه للمهنة بأنه إثارة سياسية ويتجاوب مع أنه صحافة شعبية، على إعتبار أن الصحافة الشعبية نمط معترف بها فى العالم والدول المتحضرة وهى صحافة جادة تحمل قيمها الخاصة وقضاياها التى تخدم فى النهاية مصالح القراء، ولا يمكن أن يقبل الباحث هذا التصنيف على علاته، فمنتج مادة الإثارة لا يرى فيما يفعله عيبا، لكن الآخرون هم الذين يفعلون ذلك مدفوعين فى الغالب بمصالحهم الخاصة وقناعاتهم الذاتية، وإرتباطهم بالصحيفة سواء كان إيجابيا أو سلبيا.

وإذا كان للباحث أن يصنف تجربة عادل حمودة فى روزاليوسف ومن بعدها تجربته فى صوت الأمة والفجر[1]، فإنه يرى أن التجربة تتأرجح بين الصحافة الشعبية وصحافة الإثارة، فقد خاضت صحف عادل حمودة حملة طويلة ضد الفساد، وإنحازت إلى حقوق الإنسان، ووقفت فى وجه التجارة بالأديان، وعملت على تحجيم كهانة رجال الدين، وكان طبيعيا أن يتم تشويه التجربة من خلال إتهامات الذين أضيروا منها.

الرابع: أكدت تجربة عادل حمودة فى صحافة الإثارة على أن العناصر الثلاثة التى تعتمد عليها الإثارة الصحفية وهى السياسة والدين والجنس لا يمكن أن تكون سببا دائما فى

(١) شارك الباحث بالعمل فى التجربتين منذ العام ٢٠٠٠ وحتى الآن، فى مواقع تنفيذية بالجريدة، كان سكرتير عام التحرير فى صوت الأمة ونائب رئيس التحرير فى الفجر.

زيادة توزيع الصحف، إلا إذا كان لها سياق مجتمعى تسير وتتحرك فيه، فلا يمكن أن يقبل قارئ طوال الوقت على السياسة أو الدين أو الجنس ما لم تكن المادة التى تصاغ على أساسها مرتبطة بالقارئ ومعبرة عنه، تضيف له أو تخصم منه.

وإذا كانت الصحف يمكن أن تخدع القارئ لفترة طويلة بمادة الجنس المجرد، فإنها لا يمكن أن تمارس خداعها هذا إلى الأبد، حيث سرعان ما تسقط فى فخ الملل والتكرار وهو ما يمكن أن يكتشفه القارئ وتكون النتيجة أن ينصرف القارئ عنها.

الخامس: كانت إشارة عادل حمودة إلى أهمية الأسلوب فى الصحافة وكيفية كتابة الموضوع الصحفى بطريقة جاذبة ومؤثرة ومشوقة ومنطقية يعرف الصحفى من خلالها أن يدافع عن وجهة نظره، إشارة لها دلالتها فى إطار تطور صحافة الإثارة فى مصر، فليس مهما أن تقول المعلومة ولكن المهم بل قد يكون الأساس فى هذه المدرسة هو كيف تقال المعلومة وتصاغ، ولذلك فقد حرص كل من عمل فيها أن يجود الكتابة وأن يضيف إليها الروح، فالكتابة الجافة ليست قادرة مطلقا على جذب القارئ، وليس من المنطق أن تصاغ المعلومات التى يملكها الصحفى فى أسلوب مدرسى جاف، حيث لابد لها من صياغات أدبية تكون قادرة على مداعبة ذوق القارئ ورغبته فى أن يقرأ ما يرقى ذوقه ويمتعه.

السادس: إن هناك قناعة لدى صناع صحافة الإثارة أن ما يبقى من الصحافة هو الفكرة التى يحملها الموضوع وما فيها من معلومات وما يقدمه للقارئ من مواقف، ويظل الأسلوب الذى تكتب به المعلومات والمواقف مجرد شبحا فى خلفية ذهن القارئ، لكن هذا لا يمنع أن يتم تجويد الأسلوب الذى تكون له فائدة وقتية ترتبط بزمن مطالعة الموضوع، فالقارئ قد لا يحتفظ بالأسلوب لكنه لا يتنازل عن أن يكون الأسلوب جميلا ورائعا ومتناغما حتى يساعده على القراءة والإستيعاب.

السابع: لم تنقطع سلسلة الإثارة الصحفية عند عادل حمودة فمن خلال عمله فى روزاليوسف إستطاع أن يصنع جيلا كاملا قاد الصحافة المصرية فى مواقع مختلفة وصنع

إضافاته الخاصة به، وبرز فى هذا الإطار إبراهيم عيسى رئيس تحرير جريدة الدستور، وعبد الله كمال رئيس تحرير مجلة وجريدة روزاليوسف، وكل منهما يقدم نمطا من الإثارة يخدم به أهدافه ومصالحه وقناعاته، ولم يخرج ما قاما بتقديمه عن أفكار ومعالجات عادل حمودة لصحافة الإثارة، قد يكون كل منهما قام بتعميق معالجة ما، نفى من تجربته معالجة معينة، لكن يظل كل منهما يسير فى فلك المدرسة الكبرى التى بدأها محمد التابعى فى روزا اليوسف ورسخ أصولها وقواعدها عادل حمودة فى روزاليوسف أيضا.

وإذا كان للباحث أن يقيم إمتداد تجربة عادل حمودة من خلال إبراهيم عيسى وعبد الله كمال، فإنه يجب أن يصيغ هذا التقييم من خلال :

أولا: تربى كل من إبراهيم عيسى وعبد الله كمال فى مطبخ روزاليوسف، وتشربا من خلاله أفكار عادل، وكان يتيح لهما أن يتوليا مسئولية المجلة فى حالة غيابه، فقد كان إبراهيم مشرفا على العدد الذى نشر الممنوعات وكتب له المقدمة بنفسه وكان عمره وقتها لا يتجاوز ٢٦ عاما[1]، وهو ما حدث مع عبد الله كمال بعد ذلك عندما خرج إبراهيم عيسى ليصدر تجربة الدستور فى العام ١٩٩٨ حيث كان عبد الله كمال يتولى مسئولية تحرير المجلةفى غياب عادل.

ثانيا: لم يكن كل من إبراهيم عيسى وعبد الله كمال صاحبا مدرسة فكل منهما لم يقدم إسهاما خاصا به، لكن كان إمتداد فقط، إبراهيم فى إصداره الأول للدستور كان يقدم ما تعلمه من قواعد المهنة فى روزا اليوسف وكان التطوير الذى جاء به أن جعل الصيغة المثيرة التى تعتمد على السياسة والدين والجنس فى متناول الجيل الجديد من الشباب الذى راهن عليه فى توزيعه، وفى الإصدار الثانى من الدستور حيث قام برفع السقف السياسى إلى مرحلة معارضة رئيس الجمهورية ونقد عائلته، لم يكن لإبراهيم السبق فى ذلك، حيث كانت جريدة العربى الناصرى هى من قامت برفع السقف إلى أبعد مدى، حيث قدمت

(١) مقابلة خاصة مع إبراهيم عيسى فى مكتبه.

نقدا متواصلا للرئيس لكن من خلال معالجات جادة لم يكن يتفاعل معها الشارع، وعندما جاء إبراهيم لم يفعل أكثر من جعل الصيغة التى قدمتها العربى فى متناول الشباب مرة أخرى، حيث كتب ما سبق وقدمته العربى بلغة سهلة وبسيطة تناسب جيل الشباب.

عبد الله كمال ظل ملازما لروزاليوسف لم يغادرها، وإختار أن يصنع نمطا مثيرا من الصحافة مسخرا كافة إمكانياته فى الدفاع عن الحزب الوطنى ورجاله، وهو ما جعل فاروق أبو زيد والذى كان معلما للإثنين فى كلية الإعلام يذهب إلى أن الظرف السياسى والتاريخى هو الذى جعل كل من إبراهيم عيسى وعبد الله كمال يأخذ الموقف الذى هو عليه، فقد كان من الممكن أن نرى كلا منهما فى مكان الآخر[1].

سادسا: ممدوح مهران

رغم تعدد الآباء لكنهم فى النهاية ليسوا أصحاب مدارس متعددة، فهم قامات فى مدرسة صحفية واحدة، كل منهم يضيف إليها طبقا لخبرته ورؤيته ليس فى المهنة فقط ولكن فى الحياة أيضا، لكن إلى جوار هذه المدرسة الممتدة من بدايات العام ١٩٢٥ وحتى الآن، ظهرت مدرسة أخرى قادها فى الصحافة المصرية ممدوح مهران، وقد يرى الباحث أن ما فعله ممدوح مهران ليس مرادفا لمدرسة صحفية بقدر ما هو مزاج صحفى فيها، وهو مزاج فى غالب معالجاته كان منحرفا عن القواعد العامة للمدرسة العريقة التى أسست لصحافة الإثارة.

لقد صحبت الإثارة الصحفية ممدوح مهران إلى قبره، ففى العدد التذكارى الذى صدر من جريدة النبأ بمناسبة رحيله كان من بين العناوين الرئيسية عنوان نصه: حكايات مثيرة فى حياة رئيس تحرير يتوفى داخل محبسه، وكان هذا أمرا طبيعيا لحياة صحفى كان إسمه فى الفترة من منتصف تسعينات القرن العشرين وحتى السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين رمزا للإثارة الصحفية وصحافة الفضائح والصور العارية.

(١) فاروق أبو زيد، مقابلة خاصة معه.

بدأ ممدوح مهران حياته الصحفية[1] بعد تخرجه من كلية الإقتصاد والعلوم السياسية دفعة ١٩٦٨، إلتحق بعدها بالمؤسسة العسكرية وشارك فى تحرير مختلف صحف القوات المسلحة من خلال عمله فى مجال التوعية القومية، وبعد خروجه من القوات المسلحة عمل فى جريدة «أخبار اليوم» إلى جوار موسى صبرى.

أتاح له العمل مع موسى صبرى خبرة كبيرة فى العمل الصحفى، فقد إقترب من مصطفى وعلى أمين ويدين لهما بالجرأة فى العمل الصحفى ، كان أول حديث نشر له فى جريدة الأخبار مع اللواء فؤاد عزيز غالى بعد تعيينه قائدا للجيش الثانى الميدانى.

اشترك ممدوح مهران بعد ذلك مع أنيس منصور فى تأسيس مجلة أكتوبر، لكن خلافا بينه وبين أنيس منصور أدى به إلى الإنتقال إلى مجلة روزاليوسف وفيها عمل إلى جوار صلاح حافظ ولويس جريس وعادل حمودة، ومن روزاليوسف انتقل للعمل فى مجلة المصور فى الفترة التى تولى رئاسة تحريرها مكرم محمد أحمد وأشرف خلال هذه الفترة على قسمى الأخبار والتحقيقات.

من بين ما فعله ممدوح مهران أثناء عمله فى المصور، نشره صورة للرئيس مبارك بالألوان بعد حادث المنصة، كانت المصور قد أصدرت ثلاثة أعداد فى أسبوع واحد لتلاحق حادث إغتيال الرئيس السادات فى ٦ اكتوبر ١٩٨١، وفى العدد الثالث إختار مهران صورة للرئيس مبارك وهو يخطو بثقة وتفاؤل إلى الأمام، وأقنع مكرم بضرورة نشرها بالألوان، وأقنعه بضرورة أن تخطو مصر فى إتجاه تجاوز الأحزان، وإذا كان هذا التصرف المهنى يعكس رغبة ممدوح مهران فى أن يكون مختلفا ومتجاوزا الحدث، فإنه يعكس أيضا إرتباطه بالسلطة والعمل بجوارها طوال الوقت.

وقد تجلى قربه من السلطة فى علاقته بعثمان أحمد عثمان الرجل القوى فى عصر الرئيس

(١) المعلومات الخاصة عن حياة ممدوح مهران الصحفية من تحقيق بعنوان:من هو ممدوح مهران، منشور فى عدد جريدة النبأ الصادر فى ٢٠ يوليو ٢٠٠٧.

السادات، بل كان هو من حرر له مذكراته التى صدرت بعد ذلك بعنوان«تجربتى»، وظل ممدوح وفيا لعثمان حتى النهاية ومن دلائل ذلك أنه رضع صورة بالحجم الكبير لعثمان فى مدخل جريدة النبأ، إلى جوار صورتين الأولى للرئيس مبارك والثانية لوالده مهران عبد اللطيف العمدة، وكتب تحتهم علمنى الكفاح.

بعد مرحلة المصور إنتقل ممدوح مهران للعمل فى «عمان»، حيث عمل مستشارا لمجلة «جند عمان» ثلاث سنوات، ثم ختم عمله الصحفى فى منطقة الخليج بجريدة «الشرق القطرية».

فى حياة ممدوح مهران فجوة مهمة فبعد أن خرج من المصور اختفى تماما حتى عاد فى منتصف التسعينات بجريدة النبأ التى كانت قبرصية فى البداية، وعندما صدر القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٦ كان أول من حصل على ترخيص مصرى ليصدر صحيفته، وصدر العدد الأول من الجريدة فى يونيو ١٩٩٦، صدرت النبأ بسرعة خارقة للعادة، فقد حصلت على الترخيص من المجلس الأعلى للصحافة فى ٢٣ مايو ١٩٩٦، وصدر العدد الأول تقريبا بعدها بثمانية أيام فقط، ولم يكن هذا غريبا، فقد حمل العدد الأول من الجريدة الرقم ٣١٢، لأن ممدوح مهران كان يكمل به أعداد إصداره القبرصى.

ظلت النبأ أسبوعية حتى مارس ٢٠٠٠، حتى صدرت عنها جريدة «آخر خبر» اليومية، لتكون بذلك أول صحيفة يومية خاصة فى مصر، فقد حاولت النبأ أن تصدر يوميا باسم آخر خبر لكن المجلس الأعلى للصحافة رفض، فلجأ مهران إلى محكمة القضاء الإدارى، الذى حكم بحق الصدور فى ٢٢ فبراير ٢٠٠٠ [١]، لم تستمر آخر خبر سوى عام واحد فقد توقفت فى أعقاب الأزمة التى أدخلت جريدة النبأ نفسها والمؤسسة التى تصدر عنها فيها، بعد نشرها تحقيقا مصورا عن راهب دير المحرق تصوره وهو يرتكب أعمالا منافية للآداب، ولم تكتفى الجريدة بعرض الموضوع على صفحاتها الداخلية بل

(١) المجلس الأعلى للصحافة، تقرير الصحافة الصفراء، ٢٠٠١، ص ١٧.

نشرت الصور فى الصفحة الأولى من الجريدة فى العدد ٦٣٣ الصادر يوم الأحد فى ١٧ يونيو ٢٠٠١.

كانت عناوين الصفحة الأولى كالتالى:

النبأ تنفرد بنشر الملف الكامل لأول فضيحة من نوعها تهز مصر بالوثائق والصور.

بلاغ سيدة مسيحية يفتح ملف الإنحراف داخل الكنيسة.

تحويل دير المحرق بأسيوط إلى بيت دعارة على يد الراهب الكبير.

الساعد الأيمن للرجل الأول بدير العذراء يستحل أعراض المسيحيات.

الكاهن برسوم المحرقى يسخر الجان للإيقاع بالسيدات اللواتى يرفضن رغباته.

لقطات صريحة من أول فيلم جنسى صوره الكاهن لإبتزاز ضحاياه.

الراهب المعجزة يمارس الجنس مع ٥ آلاف سيدة فى مذبح الكنيسة.

الراهب الكبير يمسح عورته فى ستر الهيكل المقدس بعد قضاء شهوته مع النساء فى مكان تجلى روح السيد المسيح.

أثار التحقيق الفزع...لكن جريدة آخر خبر التى تصدر عن المؤسسة أكملت التحقيق فى إشارة إلى ردود الفعل التى جرت، وفى اليوم التالى مباشرة الآثنين ١٨ يونيو ٢٠٠١ صدرت آخر خبر بالعناوين التالية:

تداول مغامرات الراهب المشلوح سرا على شريط فيديو بالصوت والصورة.

الراهب الكبير يواصل ممارسة شهوته على صوت أجراس الكنيسة ويستمر فى الإستمتاع بنزواته فى وقت إقامة الصلوات.

مطاردة مثيرة فى شوارع مصر بين باعة الصحف ورجال الأمن لمصادرة النبأ وبلاغ عاجل لوزيرى العدل والداخلية والنائب العام.

التفاصيل الكاملة للشريط المذهل الذى صوره لنفسه فى مكان تجلى روح المسيح.

شقيق برسوم المحرقى يبيع شريط الفضيحة ب٦٠٠ جنيه للمشاهدة الواحدة.

الراهب أدخل سرا إلى مكان العبادة سريرا ينفذ عليه تعليمات الشيطان.

لم تكن عواقب هذه المعالجة لقضية إنحراف جنسى فى الكنيسة مهنية فقط، ولكنها كانت سياسية وطائفية أيضا.

بدأت الردود من نقابة الصحفيين والمجلس الأعلى للصحافة[1] وهى ردود بقدر ما فيها من إدانة إلا أنها تكشف كذلك ملامح الإثارة ليس فى هذه المعالجة فقط ولكن فى تجربة ممدوح مهران بشكل عام.

استنكرت نقابة الصحفيين تكريس جريدة النبأ مساحات واسعة من عددها لمواد وعناوين وصور تخل بمبدأ حرية النشر وتجافى الآداب العامة وميثاق الشرف الصحفى وتنعكس بالضرر على الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب المصرى الواحد، وأشارت النقابة أن محصلة ما نشر فى الجريدة تم إستخراجه من ملفات قديمة بعد أن تم حسمه منذ سنوات يكشف عن إفتقاد كامل للإحساس بالمسئولية وإنسياق أعمى وراء منهج الإثارة الذى اعتمدته الجريدة كأسلوب ثابت فى إختيارها لموضوعاتها وطريقة معالجتها منذ أعدادها الأولى.

وأشارت النقابة أيضا إلى قائمة الإتهامات الموجهة إلى ممدوح مهران وتتضمن إجبار الصحفيين على نشر موضوعات الجنس الفاضح والفضائح المخلة كوسيلة لزيادة التوزيع، وكذلك مبادرة النقابة عام ١٩٩٨ بإحالة ممدوح مهران إلى لجنة تحقيق نقابية انتهت بإدانته فى الشكوى المقدمة ضده من وزير الأوقاف، وقد تلقى المجلس العديد من الشكاوى والإعلانات القضائية التى تتهم مهران بالسب والقذف فى حق عدد من المسئولين والفنانين ورجال الأعمال، فضلا عن تقارير المجلس الأعلى للصحافة التى تصدر بصفة دورية وتزخر بالإنتهاكات المهنية والقانونية الجسيمة التى ترتكبها النبأ، مما

(١) جريدة الأهرام، العدد ٤١٨٣٣ الصادر فى ١٩ يونيو ٢٠٠١.

حدا بأوساط فكرية وصحفية عديدة إلى إعتبارها رائدة الصحافة الصفراء فى مصر، وهو ما جعل النقابة تستنكر السياسة العامة لتحرير النبأ ورفض أسلوبها الذى يعتمد على الإثارة ونشر الفضائح والعبث بأعراض المواطنين.

المجلس الأعلى للصحافة من ناحيته أدان كل ما من شأنه المساس بتقاليد المجتمع وقيمه ووحدته الوطنية وما نشر فى النبأ لما ينطوى عليه من إخلال جسيم بالقيم والتقاليد التى حرص الدستور وقانون تنظيم الصحافة وميثاق الشرف الصحفى على إعلاء شأنها.

كانت هذه هى ردود الفعل الهادئة...

الزوابع السياسية والطائفية كانت أضخم وأفزع....

تظاهر الأقباط فى كاتدرائية العباسية وطالبوا بمحاكمة ممدوح مهران وإغلاق جريدة النبأ وآخر خبر، وتوالت الأحداث فقد قرر الحاكم العسكرى إيقاف الجريدة لمدة عام كامل طبقا لقانون الطوارئ، وفى ١٤ يوليو ٢٠٠١ قررت محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة وقف الترخيص الصادر لجريدة النبأ الوطنى وحجبها عن الصدور، وفى ١٦ سبتمبر أصدرت محكمة جنح أمن الدولة العليا طوارئ عابدين حكمها بحبس رئيس تحرير النبأ ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ والغرامة لثبوت إرتكابه جرائم نشر صور فاضحة وإزدراء الدين المسيحى وتكدير الأمن العام وإثارة الفتنة الطائفية، ومات ممدوح مهران فى السجن حيث كان يقضى فترة العقوبة فى معهد القلب بإمبابة.

لقد عرض الباحث لتجربة ممدوح مهران من خلال إستعراض سريع لحياته، والواقعة الأهم فى مسيرة النبأ المهنية وهى معالجة قضية الراهب لأنها تمثل من ناحية النموذج المتكامل لصحافة الإثارة على إطلاقها، ولأنها من جانب آخر تمثل السمات العامة للإثارة لدى ممدوح مهران.

إن هذه الواقعة تجمع ملامح وتفاصيل الإثارة الصحفية حيث يختلط فيها الدين بالجنس والصور العارية بالسياسة، أى أن الموضوع فى حد ذاته مثيرا، لكن ممدوح مهران

أضاف إليه من عنده خيالا، فعندما تم سؤاله: من أين جاء برقم الخمسة آلاف إمرأة التى أقام معهن الراهب علاقات غير شرعية داخل الدير؟قال أنه لم يكن لديه معلومة موثقة ولكنه قام بعملية حسبة للسنوات التى قضاها الراهب فى الدير واعتبر أنه كل يوم يمكن أن يقيم علاقة فيكون الناتج النهائى العدد الذى ذكرته[1]، والمعنى الواضح أن ممدوح مهران كان يلجأ إلى الفبركة الصحفية من أجل أن يكمل قصة صحفية حتى تصبح أكثر إثارة وجاذبية.

وتعكس معالجة مهران لهذه القضية سمة من سمات صحف الإثارة فى مصر، فأصحابها يدركون فى النهاية أنهم يتوجهون إلى قارئ يحلو له أن يبدو متحفظا وأخلاقيا، ولذلك فإنهم يسوقون مبررات أخلاقية لقصصهم المثيرة، ولذلك حرص ممدوح مهران أن يؤكد أنه يسعى إلى حماية الكنيسة من المنحرفين والذين يعبثون بها، وأنه يخاف على المسيحية، لكن ولأن القضية كانت هذه المرة أكبر من أن يتحملها المجتمع فقد فسدت الحيلة ولم يقبلها أحد، فالحرص على الكنيسة كان يجب أن يتم بسترها وليس بفضحها.

لقد إقترب ممدوح مهران من آباء صحافة الإثارة فى مدرستى أخبار اليوم وروزاليوسف، عمل بالقرب من مصطفى وعلى أمين وصلاح حافظ، لكن يبدو أنه لم يكن يقترب من المطبخ الصحفى الذى عملوا فيه، كان كثير التنقل بين الصحف وانقطعت صلته بالصحافة المصرية حتى عاد إليها بعد فترة قضاها فى صحف الخليج.

ولا يمكن أن يعتبر الباحث ممدوح مهران إمتدادا لمدرسة الإثارة فى الصحافة المصرية، بل يمكن من خلال أداءه ومعالجاته المهنية يمكن التعامل معه على أنه صاحب مزاج إثارى إنحرف عن المعالجات الجادة فى تيار الإثارة المصرية، ومال إلى تسطيح الظاهرة وفرغها من مضمونها ونزعها من سياقها المهنى لتصبح على يديه إثارة من أجل الإثارة فقط، حيث خاطب الغرائز، مكتفيا بمستوى واحد من مستويات الإثارة الثلاثة.

---

(١) ممدوح مهران، من تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا فى قضية النبأ والراهب، لدى الباحث نسخة منها.

لقد إحترف ممدوح مهران كل أشكال صحافة الإثارة....من نشر الأخبار المجهلة حيث خصص لها أبوابا كاملة استعرض فيها أخبار مختلف فئات المجتمع من السياسيين والفنانين ورجال الأعمال، وكان يركز فيها على أخبار العلاقات الخاصة والجنسية لدى مشاهير المجتمع ومن نماذج ذلك :

- فنان عجوز شوهد وهو يبحث عن الفتيات الصغيرات فى السن حتى يحظى منهن بالقبل التى قد تعيد له الشباب[1].

- تصوير فيلم جنسى لأشهر فنانة مصرية[2].

- منتج سينمائى كبير يوزع صورة المدام وتليفوناتها الخاصة على الذئاب البشرية بالأسكندرية[3].

ركز ممدوح مهران كذلك على الصور العارية فى الصفحة الأولى وفى الصفحات الداخلية، وفى الغالب لم تكن هذه الصور ذات صلة بالموضوعات المنشورة، حيث أفردت الجريدة مساحات كبيرة للحديث عن الجنس وكانت تدعمها بصور لعاريات أجنبيات حيث من الصعب توفير صور لهذه الموضوعات لعاريات محليات.

إتجه مهران كذلك إلى التوسع فى نشر مادة الجرائم وكان التركيز على الجرائم ذات الطابع الجنسى أكبر، وكان خيال المحرر ينطلق فيها إلى آفاق بعيدة للدرجة التى تشعر معها أن كل المجرمين يفكرون بنفس الطريقة ولم يكن هناك تفسير إلا أن المحررون هم الذين يفكرون ويكتبون بنفس الطريقة فى كل مرة.

لم يكن تجهيل الأخبار فقط هو الحيلة التى لجأ إليها ممدوح مهران بحثا عن زيادة التوزيع، ولكنه لجأ إلى العناوين المجهلة التى كان ينشرها فى الصفحات الأولى، وهى

(١) جريدة النبأ، العدد الصادر فى ٧ مارس ١٩٩٩.

(٢) جريدة النبأ، العدد الصادر فى إبريل ٢٠٠١.

(٣) جريدة النبأ، العدد الصادر فى ١ ديسمبر ٢٠٠٢.

عناوين فوق أنها مجهلة كانت كذلك مضللة، وتم التلاعب بها على نحو لا يتوافق مع تفاصيل مضمونها ، وكان مهران يستغل تشابه أسماء المجرمين مع الفنانين ليعلى من الإثارة فى العنوان ومن أمثلة ذلك:

- القبض على السيد راضى فى قضية شذوذ(١)، والقصة لا علاقة لها بالفنان المعروف السيد راضى ولكن أحد المتهمين فى القضية يحمل الإسم فتم إستغلاله على النحو الذى يوحى بأن السيد راضى الفنان هو المتورط فى القضية.

- إغتصاب حنان ترك يثير ضجة واضحة(٢) ولم يكن هناك حادث إغتصاب لحنان ترك، ولكن الخبر كان يشير إلى مشهد إغتصاب الممثلة حنان ترك فى أحد الأفلام.

- حواديت علا رامى على سجادة الصلاة شكل تانى(٣) ويتناول التقرير كيفية معالجة الأفلام السينمائية لمشاهد أداء الصلاة، أى أن الموضوع لا علاقة مباشرة بينه وبين علا رامى ولكنه موضوع عام يرتبط بالفنانات وليس بفنانة واحدة.

- حواديت ليلى علوى مع محافظ جنوب سيناء على البلاج(٤) وقد يوحى العنوان أن هناك علاقة ما بين المسئول السياسى والممثلة، رغم أن المضمون الذى تقدمه يتعرض لبعض المشروعات السياحية التى تشارك فيها ليلى علوى فى الغردقة.

لم تكن هذه نماذج لكنها كانت فلسفة معالجة للأخبار، لقد كانت هذه صيغة متبعة فى العناوين، ولعل من أشهر نماذج هذه العناوين فى تاريخ صحافة الإثارة المصرية عنوان المقال الذى كتبه مصطفى أمين بعنوان: مصطفى أمين يكتب إليكم من سرير فاتن

(١) جريدة النبأ، العدد الصادر فى ١٠ يناير ١٩٩٩.
(٢) جريدة النبأ، العدد الصادر فى ٢ مايو ١٩٩٩.
(٣) جريدة النبأ، العدد الصادر فى ٢٠ يونيو ١٩٩٩.
(٤) جريدة النبأ، العدد الصادر فى ٩ مايو ١٩٩٩.

حمامة[1]، كان العنوان صادما، كان المقال عن ليلة قضاها مصطفى أمين فى مستشفى كانت فاتن حمامة قد قضت فيها ليلة فى وقت سابق وكانت ترقد على نفس السرير الذى رقد عليه مصطفى أمين، لكن الحيلة المهنية جعلت مصطفى أمين يبدو وكأنه يكتب عن ليلة خاصة قضاها فى فراش فاتن حمامة.

ظلت هذه العناوين مقصورة على صفحات الفن فقط فى أخبار اليوم، لكن ممدوح مهران نقلها إلى كل صفحات الجريدة السياسية والإجتماعية والرياضية، حيث يتم إحالة الأحداث الفنية أو الأدبية إلى واقع.

لقد أضرت تجربة ممدوح مهران صحافة الإثارة فى مصر، فقد أصبحت فى الذهنية العامة تنصرف إلى أن صحافة الإثارة هى صحافة النبأ[2] رغم أنها أبعد ما تكون عن الإثارة الجادة، لقد كان الهدف الوحيد من معالجات النبأ هو زيادة التوزيع وجذب القراء إليها بصرف النظر عن تأثير هذه المعالجات، والدليل الواضح على ذلك ما أحدثه نشر تحقيق راهب دير المحرق، فقد كانت مصر على حافة الحريق لمجرد نشر موضوع تباهى صاحبه أنه جعل جريدته تباع بعشرة جنيهات رغم أن سعرها جنيه واحد أو أن أجهزة الأمن كانت تطاردها كى تصادرها.

---

(١) قصة هذا العنوان رواها محمود صلاح للباحث فى مقابلة خاصة بمكتبه بجريدة أخبار الحوادث.

(٢) ربطت بعض الكتابات الصحفية بين ممدوح مهران وأباطرة الإثارة فى الغرب، ففى جريدة صوت الأمة كتب عصام زكريا فى العدد ٣٠ الصادر فى ٢٧ يونيو ٢٠٠١، عن لارى فلينت الذى لقبه بممدوح مهران الأمريكى، وكان يشير إلى الصحفى الأمريكى الذى يلقب بتاجر البذاءات، وذلك من خلال إصداره لعدد من الصحف التى اعتمد فيها على الصور العارية، حيث أصدر أول مجلة بورنو فاضحة فى الولايات الأمريكية وأطلق عليها اسم «النصاب»، وضربت هذه الجريدة الرقم القياسى فى البورنوجرافية، وكتب حسين عبد الواحد فى أخبار الحوادث العدد ٤٨٢ الصادر فى ٢٨ يونيو ٢٠٠١، مقربا بين ممدوح مهران وروبرت ميروخ، صاحب إمبراطورية الفضائح والجنس والصور العارية، وهو الرجل الذى هدفه الملايين وشعاره الإثارة وعدوه الشرف والأخلاق.

كان ممدوح مهران يدافع عن تجربته بأنه صاحب خلطة صحفية نادرة[1] إستطاع من خلالها أن يصبح صاحب أكبر جريدة توزيعا فى مصر، ورغم أن قراء النبأ كانوا من الفئات متدنية الثقافة إلا أن قوة الصحف وتوزيعها لا يقاس بنوعية القراء ولا بعددهم.

كانت تجربة ممدوح مهران خاصة به وحده هو الذى يعرف أسرارها، والدليل على ذلك أنه بعد أن توفى لم تستطع جريدة النبأ أن تواصل الخط الذى بدأه، فتراجع توزيعها للدرجة التى وصلت معها إلى مرحلة أنها لم تعد تذكر بين الصحف عالية التوزيع.

***

يتفق آباء صحافة الإثارة فى مصر على أن هدفهم فى النهاية هو زيادة التوزيع، لكنهم يختلفون فى الطريقة التى يسلكونها فى هذا الإطار، وقد لا يكون هناك تباين كبير فى مسيرة مدرسة الإثارة الصحفية فى مصر منذ محمد التابعى إلى عادل حمودة، لكن التباين الذى حدث فى هذه المدرسة تم على يد ممدوح مهران، حيث إنحرف بها إلى مساحة الإثارة الشكلانية التى بلا مضمون ولا روح.

لكن يربط بين الجميع أنهم لا يعترفون بأن ما يقدمونه إثارة صحفية، ولكن لها مسميات عديدة لديهم يحيلون بها أنفسهم على أنهم يقدمون الصحافة الحقيقية التى تكشف الفساد وتقدم الفاسدين إلى المحكمة، ورغم أن صحافة الإثارة ليس مغضوبا عليها إجمالا، لكن الإثارة الصحفية فى مصر ليس ها أب شرعى حتى الآن يعترف بها وينسبها إلى نفسه، لقد كان ممدوح مهران أكثر من يتحدث فى الصحف عن مواثيق الشرف الصحفية وعن عادات المجتمع وتقاليده رغم أنه ومن خلال معالجاته المهنية كان أول من يخرج على هذا الميثاق وأول من يخالفه ويتجاوزه.

■ ■ ■

(١) كان الصحفيون يطلقون على ممدوح مهران تندرا «ممدوح كنتاكى»، نسبة إلى الخواجة كنتاكى صاحب الخلطة الشهيرة التى يقدم من خلالها دجاج كنتاكى.

الفصل السادس

المعالجات التحريرية
والفنية للقضايا المجتمعية
في صحف الإثارة



الإطار الفلسفي لتيار الإثارة في الصحافة المصرية

دخل الباحث إلى رصد تيار الإثارة فى الصحافة المصرية، بإمتداده وإنحساره، وصعوده وهبوطه برؤية تركيبية تضع التيار ضمن السياق العام الذى أنتجه ثم الحالة المجتمعية العامة التى صاحبته خلال مسيرته الطويلة التى بدأت فى اللحظة التى قرر فيها الخديو إسماعيل أن تخرج الصحافة من معطف الحاكم وتصبح شعبية «ملكية ومضمونا».

ولذلك فإن الباحث يرصد الفلسفة العامة التى تحكم هذا التيار فى عدد من المحددات التى على أساسها يمكن التدليل على ما ذهب إليه من أفكار، من خلال القضايا التى قدمتها صحف الإثارة وكذلك المعالجات التحريرية والفنية لهذه القضايا وذلك من أجل تنمية وتصعيد عناصر الإثارة فى هذه الصحف لجذب أكبر عدد من القراء إليها، وذلك تمهيدا لدخول الصحف الباب الملكى، وهو جذب الإعلانات التى هى المصدر الأساسى لتمويل صحف الإثارة ، وهى فى الغالب صحف خاصة يسعى أصحابها من وراءها إلى الربح فى المقام الأول.

ولا يتعارض لدى أصحاب هذه الصحف أن يكون همهم الذى يشغلهم ليلا ونهارا هو الربح، وأن تكون لهم رسالة عامة وأهداف مجتمعية يسعون إلى تحقيقها، وإن كانت لديهم رؤية محددة فى هذا الإطار وهى أن الوصول إلى الرسالة وتحقيق الأهداف المجتمعية بدوره يحتاج إلى تمويل وإنفاق ضخم، ولما كانت هذه الصحف ملكية فردية لا تنفق عليها الحكومة مثل صحفها دون أن تسألها عن الأرباح بل إنها تساندها إذا ما تعرضت للخسارة، يكون من الطبيعى أن تسعى صحف الإثارة إلى الربح فى المقام الأول.

ويرصد الباحث فلسفة تيار الإثارة على عدة مستويات تتجاور فيها الأبعاد المهنية والأبعاد المجتمعية دون إنفصال فيما بينهما ...وهذه المستويات هى:

■ المستوى الأول :

وهو تعريف صحافة الإثارة من وجهة نظر الباحث، وذلك على ضوء الدراسة النظرية التى قدمها، فالإثارة فى معناها المهنى نمط معالجة تحريرى وفنى للقضايا التى تقدمها الصحافة لقراءها، وهى معالجة من شأنها أن تعلى من العناصر التى تكون قادرة على جذب القارئ وربطه بها وجعله يفضل هذه الصحف عن غيرها.

وبهذا المعنى يوسع الباحث دائرة تيار الإثارة، فهو ليس مقصورا على الجوانب الإجتماعية التى تهتم بعرض مادة الجريمة والجنس والحياة الشخصية للمشاهير بما تتضمه من أخبار الزواج والطلاق وأخبار الفضائح اجنسية والدجل والشعوذة وإختراق المجتمعات الراقية الأرستقراطية بما فيها من علاقات شاذة وعادات وسلوكيات غريبة عن المجتمع المصرى، وكذلك مجتمع رجال الأعمال وسلوكياتهم وحفلاتهم وأشكال إنفاقهم.

فهذه الدائرة تحجم تيار الإثارة وتسلبه إمكانيات ضخمة يملكها بالفعل ولها واقعيا تأثيرها وأثرها الفعال وتجلياتها فى الصحافة المصرية، وهى إمكانيات لا تقتصر على الصحف التى يمكن تصنيفها تحت ظلال التيار، ولكنها إمتدت بتأثيرها وأياديها الطويلة إلى صحف وقورة ما كان يمكن لقارئها أن يتخيل أن تقترب من الإثارة فى يوم من الأيام، فهناك مستويات عديدة من الإثارة السياسية والفكرية والدينية، وقد رصد الباحث كيف استخدمت الصحف آليات الإثارة وإلباسها هذه الأثواب المختلفة.

وإذا كانت هذه هى أنواع الإثارة فى الصحف المصرية ولها تجلياتها فإن الإثارة تسير فى ثلاثة طرق يمكن أن تسير فيها منفردة أى فى طريق منها على حدة، ويمكن أن تسير فى طريقين منها فى الوقت نفسه، أو يمكن أن تسلكها جميعا فى نفس اللحظة والمعالجة أيضا.

الطريق الأول هو الإثارة الغريزية : حيث تهتم الصحف بعرض الموضوعات الجنسية المصحوبة بالصور العارية، وتتنوع الموضوعات الجنسية ما بين الجرائم الجنسية مع

الإفراط فى تفاصيها والفضائح الجنسية للمشاهير والروايات والقصص الجنسية وترجمة الموضوعات الأجنبية المهتمة بالجنس، كما تحتل الموضوعات المرتبطة بالممارسات الجنسية شاذة وطبيعية مساحة كبيرة من هذه المعالجة، وترتبط بهذه المعالجة موضوعات العجز الجنسى والمنشطات الجنسية، وهو طريق تسلكه الصحافة لتلبى إحتياجات القراء الغريزية بصرف النظر عما إذا كانت تلبية هذه الرغبة ترقى القارئ أم تزيد فى غرائزيته.

الطريق الثانى وهو الإثارة العاطفية : حيث تلجأ الصحافة إلى نشر القصص الإنسانية والموضوعات التى لها طابع إنسانى وهى من خلال ذلك تخاطب عاطفة القارئ، ويظهر فى هذا الطريق إستخدام الدين سواء بشكل إيجابى أم بشكل سلبى وذلك لأن الشعب المصرى مجبول على العاطفة الدينية حتى لو كان يعبر عنها بشكل ظاهرى ولا أكثر من ذلك، ولذلك فإن صحف الإثارة السياسية لا تتردد فى أن تستغل هذه العاطفة وتستحثها وتحرضها على النهوض فى المناسبات الدينية ، وهى المناسبات التى يحدث فيها أى نوع من أنواع الإساءة أو الإهانة للمقدسات الدينية سواء كانت إسلامية أو مسيحية.

وتتساوى فى ذلك الصحف السياسية الليبرالية مثل صوت الأمة والفجر والدستور أو الصحف السياسية المحافظة مثل الأسبوع، أو حتى الصحف السياسية التى تنطلق من أيديولوجية معينة مثل العربى الناصرى، فجميعها يستخدم الدين من جانبه العاطفى فى مغازلة واضحة وصريحة للمشاعر الشعبية التى لا تقبل أى إهانة للدين، بل إنها تزيد وتنفخ فى الأعصاب المشدودة والمحتجة على إهانة المقدسات الدينية، رغم أن بعض هذه الصحف يدرك أن الإنتفاضات الدينية تكون شكلية وظاهرية ولا تعبر عن موقف إيمانى حقيقى، وهو ما يشير إلى أن هدف هذه الصحف يكون هو التوزيع وزيادة الإنتشار والتواجد.

الطريق الثالث وهو الإثارة العقلية : وهى الإثارة التى تعتمد على المعلومات والحقائق وتدعم ما تقدمه للقراء بالوثائق والمستندات، وهى صحافة تكون مصداقيتها عالية ويثق

فيها القارئ، وإن كانت تعانى فى أحيان كثيرة من ثقل الظل فتلجأ إلى تطعيم معالجاتها بالإثارة الغريزية والعاطفية وذلك لجذب أكبر عدد من القراء لها ولمعالجاتها الجادة، وإن كان هذا الخلط المتعمد يسحب من مصداقية هذه الصحف فالقارئ الذى يفضلها لما تقدمه من معلومات وحقائق يتحرج مما تقدمه عن المستويات الأخرى وتحديدا نشرها للصور العارية والموضوعات المكشوفة وأسرار ونميمة المجتمعات الراقية.

■ المستوى الثانى :

وهو حدود التيار التى يضمها مربع ، ويمكن أن يطلق الباحث على هذا المستوى «**المنظور الرباعى لتيار الإثارة**»، وهو منظور رباعى الأضلاع لا تكتمل الإثارة إلا إذا أكتملت له هذه الأضلاع الأربعة وهى:

الضلع الأول: الموقف : فلابد أن يكون للجريدة التى تريد أن تصل إلى الجمهور موقفا واضحا من القضايا المجتمعية العامة التى تقدمها، ليس مهما أن يكون هذا الموقف إيجابيا أو سلبيا، وليس مهما أن يكون ضد أو مع المجتمع، ولكن لابد أن يكون موقفا واضحا حتى يعرف القارئ توجه جريدته ويحدد على أساس هذا الموقف هل يمكن أن يظل معها أم يغادرها إلى جريدة أخرى.

الضلع الثانى: الصياغة : فالموقف الذى تأخذه الجريدة لابد له من صياغة صحفية تناسب القارئ العام، فقد تفسد الصياغة الصحفية الموقف، كأن تتدنى به أو تجعله معقدا أكثر مما ينبغى فينصرف القراء عن الجريدة.

الضلع الثالث: التوزيع : فصحف الإثارة تحرص على التوزيع وتجعله المعيار الأول لنجاحها، فماذا يعنى أن تكون صحيفة قوية وتقدم معالجات جادة لقضايا المجتمع ولا يقبل القراء عليها، ولذلك كان الكلام عن التوزيع هو العامل المشترك الدائم بين صناع صحافة الإثارة، ممدوح مهران كان يتفاخر فى الندوات التى يحضرها بأن جريدته تحتل المرتبة الثالثة فى التوزيع بعد الأهرام وأخبار اليوم، ويشير سعيد عبد الخالق إلى أن جريدة

الوفد عندما كانت تنشر باب العصفورة وهو باب يعنى بالأخبار المجهلة كانت توزع أكثر من ٧٥٠ ألف نسخة[١]، وعاشت صحيفة الأحرار أزهى عصورها مع وحيد غازى الذى أدخل الصحافة الجنسية إلى الصحافة الحزبية ووصل إلى ٣٠٠ ألف نسخة[٢].

وحرصت روزاليوسف على أن تنشر أرقام توزيعها[٣]فقد نشرت شهادة من شركة التوزيع، وقالت أنها أكثر المجلات توزيعا، حيث يفوق توزيعها توزيع المجلات المنافسة مجتمعة، وأن المجلة تزيد بمعدل ١٨٩٪ سنويا وهى نسبة لم تتحقق خلال ١٠ سنوات، وذلك لأنها جرئية لا تستخف بالقراء وأبوابها تقلدها المطبوعات الأخرى.

هذا الأسلوب انتهجته جريدة الدستور بعد ذلك[٤]حيث نشرت فى صفحتها الأولى أن الدستور هى أعلى صحيفة أسبوعية فى مصر ، ب٧٠ ألف نسخة و٣٥٠ ألف قارئ، وقدمت الدستور تفسيرا لهذا الرقم من التوزيع من خلال عدة دلالات:

- الدستور بهذا الرقم أعلى صحيفة أسبوعية توزيعا لتحتل مكانها المتميز إلى جانب كبريات الصحف بل وتتشرف بأنها الأولى فى عالم الصحف بلا منازع.

- إن الدستور وهى بسعر يفوق ١٥٠٪ سعر الصحف الأسبوعية عدا صحيفة الشعب أثبتت أن القارئ المصرى فى حاجة حقيقية إلى صحيفة مستقلة ليبرالية، فإذا به يرحب بها ويحتضنها ويقبل عليها ويداوم على شرائها رغم إرتفاع سعرها إلى جنيه.

- ننشر هذه الأرقام لأننا عودنا القارئ منذ اللحظة الأولى على شفافية كاملة فى كل شئ، قلنا أن تمويلنا مصرى مائة فى المائة، وقلنا أن أهدافنا واضحة، أننا ضد الإرهاب والفساد وإسرائيل، وها نحن نقول توزيعنا بالأرقام ونعد أن نقدم فى نهاية العام ميزانية

(١) سعيد عبد الخالق، مقابلة خاصة معه.

(٢) عصام كامل، مقابلة خاصة معه.

(٣) روزاليوسف، عدد ٦ يونيو ١٩٩٤.

(٤) الدستور، عدد الأربعاء ٢٦ يونيو ١٩٩٦.

الصحيفة كاملة.

- ننشر دعوة منا إلى أن تكون هناك جهة للتحقق من أرقام توزيع الصحف وإذاعتها لأن فى هذا إحتراما للقارئ وللمعلن وحقا لهما مشروعا ومؤكدا فضلا عن أنه تقليد أوربى وغربى شديد الأهمية.

لا يستطيع أن يجزم الباحث بدقة الأرقام التى نشرتها الدستور، ليس الأرقام الخاصة بها ولكن الأرقام التى لم تعلنها عن توزيع الصحف الأخرى، ثم أن ٧٠ ألف نسخة ليس كثيرا بالنسبة لتعداد السكان فى مصر، لكن للأسف الشديد أن توزيع الصحف يقاس بعدد قراء الصحف فى مصر وليس بتعداد السكان.

ثم أن الجريدة استسلمت للقاعدة الشهيرة التى تشير إلى أن كل عدد من الجريدة يطالعه خمسة قراء على الأقل، وهو ما يعنى أن ال٧٠ ألف نسخة التى توزعها يقرأها ٣٥٠ ألف قارئ وهى مبالغة ليست مقبولة، فلو كان هناك معيار للتوزيع من خلال الجهات المسئولة عنه، فلا يوجد معيار حقيقى لقياس الإنتشار والتأثير.

لكن على كل يظل التوزيع هو الضلع الثالث فى منظومة الصحافة المثيرة وبدونه لا يمكن لصحيفة أن تدعى مثلا أنها صحافة إثارة.

الضلع الرابع: **التأثير**...فحتى يمكن أن نطلق على صحيفة أنها مثيرة فلابد أن تكون صحيفة مؤثرة، والتأثير هنا لابد أن يكون على مستويات عديدة، فليس القارئ وحده الذى يجب أن يتأثر بالصحف المثيرة سواء فى معارفه أو إتجاهاته أو سلوكه لكن لابد أن يتأثر صانع القرار، وأن تساهم هذه الصحافة فى صياغة قرارات وقوانين ويتم تفعيل هذه القرارات والقوانين حتى يظهر تأثيرها، والمثال الواضح فى هذا الإطار الصحف الحزبية، وتجربة روزاليوسف والتجارب التى تم تفريخها منها مثل الدستور وصوت الأمة والفجر، أما إذا كانت الصحافة المثيرة بلا تأثير وتتوفر لها الأضلاع الثلاثة فهى تصبح مثل جريدة النبأ التى يمكن أن يعتبرها الباحث مثل المخدر الذى ينتهى مفعوله أو تأثيره

بمجرد أن ينتهى أثره من الجسد.

أما نموذج الصحيفة التى تستطيع أن تؤثر فى المجتمع دون أن يكون توزيعها كبيرا وذلك لأنها من البداية تتوجه إلى الصفوة فهى جريدة العربى الناصرى، وقد بدا ذلك فى قناعة الجريدة بما تعلنه عن نفسها من خلال الخطاب الذى تسعى من خلاله إلى جذب المعلنين فهى لا تقول إعلانك مع العربى أكثر توزيعا لكنها تتعمد أن تقول إعلانك فى العربى الأكثر تأثيرا، وهى صيغة مقصودة وحقيقية.

■ المستوى الثالث :

وهو مستوى ينصرف إلى منظور رباعى آخر يتم من خلاله إنتاج نمط الإثارة عبر التأثير والتأثر بين منتجى النمط والمجتمع الذى يحوى هذه الصحافة، وأضلاع هذا المنظور الأربعة هى:

الضلع الأول: صحفى طموح : فهناك سمات عامة جمعت بين رموز هذا التيار عبر تاريخ الصحافة المصرية، وهو أنهم طموحون لتغيير وجه الصحافة، ولذلك فإن كلا منهم يعتبر علامة فاصلة، فالصحافة قبله ليست كالصحافة بعده، ولا يعيب منتجى صحافة الإثارة أن طموحهم فى الغالب يكون شخصيا، فهم يرغبون فى صنع مجد شخصى لهم، هذا المجد الشخصى يسجل بإسمهم نعم ، لكنه فى النهاية يضاف إلى رصيد الصحافة المصرية بشكل عام.

الضلع الثانى: قارئ متطفل : ولا يقصد الباحث بالتطفل ذاك السلوك الإجتماعى السلبى، ولكن يقصد به الرغبة فى المعرفة ليس للأخبار العامة ولكن لكل ما يدور فى المجتمع من أسرار ونميمة، فالقارئ فى حقيقته لا يشبع، وحتى إذا قال أنه يرفض نمط صحفى معين فإن ذلك قد لا يعكس أبدا رغبته الحقيقية.

فالمجتمع يقرأ صحافة الإثارة ويطلع عليها، قد لا يصطحبها قارئ إلى بيته، لكنه لا يخاصمها بل يطالع صورها ويقرأ ما تورده ليس فيما يهمه فقط ولكن فيما لا يهمه أيضا،

ويعرف منتجو الإثارة أن القارئ يقرأهم بالليل ويعود ليلعنهم فى النهار، ولذلك لا يخضع منتجو هذا النمط لما يردده القراء من أنهم سيقاطعون هذه الصحف، فهم لا يفعلون ذلك فى الغالب.

الضلع الثالث: قانون مراوغ ومستخدم : لا يمكن للباحث أن يعتبر أن المنظومة القانونية التى تحكم العمل الصحفى فى مصر منظومة عادلة تطبق على الجميع، فصحافة الإثارة ترتكب من الجرائم والتجاوزات ما يجعلها تقع طول الوقت تحت طائلة القانون، لكن لا يتم تفعيل هذا القانون إلا إذا أرادت السلطة ذلك، بل إنها تستخدم صحف الإثارة فى عقاب الصحف الجادة وإغلاقها إذا ما تجاوزت الخطوط الحمراء، وحتى إذا لم تغلقها فإنها ترهبها مهددة إياها ناسبة إليها ما ليس فيها من ممارسات ومعالجات، ثم أن القانون لا توجد به تكييفات واضحة لمختلف التجاوزات الصحفية، ولذلك فالمزاج السياسى هو الذى يفصل فى شئون الصحافة ويصبح القانون مجرد تابع.

الضلع الرابع: سياق مجتمعى يعانى من إزدواجية : كان الباحث يعتقد أن السياق المجتمعى المحافظ هو الذى ينتج صحافة الإثارة حيث أن هناك دائما رغبة فى التمرد على السائد والمعتاد، وإذا كان المجتمع قد استقرعلى أخلاقيات وسلوكيات معينة، فإن من يقدم صحافة الإثارة يسعى إلى تكسير هذا السياق ليلفت الإنتباه.

لكن بقليل من التأمل يرى الباحث أن المجتمع المصرى يعانى من إزدواجية فى أداءه العام، فهو يرفض الشئ فى العلن ويفعله فى السر، ولا فرق فى ذلك بين سلوكه الدينى والأخلاقى والإجتماعى وقراءة صحف الإثارة، إن المساحة بين ما يقوله المجتمع وما يفعله هى التى تنمو فيها صحافة الإثارة، مستغلة الرغبات المكبوتة لدى القارئ التى لا يستطيع أن يعلن عنها.

من خلال هذا الإطار يدخل الباحث إلى رصد المعالجات التحريرية والفنية لصحف الإثارة بالتطبيق على عينة مختارة من القضايا والموضوعات التى قدمتها هذه الصحف.

أولا: الإثارة السياسية

■ معالجة صحف الإثارة لشئون الرئيس

ظلت الصحف المصرية منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ تتعامل مع الرئيس على أنه شخصية لا تمس، فهو الخط الأحمر الذى لا يمكن تجاوزه، دخلت الصحف فى حوارات ومناقشات مع كبار المسئولين فى الدولة من الورزاء ومسئولى الجهات الأمنية، لكن الصحف الحزبية كسرت هذه القاعدة مع الرئيس السادات ومن بعده الرئيس مبارك وهو ما فعلته الصحف الخاصة مع الرئيس مبارك بعد ذلك أيضا.

كانت جريدة الأهالى صاحبة السبق فى إختراق الحاجز الحديدى حول الرئيس ولم يكن هذا بشكل شخصى ولكن من خلال مناقشة موضوعية لسياسات الرئيس ويمكن أن يأخذ الباحث المناقشة التى أجرتها الأهالى[1] لقضية المباحثات والإتصالات بين الحكومة المصرية وحكومة إسرائيل نموذجا لذلك، كان العنوان الرئيسى للجريدة هو: الإتصالات المصرية الإسرائيلية ...البداية والنهاية، ورغم أن العنوان يشى بهدوء ولا إثارة فيه، إلا أن المعالجة التى نشرتها الجريدة على الصفحتين الثالثة والرابعة من العدد كانت أكثر إثارة.

فقد تساءلت الجريدة عن مصير مبادرة السادات بعد أن قطعت إسرائيل بأن الأمن يعنى الأرض؟، وأشارت الجريدة إلى أن أمريكا غير راغبة ولا قادرة على تقديم مشروع سلام ينهى أسباب الخلاف بين مصر وإسرائيل، ثم أن العقبات فى إسرائيل التى تعترض طريق السلام الذى يعرضه السادات كثيرة وليست فى شخصية بيجين فقط، فهناك أحد أعضاء حزب العمل الإسرائيلى أعلن أن بيجين فرط بوعده للسادات بمغادرة سيناء، وأكدت الجريدة كذلك على أن موشى ديان لا يزال يهين مصر ورئيسها، وليس على جيل أكتوبر إلا أن يرد على إهانات ديان.

---

(١) الأهالى، عدد ٢ أغسطس ١٩٧٨.

وسخرت الجريدة من رغبة السادات فى إحياء روح مبادرته مع إسرائيل بإقامة جامع وكنيسة ومعبد يهودى فوق جبل موسى لتتعانق هناك الأديان السماوية الثلاثة ضد الإلحاد، وكان الرد الذى ساقه بيجين هو أن إسرائيل لا تعطى شئيا دون مقابل.

هذا نمط من أنماط المعالجة العاقلة الذى قامت به الأهالى مع الرئيس السادات وهو ما كررته مع الرئيس مبارك عندما إعترض على معالجة صحف المعارضة لحادث إغتيال سليمان خاطر.

يقول حسين عبد الرازق[1]كانت الأهالى تتابع أخبار سليمان خاطر[2]فى صفحتها الأولى، فنشرنا فى العدد ٢١٣ خبرا فى الصفحة الأولى : نادى المجانين يتضامن مع سليمان خاطر، وفى العدد ٢١٦ : دفاع سليمان خاطر يطعن بعدم دستورية محاكمته أمام القضاء العسكرى، وفى العدد ٢١٧ : حملة تضامن شعبى مع سليمان خاطر ، وإسرائيل تربط بين تقدم المباحثات حول طابا والمحاكمة فى قضية رأس بركة.

مع بداية محاكمة سليمان خاطر كان مانشيت الأهالى: **السياسيون والكتاب والفنانون والنقابيون وعشرات الآلاف من المواطنين يطالبون: أوقفوا المحاكمة العسكرية لسليمان خاطر.**

وأعاد صلاح عيسى على صفحتى ٦ و٧ من العدد رسم الحادث ومناقشة ملابساته وظروفه وكانت العناوين التى إختارها دالة على موقف الجريدة منها: **التفاصيل الكاملة لحادث رأس البركة، حين يصبح الدفاع عن الحدود خروجا عن الحدود...مرافقون لوزير**

---

(١) حسين عبد الرازق، الأهالى صحيفة تحت الحصار(القاهرة، دار العالم الثالث، ١٩٩٤) ص ٣٤١.

(٢) سليمان خاطر مجند مصرى كان يخدم على الحدود مع إسرائيل وبسبب إستفزازات بعض اليهود وإعتداءهم الواضح والصريح على الحدود المصرية فتح عليهم ذخيرته الحية وقتل بعضهم، فألقى القبض عليه وأحيل إلى المحاكمة العسكرية التى عاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة، لكنه أعلن رسميا عن إنتحاره داخل زنزانته وهو الأمر الذى أحيط بشكوك عديدة من المراقبين للقضية منذ بدايتها.

إسرائيلي يضربون عقيد شرطة مصرى.

وفى العدد التالى كان العنوان الرئيسى للجريدة: **تجددت المظاهرات فى الزقازيق وهدد المحامون والطلاب بالإعتصام ، قنابل ممنوعة لفض مظاهرات التضامن مع سليمان خاطر.**

ويضيف حسين عبد الرازق: بعد الحكم على سليمان خاطر بالأشغال الشاقة المؤبدة فوجئنا ببيان من وزارة الداخلية يعلن إنتحار سليمان خاطر فى محبسه بالسجن الحربى وموته، وإجتاحنا حزن وغضب عميقان، وأسرعت بالإتصال بصلاح عيسى ثم بالأستاذ خالد محيى الدين للبحث فى كيفية نشرنا للخبر، وكنا متفقين جميعا أن قضية الإنتحار تثير شكوكا هائلة، ولكننا إتفقنا جميعا على أن ننشر الخبر بارزا كما هو دون تعليق أو إتهام إنتظارا لمزيد من الحقائق والمعلومات.

نشر الخبر كمانشيت للعدد..بيان رسمى: **سليمان خاطر قتلوه أم إنتحر؟**، وكتب صلاح عيسى تحليلا إخباريا وكانت عناوينه كالتالى: البحث عن صاحب المصلحة فى إختفاء سليمان خاطر، ثلاثة إحتمالات وثلاثة متهمين والتحقيق المحايد هو الذى يبدد الشكوك، هل كان إنتحار سليمان بندا من الصفقة الشاملة التى وقعت هذا الأسبوع بين مصر وإسرائيل، سر يذاع لأول مرة: الإفراج عن خاطر كان وراء خطف طائرة فاليتا، الخيط الرفيع بين تقارير الطب الشرعى فى إنتحار سليمان وإنتحار سميرة مليان[1].

صعدت الأهالى من تحديها للنظام فى المعالجة فكان العدد الصادر فى ٨ يناير ١٩٨٦، حيث خصصته بالكامل لقضية سليمان خاطر وملابسات وفاته، نشرت أربع مقالات على الصفحة الخامسة لأربعة من الكتاب الكبار هم أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسى، ود.سعيد إسماعيل على الذى كتب عن الغدر بأهل الغدر وفاء عند الله والوفاء لأهل

(١) سميرة مليان فنانة مغربية قيل أنها إنتحرت من شقة الملحن الشهير بليغ حمدى منتصف الثمانينات، لكن بليغ حمدى إتهم بأنه كان وراء إنتحارها وحكم عليه بالسجن مما دفعه إلى أن يغادر مصر إلى أوربا.

الغدر غدر عند الله، وكتب محمد نور فرحات عن سليمان خاطر البطولة والتساؤلات، وكتب ضياء الدين داود: يتسببون فى البلاء ويتعجبون منه إذا حدث.

ونشر محمد حاكم على الصفحة الثانية تحقيقا رصد من خلاله قصة وداع سليمان خاطر من المشرحة إلى المدافن، ونشرت الجريدة تقريرا عن المؤتمر الصحفى الذى عقده الأطباء الشرعيون ليعرضوا وجهة نظرهم فى القضية، ونشرت كذلك تصريحات لعدد من الشخصيات السياسية تطالب بلجنة تقصى حقائق لكشف ملابسات ما جرى.

بعد هذه التغطية المهنية للحدث وضعت الأهالى نفسها مع الرئيس مبارك فى جملة مفيدة، فقد أدلى بحوار مطول مع مجلة المصور أجراه معه مكرم محمد أحمد رئيس تحرير المجلة، قال فيه:

- حزنت لموقف أحزاب المعارضة التى غاب عقلها.

- أسأل نفسى كم من الوقت تستطيع مصر أن تتحمل عبث أحزاب المعارضة.

- أحذر... البديل فى علم الغيب ولكنه مخيف وخطر.

- مصر لم تعد تتحمل المزيد والحكم لم يعد يطيق ..لذلك أحذر.

- عندما سأضع الحقائق علنا أمام الشعب سيكون هناك إجراء عملى على أرض الواقع.

هنا إثارة مهنية من جانب الأهالى قابلتها إثارة سياسية من جانب رأس النظام، وفندت الأهالى ما ذهب إليه الرئيس فى إفتتاحيتها[1] التى عنونتها بوضوح من البداية ب «الرئيس مبارك والمعارضة» ...الأخطار التى تهدد الديمقراطية ولقمة العيش، وكانت أفكارها تدور حول الآتى:

أولا: موقف أحزاب المعارضة من قضية سليمان خاطر - وغيرها من القضايا- ليست واحدة حتى وإن إتفقت فيما بينها فى بعض الأساسيات، فلكل رؤيته وتحليله وأسلوبه

---

(١) الأهالى، عدد ٢٢ يناير ١٩٨٦.

وممارساته التى قد تختلف كثيرا أو قليلا عن الآخرين.

ثانيا: الرئيس يتهم المعارضة بأنها سارعت إلى التشهير الكاذب بأن هناك ضغطا على مصر وأن إسرائيل ربطت بين قضية طابا وضرورة محاكمة سليمان خاطر، والواقع أن كل ما فعلته المعارضة أنها قامت من خلال صحافتها بواجب نقل المعلومات للقارئ، فالذى قال بوجود ضغط إسرائيلى يربط بين طابا ومحاكمة سليمان خاطر هم المسئولون الإسرائيليون والمصريون أيضا فى تصريحات منشورة فى صحف إسرائيل والعالم ومذاعة فى إذاعة إسرائيل والعالم ولم يكذبها أى مسئول مصرى.

ثالثا: الرئيس يتهم المعارضة بأنها سعت إلى تهييج الشارع والطلاب ، مرة تحت دعوى أنه ما كان ينبغى محاكمته ومرة تحت دعوى أن الحكم كان قاسيا، وكان لابد من أن يراجع الرئيس الذين قدموا له تقارير حول ما أسموه إثارة الأحزاب للشارع وطلاب الجامعات.

فالذى أثار الطلاب والشعب المصرى هو تخاذل الحكومة أمام إسرائيل وضغوطها وشروطها ووصفها لجندى كان يقوم بواجبه العسكرى فى الدفاع عن الموقع الذى أؤتمن عليه بالجنون وحرمانه من المثول أمام قاضيه الطبيعى.

رابعا: أشار الرئيس إلى أن المعارضة أرادت إستثمار القضية وروجت بين الناس أن الموساد هى التى قتلت سليمان خاطر، وإذا كانت هذه هى قناعة المعارضة أن مصر تعجز عن أن تحمى سجينا فى زنزانته فعلى الجميع السلام، وأكد الرئيس: كانت هناك خطة لتأمين سليمان خاطر فى سجنه، تواجه كل الإحتمالات بما فيها هذا الإحتمال المجنون، لكن من غير المعقول أن يقوم أحد بقتله وأنا لا أعرف .

وتفند الأهالى وجهة نظر الرئيس فى أنه يحمل نفسه أكثر من طاقته، فكثيرا ما تقوم أجهزة معينة بعمليات مخالفة للقانون أو جرائم مثل قتل الخصوم السياسيين ، أو التعذيب فى السجون دون معرفة رئيس الدولة، بل تحرص فى الغالب على عدم معرفته بها.وإلا فهل إستاذنت الأجهزة الرئيس فى ممارسة التعذيب فى قضيتى الجهاد والحركة الشعبية،

وهل طلبت موافقته على قتل كمال السنانيرى تحت التعذيب عام ٨١، ثم الإدعاء بإنتحاره شنقا فى زنزانته؟ بالقطع لم يحدث فلماذا يتوقع الرئيس أن تستأذنه أو تبلغه بجريمة قتل سليمان خاطر.

خامسا: استثنى الرئيس فى هجومه على المعارضة شخصا واحدا وهو الموقف العاقل المستنير الذى تبناه شيخ القانون وحيد رأفت، لكن 'الأهالى سألت الرئيس هل هذا التقدير لوحيد رأفت ينسحب على الرجل نفسه وعلى موقفه عند إقتحام الطائرة المصرية فى مطار فاليتا والذى قال فيه: إن عملية الإقتحام فاشلة بكل المقاييس والقرار متسرع وكان يمكن الوصول إلى نتيجة أفضل بالمفاوضات، إن المشير أبو غزالة يتحمل مسئولية جسيمة وعليه أن يقدم إستقالته فورا دون إنتظار المساءلة السياسية أمام مجلس الشعب.

سادسا: تصل الأهالى إلى لب القضية حيث رأت أن الرئيس عندما يقول أن المعارضة تضرب الديمقراطية فى مقتل وهى فى خطر لأن المعارضة تقتلها بممارساتها التى تستهدف الفوضى والتهييج والإثارة، فإنه بذلك يعنى أن الخلاف فى الرأى والتعبير المحدود المتاح للمعارضة عن هذا الرأى يعد خطرا على الديمقراطية.

هذه المواجهة التى وقعت بين الرئيس والأهالى تلخص سبب وصم صحف الإثارة السياسية بأنها صحف مثيرة من وجهة نظر النظام: فالصحيفة التى تخرج عن الخط أو تنشر ما لا يرضى عنه النظام من معلومات أو حتى آراء يتم التعامل معها على الفور بأنها صحيفة إثارة وتهييج .

وهو ما حدث مع صحيفة الشعب التى أعلنت بوضوح أنها ليست ضد سياسات الرئيس مبارك فقط ولكنها ضد إستمراره فى الحكم[١].

لكن هل يمكن إعتبار الصحف الحزبية وهى تؤدى دورها فى الكشف عن المعلومات ومواجهة النظام بالحقائق صحف إثارة؟

(١) مجدى أحمد حسين ، مقابلة خاصة معه.

لا يمكن للباحث أن يسميها صحف إثارة بالطبع فتوزيعها يكون فى الغالب لأسباب أيديولوجية، ويمثل أعضاء الحزب قوة كبيرة للشراء يمكن أن تغنى الجريدة عن تسول قراء آخرين من خلال إثارتهم ، وإن كان هذا لا يعنى أنها لا تسعى من خلال معالجاتها المثيرة إلى إجتذاب قراء آخرين لا ينتمون لأعضاءها.

ويذهب الباحث إلى أن الصحف الحزبية حاولت أن تقدم معالجات جذابة وبشكل كبير لقضاياها السياسية الجادة خاصة فيما يتعلق بقضايا الرئيس.

إن معالجة الأهالى كانت جادة ورصينة فهى تفند ما يقوله الرئيس وتعترض عليه، لكنها لا تقترب مما دون عمله ودوره السياسى، وهو تحديدا المصدر الذى وجدت فيه الصحف مصدرا للإثارة، ويختار الباحث معالجات محددة لدى صحف الإثارة يمكن من خلالها أن يوضح كيف إستفادت صحف الإثارة من شخصية الرئيس خلال فترة الدراسة التى يسير معظمها فى فترة حكم الرئيس مبارك وطوعتها لتكون عاملا للجذب.

إن هناك صيغا مختلفة للمعاجات المثيرة ويمكن للباحث أن يرصدها على النحو التالى:

أولا: روزاليوسف

بعد أن حقق الرئيس السادات إنتصاره فى حرب أكتوبر، بحث عن شرعية جديدة بدلا من شرعيته التى كان يستمدها من أنه خليفة عبد الناصر، وكانت الصحف قد بدأت تهاجم عبد الناصر ليس فى سياساته فقط ولكن فى ذمته المالية، تزامن ذلك مع الإفراج عن مصطفى أمين وعودته إلى أخبار اليوم.

كان مصطفى أمين قد خرج جريحا من عصر عبد الناصر بعد القبض عليه ومحاكمته وسجنه فى قضية تخابر لصالح المخابرات الأمريكية، وفتح مصطفى أمين المجال ليس لنفسه فقط ولكن للجميع للنيل من عبد الناصر.

ويصف هيكل هذه الحملة بقوله[1]: لم يتجاسروا جميعا على سلبياته حتى جاء الموت

(١) محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٧) ص ٢١.

ومنحهم الحرية، وهذا شئ سئ وأسوأ منه أنهم ظلو من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ إلى بداية سنة ١٩٧٤ يتمسحون بذكرى الراحل والرحيل كأنهم لا يصدقون المقادير، ثم بعد أربع سنوات كاملة إطمانوا فيها إلى أن الجسد المكفن بالثوب الأبيض لن يخرج من قبره فتحوا أفواههم، وتجاوز الكلام كل حد معقول، وكان آخره إتهام جمال عبد الناصر بأنه إختلس لنفسه وهرب إلى الخارج لحسابه مبلغ خمسة عشر مليونا من الدولارات، خمسة منها قدمها الملك سعود تبرعا للمجهود الحربى المصرى، والعشرة الباقية قدمها الملك سعود أيضا قرضا لمصر، ولكن جمال عبد الناصر إغتصب هذا كله لمنفعته الشخصية وأودع الأموال فى حساب بإسمه فى الخارج.

كان الهدف إذن هو إهالة التراب على وجه عبد الناصر من أجل تبييض وجه الرئيس الجديد.

فى العام ١٩٧٥ إلتقطت روزاليوسف الخيط وبدأت تدافع عن عبد الناصر من خلال نشرها لحلقات بعنوان التاريخ السرى لعبد الناصر، وكان عبد الناصر يمثل عنصرا هاما من عناصر بيع المجلة فصورته على الغلاف وإلى جواره عنوان الحلقة الجديدة[1]، لم يكن الهدف هو التوزيع بعبد الناصر، حيث أراد صلاح حافظ المسئول عن المجلة إلى جوار فتحى غانم وقتها أن يظهرا الوجه الحقيقى لعبد الناصر فى مواجهة حملة شرسة أرادت أن تنال من شرفه الشخصى قبل شرفه السياسى.

وقد أشارت المجلة إلى أسرار هذه الحملة[2] فعندما بدأت فى نشر سلسلة الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر كان من أهم مصدرها محمود الجيار سكرتير رئيس

---

(١) مثال ذلك:الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر....الصراع السرى بين المباحث والمخابرات... روزاليوسف، عدد ١٧ نوفمبر ١٩٧٥، والتاريخ السرى لحكم عبد الناصر ...عبد الناصر ومعازيم الفرح....روزاليوسف، عدد ٥ يوليو ١٩٧٦.

(٢) مفاجأة الأسبوع القادم، محمود الجيار يشترك فى رواية هذه الأسرار....روزاليوسف، عدد ١٧ نوفمبر ١٩٧٥.

الجمهورية وأحد أقرب المقربين إلى جمال عبد الناصر حتى يوم وفاته.

كان الجيار هو صاحب الفكرة، وكانت المناسبة أن بعض رفاق عبد الناصر وزملاؤه قد نشروا فى أخبار اليوم أحاديث عن شخص عبد الناصر تصوره فرعونا وديكتاتورا فى ممارسة السلطة، وتفسر خلافهم معه بأنه كان حول رفضهم للإستبداد من جانبه وتمسكهم بفرض تصحيح ديمقراطى على النظام، وفى اليوم التالى أرسل محمود الجيار برقية إلى أخبار اليوم يرد فيها على هذا الكلام، وانتظر الجيار أن تنشر برقيته ولكن إنتظاره طال، وعندئذ قرر أن يتكلم وأن يروى ما عرف من موقعه الملاصق لجمال عبد الناصر طوال حوالى عشرين عاما متصلة.

هنا يمكن للباحث أن يرصد:

أولا: أن حملة أخبار اليوم ضد عبد الناصر كانت مدبرة ومقصودة لذاتها، فلو أنها كانت تدير حوارا موضوعيا حول فترة تاريخية سابقة لفتحت الباب أمام كل الآراء الذى يؤيد والذى يعارض على السواء دون أن تحجب الآراء التى لا ترتاح إليها ولا تتسق مع هدفها، بدليل أنها رفضت أن تنشر رد الجيار الذى كان يحمل تصحيحا لبعض ما ورد فيها.

ثانيا: دخلت روزاليوسف على الخط من الحملة، لكنها أرادت أن تشير لقارئها أن مصادرها لا يرقى إليها الشك وأنها عندما تنشر الأسرار الشخصية لعبد الناصر فإنها بذلك تستند إلى مصادر لها ثقلها وثقتها أيضا.

ثالثا: كان عبد الناصر طرفا فى منافسة إثارية بين مدرستى الإثارة فى الصحافة المصرية(أخبار اليوم وروزا اليوسف) وكان يقود الصراع مصطفى أمين فى أخبار اليوم وصلاح حافظ فى روزاليوسف وهو ما يعنى أن أبناء مدرسة الإثارة أصبحا وجها لوجه، ورغم أن معالجاتها لما يخص عبد الناصر ضمنت لهما توزيعا وإنتشارا، إلا أن القيمة المهنية لمعالجة روزاليوسف كانت أقوى وأبقى وذلك لأنها كانت الأكثر مصداقية، فبينما كان

مصطفى أمين يكتب لأهداف شخصية كانت روزاليوسف تكتب من أجل التاريخ والأجيال التى لم تعاصر عبد الناصر ومن حقها أن تعرف الحقيقة دون أن يصادر أحد على هذا الحق.

لا يستبعد الباحث أن يسارية صلاح حافظ ومجموعة روزا هى التى أدت بهم إلى هذا الموقف، وبعد أن تركوا المجلة فى أعقاب معالجة إنتفاضة ١٩٧٧ الشعبية، أصبح عبد الناصر ضيفا على غلاف روزاليوسف فى مناسبات ميلاده ووفاته فقط، وكان يتم التعرض له بحياد وكأن ما يكتب عنه لابد أن يكون من باب تأدية الواجب لا أكثر[١].

فى فترة الفوران الإثارى فى روزاليوسف فى الفترة من ١٩٩٢ وحتى ١٩٩٨ تم إستغلال شخصية الرئيس كعنصر بيع على الغلاف، حدث هذا مع رؤساء مصر الثلاثة، ويمكن للباحث من خلال رصد نماذج محددة أن يتعرف كيف إستغلت روزاليوسف شخصية الرئيس فى الإثارة.

الرئيس عبد الناصر

- مذكرات الملك فاروق عن ثورة ٢٣ يوليو...وهيكل لروزاليوسف: المعتقلون فى سجون عبد الناصر[٢].

- ملف خاص[٣]: ناصر ٩٦، وكتبت المجلة: بعض هؤلاء سمع عن جمال عبد الناصر من خلا ل أغنية، بعضهم لم يكن يعرف عنه أى شئ قبل أن يشاهد فيلم ناصر ٥٦، ولكن المؤكد أن أغلبهم لم يسمع خطاباته ولم يتأثر بجاذبيته ولم ينفعل مع قراراته ولم يتظاهر معه

(١) من أمثلة ذلك: جمال عبد الناصر...رجل وتاريخ...روزاليوسف ، عدد ١٢ يناير ١٩٨٧، وبعد ١٥ عاما من وفاة عبد الناصر وزير حربيته يروى :ناصر وعامر واللقاء الأخير ...روزاليوسف، عدد ٣٠ سبتمبر ١٩٨٥.

(٢) روزاليوسف، عدد ٢٥ يوليو ١٩٩٤.

(٣) روزاليوسف، عدد ٣٠ سبتمبر ١٩٩٦.

أو ضده خلال سنوات حكمه، ورغم ذلك هو فى داخلهم، إن أغلب هؤاء ولد بعد أن مات جمال عبد الناصر، قليلون عاشوا فى عصره عاما أو عامين، هؤلاء نحن نعتبرهم شخصيات شبه محايدة، لهذا ننقل شهاداتهم بين الحب واللعنات وبين الرفض والقبول بين الإيمان به كنبى والكفر به حتى النهاية، ونقلت الجريدة آراء عدد كبير من الشباب فى عبد الناصر وفى عصره.

- هل تحتاج مصر إلى عبد الناصر جديد[1]، ويكتب عادل حمودة عن سر إقبال المصريين على فيلم ناصر ٥٦، فالمصريون يريدون أن يروا جمال ويتذكروه ويتذكروا مواقفه الوطنية وإنحيازه للفقراء ومواجهته للفساد والمتطرفين واللاعبين بالدين ولامتاجرين فيه.

- قائد الطيران فى ١٩٦٨ يتحدث بعد ربع قرن: عبد الناصر : إضربوا الطلبة بالطيران[2].

إستعانت المجلة كذلك بمجموعة من الصور النادرة لأسرة جمال عبد الناصر نشرت لأول مرة ، وهو ما يعكس أن عبد الناصر كان بالنسبة لروزاليوسف مثل تميمة الحظ، فصورته على الغلاف كانت تضمن إقبال القراء، لكن روزا لم تتعامل مع عبد الناصر على أنه عنصر بيع مجرد فقط، فقد أدارت حوله حوارا مجتمعيا من أرضية أنه ليس ملاكا ولا شيطانا فى الوقت نفسه.

ويعتقد الباحث أن هذه هى الصيغة التى تعاملت بها صحف الإثارة مع عبد الناصر بعد ذلك، فقد كان وجوده على غلافها يمثل ثقلا وفرصة للتوزيع ، بصرف النظر عن الموقف الذى تأخذه الجريدة منه وهل هى معه أم ضده دون ، فقد كان عبد الناصر مثار نقاش دائم على صفحاتها من مؤيديه ومعارضيه على السواء.

(١) روزاليوسف، عدد ٢٦ أغسطس ١٩٩٦.

(٢) روزاليوسف، عدد ٢٨ إبريل ١٩٩٧.

الرئيس السادات

- المتطرفون : إحتفال علنى بإغتيال السادات[١].

- السادات وحكمت فهمى فى عوامة نادية الجندى[٢].

- بين جيهان ورانيا شعلان...مأساة ابن السادات[٣].

- خطة كارلوس لإغتيال السادات[٤].

- حرب أكتوبر بين تسجيلات هيكل وخرافات أنيس منصور...محاكم التفتيش فى أخبار اليوم[٥].

- جيهان السادات تحاور زوجة رابين...أرامل السلام[٦].

- وزير الدفاع السورى يروى: قرار إعتقال السادات فى دمشق[٧].

- جيهان وناريمان...نميمة الزواج الثالث لجمال السادات[٨].

- محضر الإجتماع الأخير قبل الحرب...التحليل النفسى لأنور السادات وقاتله[٩].

- وفى عدد عودة الوعى[١٠]كما أسمته روزاليوسف الذى أصدرته بمناسبة مرور ٣٠

(١) روزاليوسف، عدد ٢ نوفمبر ١٩٩٢.
(٢) روزاليوسف، عدد ٢٣ مايو ١٩٩٤.
(٣) روزاليوسف، عدد ١٥ أغسطس ١٩٩٤.
(٤) روزاليوسف، عدد ٢٩ أغسطس ١٩٩٤.
(٥) روزاليوسف، عدد ١٦ سبتمبر ١٩٩٦.
(٦) روزاليوسف، عدد ١١ نوفمبر ١٩٩٦.
(٧) روزاليوسف، عدد ١٨ نوفمبر ١٩٩٦.
(٨) روزاليوسف، عدد ٢١ يوليو ١٩٩٧.
(٩) روزاليوسف ، عدد ٦ أكتوبر ١٩٩٧.
(١٠) روزاليوسف، عدد ١٧ نوفمبر ١٩٩٧.

سنة على رحلة القدس جعلت السادات بطل الغلاف وأحاطته بصور لكل من محمد حسنين هيكل ومصطفى خليل ولطفى الخولى وسعد الدين وهبة وأنيس منصور وجيهان السادات، وكانت العناوين كالتالى: محاكمة السادات والسلام، شهود المبادرة يتحدثون بصراحة، عملية السلام بدأت بزجاجة ويسكى، وإسماعيل فهمى يصفها بأنها تحشيشة، وسرقة شرائط السادات السرية من مكتبه.

كان الرئيس السادات أكثر حضورا فى تجربة روزاليوسف من عبد الناصر، ولم يكن ذلك يعكس أهميته لأن إدارة تحرير الجريدة فى هذه الفترة كانت ناصرية الهوى، ولكن فى إعتقاد الباحث لأن الأرض من تحت الرئيس عبد الناصر كان قد تم حرثها تماما فى السبعينات والثمانينات، ولم يكن هناك جديدا يطرح لا من الذين يؤيدون ولا من الذين يعارضون، ولم يكن هناك جديد يقال إلا تكرار ما سبق ونشر لكن من خلال صيغ مختلفة.

أما الرئيس السادات فقد كان إلى حد كبير مثل الأرض البكر التى دخلتها الصحافة بقوة، ثم إن شخصية الرئيس السادات الدرامية مكنت الصحف من أن تجد فى حياته ما يساعدها على أن تضعه فى جملة مفيدة مع عنوان مثير، ولم تكتف روزاليوسف بالرئيس السادات فقط ولكنها تطرقت إلى عائلته خاصة الجانب الشخصى منها، وهو ما لم تفعله كثيرا مع عبد الناصر، وربما يرجع ذلك إلى أن كل من أبناء الرئيسين شبا على ما تعودا عليه، فلم تكن أسرة عبد الناصر حاضرة فى المجتمع ولا الصحافة كما كانت أسرة السادات، ولذلك دخلت روزاليوسف إلى الحياة الشخصية لجمال السادات بما تشمله من زواج وطلاق، بينما لم تفعل ذلك مع أحد من أولاد عبد الناصر.

الرئيس مبارك

كانت روزاليوسف تدرك فى النهاية أنها جريدة حكومية ولذلك فإن معالجاتها لما يخص الرئيس مبارك فى حياته كان محفوفا بالمخاطر المهنية والسياسية على السواء، كانت المجلة

كغيرها من الصحف الحكومية تحتفى بالمناسبات الوطنية مع الرئيس وتبعث له بتحياتها فى مناسبة عيد ميلاده لكنها لم تسرف كثيرا فى نشر صوره على الغلاف، وذلك قناعة منها أن صورة الرئيس الرسمية على غلاف مجلة حكومية أو على الصفحة الأولى من جريدة حكومية يضر ولا يفيد من الناحية المهنية، حيث سيكون راسخا لدى القارئ أن الجريدة تكتب فى مدح الرئيس لا أكثر.

لكن هذا لم يمنع روزاليوسف أن تستعين بالرئيس مبارك فى سياق تقديمها للمعالجات الإثارية، وذلك فى تقديمها لتحقيق عن السيدة الأولى فى العالم العربى[1]، كان هذا هو العنوان الذى وضعته المجلة على غلافها وإلى جواره ثلاث صور الأولى لياسر عرفات وزوجته سها والثانية للملك حسين وزوجته الملكة نور، والثالثة كانت للرئيس مبارك والسيدة سوزان مبارك.

تعرضت المجلة من خلال تحقيق نشر على أربعة صفحات إلى الحياة الخاصة لزوجات الحكام العرب، وقد استقى التحقيق معلوماته عن سوزان مبارك من خلال حوار صحفى كما أشار التحقيق دون أن يحدد من أجرى الحوار ولا متى ولا أين نشر.

إن الرئيس مبارك فى هذه المعالجة لم يظهر بدوره ولا صفته السياسية ولكن تم التطرق إلى حياته الخاصة، لكن التطرق تم فى النهاية من خلال حدود معينة بعيدة عن التقييم فقد إكتفى بالرصد فقط ومن خلال ما نشر على لسان أصحابه.

حساسية المجلة الحكومية التى كانت تعانى منهـ روزاليوسف لم تمنعها من أن رفع سقف الإثارة السياسية، مرة من خلال تعرضها لشخص الرئيس، خاصة بعد محاولة إغتيالها فى أديس أبابا، حيث أجرت حوارات مع هيكل طرحت من خلالها سؤالا مهما وهو ماذا لو كانت محاولة الإغتيال نجحت؟، وهو سؤال بمفرده كان مثيرا، حيث كانت المشاعر العامة تحتفى بنجاة الرئيس من حادث الإغتيال، فإذا بالصحافة الحكومية تستند

(١) روزاليوسف، عدد ٢٣ مايو ١٩٩٤.

إلى لغة العقل وتسأل عن المستقبل الذى كان مهددا ومرهونا بلحظة فارقة بين حياة الرئيس وإغتياله.

لكن هذه المعالجات فى الغالب لا تحظى فى الغالب بإعجاب السلطة الحاكمة، حيث تعتبرها شذوذا عن السياق العام لامبرر له، خاصة أنها يمكن أن تفسد على الناس حالتهم العامة، وإن كان هذا صحيحا من وجهة نظر النظام، فهو ليس صحيحا بالمرة من وجهة نظر صحافة الإثارة التى ترى أن مفارقة المألوف والخروج عن المعتاد ميزة لها وليس عيبا يمكن أن يؤخذ عليها.

وقد تكون روزاليوسف فى هذه الفترة وبسبب عدم قدرتها على الإقتراب من الرئيس أن إقتربت من رجاله ومسئولى النظام الكبار، إن هناك لدى صحف الإثارة آلية النيل من رجال النظام الأقوياء، لكن أن تفعل ذلك مجلة حكومية فإن ذلك يشير إلى أنها كانت قد قررت أن تستفيد من هؤلاء فى معادلة توزيعها خاصة أنها لم تعالج ما يتعلق بهم على طريقة نشرات العلاقات العامة بل على طريقة صحف الإثارة وهو ما يبدو فى النماذج الآتية:

- وزير الداخلية هل يثير الفتنة الطائفية[1]؟

- سبق صحفى: سيارات ملغومة لإغتيال زكريا عزمى وأسامة الباز، زعيم التنظيم حاول إغتيال زكى بدر وأفرج عنه عبد الحليم موسى[2].

- آخر وزير إستقال من ١٨ سنة....لماذا لا يستقيل المسئولون[3]؟

- فضيحة أبراج ميامى بين ابن صدقى وابن الألفى[4].

(١) روزاليوسف، عدد ١٩ مايو ١٩٩٧.
(٢) روزاليوسف ، عدد ١٤ يوليو ١٩٩٧.
(٣) روزاليوسف، عدد ٤ أغسطس ١٩٩٧.
(٤) روزاليوسف، عدد ١ سبتمبر ١٩٩٧.

- تنظيم دار العلوم: خطة جديدة لإغتيال صفوت الشريف[1].

إن رموز النظام فى هذا السياق هم رجال الرئيس وقد إقتربت المجلة منهم ومن رجالهم ومساعديهم وكشفت فسادهم وتورطهم فى قضايا أخلاقية، وقد يكون فى المعالجة الخفية للمجلة قصد بأنها إن لم تتمكن من أن تتعامل بحرية مع الرئيس فإنها يمكن أن تفعل ذلك من خلال رجاله المحسوبين عليه والفاعلين فى النظام، وقد ذهبت المجلة إلى نشر أسرارهم وفسادهم ولم تحاول ولو مرة واحدة أن تتحدى أحدهم وتوجه رأس حربة الفساد إليه وذلك بسبب حساسية وضعها الحكومى.

ومن بين المعالجات التى قدمتها روزاليوسف وجمعت فيها بين الرؤساء الثلاثة كان:

أولا: فى عدد خاص أصدرته المجلة عن جماعة الإخوان المسلمين[2]، كان من بين عناوين الغلاف: المرشد العام فى بيوت الرؤساء، وعلى الغلاف صورة كبيرة لحسن البنا وإلى جوارها ثلاثة صور صغيرة للرؤساء الثلاثة عبد الناصر والسادات ومبارك، وأشارت المجلة إلى أنه كانت هناك علاقات بين الرئيسيين عبد الناصر والسادات بمرشدى الإخوان لكن الرئيس مبارك لم تكن له أية علاقات بمن تولى هذا المنصب، بل إعتبرت المجلة أنه من الغريب أن الرئيس مبارك لم يقابل عمر التلمسانى مرشد الإخوان المسلمين بعد أن قرر الإفراج عن المعتقلين فى سبتمبر ٨١.

ثانيا: عرضت المجلة لحرس الروساء[3] وبنفس المعالجة نشرت صورة كبيرة لشخص يوحى بأنه حارس يرتدى نظارة سوداء وسماعة فى أذنيه ومسدسا فى يده، وكان العنوان: حرس الرؤساء فى مصر، وعناوين شارحة: حارس أصبح رئيسا للوزراء وآخر خطب إبنة الرئيس.

---

(١) روزاليوسف، عدد ٨ سبتمبر ١٩٩٧.

(٢) روزاليوسف، عدد ١٤ أغسطس ١٩٩٥.

(٣) روزاليوسف، عدد ٣٠ يونيو ١٩٩٧.

وإستندت المجلة فى تحقيقها إلى أنه فى مصر يوجد عالم غامض ومثير اسمه حرس الرؤساء، إنهم الرجال الأقرب دائما للرئيس، يلتصقون به أينما ذهب وهم أيضا رجال أمن يعيشون داخل السياسة، والسياسة فى الأغلب لا تعنيهم ، ومع ذلك تدرج بعضهم فى المناصب السياسية حتى صار رئيسا للوزراء ومساعدا لرئيس الجمهورية، وهؤلاء وقفوا على حافة التاريخ ظهر السادس من أكتوبر ١٩٨١، وبعضهم تصاهر مع الرئيس وآخرون صاروا نجوما إلا أن غالبيتهم إختاروا الإنزواء فى زوايا التاريخ.

فى مثل هذه المعالجات لا يكون الرئيس هو البطل ولكن يصبح مجرد إطار تتحرك فيه المعالجة الصحفية، حتى تكتسب ثقلا وجاذبية، وهو ما يعنى أن صحافة الإثارة تحمل ما لديها من معلومات وأفكار على الأشهر والأكثر جماهيرية حتى يلقى ما تنشره رواجا لدى القراء.

وضعت روزاليوسف بذلك الصيغة التى يتم التعامل بها مع الرؤساء فى الصحف الخاصة، وهو ما ظهر واضحاف فى معالجات صوت الأمة والفجر تحديدا، وقد يكون السبب فى ذلك هو أنها فى النهاية إمتداد لتجربة روزاليوسف، لكن كانت هناك بعض الإختلافات فى معالجات الصحف الأخرى ويمكن أن يوضح الباحث ذلك من خلال:

أولا: جريدة الدستور :

إمتنعت الدستور فى إصدارها الأول الممتد من ديسمبر ١٩٩٥ إلى فبراير ١٩٩٨، عن التعرض للرئيس مبارك من قريب أو بعيد مقتنعة بذلك أنها تختلف عن الصحف الأخرى، فلم تنشر تهنئة له فى عيد ميلاده بل تكاد تكون تجاهلته تماما فى معالجاتها، وعندما نشرت له صورة فعلت ذلك ثلاث مرات[1] فقط الأولى من خلال صورة له بظهره وهو يودع بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى[2] والثانية وهو يقف إلى جوار

---

(١) فى مقابلة مع إبراهيم عيسى قال أنه لم ينشر سوى صورتين فقط للرئيس مبارك.

(٢) الدستور، عدد ٢٤ يوليو ١٩٩٦.

الرئيس السادات والمشير الجمسى[1] أى أنه لم يكن بمفرده فى الصورة، والثالثة له وهو يجلس إلى جوار الرئيس السادات مع تقرير عن فيلم يكتبه أسامة أنور عكاشة عن حرب أكتوبر[2]، أى أن الرئيس لم يكن على أجندة الدستور الأولى التى كانت تضع هدفا أمامها وهو تغيير العالم، لكن يبدو أن العالم الذى كانت تريد تغييره لم يكن الرئيس من بين مفرداته.

الوضع تغير تماما فى الإصدار الثانى الذى بدأ عدده الأول فى ٢٣ مارس ٢٠٠٥، فقد وضعت الجريدة من معارضة الرئيس مبارك هدفا لها ويمكن أن يتضح ذلك من النماذج الآتية:

- بدأ هجوم الدستور على الرئيس مبارك بعد أن أذاع التليفزيون المصرى حلقات «كلمتى للتاريخ» التى سجلها معه عماد الدين أديب، حيث أشارت الدستور إلى أن عماد صور مذكرات مبارك من إخراج شريف عرفة[3] وفى العدد التالى مباشرة[4] فندت الدستور شهادة الرئيس من خلال عنوان فى الصفحة الأولى هو : مفاجأة مبارك التى لم تفاجئ أحدا، وتساءلت الجريدة: لماذا لم يعرض السادات على مبارك الإنضمام للضباط الأحرار، ثم إنفراد بالمشاهد التى ظهر فيها مبارك فى فيلم سينمائى من بطولة شادية وكمال الشناوى وإخراج حسن الإمام.

- شهادة من أمانة السياسات التى يرأسها جمال مبارك: القضاء فى مصر ليس مستقلا ورهن إشارة وأمر الرئيس[5].

---

(١) الدستور، عدد١٤ أغسطس ١٩٩٦.

(٢) الدستور، عدد ١١ سبتمبر ١٩٩٦.

(٣) الدستور، عدد ٢٠ إبريل ٢٠٠٥.

(٤) الدستور، عدد ١٧ إبريل ٢٠٠٥.

(٥) الدستور، عدد ١١ مايو ٢٠٠٥.

- نريد أن نعرف بالضبط ما هى صلاحيات زوجة رئيس الجمهورية[١].

- من عبد الناصر والسادات إلى مبارك: عائلة الرئيس بين البيزنس والسياسة...هل يسمع الرئيس مبارك نكت المصريين عن ثروات أبناء المسئولين[٢].

- أنور السادات كشف فى حوار نادر: اخترت حسنى مبارك نائبا لأنه بلا تاريخ سياسى ومستقيم وليس لديه متعة فى حياته وصحته كويسة وبيلعب رياضة..وكمان منوفى[٣].

- القضية رقم ٣٣٩٨٠ لسنة ٥٨ قضائية تقول: الرئيس مبارك غائب منذ عام ولم يرجع من رحلته العلاجية فى ألمانيا[٤].

- قصة فتوى الشيخ القرضاوى بإهدار دم الرئيس مبارك[٥].

- الحكومة سجنت رجلا لمدة ١٣ سنة بتهمة أنه قابل مبارك فى الكعبة وقال له إتق الله فى شعبك[٦].

- عبد الناصر مات مديونا....والسادات ترك عشرة فدادين ونحن نريد أن نعرف ثروة حسنى مبارك[٧].

- هل يملك حسنى مبارك رقم حساب سرى فى بنك أجنبى؟ولماذا لا يصارح شعبه بقائمة ممتلكاته وعقاراته وثرواته؟...حقيقة عمولات الرئيس[٨].

(١) الدستور، عدد ٢٥ مايو ٢٠٠٥.
(٢) الدستور، عدد ٨ يونيو ٢٠٠٥.
(٣) الدستور، عدد ٢٢ يونيو ٢٠٠٥.
(٤) الدستور، عدد ٢٩ يونيو ٢٠٠٥.
(٥) الدستور، عدد ١٣ يوليو ٢٠٠٥.
(٦) الدستور، عدد ٣ أغسطس ٢٠٠٥.
(٧) الدستور، عدد ١٠ أغسطس ٢٠٠٥.
(٨) الدستور، عدد ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥.

- هل يكمل الرئيس مبارك بصحته فترة الرئاسة القادمة؟...متى يستقيل مبارك[1].

- مهدى عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين زار الدستور وأجاب فى حوار شامل: لا أمل فى مبارك ولا فى إبنه ولا فى الحزب الوطنى[2].

- مجلس إدارة شركة مصر....حكومة مبارك الأخيرة...هل أخرت صحة مبارك التغيير الوزارى[3].

- إعتذار مبارك عن السفر لقمة الخرطوم يثير الشكوك حول مرض الرئيس، سر جلوس مبارك خلف جدار زجاجى مضاد للرصاص فى حفل البطولة الإفريقية[4].

- هل يكتب حسنى مبارك خطاب التنحى هذه الأيام[5]؟

هدف معالجات الدستور كان واضحا إذن وهو تعرية الرئيس مبارك وتجريده من شرعيته السياسية والصحية، وقد قدمت الجريدة معالجاتها فى كل الإتجاهات حيث لم تقتصر على الرئيس وحده بل إمتدت إلى أسرته وتحديدا الوضع الدستورى لزوجة الرئيس.

كان الرئيس كفاعل فى معالجات الدستور يظهر على أن حالته الصحية لا يمكن أن تسعفه ليكمل فترة رئاسته، كما أنه لا يشعر بالشعب، ويتحرك طوال الوقت يصاحبه الخوف من الإغتيال، كما أن فئات الشعب كلها غاضبة على الرئيس ولا تريده، ولم تظهر فى معالجات الدستور لما يخص الرئيس مبارك إستشهادات من أحد يؤيده أو يريده، بل إهتمت الجريدة أن يكون كل من يتحدث إليها من معارضى الرئيس.

(١) الدستور، عدد ٢١ سبتمبر ٢٠٠٥.
(٢) الدستور، عدد ١٤ ديسمبر ٢٠٠٥.
(٣) الدستور، عدد ٤ يناير ٢٠٠٦.
(٤) الدستور، عدد ٢٥ يناير ٢٠٠٦.
(٥) الدستور، عدد ١٥ مارس ٢٠٠٦.

وإذا كانت الدستور إستطاعت أن ترفع السقف السياسى فيما يخص نقد الرئيس مبارك، فإنها جنت على المعالجات المهنية جناية يعتبرها الباحث فى غاية الخطورة، وكان ذلك مثار نقاش بين الباحث وبين إبراهيم عيسى رئيس تحرير الدستور[1].

كان الباحث يرى أن إبراهيم عيسى وهو واضع السياق العام الذى تتحرك فيه معالجات الدستور يعرف بالضبط ما الذى يريده، وأنه عندما يكتب رغم عنف العناوين التى يستخدمها أو المفردات الصادمة التى يرتكن إليها وعليها إلا أنه فى النهاية يعرف أن هناك مقاما للرئيس لا يجب أن يتخطاه، فيمكن أن يكون الرئيس محلا للنقد، لكن ليس معقولا أن يكون محلا للسخرية والحط من شأنه وكرامته، وأن الدستور عندما أتاحت لمحرريها أن يكتبوا عن الرئيس أخذوا الشكل الذى يكتب به إبراهيم ولم يأخذوا منه روح الكتابة، وهذا أوقعهم فى أن تتدنى بهم المعالجات الخاصة بما يتعلق بالرئيس.

لم يناقش إبراهيم عيسى الباحث فى هذه الرؤية بل إكتفى بأن وافقه عليها وقال له أنه بالفعل كان قد أصدر قرارا بألا يكتب أحد عن الرئيس مبارك غيره فى الجريدة حتى لا تنحدر المعالجات وتتدنى.

الرئيس فى هذه المعالجة كان عنصر توزيع فى المقام الأول، وكانت صورته جاذبة على عكس ما يحدث فى الصحف الحكومية، أو حتى فى الصحف الخاصة الأخرى، ولوحظ أن الدستور عندما كانت تمتنع عن وضع صورة الرئيس فى الصفحة الأولى لأى سبب مهنى يمكن أن يتعلق فى النهاية بطبيعة العدد كان التوزيع ينخفض.

ثانيا: جريد الأسبوع :

اتسمت جريدة الأسبوع فى معالجاتها لما يتعلق بالرئيس مبارك بالتوازن والحياد، فقد ظلت تتعامل معه على أنه حائط الصد الأخير من الفاسدين والمسئولين الذين يقعون فى أخطاء جسيمة، وقد لجأت الجريدة إلى ما يمكن أن نطلق عليه أسلوب الرسائل المفتوحة

(١) من مقابلة خاصة بين الباحث وإبراهيم عيسى فى مكتبه بجريدة الدستور.

الموجهة للرئيس وكان يكتبها فى الغالب مصطفى بكرى رئيس تحرير الجريدة ومن هذه الرسائل:

الرسالة الأولى: كانت بعنوان: الجاثمون على أنفاس مصر إلى متى؟يتعاملون مع الوطن كأنه عزبة، يستخدمون بعض الكتاب لتصفية حسابات خاصة، إذا غضبوا على أحد مزقوه وشوهوا سمعته ولفقوا له التهم، جعلو من مجلس الشعب ألعوبة[1].

الرسالة الثانية: كانت عناوينها: الإحباط يسود النفوس والسخط عم كل الطبقات، كلما إجتهد مسئول يقول الناس غدا تتم إقالته، الأجهزة الرقابية تقول شئيا والحزب الحاكم يفعل عكسه...إتخنقنا ياريس[2].

الرسالة الثالثة: كانت عناوينها: نصف المجتمع تحت خط الفقر والطبقة الوسطى اختفت من الوجود فأين هى ثمرة الإصلاح، خلصنا من الكروش الفاسدة ياريس، باعوا الشركات الناجحة بأرخص الأثمان وهناك ٧٥ مليارا قروضا بلا ضمانات، أزمة السيولة تتفاقم والدولار فى إرتفاع ومعدل النمو فى إنخفاض، استخدموا المال لإفسد النفوس وأرهبوا الشرفاء والمخلصين للوطن والنظام[3].

كان مصطفى بكرى فى هذه الرسائل يمثل صوت رجل الشارع فهو لم يضمن رسائله معلومات، بل جاءت على طريقة الإنشاء، والجمل التعبيرية البليغة، وهى الصيغة التى يرتاح لها رجل الشارع الذى يردد ما يصل إليه دون أن يفحصه أو يدقق فيه، وهى صيغة تلقى رواجا لدى القارئ الذى يستهويه الهتاف أكثر من العناوين العاقلة، خاصة أن الرئيس من المفروض أنه يعرف كل ما ساقته إليه رسائل الأسبوع على الأقل من التقارير اليومية التى من المفروض أنه يطلع عليها.

(١) الأسبوع، عدد ٩ يوليو ٢٠٠١.
(٢) الأسبوع، عدد ١٦ يوليو ٢٠٠١.
(٣) الأسبوع، عدد ٢٣ يوليو ٢٠٠١.

إستخدم مصطفى بكرى هذه الصيغة مرة أخرى لكنها كانت أشد إثارة[1]، ففى الرسائل الأولى كان يعتبر الرئيس هو السند والمخلص والقادر على إزاحة الفاسدين من فوق صدور المصريين، لكن فى الرسالة الرابعة أوحى للقارئ أنه يضع الخطأ فى رقبة الرئيس، كان عنوان الرسالة: أطفالنا يقتلون ..وأرضنا مستباحة...أفرج عن مصر يا مبارك.

فى هذه الرسالة تغيرت لغة الخطاب فهو لا يخاطب الرئيس مبارك بـ «ياريس» كما إعتاد ولكنه قالها لها مجردة يا مبارك، كما أن صيغة أفرج عن مصر توحى بأن الكاتب يعتبر مصر سجنا كبيرا يعتقل الرئيس فيه المصريون جميعا وليس عليه إلا أن يفرج عنهم.

لكن عندما يعرض الباحث لنص الرسالة التى كتبها مصطفى بكرى تحت هذا العنوان يجد أن العنوان جاء مضللا إلى حد كبير، فمصطفى بكرى لم يكن يتحدث عن الفساد ولكنه كان يتحدث عن مقتل الجنود المصريين على الحدود الإسرائيلية وكان يدعو الرئيس لأن يفرج عن المصريين حتى يدافعوا عن أرضهم وشرفهم ولا يمنعهم من الحرب وهو الموقف المبدئى للرئيس مبارك الذى يرفض الحرب على إعتبار أنها ليست إلا خرابا وتدميرا لكل الأطراف التى تشترك فيها.

وحتى عندما يعلى مصطفى بكرى من نبرة معارضته للرئيس فإنه يفعل ذلك من خلال العناوين فقط[2]، فقد تساءل: هل مصر مقبلة على عصيان مدنى؟ وأعقب ذلك بجملة تقريرية وهى: مبارك ينافس مبارك، وإستند فى ذلك إلى تقرير سياسى يقول أن الحالة فى مصر بلغت منعطفا خطيرا يهدد بالعصيان المدنى وينصح بالمراجعة، وأن النظام يتخوف من قيام جبهة معارضة تقرر النزول إلى الشارع إلى جانب الإخوان وكفاية، وأن مقاطعة الأحزاب لإنتخابات الرئاسة وموقف نادى القضاة الذى سيقاطع الإنتخابات

(١) الأسبوع، عدد ٣١ يوليو ٢٠٠٦.

(٢) الأسبوع، عدد ١٦ مايو ٢٠٠٥.

سيضع النظام فى موقف حرج.

ينطلق مصطفى بكرى فى نهاية الأمر من أرضية محايدة فهو ليس ضد نظام مبارك ولكنه قدم معالجات توحى بغير ذلك، فالتقرير الذى نشره دون أن يحدد مصدره أو يشير إلى الجهة التى أعدته يمكن أن يكون فى النهاية تصوره وتحليله السياسى للأمر، وفيه محاولة لإنقاذ النظام وإخراجه من ورطته، وهى صيغة تلجأ إليها صحف الإثارة فهى لا تريد أن تخسر الشارع الذى سيشترى الجريدة ولا تريد أن تغضب النظام الذى يمكن له إذا غضب أن يجفف ينابيع تمويل الجريدة من الإعلانات ليس من شركات القطاع العام فقط ولكن من شركات القطاع الخاص أيضا.

ثالثا: جريدة العربى :

لا يتعامل الباحث مع جريدة العربى على أنها صحيفة حزبية رغم أنها كذلك بالملكية، فهى أقرب إلى معالجات الصحف الخاصة تحديدا فى الفترة التى تولى عبد الله السناوى رئاسة تحريرها منذ العام ٢٠٠٠، فقد قدمت الجريدة معالجات تتفق إلى حد كبير مع معالجات الصحف الخاصة للقضايا السياسية، وقد علل عبد الله السناوى ذلك بأنه كان يسعى إلى أن تكون الجريدة أكثر جاذبية حتى يتم من خلال هذه الجاذبية تمرير أعقد الأفكار والآراء السياسية[١].

وفى معالجتها لشخصية الرئيس إنحازت الجريدة بحكم إيديولوجيتها السياسية الناصرية إلى شخصية الرئيس عبد الناصر، وقد بدا هذا واضحا من إصدار أعداد خاصة تتصدرها صورة عبد الناصر فى المناسبات التى تتعلق به مثل مولده فى ١٥ يناير من كل عام وفى ذكرى وفاته فى ٢٨ سبتمبر وفى ذكرى ثورة يوليو، وتحشد العربى فى هذه الأعداد عددا من كتابها والمنتمين إلى خطها السياسى للكتابة عن عبد الناصر.

ويعتبر الباحث أن هذه الأعداد ليست إلا نموذجا صارخا للإثارة والرغبة فى

(١) عبد الله السناوى، مقابلة خاصة معه.

التوزيع، فصورة جمال عبد الناصر كفيلة وحدها بأن تساعد الجريدة على أن تنتشر أقصى إنتشار، لكن لا يقتصر الأمر على الصورة فقط، فالمعالجات التى تكون فى الغالب من خلال مقالات الرأى تأخذ إتجاها واحد يقوم على المبالغة فى كل ما قدمه عبد الناصر والتقليل إلى أبعد مدى من كل ما يقال عن سلبياته.

الإنحياز ضد الرئيس السادات بدا واضحا من خلال العنوان الذى كان أكثر إثارة فى صحيفة العربى[1] وهو: عبد الناصر بطل القرن والسادات الخائن الأعظم، كان هذا العنوان هو المانشيت الرئيسى لعدد أصدرته الجريدة كعدد تذكارى فى اليوم الأخير للقرن العشرين، وأختارت أن يكون عن أعلام مصر من خلال مقالات كتبت عنهم فى فترات مختلفة من القرن العشرين.

نشرت الجريدة مقالا عن السادات كتبه الدكتور فؤاد مرسى وكان عنوانه: السادات من المقامرة للخيانة، وهو مقال تحليلى للسادات من خلال رؤية نقدية لما كتبه هيكل فى خريف الغضب وما كتبه أحمد بهاء الدين فى محاوراتى مع السادات، لم يتطرق فؤاد مرسى بشكل مباشر إلى الخيانة فى شخصية السادات، لكن الجريدة فضلت أن تفصل هذا العنوان حتى يكون صادما، وهو ما تحقق لها، وقد يكون الأمر واضحا، فقد تولى عبد الله السناوى المهمة والجريدة فى ورطة فى السوق الصحفى، وأراد أن يجذب الإنتباه إليه وإلى تجربته الجديدة.

لكن عندما سأل الباحث عبد الله السناوى عن دوافع صياغة هذا العنوان[2] قال أنه كان يريد أن يقدم عددا مختلفا عن الذين صنعوا أحداث القرن العشرين، وكانت المعالجة المهنية قائمة على أن كبيرا يكتب عن كبير، كأن يكتب هيكل عن عبد الناصر، والعقاد عن سعد زغلول، ولم يكن الهدف أن يقارن العدد بين السادات وعبد الناصر، لكن كانت

(١) العربى، عدد ٣١ ديسمبر ٢٠٠٠.

(٢) عبد الله السناوى ، مقابلة خاصة معه.

هناك رؤية لأن يكون هذا العدد من حوليات الصحافة المصرية التى تقدم ما يشبه بانوراما القرن.

ويشير السناوى إلى أنه لو خاض التجربة مرة ثانية لما كتب هذا العنوان، لأنها يعبر عن حلة ضيق من السادات، ولم تكن له ضرورة مهنية من أى جانب، وقد ظلم العدد بهذا العنوان، لأنه إستطاع أن يحصد كل الضوء والشهرة بينما ضاع الإهتمام بموضوعات كثيرة رغم أهميتها وثقلها.

ليس هذا وفقط، بل يعتبر السناوى أن هذا العنوان تحديدا كان أحد أخطاءه المهنية، فقد أراد أن يبنى مدرسة الجاذبية فى العربى على المعلومات والتحليل والدقة وهو عنوان أبعد ما يكون عن الدقة أو التحليل، لكنه كان جذابا ومثيرا للدرجة التى ظلت العربى تعرف به فترة طويلة حتى إستطاعت أن تتخلص من آثاره.

تجربة العربى مع الرئيس مبارك لابد من رصدها أولا وذلك من خلال الأفكار الأساسية التى أوردتها الجريدة عنه وذلك قبل تحليلها وإبراز عناصر الإثارة فيها، وهذه الأفكار من خلال العناوين الرئيسية كالآتى:

– ما لم تنشره أخبار اليوم من خطاب البذاءة الأمريكية ضد مبارك[1].

– هجوم إسرائيلى على الرئيس مبارك وجيش مصر...ما لم تنشره أخبار اليوم من نص تقرير هاآرتس الخطير، وقاحة إسرائيلية: مبارك يحتاج الجيش القوى لحماية النظام لا للحزب، إسرائيل تهاجم اللواء عمر سليمان وتصفه بالمرشح لخلافة مبارك...وتدعى أن الخوف من الإسلاميين يجمع مصر وإسرائيل[2].

– هجوم فى السفارة الأمريكية ضد نظام الرئيس مبارك[3].

(١) العربى، عدد ٦ أغسطس ٢٠٠٠.

(٢) العربى، عدد ٢ سبتمبر ٢٠٠١.

(٣) العربى، عدد ٢٧ يناير ٢٠٠٢.

- نص الوقاحات الإسرائيلية ضد الرئيس مبارك[1].

-المثقفون: نريد رئيسا منتخبا لمصر، أعنف هجوم على ديمقراطية الصابون ونظام الرئيس مبارك[2].

- قال: أنا ميهمنيش إرتفاع سعر الدولار...تصريحات الرئيس أشعلت حريق الأسعار[3].

- إنتقاد عنيف فى الصحافة الأمريكية لنظام الرئيس مبارك[4].

- إهانة مصر....وقاحة: صحيفة أمريكية تصف مبارك بأنه رجلنا فى مصر[5].

- نص أخطر تقرير إسرائيلى عن مستقبل النظام السياسى فى مصر...الفرعون الأخير[6].

- فى أعنف هجوم لصحيفة الواشنطن بوست الأمريكية ضد حكم الرئيس مبارك...كفاية للنظام المصرى...الصحيفة الأمريكية تتهم النظام المصرى بالديكتاتورية وتطالب بوش بالضغط على مبارك، والسفارة المصرية فى واشنطن ترد: مظاهرات الإحتجاج يدعمها الرئيس وهى دليل على الديمقراطية[7].

هذه النماذج يمكن أن يبلور الباحث من خلالها آلية من آليات الإثارة التى إعتمدت عليها صحيفة العربى فى التعامل مع شخصية الرئيس، وهى **المعالجة الناقلة**، فقد دأبت

(١) العربى، عدد ١٦ يونيو ٢٠٠٢.

(٢) العربى، عدد ٢٧ إبريل ٢٠٠٣.

(٣) العربى، عدد ١٣ يوليو ٢٠٠٣.

(٤) العربى، عدد ١١ إبريل ٢٠٠٤.

(٥) العربى، عدد ١٨ إبريل ٢٠٠٤.

(٦) العربى، عدد ١٨ يوليو ٢٠٠٤.

(٧) العربى، عدد ٣٠ يناير ٢٠٠٥.

الصحف الغربية الأمريكية والإسرائيلية تحديدا على نشر تقارير عن مصر والرئيس مبارك، وهى تقارير فى الغالب تنطلق من أرضية ناقدة، تصل إلى درجة البذاءة والشتائم للرئيس المصرى.

لا تستطيع الجريدة أن تقدم نقدا مباشرا لشخص الرئيس، ولذلك لجأت إلى نقل الشتائم والنقد عن الصحف الغربية ناسبه إياها لها ويتم الإعلان عن ذلك من الصفحة الأولى حتى لا تتحمل الجريدة وزر أو عبء النقد أمام النظام المصرى، بل إنها كانت تتحايل على النقد الشديد الموجه للرئيس حيث تسبق ذلك بكلمة وقاحة، لتشير إلى أنها لا ترضى عن هذا النقد ولا تقبله.

وهى صيغة تحقق للجريدة هدفين، الأول أنها تنشر النقد اللاذع والقاسى للرئيس مبارك بما يوحى للقارئ أن الجريدة إخترقت الخطوط الحمراء المتعلقة بالرئيس ، والهدف الثانى أن الجريدة ترفع عن نفسها الحرج فهى لا تنقد الرئيس بل تنقل النقد الغربى الموجه له، وتوحى أنها ترفضه، لكن فى النهاية يتحقق الهدف الأكبر وهو التعريض بشخص الرئيس.

فى ٢٠٠٥ عندما أعلن الرئيس مبارك عن مبادرته بتغيير الدستور وإختيار رئيس من بين أكثر من مرشح إنتقلت العربى فى نقدها للرئيس من إعتمادها على المصادر الأجنبية إلى مقالات الرأى التى يكتبها كتاب الجريدة ومن نماذج ذلك:

- الرئيس مبارك مسئول سياسيا عن عودة الإرهاب[١] وقد أشار عبد الله السناوى إلى النهايات الطويلة التى يتمتع بها عصر مبارك، فقد توقع اريك رولو الكاتب الفرنسى الأشهر فى حوار معه حملة أمريكية لإنهاء نظام مبارك.

- مرة أخرى.... تأييد مبارك فى شبرا ببذاءات الأصابع الوسطى[٢]، ونشرت الجريدة إلى جوار العنوان صورة لمجموعة من الشباب والأطفال وهم يستخدمون أصابعهم

(١) عبد الله السناوى، النهايات الطويلة، العربى، عدد ١٠ إبريل ٢٠٠٥.

(٢) العربى، عدد ٢٦ يونيو ٢٠٠٥.

الوسطى فى حركة بذئية.

- الرئيس متعب ومنهك وليس لديه جديد يقوله والناس يسألون: ماذا كان يفعل طوال ٢٤ عاما؟...ونهاية عصر مبارك فى حديقة الدراسة[(١)].

- القضاة: لن ترهبنا سجون الإستبداد ، والصحفيون: سنسقط دولة الفساد، ونهاية نظام مبارك فى شارع عبد الخالق ثروت[(٢)].

- تهميش الرئيس فى قمة الرياض ...ومصر الآن : رجل المنطقة المريض، وعلى نفس المساحة اللونية صورة للرئيس مبارك[(٣)]، وفى هذه المعالجة تحديدا إشارة إلى أن الجريدة تعنى أن مبارك هو رجل المنطقة المريض لكنها لا تستطيع أن تشير إلى ذلك مباشرة، فإختارت بحيلة إخراجية أن توحى بأن مقصدها كان مصر وليس الرئيس.

ويحدد الباحث ثلاث مساحات من الإثارة إعتمدت عليها جريدة العربى:

أولها: إعلان الجريدة أنها ترفض الرئيس مبارك بشكل مباشر ولا يقبل التأويل، وظهر ذلك من خلال مانشيت الجريدة الرئيسى، لا لفترة ولاية خامسة للرئيس مبارك[(٤)]، وإستندت الجريدة إلى مقال كتبه مجدى مهنا كان عنوانه: لا لفترة رئاسة خامسة، وكان هذا المقال تقريبا هو الرصاصة الأولى التى بدأت بعدها معركة لا للتمديد للرئيس مبارك التى قادتها المعارضة المصرية بعد ذلك بمختلف توجهاتها.

ومن خلال ....كلمة «لا»[(٥)] واضحة مرسومة وموضوعة داخلها الجريدة صورة للرئيس مبارك، عبرت الجريدة عن رفضها التام للرئيس مبارك كمرشح فى الإنتخابات

(١) العربى، عدد ٢١ أغسطس ٢٠٠٥.

(٢) العربى، عدد ١٩ مارس ٢٠٠٦.

(٣) العربى، عدد ١ إبريل ٢٠٠٧.

(٤) العربى، عدد ١٤ مارس ٢٠٠٤.

(٥) العربى، عدد ٤ سبتمبر ٢٠٠٥.

الرئاسية، وتدعيما لهذا الموقف الرافض عرضت الجريدة لبرنامج الرئيس مبارك الإنتخابى وإعتبرته أوهام، وإستعانت بآراء عدد من الخبراء والكتاب فى البرنامج وجاءت كالتالى:

- عبد العال الباقورى: برنامج الرئيس سيؤدى إلى مزيد من التبعية لأمريكا وإسرائيل، الرئيس وعد بإلغاء العقوبات السالبة لحرية النشر ولم يف بوعده، فكيف سيفى بوعوده فى برنامجه.

- د.إبراهيم العيسوى: المشكلات التى عرضها الرئيس فى برنامجه دليل إدانة عليه، الإصلاح السياسى فى البرنامج الإنتخابى لمبارك منقول من برامج المعارضة، تحدث مبارك عن البطالة ببراءة شديدة كأنه لم يكن هو السبب فيها.

- محمد شومان: برنامج الرئيس افتقد إلى آليات واضحة لتنفيذ ما جاء به، لا فرق بين نظام الرئيس وبرنامجه الإنتخابى فكليهما بلا رؤية شاملة.

ثانيها: بنت الجريدة موقفها بوضوح على أنها ترفض بقاء مبارك فى الحكم، فبعد رفضه لتعديل الدستور والتنكر لوعوده الإنتخابية بالإصلاح السياسى طالبت الجريدة برحيل مبارك[1]، فهى لا تريد إصلاحا ولا تعديلا ولكن تريد رحيل مبارك نهائيا على إعتبار أن ذلك هو الحل الوحيد للإصلاح.

ثالثها: تابعت الجريدة الرئيس مبارك عن قرب، وكشفت فى إنفراد خاص بها عن الرجل الغامض فى سيارة الرئيس[2] وهو الذى رافق مبارك يوم أداء اليمين الدستورية فى مجلس الشعب.

نشرت الجريدة ثلاثة صور فى الصفحة الأولى لسيارة الرئيس وفيها رجل مجهول، وقال عنه عبد الله السناوى: عندما أوشك الرئيس مبارك على مغادرة مجلس الشعب بعد أن إنتهى من أداء اليمين الدستورية لولاية جديدة وإلقاء خطاب أمام الهيئة التشريعية

(١) العربى، عدد ٥ مارس ٢٠٠٦.

(٢) العربى، عدد ٢ أكتوبر ٢٠٠٥.

تعهد فيه بإلتزام برنامجه الإنتخابى، وقف لبعض الوقت مع مجموعة الوزراء والنواب أمام باب الخروج المخصص لرئيس الجمهورية قبل أن يدخل إلى سيارته عائدا إلى مصر الجديدة، وفجأة دلف إلى سيارة الرئيس رجل غامض فى حدود السبعين من العمر، وجلس بجوار الرئيس فى المقعد الخلفى، ومضت بهما السيارة الرئاسية.

ويضيف السناوى: وفى الغالب فإن الرجل الغامض الذى جلس بجوار الرئيس طبيبه الخاص وهو ما يستحق فى كل الأحوال مزيدا من التدقيق والبحث فيها وراء الصورة المثيرة، وإذا صح مثل هذا الإفتراض فإن من حق الرأى العام أن يطمئن على صحة الرئيس، وإذا ما كانت ألمت به وعكة صحية جديدة استلزمت تحاشيا لأية إحتمالات مفاجئة أن يصحبه طبيبه الخاص إلى مجلس الشعب فى جلسة أداء اليمين الدستورية.

وفى العدد التالى مباشرة يكشف عبد الله السناوى أن الرجل الغامض الذى ركب إلى جوار الرئيس هو جمال عبد العزيز سكرتير الرئيس، يقول عبد الله السناوى[1]: بادرنى فى إتصال هاتفى بلغة ودودة : أنا الرجل الغامض ، وكان على الطرف الآخر من الهاتف جمال عبد العزيز السكرتير الشخصى لرئيس الجمهورية الذى نشرنا صوره فى العدد الماضى وهو يتأهب للجلوس بجوار الرئيس مبارك على المقعد الخلفى من السيارة الرئاسية فور الإنتهاء من أداء اليمين الدستورية فى مجلس الشعب.

وخرج السناوى من خلال هذه المكالمة بدلالة أن هذه القصة تؤشر على أن محظورات كثيرة جرى تجاوزها وأن من حق المصريين أن يعرفوا ما يحدث بالضبط حتى فى أدق التفاصيل طالما أنها عامة وقد تكون لها دلالات ومعان تتعلق بمستقبلهم السياسى.

لكن الباحث يخرج من ذلك بدلالة أخرى وهى أن صحافة الإثارة عندما لا تتوفر لها معلومات تقيم عليها تحليلها تلجأ إلى التخمين أو الخيال فى إستنتاج ما ليس بحقيقى، فالسناوى خمن أن الرجل الذى يجلس إلى جوار الرئيس هو طبيبه الخاص، وبنى على ذلك

(١) العربى، عدد ٩ أكتوبر ٢٠٠٥.

أن الرئيس ربما يكون مريضا ويحتاج إلى طبيبه إلى جـوازه حتى وهـو فى مهمـة صـغيرة إلى مجلس الشعب، ولو كانت مصادر المعلومات متاحة لأستطاع السناوى من خلال مكالمة تليفونية أن يعرف من هو الرجل الذى يجلس إلى جوار الرئيس وإعتبره غامضا وهو ليس كذلك، بل إن سكرتير الرئيس لو لم يبادر إلى الإتصال لظل هناك لغز صنعته الإثـرة من وهم وخيال دون أن يبدد أحد هذا الوهم أو يهتم أحد بوضع حد لهذا الخيال.

لقد وصلت العربى فى نقدها للرئيس مبارك إلى أقصى مدى حيث أنها لم تصل إلى سقف المعارضة ولكنها تجاوزته بمراحل بها مهد الأرض إلى الصحف الخاصة أن تدخل هذا المجال دون خوف، فقد كانت التجربة أمامها دون أن يعترض طريقها أحد.

■ ■ ■

قضية صحة الرئيس

مثلت صحة الرئيس مبارك واحدا من الموضوعات التى إرتكنت إليها صحافة الإثارة، لقد كان من كلاسيكيات الحياة السياسية فى مصر أن تظل الحياة الصحية للرئيس سرا مخفيا لا يطلع عليه أو يعرض له أحد، لكن الحالة الصحية للرئيس مبارك هى التى جعلت الخفى معلنا عندما أصيب بوعكة صحية فى نوفمبر ٢٠٠٣ عندما كان يلقى كلمته فى إفتتاح الدورة البرلمانية لمجلسى الشعب والشورى.

كان الرئيس حسنى مبارك[١] كما إختارت صورت الأمة أن تصف المشهد، يتحدث عن حق المواطن فى الحصول على الرعاية الصحية المناسبة مهما كانت قدرته على سداد تكاليفها، فالعلاج يجب أن يكون مناسبا مهما كانت الحالة الإجتماعية للمريض، لأن المرض لا يفرق بين وزير وخفير ولا بين قادر وعاجز.

فى هذه اللحظة شعر الرئيس بالعرق يتفصد من جبنيه بصورة غير معتادة فأخرج منديلا من جيبه وراح يجففه، ثم واصل الرئيس خطابه مطالبا الحكومة بإعادة صياغة آليات التأمين الصحى وتفعليها لتشمل كل أفراد المجتمع، وفى هذه اللحظة أيضا مسح العرق المصر على التدفق من مسام الجلد، وتكرر المشهد ثلاث مرات فى دقائق معدودة، شعر الرئيس خلالها بإنخفاض فى ضغط الدم وأحس أن الجو حار وفى الوقت نفسه أحس أن التكييف بارد أكثر مما ينبغى.

وعندما وصل الرئيس فى خطابه للحديث عن المشكلة السكانية التى تهدد كل جهود التنمية بدا واضحا أن نزلة البرد التى أصابته منذ أيام ولم يمنحها الراحة المناسبة قد تجاوزت كل حدود لها، ومع مشقة الصوم والإستيقاظ مبكرا كعادة الرئيس تضاعف الإحساس بالإعياء وترددت الكلمات قبل خروجها، وبذل الرئيس كل طاقته المشهور بها

(١) صوت الأمة، عدد ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٣.

للتماسك والصمود والإستمرار فى إلقاء خطابه لكن الفيروس اللعين لم يكن يتمتع باللياقة الكافية لتمرير الموقف بصورة طبيعية.

هذه الواقعة تصدرت الصفحات الأولى لصحف الإثارة الخاصة والحزبية:

وضعت صوت الأمة صورة للرئيس وهو يمسح عرقه فى مجلس الشعب وكانت العناوين كالتالى: ٤٥ دقيقة هزت مصر....الرئيس يرفض العلاج بالماء والملح، الحرس الجمهورى يغلق قاعة مجلس الشعب، ماذا فعل جمال مبارك، سر مكالمة صفوت الشريف، طائرة هليوكوبتر تنتظر الرئيس فى النادى الأهلى وموكبه عاد إلى مصر الجديدة فى ٧ دقائق(١).

وعلى صفحتين داخليتين فصلت الجريدة ما أجملته فى عناوين الصفحة الأولى من خلال عرضها لمعلومات دقيقة عما حدث، فقد تحدث الرئيس عن التأمين الصحى فبدأ العرق يتفصد من جبنيه وعندما وصل إلى الأزمة السكانية تمكن منه فيروس الإنفلونزا، قاعة مجلس الشعب كانت تضم أكثر من ألف شخص والتعليمات لمهندس التكييف بعدم البرودة، جمال مبارك ينزل من الدور العلوى، ضابط فى الحرس الجمهورى يقفز ١٠ أمتار من الشرفة العليا ليغلق باب القاعة ويمنع النواب من الخروج، حمدى السيديصرح بأن الرئيس رفض العلاج بالماء والملح ورفض دخول المستشفى وأصر على الخروج للناس بعد إختصار ٣ صفحات من الخطاب، طائرة هليوكوبتر كانت جاهزة فى مهبط النادى الأهلى ليستقلها الرئيس لكنه أصر على العودة فى موكبه ووصل بيته بعد ٨ دقائق، مصطفى كمال حلمى بكى بشدة وألغى إجتماع اللجنة العامة التى كانت ستناقش خطاب الرئيس، أعضاء مجلسى الشعب والشورى ظلوا صامتين طوال الوقت ولم يعاودوا الحديث إلا بعد الإطمئنان على صحة الرئيس.

حاولت صوت الأمة أن تقدم معالجة معلوماتية للحدث، وقد إستقت معلوماتها من

---

(١) صوت الأمة، مصدر سابق.

مصادر شاركت فى الحدث وكانت قريبة منه، لكن الجريدة رفعت من منسوب الإثارة فى المعالجة حيث أشارت فى صفحتها الأولى إلى تقرير الخارجية الأمريكية عن صحة الرئيس.

وهو عنوان مضلل إلى حد بعيد....

فربط التقرير بخبر صحة الرئيس مبارك يوحى للقارئ بأن تقرير الخارجية الأمريكية عن صحة الرئيس مبارك، لكن ما أوردته الجريدة كان يتجه إلى رؤساء آخرين يقول تقرير صوت الأمة المجمع: ولا جدال أن صحة الحكام العرب كانت دائما تحت المراقبة والمتابعة من أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، إن هناك فى هذه الأجهزة من هو مكلف بالرصد والمتابعة والتحليل وكتابة التقارير، وقد نجحت الموساد فى معرفة ما يعانى منه الرئيس حافظ الأسد من عينة بول حصل عليها عميل لها من حمام استعمله وهو فى زيارة خارجية، كما أن المخابرات الأمريكية حصلت على فصيلة دم الرئيس العراقى صدام حسين من طبيب أسنان كان يعالجه ونجحت فى تجنيده، أى أن التقرير المقصود كان عن رؤساء آخرين لكن تم إلصاقه عن عمد بالرئيس مبارك.

الـ٤٥ دقيقة التى تحدثت عنها صوت الأمة أصبحت خمسين دقيقة فى جريدة العربى[1] فقد أشارت الجريدة فى صفحتها الأولى إلى أزمة الخمسين دقيقة، وركزت فى عناوينها الرئيسية على معلومات أساسية هى: ضياء الدين داود يتصل هاتفيا للإطمئنان على صحة الرئيس، قلق فى الشوارع وإنتشار أمنى والطائرات فى سماء القاهرة، حرس الرئاسة يسيطر على مجلس الشعب ويمنع النواب من الدخول لغرفة الرئيس، نصائح الأطباء منعت مبارك من حضور إحتفال الأوقاف بليلة القدر، نص المقاطع المختصرة فى خطاب الرئيس بعد الوعكة الصحية، يحيى الجمل : أنا خائف على مصر من فوضى دموية.

إعتمدت جريدة العربى على معلومات إستقتها من مصادر كانت حاضرة للواقعة، لكنها أضافت مصادر أخرى حرصت من خلالها على معرفة وقع ما جرى على مستقبل

(١) العربى، عدد ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٣.

مصر، كما أنها ربطت الحدث بتوجهها السياسى الذى يقوم فى الأساس على إستكشاف مستقبل مصر بدون مبارك، ولذلك أبرزت فى هذا السياق سيناريو الفوضى المتوقع فى حالة غياب مبارك المفاجئ عن كرسى الرئاسة.

الوعكة الصحية الثانية التى أصابت مبارك كانت فى يونيو ٢٠٠٤ ، وقد استدعت آلام العمود الفقرى أن يسافر الرئيس إلى ألمانيا ليجرى عملية جراحية، لم تتعامل صحف الإثارة بحياد مع حالة الرئيس الصحية، لكنها جعلت من رؤية العربى السابقة إطارا تتحرك فيه.

أشارت صحيفة الأسبوع إلى صحة الرئيس والتغيير ومستقبل مصر[١]، وعرضت الجريدة تفنيدا للشائعة التى أطلقها مركز المقريزى للدراسات فى لندن عن صحة الرئيس وتساءلت عن الحقيقة حول صحة الرئيس، وأشارت إلى أن هناك معلومات كاذبة أصدرها مركز إسلامى فى لندن أثارت قلق الجميع، لكن ظهور الرئيس فى التليفزيون رد على الشائعات.

وفى نفس السياق تساءلت صوت الأمة[٢] عمن يحكم مصر فى غياب الرئيس؟، وقدمت تقريرا عن أسرار رحلة علاج الرئيس فى ميونيخ بألمانيا أوضحت فيه أن الرئيس سافر على طائرة طبية خاصة، وأن ٣٠ مرافقا من طاقم الأطباء والسكرتارية والحراسة الخاصة سافروا معه، وأن التعليمات الأولى للوفد المرافق كانت: الحقائب للملابس فقط ولمدة أسبوع واحد، وقد قرر الطبيب الألمانى الجراحة وهو فى القاهرة وكان الرئيس قد حدد آخر يوليو للجراحة لكنه عاد ليقرر تقديم الموعد.

أصبحت الحالة الصحية للرئيس هدفا لصحف الإثارة، وأصبحت هناك إشارات إلى أن صحة الرئيس أصبحت عائقا أمام عمله، فطبقا ليديعوت أحرونوت الإسرائيلية

(١) الأسبوع، عدد ٢١ يونيو ٢٠٠٤.
(٢) صوت الأمة، عدد ٢٨ يونيو ٢٠٠٤.

نشرت العربى[١] أن الحالة الصحية لمبارك أجلت حواره مع التليفزيون الإسرائيلى ثلاثة أسابيع، وأشارت الجريدة فى تقرير مترجم عن العبرية أن طاقم التليفزيون الإسرائيلى كان قد حضر لتسجيل لقاء مع الرئيس مبارك قبل ثلاثة أسابيع لكنه عاد صفر اليدين بسبب أزمة صحية شديدة ألمت بالرئيس فى نفس يوم التسجيل.

لكن المعالجة التى تتبدى فيها آليات الإثارة فيما يخص صحة الرئيس فكانت خلال شهرى أغسطس وسبتمبر ٢٠٠٧ وكانت رأس الحربة فيها جريدة الدستور التى وضعت صحة الرئيس هدفا لها منذ البداية، حيث كانت هناك إشارات واضحة لذلك ومنها:

- القضية رقم ٣٣٩٨٠ لسنة ٥٨ قضائية تقول: الرئيس مبارك غائب منذ عام ولم يرجع من رحلته العلاجية فى ألمانيا حتى الآن[٢].

- هل يكمل الرئيس مبارك بصحته فترة الرئاسة القادمة[٣]؟

- هل أخرت صحة مبارك التغيير الوزارى[٤]؟

- ماذا لو غاب مبارك[٥]؟

وهى تساؤلات تكشف أن الدستور كانت تضع صحة الرئيس هدفا لها، من أرضية التشكيك فيها، ولم يكن التشكيك فيها قائما على معلومات ولكن على تحليل أو تخمين بأن سن الرئيس وسنوات عمره الطويلة لا تجعله يتمتع بصحة جيدة، فطالما أنه وصل إلى هذا العمر فلابد أن يكون مريضا.

ثم إشتبكت الدستور مع القضية من خلال معالجات محددة بدت فى الآتى:

(١) العربى، عدد ٢٦ يونيو ٢٠٠٥.
(٢) الدستور، عدد ٢٩ يونيو ٢٠٠٥.
(٣) الدستور، عدد ٢١ سبتمبر ٢٠٠٥.
(٤) الدستور، عدد ٤ يناير ٢٠٠٦.
(٥) الدستور، عدد ١٨ يناير ٢٠٠٦.

بنى إبراهيم عيسى مقاله ألعاب نارية على الشائعات التى إنتشرت على مواقع الإنترنت والأوساط السياسية والثقافية فى مصر عن صحة الرئيس مبارك وكانت تشير إلى أن الرئيس يمر بوعكة صحية شديدة جدا، كان العنوان الرئيسى للدستور: صحة الرئيس مبارك زى الفل...لماذا تخرج شائعات عن مرضه أو غيابه[1]؟

وكتب إبراهيم عيسى أنه كلما اختفى الرئيس مبارك عن الأنظار يومين ثلاثة ظهرت شائعات تملأ البلد فى لحظة أنه مرض أو غاب، والأمر يجعلك تتساءل فعلا : لماذا تكثر الشائعات فى مصر ولماذا تتردد بقوة وبسرعة؟

ويشير إبراهيم إلى أن ما شهده مستشفى مهم تابع لجهة أمنية رفيعة المستوى من توتر ونشاط محموم هو مرجع هذه الشائعة، خصوصا أن أطباء معالجين للرئيس يعملون فى هذا المستشفى الذى لا تخرج منه المعلومات بسهولة على الأغلب.

هنا يعتمد إبراهيم عيسى على شائعة ويفسر تصديق الناس لها بأن هناك حالة نشاط وتوتر فى مستشفى لم يحدده إلا بالتجهيل من خلال تبعيته لجهة أمنية رفيعة المستوى.

ولأنه لا توجد معلومة واحدة فقد أراد إبراهيم أن يبعد عن نفسه مسئولية الشائعة أو التفسير فقال: ورغم أن الرئيس وعلى مسئوليتى فى صحة تامة وأكمل عافية وبحالة معنوية مرتفعة للغاية إلا أن الشائعات لا تصدر من توقعات بل من مخاوف، ولا تعبر عن تمنيات بل عن هواجس.

وإعتبرت الدستور أن زيارة الرئيس مبارك للقرية الذكية كانت فقط للرد على شائعة مرضه[2]، فلم يكن أحد يعلم بزيارة الرئيس مبارك إلى القرية الذكية الكيلو ٢٨ بطريق مصر إسكندرية الصحراوى، ولم يكن هناك ما يستدعى زيارة الرئيس لها أصلا، ولم تتسلم رئاسة الجمهورية القرية إلا مساء اليوم السابق للزيارة، فكانت كل الأمور تبدو

(١) الدستور، عدد ٢٤ أغسطس ٢٠٠٧.

(٢) الدستور، عدد ٢٥ أغسطس ٢٠٠٧.

طبيعية فى القرية يوم الثلاثاء الذى إنتشرت فيه شائعة مرض الرئيس.

وأشارت الجريدة إلى أن ما يزيد من إحتمالية أن الزيارة كانت فقط للرد على شائعة مرض الرئيس هو عدم الإنتهاء من الإصلاحات فى طريق المحور وأن الرئيس لم يفتتح شركة ولا منشأة جديدة.

وتتحول الشائعة على يد الدستور إلى حقيقة وواقع وتنشر الجريدة[1] ما يفيد بأن الرئيس مبارك مريض بقصور فى الدورة الدموية مما يقلل من نسبة وصول الدم إلى أوعية المخ ويسبب إغماءات أحيانا، وضعت الجريدة صورة كبيرة للرئيس مبارك وعليها قلب بلون الدم تخرج منه إشارات كهربائية، وفى الصفحة الأولى أشارت الجريدة إلى أن زيارة الرئيس إلى برج العرب لم تنجح فى القضاء على شائعة مرضه.

وكتب إبراهيم عيسى عن الآلهة التى لا تمرض، فالرئيس فى مصر إله والآلهة لا تمرض، لهذا السبب يخفى الرئيس مبارك والمحيطون به والمنافقون له أمر مرضه، يتركون البلد نهشا للشائعات ونهبا للأقاويل ولا ينطقون، بل ويضللون الناس عن معرفة حالة صحة الرئيس، ومبدئيا فالرئيس نفسه ليس مريضا مرضا خطيرا لكنه مريض مرض سنه.

ويستند إبراهيم عيسى إلى مصادر طبية لم يفصح عنها فى التأكيد على أن الرئيس مبارك مريض فعلا بقصور فى الدورة الدموية مما يقلل من نسبة وكمية وصول الدم إلى أوعية المخ الدموية فى لحظات تسفر عن إغماءات طبيعية تستغرق بين ثوان ودقائق، وهو ما يفسر إن صح الشائعة التى تتحدث عن رؤية الرئيس وهو يترنح أو يهتز ذات مرة أثناء قيامه بزيارة لمؤسسة رسمية.

وتناقش الجريدة[2] لماذا لا يصدق الناس أن الرئيس مبارك حى يرزق؟، وعرضت فى هذا السياق لتفسيرات عدد من المتخصصين فى علم الإجتماع وعلم النفس، ومنها ما قاله

(١) الدستور، عدد ٣٠ أغسطس ٢٠٠٧.

(٢) الدستور، عدد ١ سبتمبر ٢٠٠٧.

الدكتور هشام حجازى من أن الشائعة تقوم بوظيفة الحلم وأنه لا يستبعد أن يكون وراء تلك الشائعات أفراد من الدولة لمعرفة سيناريو تحركاتهم فيما بعد وفاة الرئيس، ونوهت عن هذه المعالجة فى الصفحة الأولى من الجريدة بعناوين تعلى من شأن الإثارة فى الملف المثير أصلا، العنوان الرئيسى كان: كلمنا عن صحتك يا ريس، ثم خمسة أطباء نفسيين يجيبون عن هذا السؤال: لماذا لا يصدق الناس أن الرئيس حى يرزق.

المعالجة المهنية لشائعة مرض الرئيس فى جريدة الدستور كانت لها ملامح محددة، فقد قامت فى الأساس على شائعة مجهولة المصدر، وقد دفعت الجريدة فى البداية بأنها مجرد شائعة وأن الرئيس بخير وصحته زى الفل، لكن عندما ظهر الرئيس فى عدة مناسبات وجولات ميدانية رفضت الجريدة هذه الزيارات واعتبرتها زيارات قديمة وأن الهدف منها فقط هو نفى الشائعة.

كان من المفروض أن تتراجع الجريدة عن تبنيها لأن الرئيس مريض فى اللحظة التى ظهر فيها، فوظيفة الجريدة أن ترصد ما يجرى لا أن تجعل نفسها ندا، وتكذب المعلومات دون أن يكون لديها مصادر تؤكد من خلالها ما تذهب إليه، خاصة أن المعالجات الخبرية والرأى كانت تستند إلى مصادر مجهلة بما يعنى أن الجريدة أدخلت نفسها فى نفق لم تستطع أن تخرج منه، فاستمرت فى تبنى موقفها رغم أن الشواهد كانت تقف ضد معالجة الجريدة.

لقد تعامل النظام السياسى مع هذه الشائعة بمنطق صحف الإثارة، حيث إعتمد على الغموض حيث لم يعلن ولو بيانا واحد ينفى فيه الشائعة ويقول أن الرئيس بخير، وقد يكون النظام السياسى اكتفى بأن يظهر الرئيس فى جولات ميدانية بدا من خلالها صحيحا معاف لكن الجريدة رفضت هذا المنطق فى الرد وأصرت على موقفها دون أن يكون لديها معلومات موثقة تستند عليها فى موقفها.

لقد تعددت وتنوعت معالجات صحف الإثارة الحزبية والخاصة لشائعة مرض

الرئيس كالتالى:

أولا: جريدة صوت الأمة : إمتنعت تماما عن الخوض فى الشائعة وبرر وائل الإبراشى رئيس تحريرها فى هذه الفترة[1] موقف الجريدة بقوله: سألنى كثيرون لماذا لم تهتموا بشائعة وفاة الرئيس أو الشائعات التى أكدت أن صحته تتدهور وأنه فى حالة خطيرة، وكانت إجابتى أنه كانت لدينا معلومات مؤكدة أنها مجرد شائعات وأن صحة الرئيس لم يطرأ عليها أى تدهور، والأمر الثانى هو أننا نرفض أن تتحول صحة الرئيس أو شائعات وفاته إلى ورقة سياسية نشهرها فى وجه النظام لأنها ورقة يمكن أن تحرق مصالح الوطن والناس فضلا عن أنها تحمل معانى الشماتة، هذه الورقة صالحة للإستخدام فقط عندما يكون لدينا معلومات مؤكدة عن صحة الرئيس لأن الأمر هنا يتعلق بمصير البلد.

موقف الجريدة واضح لكنه لا يعبر عن مصداقية مهنية بقدر ما يعبر عن رغبة فى الإبتعاد عن ملف كان يمكن أن تتورط فيه الجريدة التى كانت قد أخذت منذ العام ٢٠٠٥ خطا معارضا ومعاديا للنظام، وقد تكون إدارة تحرير الجريدة قد رأت أن المخاطر التى تقف وراء هذه القضية أكثر من المكاسب التى يمكن أن تجنيها من وراءها، ولذلك رأت أن تبتعد.

ثانيا: جريدة الفجر : إشتبكت مع القضية من أرضية معلوماتية فقد نشرت أسرار شائعة إختفاء الرئيس[2] ولخصت الجريدة الموقف فى معلومات رئيسية هى: هبوط طائرة الرئيس فى مطار ألماظة بجوار مستشفى مصر للطيران ثم إقلاعها بعد ساعات سبب شائعة العلاج فى ألمانيا، إختفاء طبيبه الخاص بالعلاج الطبيعى فى إجازة سر شائعة الرحيل، علامات غياب الرئيس : إعلان الطؤارى فى الجيش وسيطرة الشرطة العسكرية على مداخل القاهرة ومخارجها وتشديد الحراسة على ماسبيرو وإغلاق تليفونات الوزراء.

---

(١) صوت الأمة، عدد ٣ سبتمبر ٢٠٠٧.

(٢) الفجر، عدد ٣ سبتمبر ٢٠٠٧.

وهى معالجة تقف فى النهاية على الحياد لا تأخذ موقفا مما حدث، حيث تقدم معلومة عن كواليس إنتاج الشائعة لكنها لا تذكر مصادر بعينها وتكتفى بأن تصدر نفسها على أنها المصدر.

ثالثا: جريدة الأسبوع : طرحت معالجة مختلفة على هامش الشائعة[1] وسألت: ماذا لوغاب الرئيس؟وفتحت ملفات عديدة رأت أن الوقت أصبح مناسبا لطرحها وهى:

- السؤال الذى يتردد عن: صعود جمال مبارك أم أن العسكر سيتولون حكم البلاد؟

- غياب منصب الرئيس فتح الباب أمام صراعات حادة بين الحرسين القديم والجديد فى الحزب والحكومة.

- الطرف الذى سيتمكن من السيطرة على الأمانة العامة سيكون له الحق فى الترشح لمنصب الرئيس.

- قلق المصريين على صحة الرئيس يعنى الخوف من المجهول القادم فى الطريق.

- لماذا ينحاز مبارك إلى الإبقاء على الشريف وشهاب وعزمى وأيضا الوزير الذى اتهم الحكومة ببيع مصر للأجانب؟

رابعا: جريدة العربى : تجاوزت الشائعة إلى طرح السؤال عن الرجل القادم[2] فى مصر، وفى مقال عبد الله السناوى الذى حمل العنوان نفسه وضعت أربعة صور ثلاثة منها لرؤساء مصر السابقين عبد الناصر والسادات ومبارك وفى الصورة الرابعة علامة إستفهام كبيرة دلالة على أن الجميع ينتظر من يحتل هذه الصورة، وكانت الفكرة الأساسية التى دارت حولها الجريدة أن الحالة الصحية للرئيس تتحكم موضوعيا فى الحالة الصحية للنظام السياسى وتعكس فى مستويات الأداء العام لجهاز الدولة.

لعبت صحة الرئيس إذن دورا مهما فى تغذية صحف الإثارة بمعلومات وتفاصيل

(١) الأسبوع، عدد ١ سبتمبر ٢٠٠٧.

(٢) العربى، عدد ٢٦ أغسطس ٢٠٠٧.

وضعتها فى صفحتها الأولى، لكن هذه القضية تكشف على وجه التحديد عدة ملامح لصحف الإثارة فى مصر، فهى تقوم فى الغالب على الشائعات دون المعلومات المؤكدة، وعندما تتكشف أمامها المعلومات فإنها تتعالى عليها، بل تنكرها وتتنكر لها، وهو ما بدا واضحا فى معالجة جريدة الدستور.

لكن الملمح الأهم فى إعتقاد الباحث أن هذه الصحف تابعة فى معالجاتها وليست منشئة، فالمعلومات تتناثر أولا فى وسائل الإعلام الأخرى مثل الفضائيات ومواقع الإنترنت ثم تتلقفها صحف الإثارة لتنفخ فيها فى محاولة لجذب أكبر عدد من القراء إليها.

■ ■ ■

الإثارة من خلال صنع الأساطير السياسية

أولا: شخصية محمد حسنين هيكل

تعتمد صحافة الإثارة السياسية على صنع الأساطير والعمل على تنميتها، ثم تستغل تصنيعها لهذه الأساطير فى جذب إنتباه القارئ إليها من خلال معالجاتها لكل ما يخص هذه الأسطورة، ولا تكون المتابعة لحياته الشخصية بقدر ما تكون المتابعة لأفكاره والأحداث التى يكون طرفا فيها سواء كان فاعلا أو مفعولا به.

ومن هذه الأساطير الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل.

كانت نقطة البداية فى تصنيع هيكل كأسطورة ليس من أرضية الكاتب ولكن من أرضية المصدر من جريدة الأهالى، يقول حسين عبد الرازق[1]: كنا صلاح عيسى وأنا نعرف منذ إغتيال السادات وأثناء وجودنا فى سجن ملحق مزرعة طرة أن محمد حسنين هيكل يعد كتابا عن عصر السادات تحت عنوان خريف الغضب، وأشار هيكل فى حوار مع جريدة الأهالى إليه، ولم نكن نعرف بالضبط تاريخ ظهوره، فجأة وجدنا إعلانات هائلة عن الكتاب فى الصحف العربية مثل الشرق الأوسط اللندنية والوطن الكويتية.

ناقش حسين عبد الرازق صلاح عيسى فى ضرورة الحصول على الكتاب ونشره، كانت هناك صعوبات أهمها أن هيكل يعطى حقْ النشر فى الصحف العربية لجهة واحدة، وتتولى هى بيعه للصحف الأخرى، وبأثمان خيالية لا تستطيعها الأهالى، وفى نفس الوقت فهيكل وإن كان لا يتقاضى أى مقابل عن النشر فى مصر فهو لا يستطيع أن يعطى الأهالى حق النشر إذا أراد.

كذلك فالكتاب سينشر فى صحف يومية ثلاث مرات فى الأسبوع، ولن تستطيع

(١) حسين عبد الرازق، الأهالى صحيفة تحت الحصار (القاهرة، دار العالم الثالث، ١٩٩٤) ص ١٨٩.

جريدة الأهالى كصحيفة أسبوعية ملاحقة النشر، وهنا ظهرت فكرة أن تقوم الأهالى بنقل الفصول المنشورة أسبوعيا من إحدى الصحف العربية، ولضمان أن تصل الحلقات فى وقت مناسب فكرت إدارة التحرير فى الجريدة فى الحصول عليها من جريدة الوطن بترتيب خاص مع مراعاة أن الوطن الكويتية لا توزع فى مصر، وهو هنا سبق للأهالى فى النشر.

وبدأ النشر[1] بمانشيت رئيسى على ثمانية أعمدة يقول: **محمد حسنين هيكل يروى قصة بداية ونهاية عصر السادات**، وخصصت الجريدة إفتتاحياتها للإشارة إلى كتاب هيكل خريف الغضب الذى تنفرد الجريدة بنشره فى مصر، وأضافت إلى هذا السبق الصحفى صورة لهيكل وهو يمسك بسيجاره الشهير.

احتلت مقدمة الكتاب الصفحتين السابعة والعاشرة من العدد، لكن لم تتمكن الجريدة من مواصلة نشر حلقات الكتاب بسبب الموقف الرسمى المتعسف من كتاب هيكل الذى اعتبره صحفيو السلطة إساءة بالغة للسادات.

وصدر العدد التالى من الأهالى[2] بمانشيت أسود على الصفحة الأولى يقول: **الحكومة تصادر كتاب محمد حسنين هيكل عن السادات وتمنع نشره.**

وأشارت الجريدة إلى أنه صدر قرار حكومى بمنع دخول الصحف العربية التى تنشر كتاب خريف الغضب للأستاذ محمد حسنين هيكل وكذلك صحيفة الصنداى تايمز البريطانية وغيرها من الصحف التى تنشر فصول الكتاب مسلسلا، وترتيبا على ذلك إمتد القرار إلى عدم إعادة نشره فى مصر مما حال دون إستمرار الأهالى فى نشر فصول الكتاب، وأدى أيضا بجريدة الشعب إلى عدم نشر عرض للكتاب على صفحاتها، كما قررت جريدة الشرق الأوسط السعودية التى تصدر فى لندن التوقف عن نشر حلقات الكتاب بعد أن

(١) جريدة الأهالى، عدد ١٣ إبريل ١٩٨٣.
(٢) جريدة الأهالى، عدد ٢٠ إبريل ١٩٨٣.

نشرت عددا من الحلقات ولكنها إمتنعت عن النشر بمجرد تعرض الحلقات للدور السعودى.

فى إفتتاحية نفس العدد أشارت الأهالى إلى أن القرار المفاجئ الذى أصدرته حكومة الحزب الوطنى بمنع كتاب خريف الغضب والصحف العربية التى تنشر فصوله، وبالتالى منع صحيفة الأهالى والصحف المصرية من نشره والنشر عنه قرار خطير يحتاج إلى وقفة، فالقرار يحرم الشعب المصرى من حقه فى معرفة الحقيقة كما يراها واحد ممن كانوا قريبين من السلطة سنوات طويلة وشارك بالإتفاق والإختلاف فى كثير من الأحداث الهامة التى أثرت فى حياة الشعب المصرى وما زالت، ويفرض هذا القرار وصاية على الشعب المصرى كله من حزب يحتكر السلطة، ويزعم لنفسه الحق فى أن يقيم قيودا على حرية الرأى والنشر.

وخرجت الأهالى من قرار المنع بدلالات سياسية محددة وهى:

- ظلت الصحافة الحزبية منذ عاودت الصدور بعد تولى الرئيس مبارك لرئاسة الجمهورية هى أداة الإتصال الرئيسية بين الأحزاب والجماهير، فى ظل منع الإجتماعات الجماهيرية والتضييق على حركة الأحزاب ومنعها من وسائل الإعلام القومية كالصحافة والإذاعة والتليفزيون، واليوم تتعرض الصحف الحزبية بهذا القرار لخطر فقدان حريتها المحدودة فى مخاطبة الشعب المصرى ووضع الحقائق أمامه، وبالتالى القضاء على المظهر الوحيد الحقيقى للحرية والديمقراطية فى مصر.

- هذا القرار يؤكد أن القوى الساداتية التى التزمت موقف الدفاع بعد غياب السادات، قد انتقلت إلى مواقع الهجوم، وهو أمر له آثاره الخطيرة على المناخ السياسى الذى ساد المجتمع المصرى خلال العام الأخير، وبشر بإمكانية الحوار الديمقراطى المتكافئ وإنهاء ظواهر العنف والعنف المضاد التى شكلت معالم الحياة السياسية فى ظل الرئيس السابق.

- القرار يؤكد أن الأمر ليس الدفاع عن سمعة حاكم مصرى وشخصه، ولكن الهدف الحقيقى هو الدفاع عن سياساته أمام الشعب المصرى، أى الدفاع عن سيطرة القلة الطفيلية من السماسرة وتجار السوق السوداء والمهربين والمضاربين وعملائهم، والدفاع عن سياستهم فى إفقار غالبية الشعب المصرى لصالح القلة والدفاع عن سياسة التبعية الإقتصادية للغرب الرأسمالى، ووقف التنمية والإنتاج تحت إسم الإنفتاح والدفاع عن الإرتباط بسياسات الولايات المتحدة الأمريكية، والصلح المنفرد مع إسرائيل والتطبيع إلى آخر هذه السياسات التى عانى وما زال الشعب المصرى يعانى منها.

- يكشف القرار أيضا زيادة التلازم بين العداء للديمقراطية والأزمة الإقتصادية، فكلما تأكد عجز الحكومة عن حل الأزمة الإقتصادية الطاحنة التى تمسك بخناق المجتمع المصرى، والتى تتحمل الحكومة مسئوليتها نتيجة للتخبط ورفضها لأى حلول حقيقية لهذه الأزمة خضوعا لمصالح القلة الطفيلية، كلما لجأت إلى المزيد من التضييق على الحقوق والحريات العامة والعدوان على الديمقراطية خوفا من سخط الجماهير وغضبها.

- لا يتعلق الأمر بقرار مصادرة كتاب أو صفحات من كتاب فى جريدة، وحق كاتب فى الإدلاء بشهادته وحق الصحيفة فى نشر رأيها أو حق الحزب فى تحديد سياسة جريدته وأولوياتها فحسب، وإنما القرار فى النهاية يتعلق بمستقبل الديمقراطية فى مصر، وبالعلاقة بين القوى السياسية سواء كانت فى الحكومة أو المعارضة، وما لم تحل هذه الأزمة لصالح الديمقراطية فستزداد الأزمة إستحكاما، ولن تحل أى من المشاكل التى تعانيها مصر، وبصفة خاصة أزمة لقمة العيش التى يعانى منها كل من يكسب عيشه بالشرف والعرق فى مصر.

هذه الدلالات السياسية التى أوردتها الجريدة لا يمكن أن تخفى الدلالة المهنية من قرار منع نشر كتاب هيكل فى مصر سواء فى الصحف المصرية أو حتى فى الصحف العربية، وهى أن هيكل تحول من كاتب صحفى يكتب ويدلى بآراءه إلى فاعل فى الحياة السياسية

المصرية، لا ينتظر القراء ما يكتبه بقدر ما ينتظرون ما يكتب عنه، وقد بدأت هذه الحالة تلازم هيكل منذ أخرجه السادات من رئاسة تحرير الأهرام فى العام ١٩٧٤ ، لكنها تفجرت مع أزمة الأهالى ليصبح هيكل قوة موازية للنظام المصرى، وهو ما أتاح للصحف أن تستند عليه فى زيادة توزيعها وإكسابها الثقة لدى القراء.

استغلت الأهالى حالة الرواج التى أحدثها منع كتاب هيكل، فقررت أن تستثمر هذه الحالة، مضيفة إلى قوة محمد حسنين هيكل قوة وتأثيرا وتحديا، أجرت معه حوارا[١] احتلت عناوينه الصفحة الأولى وجاءت كالآتى: **محمد حسنين هيكل يواجه زوابع التحريض على خريف الغضب، أطالب بمساءلتى أمام هيئة من رؤساء الأحزاب والقضاة ورجال الدين والعسكريين، لو حاول حسنى مبارك أن يعثر على محضر واحد لمقابلات السادات – كيسنجر لما وجد.**

تحول هيكل إلى طرف فى المعادلة السياسية وهى المعادلة التى كان طرفها الثانى عدد من الكتاب منهم توفيق الحكيم، لكن الأهم أن الرئيس مبارك بنفسه دخل طرفا فى المعركة، وفى خطابه الذى ألقاه فى عيد العمال فى أول مايو ١٩٨٣ شن هجوما حادا على الصحافة الحزبية، مشيرا إلى ما أطلق عليه أسلوب الإثارة والإفتراء والترويج للفوضى باسم الديمقراطية الذى تقوم به الصحف الحزبية، وكذلك إنغماسها فى ممارسات معيبة إما لبعدها عن الموضوعية والمصلحة العامة، أو لإختيارها أسلوب الإثارة الممجوج أو لإساءتها للشعب المصرى ونضاله.

وقال الرئيس نصا: أنبه وأحذر من مخاطر إفتعال أجواء فاسدة تكاد تطغى على الكلمة المطبوعة فى بعض الصحف.

كان الرئيس مبارك يتحدث تحديدا عن كتاب هيكل، وتكمل الأهالى ما بدأته[٢] حيث

(١) جريدة الأهالى، عدد ٢٧ إبريل ١٩٨٣.

(٢) جريدة الأهالى، عدد ٤ مايو ١٩٨٣.

نشرت ما يشبه المناظرة بين توفيق الحكيم وهيكل، على الصفحة السابعة نشرت رسالة من توفيق الحكيم إلى هيكل يعيب عليه فيها ما جاء فى كتابه ويعتبره ردة فعل على ما فعله السادات فى هيكل، لكن هيكل يرد على توفيق الحكيم بأن خريف الغضب لا يروى قصة غضبه هو بل يروى أسباب غضب الشعب المصرى كله، ثم أن كتابه لم يكن أبدا تبريرا لما جرى لكنه كان بالكاد تفسيرا له، وفارق كبير بين التبرير والتفسير.

ثم تستعين الأهالى مرة أخرى بهيكل ولكن بما يحرج الرئيس مبارك هذه المرة[1]، فقد نشرت عنوانا أحمرا على صفحتها الأولى فى عدد ١١ مايو ١٩٨٣ يحتل الأعمدة الثمانية يقول: **هيكل ينسب للسادات وقائع خطيرة...نطالب مبارك بالتحقيق فيها.**

كانت الوقائع التى أشارت لها الأهالى ثلاثة وقائع جاءت كالآتى:

الواقعة الأولى: أن الرئيس السادات تسلم من مصلحة الآثار ٦٤ قطعة أثرية أصلية بناء على طلب من الر ئيس ليهديها إلى ضيوفه من رؤساء الدول.

الواقعة الثانية: وصلت تكلفة الترميمات التى أجراها الرئيس السادات فى قصر الرئاسة بالجيزة إلى ٦٥٠ ألف جنيه، كما تم نقل بعض التحف من القصور الملكية إلى قصر السادات.

الواقعة الثالثة: علاقة السادات بالمخابرات الغربية وتكوين ما عرف باسم نادى السافارى بين المخابرات السعودية والإيرانية أيام الشاه والمغربية والمصرية والفرنسية وترحيب الأمريكيين بهذا الحلف.

وضعت هذه المعالجة التى اعتمدت فيها الأهالى على كتابين من كتب هيكل هما خريف الغضب ومدافع آيات الله، **الكاتب الصحفى فى مواجهة الرئيس مباشرة**، وقامت كذلك وهى تدرى أو ربما دون أن تدرى بصنع صيغة إعتمدت عليها صحف الإثارة بعد ذلك

(١) جريدة الأهالى، عدد ١١ مايو ١٩٨٣.

حيث أصبح هيكل تميمتها التى لا تستغنى عنها.

أصبح هيكل ذاتا فاعلة، وإذا كانت الأهالى فتحت له صفحاتها فإن أخبار اليوم فتحت عليه النار من خلال رئيس تحريرها إبراهيم سعدة تزامن ذلك مع أزمة خريف الغضب، الذى كتب[1] عن شجاعة هيكل يقول:

كم أتمنى أن أعثر على مقال واحد لمحمد حسنين هيكل هاجم فيه أحد حكام مصر منذ بدأ يحترف الصحافة وحتى اليوم الذى طرد فيه من رئاسة تحرير الأهرام، أقول أتمنى أن أعثر على هذا المقال، وذلك لأننى أثق فى أن الحصحفى الكبير لم يجرؤ طوال حياته الصحفية المديدة والمريرة على أن يهاجم مسئولا فى الدولة أو ينتقد مجرد النقد، أحد الذين يملكون تقديم الثواب وتوقيع العقاب، حتى فى سنوات إزدهارمحمد حسنين هيكل، خلال فترة حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، لم يكن فى إستطاعة هيكل أن يهاجم وزيرا أو حتى نائب وزير إلا إذا طلب منه ذلك وبموافقة مسبقة من عبد الناصر.

كان مقصد إبراهيم سعدة أن ينتقص من شأن هيكل ويضرب فى شرعيته السياسية والصحفية ولذلك بدأ فى نشر حلقات من كتاب له بعنوان مستشار السوء[2] سجل فيه للعلاقة بين هيكل وعبد الناصر، لكن إبراهيم سعدة فعل ما هو أكثر من ذلك حيث نشر أن هناك قارئ يريد عنوان هيكل حتى يرسل له برأيه على مكتبه، وبالفعل نشر سعدة عنوان هيكل حتى يزعجه بذلك فكل من لا تعجبه آراء هيكل سيرسل له رسائل وفى الغالب لن تكون رسائل طيبة.

لكن حدث بعد ذلك ما يمكن أن يشبه الإنقلاب فى موقف أخبار اليوم من هيكل، ففى العدد الصادر فى ١٤ ديسمبر ١٩٨٥ نشرت أخبار اليوم إعلانا فى صفحتها الأولى على ثلاثة أعمدة كان نصه: قريبا ..مفاجأة أخبار اليوم..الكاتب محمد حسنين هيكل

(١) جريدة أخبار اليوم، عدد ٣ إبريل ١٩٨٣.
(٢) جريدة أخبار اليوم، عدد ٧ مايو ١٩٨٣.

يكتب بصراحة أسبوعيا فى أخبار اليوم، وفى وسط الإعلان صورة كبيرة لهيكل مبتسما.

وفى العدد التالى مباشرة[1] تنشر أخبار اليوم بروازا فى الصفحة الأولى بعنوان: حول مقالات هيكل..جاء فيه: أحدث ما نشرناه فى الأسبوع الماضى عن عودة الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل للكتابة فى أخبار اليوم دويا هائلا، لم ينقطع رنين التليفون فى أخبار اليوم طوال الأسبوع، مكالمات من الداخل تسأل عن موعد هيكل فى الكتابة، بعد أحد عشر عاما من الإنقطاع عنها، وإن ظل طوالها يعيش فى مصر ويكتب للعالم من مكتبه، ومكالمات من صحف ومجلات من شتى أنحاء العالم العربى تطلب نشر مقالات هيكل فى نفس يوم صدورها فى أخبار اليوم.

ولأن الإتفاق بين هيكل وبين أخبار اليوم كان محددا، فقد أحيلت كل هذه الطلبات من صحف ومجلات العالم إلى الأستاذ هيكل شخصيا، ليرى فيها رأيه، فقد رفض هيكل أن يتقاضى مليما واحدا من أخبار اليوم لقاء نشر مقالاته، ولم تكن له أية طلبات أخرى من أخبار اليوم لهذا كان من المناسب أن تترك أخبار اليوم للأستاذ هيكل أمر الموافقة أو عدم الموافقة على نشر مقالاته فى أى صحيفة أو مجلة عربية أو أجنبية.

وفى نفس الوقت وفى وسط هذا الدوى الشعبى والعربى والعالمى، سارع من يشككون دائما فى كل شئ وفى أى شئ إلى إستثمار الفرصة، فأرادوا أن يحملوا هذه الخطوة الديمقراطية فوق ما تحمل من تحليلات وإيماءات وبالغ البعض فى تحليلاتهم إلى حد توقع التغيير فى السياسة الإقتصادية لمصر.

وأخبار اليوم التى سعت إلى هذه الخطوة الديمقراطية الفريدة تقول للملايين من قرائها الذين تصوروا أن الأستاذ هيكل سيبدأ الكتابة هذا الأسبوع، إن تنفيذ هذه الخطوة سيأخذ وقتا أكثر مما توقعوه، وذلك حتى يستوعب المتشككون والمشككون فى كل شئ وفى أى شئ، إن الديمقراطية معناها أن تقول رأيك، وتدفع حياتك ثمنا لحق غيرك فى أن يقول رأيه.

(١) جريدة أخبار اليوم، عدد ٢١ ديسمبر ١٩٨٥.

أجرى هيكل حوارا مطولا مع أسرة تحرير أخبار اليوم ليقدم به مقالاته، وكان لابد من أن يروى هيكل قصة عودته للكتابة[1] قال أنه لا يطمع فى منصب سياسى أو صحفى وأن كل ما يريده هو أن يضع رأيه وتجربته أمام من يريد الإستفادة بهما.

عودة هيكل للكتابة أثارت علامة إستفهام كبيرة حاولت مجلة روزاليوسف أن تجيب عليها، وضعت المجلة عنوانا ضخما من كلمتين هما[2]: عودة هيكل وأعقبت العنوان بعلامة إستفهام وعلامة تعجب وهو ما يعنى أن المجلة عبرت عن عدم معقولية ولا منطقية هذه العودة من خلال علامات الترقيم.

ويقدم محمود التهامى رئيس تحرير روزاليوسف رؤيته لعودة هيكل يقول: سمعت فى الأسبوع الماضى مئات التعليقات حول موضوع عودة هيكل، وكان آخر ما سمعت نكتة لا أظنها نكتة بقدر ما هى تعبير عن رأى واضح صاغه الذكاء المصرى التقليدى الذى اعتاد الخوف لوقت طويل من الإفصاح عن رأيه، وما زالت عادة الخوف هذه تغلبه أحيانا رغم أن الوقت غير الوقت، والزمن غير الزمن.

قالت نكتة صاحبنا تعليقا على عودة هيكل أن وزارة الدكتور على «لطفى» ستصبح وزارة الدكتور على «صبرى»، وستعود التأميمات والحراسات وعليه العوض ومنه العوض، قالت النكتة ذلك رغم العداء المعروف بين هيكل وعلى صبرى.

ويتساءل التهامى: لماذا صاحبت الضجة عودة الأستاذ هيكل بالذات رغم أن العديد من الأسماء اللامعة فى عالم الصحافة قد عادت ومارست العمل والكتابة دون ضجيج ؟

ويجيب التهامى على سؤاله: فى إعتقادى أن الإجابة لها شقان الأول مهنى فلسنا فى حاجة إلى القول بأن هيكل هو أستاذ التحليل السياسى بلا منازع، وعودته إلى الكتابة بقلمه فى الصحافة المصرية كسب كبير دون شك، وهذه النقطة يتفق عليها الذين يؤيدون

(١) جريدة أخبار اليوم، عدد ٤ يناير ١٩٨٦.
(٢) روزاليوسف، عدد ٢٣ ديسمبر ١٩٨٥.

قناعات الأستاذ هيكل الفكرية والسياسية، والذين يختلفون معه بشدة حول تلك القناعات.

أما الشق السايسى وهو أن المناخ السياسى الذى تعيشه مصر منذ بداية حكم الرئيس مبارك لم يتغير، والسياسة التى يتبعها الرئيس مبارك ثابتة فى أصولها وتتلخص فى تدعيم الديمقراطية والإسراع إلى التنمية، وإتخاذ كافة الوسائل والسبل التى تؤدى إلى هذين الهدفين.

لكن التهامى يتوقف عند فكرة مهمة وهى أن عودة هيكل إلى الكتابة لا يعدو أن يكون مجرد إتفاق بين رئيس تحرير صحيفة قومية وبين كاتب كبير، وأن الهدف هو تقديم خدمة للقراء وإتاحة فرصة الإطلاع عن قرب على تحليلات الأستاذ هيكل السياسية.

المعنى الواضح أن أخبار اليوم لجأت إلى هيكل من أجل رفع توزيعها، وهو هدف إن كان حقيقيا فإنه يكفى، لكن هذا لا يمنع أن هيكل كانت قد تحسنت علاقته بالنظام المصرى أو على الأقل كانت محاولة لوصل ما انقطع، والدليل على ذلك ما قاله هيكل فى حواراته مع أخبار اليوم عن الرئيس مبارك[1] قال أنه يعترف للرئيس مبارك بكثير من الأفضال، منها أنه أتى للحكم فى لحظة مفعمة بالقلق وكان محتفظا بتوازنه، وقدم نفسه للناس بطريقة طبيعية وهادئة فى حين أن المناخ حوله كان عصبيا، دخل مكتبه ودرجة الحرارة فى مصر قرب درجة الغليان فاستطاع بجهد لا شك فى إخلاصه تخفيض الحرارة إلى درجة شبه عادية، ولم يحاول إعتراض طريق التطور الطبيعى لحركة القوى الإجتماعية فى مصر بطريقة خشنة أو عنيفة.

لكن يبدو أن هذه الكلمات لم تشفع لهيكل فقد كتب مقالين فقط[2] على ثلاث حلقات، المقال الأول نشر على حلقتين عنوانه: صنع القرار السياسى فى مصر، أما المقال الثانى فكان

---

(١) جريدة أخبار اليوم، عدد ١٨ يناير ١٩٨٦.

(٢) جريدة أخبار اليوم فى أعداد ١٥ و٢٣ فبراير وعدد ١ مارس ١٩٨٦.

عنوانه: مبارك أمانة فى ضمير كل مصرى، وبعدها توقف عن الكتابة فى أخبار اليوم.

وقيل فى تفسير ذلك أن شرط هيكل للكتابة فى أخبار اليوم ألا يتدخل أحد فيما يكتبه، لكن حدث ما يشبه التدخل فيما كتبه وتحديدا فى عناوين المقال الثانى، كان هيكل قد وضع لمقاله عنوان: **سلطة التحقيق وسلطان الحقيقة**، وتناول فيه أحداث تمرد جنود الأمن المركزى الذى تم فى ٢٥ فبراير ١٩٨٦، واستدعى الأمر صدور قرار بحظر التجول وانتشرت مصفحات ومدرعات الجيش فى شوارع القاهرة واستقال بسببها وزير الداخلية وقتها اللواء أحمد رشدى، لكن المقال نشر بعنوان رئيسى هو **مبارك أمانة فى ضمير كل مصرى**، وقد يكون هذا بالفعل سببا مباشرا ومقنعا لتوقف هيكل عن الكتابة.

لكن فى العام ١٩٨٧ عادت أخبار اليوم لتنشر تنويها[1] تعلن من خلاله أن أخبار اليوم سوف تنشر فى العدد القادم حوارات هيكل مع شخصيات عالمية قابلها، لكن حقيقة الأمر أن هذه لم تكن عودة من هيكل للكتابة، فكل ما حدث أن أخبار اليوم أعادت نشر بعض الحوارات التى نشرها هيكل فى الصحف العالمية، واستمر النشر حتى العدد الذى صدر فى ٢٨ فبراير ١٩٨٧.

اشتبكت روزاليوسف مع هيكل مرة أخرى[2] وعلى الغلاف وضعت صورة لهيكل مع عنوان موحى وهو: **من يحمى هيكل؟**، وفيه إشارة إلى مقال صالح مرسى عن علاقة هيكل بالمخابرات الأمريكية، ودفع فيه الكاتب بمجموعة من الأسئلة كانت على النحو التالى: لماذا سكت جهاز المخابرات المصرى عن هيكل إذا كانت إتصالاته مع أمريكا مريبة؟، وإذا كان عبد الناصر حمى هيكل فى حياته من إنتقام المخابرات المصرية فمن الذى حماه بعد وفاته؟.

وهى أسئلة يبدو منها أن هيكل تحول مع الأيام إلى ذات متكاملة يدور حولها حوار

(١) أخبار اليوم، عدد ١٠ يناير ١٩٨٧.

(٢) روزاليوسف، عدد ١٦ فبراير ١٩٨٧.

وجدل، بل ويتم التعامل معها على أنها عنصر جذب للقارئ الذى يعرف الصحفيون أنه ينظر إلى هيكل على أنه رجل الأسرار الذى لابد من الإستماع إليه.

هذه المعالجة المهنية أضافت إلى هيكل حالة من الأسطورية للدرجة التى أصبح الصحفيون يتعاملون مع هيكل على أنه تابو من التابوهات التى يصعب الإقتراب منها، وترجمت هذه الحالة فى مقولة كانت ولا تزال تشكل وجدان أجيال قرأت عن هيكل ولم تقرأ له فقط وهى: **من ليس له كبير...ليشترى له كبيرا ... ونحن كبيرنا هيكل .**

لكن هذا الإجماع تم شقه لسببين الأول فى العام ١٩٩٦ فى جريدة الدستور[١] حيث قدمت ما يشبه النقد العام والشامل والحاد لهيكل من خلال مجموعة مقالات كتبها كتاب الجريدة، وكان العنوان هو : **لا لمصر ولا لهيكل ولا لأى أحد ...فقط للحقيقة**، وجاءت عناوين المقالات: رجوع الشيخ إلى صباه، أسوء ما فيه نظرتكم إليه، الرشاقة، رائحة عبد الناصر، عبد الناصر حتى مات..السادات حتى غضب، سيدنا هيكل عليه الملام، وتحت عنوان رئيسى هو شتاء الغضب على هيكل جاءت أوصافه كالتالى: واعظ سلاطين، أديب الصحافة، شاخ على مقعده، يخاطب المسئولين لا الجماهير، لورد يتعالى على الجميع، أين كان من قتل شهدى عطية، يخدع الأجيال الجديدة، يلعب الجولف ويخاطب من لا يعرفون الجولف.

لم يكن وراء هذا الهجوم سبب سياسى، فالدستور فى النهاية لا تناصب العداء لهيكل، لكنها وإتساقا مع سياستها التحريرية التى كانت قائمة على تكسير الثوابت والتابوهات والخروج على المألوف، عملت ذلك دون أن يكون لها هدف اللهم إلا الصراخ فى وجه من لا يصرخ أحد فى وجهه فيجعل عابرى الطريق يلتفتون إلى من يصرخ.

والدليل على ذلك أن الدستور فى إصدارها الثانى الذى بدأ فى العام ٢٠٠٥ برئاسة إبراهيم عيسى جعلت من هيكل مرجعيتها تجرى معه الحوارات وتتعقب أخباره وتأخذ

(١) الدستور، الإصدار الأول، عدد ١٧ يناير ١٩٩٦.

من أقواله عناوين لصفحتها الأولى، قد يكون ذلك لأن رئيس التحرير أصبح أكثر نضجا من ذى قبل ولذلك عاد إلى رشده مع هيكل، لكن فى الغالب لأن الإصدار الثانى من الدستور وقف أمام تابو واحد وهو الرئيس مبارك، وبنت الجريدة سياستها التحريرية وشرعيتها الساسية على معارضة الرئيس، ولأن هيكل تحول فى السنوات الأخيرة إلى ما يشبه الناقد الأول لنظام مبارك فقد وضعت الدستور يدها على كتفه وقررت أن تسير إلى جواره وعلى خطاه.

لم يكن هيكل مرجعية فقط ولكنه كان مصدر إلهام للدستور، وعندما كانت الجريدة تحتفل بأعياد ميلادها كان هيكل هو الضيف الأساسى على صفحاتها، وهو ما حدث فى العدد الصادر فى ٢٢ مارس ٢٠٠٦ ، وضعت الدستور صورة هيكل فى صدر صفحتها الأولى مشيرة إلى أن محمد حسنين هيكل فى حوار خاص للدستور، وعلى ثلاث صفحات داخلية نشرت الجريدة الحوار الذى لم يجريه صحفى أو محاور واحد بل كل صحفيى الجريدة وعلى رأسهم رئيس التحرير والمشرف الفنى له، بما يعنى أن المقصود لم يكن الحوار فى حد ذاته بقدر ما كان محاولة لإكتساب شرعية من هيكل لصحيفة تشق طريقها فى حقل من الألغام السياسية والمهنية.

السبب الثانى يلتقطه الباحث من إحتفاء الدستور بهيكل، حيث حاولت روزاليوسف خلال الفترة التى تزامنت مع الإنتخابات الرئاسية فى ٢٠٠٥ وما بعدها أن تسقط هيبة هيكل فهاجمته كما لم يهاجمه أحد من قبل، كانت روزاليوسف قد جعلت من نفسها خط الدفاع الأول عن الرئيس والحزب الوطنى وكل ما يأتى منه، ومن معالجات روزا لظاهرة معارضة هيكل للنظام الرسمى بدأت المجلة فى إلقاء ما رأت أنه يؤثر على مصداقية هيكل[١] حيث أعادت له نشر مقالا كتبه فى روزاليوسف عام ١٩٤٤ عنوانه «**يوم ميلادك يا مولاى**»، أرادت المجلة أن تشير من إعادة نشر المقال إلى أن هيكل كاتب لكل العصور

(١) روزاليوسف، عدد ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٥.

وأنه لا موقف لديه، وأنه فى الغالب يعارض الرئيس مبارك لأنه أبعده ولم يستعن به.

وتعمدت روزاليوسف أن تنعت هيكل بأوصاف محددة، فهو بالنسبة إليها «الألعوبان»[1] ، ويكتب عبد الله كمال أن أهم خبر كاذب نشره الكاتب الشفوى طوال عمره المهنى هو أنه سوف ينصرف، وإذا كان قد قرر الإنصراف الطوعى ولم يفعل فسوف يأتى وقت الإنصراف الإجبارى، ويشير كمال إلى أن أهم مشاكل هيكل أنه لم يصبح الكاتب القريب من صانع القرار فى عصر مبارك فتحول من مخبر يفتقد الدقة إلى معلق لا يستند إلى منطق.

ويشكك عبد الله كمال فى كل ما قاله هيكل: فأكبر دليل على أنه لا يعرف شئيا عن هذا العصر هو أنه يتحدث عن مجلس رئاسى، والمؤكد أنه ليست لديه معلومة سليمة عن التركيب التنظيمى لمؤسسة الرئاسة، وهو فى ١٩٧١ باع للناس عبارة عام الحسم لكن الحرب جاءت فى عام ١٩٧٣، وفى عام ٢٠٠٥ باع للناس عبارة عام الفزع ولم يأت الرعب والآن يقول نحن فى عام التوريث.

الأهم مما قاله عبد الله كمال أن المجلة وضعت على غلافها صورة بالجرافيك لهيكل وهو فى صورة ثعبان يضع فى فمه سيجارا ضخما كالذى يشربه هيكل.

ولم تكتفى روزا بوصف هيكل بأنه الألعوبان، بل نعتته بأنه بائع الأكاذيب[2] ويدفع عبد الله كمال بأنه على الأستاذ أن يعود الآن إلى المربع رقم واحد لكى نعيد تقييم أسطورته ونحدد مستوى قيمته ونختبر مصداقيته، لكن عبد الله كمال يكشف دون أن يدرى عن أسباب هجومه على هيكل عندما يقول: ضبطناه متلبسا بمساندة صحف الشتائم ومتلبسا بضعف الذاكرة ومتلبسا بترويج نظرية الفوضى الخلاقة ومتلبسا بالإصرار على خبر الإنصراف الكاذب.

---

(١) عبد الله كمال، روزاليوسف، عدد ٢٥ مارس ٢٠٠٦.

(٢) عبد الله كمال، روزاليوسف، عدد ١ إبريل ٢٠٠٦.

والمعنى واضح وهو ما يعكس نمطا من المعالجة التى يمكن أن نطلق عليها الإثارة الموجهة، وتحقق المجلة منها فائدة على مستويين ترضى من تريد جلب رضاهم ومن ناحية ثانية يساهم هيكل من خلال الهجوم عليه ووضع صورته على الغلاف توزيعا أكثر للمجلة.

بين هاتين الصيغتين كانت هناك صيغة تعاملت بها صحف الإثارة السياسية على إختلاف إنتماءاتها الحزبية والخاصة مع هيكل حيث جعلت منه مرجعيتها السياسية والمهنية ، وأصبح هيكل فيها محمية طبيعية لا يقترب أحد منه بالنقد حتى لو جاء هذا النقد عفو الخاطر.

وواقع الأمر أن هذه الصيغة بدأها عادل حمودة مع هيكل فى روزاليوسف وفى وقت مبكر جدا عندما كان يرجع إليه فى الأزمات السياسية الكبرى حتى يدلى بدلوه فيها، أو حتى ليحصل منه على أسرار سياسية يحتفظ بها هيكل بحكم الدور الذى لعبه فى عهد عبد الناصر ومن أمثلة ذلك:

ما كشفه هيكل عن أسرار ثورة يوليو لعادل حمودة[1] من أن السلطة قبل ثورة يوليو كانت ملقاة فى عرض الطريق تنتظر من يأخذها، وأضاف هيكل أن الضباط الذين أخذوها لم يزد عددهم على ٧٤ فقط، وكشف هيكل عن أنه عندما قامت الثورة لم يكن الأمريكان يعرفون إسم عبد الناصر من الأساس، وأشار هيكل كذلك إلى أن عبد الناصر لم يكن يكتب مذكراته بل كان يكتب يوميات فقط وأن هذه اليوميات عنده هو وليس عند أحد غيره.

ومن بين الأسرار التى كشفها هيكل كذلك[2] أن ياسر عرفات أبلغ السادات بموعد إغتياله، ولم تكن هذه معلومة مباشرة أدلى بها هيكل إلى روزاليوسف ولكنها جاءت فى

(١) روزاليوسف، عدد ٢٥ يوليو ١٩٩٤.
(٢) روزاليوسف، عدد ١٤ اكتوبر ١٩٩٦.

إطار عرض المجلة لكتاب هيكل «سلام الأوهام»، وهى إشارة مهمة حيث كانت تحتفى روزاليوسف بكل ما يصدر عن هيكل سواء كان مقالات أو تصريحات أو كتب.

كانت روزاليوسف تجعل من هيكل عنوانها الرئيسى على الغلاف[1] حيث جعل عادل حمودة من حواره مع هيكل مصر وإيران فوق بركان عنوانا رئيسيا للغلاف مع صورة لهيكل، وفى الداخل قدم رؤية هيكل للعلاقات بين مصر وإيران، والتى تمثلت فى الآتى: لماذا لا نبحث عن نظرية أمن قومى مختلفة فى عالم متغير..نطرق فيها أبواب واشنطن وبغداد وطهران ودمشق وأنقرة بحثا عن مصالحنا، اللاعبون الآن فى المنطقة هم مصر وإيران وتركيا، وإيران لا تهدد مصالح مصر ولا خوف من تصدير الثورة علينا فالمذهب الشيعى حبيس بالطبيعة ، تركيا تستطيع تهديد سوريا عسكريا لكن سوريا تستطيع الإضرار بها بشريا وسكانيا وفكريا عن طريق ١٨ مليون علوى فى تركيا، ما لم يكن لدى مصر سبب حقيقى للعداء مع إيران ..من الأفضل مد الجسور وهناك دول فى المنطقة يهمها أن تبتعد الدولتان.

هذا الحوار لا يقدم هيكل بإعتباره كاتبا سياسيا أو محللا للأوضاع المحلية والعالمية، ولكنه يقدمه على أنه خبير سياسى يقدم نصائح للنظام عليه أن يلتزم بها إذا أراد أن يخرج من ورطته، وهو تحول فى تصدير هيكل ككيان سياسى أسطورى.

هذه الصيغة التى جربها عادل حمودة مع هيكل كانت هى الدستور الذى عملت به صحف الإثارة الخاصة على إختلافات توجهاتها، ويمكن رصد ذلك من خلال أربعة صحف هى «الأسبوع، العربى، صوت الأمة، الفجر»، كان هيكل حاضرا فيها بقوة من خلال محاور ثلاثة:

المحور الأول: نشر تصريحات هيكل فى الصفحة الأولى وجعلها فى الغالب المانشيت الرئيسى ومن أمثلة ذلك:

---

(١) روزاليوسف، عدد ٢٦ مايو ١٩٩٧.

- قال أن بوش متخلف وشارون لن يجعل عرفات شهيدا ...هيكل: الحكام العرب استمروا فى السلطة أكثر مما يجب[١].

- هيكل يكتب عن بوش: إمبراطور أمريكا المدمن[٢].

- هيكل: أمريكا تحارب أفغانستان على طريقة ضرب الزوجات[٣].

- محمد حسنين هيكل يكتب: المسلمون والأقباط فى مصر[٤].

- هيكل: مصر أصبحت بلدا لا يعى ما يحدث بجواره، مصر الألومنيوم يربح ٨٠ مليون جنيه فى ثلاثة شهور ويريدون بيعه، الشواهد: عرفات لم يتم موتة طبيعية[٥].

- هيكل: دقت ساعة التغيير ..حرام طبيا أن يستمر الرئيس فى الحكم، بعد إغتيال السادات كان على مبارك إدراك أنه جاء للإنتقال لا للإستمرار[٦].

- هيكل: عصا الأمن لن توقف الإصلاح لأننا تجاوزنا مرحلة التأديب[٧].

- هيكل: مصر تحولت من طرف إلى صديق إلى وسيط إلى داعم لإسرائيل[٨].

- هيكل: من يقول لا بديل عليه أن يستقيل[٩].

- هيكل: هناك شئ فى أعلى الرأس تعطل[١].

---

(١) صوت الأمة، عدد ٨ إبريل ٢٠٠٢.
(٢) صوت الأمة، عدد ٥ مايو ٢٠٠٣.
(٣) صوت الأمة، عدد ٣١ أكتوبر ٢٠٠١.
(٤) صوت الأمة، عدد ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤.
(٥) الأسبوع، عدد ٢٧ يونيو ٢٠٠٥.
(٦) الأسبوع، عدد ٢٠ يونيو ٢٠٠٥.
(٧) الأسبوع، عدد ١٥ مايو ٢٠٠٦.
(٨) العربى، عدد ٢ يناير ٢٠٠٥.
(٩) العربى، عدد ٧ إبريل ٢٠٠٢.

- هيكل: الحاكم الذى يفقد ثقة الشعب عليه أن يرحل[٢].

-هيكل: مصر تورطت فى تعذيب معتقلين لصالح المخابرات الأمريكية[٣].

هذه الإقتباسات تبين أن الصحف عمدت إلى جعل هيكل مصدرها الأول فهو الذى تحصل منه على معلومات وأسرار وتجعله يوصف الحدث السياسى الراهن فى جمل قصيرة وفى الغالب تكون صادمة، ترفع من حرارة العنوان، وإصرار هذه الصحف على جعل هيكل فى المقدمة يؤكد أنها تعتمد عليه فى زيادة توزيعها.

المحور الثانى: ويتم تقديم هيكل خلاله عبر حوارات مطولة مع هيكل وتختار الصحف مناسبات معينة مثل أعياد ميلادها وفى هذه الحالة تربح الجريدة حوارا من هيكل به من المعلومات والأسرار والآراء ما يجذب جمهورا كبيرا، ثم وهذا هو المهم تحصل هذه الصحيفة من هيكل على شبه إعتراف بها وأنه يتابعه بل ومعجب بها ومن أمثلة هذه الحوارات:

- فى العدد السنوى لجريدة صوت الأمة نشرت الجريدة حوارا مع هيكل[٤] جعلت منه عناوين الصفحة الأولى على خلفية حمراء مع صورة لهيكل وهو يرفع يده فى الهواء فى إشارة إلى التحدى، ومن بين أفكاره: ٣ كتائب أمريكية فى العراق تستعد للغزو البرى، وضغوط أمريكا على مصر والسعودية لم تبدأ بعد، اتخضيت من التعديل الوزارى.

- جريدة الأسبوع كانت مختلفة حيث كانت تجرى حوارا مطولا مع هيكل وتنشره بعد ذلك على حلقات ومنها حوار نشر على ثلاثة حلقات[٥] وذلك فى ١٩٩٩، فى الحلقة

---

(١) العربى، عدد ١١ يوليو ٢٠٠٤.

(٢) العربى، عدد ٥ سبتمبر ٢٠٠٤.

(٣) العربى، عدد ٢٢ أغسطس ٢٠٠٤.

(٤) صوت الأمة، عدد ٥ ديسمبر ٢٠٠١.

(٥) الأسبوع أعداد ١٢و١٩ و٢٦ إبريل ١٩٩٩.

الأولى من الحوار تحدث هيكل عن الشأن الخارجى حيث قال: ما يحدث فى البلقان جزء من إعادة تأكيد الدور الأمريكى بعيدا عن مجلس الأمن، وأمريكا تأخذ القانون فى يدها وتقول : أنا أطبق العدل وإيران هى الهدف القادم، وإهانة روسيا قد تدفع مجانين السلطة إلى إستخدام السلا ح النووى.

وفى الحلقة الثانية تحدث هيكل عن الشأن الداخلى حيث صدرت الجريدة وفى الصفحة الاولى عنوان مثير هو محمد حسنين هيكل يواصل حديث المفاجآت للأسبوع: هذا هو موقفى من حكم مبارك والتجديد لفترة رئاسية رابعة، وأشار هيكل فى الحوار إلى أنه ضد التمويل الأجنبى لمنظمات المجتمع المدنى، ولا أخون أحدا فى تحالف كوبنهاجن، وأشار إلى أن هناك نماذج جيدة فى رجال الأعمال لكنه قلق من قرب بعضهم الزائد من السلطة وبعد بعضهم الزائد عن القانون.

وفى الجزء الثالث من الحوار تنبأ هيكل بأن العام ١٩٩٩ سيشهد محاولات فعلية لإسقاط صدام حسين، وأشار من باب المعلومات أنه قلق على سوريا وأن رأس القذافى مطلوب وإن كانت أدلة الإتهام صعيفة.

- الحوار الثانى نشر على حلقتين[١] وأشار هيكل فى الجزء الأول منه إلى بشار الأسد قال: سمعت عن مزايا بشار ولكنى لا أقبل مبدأ توريث السلطة فى النظام الجمهورى، وقال أيضا أن موقف الرئيس مبرك من قضية الخلافة احترم عقول المصريين، وفى الحلقة الثانية من الحوار تنبأ بأن الإنتخابات القادمة لن تحدث تغيرا لأن التغيير لا يأتى فجأة.

الحوارات مع هيكل فى صحف الإثارة السياسية كانت حوارات معلومات وآراء، ولجأت الصحف إليها على خلفية أن هيكل طوال الوقت لديه الجديد الذى يمكن أن يقوله، وهو فى النهاية الجديد الذى يمكن أن يجذب القراء.

المحور الثالث: تبنت الصحف الأربعة الدفاع عن هيكل ضد كل الحملات التى

(١) الأسبوع، عددى ٢٦ يونيو و٣ يوليو ٢٠٠٠.

قصدته وهى حملات لا يفضل هيكل أن يرد عليها بنفسه بل يترك للآخرين هذه المهمة، ومن أمثلة ذلك:

- عندما منعت قناة دريم إذاعة حديث هيكل خصصت جريدة العربى[1] صفحتها الأولى لهذه القضية رغم أنها لا تتجاوز منع إذاعة حلقة من برنامج، جاءت عناوين الأولى كالآتى: أسرار منع حديث الأستاذ فى محطة دريم، هيكل: ما يحدث فى مصر تجاوز كل منطق، لا أريد أن أحرج أحدا وانصرف احتراما لنفسى، خرج أحمد بهجت من الإستديو أثناء التسجيل لربع ساعة عاد بعدها بقرار المنع، هيكل رفض حذف ٤٥ دقيقة من الحديث.

- ويعتبر عبد الله السناوى[2] أن هيكل هو عقدة نظام مبارك، ويرصد بداية هذه العقدة بأنه فى الأيام الأولى من خروجه من الأهرام راهن السادات على نهاية هيكل، ولعله لم يتوقف طويلا أمام دلالة الضجة المصرية والعربية والدولية التى صاحبت خروج هيكل، إلى درجة دعت صحيفة التايمز البريطانية إلى أن تكتب إفتتاحياتها عن خروج هيكل واصفة الحدث بأنه لا يفوقه فى الأهمية غير خروج السادات نفسه من حكم مصر، وعندما أجرى الأستاذ حوارا مطولا مع آية الله الخمينى، سأل الرئيس السادات سيد مرعى وهو صديق شخصى للرجلين: بأى صفة أجرى هيكل الحوار؟وكانت إجابة هيكل لمرعى : بصفتى الصحفية، وعندما نقلت هذه الإجابة للرئيس السادات قال متعجبا: ألم أنه دوره الصحفى بإخراجه من الأهرام، وكانت تلك علامة تعجب فى غير موضعها، فالكاتب الصحفى لا يخرج على المعاش، قد يكون هناك رئيس جمهورية سابق، لكن لا يوجد كاتب صحفى سابق، وكانت تلك بداية عقدة هيكل التى أخذت بعد ذلك تتزايد.

- وعندما اتهم عماد الدين أديب هيكل بأنه يعارض الرئيس مبارك لأنه لم يأخذه

(١) العربى، عدد ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣.

(٢) العربى، عدد ٢ إبريل ٢٠٠٦.

مستشارا له سعت جريدة الفجر إلى هيكل لتسأله من أجل أن ترد على هذا الإتهام[1] سألت الجريدة هيكل بشكل مباشر عن هذا الإتهام، وأجاب هيكل على ذلك من خلال ثلاثة محاور، الأول أن محاولة تشويه أحد بالهجوم عليه موضة قديمة، لأن الهجوم يرفع الشخص ولا يشوهه، والثانى أن فترة حكم مبارك كان هيكل متفرغا للكتابة والتأليف ولم يكن لديه الوقت والرغبة فى أن يكون مستشارا لرئيس أو غيره، والثالث أنه لم يكن من مصلحة هيكل أن يعمل مستشارا لأن دور النشر كانت ستمتنع عن نشر كتب لشخص يعمل مستشارا للرئيس.

- وعندما أقامت الأهرام إحتفالا بمرور ١٣٥ عاما على إنشائها، لم تدعو هيكل إلى هذا الإحتفال، وهو ما اعتبرته الصحف الخاصة والحزبية إهانة لا تليق بهيكل، وذهب الباحث إليه فى برقاش، كانت الفكرة أن يحكى هيكل قصته مع الأهرام، وهى القصة التى نشرتها جريدة الفجر[2]، لكن هيكل تحفظ أن تنسب القصة له، وأصر على أن تكتب على لسان المحرر، وهو ما استجاب له الباحث، ونشر تقريرا هيكل مصدره الوحيد لكن دون أن ينسبه إليه.

ووصل الحال بالصحف الخاصة إلى أنها جعلت من هيكل شرعيتها المهنية، وبدا هذا بوضوح فى جريدة الفجر[3] ففى العدد الأول أشار عادل حمودة إلى أن هيكل يملك سر الفجر، حيث أشار هيكل إلى ميزة عادل حمودة وهى أنه يحمل سؤاله معه أينما ذهب، والواقع أنه إذا كان السؤال هو جوهر الفلسفة فهو أيضا صميم مهنة الصحافة فى آخر طبعاتها، فالصحافة خصوصا فى الغرب «أمريكا وإنجلترا» تتجه فى معظمها إلى ما يسمونه مدرسة الصحافة السائلة أو المحققة، وهى مدرسة تؤمن أن الصحافة سؤال، وهذا صحيح إلى أبعد

(١) جريدة الفجر، عدد ١٩ سبتمبر ٢٠٠٥.

(٢) محمد الباز، الذين منعوا هيكل من دخول الأهرام، جريدة الفجر، عدد ١١ ديسمبر ٢٠٠٦.

(٣) عادل حمودة، هيكل يكشف سر لفجر، جريدة الفجر، العدد الأول، فى ٤ يونيو ٢٠٠٥.

حد، والصحيح قبله أن الحياة سؤال، وأن الفلسفة سؤال، وأن الحقيقة سؤال، أما الإجابات فهى إجتهادات، بعضها يصل إلى هدفه وبعضها سهام تطيش فى الفضاء.

ويقول **عادل حمودة**: كانت تلك الشهادة الراقية من صحفى اخترق خواجز الصوت على شعاع الضوء هى القاعدة الصحفية التى أسسنا عليها صحيفة الفجر، أن تكشف كل الحقائق على الصفحات، أن تصل بالقارئ إلى بر المعرفة، ليكون رأيا صحيحا بعيدا عن التضليل والصخب ورغاوى الزبد الذى لا يمكث فى الأرض ولا ينفع الناس.

إستفادت صحافة الإثارة السياسية من هيكل بقدر ما استفاد هو منها، لقد كان هيكل بالنسبة لها مثل تميمة الحظ، بل إنه كان نجم غلافها فلم يكن هناك تصريح ولا خبر ولا حوار ولا تقرير يكون هيكل طرفا فيه إلا وتجعل منه صحف الإثارة عنوانا على صفحتها الأولى، لإدراكها أنه سيساهم فى بيع الجريدة وزيادة توزيعها.

ثانيا: شخصية جمال مبارك

قد لا يكون من الدقيق أن يتعامل الباحث مع شخصية جمال مبارك على أنه شخصية أسطورية، لكن ذلك تحقق له من خلال معالجات صحافة الإثارة لكل ما يتعلق به، وتأتى أهمية جمال مبارك لهذا النمط من الصحف من زاوية أنه ظل خلال الفترة الممتدة من العام ٢٠٠٠ رمزا لفكرة سياسية أصبحت راسخة وهى فكرة التوريث.

ويحق للباحث أن يرصد هنا كيف طفت فكرة التوريث على سطح الممارسة الصحفية فى مصر، بدأت هذه الفكرة فى التداول بالتزامن مع وفاة الرئيس حافظ الأسد وتولى ابنه بشار السلطة فى سوريا من بعده.

البداية كانت من جريدة العربى[1] التى نشرت فى صفحتها الأولى صورة لبشار الأسد وأسلفها ببنط ضخم جدا كلمة واحدة وهى **الوريث**، وهى الكلمة التى التصقت بجمال

(١) العربى، عدد ١٨ يونيو ٢٠٠٠.

مبارك بعد ذلك، عبرت الجريدة عما جرى قالت: هذه الصورة أبلغ تعبير عما جرى فى سوريا العزيزة علينا جميعا، صدمة حزن شاملة مع رحيل الرئيس حافظ الأسد، وإنتقال السلطة بالوراثة إلى الرئيس بشار الأسد، ونحن نؤكد على عميق إحترامنا لذكرى الرئيس حافظ الأسد ودوره البارز فى مواجهة الإملاءات الإسرائيلية ورفضه للتفريط فى شبر من الأرض المحتلة وفى نفس الوقت نرفض بوضوح منطق توريث السلطة وتحويل الجمهوريات الملتبسة إلى ملكيات مقنعة.

لم يكن هذا هو موقف جريدة العربى مما حدث فى سوريا فى واقع الأمر، ولكنه كان موقفها مما يمكن أن يحدث فى مصر بعد ذلك، خاصة أن جمال مبارك كان خلال هذه الفترة قد بدأ اسمه يتسرب إلى الصحف والفعاليات السياسية المرتبطة بالحزب الوطنى.

المفاجأة أن جريدة العربى فى نفس العدد الذى أعلنت فيه موقفها من التوريث نشرت حوارا مع ياسين سراج الدين رئيس المجموعة الوفدية فى مجلس الشعب وكان العنوان الرئيسى للحوار هو: ياسين سراج الدين: أرشح جمال مبارك لرئاسة مصر، قال فيه: أنا شخصيا معجب بجمال مبارك لأننى تعرفت عليه عن قرب أكثر من علاء، جمال شاب ممتاز من جميع الوجوه، وأنا أوافق على أن يكون الرئيس مع إيمانه الحقيقى بالديمقراطية والإصلاح السياسى الذى نتمناه وننادى به لنخطو إلى الأمام.

على نفس الخط أجرت جريدة الأسبوع حوارا مع هيكل اشترك فيه مصطفى بكرى وعبد الرحمن الأبنودى وجمال الغيطانى ويوسف القعيد[1] جاء فيه على لسان هيكل: سمعت عن مزايا بشار ولكنى لا أستطيع قبول مبدأ توريث السلطة فى النظام الجمهورى.

كان السؤال من الأسبوع هو: هل تعتقدون أن ما جرى فى سوريا بعد رحيل الأسد يمكن أن يحدث فى مصر؟

وكانت إجابة هيكل: لقد كان الرئيس مبارك واضحا فى قضية الخلافة فأراح

(١) الأسبوع، عدد ٢٦ يونيو ٢٠٠٦.

واستراح، ولم يكن حديثه مع الصحيفة الأسبانية هو الأول الذى حدد فيه موقفه الواضح من هذا الشأن، فقد سبق أن أكد نفس الموقف من قبل، وفى إعتقادى أن الرئيس أراد أن يوصل رسالة بعينها إلى الناس، وقد عرفنا جميعا بعد ذلك أن السؤال عن الخلافة لم يكن فى ذهن الصحفية الأسبانية التى جاءت لإجراء حوار عادى مع الرئيس قبيل زيارته لأسبانيا، ولم يكن صحيحا أن أحد مستشارى الرئيس طلب منها عدم توجيه هذا السؤال إلى الرئيس، ولكن مبارك أراد توصيل الرسالة واعتقد أنه أصاب فى التوقيت وأحسن فى التعبير عن نفسه، فقال ببساطة ووضوح: نحن لدينا نظام جمهورى له دستوره وله منطقه، ومن ثم فالأمر لا يحتاج إلى مزايدة بعد ذلك فرسالة الرئيس واضحة.

هنا كان يجب أن يغلق ملف التوريث أو ما أطلق عليه هيكل حتى هذه اللحظة الخلافة، لكن صحافة الإثارة السياسية جعلت من جمال مبارك شخصيتها المحورية التى تتحرك حولها، ويمكن هنا الفصل بين نمطين من المعالجة لشخصية جمال مبارك، ليوضح الباحث من خلالها كيف تم إستخدام شخصية جمال مبارك فى نمط الإثارة، لقد تم تخليق الشخصية على يد الصحافة المثيرة وبعد ذلك أصبح واقعا.

ويتبنى الباحث فى هذا الإطار رؤية تقوم على أن الصحف الخاصة والصحف الحزبية هى التى أضافت إلى قوة جمال الطبيعية قوة جعلت منه شخصية أسطورية يستطيع أن يغير وجه الحياة فى مصر بإشارة واحدة منه.

النمط الأول الذى تعرض لجمال مبارك كان هادئا إعتبره شخصية سياسية فاعلة وعلى الصحف متابعة أخباره ونشاطه، ويظهر هذا النمط فى صحف الأسبوع وصوت الأمة والفجر وذلك كالآتى:

تعاملت صوت الأمة مع جمال مبارك بحرص شديد فلم تكن تتعرض لدوره السياسى بالنقد بل إكتفت بالرصد، كتب عادل حمودة من واشنطن[1]، عن رحلة جمال

(١) صوت الأمة، عدد ٣٠ يونيو ٢٠٠٣.

مبارك التى تحدث فيها عن طموحه السياسى، ونقل عادل حمودة ما قاله جمال فى واشنطن خلال حديثه على غداء عمل قال: الناس تتحدث فى أمر مستقبلى السياسى وتثير هذا الموضوع، أنا أتحمل مسئوليتى كأمين للجنة السياسات فى الحزب الوطنى، إننى ومجموعة من شباب مصر نعمل بإستمرار على زيادة أعدادهم، نحاول أن نلعب دورا فعالا فى تشكيل صورة مصر فى المستقبل، أما فيما يتعلق بطموحى السياسى فأنا راض بما أفعل الآن، أمامنا طريق طويل فيما يتعلق بمسئوليتنا فى الحزب وقدراتنا داخل المجتمع المدنى للمشاركة فى تحقيق الأهداف المصرية.

وتعود صوت الأمة بعد ذلك لتعتبر أن خرافة توريث السلطة فى مصر إنتهت[1] واستندت فى ذلك إلى تصريحات الرئيس فقد قال لمحررة الواشنطن بوست فى مارس ٢٠٠١ : إبنى لن يكون الرئيس القادم ..انسوا ذلك، ثم قال فى حديث إذاعى فى يناير ٢٠٠٤: توريث الحكم كلام فارغ ..لقد ألفوا كلمة توريث الحكم هذه وصدقوها، ونقلت الجريدة كذلك تصريح جمال مبارك فى الجامعة الأمريكية حيث قال: موضوع الحكم ليس فى ذهنى.

وعلقت الجريدة على ذلك بأنه هكذا حسم الرئيس مبارك ما يشاع فى المجالس والصالونات، وأكد مرة أخرى فى بداية عام جديد أن مصر دولة يسودها القانون ويحكمها الدستور، ولا يجوز أن تكون عرضة لمثل هذه الأمور ولو من باب الشائعات التى تكاد تصل من كثرة ترديدها إلى مستوى الحقائق.

بدأ اسم جمال مبارك يوضع فى جمل مفيدة كثيرة، حتى لو لم يكن هو الفاعل الأساسى بالنسبة للصحيفة، فعند الإشارة إلى مسئولين كبار فى الحزب الوطنى تتم تسميتهم بـ«مجموعة جمال مبارك»[2] ، وعند الإشارة إلى أى تغيير وزارى يصبح جمال مبارك المحرك

(١) صوت الأمة، عدد ٥ يناير ٢٠٠٤.

(٢) صوت الأمة، عدد ١٩يناير ٢٠٠٤.

الأساسى للتغيير.

وهنا يمكن أن يضع الباحث يده على أحد مظاهر الإثارة وهو عدم التطابق بين عنوان الصفحة الأولى والمضمون الذى تقدمه فى الداخل.

كتبت صوت الأمة[1] عنوانا فى الصفحة الأولى على ستة أعمدة جعلت منه عنوانها الرئيسى نصه: جمال مبارك ..ولغز الإطاحة بالوزراء الكبار فى حكومة عبيد، وهو ما يوحى أن لجمال مبارك علاقة وثيقة بالتغيير الوزارى، بل هو قادر على الإطاحة بالوزراء الكبار، لكن المقال الذى يحمل هذا العنوان وكتبه نبيل عمر يتغير به العنوان قليلا ليصبح: جمال مبارك وحكاية التغيير الوزارى القادم فى مصر، ويشير الكاتب إلى أن هناك إستنتاج بإمكانية تكليف جمال مبارك برئاسة الوزراء، وذلك لأن هذا التكليف هو السبيل الوحيد لتنفيذ برامج الإصلاح التى عملت عليها لجنة السياسات لوقت طويل، لكن نبيل عمر يرى أن إستنتاج تكليف جمال مبارك خائب لأسباب كثيرة ويقع فى نفس الفخ القديم لتوريث الحكم.

ظلت صوت الأمة تتعامل بحياد مع توريث الحكم ورمزه جمال مبارك، وعندما نشرت مجلة «نيوزويك الأمريكية » تقريرا عن جمال مبارك، علقت عليه الجريدة بعنوان فى الصفحة الأولى[2] فيه بعض من الإلتباس وهو أزمة جمال مبارك ومستقبل الحكم فى مصر، وينقل عادل حمودة عن التقرير الأمريكى ما قاله عن جمال من أنه شاب وسيم ولبق عمل فى قطاع الإستثمارات البنكية وعاش فى لندن أربع سنوات، واكتسب سمعة طيبة بأنه من التكنوقراط المتعاطفين مع قطاع الأعمال، حتى مع وصوله إلى المراكز العليا فى صفوف الحزب الوطنى.

ويضيف التقرير أن مهمة جمال تتمثل فى تحديث الحزب وجعله أكثر قبولا لدى

(١) صوت الأمة، عدد ٧ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) صوت الأمة، عدد ٢١ يونيو ٢٠٠٤.

الشباب المصرى ، لقد جلب أكاديمين شبانا إلى الجناح التقليدى داخل الحزب، وتعهد برفع مستوى التعليم والصحة.

وهنا تبرز أزمة جمال مبارك فى أن بعض قدامى الحزب مستاءون من دوره المتنامى، وربما من أفكاره، وقد أجبرته التكهنات المتزايدة على أنه سيخلف والده على نفى هذا الأمر مرارا، كما اضطرته إلى التقليل من ظهوره العلنى، لكن ذلك لم يقلل من حدة التكهنات نفسها، ولا سيما وأن البلاد لا تزال تفتقر إلى خليفة واضح، ولذلك فإن جمال مبارك نفسه بشكل أو بآخر يمثل المعضلة التى تعانيها مصر، وهى وجود الطاقة اللازمة للتغيير، ولكن مع إستمرار غياب القدرة على تحقيق ذلك فى الوقت نفسه.

هذه الصيغة من الكتابة عن جمال مبارك رغم أنها جاءت فى سياق نقدى لكنها كانت تضيف إليه قوة وتظهره بمنطق الرجل القوى القادر على فعل الكثير داخل النظام، جريدة الأسبوع كانت متحفظة أكثر فقد عرضت تقرير النيوزويك كما هو نصا ووضعت تعليقا عاما حول التغيير فى مصر[1] لكنها لم تتعرض لذكر جمال مبارك رغم أنها وضعت غلاف النيوزيك الذى يحمل صورة جمال مبارك ضمن عناوين الصفحة الأولى.

الأسبوع وإتساقا مع طريقتها فى الإثارة الصحفية والتى تقوم على الإيحاء للقارئ بأنها تملك أسرارا خاصة لا يملكها سواها، ولا تفعل ذلك على سبيل التوقع أو الإحتمال ولكن على سبيل الجزم، تابعت أخبار جمال مبارك وفى هذا الإطار يستعرض ثلاثة تقارير كان جمال طرفا فيها.

التقرير الأول: أشارت الأسبوع [2] إلى الصدمة ببقاء قيادات الحزب الوطنى وتراجع حلم التغيير، لكن الجريدة جزمت بأن هناك إستحداث لمنصب نائب الرئيس للخروج من الأزمة وجمال مبارك هو أبرز المرشحين له، وفى التقرير يسجل مصطفى بكرى نص

(١) الأسبوع، عدد ٢١ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) مصطفى بكرى، الأسبوع، عدد ١٦ سبتمبر ٢٠٠٢.

مواجهة بين جمال مبارك ويوسف والى الرجل القوى فى الحزب الوطنى وقتها، حيث قال له جمال: إن الناخبين بعثوا إلينا برسالة واضحة: التغيير ..التغيير..التغيير، وكان جمال يقصد بذلك إخفاق الحزب الوطنى فى الحصول على أغلبية الفائزين فى الإنتخابات حيث لم يحقق إلا نسبة لا تزيد على ٣٩٪ من مجموع الفائزين، ولولا المستقلين الذين جرى ضمهم عنوة لفقد الحزب أغلبيته التى تمكنه من تشكيل الحكومة.

التقرير الثانى: كان عنوانه فى الصفحة الأولى[1]: أخطر التفاصيل ...ماذا يجرى فى القصر الجمهورى...موقف الرئيس ..موقع عمر سليمان..أين يقف جمال؟، ويسوق مصطفى بكرى فى مقاله ثلاثة سيناريوهات مقترحة لمستقبل الحكم فى مصر هى، مبارك رئيسا وعمر سليمان نائبا للرئيس، وترشيح عمر سليمان خلفا للرئيس وجمال مبارك رئيسا للحزب الوطنى، وترشيح جمال مبارك فى فترة لاحقة تلى رئاسة عمر سليمان.

التقرير الثالث: كان عن زيارة جمال مبارك إلى واشنطن، احتل عنوان التقرير مساحة الصفحة الأولى وجاء كالتالى[2]: الإعلان جاء من واشنطن قبل القاهرة، سر الزيارة الغامضة لجمال مبارك، وفى متن التقرير إشارة إلى تفاصيل ما جرى خلال لقاءات جمال مبارك مع مسئولى الإدارة الأمريكية ، وجمال مبارك يستعرض مسيرة الإصلاح ويحدد مواقف مصر من الأزمات الراهنة فى المنطقة، ومستشار الأمن القومى الأمريكى يؤكد: الإدارة تتعرض لضغوط بسبب بطء الحكومة المصرية فى عملية الإصلاح.

وعلى هامش التقرير وردت تساؤلات يطرحها الشارع المصرى ولم يجب عليها التقرير وهى: لماذا جاء الإعلان عن الزيارة من واشنطن ولماذا أصرت مصر على سريتها؟، لماذا لم يصطحب جمال مبارك معه وفدا من المختصين وكبار المسئولين؟هل للزيارة علاقة بما يتردد عن خلافة جمال مبارك لوالده؟

(١) الأسبوع ، عدد ١١ ابريل ٢٠٠٥.
(٢) الأسبوع، عدد ٢٢ مايو ٢٠٠٦.

الإثارة فى جريدة الأسبوع ليس مصدرها الإعتماد فقط على شخصية جدلية وهى جمال مبارك، ولكنها تأتى من إصرار الجريدة على إظهار معالجاتها وهى مستندة على معلومات سرية، وصياغة ذلك فى عناوين دالة أهمها: ماذا يحدث فى القصر الجمهورى؟ورغم أن العنوان يوحى بأن الجريدة لديها ما يحدث داخل قصر الرئاسة بالتفصيل إلا أنها لا تقدم فى النهاية إلا سيناريوهات مقترحة دون أن تشير إلى من إقترحها أو أين أو كيف؟

معالجة جريدة الفجر لشخصية جمال مبارك كانت مختلفة، حيث اجتهدت فى نشر أكبر قدر من المعلومات عن جمال مبارك، وفعلت الفجر ما فعلته الصحف الأخرى حيث وضعت صورة جمال وأى معلومة عنه فى صدر صفحتها الأولى، وفى كل مرة كانت تضاف إلى صورة جمال تفاصيل وملامح جديدة تزيده قوة وثباتا فى الأرض التى يقف عليها، ومن ذلك ما يلى:

فى العدد الرابع من الفجر[(١)] طرحت الجريدة سؤالا على صفحتها الأولى كان نصه: سرور يسأل زكريا عزمى: هو جمال مبارك أدى الخدمة العسكرية؟وأشارت الجريدة إلى أن رفض الحزب الوطنى تعديل شروط المرشح لمنصب رئيس الجمهورية يأتى على خلفية ما تردد من تقارير ومقالات عن أن جمال مبارك لم يؤد الخدمة العسكرية ويحمل جنسية أجنبية إلى جوار الجنسية المصرية.

وتأكيدا على نفوذ جمال مبارك المتنامى والذى رصدته الصحافة بدقة أشارت الفجر إلى عملية جمال مبارك للقضاء على كمال الشاذلى وصفوت الشريف[(٢)]، وتشير الجريدة إلى سيناريو أمريكى تفاصيله تدور حول الموافقة على حزب للإخوان مقابل الموافقة على تمكين جمال مبارك من الوصول إلى الرئاسة[(٣)]، وجمال هو صاحب القنابل الإقتصادية

---

(١) الفجر، عدد ٢٥ يونيو ٢٠٠٥.

(٢) الفجر، عدد ٣ سبتمبر ٢٠٠٥.

(٣) الفجر، عدد ١٦ يناير، ٢٠٠٦.

فهو الذى سيرفع البنزين والبوتاجاز وسيلغى مجانية التعليم الجامعى[١] ويروى أسامة الغزالى حرب للفجر قصته مع جمال مبارك[٢] ويشير فى ثنايا القصة إلى أن النظام المصرى يحكم فى الوقت الضائع وأن أسامة الباز هو قائد عملية التوريث.

انتهجت الفجر منهج تعرية جمال مبارك واستخدمت فى ذلك معلومات موثقة وشهادات من القريبين من دائرة الحكم سواء سابقين أو حاليين، ومن ذلك ما نشرته على لسان يحيى الجمل الذى تحدث عن التحولات فى قصر الرئاسة[٣] حيث أشار إلى أن الرئيس مبارك لم يكن يملك ثمن شقتين لولديه والآن جمال يتنقل بطائرة خاصة.

وتنقل الفجر ما تنشره الصحف الأمريكية عن جمال مبارك حيث وصفته النيوزويك بأنه فرعون مصر القادم[٤]، وفى إشارة واضحة إلى أن أبناء الحكام العرب يمكن أن يغسلوا خطايا آبائهم وفى التقرير صورة لجمال مبارك، ونقلت الفجر عن مجلة الفورين بوليسى الأمريكية ما قالته عن جمال مبارك[٥] من أنه يختلف عن بقية أبناء الحكام العرب فى أنه لم يبدى إهتماما كبيرا بالسياسة فى طفولته، وعندما بدأ جمال فى الدخول إلى ساحة العمل السياسى لعب على وتر المشاعر الشعبية الرافضة لفساد بعض أفراد الحرس القديم من رجال والده.

هذه معالجات فى النهاية هادئة وإن كانت تضرب فى شرعية جمال السياسية، لكن معالجة العربى والدستور جاءت عنيفة ورافضة تماما ويمكن رصد ذلك فى الآتى:

- تقرير خطير للإيكونوميست البريطانية..فضائح سياسية تهز مصر، خطة جمال

(١) الفجر، عدد ٢٠ فبراير ٢٠٠٦.
(٢) الفجر، عدد ١٣ مارس ٢٠٠٦.
(٣) الفجر، عدد ٢٧ مارس ٢٠٠٦.
(٤) الفجر، عدد ٣ يوليو ٢٠٠٦.
(٥) الفجر، عدد ٢١ أغسطس ٢٠٠٦.

مبارك للصعود السياسى من الحزب الوطنى[1].

- لماذا لا يصدق المصريون نفى جمال مبارك لتوريث الرئاسة[2]؟

- قبل مؤتمر الحزب الوطنى بيومين..مفاجآت جمال مبارك فى غرفة التجارة الأمريكية، لم ينف ولم يؤكد نية التوريث، وعد بتغيير أكثر صرامة فى الفترة المقبلة ، ألمح إلى سيناريو لإزاحة يوسف والى، وسألوه: متى تتزوج: فقال: السؤال موجه للشخص الخطأ[3].

- حكومة جمال مبارك..إطاحة فريق يوسف والى وتوقع خروج كمال الشاذلى، خطاب إستقالة حكومة عبيد تسلمه موظف فى الرئاسة أوفده زكريا عزمى[4].

- جمال مبارك أبلغ نظيف بإختياره رئيسا للوزراء قبل رحلة ميونيخ بيوم، والعنوان الرئيسى على ستة عمود باللون الأحمر: الوضع الدستورى لنجل الرئيس[5].

- وعلى لسان صحيفة أمريكية: لماذا يرفض المصريون خلافة جمال مبارك لوالده؟وإلى جوار العنوان كاريكاتير رسمه عاصم حنفى عبارة عن صورة لجمال مبارك وعليها «لا» كبيرة[6].

لكن العربى تصعد من حملتها على جمال مبارك على خلفية أنه يقود حملة من وراء ستار لتصفية الحسابات مع المعارضين للتوريث، وكان من مظاهر هذه الحملة الهجوم على هيكل وإلغاء برنامج لإبنة نعمان جمعة[7]، وتصل ذروة الهجوم عندما تصف العربى جمال

---

(١) العربى، عدد ١٥ سبتمبر ٢٠٠٢.

(٢) العربى، عدد ١١ مايو ٢٠٠٣.

(٣) العربى، عدد ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣.

(٤) العربى، عدد ١١يوليو ٢٠٠٤.

(٥) العربى، عدد ١٨ يوليو ٢٠٠٤.

(٦) العربى، عدد ٣ أكتوبر ٢٠٠٤.

(٧) العربى، عدد ١٨ سبتمبر ٢٠٠٥.

مبارك بأنه بلطجى[1] وكان ذلك تعليقا على الإعتداء على ضياء الدين داود أثناء الإنتخابات البرلمانية فى دائرته بفارسكور، كان العنوان الرئيسى لجرية العربى هو «بلطجة جمال مبارك»، وأكدت الجريدة أن أحمد عز هو رجل العمليات القذرة فى لجنة السياسات وراء مهزلة فارسكور، ولم تنس الجريدة أن تربط بين أحمد عز وجمال مبارك بإعتباره رجله الذى يأتمر بأوامره.

هنا تحديدا يمكن أن يرصد الباحث لدى صحافة الإثارة آلية مهنية قد تأتى بنتائج على عكس أهدافها لكنها تجد نفسها مصطرة إليها، لقد كانت جريدة العربى تضع أمامها هدفا واحدا وهو أن تزيح جمال مبارك وتبعده عن الرئاسة، لكنها وهى تفعل ذلك أضافت إليه صفات أسطورية جعلت منه المتحكم الأول والأقوى والوحيد فى مستقبل الحكم فى مصر، فهو الذى يعين الوزراء وهو الذى يعزلهم، وهو الذى يضع السياسات التى تنفذها الحكومة، بل هو الذى يأخذ القرارات نيابة عنها، وقد أفادت هذه الصفات جمال مبارك، حتى عندما وصفت الجريدة أعمال جمال مبارك بأنها بلطجة جعلت منه الرجل القوى الباطش الذى لا يتسامح مع خصومه ومعارضيه، وعندما نضع هذه الصفات أمام شعب يقدس الفرعون ويعبده فإن الهجوم على جمال مبارك قربه من الناس ولم يبعده عنهم.

بقى أمام الباحث آلية واحدة انتهجتها الصحافة المعارضة لجمال مبارك وهى الضرب فى شرعيته لتولى الحكم بشكل مطلق ، ساقت الدستور سؤالا شفعته بعنوان تمهيدى يقول: من فضلك تكلم الآن فلم يعد الصمت ممكنا وكان السؤال: هل يحمل جمال مبارك الجنسية البريطانية[2]؟

وفى التقرير الذى يحمل العنوان جاء أن المعلومات المتوفرة فى غاية الخطورة لأنها تعنى أن ابن الرئيس يحمل جنسية أخرى بينما شعب الرئيس لا يعرف وتعتمد تلك المعلومات

(١) العربى، عدد ١١ ديسمبر ٢٠٠٥.

(٢) الدستور، عدد ١٥ يونيو ٢٠٠٥.

على وجود جمال مبارك فى لندن ما يقرب من عشر سنوات عمل خلالها فى أحد البنوك الكبرى، فضلا عن ذلك فقد انتقلت له الجنسية عن طريق والدته سوزان مبارك التى تتمتع بالجنسية البريطانية بسبب والدتها الممرضة البريطانية التى تزوجت طبيب مصرى مغترب فى بريطانيا.

لا تفصح الجريدة عن مصادرها فى هذه المعلومات، ولذلك صاغت ما لديها فى سؤال طالبت جمال مبارك أن يجيب عنه بعد ذلك، وهو تكنيك تلجأ إليه صحف الإثارة، فقد تكون لديها معلومات لا تستطيع أن تفصح عنها أو تنسبها إلى مصادرها فتصيغ ما لديها فى سؤال حتى تبرئ نفسها أو تبعد نفسها عن التورط فيها إذا كانت هذه المعلومات صحيحة أم خطأ.

إعتمدت الدستور بعد ذلك على التشكيك فى كل ما يتعلق بجمال مبارك أو يصدر عنه من تصريحات أو قرارات ويمكن للباحث أن يصدر ذلك من خلال عناوين الصفحة الأولى التى كانت تتصدر الصفحات الأولى فى الدستور على النحو الآتى:

- جار الله: مبارك صرح بأن إبنه جمال سوف يرشح نفسه للرئاسة ثم تراجع[١].
- مجلة أمريكية: جمال مبارك يملك شركة ب٦٠٠ مليون جنيه[٢].
- مجلة أجنبية تكشف علاقة حسام أبو الفتوح وتوكيل bmw بشركة جمال مبارك[٣].
- خالد جمال عبد الناصر: هذا رأيى بصراحة فى جمال حسنى مبارك[٤].
- من يوقف جمال مبارك عند حده[٥]؟

(١) الدستور، عدد ١٨ مايو ٢٠٠٥.
(٢) الدستور، عدد ٨ يونيو ٢٠٠٥.
(٣) الدستور، عدد ٢٩ يونيو ٢٠٠٥.
(٤) الدستور، عدد ٢٧ يوليو ٢٠٠٥.
(٥) الدستور، عدد ١٤ سبتمبر ٢٠٠٥.

- التضحية بالرووس الكبيرة وإتهامها بالفساد لتمهيد الطريق أمام جمال مبارك[1].

- إذا جاء جمال مبارك للحكم...سيأتى ميليس للتحقيق فى مصر[2].

- ما الفرق بين بشار الأسد وجمال مبارك[3]؟

- هل يقود جمال مبارك تصفية صفوت الشريف بتفجير قضية فساد عبد الرحمن حافظ وإيهاب طلعت[4]؟

- جمال مبارك يقرر: هلال بديلا عن صفوت الشريف فى الحزب الوطنى وأحمد عز مكان الشاذلى[5].

ورغم الصخب الذى يبدو فى عناوين الدستور الخاصة بجمال مبارك، ورغم أنها كانت تجعل منه عاملا من عوامل بيعها وزيادة توزيعها إلا أن إقتراب الجريدة تم بحذر من جمال مبارك وأنشطته، فقد أسندت الجريدة العلومات عن ثروته ونشاطه الإقتصادى إلى مصادر أجنبية قامت بالترجمة عنها، وهو ما يعنى أنها مجرد ناقل وليست مسئولة بشكل كامل عن صحة ودقة هذه المعلومات.

كما أن الجريدة لجأت إلى صيغة السؤال فى كثير من مواضع تعرضها لجمال، حيث صاغت ما أرادت أن تمرره من معلومات ترى أنها لن تكون قادرة على إثباتها إلى صيغة السؤال، وهى صيغة تحمى الصحافة من الوقوع فى الزلل، فهى فى الغالب لا تملك إجابة على السؤال، ولذلك تكتفى بطرحه وتطلب ممن وجهت له السؤال أن يجيب عنه أو تسوق بعض الإحتمالات للإجابة وهى إحتمالات لا يمكن أن تكون فيها الإجابة الصحيحة.

(١) الدستور، عدد ٢١ سبتمبر ٢٠٠٥.

(٢) الدستور، عدد ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٥.

(٣) الدستور، عدد ١٦ نوفمبر ٢٠٠٥.

(٤) الدستور، عدد ١٤ ديسمبر ٢٠٠٥.

(٥) الدستور، عدد ٢٥ يناير ٢٠٠٦.

لكن الأثر الذى تركته معالجات الدستور لشئون جمال مبارك يصب فى النهاية بصلحته السياسية لدى الشعب المصرى الذى يعبد الأقوياء ويقدس الألهة، ولم تفعل الدستور مع جمال مبارك أكثر من ذلك، حيث صدرته لقراءها على أنه الرجل القوى، صحيح أنها تعارضه وتقف فى طريقه لكنه فى النهاية رجل قوى.

المفارقة أن صحافة الإثارة السياسية ربطت بين هيكل وجمال مبارك، فعلت ذلك مجلة روزاليوسف[1] حيث نسبت إلى هيكل ما قاله من أن كلام جمال مبارك عاقل وهجوم الصحافة عليه ليس له مبرر، حيث أثبت عبد الله كمال ما قاله هيكل فى حوار له مع جريدة الأسبوع فى ٣١ يناير ٢٠٠٦، حيث قال: أنا على استعداد لتصديق كلام جمال مبارك الذى يفيد أن الصحافة وبأمانة ضغطت عليه أكثر من اللازم فى هذا الموضوع بالتحديد، فإستهداف شخص بهذه الطريقة ليس له مبرر وإذا كان جمال يقول أنه لا نية له، فأنا على إستعداد أن أقبل هذا الكلام، وإذا كانت لديه همة فى العمل العام فليس لدى مانع، لكننى أعتقد أن ظهوره على المسرح العام أسيئ إخراجه.

يجمع بين هيكل وجمال مبارك فى هذا السياق إذن أن صحافة الإثارة ظلت تغذى فى صنع أسطوريتهما ولما اكتملت الإثارة أصبحا من بين العناصر التى تعتمد عليها هذه الصحف فى رفع توزيعها وجذب القراء إليها.

■ ■ ■

[1]) روزاليوسف، عدد ٨ إبريل ٢٠٠٦.

الإثارة بالهجوم على رموز النظام

أدركت صحافة الإثارة الحزبية فى عصر الرئيس السادات أنها لا يمكن أن تصل بسقف معارضتها إلى شخص الرئيس، فقررت أن تهبط بالسقف إلى رموز النظام الحاكم، وسار الأمر وكأن هذه الآلية متفق عليها بين الصحافة والنظام حتى فى عصر الرئيس مبارك وتحديدا قبل العام ٢٠٠٠، حيث ظل الرئيس خطا أحمرا لا يمكن لأحد أن يقترب منه، بينما يظهر المسئولون الكبار على صفحات الصحف الحزبية ليس من باب النقد السياسى فقط ولكن من باب الإتهام بالفساد.

ويرصد الباحث أن جريدة الأحرار هى التى بدأت بآلية الهجوم على رجال النظام[١]، حيث كان مانشيت العدد الأول حول كارثة القطن وأخطار المبيدات التى تم إستخدامها فى رش المحصول فأثرت على الفلاحين ومواشيهم، كانت لدى الجريدة المعلومات الكافية عن الكارثة لكنها لم ترد أن تشتبك بنفسها مع الحكومة.

كان الحل هو أن يقوم أحد أعضاء مجلس الشعب عن حزب الأحرار بإثارة القضية أمام مجلس الشعب، ثم تستند الجريدة على ذلك فى إثارتها للموضوع.

كانت عناوين التحقيق على الصفحة الأولى كالتالى: استجواب ممدوح سالم...رئيس الوزراء متهم بالإهمال وإخفاء كارثة القطن..وزارة الزراعة اصطنعت تقارير مزورة لمحصول هذا العام..فلاحون ماتوا مع مواشيهم بسبب سوء الرش وإهمال وزارة الصحة.

كانت عناوين الأحرار فى هذا الوقت مثل الثورة فى تعامل الصحف مع النظام، فقد ظلت الصحف منذ الثورة لا تستطيع أن تقترب من المسئولين التنفيذيين حتى لو كانت مواقعهم صغيرة، ومرة واحدة ترفع الأحرار سقف المعارضة إلى رئيس الوزراء والوزراء، وهو ما رسخ لمبدأ الإثارة من خلال معارضة رموز النظام.

(١) الأحرار، العدد الأول، ١٤ نوفمبر ١٩٧٧.

دأبت الصحف الحزبية بعد ذلك أن تكشف أسرار الحكومة والوزراء، ولا تستسلم لما تذيعه الصحف الحكومية ومن ذلك نشر جريدة الأهالى[1] للقصة الحقيقية لإقالة رئيس الوزراء كمال حسن على رغم أن الصحف الحكومية أشارت إلى أن رئيس الوزراء إستقال، كانت عناوين الأهالى الأساسية فى الصفحة الأولى: الأسباب الحقيقية لإقالة كمال حسن على.

ويكتب حسين عبد الرازق أن التغيير الوزراى لم يكن مفاجأة للرأى العام والقوى السياسية فحسب، بل كان مفاجأة لرئيس الوزراء السابق كمال حسن على نفسه الذى أقيل عمليا وإن كانت إقالته تمت على شكل الإستقالة.

وحتى يؤكد عبد الرازق تحليله بأن ما حدث كان إقالة ولم يكن إستقالة سرد للقارئ تفاصيل وأسرار ما حدث يقول: حتى الساعة الثانية والنصف ظهر يوم الأربعاء ٤ سبتمبر ١٩٨٥، لم تكن قضية الإستقالة واردة، ولكن كمال حسن على فهم بعد إتصال تليفونى مع رئيس الجمهورية عرض عليه خلاله بعض المشاكل والقضايا، أن الرئيس قد اتخذ قرارا بإختيار رئيس جديد للوزارة، وعليه قرر كمال حسن على تقديم إستقالته نزولا على رغبة الرئيس، الذى كان قد إختار بنفسه شخص رئيس الوزراء الجديد، وأرسل يستدعيه من رحلته فى الولايات المتحدة الأمريكية، وعهد إليه سرا بالبدء فى التفكير فى هيكل الوزراة الجديدة قبل إستقالة كمال حسن على بيومين.

ويستند حسين عبد الرازق إلى مصادر لم يفصح عنها، مشيرا إلى أن هذه المصادر قالت أن هذا القرار وصل إلى رئيس الوزراء من بعض المقربين منه صباح الأربعاء وكان وراء مبادرته بالإتصال برئيس الجمهورية ليشكو له من بعض المشاكل ليتأكد من الموقف ففوجى بأن الرئيس يدعوه تقريبا إلى الإستقالة فقدمها فى نفس اليوم بعد ساعات قليلة.

لم تقتصر مواجهات الصحف الحزبية مع الحكومة على إذاعة الأسرار والأخبار التى لا

(١) الأهالى، عدد ١١ سبتمبر ١٩٨٥.

تنشرها الصحف الحكومية ويكون من الصعب الإقتراب منها، ولكنها دخلت فى مواجهات كشفت من خلالها فساد الحكومة وإنحرافها وتدنى أداءها ومن ذلك:

- مواجهة الأهالى مع وزارة الداخلية[1] من خلال كشف **فضيحة تجسس أمن الدولة على مقرات الأحزاب المصرية**، كان مانشيت الصفحة الأولى يقول: **فضيحة تجسس: تقارير أمن الدولة عن أحزاب المعارضة، وعززت الجريدة تقريرها الداخلى بعناوين دالة: فضيحة جديدة لحكومة الحزب الوطنى ...ووترجيت مصر..بالوثائق والأدلة..المباحث تقول: عملاؤنا مزروعون فى كل الأحزاب حتى دورات المياه، قسم خاص لمراقبة أحزاب الأحرار والعمل والتجمع والوفد فى مباحث أمن الدولة برئاسة مقدم..مباحث أمن الدولة تنتهك الدستور والقانون وتتجسس على أحزاب المعارضة فى مصر.**

- مواجهة الأهالى مع وزارة الدفاع[2] فتحت عنوان احتل الأعمدة الثمانية فى الصفحة الأولى وباللون الأحمر كتبت الأهالى: المخابرات الأمريكية تتسلل إلى مراكز الأمن المصرى، وكان المانشيت ترجمة للمقال الذى كتبه حسين عبد الرازق تحت عنوان: أبو غزالة يدافع عن العلاقات الخاصة والمناورات المشتركة مع أمريكا، ويعتبر هذا الخطاب شديد اللهجة مع وزير الحربية الذى يعتبر هو والجيش منطقة محرمة لا يمكن لأحد الإقتراب منها مطلقا.

كانت مواجهة حسين عبد الرازق للمشير أبو غزالة إنطلاقا من تصريح أدلى به أبو غزالة لجريدة مايو الصادرة عن الحزب الوطنى، دافع فيه عن الولايات المتحدة والمناورات العسكرية المشتركة معها، وقد فند هذا التصريح من خلال ثلاثة حقائق هى:

الحقيقة الأولى: أن الصديق الأمريكى جند كل جهاز وآلة الحرب الأمريكية والأطلنطية لتوجيه ضربة نافذة لسيادة وكرامة مصر وأمنها وشعبها وحكامها، وأن ريجان

(١) الأهالى، عدد ٢٦ فبراير ١٩٨٦.

(٢) الأهالى، عدد ٢٣ أكتوبر ١٩٨٥.

شخصيا وكبار معاونيه والقادة العسكريين خططوا لضرب الطائرة المصرية.

الحقيقة الثانية: أن عملية الطائرة كشفت مدى إختراق الولايات المتحدة الأمريكية للأجهزة المصرية، حتى أكثرها حساسية، وتسللها إلى كل المواقع التى تتعلق بالأمن القومى.

الحقيقة الثالثة: تتعلق بإتفاق كافة مراكز الدراسات الإستراتيجية والعسكرية والباحثين الجادين على أن هناك أهدافا سياسية وإقتصادية وراء تزويد بلاد العالم الثالث بالأسلحة الأمريكية تتنافى مع مصالح هذه البلاد وأهدافها.

ويختم حسين عبد الرازق مقاله بسؤال هو: أليس من حقى أن أجزع أمام هذه الحقائق الثلاث عندما يدلى المشير أبو غزالة بهذه التصريحات فى هذا التوقيت بالذات.

هذه المواجهات بين الصحف ورموز النظام كانت بمثابة المبدأ الذى أرسته الصحف الحزبية فى تعاملها مع المسئولين الكبار، وقد بدا هذا واضحا بعد ذلك فى الممارسات المهنية لصحف الإثارة سواء كانت صحف حزبية أو خاصة ولذلك نماذج عديدة من خلال عناوين الصحف الرئيسية ويمكن للباحث أن يفصلها على النحو التالى:

أولا: جريدة الشعب :

- إذا بقى والى ستنهار آمال الإصلاح...وإذا ظن الناس أن التغيير مجرد كلام فاحذروا إنفجارهم...الله أكبر: شعار العبور..وشعار أية مواجهة للظلم والفساد[1].

- تم الإفراج ولكن لم تنته القضية فما زلنا نطلب إقالة والى...نص حيثيات الحكم التاريخى لمحكمة النقض فى محكمة والى: انتفت الجدية فى المحاكمة وانغلق باب الدفاع فى وجه طارقه بغير حق...وهو ما تأباه العدالة أشد الإباء[2].

- وزير العدل يحطم هيبة القضاء من أجل عيون يوسف والى...والى جاء إلى المحكمة

(١) عادل حسين، جريدة الشعب، عدد ٨ أكتوبر ١٩٩٩.

(٢) الشعب، عدد ١٠ ديسمبر ١٩٩٩.

وأختبأ بالجراج ثم نصحوه بالإنسحاب ..هذه هى تفاصيل خطة والى – سيف النصر لضرب جريدة الشعب[1].

– مؤامرة والى لتحويل الإتهام إلى سب لإهدار الوقائع والمستندات والشهود لإنهاء المحاكمة سريعا[2].

– استجواب والى أمام محكمة الجنايات...مجدى حسين يواجه والى: لهذه الأسباب وبهذه المستندات إتهمناك بالخيانة والقتل...والى يعجز عن الرد ويهرب من المواجهة ويلتزم الصمت..أنت مسئول عن تسميم تلاميذ المدارس بالبسكويت المهندس وراثيا..ما هى علاقتك بالوكالة اليهودية؟...استخدمت ٣٢ مبيدا ساما..وأطعمتنا لحوما ملوثة وكافأت من أطعمنا هذه اللحوم، لماذا لا تبلغ وزارة الخارجية المصرية بإتفاقاتك مع إسرائيل؟...المحكمة ترفض توجيه ٩٩٪ من الأسئلة إلى والى[3].

– تمت بالمخالفة للدستور ولحكم محكمة النقض: شهادة والى باطلة...الشهادة تمت فى جلسة سرية..نائب رئيس الوزراء لم يجب على أى سؤال فى الموضوع، الشهود يشرحون تفاصيل الجرائم المرتكبة فى حق الإنسان والأرض، السرطان والأمراض تهددكم مع البذور الإسرائيلية فى موز الوليامز والتفاح أنا والبطيخ والخوخ والبرقوق، والى أدخل ٣٩ مبيدا محرما دوليا من تل أبيب، والى استورد القمح الأمريكى الفاسد، إسرائيل صدرت لنا سوس النخيل والعفن البنى وأجهزت على الصفات الوراثية للقطن وسلالات أخرى[4].

أمام كل ما يجرى حولنا نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل....الأمة أصدرت حكمها على

(١) الشعب، عدد ١١ فبراير ٢٠٠٠.
(٢) الشعب، عدد ١٥ فبراير ٢٠٠٠.
(٣) الشعب، عدد ١٤ مارس ٢٠٠٠.
(٤) الشعب، عدد ٢٤ مارس ٢٠٠٠.

والى.وواجب الدولة تنفيذ هذا الحكم[1].

ثانيا: جريدة العربى :

- حاكموا هؤلاء أولا...وزراء الفساد...نطالب بإحالة إستجوابات الوزراء للنائب العام، والتحقيق مع عاطف عبيد فى إهدار ٤٧٢ مليار جنيه، إعتراف يوسف بطرس غالى بإهدار ٣ مليارات جنيه فى صفقة الصفدى، إتهامات موثقة بمستندات النيابة تدين فاروق حسنى، إتهامات لسليمان متولى وطلعت حماد فى صفقة بيع المحمول لساويرس[2].

- ممدوح قناوى: كمال الشاذلى مسئول عن الفساد السياسى وقتل الأحزاب[3].

- نهاية عصر يوسف والى...معتكف فى بيته وينتظر أمر الإستقالة من الرئيس مبارك، توقعات بإستبعاده من الحزب الوطنى وصعود جمال مبارك، بالوثائق: موافقة والى على إستيراد ١٠٠ ألف طن مبيدات مسرطنة، مفاجأة الإتصال الأخير بين يوسف والى وهتلر طنطاوى، جهة أمنية سيادية أعدت ملف عبد الرحمن وسلمته للرقابة الإدارية، أسرار إستيلاء عائلة عبد الرحمن على فيللا الخاصة الملكية[4].

- لغز أبناء فتحى سرور فى ملف حسام أبو الفتوح، لماذا لا تحقق نيابة الأموال العامة مع أسرة رئيس مجلس الشعب[5]؟

- قبل أزمته الصحية...نص توبيخ الرئيس مبارك لعاطف عبيد، فضائح وزراء الحزب الوطنى فى تحقيقات النيابة مع لصوص الآثار[6].

---

(١) الشعب، عدد ٤ إبريل ٢٠٠٠.

(٢) العربى، عدد ١٧ يونيو ٢٠٠١.

(٣) العربى، عدد ٢٦ أغسطس ٢٠٠١.

(٤) العربى، عدد ١ سبتمبر ٢٠٠٢.

(٥) العربى، عدد ٢٤ مايو ٢٠٠٣.

(٦) العربى، عدد ١٨ مايو ٢٠٠٣.

- من يحمى وزير الإسكان؟..الدور الغامض لفتحى سرور فى صراع إبراهيم سليمان وممدوح حمزة، سكوتلاندريارد تتعهد بحماية الواشى المصرى وحمزة يقول: أنا برئ مليون فى المائة، حقيقة تقتيش مكتب الوزرير ومنعه من مغادرة مارينا[1].

- نضعها على مكتب الرئيس..بالوثائق: فضائح تخصيص الأراضى فى وزارة إبراهيم سليمان[2].

ثالثا: جريدة الأسبوع :

- قريبا..انتظروا سقوط سمير رجب ، رئاسة الجمهورية تطلب شريط فيديو حفل حريتى والأجهزة الرقابية تؤكد: الشارع غاضب من تصرفاته، حراسته الشهرية تتكلف ٨٠ ألف جنيه، ١٥ سيارة مخصصة له ولأسرته من مؤسسة التحرير، بدل السفر اليومى ١٥٠٠ دولار، ابنته تتقاضى ٥ آلاف جنيه من الصندوق الإجتماعى وزوجها ١٧ ألفا من ساويرس[3].

- القصة الكاملة لسقوط الذراع الأيمن ليوسف والى، علاقة جنسية ومليون جنيه رشوة مقابل إدخال مبيدات تصيب بالسرطان[4].

- فضيحة العصر..منهوبة يا مصر، معلومات عن إستدعاء يوسف والى للتحقيق والوزير يهدد بالإستقالة، الإعترافات والمستندات تكشف إنتشار الفساد والإضرار بمصلحة البلاد، كيف تآمرت مونيكا المصرية مع الفتى المدلل على صحة المصريين مقابل الملايين، ورجال يوسف والى المقربون..دائما فاسدون لماذا[5]؟

---

(١) العربى، عدد ٢٢ أغسطس ٢٠٠٤.

(٢) العربى، عدد ٥ سبتمبر ٢٠٠٤.

(٣) الأسبوع، عدد ١٩ أغسطس ٢٠٠٢.

(٤) الأسبوع، عدد ٢٦ أغسطس ٢٠٠٢.

(٥) الأسبوع، عدد ٢ سبتمبر ٢٠٠٢.

- سؤال يتردد: هل هناك قوة خفية تمنع تغيير يوسف والى ورجاله[(١)]؟

- كيف تمت الإطاحة بيوسف والى، ولماذا الإبقاء على كمال الشاذلى[(٢)]؟

- بالوثائق فى قضية ماهر الجندى: يوسف والى شاهد زور أمام محكمة أمن الدولة، وزير الزراعة باع أراضى الدولة بأقل ألف ضعف من السعر الطبيعى، ويتطوع للشهادة فى قضايا الفساد لنفى التهمة عن المتهمين، ويبرئ ماهر الجندى ويضع عبد الرحيم شحاته فى قفص الإتهام[(٣)].

- من إهانة المصريين إلى الخضوع لشروط أمريكا ...أقيلوه..بجوار صورة كبيرة لأحمد نظيف رئيس الوزراء[(٤)].

- قيمتها ٣٠٠ مليون جنيه وفتح الملف قريبا...بالصور: قصور إبراهيم نافع[(٥)].

رابعا: جريدة صوت الأمة:

- بالفيديو: سقوط خرافة كمال الشاذلى[(٦)].

- وزراء عاطف عبيد...وزير يضع حذاءه فى وجه الإنجليز وآخر يقضى حاجته فى الطريق وثالث يستعين بالسفير الأمريكى ورابع خريج مصحة نفسية[(٧)].

- ضجة فى مجلس الشعب: إتهام عاطف عبيد بأنه رئيس عصابة[(٨)].

---

(١) الأسبوع، عدد ١٦ سبتمبر ٢٠٠٢.

(٢) الأسبوع، عدد ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٢.

(٣) الأسبوع، عدد ٢٣ يونيو ٢٠٠٣.

(٤) الأسبوع، عدد ٢٣ مايو ٢٠٠٥.

(٥) الأسبوع، عدد ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥.

(٦) صوت الأمة، عدد ٦ ديسمبر ٢٠٠٠.

(٧) صوت الأمة، عدد ٣ يناير ٢٠٠١.

(٨) صوت الأمة، عدد ١١ إبريل ٢٠٠١.

- فضيحة جديدة على النيل بمستندات تظهر لأول مرة: كمال الجنزورى يخرق القانون من أجل جيوب ساويرس[(١)].

- مشروع قانون جديد لمحاكمة الوزراء فى مصر..٧ جرائم تقود الوزراء إلى السجن وحبل المشنقة[(٢)].

- نص مكالمات الرشوة والجنس والأدعية الدينية فى قضية فساد وزير[(٣)].

- اعترافات راندا الشامى بطلة فضيحة يوسف عبد الرحمن : أنا مرتشية ربما ..لكننى لست منحرفة جنسيا، انفراد: ثروته ٨٥ مليون جنيه، يدعى أنه ورث ٧ ملايين دولار من عمته الإسترالية[(٤)].

- يوسف والى يورط عاطف عبيد فى قضية الفساد الكبرى، بالأسماء: التكويش على المناصب والثروة والنساء فى مصر، شائعة الأسبوع: تفتيش بيت والى فى العجوزة ومصادرة مستنداته، راندا الشامى تشترى مجوهراتها من بروكسل، يوسف عبد الرحمن كان ينتظر الوزارة بعد أسابيع[(٥)].

- جريدة رفعت السعيد: كمال الشاذلى كفاية عليه كده[(٦)].

- الجولة الأولى فى صراع الكبار: نهاية يوسف والى وصعود صفوت الشريف وتجريد كمال الشاذلى من قوته[(٧)].

(١) صوت الأمة، عدد ٢٥ مايو ٢٠٠٢.
(٢) صوت الأمة، عدد ٦ مايو ٢٠٠٢.
(٣) صوت الأمة، عدد ١٣ مايو ٢٠٠٢.
(٤) صوت الأمة، عدد ٢ سبتمبر ٢٠٠٢.
(٥) صوت الأمة، عدد ٩ سبتمبر ٢٠٠٢.
(٦) صوت الأمة، عدد ١٦ سبتمبر ٢٠٠٢.
(٧) صوت الأمة، عدد ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٢.

- نصوص مكالمات الجنس والرشوة فى قضية يوسف وراندا[١].

- عبيد ..اذهب إلى الجحيم...go to hell[٢].

- حاكموا عاطف عبيد قبل إقالته...شاب يهدد بحرق نفسه أمام مجلس الوزراء[٣].

- الأسطورة على وشك الإنهيار...رقصة كمال الشاذلى الأخيرة[٤].

خامسا: جريدة الدستور

- إذا كان معارضا هكذا...لماذا لا يستقيل زكريا عزمى من الحزب الوطنى[٥]؟

- متى يتولى وزارة الداخلية رجل يفهم فى السياسة؟...الفرق بين تعلب صفوت الشريف ودبة أنس الفقى، الحكومة أم المعارضة ...من هو الذى ينشر الغسيل الوسخ فى الخارج[٦]؟

- زكريا عزمى يؤكد: سرور والشاذلى سبب كراهية الناس للنظام[٧].

- غار..أخيرا تخلصنا من سمير رجب، هزيمة صفوت الشريف بالضربة القاضية[٨].

- إتهامات الشذوذ الجنسى لرجال السياسة والدولة فى مصر[٩].

- هل فضح زكى بدر فى مذكراته المحفوظة داخل خزينة فى قطر رجال حكم

(١) صوت الأمة، عدد ٧ أكتوبر ٢٠٠٢.
(٢) صوت الأمة، عدد ٥ مايو ٢٠٠٣.
(٣) صوت الأمة، عدد ٨ سبتمبر ٢٠٠٣.
(٤) صوت الأمة، عدد ١٣ يونيو ٢٠٠٥.
(٥) الدستور، عدد ٦ إبريل ٢٠٠٥.
(٦) الدستور، عدد ١ يونيو ٢٠٠٥.
(٧) الدستور، عدد ٢٢ يونيو ٢٠٠٥.
(٨) الدستور، عدد ٦ يوليو ٢٠٠٥.
(٩) الدستور، عدد ٥ أكتوبر ٢٠٠٥.

مبارك[1]؟

- حزب الفساد والإستبداد ونهب البلد...حزب الفشل السياسى والفشل الكلوى والسرطان والمبيدات وفيروس سى والبطالة والفقر الذكر، حزب المنافقين والمتفعين والمصفقين، حزب التزوير والتقفيل والتسويد...يسقط الحزب الوطنى[2].

- الإخوان ينشرون ملف التحقيق مع صفوت الشريف فى قضية الإنحرافات الكبرى[3].

سادسا: جريدة الفجر:

- كشف أسرار الحكم فى مكالمات الوزراء الغرامية[4].

- فضائح الحكومة هذا الأسبوع: أحمد نظيف يهدم كبائن المنتزه ليحصل على كابينة مميزة...إيهاب الشريف خطفوه من سريره بالبيجامة ووزير الخارجية يكذب...أحمد شفيق يشترى لصديقه شقة فى باريس بـ ١٥ مليون جنيه على حساب مصر للطيران...منصور عامر يخدع إبراهيم سليمان ويتلاعب بأراضى الدولة فى مارينا[5].

- نهاية الديك الرومى فى مجلس الشعب[6].

- مفيش فايدة: جماعات مكافحة كمال الشاذلى فى المنوفية، مرشح الحزب الوطنى فى مطروح من عائلة مسجلة مخدرات، يوسف والى وزير السرطان لا يخجل من ترشيح

(١) الدستور، عدد ٢ نوفمبر ٢٠٠٥.

(٢) الدستور، عدد ٩ نوفمبر ٢٠٠٥.

(٣) الدستور، عدد ٤ يناير ٢٠٠٥.

(٤) الفجر، عدد ١٦ يوليو ٢٠٠٥.

(٥) الفجر، عدد ٣٠ يوليو ٢٠٠٥.

(٦) الفجر، عدد ٣ أكتوبر ٢٠٠٥، والمقصود بالديك الرومى فى العنوان هو كمال الشاذلى حيث وضعت الجريدة صورته إلى جوار العنوان على الصفحة الأولى.

نفسه، محمود محيى الدين ينتقم لأبيه من خالد محيى الدين، الحصانة تحمى إبراهيم سليمان من قضايا الفساد، أمين شرطة فى مكتب وزير الداخلية يبيع البانجو والحشيش، إعتصام سفيرة ضد الفساد فى مبنى وزارة الخارجية(١).

- متهمون فى قضية رشوة: إبراهيم سليمان تلقى أموالا من مقاول عن طريق مدير مكتبه، فضيحة فى إعلان: أيوه يا زكريا عزمى أنا باخلص فى هيئة الإستثمار(٢).

- حكومة الفساد السياسى مستمرة: خروج ١٠ وزراء ليس بينهم كمال الشاذلى، أحمد نظيف طلب من الرئيس إقالة إبراهيم سليمان، حبيب العادلى ومحمود أبو الليل على كف عفريت، إكتشاف علاقة وزير التعليم بالإخوان المسلمين، ٥٥ مليون جنيه ثروة أحمد الليثى فى إقرار الذمة المالية(٣).

- طرد إبراهيم سليمان مش كفاية...امنعوه من السفر للسعودية واكشفوا حساباته الخارجية(٤).

ثروة أحمد عز ٤٠ مليار جنيه...من أين له هذا(٥)؟

من خلال هذه النماذج يمكن للباحث أن يرصد آليات تعامل صحف الإثارة مع رموز النظام، لقد ظل رجال النظام المعاونين له يملكون حصانة من النقد والتعريض بهم فى الصحافة، لكن صحف الإثارة السياسية التى بدأت أولى خطواتها بالصحف الحزبية كسرت هذه القاعدة عندما وضعت رئيس الوزراء والوزراء فى جمل مفيدة، وكان الغرض النهائى لذلك هو تعرية النظام من خلال تعرية رجاله وضرب شرعيتهم السياسية والفنية

(١) الفجر، عدد ١٠ أكتوبر ٢٠٠٥.

(٢) الفجر، عدد ٣١ أكتوبر ٢٠٠٦.

(٣) الفجر، عدد ١٩ ديسمبر ٢٠٠٥.

(٤) الفجر، عدد ٢ يناير ٢٠٠٦.

(٥) الفجر، عدد ١٢ يونيو ٢٠٠٦.

للدرجة التى يصل معها الشارع إلى قناعة أن هؤلاء الوزراء لا يصلحون لتولى المسئولية الموكولة إليهم.

وهنا لابد من التفريق بين منطلقات الصحف الحزبية والصحف الخاصة فى تعريضها برموز النظام، فالصحف الحزبية من المفروض أنها تفعل ذلك لأنه جزء من أجندتها السياسية، فهى طرف يسعى فى النهاية إلى الوصول إلى الحكم وحتى يتحقق لها ذلك فلابد من أن تقوض شرعية النظام الساسية والواقعية، الهدف الأول من معالجات الصحف الحزبية إذن ليس التوزيع من خلال التصدى لرموز النظام الأقوياء، ولكن هو هجوم يتسق ورغبة هذه الصحف فيما يمكن أن يطلق عليه الباحث إذلال النظام من خلال إذلال رجاله.

لكن ولأن الصحف الخاصة تعمل من خلال أجندة مختلفة تعلى من شأن التوزيع أولا، فيأتى الهجوم على النظام من أجل زيادة التوزيع، حيث أنه لم يكن من المتصور أن تخوض الصحف فى شئون الوزراء والمقربين من النظام، وهو ما يكسبها قوة أمام قارئها الذى سيسعى لمتابعتها لأنه إستطاعت أن تتكلم، وإن كان هذا لا ينفى أن تكون هناك أهداف أخرى لدى هذه الصحف وهى التصدى لوجوه الفساد الموجودة فى النظام، وذلك من أرضية أن لها دور فى المجتمع الذى تصدر فيه ولابد أن تقوم به على الوجه الأكمل.

- هذه المفارقة تحدد السمات العامة لمعالجة صحف الإثارة لشئون رجال النظام على النحو الآتى:

أولا: تختار صحف الإثارة الوزراء ورجال النظام الأقوياء الذين يعتقد الشارع المصرى أنهم يحملون حصانة وحماية من النظام، فلا أحد يستطيع الإقتراب منهم، وإذا بالصحف تفتح ملفات هؤلاء الرجال الأشداء، ولا يقابل هذا من الشارع بإرتياح فى البداية لأن هناك إعتقاد أن الصحف لا تفتح ملفات هؤلاء الوزراء إلا إذا كان هناك

ضوء أخضر للصحف، لكن هناك ما يشبه الإتفاق الذى ظل طويلا يحكم العمل الصحفى وهو أن الصحف بمقدروها أن تنتقد رجال النظام دون أن تنتقد النظام نفسه الذى يعتبر خطا أحمر لا يمكن ولا يجب تجاوزه وإلا وجدت الصحف نفسها فى خطر.

إن الصحف تختار الرجال الأقوياء الذين يثيرون الجدل ويكتنف أداءهم الكثير من الغموض، ولا تقترب من الوزراء الذين لا تبدو عليهم القوة، لأن الإقتراب منهم لا يستفز القارئ، لأن وجودهم فى الحياة السياسية مثل عدمه.

ثانيا: تهتم الصحف الحزبية بالجانب السياسى لدى الوزراء، وترصد عليهم مخالفاتهم الإدارية، وتكشف ملفات فسادهم وتطالب بمحاكمتهم، لكن الصحف الخاصة إلى جوار التصدى لملفات فساد رجال النظام فإنها تتسرب بمعالجاتها إلى الحياة الخاصة للوزراء، وتتابع حفلاتهم وسهراتهم وصفقاتهم وثرواتهم وهى ملفات فى الغالب الأكثر إثارة وجاذبية.

ثالثا: يظل الخلاف بين الوزراء ورجال النظام مع صحف المعارضة قائما لا ينتهى أبدا بل إنه يتطور ويصل إلى المحاكم وقد حدث هذا مع جريدة الشعب فى خلافاتها وحملاتها مع يوسف والى وزير الزراعة وحسن الألفى وزير الداخلية، وحدثت مواجهات عنيفة قبل ذلك مع زكى بدر وزير الداخلية، وتم حبس صحفيى الشعب مرتين على ذمة حملات صحفية ضد رجال النظام، لا يعرض صحفيو الصحف الحزبية التصالح لأن التصالح فى النهاية يمكن أن يقضى على شرعيتهم فالخلاف أبدى ولا يمكن أن ينتهى.

أما الصحف الخاصة فالخلاف لا يكون أبديا بل يمكن أن يتم التصالح خاصة إذا وجدت هذه الصحف نفسها على وشك أن تعاقب قانونيا بالسجن أو الغرامة، فهى تعارض النظام ليس من أجل إزاحته والصعود إلى مقاعده، لكنه فقط وسيلة من وسائل توزيعها وإنتشارها، وإذا كان ثمن هذا الهدف أن يسجن صحفى مثير أو أن يدفع غرامة كبيرة فإنه لا يتردد فى عرض الصلح مع رموز النظام، وفجأة تتحول معالجات هذه

الصحف فيما يخص رموز النظام من الهجوم الحاد إلى المدح بل والكتابة عنهم وكأنهم ملائكة منزلون من السماء.

رابعا: أفرز التعامل مع رموز النظام فى صحف الإثارة نمطين من الصحفيين، النمط الأول يمكن أن نطلق صحف يلعب على مساحات التناقض والصراع داخل النظام الحاكم، وهو صحفى يحول إنتماءاته المهنية إلى الأقوى فى النظام، يقف إلى جواره ويضرب له خصومه، وإذا دارت الدائرة على من يقف إلى جوارهم فإنه يتخلى عنهم فورا متجها إلى الجناح الذى أصبح أقوى، وقد يكون هذا الجناح خصم الأمس، ومصدر الخطورة على هذا النمط أنه يتم حرقه تماما، حيث يكتشف أمره وفى لحظة معينة يصبح الجميع خصومه، أما النمط الثانى فهو صحفى يلعب طوال الوقت على جواد واحد فى النظام، يقف إلى جواره فى فترات الإزدهار وفترات الإنحسار، وقد يكون هذا الصحفى فى مأمن من المخاطر، لكنه يمكن أن يذهب ضحية لصراعات القوى داخل النظام، وساعتها لن يكون فى مأمن أبدا.

■ ■ ■

الإثارة بضرب المعارضة

منذ صدرت الصحف الحزبية فى عهد الرئيس السادات وهى تواجه بعنف وشراسة من الصحف الحكومية، على إعتبار أن هذه الصحف تعادى الحكومة وتناصبها الخصومة الدائمة، ووصلت المواجهة إلى أن حرضت الصحف الحكومية الشركات والمؤسسات التى تملكها الحكومة على عدم إعطاء الصحف الحزبية إعلانات وذلك بهدف حصارها وتعجيزها بالطبع.

وهى صيغة إبتدعها إبراهيم سعدة، يقول حسين عبد الرازق[1]: عقب الحوار الذى نشرته الأهالى مع محمد حسنين هيكل فوجئنا بحملة من نوع جديد، نشرت صحيفة مايو والتى كان يرأس تحريرها فى ذلك الوقت الزميل إبراهيم سعدة رئيس تحرير أخبار اليوم، قائمة بأسماء شركات القطاع العام والهيئات الحكومية التى تعلن عن نفسها فى الأهالى، وصحف المعارضة الأخرى وتناولها بالهجوم الحاد، فى محاولة للإيحاء للمسئولين عنها بأن موافقتهم على نشر إعلاناتهم فى الأهالى وصحف المعارضة يعرضهم للمساءلة والإتهام، لقد كانت مايو تحاول إرهاب المعلنين وتخويفهم لمنعهم من الإعلان فى الأهالى لتتكبد خسائر مالية تفوق طاقتها وقد تؤدى لتوقفها عن الصدور أو لتقليل المطبوع.

هذه الآلية التى إبتدعها إبراهيم سعدة، رسخها عبد الله كمال فى مجلة روزاليوسف، لكن ليس مع الصحف الحزبية فقط، ولكن مع الصحف الخاصة التى إستطاعت أن تنتزع من صحف المعارضة قيادة معارضة النظام والهجوم عليه وكشف فساد رجاله المالى قبل السياسى.

نشرت روزاليوسف وعلى الغلاف[2] بأسماء الوزارات والشركات والهيئات

(١) حسين عبد الرازق، الأهالى صحيفة تحت الحصار (القاهرة، دار العالم الثالث، ١٩٩٤) ص١٧٧.

(٢) روزاليوسف، عدد ١ إبريل ٢٠٠٦.

...الحكومة تمول الجرائد التى تشتمها، وتشير المجلة عبر تحقيق احتل أربعة صفحات إلى أنه لم يعد من العجائب أن جهات حكومية عديدة أصبحت تمول الصحف التى اتخذت من الإبتزاز منهجا، من هذه الهيئات نجد المصرية للإتصالات وهيئة البريد ووزارة المالية ومصالح حكومية أخرى متناثرة هنا وهناك، ولعل هذا يفسر هجوم الصحف على قطاع من الحكومة دون آخر.

وصفت روزا ما يحدث بأنه ليس جديدا بل هو مجرد إتباع لسنة سئية سنها وزير أسبق للزراعة[1] عندما خصص أموالا طائلة لشراء المساحات الثابتة أسبوعيا فى مختلف الصحف وتحت مسميات مختلفة بدءا بمصر الخضراء وسنابل الخير وخير بلدنا، وغيرها من المسميات، ولم يكن لتلك السياسة هدف سوى خطب ود هذه الصحف وتثمين صمتها وتجفيف أقلامها.

وتضع روزاليوسف إحتمالات لهذه السياسة على النحو التالى:

الإحتمال الأول: أن تلك الشركات العاملة أو الهيئات القومية تشعر كما يقول المثل العامى أن على رأسها بطحة ولا تفضل أن يتحسس أحد هذه البطحة.

الإحتمال الثانى: هو السعى من قبل القائمين على رأس هذه المؤسسات إلى إقامة علاقات طيبة مع القائمين على أمر هذه الصحف، وهو منطق مرفوض إذ لا يجوز أن يبدد هؤلاء المسئولون أموال دافعى الضرائب من أبناء الشعب المطحونين على تنمية علاقات الصداقة أو العلاقات العامة أو حتى العلاقات الإجتماعية.

الإحتمال الثالث: هو رغبة البعض كما يقولون فى التلميع إعلاميا لتأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ويتحقق الهدف، وهو أمر مستهجن ومستغرب فى آن واحد، لأنه من العيب أن يتم تبديد الأموال من أجل الحصول على منصب ، ومستغرب لأن الإعلانات مدفوعة الأجر لم ولن تصنع شخصية تحظى بالإحترام.

---

(١) فى إشارة إلى الدكتور يوسف والى.

الإحتمال الرابع: ضمان صمت الصحف وعدم تناولها لمشاكل أو سياسات وأحيانا تجاوزات هذه الشركات أو الهيئات أوالمسئولين عنها، وهذا مرفوض، فإذا كانت هناك أخطاء وتجاوزات فمن حق الجمهور أن يعرف الحقيقة من خلال صحافة حرة واعية تستهدف مصلحة الوطن والمواطن أولا وقبل أى شئ.

أشار تحقيق روزاليوسف إلى كل الصحف التى لا تحمل الصفة الحكومية مثل صوت الأمة والفجر والدستور والأسبوع والخميس ونهضة مصر والوفد والأهالى والأحرار والعربى الناصرى، وإعتبرت أن هناك تناقضين الأول من ناحية الحكومة، فهذه الصحف تشتم الحكومة وتلعن النظام والمفروض ألا تساهم مؤسسات الحكومة فى دعم هذه الصحف أو تنميتها، أما التناقض الثانى فتقع فيه الصحف الحزبية والصحف الخاصة، فهى تعارض سياسات الحكومة فى عدد ثم فى العدد التالى مباشرة تنشر ما ينفى معارضتها ويمحو رفضها، وهو ما يشير إلى أن هناك إبتزاز تمارسه هذه الصحف، فبعد أن تنشر تجاوزات المؤسسات الحكومية تتراجع أو على الأقل تصمت بعد أن تنشر إعلانات نفس المؤسسات.

لا يحيل الباحث هذه المعالجة على أنها نوع من الإثارة، فهى فى النهاية مواجهة تحركها المصالح والإنتماءات السياسية، لكن صحف الحكومة وضعت الأساس لضرب شرعية المعارضة وتصويرها على أنها لا تستطيع أن تقوم بالعمل السياسى بل هى مجرد عبء عليه.

رسخ إبراهيم سعدة لآلية السخرية والتحقير من المعارضة[1] من خلال مقاله «قنبلة الرئيس مبارك»، وهو خبر إفتراضى قال فيه: أصدر الرئيس حسنى مبارك قرارا بإقالة وزارة الحزب الوطنى برئاسة الدكتور عاطف صدقى، كما أصدر قرارا ثانيا بتكليف المجاهد الكبير المهندس إبراهيم شكرى زعيم حزب العمل بتشكيل الوزارة الجديدة،

(١) إبراهيم سعدة، أخبار اليوم، عدد ٣ فبراير ١٩٩٠.

ورحبت كافة الأحزاب المصرية ما عدا الحزب الوطنى الديمقراطى بهذه الخطوة العملاقة التى خطاها رئيس كل المصريين فى طريق الديمقراطية الحقيقية بعيدا عن هامش الديمقراطية الضئيل الذى كان الحزب الوطنى يتفاخر به ليل نهار.

ثم عاد سعدة[1] ليؤكد أن إبراهيم شكرى فشل فى تشكيل الوزارة حيث أعلن غريمه أحمد مجاهد أنه هو الذى يتزعم حزب العمل وبالتالى فهو وحده الذى يحق له تشكيل الحكومة القادمة، وقد تأزم الموقف داخل حزب العمل بشكل مخيف، واستخدم الجانبان المتصارعان كل الأسلحة من قنابل حارقة وقبضات حديدية وجنازير فى معركة الإستنزاف التى يؤكد الخبراء أنها معركة لن يكسبها جانب ولن يخسرها الجانب الآخر، وإنها معركة طويلة يصعب التنبؤ بنهاية قريبة لها.

ويقول سعدة: ونظرا لهذه التطورات الجديدة وما صاحبها من تصعيد مخيف فى الصراع الدموى الدائر حول زعامة حزب العمل، يؤسفنى أن اعتذر عن عدم كتابة الحلقة الثانية من مقالى بعنوان«إبراهيم شكرى ...رئيسا للحكومة» .

لقد تطرق إبراهيم سعدة فى مقاله إلى المسئولين فى الحزب الوطنى ووجه لهم إنتقادات حادة، وهو ما جعل صفوت الشريف وكمال الشاذلى يوجهان ردا له على هذه الإتهامات.

جاء رد كمال الشاذلى كالآتى[2]: إبراهيم سعدة...تناولت فى مقالك السبت الماضى حوارا من خيالك تناولت فيه رموز العمل الوطنى فى مصر من أحزاب المعارضة والأغلبية ، بداية أقول إن القيادات التى تعرضت لها فى مقالك المشار إليه هى رموز وطنية شريفة تؤدى دورها الوطنى على الساحة السياسية، وأقول أيضا أن الحزب الوطنى الديمقراطى الذى أشرف بالإنتماء إليه والذى يتولى مسئولية الحكم هو حزب الأغلبية، وما دمت عضوا فى الحزب الوطنى الديمقراطى فلا شك أنك تعلم أن الحزب الوطنى الديمقراطى قام إستجابة للمتغيرات السياسية تعبيرا عن إيمان عميق بما أعلنته ثورة يوليو

(١) أخبار اليوم، عدد ١٠ فبراير ١٩٩٠.

(٢) أخبار اليوم، مصدر سابق.

الخالدة من قيم ومبادئ وتجسيدا لكفاح طويل خاضه الشعب المصرى من خلال ثوارته المتواصلة.

لذلك فمن الطبيعى أن غالبية وأعضاء وقيادات الحزب الوطنى بل قيادات وأعضاء أحزاب المعارضة هم من أبناء ثورة يوليو، وعاصروا قيادة الرئيس الراحل عبد الناصر وشاركوا فى مسيرتها واستمروا فى عطائهم وإستكمالا للمسيرة الوطنية بقيادة الرئيس الراحل أنور السادات مؤسس الحزب الديمقراطى الذى اختارك رئيسا لتحرير جريدة مايو«جريدة الحزب الوطنى الديمقراطى»وفى تواصل مستمر وفى إطار فكر وفلسفة ثورة يوليو المستمر فى أداء رسالتها التاريخية بزعامة السيد محمد حسنى مبارك.

ويضيف الشاذلى فى رده: إنك تعلم علم اليقين أن حصول الحزب الوطنى الديمقراطى على الأغلبية إنما هو نتاج عمل مخلص من جميع قياداته وأعضائه على كل بقعة من أرض مصر، وتعلم أيضا أن رصيد كبير وعظيم للحزب الوطنى مستمد من زعامة الرئيس مبارك له، واليوم أتساءل ويتساءل معى كثيرون: ما هو الدافع لهذا التشويه والتجريح والغمز واللمز لرموز العمل السياسى فى مصر، معارضة وأغلبية وكل يحاول جاهدا وفقا لبرنامج حزبه أن يؤدى دوره الوطنى فى ظل الأحزاب الشرعية التى تشكل النظام السياسى فى مصر؟لمصلحة من هذا التشويه والتشكيك فى مسيرة الديمقراطية التى تعيشها مصر؟أية مصلحة يخدمها هذا المقال والأحزاب كلها بدأت مرحلة جديدة للتفاهم والتنسيق والتحاور فى هذه الأونة الهامة؟

لم يكن هدف المقال هو النيل من رموز النظام الحاكم أو رموز الحزب الوطنى، فلم يكن ذلك سوى تمهيدا للأرض حتى يتم الهجوم الكامل على المعارضة، وقد بدت الرغبة فى تشويه المعارضة من خلال أنها غير قادرة على أن تتفق على زعيم واحد لها من بين الأحزاب.

ففى المقال التخيلى أبرز إبراهيم سعدة أن فرحة إبراهيم شكرى لم تدم طويلا بتكليف

الرئيس له بالوزارة، حيث سرعان ما أمسك الأستاذ فؤاد سراج الدين بقلمه وكتب مقالا ناريا تصدر الصفحة الأولى فى الزميلة الوفد قال فيه بالحرف الواحد: بداية فإن حزب الوفد يوجه الشكر العميق لفخامة الرئيس حسنى مبارك الذى أنهى إلى الأبد سيطرة الحزب الواحد والحكومة الواحدة واقتنع أخيرا بأن الشعب هو صاحب الحق فى إختيار قياداته وفى إختيار حكومته، ولكن ما يحزن الوفد حقيقة هو أن الرئيس حسنى مبارك تجاهل حزب الأغلبية الشعبية الكاسحة واختار للأسف الشديد حزبا لا يمثل الشعب أو على الأكثرية يمثل قطاعا ضيئلا منه عرف بالإنعزالية وعرف أكثر بالتطرف فى الرأى والتعصب للفكر.

كما أن الحزب الواحد لا يستطيع أن يتفق على زعيم واحد يمثله بدليل النزاع الذى شب بين إبراهيم شكرى وأحمد مجاهد على من هو الأحق بتشكيل الحكومة، فكل منهما يدعى أنه رئيس الحزب الفعلى.

هذه هى الصورة التى صدرتها أخبار اليوم عن أحزاب المعارضة، وهى الصورة التى يتم تطويرها وإستنساخها فى صحف الحكومة حيث أن المعارضة بلا قدرة سياسية على العمل، كما أنها بلا جماهيرية أو شعبية فى الشارع المصرى.

ورغم أن هذه آلية صحفية حكومية إلا أنها أصبحت آلية فى الصحف الخاصة التى جعلت من نفسها معارضة للنظام وأحزاب المعارضة معا.

ويستطيع الباحث أن يحدد آليات معالجة الصحف الخاصة لرموز المعارضة من خلال عدة نماذج:

النموذج الأول: تظهر الدستور[1] أن زعماء المعارضة عجائز ولا يقدرون على العمل السياسى، فأحزاب المعارضة على المعاش وقد بدا ذلك بالأرقام، ففى الوفد: الرئيس ٨٥ سنة ونائبه ٧٢ سنة وأصغر قيادى ٥٩ سنة و١٢ عجوزا من ال١٥ فى المكتب التنفيذى

(١) الدستور، الدستور، عدد ١٠ يناير ١٩٩٦.

و٤٥ من ٥٠ فى الهيئة العليا ، وفى الناصرى: الرئيس ٦٩ سنة و١١ عضوا من المكتب السياسى فوق الستين، والتجمع: الرئيس ٧٧ سنة ونائبه كذلك والأمين العام ٦٢ سنة، حزب العمل: الرئيس ٨٠ سنة ونائبه ٨٠ والأمين العام ٦٣ سنة، ومرشد الإخوان فى حكم الميت يرأس جماعة الإخوان وست عواجيز فوق السبعين يسيطرون على التطرف الدينى فى مصر.

إنطلقت الدستور فى رصدها إلى أعمار قادة المعارضة، من أن الترهل ينخر فى بدن الجميع، وهى حقيقة لا مهرب منها، فالمعارضة معارضة معاشات، الأعمار واحدة وإن اختلفت الوجوه والمواقع، وهو أمر لا يبشر بالخير، لأن شهاب الدين أسوأ من أخيه كما يقول الشاعر القديم مع بعض التصرف.

قامت الدستور بجولة بالأرقام والآراء فى أبرز أحزاب المعارضة فى مصر وهى الوفد والناصرى والتجمع والعمل، وكان الهدف من الجولة هو كشف النقاب عن تجمد الدماء فى عروق أحزاب المعارضة، حتى صارت بلا فعل ولا فاعلية، الشباب صاروا يتمثلون فى ذوى ال٥٠ عاما، فهل يصبح العيل من لديه ٤٠ عاما إذن، وأكدت الجريدة أنها لا تقصد مهاجمة أحد أو الطعن فى أحد، لكنها قصدت أن ينتبه الجميع حتى يتم ضخ دماء شابة فى عروق الوطن الذى شاخ.

وحتى تؤكد الدستور وجهة نظرها تنشر صورتين مع الموضوع الأولى لفؤاد سراج الدين وهو يستند على رجلين ؤهو يسير ، والثانية لمرشد الإخوان المسلمين حامد أبو النصر وهو جالس على كرسى شبه ميت، وفى الصورة تأكيد ليس على أن المعارضة شاخت فقط ولكن على أنها على وشك الموت أيضا.

النموذج الثانى: وحتى تكمل الدستور وجهة نظرها فى قادة الأحزاب[1] وأنهم لا يصلحون للمعارضة، تشتبك مع حياتهم الخاصة التى يظهرون من خلالها أغنياء بما لا

(١) الدستور، عدد ١٣ مارس ١٩٩٦.

يتناسب مع الأفكار التى يدافعون عنها ويرددونها، أشارت الجريدة إلى أن زعماء المعارضة فى مصر صور متجهمة دائما، ملامح زاعقة وأصبع سبابة مرفوع فى وجه الحكومة ، تصريحات متشنجة، لكن هناك صورة أخرى لقادة المعارضة ملامحهم فيها عبارة عن إتصالاتهم الحميمة مع رموز الحكومة، وهو ما يؤكد أن الحياة العامة شئ والحياة الخاصة شئ مختلف تماما.

ولذلك قدمت الجريدة تحقيقا عن أسرار الحياة الخاصة لزعماء المعارضة، وفصلت الأمر كالتالى:

- إبراهيم شكرى: عضو فى نادى الجزيرة يحب البط المشوى...يلعب الطاولة ويعول ٧ أبناء..يسمع أم كلثوم ويسقى قيادات حزبه العرقسوس.

- د.رفعت السعيد: ينام فى الثامنة...وأعز أصدقاءه عبد العظيم رمضان والسفير الأمريكى..ويحلق فى مكتبه مرتين شهريا..وابنته تطالبه بإعطاء الفرصة للشباب وهو يرفض.

- مصطفى كامل مراد: لا يأكل إلا من يد خادمته...يرى إبنه كل أربعة أسابيع...يتابع التليفزيون الإسرائيلى ...زملكاوى متعصب والصباحى يقرأ له الكف والفنجان.

- ياسين سراج الدين: يتاجر فى الفاكهة ويحب العدس الأباظى...أعز أصدقاءه كمال الشاذلى..زوجته تغنى له قبل أن ينام.

- ضياء الدين داود : أحب الأهلى فى السجن والنكسة منعته من الزواج.

قد تكون هناك وجهة نظر وهى أن إستعراض الحياة الخاصة لقادة الأحزاب يمكن أن تقربهم من الناس، حيث أن التفاصيل الصغيرة يمكن أن تخلق حالة من الحميمية بين الشخصية العامة وبين الجمهور، وهو تفسير مقبول، لكن السياق الذى قدمت فيه الدستور تحقيقاتها لا يعكس رغبة منها فى تقريب قادة المعارضة من الشارع، بل كان سياقا

يقوم على إبعادهم والتخلص منهم وإتاحة الفرصة للشباب.

وقد نصت الجريدة على ذلك صراحة[1] حيث دعا إبراهيم عيسى قادة الأحزاب المعارضة أن يرحلوا، فهم كما يرى: كلهم رؤساء للأبد، بالضبط كالحكومة أبديون أبد الدهر كأنه مكتوب على الذين خلفونا وجود هؤلاء فى كل الأزمان والأماكن، فشلوا ويفشلون، يعيدوا البلد إلى الوراء ويتشاجرون ويتصالحون ويتصلبون ويخيبون ويسقطون ويتعرون أمام الجميع، ومع ذلك يستمرون، ونحن نستصرخهم جميعا، غوروا ..والغور فى اللغة هو الذهاب بعيدا، غوروا وارحلوا عنا، فنحن نستقبل القرن الواحد والعشرين لا يصح أن تكون نفس القيادات ونفس الشخصيات هى التى تدير حياتنا وواقعنا ووطننا، لا يصح فقط بل هو عيب وحرام ، لكن أى حرام من قوم حرموا علينا عيشتنا.

النموذج الثالث: بعد الطعن فى الشرعية السياسية حيث أن قادة الأحزاب عجائز ولا يصلحون للعمل السياسى، دخلت صحف الإثارة مساحة جديدة وهى التشكيك فى أداء قادة المعارضة وذممهم المالية، فعلى لسان جمال أسعد القبطى الحائر، نشرت صوت الأمة[2] تفاصيل العلاقة المشبوهة بين البابا شنودة ورفعت السعيد، وذلك من خلال عرض وافى لمذكرات جمال أسعد المعارض القبطى والذى كان أحد أعضاء حزب التجمع وفيها إشارات إلى أن هناك صفقات عديدة.

تقول الجريدة: مشكلة جمال أسعد أنه أفصح عن رأيه فى البابا شنودة فى وقت كانت فيه العلاقة الخاصة بين البابا شنودة وأمين عام حزب التجمع الدكتور رفعت السعيد قد بدأت، وهى علاقة يرى جمال أسعد أنها غير ضرورية وغير صادقة، لأن رفعت السعيد وحزب التجمع اعتبرا نفسيهما حاميى حمى الأقباط فى مصر والمدافعين الأولين عنهم، بل إنهما أحيانا كانا يعتبران المتحدث الرسمى بإسم الأقباط، وهذا لا يخلو من مصلحة

(١) إبراهيم عيسى، أيها السادة قادة الأحزاب ..غوروا ..بعيدا عنا، الدستور، عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٩٥ .

(٢) صوت الأمة، عدد ٢٨ فبراير ٢٠٠١.

تداخلت فيها الإنتهازية السياسية مع الدين، خاصة أن هذه العلاقة المشبوهة كانت فى شكل تبرعات وشيكات مالية تأتى إلى جريدة الأهالى ولحزب التجمع ولشخصيات بارزة أيضا من قبل أقباط المهجر الذين كانوا يدعون كل أقباط العالم لقراءة جريدة الأهالى بإعتبارها جريدة المسيحيين فى مصر وليست جريدة حزب من المفترض فيه أنه إشتراكى تقدمى.

هذه النماذج تعطينا صورة عما فعلته صحف الإثارة برموز المعارضة، لقد كان التقليدى أن تهاجم صحف المعارضة رموز النظام فهم الفاعلين، لكن صحف الإثارة رأت أن قادة المعارضة فاعلين أيضا وأنهم يمكن معارضتهم ومهاجمتهم وكان هذا إختيارا مهنيا موفقا، لأن رموز الحكومة قد يغضب لها من القراء من لهم مصالح لديهم، لكن قادة المعارضة سوف يغضب لهم من يسيرون على طريقهم ومن يعتنقون أفكارهم، بل إن الهجوم على قادة المعارضة يعتبر من قبيل هز الثوابت السياسية لدى القارئ، وهو ما أرادته صحف الإثارة وخططت له.

■ ■ ■

الإثارة الإجتماعية

إختراق مجتمع الطبقة الراقية

من أساسيات صحافة الإثارة التى وضعها إحسان عبد القدوس خلال تجربته فى روزاليوسف أن تتابع الصحف أخبار المجتمعات الراقية والأرستقراطية، وذلك لأن هذه المتابعة تحقق هدفين فى وقت واحد، الأول أن المنتمين إلى هذا المجتمع يتابعون أخبارهم وصورهم وحكاياتهم أو على الأقل يتابعون أخبار المنافسين لهم فى المجتمع المخملى، والثانى أن الذين لا ينتمون لهذه الطبقة يرغبون فى معرفة ماذا يدور خلف الأبواب المغلقة والأسوار العالية التى تختبئ خلفها هذه الطبقة، من باب التطفل أحيانا ومن باب التشفى أحيانا أخرى.

وتأسيسا على هذه القاعدة إخترقت صحف الإثارة حياة هذه الطبقة، وكان لكل نمط من أنماط الإختراق الإثارى هدفه وأسلوبه.

فتحت مجلة روزاليوسف الباب أمام إختراق مجتمع مارينا[(١)] وهو مجتمع كان المجتمع المصرى يسمع عنه حكايات أسطورية دون أن يعرف هل ما يدور خلف الأسوار حقيقى أم أنه مجرد نسج من الخيال، ومن على الغلاف نشرت صورة لرجل وإمرإة بلباس البحر، تستلقى المرأة على بطنها بينما يعطيها الرجل ظهره، وأسفل الصورة عنوان تمهيدى عن ولائم الحب والسياسة على شاطئ الأثرياء، ثم العنوان الرئيسى وهو «مارينا: بيزنس وفساد».

فصلت المجلة عبر تحقيق إحتل أربعة صفحات، دافعها الأساسى لإختراق مجتمع مارينا، ففى أسبوع واحد دفع أحد أصحاب المطاعم الشهيرة ثلاثة ملايين جنيه نقدا

(١) روزاليوسف، عدد ٤ أغسطس ١٩٩٧.

لشراء شاليه بمدينة مارينا، ودفع تاجر سكندرى معروف خمسة ملايين جنيه ليمتلك فيللا بنفس المدينة التى يتحدث سكانها عن قصر يتم إستكمال تجهيزاته تكلف ٣٦ مليون جنيه.

وبعد ذلك أصبحت مارينا بل وكل قرى الساحل الشمالى وجبة أساسية فى صحافة الإثارة، بل إن هذا المجتمع أوحى لعادل حمودة أن يكتب مسلسلا روائيا منحه اسم بنات مارينا ونشره على حلقات فى مجلة روزاليوسف، وهو مسلسل اختلط فيه الواقع بالخيال، والشخصيات الواقعية بالشخصيات الروائية، والمعلومات والأرقام الموجودة فعلا على أرض الواق بالمعلومات والأرقام التى تم تأليفها، وغلب على هذا المسلسل الإشارة إلى عالم مارينا والأثرياء الجنسى والعلاقات الخاصة بينهم.

وعلى صفحتين تنشر جريدة الدستور(١) كل ما يريد أن يعرفه القارئ عن بيوت وفيلات المليونيرات من الباب إلى الشباك وهذا بتعبير الجريدة، وضعت الجريدة عنوانا موحيا لتحقيقها الكبير هو: **كله يدلع نفسه.**

كانت المعلومات الرئيسية للتحقيق هى:

- حى الندى: طبيب مشهور يبنيه خارج القاهرة، سمير غانم ودلال عبد العزيز وعائلة الأباظية وعائلة البداوى أهم سكانه، القصر ب ٢ مليون جنيه والشقة بنصف مليون.

- ضاحية النخيل: ٦٤٠ قصرا على مساحة ٢٣٠ فدانا يمتلكها محمد فريد خميس.

- سعر القصر من ٤ إلى ٦ ملايين جنيه.

- أهم الزبائن صاحب شركة طيران خاصة وشقيقته وهانى رمزى وحسام وإبراهيم حسن ومحمد فؤاد ود.حازم الببلاوى.

- منتجع الصفوة: رجل أعمال تعرض للتأميم ٣ مرات يعود بقوة.

- المساحة ٦ آلاف متر والفيلا ب ٦ , ٢ مليون بدون تشطيبات خاصة.

(١) الدستور، عدد ٧ أغسطس ١٩٩٦.

- أرض الأحلام: ٢٠٠ فدان يمتلكها د.أحمد بهجت فى ٦ أكتوبر.

- القصر ب ١٠ ملايين جنيه تقريبا، مهندس أمريكى صمم المشروع خصيصا.

أشارت الجريدة إلى هذا التحقيق فى الصفحة الأولى على بعنوان يلخص محتواه وهو عمارات المليارات وحى المليونيرات وقصور خميس وبهجت وحسام ورمزى وفيفى عبده، ورغبت الجريدة أن تشرح وجهة نظرها فى نشر هذا التحقيق وعبرت عن ذلك على طريقتها قالت:

«خمسة وخميسة..حصوة فى عينك ياللى ما تصلى على النبى..صلى على النبى...بطلوا حقد...الغنى والفقر من عند ربنا...المهم الصحة والستر...»كل هذا الكلام ستسمعه أو ستقوله بعد قراءة عناوين هذا الموضوع، ونحن نسمعه ونقوله معك، لأننا لا نحقد على أحد والحمد لله، ليس لأن اعيننا ملآنة ولكن لأن نفوسنا حلوة.

وتضيف الجريدة: لسنا سماويين أو نكديين أو غاويين فقر، ولا نحب البلبلة وإثارة الناس وتهييجهم على بعض ولا نمارس الطنطنة والمطالبة بالتأميم والمصادرة والإشتراكية، نؤمن بأن من حق الغنى أن يستمتع بغناه كما يستمتع الفقير بفقره، لكننا ننبه فقط إلى أن مقاييس الغنى والفقر فى مصر اختلت وخلت من النطق، فلم تعد تعرف من الغنى لأن هناك دائما من هو أغنى منه بمراحل، ولذا أصبح من حق الجميع أن يعرفوا كل شئ عن حياتهم وعن مجتمعهم وما يحدث فيه، هذا إذا كنا نريد فعلا مجتمعا مفتوحا صحيا وراقيا.

وتعلى الجريدة من قيمة التحقيق الذى تقدمه للقراء فهو من وجهة نظرها، يصلح مقدمة أو مصدرا معتبرا لدراسة علمية محترمة عن الأوضاع الإجتماعية فى مصر اليوم، أو عن الخريطة الإجتماعية والإقتصادية لمجتمعنا، ويصلح أيضا مادة لنميمة شهر بحاله والتحسر على بختنا الهباب، يصلح لحساب تحويشة العمر وما بقى لإكمال المبلغ المطلوب لشراء ما تقرؤه هنا، ويصلح لأن تنام بعده من غير غطا لكى تحلم بالحصول على ما قرأته، ويصلح لإبتسامة رضا عميقة تقول فيها الحمد لله على الستر.

لم يكن هذا مجرد تقديم لكنه يضع فى النهاية الأهداف التى من أجلها تنشر صحافة الإثارة أخبار المجتمع الراقى وما يمتلكه من أموال وعقارات وكيف يعيش وما هى شكل بيوته وقصوره من الداخل.

لقد إستهدفت الجريدة بتحقيقها القارئ العادى ولذلك تحدثت معه بلغته العامية التى كانت الدستور تفرط فيها، ولا يمكن أن يعتبر الباحث إستخدام العامية فى الكتابة الصحفية لونا من ألوان الإثارة، لكنه نوع من الإستخفاف بالقارئ والتدنى بمستواه اللغوى، فبدلا من أن ترقى الصحيفة ذوق القارئ وذلك من خلال اللغة التى تستخدمها تتماهى معها بحجة أنها لا تتعالى على القارئ ولذلك فهى تحدثه باللغة التى يتحدث بها فى الشارع.

وتكتمل هذه الأهداف عندما يستعرض الباحث نمطا مختلفا لإختراق المجتمع الراقى، تنشر الأسبوع[1] مانشيت الصفحة الأولى الرئيسى على ثمانية عمود وباللون الأحمر: بالأسماء والتفاصيل..حكايات أسطورية لفساد أصهار وأقارب الكبار، عناوين التحقيق الداخلية تمهد للموضوع وهى: قريب مسئول كبير نهب شركة المنتزه وباع شالياتها لأقاربه، قصة الوزير مسرور السياف مع يوسف تركى وكمال شفيق والحفلات الماجنة، كيف تحول شخص بلا عمل إلى مليونير..ويمتلك أراضى فى كل مكان.

تربط الأسبوع بذلك بين حياة الكبار والفساد الذى وصفته الجريدة بأن له خيوط عنكوبتية تلتف حول رقاب بعض من فقدوا مناعة الضمير، فيتوهمون فى لحظة سقوط حساسية أنهم يملكون من عوامل القوة ما يؤهلهم لإنتهاك المحرمات ووأد القانون والخروج على الشرعية، ويبدو أن هؤلاء والذين يفقدون حاسة الصدق ويتبارون فى إصطياد ما تطوله أيديهم من مغريات، سرعان ما يتحولون إلى مجرد بطون خاوية ونفوس جشعة كلما التهمت ما قابلها، تفتح فاهها عن آخره قائلة: هل من مزيد، يصابون بالسعار

(١) الأسبوع، عدد ٢٩ نوفمبر ١٩٩٩.

بعد أن تنبت لهم أنياب فتاكة تغرسها فى أجساد كل من يتصدى لجبروتهم وطغيانهم، وتقذف عيونهم حمما قاتلة تلقى بلهيبها على من يتجرأ ويحاول التصدى للأخطبوط المدمر الفاتك.

وتواصل الأسبوع حملتها[1] من خلال مانشيت رئيسى للصفحة الأولى بتمهيد يقول: من مال الدولة وعرق الغلابة...والعنوان الرئيسى...حفلات ماجنة وليالى أنس يعيشها الكبار، وتروى من خلال تحقيق قصة الحفلات الماجنة وليالى الأنس والبذخ التى يعيشها الكبار، وهى الحفلت التى يقيمونها فى عزب مستقلة يمرحون فيها بعيدا عن القانون والنظام.

ركز التحقيق على تفاصيل الحفلات التى يقيمها الكبار ومنها الحفلة التى أقيمت فى إحدى المحافظات الساحلية حيث تم إستقدام مطربة من الخارج لإحيائها مقابل ٧٠ ألف جنيه، ولم يكن الضيوف عاديين، بل كانوا من علية القوم، رؤساء شركات تزين أسماؤهم صفحات الصحف ليل نهار، بإعتبارهم أعلاما فى مواقعهم يعملون على إنتشال الشركات من الإنهيار الذى تعانيه، وبعض رجال الإعلام، وعلى رأسهم صحفى مشبوه وكوكبة من الشخصيات الحساسة التى يصعب ذكر اسمها أو حتى مجرد الإشارة إليها.

يمكن للباحث على ضوء هذه النماذج أن يحدد الأسباب التى تقف دافعا وراء نشر ما يخص المجتمع الراقى:

أولا: تفعل الصحف ذلك من أجل رفع توزيعها على أساس أن أخبار هذه الفئة تحظى بالإهتمام العام من قبل فئات القراء المختلفة، سواء من ينتمون إلى هذه الفئات أو من ينتمون إلى الفئات الأخرى، على إعتبار أن مادة هذه الطبقات تعتبر مادة نميمة تعيش عليها مختلف المجتمعات فى جلساتها الخاصة والعامة على السواء.

ثانيا: تأخذ الصحف من نشر هذه المادة وسيلة لرصد التغييرات التى تحدث فى

(١) الأسبوع، عدد ٦ ديسمبر ١٩٩٩.

المجتمع، بل إنها ترى أنها يمكن أن توفر مادة خصبة للبحث العلمى، حيث تمنح الباحثين قاعدة معلومات عن الطبقات الغنية فى مصر، وما تمتلكه وما تفعله فى حفلاتها وسهراتها من سلوكيات قد يعتبرها البعض غريبة على المجتمع المصرى.

ثالثا: تأتى معالجة أخبار الطبقات الراقية كنوع من الحرب على الفساد، حيث ترتبط هذه الطبقة بصفقات الفساد، وتدلل الصحف التى تتصدى لفساد هذه الطبقة من خلال فضح حياتها الخاصة ونمط العلاقات فى هذه الطبقات، لكن يلاحظ أن معالجة أخبار الطبقة العليا من باب محاربة الفساد يتم من خلال التجهيل سواء للأخبار التى تنشر عنها أو حتى عن التقارير والتحقيقات التى تخصها الصحف عنهم فالحكايات فيها مجهلة بلا أسماء، وذلك لأن الصحف لا تستطيع فى الغالب أن تثبت ما توصلت إليه من معلومات.

رابعا: هناك هدف لا يمكن أن يغفله الباحث وهو إشاعة حالة الرضا والإطمئنان والإستقرار النفسى لدى الطبقات الفقيرة، فعندما تسهب الصحف فى نشر تفاصيل حياة الطبقة الراقية وتركز على وجوه الفساد بين أبناء هذه الطبقة، يشعر أبناء الفقراء أنهم أفضل حالا رغم فقرهم فهم على الأقل ليسوا ملوثين أو خطأئين، ويمكن أن يتحقق فى هذا الإطار هدف آخر وهو تخفيف الضغط الإجتماعى عن الطبقات الغنية، فما دامت الصحف تهاجم وتلعن هذه الطبقات مفرغة بذلك شحنة الغضب لدى الفقراء، فإن الفقراء لا يمكن أن يأخذوا مواقف عنيفة ضد أبناء هذه الطبقات.

لكن لا يمكن أن يتم إستبعاد دور هذه الصحف فى إثارة الغضب والإحتقان الإجتماعى، وكان ما نشرته جريدة الفجر[1] عن فرح نسايب أبو غزالة الذى تكلف ٣٠ مليون جنيه يعتبر دليلا على ذلك، فعلى الصفحة الأولى نشرت الجريدة صورة للعروسة مع عناوين مرقمة، فالزفة تمت ب٥٠ مركبا، والعروس أصيبت بدوار البحر، و٤ ملايين لهيفاء وهبى وعمرو دياب وراغب علامة، و٢٠٠٠ مدعو أشهرهم ناعومى كامبل.

(١) الفجر، عدد ٥ مايو ٢٠٠٨.

وعلى صفحة كاملة كانت هناك مزيدا من العناوين التى لخصت جو الفرح الأسطورى، فعمرو دياب يصر على الغناء بالعافية قبل هيفاء وهبى والمطربون يتقاضون ٤ ملايين جنيه، الإستعدادات للفرح بدأت منذ أربعة شهور والضيوف يهبطون بطائرات هليكوبتر خاصة ونزلوا فى أجنحة فاخرة بأكثر من فندق، فندق الفورسيزون بالقاهرة هو المسئول عن المأكولات والمشروبات والفاتورة دون كحوليات بلغت ٥ ملايين جنيه.

المعالجة بهذه الصورة أثارت جدلا هائلا، فقد نسبت الجريدة الفرح إلى أنه لنسايب أبو غزالة، فلأن أهل العروسين غير معروفين للقارئ العادى فقد حملت الجريدة 'الفرح على الأشهر فى العائلة وهو المشير أبو غزالة، فهى ترغب من الوهلة الأولى فى لفت الإنتباه للموضوع الذى جعلت منه عنوانا رئيسيا من عناوين صفحتها الأولى، وفى الغالب لم يكن العرض بهذه الطريقة الملفتة إلا من أجل إدانة هذا الإسراف المبالغ فيه.

انتقد فاروق أبو زيد هذه المعالجة الصحفية[1] واعتبرها تساهم فى إشاعة حالة من الغضب والإحتقان الإجتماعى خاصة أن النشر تزامن مع مرحلة من شبه الإنهيار الإقتصادى فى مصر، وموجة عاتية من إرتفاع الأسعار، وعندما تساهم الجريدة فى نشر هذه التفاصيل الأسطورية التى تصل إلى حد السفه بالنسبة للمواطن العادى، فإن الشعور العادى والمتوقع هو أن يغضب الفقراء ويزيد إحباطهم وإكتئابهم.

لكن كانت لدى الجريدة وجهة نظر أخرى[2] فقد حصلت على المعلومات الكاملة عن الفرح كما أنها حصلت على الصور التى كانت تعتبر بالنسبة لها إنفرادا صحفيا، والحدث كان كبيرا بالفعل وشغل المجتمع الراقى لعدة أيام، وعليه فإن حجب الموضوع عن القارئ يمثل إعتداء على حقه فى المعرفة، ثم أن الجريدة لم تنشر الفرح كخبر أو تحقيق مجرد ولكنها وضعته فى سياقه المجتمعى الذى يظهر مدى التباين فى مجتمع المفروض أن الجميع

(١) فاروق أبو زيد، مقابلة خاصة معه.

(٢) عادل حمودة، مقابلة معه بعد نشر التقرير مباشرة.

فيه سواسية، ولذلك فإن نشر التحقيق لا يفجر الغضب الإجتماعى ولا الإحباط بقدر ما يرصد خريطة المجتمع وهى الخريطة التى يمكن أن تكون دافعا للتغيير.

ولا ينفى هذا بالطبع أن نشر الموضوع بهذه الصورة يتسق مع ما ذهبت إليه الجريدة من وضع حياة الكبار والأثرياء نصب عينيها، يقينا منها أن أخبارهم قادرة على إحداث حالة من الرواج الصحفى، وهو هدف لم تخفه الجريدة أو تتبرأ منه.

لكن يظل أمام الصحفى الذى يحصل على مثل هذه المادة الثرية المثيرة فى ذاتها والقادرة بمفردها دون معالجتها معالجة إثارية على أن تلفت الإنتباه وتجذب القارئ مهما كانت إهتماماته وثقافته سؤال مهم وهو: هل يخفى هذه المادة حتى لا تحدث عواقب إجتماعية، لا يكون المجتمع فى الغالب بحاجة إليها، أم ينشر هذه المادة رغم كل المشاكل التى تأتى فى أعقابها؟

والإجابة على السؤال تقتضى أن يجيب الصحفى نفسه على سؤال محورى، فهل يعمل من أجل زيادة التوزيع وتضخيم أرباح جريدته فقط، أم أنه ينطلق من أرضية المسئولية الإجتماعية عما ينشره؟

الإجابة على هذا السؤال فى النهاية يمكن أن تضع حدا للإشكالية العصية على الفهم، فقد يسأل متابعو الصحف المثيرة عن: لماذا يفعل هؤلاء الصحفيون ذلك؟والإجابة تكون دائما: ابحث عن الدافع.

قد تكون هذه هى الفلسفة العامة التى تحكم نشر ما يخص الطبقات الراقية والغنية فى مصر، وقد عززت الصحف المثيرة من معالجتها لهذه القضايا من خلال أبواب وزوايا خاصة تنشر من خلالها أخبار الحفلات الخاصة وحفلات أعياد الميلاد والأفراح، ويوميات الشواطئ فى الساحل الشمالى، وهى أبواب تغلب عليها الأخبار المجهلة والحكايات التى يكتنف أبطالها الغموض، وهى أخبار وحكايات تزيد تلهف القارئ عليها ورغبته فى الإستزادة منها.

لقد حاولت بعض صحف الإثارة فى الصحف المصرية أن تسير على نمط مصورى «الباباراتزى»، تطلب من مصوريها أن يحصلوا لها على صور خاصة بها، ويفضل أن تكون هذه الصور لمشاهير فى أوضاع خاصة، وفتحت الصحف تحديدا روزاليوسف والدستور وصوت الأمة والفجر مساحات كبيرة من صفحاتها لموضوعات تتحمل نشر هذه الصور معها، روزاليوسف من خلال باب بورصة الأخبار وهو باب كان معنيا بنشر أخبار الحفلات والإفتتاحات والإستقبالات، والدستور من خلال باب شبابيك وكان تقريبا يقدم نفس معالجة باب بورصة الأخبار فى روزاليوسف، وعندما صدرت صوت الأمة فى العام ٢٠٠٠ طورت من آليات البحث عن حياة الطبقة الراقية فلم تخصص لذلك بابا ثابتا فقط كانت تقدمه الصحفية شهيرة النجار المعروفة بعلاقاتها الوثيقة بالمجتمعات الراقية فى مصر، ولكن كان رئيس التحرير يخصص مساحات واسعة للكتابة عن مجتمع مارينا، حيث كان يخصص خلال شهور الصيف من كل عام صفحتين كل عدد لحكايات وأسرار وأخبار مارينا، وقد تم الإبقاء على الصفحتين فى جريدة الفجر عندما إنتقل إليها عادل حمودة لكن ليس فى الصيف فقط ولكن طوال شهور السنة وأصبح لهما إسم ثابت وهو حكايات الليل والنهار.

إلى جوار الأسرار وأخبار النميمة كانت الصورة تلعب دورا مهما خاصة عندما تكون صورا خاصة بالجريدة، لكن لم تصل صحافة الإثارة المصرية إلى أن يكون لديها نمط صحفى الباباراتزى الذى يطارد مصادره ويتعقبهم ويتصيد لهم الصور الخاصة دون أن يدركوا أنه يتم تصويرهم، وحتى لو حدث ذلك فإنه يتم بالصدفة البحتة دون أن يكون للمصور فيه أى فضل.

والسبب فى ذلك أن الفساد الذى ضرب كثيرا من جوانب العمل الصحفى فى مصر إمتد إلى المصورين الذين من المفروض أنهم يعملون لدى صحفهم، لكن تم إفسادهم وأصبحوا يعملون لدى المصادر، الذين ينظمون الحفلات ويقومون بدعوة المصورين

الـذين يـؤدون عملهـم طبقـا لمـا يريـده صـاحب الـدعوة لا كـما يقـتضى العمـل الصـحفى، ولذلك فإن الصور يتم فرزها بحيث لا يصـل إلى الصـحف إلا الصـور التـى يـرضى عنهـا أصـحابها عـلى أن تحجـب الصـور الأخـرى وإلى الأبـد، كـما أن المصـورين الـذين يكونـون الأقدر على أن ينقلوا أخبار الطبقة الراقية فى مصر كثيرا ما يتم تهديدهم من قبـل المصـادر، وفى هذا الإطار يمكن أن يثبت الباحث كثيرا مما يروى فى الوسط الصحفى عما يحدث مع المصورين سواء فيما يتعلق بشراء ذممهم أو تهديـدهم، لكـن يحـول دون إثبـات ذلـك أنهـا قصص وحكايات ليست موثقة ولا يمتلك من يرويها دليلا عليها إلا أنه سمعها وهو أمـر لا يثق فيه الباحث كثيرا.

■ ■ ■

الإثارة الجنسية

لا يقصد الباحث هنا بالإثارة الجنسية إستخدام الصور العارية للفنانات أو أخبار الفضائح الجنسية، ولا الروايات والقصص الأدبية التى تدور حول الجنس أو أن أبطالها يكونون طرفا فى عملية جنسية بها فى ذلك من توصيفات وألفاظ مكشوفة ، ولا الجرائم التى لها طابع جنسى، فلكل منها مساحته الخاصة فى المعالجات الإثارية، لكنه يقصد تلك المعالجات التى تأخذ من الجنس الذى ينصرف إلى الممارسات الجنسية سواء أكانت طبيعية أو شاذة موضوعا لها.

ويرى الباحث أن إدخال الجنس إلى المعالجات الصحفية بشكل إثارى مكثف كان عن طريق روزاليوسف خلال تجربة عادل حمودة الذى كان ينشر قضايا الجنس إنطلاقا من:

أولا: وضع القضايا الجنسية فى سياقها المجتمعى العام، فلا ينشر الجنس لذاته ولكن ينشر لفائدة فى الغالب صحية ونفسية وإجتماعية.

ثانيا: كان الجنس يخفف من وطأة القضايا السياسية الساخنة التى قدمتها المجلة، التخفيف على القارئ من ناحية، ومن ناحية ثانية إلهاء الحكومة عن المواجهات التى أجرتها المجلة معها، فتهتم بمحاكمة المجلة على المعالجات الجنسية وتتركها وشأنها فى المعالجات السياسية والفكرية والثقافية، وقد اتبعت المجلة فى ذلك الآلية الشعبية التى يمكن أن نطلق عليها آلية «العصفورة»، وهى إلهاء من أمامك بشئ بينما تريد أن تمرر من أمامه شئ آخر.

لكن ما يرصده الباحث أن عادل حمودة لم يكتب بنفسه موضوعات فى الجنس، بل قام بذلك آخرون من محررى المجلة من خلال التحقيقات الصحفية عن القضايا والمشكلات الجنسية التى تنتشر فى المجتمع: أو من كتاب المجلة من الخارج، وهؤلاء فى الغالب كانوا متخصصين فى العلوم الطبية والنفسية، أى أن عادل حمودة ألقى بالفكرة فى تربة المجلة

وترك للآخرين طرح المعالجات.

ومن خلال بعض القضايا التى قدمتها المجلة يمكن للباحث أن يرصد ملامح المعالجة الإثارية للجنس فى الصحافة، ويضع الباحث لنفسه هنا معياراً وهو أن يكون الموضوع على الغلاف ليتحقق الهدف من نشره وهو جذب القراء من خلاله.

نشرت روزاليوسف على الغلاف[1] عنوانا عن المشكلة التى تعانى منها ٩٠٪ من الزوجات وهى الختان والبرود الجنسى، وفى داخل العدد تستخدم المجلة كل عناصر الإثارة من خلال العناوين والرسوم الكاريكاتيرية، فهى تصف الختان بأنه توقيع رجل متخلف على جسد إمرأة مصرية.

وجعلت المجلة من دراسة أعدها مشروع صحة المرأة والطفل التابع لجمعية تنظيم الأسرة بالقاهرة على عينة مكونة من ٦٤٧٢ فتاة وسيدة من فئات مختلفة من ممرضات وموظفات وطالبات جامعيات وطالبات مدارس ثانوية وأمهات متعلمات وغير متعلمات، وكان من نتائج الدراسة أن الختان منتشر ولا يقتصر على المناطق الشعبية فقط، بل يمتد للطبقات الغنية والمتعلمة، وتنقسم عملية الختان على ثلاثة درجات وتسبب حرمان المرأة من الوصول إلى الإشباع الجنسى ولكن لا تحرمها من الرغبة.

وإلى جوار الدراسة نشرت المجلة رسما كاريكاتيرا لعريس وعروسة أمام مصور ويقول العريس لعروسه: بعد ما نخرج من عند المصوراتى نروح للدكتور يطهرك يا فاجرة..ياللى كلك شهوة، ورسما آخر لصعيدى يقف أمام غرفة عمليات ويقول للدكتور : يا أسطى شيل على قد ما تقدر بلا فضايح وقلة أدب.

وتعزز المجلة معالجتها للمشكلة من خلال نشر مشهد من رواية «زينب والعرش» التى كتبها الروائى فتحى غانم عن الختان جاء فيه: **كانت خديجة تقول لزينب وهما تستحمان معا، انظرى..إننا نختلف عن جدتك، فأنا أيضا أجروا لى عملية ختان، وهذا**

(١) روزاليوسف، عدد ٨ أغسطس ١٩٩٤.

شيء قد توارثناه ولا نستطيع أن نتخلى عنه، ولو كنت تركته مثل جدتك لقالوا إن بنت خديجة ليست نظيفة، إن هذا الذى ترينه عند جدتك يجلب لها القذارة وهو يجعل رائحة المرأة كريهة ينفر منها الرجال، إن الرجال فى بلدنا يريدون المرأة هكذا مثلى ومثلك، وهم لا يحبون المرأة بلا ختان، لأن هذا الذى قطعته أم إسماعيل هو لحم شرير فاسد، وقد تركه الشيطان فى جسد المرأة فلابد أن تتخلص منه.

وتنشر الجريدة دراسة طبية أخرى تلخص خمسة أسباب لبرود المرأة فى الفراش، الدراسة قدمتها الدكتورة فوزية الدريع عن البرود الجنسى عند النساء، وقد عززت المجلة إختيارها لدراسة فوزية الدريع لأنها قدمت رسالتها للماجستير والدكتوراه عن الثقافة الجنسية أى أنها متخصصة فى هذا المجال.

ويكشف ذلك أن روزاليوسف فى معالجاتها للقضايا الجنسية كانت تعتمد كمرجعية لها على الدراسات العلمية والأعمال الأدبية الموثقة وهو ما يمنحها مصداقية فيما تكتبه وتنشره عن القضايا الجنسية.

النموذج الثانى : كان عن تدريس الجنس فى المدارس[1] وعلى الغلاف نشرت المجلة رسما لفتاة يوحى الرسم أنها عارية وترفع لافتة مكتوب عليها تدريس الجنس فى المدارس، وفى داخل المجلة تحقيق تزامن مع الشائعات التى ترددت عما سيحدث فى مؤتمر السكان الذى عقد فى مصر.

استند التحقيق إلى حوار مع الدكتور عزيز خطاب وهو أستاذ كبير فى العقم والإخصاب بجامعة عين شمس، حيث أعد بحثا بعنوان «تعليم الجنس»..خبرة أستاذ مصرى فى ٣٠ سنة، وقد تم تعزيز التحقيق بوقائع عن مدرسى الأحياء فى المدارس الذين يطلبون من التلاميذ عدم قراءة فصل الجهاز التناسلى، وأربع محاضرات فى كلية الإقتصاد والعلوم السياسية التى طرح الطلاب فيها ١٣٠٠ سؤال عن الجنس.

(١) عبد الله كمال، روزاليوسف، عدد ٢٢ أغسطس ١٩٩٤.

نشرت المجلة مع التحقيق صورة الغلاف لكن هذه المرة بدون ألوان، واستخدم فن الكاريكاتير، فقد رسم محمد حاكم مدرس يقف أمام سبورة مكتوبا عليها ثقافة جنسية ويقول : قول يا بنى إنت وهو أباح ..يبيح ..فهو قبيح، والعنوان الرئيسى هو : مؤتمر السكان يبحث إباحة تدريس الجنس فى المدارس، وكاريكاتير آخر يسأل فيه رجل إمرأة ويقول لها: إنت جنسك إيه، فتقول له: يا مجرم.

وتخترق المجلة ملف القوادين[1] على غلافها وتقتطع قلبه بعنوان تمهيدى: موديل ١٩٩٦ بالفاكس والإنترنت، وببنط كبير كتبت كلمة«القوادون»وداخل العدد تخصص المجلة ملفا عبارة عن تحقيق مطول يرصد تغير التجارة الحرام ونوع البضاعة المباعة، ينقل بكل دقة ملامح الصورة التى كانت والتى صارت فى عالم القوادين، وإلى جوار التحقيق نشرت المجلة مقالا حلل فيه أستاذ علم نفس بكلية طب القصر العينى هو الدكتور ممتاز عبد الوهاب ظاهرة القواد من الناحية النفسية، وقال عنه: **مغامر يخاطر بنفسه وبالآخرين ولا يهمه سوى المال، تسهل إثارته والكذب حيلته وقد يكون قوادا بالوراثة، قد يدمن وقد يصاب بالبانورايا ويمارس القسوة مع الإناث.**

ومرة ثانية تقدم المجلة تحقيقا صحفيا ومقالا لأستاذ جامعى[2] عن الطالبات والدعارة، وعلى الغلاف نشرت صورة لسيارة فخمة تقف عليها فتاة ترتدى المينى جيب وتستند على السيارة ومؤخرتها للقارئ، وداخل العدد تتكرر صورة الغلاف لكن بشكل أكبر والعنوان التمهيدى يتغير ليصبح من البيت إلى الكلية ومن الكلية إلى فراش مدفوع الثمن، وقدمت المجلة لهذا الملف بقولها: لا تبحث عن الجنس وأنت تقرأ هذا الملف، وإن بدت الصفحات التالية تدور حول ذلك، إبحث أولا عن السبب، ابحث عن المبررات التى تجعل طالبة جامعية متفوقة تنحرف مقابل أجر، ابحث عن دوافع طفلة فى مدرسة ثانوى تخلع ملابسها وتمارس الرذيلة، ابحث عن هذا الذى يجعل مثل تلك الطفلة

(١) روزاليوسف ، عدد ١٦ ديسمبر ١٩٩٦.

(٢) روزاليوسف، عدد ١٢ مايو ١٩٩٧.

حريصة على أن ترضى نفسها وأن تخدع الجميع فى نفس الوقت، ابحث عن أسباب تجعل حاصلات على شهادات عليا يسقطن فى بئر الحرام والفجور ويتناسين تماما سنوات طويلة من التعليم.

كانت هذه مقدمة تبريرية لفتح الملف الذى إمتد عبر تقرير عن التجنيد بشذوذ النساء وهو عرض للقضية رقم ١٥٦٩/ ٩٧ جنح الظاهر، ثم تقريرا آخر عن الدعارة بالماجستير ويستند إلى بعض بحوث المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية وكذلك بعض محاضر الآداب فى أقسام الشرطة.

وتعزز المجلة معالجتها بمقال للدكتور سمير نعيم أستاذ علم الإجتماع بجامعة عين شمس الذى رأى أن الدعارة ليست جنسا فقط.

المجلة فى هذا التقرير تشير إلى أنها لا تفتح ملف دعارة الطالبات لأنه ملف جنسى وإن بدا للقارئ كذلك، لكن لأنه فى النهاية قضية مجتمعية، قد يكون هدف المجلة منه إيقاظ المجتمع عبر صدمته، وإن كانت هذه المعالجات أدانت تجربة روزاليوسف ووصمتها بأنه صحافة الجنس، وذلك لأن المجتمع فى الغالب يرفض من يكشف له عواره ويجعله هو المدان.

وبدون صورة على الغلاف[1] تشير المجلة إلى عنوان من ثلاثة كلمات هو الجنس فى الجيش، وهو عنوان خادع فى الغالب قصدته المجلة، فيعتقد القارئ للوهلة الأولى أن الجيش المقصود هو الجيش المصرى، لكن بمجرد أن يعبر القارئ إلى داخل المجلة يجد أن الجيش المقصود هو الجيش الأمريكى، وهو تقرير مترجم عن فضيحة جنسية تفجرت فى صفوف جيش الولايات المتحدة الأمريكية وشغلت بال الناس وشاشات التليفزيون وصفحات الجرائد والمجلات هناك.

وهى معالجة تؤكد أن المجلة كانت تستخدم الجنس من أجل التوزيع فى المقام الأول، فالعنوان فى نهايته مضلل، لا يعكس المضمون الذى تقدمه المجلة، ولذلك لا يمكن أن

(١) روزاليوسف، عدد ٢ يونيو ١٩٩٧.

نعتبر ما قدمته المجلة معالجة من أجل المجتمع لكنها من أجل التوزيع.

وعلى نفس الخط من المعالجة تنشر المجلة[1] على غلافها صورة لساقى إمراة عاريتين وتحتها عنوان: فضيحة سياسية فى فرنسا..عاهرات باريس والزبائن العرب، وإلى جوار صورتين شبه عاريتين لفتاتين فرنسيتين قدمت المجلة مبررها لترجمة تقريرها عن مجلة «حدث يوم الخميس» الفرنسية، تقول المجلة: هذه القضية تتحدث عنها كل فرنسا الآن، فعلى الرغم من أن هناك سوقا رائجة للدعارة، إلا أن هناك أيضا قوانين وقواعد يجب أن يلتزم بها العاملون فى هذه السوق، وحين إخترق البعض القانون ظهرت الفضيحة، وتحدثت الصحف عن عشرات الفتيات ومديرى الأعمال والزبائن الذين يحتل بعضهم مواقع بارزة فى عدة دول، ورغم أن هناك ضغوطا حاولت كتم أنفاس التحقيقات إلا أن القضية لم تزل مفتوحة.

وهنا ملمح مهم يتكرر فى معالجات روزاليوسف للقضايا الجنسية فهى لا تنشر تحقيقا ولا ملفا إلا وتقدم له ما يشبه التبرير الذى تسوق فيه ما يبرهن على وجهة نظرها لأنها تدرك أنها إن لم توضح للقارئ مقصدها، فإن هذا القارئ فى الغالب سيفهم مقصدها على الوجه الخطأ.

وتربط المجلة بين الحشيش والجنس[2] على الغلاف تضع نموذجا لشيشة وفى أسفلها إمرأة عارية الصدر، وبعنوان تمهيدى هو: يحدث فى ليلة الجمعة، وفى الداخل مقال للدكتور خالد منتصر، يؤصل فيه لظاهرة تدخين الحشيش فى مصر، ورغم أن المقال يعدد أضرار ومخاطر الحشيش على الصحة العامة والحالة الجنسية مستندا إلى عدد من الدراسات العلمية والنفسية إلا أن عرضها بهذه الصورة يمكن أن يكون مغريا لإستخدام الحشيش وتعاطيه، خاصة أن المجلات طعمت المقال برسوم كاريكاتيرية ذات إيحاءات جنسية واضحة.

(١) روزاليوسف، عدد ٣٠ يونيو ١٩٩٧.

(٢) د.خالد منتصر، روزاليوسف، عدد ٧ يوليو ١٩٩٧.

وإلى جوار صورة لمادونا[1] عنوان يؤكد أن محكمة أمريكية حكمت بأن الجنس على الإنترنت حق لكل مواطن، والتفاصيل عبر تقرير مترجم يرصد حكم المحكمة العليا الأمريكية التاريخى كما وصفته المجلة بإلغاء قانون المحافظة على الحياء العام فى وسائل المواصلات لأنه يخالف نصوص الدستور الخاصة بحقوق المواطنين وكفالة حرياتهم الشخصية، وتعود أهمية هذا الحكم كما تقول المجلة إلى الأجواء التى تخيم على المجتمع الأمريكى، حيث تنتشر النزعات المحافظة والرجعية فيما يتعلق بوسائل الإعلام والإتصالات الحديثة وخصوصا شبكة الإنترنت التى أصبحت شيطان العصر والمتهم الأول وراء كل جريمة من الخيانة الزوجية إلى الإنتحار الجماعى، مرورا بإنحرافات المراهقين وإنتشار المخدرات والعنف وفيروس الإيدز.

وتحقق روزاليوسف فى إغلاق عيادات الجنس[2] وتنشر إلى جوار الغلاف على الصفحة الأولى صورة لفتاة عارية الصدر والساقين، وهو تحقيق إستندت فيه المجلة إلى الأساتذة المتخصصين الذين اكدوا أن الإعلانات عن عيادات علاج العجز الجنسى ليست إلا خدعة، ورصدت المجلة الظاهرة من خلال العناوين المصاحبة للتحقيق والتى تقول: إعلانات يومية عن علاج الضعف بالليزر، خبراء وهميون من جامعات لا وجود لها فى الصين يعالجون بالإبر، قانون النقابة يمنع الطبيب من الإعلان عن نشاطه بشكل مبالغ فيه، الوزير يكلف إدارة العلاج الحر بمراجعة تخصصات الأطباء فى مجال الذكورة، واستند التحقيق كذلك إلى واقعة إغلاق وزارة الصحة ست عيادات متخصصة فى علاج الضعف الجنسى وفقا لما كانت تدعيه إعلاناتها كما تقوم الوزارة كذلك بفحص وتفتيش أكثر من ٤٠ عيادة ومركزا فى القاهرة والأقاليم.

وتصل مجلة روزاليوسف إلى قمة معالجتها للجنس عندما تربطه بضلعى الإثارة

(١) روزاليوسف، روزاليوسف، عدد ٢١ يوليو ١٩٩٧.
(٢) روزاليوسف، عدد ٨ ديسمبر ١٩٩٧.

الآخرين، وعلى الغلاف[1] نشرت صورة للرئيس الأمريكى بيل كلينتون وهو مصلوب على فخذى إمرأة وعنوان صادم، هو كيف يمارس الرئيس الجنس، لم تستطع روزا أن تكتب العنوان دون صورة حتى لا ينصرف المعنى كالعادة إلى رؤساء آخرين.

وفى الداخل تقرير كتبه من واشنطن للمجلة توماس جورجسيان الذى اعتبر الجنس أقوى مقو سياسى، وأبرزت عناوين التقرير أفكاره التى كانت تقول: كلينتون بالنسبة لما فعله كينيدى يعتبر طفلا، عشيقة كينيدى كانت سكرتيرة لزوجته جاكى، الرئيس جونسون كان يتلذذ بالجنس ويغار من كينيدى، جيمى كارتر يعتبر طاهرا تماما مقارنة بكل هؤلاء، هل هيلارى كلينتون كما تقول الشائعات شاذة جنسيا.

والسؤال هو هل كان هذا النموذج من الإثارة بالجنس مهنيا أم مجتمعيا، من الناحية المهنية يعتبر الغلاف - الذى كان مستفزا للمشاعر الدينية حيث تم التقريب بين معنى الصليب الذى هو رمز للفداء إلى معنى جنسى حيث صلب الرئيس الأمريكى على فخذى إمرأة – مثيرا وجاذبا للقارئ، لكنه من الناحية المجتمعية لا عطاءات له فهو من أجل التوزيع فقط.

ويمكن للباحث أن يشير إلى أن الجنس فى تجربة روزاليوسف لم يكن على طول الخط من أجل المجتمع، ولم يكن على طول الخط أيضا من أجل التوزيع، فقد تم الدمج بينهما.

هذه الصيغة من المعالجة لم تخرج عنها معالجات الجنس فى صحف الإثارة بعد ذلك والنماذج التطبيقية تؤكد ذلك وتشير إليه.

فقد سارت جريدة الدستور على نهج روزاليوسف، وإن كان هناك فارقا بينهما أنها لم تضع العناوين الجنسية ضمن عناوين الصفحة الأولى، اهتمت الجريدة بالجنس من الناحية الطبية والظواهر الجنسية الغريبة، فقد اقتحمت عدة مناطق كان يعتبرها البعض محظورة.

(١) روزاليوسف، عدد ٩ فبراير ١٩٩٨.

ناقشت الجريدة مرض البروستاتا كقضية مصرية[1] واستندت الجريدة فى معالجتها أن هناك ٣٠ ألف عملية فى إنجلترا و١٠٠ ألف عملية فى فرنسا ونصف مليون فى الولايات المتحدة، لكن لا توجد معلومات عن العدد الحقيقى للمرضى والعمليات فى مصر، وتمنح الجريدة معالجتها مبررا لإختراق هذا الموضوع فإلتهاب البروستاتا أخطر مرض يصيب الشباب المصرى وسرطان البروستاتا هو الأكثر إنتشارا بين الرجال، ثم أن البروستاتا تفرز الزنك وهرمونات الذكورة وأى خلل فيها يؤثر على قدرة الرجل الجنسية.

إعتمدت الجريدة فى تقديمها لهذه القضية على العناوين والصور الموضوعية التى لا مكان فيها لصورة إمرأة، ودعمت معالجاتها بصور الرؤساء والمشاهير الذين كانوا ضحايا لمرض البروستاتاومنهم فرانسوا ميتران، ورونالد ريجان.

وتخرج الدستور من القضايا الطبية إلى الإثارة من خلال كتب الجنس التراثية، على صفحتين نشرت الجريدة[2] عرضا لكتاب تحفة العروس ومتعة النفوس، وترجمت ما أرادته فى عنوان رئيسى هو : كل ما تريد ولا تريد أن تعرفه عن النساء وبدون قلة أدب فى كتاب محرم ننفرد بنشره.

ولأن القاعدة فى نشر الموضوعات الجنسية هى التبرير لها قبل نشرها فقد خاطبت الجريدة القارئ مباشرة قالت: لأسباب لا يعلمها إلا الله ابتلى زماننا هذا بكل ما هو سيئ وكئيب، وخاصمه كل ما هو ممتع ومبهج، ولأسباب لا يعلمها إلا نحن، أصبحنا نتفنن فى إضفاء المزيد من الكآبة على حياتنا، حتى صرنا نستغرب أى شئ جميل ونستكثره على أنفسنا.

لكننا عزيزى القارئ لا نستكثر عليك شئيا ونراك جديرا بكل شئ، ولذلك نقدم لك قطعة الأرابيسك هذه لتستمتع بها وهى على هيئة فصلين مختارين من «تحفة العروس ومتعة النفوس» لمحمد بن أحمد التيجانى.

(١) الدستور، عدد ١٤ فبراير ١٩٩٦.

(٢) الدستور، عدد ٦ مارس ١٩٩٦.

وتتساءل الجريدة، أما لماذا نفعل ذلك فالأسباب عديدة، تبدأ بأننا نحبك ونريد أن نمتعك ونثبت لك أن حضارتنا العربية حضارة عظيمة جميلة تحب الجمال وليست حضارة عبوس وجهامة وعنف وتنتهى بأننا نعرف أن الكتاب نادر وبعيد المنال ونسخته غاليه وأحيانا لا تقدر بثمن، ولذلك أردنا أن نقدم لك جزءا منه مجانا.

وأما أنه تحفة العروس ومتعة النفوس، فلا شك فى ذلك ، وإقرأ وسوف تتأكد بنفسك، كما أنه كابن للحضارة العربية يقدم المرأة على أنها كائن جميل، بل أجمل الكائنات، بعد أن كاد العرب ينسون أو يتناسون ذلك، وكما يقول محقق الكتاب جليل العطية فى مقدمته: ليس هذا الكتاب نصا خليعا يقرأ فى السهرات أو فى الخلوات فمؤلفه من أئمة المالكية، وقد اعتمد فيه على أكثر من مائة مصدر، والعجيب بل المصيبة أن الغرب اكتشفه قبلنا، كما اكتشف كل شئ جميل خاص بنا قبلنا، فهل تشاركنا فرحتنا وإستمتاعنا وفخرنا.. نرجو ذلك.

حاولت الجريدة فى عرضها أن تبتعد عن الإبتذال اللفظى ولم تستخدم صورا تدعم بها الموضوع، لكن يلاحظ الباحث أن المبرر الذى ساقته الجريدة لإقناع قارئها بوجهة نظرها كان فيها بعضا من إبتزاز القارئ النفسى والجنسى، حيث أكدت أكثر من مرة على المتعة والإستمتاع والبهجة والسعادة، وفى ذلك إشارة إلى أن الصحيفة رغم أهدافها الأخرى إلا أن هدف مداعبة الغريزة كان لديها قائما .

الصيغة الثالثة : التى عالجت الدستور من خلالها ملف الجنس، كانت من خلال التعرض للظواهر الجنسية الغريبة والغامضة[1] حيث قدم ياسر أيوب تحقيقا علميا وطبيا عن أسرار اللبان الجنسى، ففى هذه الفترة بدأت حكاية اللبان الجنسى الذى يستخدمه الشباب فى إغراء البنات فى المنصورةومنها إلى الصحف حتى وصلت الظاهرة إلى مجلس الشعب، ويخلص التحقيق إلى أن الطب لم يخترع أى مادة تشعل رغبة المرأة على الفور،

(١) الدستور، عدد ٢٦ يونيو ١٩٩٦.

فالرغبة لدى المرأة تحكمها عوامل كثيرة ومعقدة أبعد من اللبان الجنسى.

دفع التحقيق كذلك بأن مثل هذه الظاهرة ترجمة فى النهاية للجهل المتفشى الذى لا يدقق أصحابه فيما يقال لهم بل ينساقون فقط وراء الشائعات دون تمحيصها.

معالجة القضايا الجنسية فى الدستور لا تخرج إذن عن هذه الملفات الثلاثة، القضايا الطبية، والجنس التراثى، والظواهر الجنسية الغريبة، والإختيار هنا ليس للتوزيع فحسب بدليل أن الجريدة لم تكن تضع عناوين الموضوعات الجنسية فى الصفحة الأولى، وإن كان يمكن إرجاع ذلك إلى طبيعة تكوين الصفحة الأولى، فقد كانت الدستور صحيفة أسبوعية لكنها كانت تخرج صفحتها الأولى على طريقة الصحف اليومية، ولم تكن قد عرفت الصحف الأسبوعية بعد تكنيك المرآة، الذى يعتمد على جعل نصف الصفحة الأولى فى الجريدة وكأنها غلاف مجلة تقدم للقارئ أهم ما لديها فى كل عدد.

معالجة الصحف السياسية الجادة للقضايا الجنسية مختلف، فهى تفعل ذلك من خلال أرضيتها السياسية والأيديولوجية، فجريدة الأسبوع توظف القضايا الجنسية التى تعرض لها من أجل تأكيدها على أنها تدافع عن أخلاق المجتمع، وهو ما فعلته فى معالجتها لقضية زفاف الرجلين الشاذين فى أحد فنادق القاهرة[1].

وضعت الأسبوع العنوان ممهدة له بأنه كارثة أخلاقية فى صدر صفحتها الأولى، والصفحة الأولى بالنسبة للأسبوع مخصصة للشئون السياسية الوطنية منها والقومية، لكن احتلت هذه القضية مساحة الصفحة الأولى لأنها فى الأساس قضية أخلاقية ويتسق ذلك مع السياسة التحريرية العامة للأسبوع فهى جريدة محافظة، تصدر نفسها أنها جريدة الأسرة المصرية.

ولذلك صدرت الجريدة عرضها لهذه القضية بأن هذا يحدث فى بلد الأزهر وتحت سمع وبصر الحكومة، بعد أن رصدت الجريدة وقائع حفل الزفاف بالتفاصيل المثيرة من

(١) محمود بكرى، الأسبوع، عدد ١٥ أغسطس ٢٠٠٥.

الرقص والموسيقى والممارسات الجنسية الشاذة، ارتدت لتستخلص العبرة من ذلك، تقول الجريدة: فيما كان الهدوء يخيم على المكان، وفيما كانت بواكير الصباح تنبئ عن يوم جديد، كان المشهد العبثى يثير الحاضرين من إدارة الفندق، إلى رجال الشرطة والسياحة وأجهزة الدولة، لكن أحدا لم يعترض، فنحن فى أشد الحاجة إلى دخل السياحة وأموالها يجب أن تتدفق على خزينة الوطن، ليس مهما الوسيلة أو الطريقة بل الغاية هى الهدف، ليس مهما الحلال والحرام، ولا غضب الله سبحانه وتعالى، بل كل شئ يهون طالما أن الدولارات والدنانير تقتحم الجيوب، ليس مهما الإساءة إلى بلد الأزهر، ولا المس بطهارة أولياء الله الصالحين، القابعين على بعد خطوات من موقع المهزلة التى حدثت، المهم فى نظر هؤلاء أن تكون مصر بلد الحضارة والريادة، وبلد الحرية وبلد كل شئ فلقد عز الشرف وغابت المعايير وتراجعت الأخلاق وسقطت قيم كنا نظنها صامدة ولكن وياللمأساة ها هى تتحطم أمام أعيننا دون أن نحرك ساكنا.

هذا النمط من المعالجة للقضايا الجنسية فى النهاية يضمن للجريدة أن تخترق موضوعات غاية فى الحساسية لكنها فى النهاية لا تفقد قارئها لأنها تغلف التفاصيل الجنسية بغلاف أخلاقى يداعب حالة الإزدواجية التى يتعامل بها هذا القارئ مع مثل هذا النوع من القضايا، فهو يقبل على قراءة الموضوعات الجنسية لكن دون أن يعرف عنه الآخرون ذلك.

وإذا كانت جريدة الأسبوع عالجت الجنس من منطلق أخلاقى، فإن جريدة العربى تعالج هذه القضايا من منطلق سياسى، فعندما تنشر نص إعترافات زعيم تنظيم الشواذ[1] تؤكد أن أمريكا تدعم هذا التنظيم، وتبرز الإعترافات التى لها جانب سياسى، ومنها: زرت القدس ليوم واحد بدون تأشيرة إسرائيلية، صورت السفارة الإسرائيلية والمعبد اليهودى حبا فى المغامرة، قررت التوبة بعد حادثة سيارة عام ٩٨ وأديت العمرة ثلاث

(١) العربى، عدد ٢٦ أغسطس ٢٠٠١.

مرات، الأمن وضع مع المضبوطات عشرة كتب صفراء لا علاقة لى بها، استخدمت الإنترنت لمجرد الإطلاع والثقافة ولا أملك جهاز كمبيوتر حتى الآن، لم اعتنق أى دين يخالف الإسلام وأغلب المتهمين لا أعرفهم، ذهبت لشيخ بعد حادثة تعرضت لها وقال لى خليك مع الله واتخذه وكيلا فقررت تسميته التنظيم وكالة الله، استأجرت شقة بعين الصيرة حتى لا يطلع أحد على أسرارى الجنسية.

أخذت الجريدة من القضية الجنسية إطارا عاما لتسريب آراءها وأفكارها، فهى ضد أمريكا وإسرائيل فأبرزت دورهما فى هذا التنظيم، كما أنها حرصت على الهجوم على الأجهزة الأمنية من خلال إبراز الإعتراف بأن أجهزة الأمن المصرية عملت على تلفيق التهمة لأعضاء التنظيم.

وعندما تعرض العربى لقضية المحافظ ماهر الجندى تضع عنوانا خارجا عن سياقها أو فلسفتها فى صياغة العناوين[1]، فعلى الصفحة الأولى وعبر الثمانية أعمدة تقول الجريدة: أسرار مثيرة فى ليالى هلس ماهر الجندى مع نجمة الإغراء، والعنوان وحده يحمل عناصر الإثارة الصحفية ففيه إشارة إلى أسرار...ونجمة إغراء..ومسئول سياسى كبير...وممارسات جنسية أشارت إليها الجريدة بأنها ليالى هلس، ورغم خروج هذا العنوان عن جدية العناوين التى تعتمد عليها العربى إلا أن إغراء تفاصيل الواقعة وتورط مسئول سياسى فيها كان عاملا فى إضطرار الجريدة إلى صياغة العنوان بهذه الطريقة، فعناصره لا يمكن صياغتها إلا على هذا الشكل.

وعليه فالجنس فى صحف الإثارة السياسية لا يتم الإعتماد عليه لذاته ولا تعتمد عليه الجريدة فى التوزيع، لكنها تفعل ذلك من أجل تحقيق أهدافها الخاصة بها.

إلى جانب هذه الصيغ ظهرت صيغة جريدة النبأ التى كانت تقوم فى كافة معالجاتها على الجنس، ونموذج واحد يكشف ما كانت تقدمه الجريدة بداية من صفحتها الأولى، ففى

(١) العربى، عدد ١٧ سبتمبر ٢٠٠٠.

عناوين الصفحة الأولى نشرت الجريدة[1]:

- إغتصاب حنان ترك يثير ضجة واسعة.
- سرير إنجليزى يهدد عرش المايسترو فى الأهلى.
- قصة إنفراد البوبى المدلل بالفنانة نادية الجندى فى حجرة خاصة.
- حدوتة ابن الثلاثين مع فيفى عبده فى الصعيد.
- هروب المدرب الشاذ بعد عملة مدوية فى الزمالك.
- حواديت نهلة سلامة ومروة وميرنا مع التحرشات إياها.
- عفريت يشعل النار فى الغربية ويعتدى على النساء.
- السيناريو الكامل لتصوير أبشع جريمة جنسية بالوجه البحرى.
- عمايل البنات السرية على الملابس الداخلية.
- حادث هتك عرض فى شركة رجل أعمال معروف.
- فضيحة الممثلة الشابة مع فيصل خورشيد.
- مصايب الزواج العرفى فى منزل المسئول الكبير.

ومن خلال عناوين العدد يتضح أن الجريدة التى نشرت ١٧ عنوانا من موضوعاتها الداخلية كان الجنس العامل المشترك الأعلى فى ١٢ منها، كانت جريدة النبأ تبحث عن الجانب الجنسى فى الموضوع الذى تعرضه سواء كان رياضيا أو فنيا أو سياسيا أو دينيا، تمزج بين الحادث وبين الجنس، ثم تبرز العنصر الجنسى دون سواه، لم تخرج معالجة الجنس فى النبأ عن هذه الفكرة، ولا يمكن للباحث أن يطمئن إلى أن النبأ كانت تنشر القضايا الجنسية وتعالجها لأسباب مجتمعية فقد كانت تفعل ذلك بالأساس من أجل زيادة التوزيع وإقبال القارئ عليها.

(١) النبأ، عدد ١٦ مايو ١٩٩٩.

لكن يتضح فى معالجة النبأ للجنس أنها كانت تعتمد على آليات أخرى من آليات الإثارة، وتحديدا العناوين المضللة، ويتضح ذلك فى العنوان: اغتصاب حنان ترك يثير ضجة واسعة، لقد وضعت الجريدة هذا العنوان المانشيت الرئيسى لها وباللون الأحمر، لكن معالجته جاءت كالتالى:

أضيفت للعنوان فى الداخل كلمتى فى إسرائيل، ليصبح العنوان: إغتصاب حنان ترك يثير ضجة واسعة فى إسرائيل، والتفاصيل كما جاءت فى التقرير، أن إسرائيل أثارت ضجة واسعة حول محاولة إغتصاب حنان ترك على يد زعيم عصابة إسرائيلى فى أحد مشاهد الفيلم المصرى «فتاة من إسرائيل»، ووجهت عدد من القيادات الإسرائيلية إنتقادا لاذعا للفيلم لقيامه بتصوير الإسرائيليين على أنهم لصوص أو مغتصبون أو تجار مخدرات أو قتلة ومحتلين وجواسيس وناقلون للأمراض الجنسية، وغيره.

واستندت الجريدة فى تقريرها إلى ما نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية التى شنت هجوما كبيرا على الفيلم المصرى وانتقدت فيه كل شئ ووصفت مخرجه إيهاب راضى بأنه من أشد كارهى إسرائيل فى التاريخ.

هذه المعالجة تشى بأن الجريدة أرادت أن تستفيد من الخبر على طريقتها مع إسقاط كافة المعايير المهنية التى تحكم صحافة الإثارة، وليس الصحافة الجادة، كان يمكن للجريدة أن تذكر فى العنوان أن ما حدث كان محاولة إغتصاب وليس عملية إغتصاب، وأن الواقعة جرت فى فيلم سينمائى وليس فى الواقع، لكن الإثارة السطحية التى انتهجتها الجريدة رغبت عن ذلك مضللة قراءها عن حقيقة ما جرى، وهو نمط من المعالجة يعكس تخلى الجريدة عن مسئوليتها الإجتماعية وهى تصيغ مثل هذا العنوان.

لكن لا يمكن أن يغفل الباحث أن المعالجات المهنية للشئون الجنسية يختلط بها ما يمكن أن نعتبره خروجا على الآداب العامة التى تتمثل فى نشر ألفاظ خادشة للحياء أو غير معهودة فى المجتمع والشارع المصرى، ونشر الصور غير اللائقة وهو وصف يطلق فى

الغالب على الصور العارية، لكن الباحث يعتبر أن هذه أمور نسبية فما يمكن أن يراه قارئ صورة عارية يمكن أن يراه آخر ليس كذلك بالمرة، لكن يبقى أن صحف الإثارة تستخدم الصورة العارية والنساء المرتديات المايوه البكينى فى الصفحة الأولى كنوع من الترويج لها، وإن كانت هذه الصحف تتراجع عن نشر هذه الصور خاصة فى المراحل التى يزيد فيها المد الدينى والأخلاقى فى محاولة من هذه الصحف لمداهنة المجتمع الذى تصدر فيه.

لكن الملاحظة الأهم التى يرصدها الباحث فى هذا الإطار هى حالة الإستقطاب الإثارى الجنسى، حيث إنساقت صحف جادة تقدم معالجات من أجل المجتمع فى مختلف قضاياها وراء الصحف الجنسية وتحديدا النبأ، صحيح أن هذا الإنسياق لم يكن فى نمط المعالجة الجنسية للشئون الجنسية لكنه كان فقط فى صياغة العناوين ووضع تنويهات عن هذه الموضوعات فى الصفحة الأولى لتكون وسيلة من وسائل جذب القراء إلى الصحيفة، وهو نوع من التماهى المهنى مع صحف حققت رواجا رغم أنها فى الغالب تقدم معالجات غير مسئولة ولا مشتبكة مع قضايا المجتمع الحقيقية والواقعية.

■ ■ ■

إثارة الدجل والخرافة

تدرك صحف الإثارة أن الخرافات تتمكن من العقل المصرى وتسيطر عليه، ولذلك فإنها تستغل إحتياج القارئ إلى ما يلبى حاجته إلى الإطلاع على الغيبيات والخرافات وتعزف على وترها، و تختلف معالجات الصحف لشئون الدجل والخرافات وتتنوع، ويمكن للباحث من واقع الممارسة الصحفية فى صحف الدراسة أن يضع يده على نمطين، الأول يمكن أن نطلق عليه النمط التنويرى الذى يحاول أن يوقظ العقل ويخفف من وطأة وسطوة الخرافة عليه، والنمط الثانى رجعى يغذى الفكر الخرافى ويجعل القارئ أداة طيعة فى يده.

■ أولا: النمط التنويرى

ناقشت مجلة روزاليوسف الخرافة فى مصر[1] لكن على طريقتها، فعلى الغلاف نشرت صورة من زار، والعنوان الرئيسى هو زواج المصريين على فراش الجن، والعناصر الفرعية: رؤساء يحضرون الأرواح وأحزاب تفتح المندل، التجسس والإغتصاب بالتنويم المغناطيسى، تحقيق طبى: ربط الرجل ومس المرأة.

وبين يدى الملف الذى قدمته المجلة بررت دخولها هذا الملف تقول: لا يوجد مجتمع بدون خرافة، ولكنها لا يمكن أن تصبح أبدا دستور مجتمع، فى اليابان بعض الناس يؤمن أن هناك ٨ ملايين إله، وفى أمريكا بعض الناس يحدد موعد يوم القيامة، وفى إنجلترا يؤمن البعض بالسحر الأسود، إننا نقول بعض وليس كل، فبقية المجتمع هناك تؤمن بالعقل.

فى مصر الواقع مختلف، العقل غالبا فى ثلاجة، العلم مجمد، الخرافة ميثاق، الجن عقيدة، والأوهام إيمان، من السياسيين إلى الفنانين، ومن لاعبى الكرة إلى الشيوخ، ومن السفراء إلى الجامعيين.

---

(١) روزاليوسف، عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٩٦.

وقد يكون مفهوما أن يؤمن العوام بهذه الأفكار، فالإيمان بالخرافة قد يكون هروبا من الواقع السيئ، تماما مثل التطرف والحشيش وإدمان تشجيع كرة القدم، لكن أن يتحول الإيمان بالخرافة من العوام إلى المثقفين، وأن يكون أغلب زبائن الدجل من صفوة المجتمع فهذه مصيبة ويجب أن نتنبأ بنتائجها.

جعلت روزاليوسف ملفها ضد الجهل وعلى هذا الأساس رصدت مظاهر الخرافة والدجل فى المجتمع على عدة مستويات:

- الشعوذة والدجل السياسى[1] حيث السياسيون فى خدمة الجن، لأنهم يساهمون فى إشاعة روح الخرافة ويمارسون الدجل السياسى، وينساقون وراء الشعوذة فليغون كل شئ، العقل والقوة والسلطة والنفوذ، وتصبح الخرافة هى الآمر الناهى، فيختطف مواطن طائرة بعد رؤيا فى المنام، ويخدع شيخ معروف آلاف المودعين الغلابة زاعما أن أموالهم عند الله وليست عند الريان، ويزعم قاتل أن الأطباق الطائرة أمرته بإلقاء ابن خالته من الدور الرابع، وتنشغل أجهزة الدولة بالبئر الموجودة وسط جامع فى الجمالية.

- أحزاب تفتح المندل[2]...حيث تعمل بعض الأحزاب السياسية فى أعمال السحر والأعمال فكها وربطها، وتستعرض المجلة مشهدا مهما داخل أحد المبانى بحدائق القبة، حيث تجلس مجموعة من النساء ومعهن عدد من الشيوخ يتلون القرآن، فجأة تصرخ إمرأة ويسرع شيخ بضربها بعنف، وهو يقول: اخرج أيها الجان من جسمها، بينما تهتز أجساد باقى النساء بشدة، هذا المشهد لا يحدث بالطبع داخل أحد منازل المشعوذين الذين تهاجمهم الشرطة وتقبض عليهم بتهمة الدجل، ولكن داخل مقر حزب رسمى تم إنشاؤه بقرار من الحكومة منذ عشرين عاما، هو حزب الأحرار أحد أقدم ثلاثة أحزاب مصرية، وحتى تؤكد المجلة واقعية ما تذكره وتذهب إليه تنشر صورة فوتوغرافية لإعلان من

---

(١) وائل الإبراشى، روزاليوسف، مصدر سابق.

(٢) حمدى عبد العزيز ووائل لطفى، روزاليوسف، مصدر سابق.

حزب الأحرار عن مركز علاج السحر والمس الشيطانى، الفشل المتكرر فى الخطبة والزواج، الصداع والقلق والإكتئاب، المقابلة الشخصية ١١٧ ش بورسعيد الإبراهيمية والتوقيع..حزب الأحرار، وقد أجرت المجلات حوارات مع رؤساء الأحزاب التى تعمل فى الدجل والخرافة مثل أحمد الصباحى رئيس حزب الأمة ومصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار.

- أظهر الملف أن الخرافة تمكنت من قادة الأحزاب وللتدليل على ذلك أوردت ما حدث لمصطفى كامل مراد عندما دخل الغرفة المخصصة لممثلى أحزاب المعارضة بمجلس الشورى، وقال أنه يشعر بالضيق كلما دخل الغرفة، ورد عليه أحمد الصباحى رئيس حزب الأمة بأن شخصا ما عمل له عمل وأخرج بندولا من جيبه وظل يدور به فى أنحاء الغرفة حتى وصل إلى مكتب مراد ثم أخرج منه كيسا أسود وقال: أنه عمل قام بوضعه أحد أعضاء الحزب، نادى مراد أحد عمال المجلس وطلب منه أن يسلم الكيس الأسود إلى محمد فريد زكريا وكيل حزب الأحرار، الذى كان مراد قد أبعده عن منصبه فى احزب منذ فترة بسيطة، فى إشارة إلى أنه صاحب العمل الذى تم إفساد مفعوله.

- ويقتحم الملف الخرافة من منظور دينى[١] حيث يتساءل أحمد صبحى منصور: لماذا لم يجند سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الجن؟ ويطرح صبحى منصورا سؤالا مهما وهو: لقد دعا القرآن الكريم للإيمان بالغيب وتحدث عن بعض الغيبيات كالملائكة والجن والشياطين وعرش الرحمن ويوم القيامة وعلامات الساعة وتلك هى الأسس الإعتقادية للمسلمين ، فكيف نتعرف على حديث الخرافة وحديث الحق فى هذه الغيبيات؟..ويجيب منصور بأن منهج القرآن فى حديثه عن الغيبيات يقوم على أساسيين هما معا الضابط فى الموضوع، الأول هو حصر الإيمان بالغيوب فى مجالات محددة وحصر الإيمان بها على ما جاء فى القرآن فقط وما عدا ذلك فهو خرافة.

(١) أحمد صبحى منصور، روزاليوسف، مصدر سابق.

– ويستعرض الملف ما يشاع عن زواج المصريين من الجن، وتتعامل معه على أنه أبرز مرض نفسى فى مصر، لكن أغلب الذين يعانون منه لا يعرفون هذا، وإذا عرفوا فإنهم يرفضون الإقتناع، وهكذا يقبل البعض منطق أن فلانا قد تزوج من الجن ويسعى آخرون لإتمام الطلاق على يد دجال، ويرجع الملف أن هذه الفكرة تعود فى حقيقتها إلى كتب التراث التى قبلت هذا المنطق، رغم أن هناك آية واضحة جدا فى القرآن تقول «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»، لكن الإمام مالك لم يرفض هذا الأمر بل قال: ما أرى بأسا فى الدين لكنى أكره إن وجدت المراة حامل قيل لها من تزوجها؟ قالت: من الجن، فيكثر الفساد فى الدين.

– ويرصد الملف[1] جلسات الزار التى يصفها بأنها مملكة الدجالين حيث جلسة الأرواح بعشرين ألف جنيه، ويبرز الملف أن مباحث الجيزة ضبطت على مدار عام ١٧ قضية سحر ودجل وشعوذة، ومن بينها قضايا زار، فقد كان الزار هو الوسيلة المستخدمة لفك العقد وشفاء المرضى والتعجيل بزواج الفتيات والإنجاب وكانت الكودية تزعم أنها على إتصال بالجان فتقوم بذبح الذبائح وفقا لطلبات الأسياد وتلطيخ الضحية بدماء البط والحمام من أجل شفائها.

– ويشارك الدكتور يحيى الرخاوى[2] فى تشريح الظاهرة من الناحية النفسية، حيث يعرف الخرافة بأنها كل معتقد أو سلوك لا يستند إلى منهج موضوعى مرن قابل للنقد والتطور.

ويرصد أشكال الخرافة الحديثة فى الآتى: كثيرا مما نقرأ مما يسمى التاريخ هو خرافة خطيرة وخاصة ما كان موثقا منه بوثائق جزئية من جانب واحد، وكثير من الأبحاث العلمية خاصة أبحاث شركات الدواء التى تضع تفسيرات كيميائية جزئية لظواهر شديدة

(١) مايسة نوح، روزاليوسف، مصدر سابق.
(٢) يحيى الرخاوى، روزاليوسف، مصدر سابق.

التعقيد هى خرافة، وكثير من معاملات الإحصاء الجزئية والخالية من الهدف المحورى والمعنى هى خرافة تعطى نتائج براقة محكمة لقضايا زائفة أو فاشلة أصلا، كثير من معلومات شبكة الإنترنت ذات التحيز الخبيث والبعد الواحد ليست إلا خرافة مبرمجة، كثير من النظريات المثالية الجميلة الشيوعية الرائعة عجزت عن الوقوف على أرض الواقع تطبيقا عمليا مفيدا ومتغيرا ومستمرا فثبت أنها لم تكن إلا خرافة أخطأت التوقيت، ثم أن النظام العالمى الجديد هو أخرف الخرافات جميعا عبر التاريخ.

يعتبر الباحث هذا الملف النموذج المثالى لمعالجة شئون الدجل والخرافة، فهو يهدف إلى كشف الخرافات من خلال متخصصين فى الدين وعلم النفس وعلم الإجتماع وكذلك من واقع القضايا والمحاضر الموجودة فى أقسام الشرطة، وهو يرفض كل أشكال الخرافة ليست الإجتماعية فقط ولكن السياسية والدينية والنفسية أيضا.

لا تخرج معالجات الخرافة بعد ذلك وربما قبله عن هذا السياق، فيفضح ياسر أيوب[1] شيوخ الضلال الذين يدعون أنهم يعالجون بالقرآن، حيث يصفهم أيوب بأنهم تحت لافتة القرآن يستبيحون أعراض الناس وعورات الأبدان ويزعمون قدراتهم على طرد الجان ويزوجون الجن والإنس، ويستند أيوب فى مقاله إلى أن القرآن أثبت أن الجان أقل قدرة من الإنسان وأقل شأنا وقوة أيضا، ثم أن الله يسخر فى قرآنه من ضعف الجان وقلة حيلتهم والأفاقون يزعمون أنهم مسئولون عن كل أمراض الإنسان ومواجعه النفسية والجسدية والإجتماعية.

ويعتبر خالد منتصر أن فتاوى الشيوخ الطبية نوعا من الخرافة[2] ويرصد فتاوى طبية للشعراوى ترى أن أطفال الأنابيب أنزحة والتشوه الخلقى دليل على قدرة الله...زى العجل بخمس أرجل سبحان الخالق، ويرصد كذلك أحدث صيحات عمر عبد الكافى

(١) ياسر أيوب، الدستور، عدد ٢٤ فبراير ١٩٩٦.

(٢) خالد منتصر، الدستور، عدد ٢٢ مايو ١٩٩٩.

الذى أفتى بأن ماء زمزم يشفى من السرطان لكن داخل مكة المكرمة فقط، بل يأخذ على عبد الكافى أنه أفتى فى الطب البيطرى حيث نصح الفلاحين بأن يذهبوا بالجواميس إلى المقابر لتسمع عذاب القبر وتحلب.

ويرصد ياسر ثابت أن المعجزات الدينية أصبحت للبيع فى الشوارع[1] وآخر المعجزات كانت لفظ الجلالة الذى وجدوه على حجر فى بريطانيا، وبعد أن يستعرض المقال أشكال مختلفة للخرافة فى العالم يؤكد أن كتب التراث التى نملكها حافلة بمثل هذه الخوارق والمعجزات التى قد تتناقلها الألسن وتضيف إليها مرة بعد مرة أخرى، إذ تشير بعض كتب التراث فى ترجمة محمد بن عبد الواحد السعارى إلى أنه كان فى جانب داره نخلة جربها بضع وثلاثين سنة إن قل حملها توقف النيل وإن كثر حملها زاد النيل وأنها سقطت سنة ست وثمانمائة فعقر النيل تلك السنة ووقع البلاء، فالمعجزات الوهمية إذن ليست وليدة اليوم ولكنها منتج تراثى.

وتضيف جريدة الفجر[2] زاوية جديدة إلى مواجهة الخرافة عن طريق فتح ملف السحر الأسود فى الكنيسة، على الصفحة الأولى نشرت الجريدة صورة لفتاة ويضع رجل دين مسيحى صليبا على صدرها وإلى جوارها عنوان شارح يكشف أن المسلمين ينفقون ١٠ مليارات جنيه سنويا على كهنة إخراج الأرواح الشريرة.

وبررت الجريدة فتحها لهذا الملف بأنه من المعروف والشائع بين المصريين مسلمين ومسيحيين أنهم يلجأون إلى الكنيسة بحثا عن علاج عما يعرف بالمس الشيطانى والربط والأعمال السفلية والأرواح الشريرة، لكن هناك نظرة مختلفة تنظرها الكنيسة إلى الدجالين والمشعوذين واستعانت الجريدة لإظهار هذه النظرة بالأب مرقص عزيز راعى الكنيسة المعلقة، والقمص صليب متى ساويرس، واستعانت كذلك بالدكتور خليل فاضل

(١) ياسر ثابت، الدستور، عدد ١٢ يونيو ١٩٩٦.

(٢) الفجر، عدد ١ مايو ٢٠٠٦.

إستشارى الطب النفسى ليفسر الظاهرة.

وهى نفس الصيغة فى معالجة شئون الدجل والشعوذة، لكن المعلومات لم تكن دقيقة خاصة فى الأرقام التى تشير إلى حجم الإنفاق السنوى على الدجل والشعوذة، إذ لا توجد جهة رسمية أو غير رسمية تعلن عن أرقام ويكون لها مرجعية يمكن أن يطمئن لها الباحث.

■ ثانيًا : النمط الرجعى

فى مقابل هذا النمط من المعالجة توجد معالجات مختلفة لشئون الدجل والخرافة، لا يكون الهدف من نشرها محاربة الظاهرة أو مواجهتها ولكن تعمل على تكريسها أو على الأقل لا تفندها لقارئ لديه الإستعداد للإنصياع خلف الدجالين والمشعوذين، والأمثلة على ذلك فى صحف الدراسة كثيرة:

- الطفل المسحور يتحول إلى بطاطس[١].
- المنجمون يحذرون من الزواج فى فبراير[٢].
- ثمانية بنود أغرب من الخيال فى عقد العفاريت مع الدجالين[٣].
- أحدث طرق الشعوذة ...والدجل حقنة دم تشفى الأمراض المستعصية.
- نبى جديد يكلم الملائكة ويقتل الجن ويعرف أسرار اللوح المحفوظ.
- تعاويذ خاصة تنشط الرجولة وتقضى على فتور العلاقات الزوجية[٤].
- بركات الشيخ الوقور تسخر الجان لتسهيل إغتصاب الحسان.

(١) النبأ، عدد ٣ يناير ٢٠٠١.
(٢) النبأ، عدد ٦ فبراير ٢٠٠١.
(٣) النبأ، عدد ١ مايو ٢٠٠١.
(٤) النبأ، عدد ٧ يوليو ٢٠٠٢.

– واقعة مثيرة تكشف تحرش العفاريت بالسيدات فى الحمامات[1].

– ظهور عفريت برأس غول وجسد إنسان فى الأسكندرية[2].

– الشيخة ليلى تسخر فريقا من الجان لحل مشكلة عدم الإنجاب[3].

– حكايات وفاء عامر وغادة عبد الرازق مع العفاريت بالملابس الداخلية فى وكر الهرم[4].

– جنى يجرى عملية لرضيع فى عمر الثمانية أشهر[5].

– فتاة جامعية تدعى علم الغيب ومقابلة جميع الأنبياء فى المنام[6].

– طفلة خارقة تقرأ وتشاهد التليفزيون وتميز بين الألوان وهى معصوبة العينين[7].

– تحضير أرواح فى هيئة ليلى علوى وروبى فى حفل جنسى جماعى[8].

– معجزة إلهية لترزى مصرى يدخل الكعبة مشلولا ويخرج منها ماشيا[9].

هذه النماذج تعبر فى النهاية عن إتجاه ومدرسة فى معالجة شئون الدجل والخرافة، ومرجعيتها فيها أحيانا محاضر الشرطة كما تقول لكنها لاتلتزم بقواعد الدقة والموضوعية التى تحتم ذكر رقم محضر الشرطة ومكانه، ولا يظهر فى هذه التقارير أية إشارات إلى معالم

(١) النبأ، عدد ١٤ يوليو ٢٠٠٢.
(٢) النبأ، عدد ٢١ يوليو ٢٠٠٢.
(٣) النبأ، عدد ٤ أغسطس ٢٠٠٢.
(٤) النبأ، عدد ١٨ أغسطس ٢٠٠٢.
(٥) النبأ، عدد ٢ مارس ٢٠٠٣.
(٦) النبأ، عدد ٩ مارس ٢٠٠٣.
(٧) النبأ، مصدر سابق.
(٨) النبأ، عدد ٣ أغسطس ٢٠٠٣.
(٩) النبأ، عدد ١٠ أغسطس ٢٠٠٣.

الوقائع لا من حيث الزمان ولا المكان، وهو ما يجعل الباحث يجزم أن فنون الفبركة هى التى تقف وراء صياغة هذه التقارير التى لا هدف من وراءها إلا جذب القارئ والسيطرة عليه، وجعله يعتقد أن هذه الجريمة فى النهاية لديها أسرار عالم الدجل والشعوذة.

ولا شك أن مثل هذه المعالجة تدعم الفكر الخرافى وتنشر الإيمان بالدجل والشعوذة، حيث أنها فى الغالب تركز على نماذج ناجحة من الدجالين والذين يأتون بالمعجزات وتحديدا فى شفاء المرضى، ومن هذه الزاوية تحديدا تؤثر معالجة الترويج للدجل والشعوذة فالمرضى يتعلقون بالأمل حتى لو كان الأمل كاذب.

■ ■ ■

الإثارة من خلال مادة الجريمة

عندما يتأمل الباحث تقارير الممارسة الصحفية التى أصدرها المجلس الأعلى للصحافة سيجد أنها رصدت عدة تجاوزات وقعت فيها الصحف خلال معالجتها وعرضها لمادة الجريمة، وقد تكون هذه النماذج دليلا إرشاديا على ما جرى:

- ذهبت المرضة لعلاج أمها فهاجمها الطبيب واعتدى عليها[1]، وفى الخبر إشارة إلى أن الإتهام لم يثبت بعد وأن التقرير الطبى أفاد بعذرية المرضة.

- ذئاب بشرية يغتصبون فتاة بالمنيل، وذئب بشرى يغتصب فتاة ويقتل أباها بالمطواة، ووحش بشرى فرنسى يغتصب ١٠٠ إمرأة[2] وفيها تركيز على الجرائم الإجتماعية الشاذة.

- لماذا قتلت ولاء والدها[3] ونشرت الجريدة صورة المتهة فى الصفحة الأولى وفى صفحتها الداخلية كما أنها توسعت فى نشر تفاصيل جريمة القتل.

- طفل يقتل زميله بسبب لعب الكرة[4].

- ١٨ فتاة من بنات الأكابر فى ٦ شبكات آداب فى القاهرة والأسكندرية والدقهلية، روسيات ومغربيات ومصريات فى أكبر تنظيم دولى للعاهرات بالدقى، سقوط شبكة أم حمادة فى فيلا سيدى بشر بالأسكندرية[5]، وهى جرائم ذات طابع جنسى مجرد.

- جريمة بشعة فى القناطر الخيرية: الزوجة وعشيقها ذبحا الزوج بـ١٦ طعنة نافذة

---

(١) الشعب، عدد ١٦ سبتمبر ١٩٨٨.

(٢) أعداد أخبار اليوم الصادرة فى ٣ و١٠ و١٧ سبتمبر ١٩٨٨.

(٣) أخبار اليوم، عدد ١٦ يناير ١٩٩٩.

(٤) الأحرار، عدد ١٤ يناير ١٩٩٩.

(٥) النبأ، عدد ٢١ فبراير ١٩٩٩.

وألقيا به بجوار مصرف[١] وفيها تركيز على الجرائم الشاذة.

- قاتلة زوجها: حبست أطفالى فى الحجرة ومارست الرذيلة مع عشيقى[٢]، وقد علق التقرير على ذلك بأن الصحيفة دأبت على نشر معالجة الجرائم والحوادث بأسلوب يتسم بالمبالغة والإغراق فى التفاصيل والإثارة وذكر أسماء الأحداث والتركيز على الجرائم الشاذة.

- أربعة بلطجية يقتلون جارهم ويمزقون جثته أمام أطفاله السبعة[٣]، وهى نموذج للجريمة الشاذة والغريبة على المجتمع.

- زوجان يديران شقتهما للأعمال المنافية للآداب بأسيوط[٤]، وهى جريمة جنسية وشاذة فى الوقت نفسه.

هذه النماذج وغيرها كانت محلا لدراسة[٥] سابقة رصدت أشكال الخروج على الأخلاقيات فى مادة الجريمة وجاءت على النحو الآتى:

أولا: النشر المجهل للمواد الخاصة بالجريمة، ويأتى التجهيل على ثلاثة مستويات، التجهيل على مستوى إسم كاتب المادة بأن تنشر المواد دون أن تصاحبها أسماء محرريها، والتجهيل على مستوى الفاعل بأن تنشر مواد دون الإشارة إلى أسماء الفاعل بها سواء كان مجنيا عليه أو متهما أو متورطا فى الأحداث أو شاهد عيان، والتجهيل على مستوى المصدر

(١) الأحرار، عدد ٢٢ مارس ١٩٩٩.
(٢) الأحرار، عدد ٢٢ إبريل ١٩٩٩.
(٣) الأسبوع، عدد ٣٠ إبريل ٢٠٠١.
(٤) الأحرار، عدد ١٨ يوليو ٢٠٠٣.
(٥) أمل السيد أحمد متولى دراز وسحر فاروق الصادق، أخلاقيات نشر مادة الجريمة فى الصحافة المصرية، دراسة تحليلية وميدانية على عينة من الصحف والقائمين بالإتصال، المؤتمر العلمى السنوى التاسع، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، مايو ٢٠٠٣.

بأن تنشر مواد دون الإشارة إلى أسماء المصادر التى أدلت بها سواء كانوا أشخاص أو جهات مسئولة.

ولابد أن يوضح الباحث أن فى هذا الرصد بعض من التجاوز، كما أن به بعضا من الخلط، فإغفال الجريدة لنشر أسماء المحررين على المواد الصحفية فيما يخص الجريمة أو غيرها يخضع لسياسات تحريرية فى الجريدة ولا يمكن التعامل معه على أنه تجاوز للأخلاقيات، كما أن إغفال إسم الفاعل أو الضحية أو المتورط قد يكون متفقا مع أخلاقيات نشر الجريمة وليس خارجا عنها، فقد تكون الإتهامات لم تثبت بعد حيث التحقيقات لا تزال جارية، ومن الأفضل فى هذا الصدد أن يتم إغفال أسماء أطراف الجريمة، ولا يمكن أن نعتبر إغفال الصحيفة لأسماء المتهمين تجاوزا ونعتبر عدم نشرها لأسماء المتهمين تجاوزا أيضا، كما أن إغفال أسماء المصادر قد يكون خارجا عن رغبة الجريدة أو إرادتها، فكثير من المصادر ترى أنه من مصلحتها ألا تنشر أسماءها، ولا تجد الجريدة أمامها إلا أن تلبى لهم هذه الرغبة.

ثانيا: الخروج على الآداب العامة للمجتمع وذلك من خلال وجوه معينة هى إستخدام الألفاظ غير الملائمة، والمبالغة فى سرد التفاصيل ونشر موضوعات ذات طبيعة غريبة وشاذة وجنسية.

ثالثا: إختراق الخصوصية والمقصود بها ممارسات بعض الصحف التى قد تؤدى إلى تشويه سمعة الأفراد والعائلات سواء بنشر أسمائهم أو صورهم فى غير محلها أو تؤدى لكشف الشئون الخاصة للمتهمين أو المتقاضين أو إستغلال أسماء وصور المشاهير للزج بهم فى حوادث بعيدة عنهم من أجل إكسابها المزيد من الإثارة.

رابعا: التأثير على سير العدالة...ويتم ذلك من خلال التعليق على أحد جوانب القضية(المتهم، الموضوع، القضاء، الشهود) بالتبرئة أو الإدانة، نشر أسماء الأحداث وصورهم حتى وإن أصدر القضاء حكمه بشأنهم.

خامسا: الإستخدام المثير والمضلل للعناوين، ويعنى إستخدام الصحف لعناوين مضللة أو مثيرة تحمل للقارئ معنى معين يتنافى مع نص الحدث وتفاصيله أو لا تربطه أى علاقة به.

وهنا يطرح الباحث إشكاليته الأساسية التى يربط بها بين مادة الجريمة وصحافة الإثارة، والسؤال المحورى فى هذه الإشكالية هو هل عندما تتجاوز الصحف فى أدبيات نشر الجريمة، كأن تنشر أسماء الأحداث وصورهم، أو تتوسع فى ذكر تفاصيل الجريمة وأحداثها أو تتعمد أن تنشر جرائم لها طابع جنسى وتهتم كثيرا بأن تركز على التفاصيل الجنسية الصغيرة والكبيرة، أو تختار الجرائم الغريبة والشاذة التى لا يعرفها المجتمع وتبرز هذه الجرائم....هل يصب ذلك كله فى نهر صحافة الإثارة أم أنه يظل فى النهاية مخالفات وإنتهاكات مهنية لمواثيق الشرف الصحفى والقانون الذى ينظم عمل الصحافة فى مصر؟

الإجابة التى يطمئن إليها انباحث فى هذا السياق أن تجاوزات صحافة الجريمة تظل فى النهاية تجاوزات مهنية ومخالفات قانونية، ولا يكفى أن ترتكب الجريدة تجاوزا مهنيا لنشير إليها على أنها صحافة تعمل على الإثارة من خلال مادة الجريمة.

إن صفحات الجريمة فى صحف الدراسة ليست أكثر من تقارير وقصص إخبارية تسعى إلى تغطية الجرائم، ومصدرها فى الغالب هو أقسام الشرطة والنيابات والمحاكم، ويمكن للباحث أن يؤكد أن أقلام الصحفيين تتدخل فى صياغة هذه الحوادث لتجعلها أكثر قدرة على جذب القارئ والسيطرة على إهتمامه، ولما كانت النسبة الأكبر من الحوادث التى ترد إلى الصحف تفتقد إلى عنصر الجاذبية لأنها فى النهاية جرائم عادية، فإن المحرر يضيف إليها ويحذف منها ليجعل منها قصة إنسانية يعتمد فيها على الإستمالات العاطفية أكثر من الإستمالات العقلية.

إن الجريمة حتى لو كانت جريمة قتل بشعة أو حتى قضية دعارة لا يمكن أن تقدر وحدها على جذب القارئ، فلابد أن تتوفر شروط معينة للجريمة التى تعتمد عليها

صحف الإثارة لجذب قارئها ويمكن للباحث من خلال رصد نماذج من صحف الإثارة أن يحدد هذه الشروط فى الآتى:

أولا: عنصر الشهرة : فلابد أن يكون أحد أطراف الجريمة شخصية شهيرة ونجم مجتمع يعرفه قراء الصحف ولا تجد الجريدة عناء فى التعريف به، إن عنصر الشهرة يضفى على الجريمة جاذبية قد لا تكون فيها، ولذلك فإن قضايا المشاهير حتى لو كانت قضايا أحوال شخصية مثل الطلاق والنفقة أو المشاجرات العادية تتحول فى صحف الإثارة إلى أخبار فى الصفحات الأولى منها.

ثانيا: عنصر الإستمرارية : فكلما كانت الجريمة ضخمة وتتحمل أن تتابعها الصحف لأيام بل ولأسابيع فإنها تكون مناسبة لأن تهتم بها صحف الإثارة، لأن الإستمرارية ستيح للجريدة أن تمارس عملها بعيدا عن جهات التحقيق الرسمية، حيث ستقلب فى حياة أبطال الجريمة ويمكنها أن تحصل على معلومات وأسرار قد لا تصل إليها جهات التحقيق نفسها.

ثالثا: عنصر الإتساع : بمعنى ألا تكون الحدود المكانية للجريمة محدودة وضيقة بل لابد أن تكون العلاقات فيها متشابكة، وكلما كانت هذه العلاقات غامضة أقبلت عليها صحف الإثارة من أجل أن تفض غموضها وتقدم للقارئ أسرارا خاصة بها، ولذلك فإن الجريمة ذات البعد الواحد لا تغرى صحف الإثارة كثيرا، فتشابك العناصر المختلفة من الدين والساسة والجنس فى الجريمة الواحدة يعلى من قيمتها.

رابعا: عنصر الصدمة : وهو عنصر يمكن أن يتفق مع ما ينظر إليه على أنه جرائم شاذة أو غريبة على المجتمع، فكلما كانت الجريمة مخالفة لما تعارف عليه المجتمع كانت فرصة الإعلاء منها فى صحف الإثارة أكبر، لأن عنصر الغرابة من أهم القيم التحريرية التى تميز صحف الإثارة.

خامسا: عنصر الجنس : ورغم أن صحف الإثارة تهتم بقضايا شبكات الدعارة

وفتيات الليل وتبرز ذلك فى عناوينها بالصفحة الأولى، إلا أن الجنس الذى تسعى إلى إبرازها صحف الإثارة هو الجنس غير المألوف والغريب، وكلما كان أبطال الجريمة الجنسية من المشاهير كلما زاد الإهتمام بها.

هذه العناصر تغلب على معالجات صحف الإثارة، ويرصد الباحث أن صحف الإثارة لم تهتم بمعالجة الجريمة من باب أنها جريمة جنائية لكنها تعاملت معها على أنها ظواهر ولابد من الإشتباك معها على المستويات المجتمعية المختلفة، إجتماعيا وإقتصاديا وثقافيا، ولذلك فإن الشكل الغالب على معالجة الجريمة فى صحف الإثارة هو قالب التحقيق الصحفى الذى يتيح للمحرر أن يقدم للقارئ المعلومات الكاملة للجريمة وفى الوقت نفسه يتمكن من تحليلها والخروج من هذا التحليل بدلالات مجتمعية واضحة.

وفى هذا السياق يأخذ الباحث من جريدة صوت الأمة نموذجا لرصد معالجات الجريمة بها، وذلك لعدة أسباب منها:

- أنها جريدة سياسية تعتمد على الإثارة السياسية بالأساس لجذب القراء، وعندما تعتمد على مادة الجريمة فإنها تقدمها من خلال معالجات تتسق ومعالجاتها السياسية، وهو ما يعلى من قيمة الإثارة فيها.

- أنها تعتبر إمتدادا لتجربة روزاليوسف فى التسعينات وهى التجربة التى تسربت فيها مادة الجريمة على إستحياء من بين معالجاتها السياسية وبذلك فإنها تمثل إمتدادا لمدرسة.

- تعتبر صوت الأمة بالنسبة للباحث مدرسة وسط بين المعالجات المتدنية التى قدمتها النبأ لمادة الجريمة حيث إعتمدت بالأساس على الجريمة الجنسية التى إن لم تكن لديها لجأت إلى فبركتها وقد وضح هذا من نشر الجرائم المتشابهة فى التفاصيل مع الإختلاف فى الأماكن وأسماء المتهمين فقط بما يعنى أن كاتب هذه الجرائم واحد وأن هدفه الوحيد هو الجذب من خلال الجنس، وبين المعالجة التى قدمتها الصحف الحزبية للجريمة حيث حاولت أن تأخذ منها دليلا على إنهيارالمجتمع وهو الإنهيار الذى يقف وراءه الحزب الحاكم.

ويرصد الباحث نماذج من معالجة صوت الأمة لمادة الجريمة على النحو الآتى:

أولا: تعرضت الجريدة لإتهام رجب هلال حميدة عضو مجلس الشعب بأنه على علاقة بإحدى بنات الليل ، لم تهتم الجريدة بالإتهام فقط لكنها إشتبكت خلال معالجتها مع المتهم شخصيا فهو شخص محير من العمل مع تنظيم التكفير والهجرة إلى الإنضمام إلى الشيعة ثم إلى حزب الأحرار، ومن إتهامات الشيكات المضروبة إلى فتاة الليل الإسكندرانية...، وعلى هذه الخلفية رصدت الجريدة أقوال رجب حميدة عن فضيحة دندش ، وقال فى هذه الإعترافات أن ساقطة الأسكندرية تزعم أنها حدثته على المحمول الذى لم يدخل مصر إلا عام ٩٨ وتزعم أنها أعطته حبة فياجرا[1].

فى هذه المعالجة إستندت الجريدة على إتهام عضو فى مجلس الشعب بأنه كان على علاقة بفتاة ليل، وهنا عنصر الشهرة موجود، حصلت الجريدة على التحقيقات فى القضية، وواجهت بها المتهم الذى فند القضية من وجهة نظره، وقد يرى البعض أن الحديث مع المصدر أفقد الموضوع هنا جاذبيته وأفقده عنصر الإثارة فيه، فقد هدم الإتهام من أصله، لكن هذا لم يكن صحيحا، والدليل فى العنوان وهو : أقوال رجب حميدة عن فضيحة دندش، فقد وصفت الجريدة بأن ما حدث فضيحة وها هو المتهم المشهور بالفعل يتحدث عنها.

ثانيا: قدمت الجريدة معالجة لقضية حسام أبو الفتوح مع الراقصة دينا على عدة حلقات، فى البداية كشفت الجريدة عن أن هناك إبنة وزير سابق وزوجة رجل أعمال فى تسجيلات قضية دينا ، ووصفت دينا بأنها كبش فداء ب٤٠ مليار جنيه[2]، ثم حصلت الجريدة على نص إعترافات دينا المثيرة أمام نيابة أمن الدولة، وحرصت على أن تتطرق إلى جوانب أخرى فى القضية منها أن حسام أبو الفتوح يرضخ ويتنازل عن توكيل سياراته،

(١) صوت الأمة، عدد ٦ يناير ٢٠٠٣.

(٢) صوت الأمة، عدد ٢٠ يناير ٢٠٠٣.

وأن هناك فى القضية ١٢ كاميرا سرية صورت ٣٣ سيدة فى غرف نوم أبو الفتوح[١] وفى نفس العدد أجرت الجريدة حوارا مع دينا قالت فيه أنها ستذهب إلى الحج وتشكو إلى الله ما هى فيه، ووصفت الجريدة ما حدث لدينا بأنه عملية إغتيال لها فى غرفة نوم أبو الفتوح.

ثم تابعت الجريدة توابع هذه القضية عندما نشرت جريدة الوطن العربى صورا من الأفلام الجنسية بين حسام أبو الفتوح ودينا[٢]، وحققت فيما جرى حيث تحجج محمد عبد العال رئيس التحرير بأنه كان مريضا ولم يتابع ما جرى فى عملية النشر، وهنا تابعت الجريدة القضية على حلقات، ربطت من خلالها القارئ بها.

ثالثا: إشتبكت الجريدة مع القضية التى عرفت إعلاميا بقضية المبيدات المسرطنة التى أتهم فيها يوسف عبد الرحمن وراندا الشامى، وجعلت من عناوين القضية مانشيتاتها الرئيسية، ووصفت يوسف عبد الرحمن بأنه الديك الرومى، وعلى لسان راندا الشامى نشرت الجريدة أنها قد تكون مرتشية لكنها ليست منحرفة جنسيا، إهتمت الجريدة بأن تنشر المكالمات الجنسية التى وردت فى تحقيقات النيابة بين يوسف وراندا، بل إن أحد محررى الجريدة ظل فترة طويلة يترصد ليوسف عبد الرحمن وهو ذاهب إلى النيابة من محبسه حتى إلتقط له صورة على طريقة مصورى الباباراتزى.

ورغم إستبعاد راندا الشامى إنحرافها الجنسى إلا أن الجريدة إهتمت بأن تشير إلى أن فى القضية جنس وفياجرا وعمولات وبطاطس مضروبة، وأن راندا قالت ليوسف عبد الرحمن مش عايزة حاجة غيرك، وأن يوسف عاشرها فى شقة المقطم وأماكن أخرى، ومن خلال أوراق التحقيقات إتهمت راندا يوسف بإستيراد ٢١٠ طن مبيدات فاسدة وبتدمير محصول البطاطس عن طريق إبن أخته وإتهمته بإهدار المال العام ومخالفة قرار رئيس

---

(١) صوت الأمة، عدد ٢٧ يناير ٢٠٠٣.

(٢) صوت الأمة، عدد ١٧ فبراير ٢٠٠٣.

الوزراء وتقاضى عمولات من الشركة الفرنسة وتسجيل مبيدات محظورة[1].

وفى إطار متابعتها للجريمة والمحاكمات إستطاع محرر الجريدة إيهاب حجازى أن يحصل على حوار نادر مع يوسف ورواندا، فقد ذهب إلى المحكمة متأخرا بعد أن أصدر القاضى أمرا بعدم التصوير، وعندما قام المحرر بالتصوير أمر القاضى بوضعه فى القفص، فلم يهتم بوضعه بل إهتم بأن يجرى حوارا مع أشهر متهمين فى مصر وقتها[2].

رابعا: عالجت الجريدة قضية طارق السويسى المتهم بتجارة الآثار ورغم أن الجريدة إهتمت بنشر تفاصيل القضية والتهم الموجهة إلى المتهم وقصة حياته لكنه إنحازت إلى تفسير يرمى إلى معرفة لماذا لم يهتم القراء بقضية طارق السويسى كما إهتموا من قبل بقضية يوسف عبد الرحمن أو قضية الراقصة دينا وحسام أبو الفتوح.

ومن خلال قراءة المسكوت عنه فى هذه القضية[3] رأت الجريدة أن المصريين لم يهتموا بهذه القضية لثلاثة أسباب هى: لأنها تتعلق بتهريب الآثار التى يعتبرها الناس مجرد حجارة وبيعها حلال، وليس فيها إمرأة ولا جنس وهو ما يلهب خيال المصريين ويجعلهم أسرى للحكايات الساخنة، ثم أنها خرجت من الحزب الوطنى الذى شاهد المصريون فساد بعض أعضاءه وسقوطهم تباعا.

وقد تكون هذه الأسباب صحيحة لكن السبب الرئيسى فيها أن القضية كانت خالية من الجنس ولا توجد بها إمراة، وهو ما يجعل متابعتها فاترا وبلا حماس من القراء، ولذلك فإن متابعة هذه القضية لم يتجاوز إهتمام العدد الواحد من صوت الأمة ومن غيرها من صحف الإثارة.

خامسا: إهتمت الجريدة بالجريمة والمخالفات التى تقع فى الأماكن الشهيرة التى يؤمها

(١) صوت الأمة، عدد ١٠ مارس ٢٠٠٣.
(٢) صوت الأمة، عدد ٧ إبريل ٢٠٠٣.
(٣) صوت الأمة، عدد ٢ يونيو ٢٠٠٣.

أكبر عدد من المشاهير، فنشرت عن الإغتصاب والبانجو والإختلاسات فى نادى الجزيرة، وأشارت الجريدة إلى الأسماك الفاسدة فى نادى الجزيرة، والتى لم تكن المرة الأولى فقد سبقها ضبط شحنة لحوم فاسدة فى المطعم، كما أن هناك كشك لبيع البانجو للمدمنين داخل النادى والدليل أن الشرطة ألقت القبض على ٣٢ مدمنا من داخل النادى[١].

سادسا: تلعب صحف الإثارة على صنع بطل أسطورى من المتهمين وقد وجدت صوت الأمة وغيرها من صحف الإثارة هذا البطل موجودا أمامها، فقد أوفدت محررها ليقتحم جزيرة النخيلة التى كان عزت حنفى يسيطر عليها[٢] ولقبتها الجريدة بجزيرة الشيطان، ووضعت الجريدة عنوانا دالا لمغامرة محررها وهو صوت الأمة تخترق حصار جزيرة البانجو والسلاح فى أسيوط. ونشرت الحلقة الأولى من المغامرة على مساحة الصفحة الأخيرة بالكامل.

وفى العدد التالى مباشرة أكملت الجريدة مغامرتها بأن نشرت تفاصيل المواجهة بين عائلة أولاد حنفى وعائلة سباق فى اجزيرة، وفى هذه المعالجة أظهرت الجريدة أن عزت حنفى بطل لا يقهر يحكم الجزيرة بالحديد والنار لا يمكن لأحد ان يقترب منها إلا بعد يحصل على إذنه.

وتكشف الجريدة بعد ذلك عن جانبا خفيا فى علاقة عزت حنفى بأجهزة الأمن، من خلال نص رسالة أرسل بها أولاد حنفى إلى الجريدة[٣]، أشارت الجريدة إلى المفاجأة والتى كشفتها إستغاثة من جزيرة الشيطان فى النخيلة، وعلى لسان أولاد حنفينشرت الجريدة: صفينا الإرهاب فى أسيوط لحساب حسن الألفى.

وعندما تم حصار عزت حنفى بدأت الجريدة ترسم ملامح البطل الأسطورى الذى يسيطر على الجزيرة ويحتجز الرهائن وبإشارة منه إستطاع أن يمنع قطار الصعيد من السير

(١) صوت الأمة، عدد ٨ سبتمبر ٢٠٠٣.

(٢) صوت الأمة، عدد ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٣.

(٣) صوت الأمة، عدد ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٣.

لإجبار الحكومة على أن تلبى طلباته، وعندما ألقى القبض عليه، فتشت الجريدة فى حياته الخاصة ولم يكن هناك من حياته شئيا مجهولا لم تتطرق إليه، فنشرت تحقيقا مفصلا عن نساءه وعلاقاته العاطفية والجنسية لتكتمل بذلك أسطورته لدى الشارع المصرى.

سابعا: كانت جريمة قتل الفنانة ذكرى نموذجا مكتملا للإثارة من خلال مادة الجريمة، حيث إحتلت معالجة الجريمة الصفحة الأولى لصوت الأمة ثلاثة أعداد بشكل متواصل ومكثف.

كانت المعالجة تقوم على الإعلاء من قيمة الأسرار الخاصة التى تحيط بالجريمة، فتحت عنوان مذبحة ذكرى والسويدى[1] أشارت الجريدة إلى أن ذكرى كشفت له عن غرامياتها القديمة فأتهمها بخيانته مع مطرب تونسى وضابط مصرى، شقيق أمير قطر ينفق عليها فى باريس وزوجها يقتلها فى الزمالك، القاتل تزوج نانى وهندية ونادية المغربية وحنان ترك تنجو منه بنصيحة من عمر الشريف، هانى مهنا تبناها إنتقاما من سميرة سعيد ويدفنها فى مقابر عائلته، ١٤ رصاصة أضاعت على البنوك ٤٥٠ مليون جنيه إقترضها دون ضمانات والشركات المنافسة تتهمه بالغش فى العلاقات التجارية.

ثم تابعت الجريدة معالجتها ونشرت كما أشارت ولأول مرة وثائق مذبحة الزمالك[2] وتحت مانشيت عريض كتبت الجريدة: ذكرى لم تكن قديسة وأيمن ليس شهيدا، ورغم أن هذا العنوان لم تكن له علاقة بالوثائق إلا أنه أعلى من قيمة الإثارة حيث مثل صدمة للمتعاطفين مع المطربة وزوجها الذى إغتالها ثم إنتحر.

لكن الجريدة لم تطلق حكمها دون حيثيات فقد أشارت إلى أن ذكرى غدرت بزوجة السويدى الأولى وسرقته منها وأجبرته على الإقامة معها، زوجته المغربية جهزت الشقة التى قتلت فيها المطربة التونسية، كوثر رمزى كانت تقرأ الفنجان لكل زوجاته فى نفس

(١) صوت الأمة، عدد ١ ديسمبر ٢٠٠٣.

(٢) صوت الأمة، عدد ٨ ديسمبر ٢٠٠٣.

الوقت، تحاليل الإنجاب فى ملفات عيادات مصطفى صادق وشريف حمزة، عميد عائلة السويدى هرب مع الإخوان المسلمين إلى السعودية أيام جمال عبد الناصر.

ولا تترك الجريدة القضية دون تحليل أو تفسير لها، فتقدم تحليلا نفسيا لجريمة أيمن السويدى[1] فأيمن السويدى القاتل له وداعة طفل وشراسة وحش وطيبة قديس وعصبية مطارد وغيرة عطيل، كان يردد دائما: أنا عمرى قصير ولن أنجب حتى لا أترك طفلا يتيما خلفى، ذهب إلى نادى الصيد ثلاث مرات فى رمضان لضرب النار وضرب بالفعل مرتين آخرهما قبل المذبحة بأسبوعين، يتلذذ بإطلاق كمية كبيرة من الخراطيش أكثر من إصابة الهدف.

ولا تكتفى الجريدة بذلك بل تفتش فى ملف أيمن السويدى الشخصى فتنتشر عن رسائل بذئية بخط يده [2] وأن رجل أعمال هندى يتهمه بالتحرش الجنسى بإبنته القاصر، وتحدثت الجريدة مع زوجته المغربية التى قالت أنه لم يكن ينفق ببذخ ولم يكن عاجزا ولم يكن يضربها لكنه كان يشتمها فقط.

هذه النماذج المكتملة للتدليل على الإثارة الصحفية من خلال مادة الجريمة لا تمنع الباحث من أن يرصد أن صوت الأمة كانت تهتم بالجرائم الجنائية، لكنها كانت تعلى من شأن الجريمة الجنسية ربما لأنها لا تزال الأقدر على جذب القارئ، لكن الجريدة لم تكن تنشر جرائمها دون أن تظهر الجانب الإجتماعى فيها، فالجريمة فى النهاية لا تحدث فى فراغ بل هى بنت بيئتها ومن نماذج هذا الجرائم:

- ترتبط بالصيف وليس وراءها تنظيمات إرهابية: مهاجمة الجميلات بمية النار سببها الكبت الجنسى[3]، وهنا تتعرض الجريدة لظاهرة تكررت كثيرا وهى إعتراض البنات

(١) صوت الأمة، مصدر سابق.
(٢) صوت الأمة، عدد ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣.
(٣) صوت الأمة، عدد ٢٨ إبريل ٢٠٠٣.

ومهاجمتهن بمية النار، وبدلا من أن تستسلم للتفسيرات الجاهزة من أن هناك تنظيمات وراء هذه الجرائم رأت من خلال تحقيقها أن الجرائم المتكررة بهذا الشكل ليس وراءها سوى الكبت الجنسى.

- شبكة آداب دولية بتأشيرات عمرة[1] والعنوان يعلى محرره من قيمة المفارقة فيه، فهو يقرب بين قمة الطاعة التى من المفروض أن تمارس فى العمرة وقمة المعصية التى تمارس فى شبكات الدعارة.

- تقرير خاص من سجن النساء..بنات النساء فى شبكات الدعارة بسبب سعر الصرف[2]، وربطت الجريدة فى هذا التقرير بين إنهيار الطبقة الوسطى ودخول بناتها إلى مهنة الدعارة، وقدمت الجريدة نماذج من سجن النساء ونشرت صورهن فى الصفحة الأولى، وذلك سعيا وراء المصداقية الصحفية، حتى لا تتهم الجريدة بأنها فبركت هذه القصص، لكن النشر بهذه الصورة كانت له عواقبه الإجتماعية حيث أضر ضررا بالغا بسمعة عائلات البنات المتورطات فى شبكة الدعارة.

- ناقشت الجريدة كذلك حادث إنتحار عبد الحميد شتا الباحث الذى رفضت وزارة المالية تعيينه ملحقا تجاريا لأنه غير إجتماعيا، تساءلت الجريدة على هامش تغطيتها للحادث عمن قتل عبد الحميد شتا[3]؟

وذهبت الجريدة إلى أن عبد الحميد إنتحر إعتراضا على قرار ظالم ومهين، رغم أن أهله إعترضوا على فكرة إنتحاره، وهو ما يتسق مع الثقافة الإسلامية فحتى لو ثبت أن إبنهم إنتحر فإنهم ينفون عنه ذلك لأن لإنتحار فى النهاية كفر.

تمثل هذه المعالجات فى النهاية تجسيد لصحافة الإثارة، ويمكن للباحث أن يرصد هذا

(١) صوت الأمة، عدد ١٦ يونيو ٢٠٠٣.
(٢) صوت الأمة، عدد ١ سبتمبر ٢٠٠٣.
(٣) صوت الأمة، مصدر سابق.

التجسيد فى الآتى:

أولا: أعلت الجريدة من قيمة النميمة الشخصية المتعلقة بالجريمة، فهى لا ترصد ما حدث فقط، لكنها ترصد كل ما دار حول الجريمة فى الأماكن المرتبطة بها، كما أنها قامت بتعرية أطراف الجريمة على المستوى الشخصى، ولم تترك شاردة ولا واردة فى حياتهم الشخصية دون أن تذكرها وتبرزها وتؤكد عليها.

ثانيا: التغطية المثيرة فى مادة الجريمة لابد أن تكون متحيزة تتبنى فيها موقفا محددا من أطراف الجريمة سواء كان مع أو ضد، فليس مثيرا أن تقوم الجريدة برصد ما يجرى، بل لابد لها أن تصدر أحكاما حتى تخلق رأى عام مؤيد أو معارض من القراء، بما يعنى أن التغطية المثيرة لابد أن تكون متحيزة.

ثالثا: تهتم صحف الإثارة وهى تقدم تغطيتها لمادة الجريمة بأن تسند المعالجة على شخص بعينه يمكن أن تساهم فى جعله بطلا أو أسطورة وذلك حتى يتعلق به القراء ويتابعون أخباره ويأخذون موقفا منه بصرف النظر عن هذا الموقف هل مؤيد أم معارض؟، ورغم أن ذلك يمكن أن تكون له عواقب مضرة، لأن الصحف حتى تبقى على أسطورتها قائمة فإنها تضفى على بطلها هالات من التقديس تجعل من السهل تقليده والسير على طريقه.

رابعا: إعتمدت الجريدة فى إستقاء مادتها على المصادر الرسمية من بلاغات الشرطة وتحقيقات النيابة وجلسات المحاكم، لكنها لا تكتفى بذلك حيث أن هذه المصادر تكون متاحة لجميع الصحف، لكن صحف الإثارة تعتمد على مصادرها الخاصة فى الحصول على معلومات وأسرار تعتبرها إنفرادا، وإذا كانت صحف الإثارة تكشف عن بعض مصادرها حتى تكتسب مصداقية لدى القارئ فإنها تخفى مصادرها الأقوى من باب الحفاظ عليها.

خامسا: تهتم صحف الإثارة فى المقام الأول بجرائم المشاهير حيث أنها الأكثر جاذبية

للقارئ، ثم أن هذه الجرائم تكون عامل جذب لنوعيات القراء المختلفة الفئات التى ينتمى إليها المشاهير والفئات التى ينتمى إليها الجمهور العادى الذى يهمه أن يعرف كل شئ عن طبقة يتابعها لكنه لا يعرف عن حياتها الشخصية شئيا.

سادسا: ترفع صحف الإثارة من قيمة الجريمة بأن تجعل منها عناوين فى الصفحة الأولى، وذلك قناعة منها أن الجريمة بهذا الشكل تكون جاذبة للقراء، ولا تختلف فى ذلك الصحف السياسية عن الصحف العامة، فوضع الجريمة فى سياق مجتمعى عام يجعل قيمة الجريمة تتساوى مع الموضوعات السياسية فى قيمتها وقدرتها على الجذب.

■ ■ ■

الإثارة الثقافية

■ الممنوعات الفكرية والثقافية

فى مسيرة صحافة الإثارة المصرية إختراق دائم للممنوعات، حيث تقبل الصحافة على نشر النصوص التى تمت مصادرتها لأسباب سياسية أو فكرية أو دينية، وهو أسلوب تحرص عليه الصحف مستغلة فى ذلك رغبة القارئ فى أن يتعرف على عالم مجهول بالنسبة له، فلابد أن وراء المنع والمصادرة أسباب غامضة أو خاصة، والقارئ يسعى دائما خلف الممنوع على إعتبار أن القاعدة العامة الشهيرة تقول أن الممنوع مرغوب.

يضع الباحث أمامه فى هذا السياق عددين من الأعداد الخاصة التى أصدرتها صحافة الإثارة، العدد الأول من مجلة روزاليوسف[١]، والعدد الثانى من جريدة العربى[٢]، ولا يوجد فارق كبير بين فكرة العددين، فروزاليوسف وعلى الغلاف أشارت إلى فكرتها بالعناوين الآتية:

- لأول مرة فى الصحافة: نحن ننشر النصوص الممنوعة.
- الليالى الحمراء فى ألف ليلة وليلة.
- يوسف إدريس: مسرحية السادات فى حرب أكتوبر.
- نجيب محفوظ: فصل من رواية أولاد حارتنا.
- نزار قبانى: محاكمة علنية للزعماء العرب.
- سلمان رشدى: صفحات من آيات شيطانية.

أما جريدة العربى فقد طورت من العنوان وبدل النصوص الممنوعة فأصبح العنوان

(١) روزاليوسف، عدد ١٧ يناير ١٩٩٤.

(٢) العربى، عدد ٤ مارس ٢٠٠١.

النصوص المحرمة، أى أنها أضافت بعدا أكثر إثارة من نصوص روزاليوسف، فالمنع يكون بيد البشر، أما التحريم فهو بيد الله.

كانت العناوين التى وضعتها العربى على غلافها هى: نجيب محفوظ : أولاد حارتنا، محمد حسنين هيكل: خريف الغضب، طه حسين: الشعر الجاهلى، قاسم أمين: تحرير المرأة، على عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم، سيد قطب: معالم فى الطريق، خالد محمد خالد: من هنا نبدأ، محمد أحمد خلف الله: التصوير القصصى فى القرآن، نصر حامد أبو زيد: الإمام الشافعى، لويس عوض: فقه اللغة.

تتطابق الفكرتان تقريبا، وإن كانت الصنعة فى روزاليوسف جاءت أعلى من العربى، فقد وضعت العربى أسماء الكتاب وأسماء كتبهم الممنوعة فقط، دون الإشارة إلى مصدر المنع خاصة أن معظم هذه الكتب أصبحت فى الوقت الذى نشر فيه هذا الملف مطبوعة ومتداولة فى مصر إن لم يكن عبر كتب فعبر الصحف التى تجرأت مبكرا ورفعت الحظر عن الممنوعات والمحظورات.

لكن هناك فارق مهم بين المعالجتين، فقد دفعت روزاليوسف بالممنوع الجنسى فى الليالى الحمراء فى ألف ليلة وليلة، بينما ركزت العربى على الممنوع السياسى وبعض الممنوع الدينى، فقد كان العامل الجنسى غائبا إلى حد كبير فى معادلة الإثارة فى العربى، بينما كان هذا البعد حاضرا ومؤثرا فى معادلة روزاليوسف.

كان لكل من المجلة والجريدة دافع يكاد يكون واحدا....

فى جريدة العربى كتب فتحى عامر: المعنى الذى دفعنا للتوقف عند هذه الكتب المختارة هو بعث حيوية مصر، وقد يكون المنحنى الهابط للعقلانية والإستنارة والحرية ما يدعو للتشاؤم لكن مصر لا تموت، اخترنا فصولا جوهرية من الكتب التى أثارت الحرائق على طول القرن العشرين، وقيمة هذه الكتب ليست فقط فى ذاتها، لوكان فيها فجرته من معارك فكرية وجدل وخصب وسجال لا يزال ممتدا، والمؤكد أنه أضاف للمصريين

بصيرة جديدة زلزلت الكثير من المياه لآسنة، ولسنا بالضرورة منحازين لكل ما ورد فى هذه الكتب من أفكار وقناعات، منحازون لرفع الوصاية نهائيا عن العقل المصرى، منحازون لحق كل القوى والتيارات والأفراد فى الفكر والإعتقاد والتعبير والإجتهاد والبحث العلمى.

شئ من هذا كان هو الدافع وراء ملف روزاليوسف عن النصوص الممنوعة، فقد جاء فى تقديم الملف:

إن الإسلام لم يعرف المصادرة ، لقد كانت الأفكار مفتوحة على الشوارع، والكتب مسموحة والإختلافات متاحة، ثم جاءت السياسة فطغت وسادت وحرمت وقتلت، ثم جاء تجار الدين وكهان التدين، فطغوا وسادوا وحرموا، وقتلوا فصار طه حسن كافرا، ويوسف إدريس خائنا وفرج فودة مرتدا ونجيب محفوظ ملحدا ونزار قبانى منحلا.

ولذلك إنفردت المجلة بنشر هذه النصوص كما تقول: لا إتفاقا ولا إختلافا معها بل دفاعا عن حقها وحريتها فى أن تكون متاحة للناس جميعا وتدافع عن نفسها بنفسها.

هنا مبدأ الوصاية مرفوض فى المبدأ العام، لكن هذا النشر يعبر فى النهاية عن أن الإثارة فى صحافة الإثارة المصرية تتعامل بمنطق الدائرة، حيث ينشر الشئ الواحد أكثر عن مرة وربما بنفس الطريقة وبنفس التقديم، وقد يكون هذا مفيدا لأن سوق قراء الصحف يستقبل أجيالا جديدة ربما لا يكون النشر الأول صادفها، لكنه فى النهاية يعبر عن ضيق المساحة التى تتحرك فيها صحافة الإثارة الفكرية التى لا تخرج فى النهاية عن مصادرة الكتب، فتتجه عدسة الصحف مباشرة إليها، سواء لعرض الكتاب أو الحوار مع صاحبه أو نشر تقرير معه إذا كان المنع من الأزهر أو غيره من المؤسسات العاملة فى الحقل الثقافى.

ويمكن للباحث أن يشير إلى ثلاثة نماذج من هذه المصادرات وكيف استفادت منها صحف الإثارة، التى تعالج هذه القضايا على مستويين، المستوى الأول تنويرى يسعى إلى الإنتصار لحرية الرأى والتعبير والثانى رجعى يسعى إلى دعم المصادرة وتعضيد المنع.

أولا: قضية نصر أبو زيد:

عندما صدر الحكم ضد الدكتور نصر حامد أبو زيد بالتفريق بينه وبين زوجته الدكتورة إبتهال يونس فى أغسطس ١٩٩٦، شنت الصحف حملة ضخمة ضد شيوخ التكفير وعابت على الحكم الذى يمكن إعتباره حكما ضد مصر، فقد حرم الدكتور نصر من الترقية إلى درجة أستاذ فى قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، لأنه أتهم بأن الأبحاث التى تقدم بها تتضمن ما يخالف صحيح الإسلام وما يمثل إزدراءا بالإسلام والقرآن الكريم، التقط أحد المحامين هذا الخيط ورفع دعوى قضائية طالب فيها بالتفريق بين نصر أبو زيد وزوجته على إعتبار أنها لا يجب أن تظل على ذمته بعد أن ثبت كفره.

توقعت الدوائر الثقافية المصرية أن ترفض الدعوى من الأساس كما قال الدكتور إبراهيم درويش[(١)] حيث طمأن أبو زيد ليلة الحكم بإعتباره محاميه لكنه صدم بالحكم، حيث أصدر القاضى حكمه بعد أن قرأ كتابين فقط من كتب نصر من بين ١٢ كتابا و ٢٠ بحثا، وقد حكم القاضى من خلال الكتابين أن نصر ملحد ويخالف الشريعة الإسلامية.

من باب القلق على حياة نصر أبو زيد نصحته الصحف أن يظل فى منفاه الإختيارى، وكان نصر قد سافر إلى هولندا ليعمل بالتدريس هناك، لكن من بين ما نشرته الصحف ما يمكن أن نعتبره نموذجا مثيرا وذلك لمخالفته الواقع ومفارقته للسائد.

كان ذلك ما كتبه إبراهيم عيسى[(٢)] حيث تبنى دعودة ليعود نصر أبو زيد إلى مصر فورا ودون تأجيل، وكانت الدعوة صريحة قال: د.نصر أبو زيد عد إلى بلدك، وبنى إبراهيم فكرته على أساس:

- إما أن يبقى نصر أبو زيد فى منفاه متهما كافرا فيذكره المصريون بعض الوقت وينسونه أو يعود ليخرس الألسنة التى تتقول عليه.

---

(١) الدستور، عدد ٧ أغسطس ١٩٩٦.

(٢) إبراهيم عيسى، الدستور ، عدد ١٤ أغسطس ١٩٩٦.

- يريدون نصر شهيدا ونحن فى حاجة إلى مفكرين وليس إلى شهداء.

- لو عدل نصر أبو زيد خمس فقرات فى كتابين سيبقى عشرون كتابا وآلاف الصفحات ومئات البحوث.

- حذف طه حسين فقرة من كتاب الشعر الجاهلى واستمر رائدا من رواد التنوير.

- هل يكون نصر شهيدا مثل ابن حنبل والحلاج أم ينحنى للعاصفة كما فعلها طه حسين وجاليلو ونجيب محفوظ.

- القضاء لن يجدى ثانية ولا نريد قرارا من فوق حرصا على كرامة الجميع.

لا يمثل هذا المقال إلا فكرة مثيرة فقط، ففى الوقت الذى ينصح الجميع فيه نصر أبو زيد بعدم العودة إلى مصر لأن ذلك لن يكون فى صالحه ولا صالح حياته، فإن إبراهيم عيسى ينصحه بأن يعود إلى مصر مرة ثانية، لكنه لا ينصح بذلك من أجل أن يثبت على موقفه أو يحارب معركته من أرض الحرب الحقيقية، ولكن من أجل أن يتراجع، وساق إبراهيم على فكرته تلك براهين عديدة تصب جميعها فى أن الذين تراجعوا قبل نصر أبو زيد ظل يذكرهم التاريخ، فالثقافة العربية لا تحتاج إلى شهداء بل تحتاج إلى مفكرين أحياء من أجل أن يعملوا.

المفارقة الثانية التى قدمت بها الدستور معالجتها لقضية نصر أبو زيد كان من خلال تقرير[1] عن وقائع مواجهة تمت بين نصر أبو زيد وتسليمة نسرين التى عرفت إعلاميا بعدائها للإسلام، كان محمود الوردانى كاتب التقرير شاهدا على اللقاء الذى عقد فى أكاديمية لوكرم بهانوفر بألمانيا وكان عبارة عن ندوة بعنوان: الأدب وحرية وسائل الإعلام وحقوق الإنسان فى المجتمعات الإسلامية، فى هذه الندوة قال نصر أبو زيد لتسليمة: كل ما ذكرته عن إضطهاد الإسلام للمرأة خطأ، أنت تتحدثين عن تخلف الإسلام والإسلام الذى لا تعرفينه أنتج حضارة مزدهرة، بل إن الغرب يتحدث عنه

(١) محمود الوردانى، الدستور، مصدر سابق.

بإعتباره حضارة، الأفضل أن تكتفى بقراءة الشعر، فلا يصح أن نغير خطابنا ليرضى الغرب عنا.

هذا التقرير فى الغالب جاء ليفارق الواقع، فنصر أبو زيد الذى تم تصويره على أنه خصم شرس للإسلام للدرجة التى فرق القضاء فيها بينه وبين زوجته لأنه ملحد، ها هو يدافع بشراسة عن الإسلام وينتقد من تهاجم الإسلام بضراوة ويعتبرها لا تعرف شئيا عن الإسلام الذى هو حضارة بإعتراف الغرب نفسه.

لقد كانت قضية نصر أبو زيد مكتملة عناصر الإثارة الواقعية، بها الدين والأحوال الشخصية والتهديد بالقتل، لكن الدستور بدلا من أن تسبح مع التيار سبحت ضده، وأرادت أن تلفت الإنتباه إلى معالجتها من خلال الإختلاف حتى لو كان هذا الإختلاف ضد مبدأها الليبرالى الذى كان يحتم عليها أن تساند نصر فى موقفه كما يراه هو، لا أن تملى عليه موقفا ثم تعده بمساندته فى هذا الموقف.

ثانيا: قضية سيد القمنى:

فى ٢٠ أغسطس ١٩٩٧ نشرت جريدة الدستور تقريرا عن مصادرة كتاب رب الزمان لسيد القمنى، وكان العنوان واضح الإثارة ففى الصفحة الأولى وفى مساحة التقرير الرئيسى[١] محاكمة كاتب مصرى بتهمة التهكم على سيدنا يوسف والتعرض بما لا يليق لعثمان بن عفان، الشرارة الأولى فى القضية كان يمكن أن تكون أهدأ حيث يتم الدفع بخبر المصادرة الذى يتضمن اسم الكتاب واسم مؤلفه، لكن الدستور رغبت إلى إظهار عناصر الإثارة فى التقرير حيث نشرت أسباب منع الكتاب وحددتها فى التهكم على نبى من الأنبياء هو سيدنا يوسف عليه السلام، والتعرض بما لا يليق للصحابى عثمان بن عفان رضى الله عنه، وهو ما يمكن أن يثير حفيظة القارئ الذى يكن إحتراما للصحابة والأنبياء جميعا.

(١) الدستور، عدد ٢٠ أغسطس ١٩٩٧.

روزاليوسف التى جعلت من مساندة حرية الرأى والتعبير مبدأ من مبادئها الكلاسيكية منحت سيد القمنى فرصة أن يدافع عن نفسه وأن يشرح وجهة نظره[1]، فقد عرضت الإتهامات التى ألقاها القاضى على سيد القمنى فى جلسات المحاكمة وهى:

- الكتاب يتحدث عن ألهة سماوية وألهة أرضية ذكورا وإناثا، ويتناول تعدد الألهة بصورة تخالف ما ورد فى تعاليم الإسلام.

- الكتاب تحدث بإستهتار واستهزاء ومشحون بالنقد والتجريح عن النبى يوسف.

- الكتاب ندد بالخليفة الراشد عثمان بن عفان ونسب إليه ما لا يليق به كصحابى جليل.

- تناول الكتاب علماء المسلمين بالسخرية والتهكم سواء الأحياء أو الأموات ووصفهم بما لا يليق.

- احتوى الكتاب على عبارات تتهكم على بعض رجال القضاء والتنديد بتراث المسلمين والأمة الإسلامية.

ويثبت تقرير المجلة دفاع القمنى عن نفسه قال ردا على الإتهام الأول بأن الحديث عن الألهة يأتى ضمن الأساطير التى تدرس فى جامعات العالم، وفى جامعة الأزهر وهو علم اسمه الميثولوجى، ويقارن بين الأنبياء فى العهود السابقة وفى عصر التوحيد الإسلامى، والدليل أن التليفزيون المصرى يذيع أشياء كثيرة من هذا القبيل، وآخرها مسلسل «هركليز»وظهر فيه ألهة ذكور وإناث على الأرض وفى السماء، فلماذا لم يبلغ مجمع البحوث الإسلامية نيابة أمن الدولة العليا ضد التليفزيون ووزير الإعلام.

وفى إيجاز شديد قال القمنى أنه لم يتناول سيرة سيدنا يوسف إلا فى أربعة أسطر، رد فيها على المزاعم الصهيونية أما عثمان بن عفان فلم يكتب عنه سطرا واحدا غير مستقى من كتب التراث المعتمدة على التراث المعتمدة من الأزهر.

---

(١) كرم جبر، وجاء الدور على سيد اقمنى، روزاليوسف، عدد ٢٥ أغسطس ١٩٩٧ .

وكما منحت روزاليوسف سيد القمنى فرصة للرد على إتهامه ومحاولة مصادرة كتابه منحته الأهالى نفس الفرصة[١] وفى الحوار معها جاءت أفكار القمنى على النحو التالى:

- منطق المصادرة جزء من منظومتنا الفكرية.

- إسلامى يدعونى للتعامل مع الإسلام البكر الذى لا يعرف القدسية إلا لله وحده.

- لم أنكر الأديان ولم اتهكم على الأنبياء ولكن كتاباتى تستفز العاملين بشئون التقديس.

- بدلا من إتهامى ظلما بإزدراء الأديان أطلب محاكمة كل من يقفون وراء الكتب التى تزدرى أشقاءنا المسحيين.

وعندما صدر الحكم برفض مصادرة الكتاب فى ١٥ سبتمبر ١٩٩٧، وكان منطوقه: قررنا إلغاء الأمر الصادر بضبط كتاب «رب الزمان ودراسات أخرى»لمؤلفه الأستاذ سيد محمد القمنى والإفراج عن هذا الكتاب وما سبق ضبطه من أدوات طبعه، احتفت الصحف بالحكم الصادر وعلى الصفحة الأولى من جريدة الأهالى[٢] كان عنوان التقرير الرئيسى: حكم تاريخى فى قضية رب الزمان..المصادرة مخالفة للدستور وقتل للفكر والإجتهاد، المحكمة تناشد الأزهر الحوار بدلا من الحجر على الأفكار.

وعلى نفس الخط من الإحتفاء بقرار المحكمة نشرته مجلة روزاليوسف كاملا[٣] بعنوان: نص الحكم التاريخى للقاضى، سلامة سليم: افتحوا النوافذ لنفهم ديننا، ويعتبر كرم جبر فى نفس العدد أن الحكم ليس إلا صفعة لمشايخ التطرف.

هذه معالجة متسقة مع نفسها تحديدا من الأهالى وروزاليوسف، لكن المعالجة وحدها لم تكن كافية، فقد منحت الصحف إهتماما بجعل عناوينها فى الصفحة الأولى وعلى

(١) الأهالى، عدد ٢٧ أغسطس ١٩٩٧.

(٢) الأهالى، عدد ١٧ سبتمبر ١٩٩٧.

(٣) روزاليوسف، عدد ٢٢ سبتمبر ١٩٩٧.

الغلاف، كما أنها منحت الكاتب الذى يعتبر نفسه صادما ومستفزا الفرصة كى يدافع عن نفسه ويعيد أفكاره التى وقف بسببها أمام القضاء، دون أن تخشى أن تقف نفس موقفه لأنها تردد نفس الأفكار التى يمكن أن يعتبرها الشارع المصرى مخالفة لأفكاره ومعتقداته وحالته الإيمانية.

ثالثا: قضية حيدر حيدر:

فى إبريل ٢٠٠٠ نشرت جريدة الشعب فى صدر صفحتها الأولى[1] عناوين صاخبة وصارخة كالتالى: يا شعب مصر اغضب فى الله، شتائم سافلة لله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فى كتاب أصدرته وزارة الثقافة، الكتاب يصف القرآن بـ«الخرا»والله بالفنان الفاشل والرسول صلى الله عليه وسلم مزواج، نطالب بإقالة المسئولين عن النشر وطبع وتوزيع الرواية وعلى رأسهم وزير الثقافة، ما رأى شيخ الأزهر والمفتى وعلماء المسلمين فى نشر الكفر البواح بأموال الشعب.

وعلى الصفحة الأخيرة نشرت الجريدة مقالا لمحمد عباس كانت عناوينه أكثر صخبا قال: لا إله إلا الله..من يبايعنى على الموت..تبت أيديكم ..لم يبق إلا القرآن، ماذا لو قلنا إن رئيس الوزراء خراء.

كان مقال محمد عباس فى تحليله الأخير تحرضيا ليس على رفض الرواية ولكن على الإنتقام والتظاهر وربما التخريب أيضا كتب يقول: يا شيوخ الأزهر ويا طلبة جامعة الأزهر..لا إله إلا الله..يا طلبة العلم، يا كل الناس ..يا أمة..إنه الله الذى لا إله إلا هو، وإنه القرآن إنه ملاذك الأخير وقدس أقداسك الأخير، لم يتركوا لك حرما إلا ولوثوه ولا وطنا إلا إغتصبوه ولا كنزا إلا انتهبوه، فإن سكت فأولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أن تتوقفى عن الصلاة وعن الإسلام كله، دافعى عن القرآن يا أمة القرآن، إلا تفعلى تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير.

(١) الشعب، عدد ٢٨ إبريل ٢٠٠٠.

ويتوجه محمد عباس بعد ذلك إلى الجميع خطباء المساجد والقضاة والمحامين والأحزاب السياسية والهيئات الحكومية والشعبية أن يتحركوا لمناصرة القرآن كل بطريقته وعلى طريقته.

وتستمر صحيفة الشعب فى حملتها التحريضية على الرواية فعلى ثمانية أعمدة نشرت الجريدة ثلاثة عناوين متتالية [1] جاءت كالتالى: مناورة وزير الثقافة تفشل فى التعتيم على فضيحة الرواية السافلة، خطباء المساجد أدانوا نشر الرواية و٣ بلاغات للنائب العام تطالب بمحاكمة المسئولين، غضبة شعبية واسعة ومئات المكالمات والفاكسبات والرسائل تطالب بتدخل القيادة السياسية وعلماء الإسلام.

وعلى الصفحة الثالثة شنت الجريدة هجوما حادا على بيان وزارة الثقافة الذى حاول أن يشرح ملابسات الرواية، وكانت عناوين التقرير كالتالى: عن أى شئ تدافع وزارة الثقافة وفى أى شئ تحقق؟، وليمة لأعشاب البحر تدعو لخلع جلد الإسلام المتخلف وإنكار إله البدو وتصف القرآن ب «الخرا»، ليحترم المسئولون الدستور الذى أقسموا على إحترامه وليعتذروا للملايين المصريين عن الإساءة إلى دينهم وقيمهم، المشكلة ليست فى خمسة أسطر ولا فى رواية واحدة لكن فى عشرات الكتب المنافية للدين والآداب.

حاولت الجريدة أن تمنح محمد عباس كاتب المقال التحريضى شرعية الكتابة فهو فى النهاية طبيب، وتحت عنوان: محمد عباس..المتخصصون لم تغضبهم مصادرتك وغضبوا لحيدر دون مصادرة، حيث أنه هو الآخر أديب له روايات وقصص قصيرة وكلها مصادرة دون أن يغضب أحد، لكن الجميع غضب من أجل رواية حيدر حيدر رغم أنها لم تصادر، وقد فعلت الجريدة ذلك لأنه طعن على محمد عباس بإعتباره طبيبا للأشعة وليس من حقه أن ينتقد رواية أدبية.

وترصد جريدة الشعب آثار حملتها على رواية وليمة لأعشاب البحر، وعلى ثمانية

(١) الشعب، عدد ٢ مايو ٢٠٠٠.

أعمدة تنشر الجريدة عنوانا يقول[1]: مظاهرات صاخبة فى الأزهر تطالب بإقالة فاروق حسنى، مع صورتين فوتوغرافتين لمشاهد من المظاهرات، ورغم أن الصور لا تعكس المظاهرات الصاخبة التى تحدثت عنها الجريدة لكنها إنحازت لأن تصفها بأنها صاخبة.

ولا تقف الجريدة وحدها فى هذه الحملة بل يعقد حزب العمل الذى تصدر عنه الشعب مؤتمرا شعبيا حاشدا كما قالت الجريدة دفاعا عن العقيدة والمقدسات فى مواجهة الإلحاد الأدبى والروايات المشبوهة، وأعلن المؤتمر نفس الموقف الذى سبق وأخذته الجريدة، فالدعاة وقادة الفكر والأدب وجموع شعب مصر يعلنون غضبهم ورفضهم المساس بالمقدسات، وفى المؤتمر تحدث محمد عمارة حيث قال أنه لم يحدث غضب شعبى من قبل كما حدث بالنسبة لهذه الرواية، وقال الشيخ حافظ سلامة : إقالة فاروق حسنى لا تكفى بل نريد محاكمة علنية له، ويقول الدكتور يحيى إسماعيل: الغزو الثقافى مقدمة للغزو العسكرى والخطر ينتظرنا إن سكتنا عن هذا، ويوجه المؤتمر مسئولية ما حدث للدولة فهى التى ترعى هذا الكفر رغم أنه عليها أن تحترم مشاعر المسلمين ومقدساتهم.

وتعتبر الشعب أن إعتراف شيخ الأزهر بما قالته عن الرواية إنتصار لها وكان هذا واضحا[2] عندما أشارت الشعب فى صفحتها الأولى إلى أن المؤامرة تتحول إلى فضيحة، وكان العنوان الرئيسى هو: الله أكبر..الأزهر يدين الرواية الكافرة ومن أصدروها، شيخ الأزهر: الرواية تحقر الأديان وتتطاول على ذات الله والرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والآداب.

يأخذ الباحث من هذه المعالجة الصحفية لقضية رواية حيدر حيدر نموذجا متكاملا للإثارة المهنية التى تعتمد على الأعمال الأدبية والثقافية وما بها من أفكار، وهنا لابد أن يرصد الباحث السياقات الثلاثة لهذا النمط من الإثارة وهى السياقات المهنية

(١) الشعب، عدد ٩ مايو ٢٠٠٠.

(٢) الشعب، عدد ١٩ مايو ٢٠٠٠.

والأيديولوجية والسياسية وذلك على النحو التالى:

- المستوى المهنى : تظل جريدة الشعب مثلها مثل غيرها من الصحف السياسية التى ترغب فى الوصول إلى أكبر عدد من الجمهور، لكن ولأن هذه الصحيفة تنتمى إلى شريحة الصحف الجادة، فقد رأت أن تنتهج نهجا إثاريا يعتمد على الأفكار والمعلومات، لقد أوضح مجدى حسين[1] أن جريدة الشعب كنت تعمل من أجل زيادة توزيعها وذلك من خلال الوسائل التقليدية لصحافة الإثارة وهى إستخدام العناوين الضخمة فى الصفحة الأولى، وإختيار الموضوعات والقضايا التى تهم الشارع، وذلك من أجل أن تقوم الجريدة بدورها فى المجتمع المصرى وهو الدور الذى كان يتركز على التنوير والدفاع عن المقدسات والثوابت الإسلامية وكذلك مواجهة الفساد سواء كان هذا الفساد ثقافيا أو سياسيا فلا فرق بينهما.

إن القائمين بالإتصال فى جريدة الشعب كانوا يدركون أن جريدتهم تصدر فى سوق صحفى يقوم على المنافسة المهنية، وهى المنافسة التى تفرض على الصحف أن يكون لها مكانها الذى تحتله من خلال الخدمة التى تقدمها للقراء، وكذلك من خلال القضايا التى تثيرها ووجهات نظرها فى هذه القضايا، فقد كانت الشعب تعرف جمهورها جيدا وهو الجمهور المحافظ أخلاقيا الذى ينتمى فى الغالب إلى التيارات الدينية، وهذه النوعية من الجمهور يصعب إستثارتها من خلال الإستمالات الغرائزية، ولذلك فضلت الجريدة أن تعتمد على الإستمالات العاطفية التى تعلى من شأن الشعارات التى تهتف من أجل حماية الإسلام والحفاظ على مقدساته، ثم تأتى بعد ذلك الإستمالات العقلية التى تعتمد على كم المعلومات التى تتسرب بين القضايا المطروحة وكذلك المنطق الذى تصاغ به الأفكار التى تعرضها الجريدة على قراءها.

- المستوى الإيديولوجى : ظلت جريدة الشعب تعبر عن منظومة الفكر الإشتراكى

(١) مجدى أحمد حسين، مقابلة خاصة معه.

حتى تم التحالف بين الإخوان وحزب العمل الذى تصدر عنه خلال إنتخابات ١٩٨٦ ومن وقتها أصبحت المعالجات التى تقدمها الجريدة تميل إلى المذاق الإسلامى، ورغم أن مجدى حسين ينفى أن يكون الإخوان قد سيطروا على الجريدة وفرضوا أجندتهم الأخلاقية عليها، إلا أن معالجات الجريدة كانت تصطبغ بصبغة إخوانية، ويقصد بها الباحث تلك الصبغة التى تجعل من القضايا الفنية وقضايا الثقافة هى هدفها تفتش فيها وتصف من يكتبون أو يبدعون كفرة وملحدون، وكانت معالجة رواية حيد حيدر دليلا على ذلك، وإمتداد لحملات متعددة قامت بها جريدة الشعب وخاصة على وزارة الثقافة وإصداراتها ومن ذلك على سبيل المثال:

- لماذا لم ترد الحكومة علينا فى مسألة كتب وزارة الثقافة المعادية للدين، سيادة الرئيس: لقد تم الإعلان عن دولة ملحدة بالقاهرة، والشعب ينتظر موقفك[١].

- معركتنا مستمرة ضد دويلة الإلحاد..وزارة الثقافة تروج تقريرا دوليا يطعن فى الشريعة الإسلامية ويحتقر مصر والعرب[٢].

فالجريدة لا تتعامل مع ما يخالفها فى الرأى من الإبداع والثقافة على أنه إختلاف فى الرأى يمكن إستيعابه ضمن سياق الدولة المدنية، ولكن تتعامل مع الأمر على أن الإبداع إلحاد، وتستنهض الشعب المصرى كله عليه، حيث تستعدى الحكومة والرئيس على ما تنشره وزارة الثقافة.

إن العناوين والدلائل والبراهين التى تسوقها الجريدة فى إطار تحريضها على كتب وزارة الثقافة تؤكد منهج الإثارة الذى تنتهجه، فهى تستميل الجماهير عاطفيا من خلال تصويرها الإسلام على أنه فى خطر ضخم، يتعرض للهدم التام.

لقد سأل الباحث مجدى حسين عن هذه المعالجة، وقال له أن صحف الإثارة إذا كانت

(١) مجدى أحمد حسين، الشعب، عدد ٤ فبراير ٢٠٠٠.

(٢) مجدى أحمد حسين، الشعب، عدد ٨ فبراير ٢٠٠٠.

تستخدم الدين بصورة نقدية لرجاله وأفكاره وثوابته من أجل زيادة التوزيع، فإن جريدة الشعب تفعل ذلك أيضا ولكن من على الضفة الأخرى، حيث تهاجم كل من يقترب من الدين وتكفره، وفى ذلك رفع لدرجة حرارة إستقبال القارئ لهذه المعالجة، لم ينكر مجدى أحمد حسين ذلك بل أقره، لكنه دفع بأن هذه المعالجة فى النهاية تتسق مع الأيدلوجية العامة التى يتحرك عليها الحزب، ثم أن الإعتراض ليس على نشر هذه الأفكار ولكن على نشر هذه الكتب على نفقة الدولة ومن أموال دافع الضرائب المسلم، فكيف يدفع المسلم ضرائب وبهذه الأموال نفسها تصدر كتب تطعن فى الدين وتهاجم الرسول وتهين القرآن.

- **المستوى السياسى** : لا تخرج المعالجة الإثارية فى جريدة الشعب للقضايا الفكرية عن رغبة الجريدة الحزبية أن يكون لها تواجد ودور ملموس على مستوى الشارع المصرى، إن الحزب لا يستطيع أن يقدم خدمات ملموسة للجماهير فى الشارع يمكن من خلالها أن يكتسب تأييدها، ولما كان الشعب المصرى ولو ظاهريا متدين، فإن العزف على وتر الدين لإستقطاب الجماهير أمر أجادته جريدة الشعب، خاصة أنها لم تكن تفعل ذلك بشكل مطلق بل كانت توجه طلقاتها الإثارية إلى صدر الحكومة، فإذا كان حزب الشعب ومن خلفه جريدته يعملون من أجل حماية الإسلام والذود عن حوضه، فإن الحكومة ممثلة فى الحزب الوطنى وحكومته هى التى ترعى الإلحاد وتحميه، ولم تكن الجريدة تفوت فرصة للنيل من الحزب، وقد حدث هذا مع إحتفالية وزارة الثقافة بالألفية الثالثة من خلال المخرج العالمى ميشيل جار.

قدمت الشعب ما يشبه البلاغ [1] الذى وجهته إلى المسلمين قالت الجريدة: أيها المسلمون..هل تقبلون أن يقام إحتفال لعبدة الشيطان فى العشر الأواخر من رمضان بالهرم، ثم بالوثائق والمستندات من وزارة الثقافة نكشف أسرار الإحتفالية الماسونية برعاية فاروق حسنى، يديعوت أحرونوت تهاجم الشعب ...ميشيل جار اليهودى يخطط

(١) الشعب، عدد ١٤ ديسمبر ١٩٩٩.

لترك بصماته على هرم مصر، كتاب الحجرة السرية أشاد بالإحتفالية وأكد ماسونية الهريم الذهبى، راقصة باليه صهيونية أمريكية خططت لرسم نجمة داود بجوار الهرم.

وعندما تتراجع وزارة الثقافة عن الإستعانة بالمخرج اليهودى تهتم جريدة الشعب بأن تثبت ذلك وتتعامل معه على أنه إنتصار سياسى لها[1] فقد وصفت ما حدث بأنه هزيمة لمشروع فاروق حسنى لتركيب الهريم الماسونى فوق الهرم الأكبر، فقد أبلغ وزير الثقافة مخرج الحفل الصهيونى ميشيل جار بالقرار، وأشارت الجريدة بشكل واضح أن حملتها نجحت وأن الإنتصارات الوطنية تتوالى فى مواجهة الجرائم بحق مصر شعبا وتاريخا وحاضرا وحضارة.

وهنا سمة من سمات صحف الإثارة، فهى تحتفى بنفسها وحملاتها وتسجل نجاحها فى الصفحة الأولى، وذلك حتى تزيد من مصداقيتها لدى قارئها، فهو يتعامل مع صحيفة قوية ومؤثرة وتأتى حملاتها بنتائج ملموسة.

■ ■ ■

(١) الشعب، عدد ١٧ ديسمبر ١٩٩٩.

معالجة صحافة الإثارة للقضايا الدينية

تحتل القضايا الدينية مساحة مهمة وكبيرة فى معالجات صحف الإثارة، ولا يقتصر الأمر على الدين الإسلامى فقط بإعتباره دين الأغلبية فى مصر، لكن تتطرق معالجات الإثارة إلى الدين المسيحى أيضا، ولا يتم ذلك من أجل الأقباط فقط، ولكن من أجل المسلمين أيضا الذين يمثل الأقباط بالنسبة لهم آخر لا يعرفون عنه شئيا رغم أنه يعيش معهم ويقاسمهم الوطن بأفراحه وأتراحه بلا أدنى فرق.

ومن خلال الرصد العام لمعالجة شئون الأديان فى صحافة الإثارة فإن الباحث يستطيع أن يكشف عن آليات الإثارة فى هذه المعالجة على النحو التالى:

■ أولا: فى شئون الدين الإسلامى

هناك ثلاثة آليات تقود صحافة الإثارة العاملة فى معالجة شئون الدين الإسلامى...

- **الآلية الأولى:** خاصة بمتابعة أخبار رجال الدين الإسلامى وخاصة المشاهير منهم، وهى متابعة لا تقتصر على أخبار وفتاوى وآراء هؤلاء الرموز فقط، ولكنها تتسرب إلى حياتهم الخاصة وتشتبك بعمق مع أفكارهم رافضة لها أو مفندة إياها، والمثال الواضح فى هذا الإطار هو الشيخ محمد متولى الشعراوى التى تفرقت صحف الإثارة حوله إلى فريقين الأول يصنع منه أسطورة وهو النموذج الذى قدمته أخبار اليوم حيث تتبعت الشيخ من خلال الحوارات والأخبار والصور الخاصة التى التقطها له المصور فاروق إبراهيم، والفريق الثانى يحاول هدم هذه الأسطورة بإظهار تناقضاتها، وهو ما فعلته مجلة روزاليوسف.

كان الظهور الأول للشيخ الشعراوى فى نهاية السبعينات من خلال برنامج «نور على نور» الذى كان يقدمه الإعلامى أحمد فراج، تعرف الناس على الشيخ من خلال منهج

مختلف فى تفسير الآيات القرآنية والفتاوى أيضا، واصل الشعراوى نشاطه الدعوى حتى أصبح له برنامج أسبوعى يقدم فيه خواطره حول القرآن الكريم للمشاهدين، ويصبح هذا البرنامج يومى فى شهر رمضان.

ساهمت وسائل الإعلام فى صنع الشخصية الأسطورية للشيخ الشعراوى حتى أنه أصبح على المستوى الشعبى أعلى قامة وأعز مكانة ممن يشغل منصب شيخ الأزهر، لم تكن الصحف تقترب من الشيخ الشعراوى إلا بالتبجيل والتوقير الذى وصل فى مراحل كثيرة إلى حد التقديس، وفى السنوات الأخيرة من حياته وصل إلى درجة من لا يسأل عما يقول أو يفعل، فقد أصبح الشيخ يتحرك بحصانة دينية تحميه من النقد أو المعارضة.

فى هذا السياق الذى كان يعيش ويعمل فيه الشيخ الشعراوى بدأت مجلة روزاليوسف تقترب من الشعراوى وبعنف[1] وبعد أن كان يشار إليه على أنه إمام الدعاة إلى الله ظهر على غلاف المجلة ورأسه تطير من إناء حوله دخان كثيف يشبه إناء الدجالين والمشعوذين، كان العنوان على الغلاف هو: لويزا آخر الضحايا فى مسجد باريس..الشعراوى يستخرج الجن...٥٨ قتيلا على يد شيوخ الدجل.

وعلى صفحات المجلة الداخلية تقرير على ثلاثة صفحات تتصدره صورة الغلاف مرة ثانية، مع ربط الشيخ الشعراوى بها، فالشعراوى بالنسبة للمجلة يناقض نفسه يستخرج الجن من شاب ويؤكد أن مستخرجى الجن لا ينفعون أنفسهم.

رأى التقرير أن الشيخ الشعراوى يساهم فى ترويج خرافات الجن وخزعبلاته، فهو يقر بوجود الجن وقدرته على لبس الإنسان، وقد نشرت إحدى الصحف الحزبية صورة للشيخ الشعراوى وهو يستخرج جنيا من أحد الأشخاص.

ويستند التقرير إلى كتاب «حوار مع الجن» للصحفى أسامة الكرم الذى يقول فيه : أن أحد الجان رفض الخروج من جسد الإنسان الذى لبسه إلا على يد الشيخ الشعراوى،

(١) روزاليوسف، عدد ١٨ يوليو ١٩٩٤.

وبالفعل إستقبلهم الشيخ فى أحد فنادق الهرم وتحدث مع الجنى الذى قال لـه أنـه دخـل فى جسم هذا الإنسان لأنه لا يقرأ القرآن كل يوم وأنه يحب سماع القـرآن بتلاوتـه لأن صـوته جميل وأنه فى أحد الأيام لم يقرأ القرآن فاغتاظ قلبه ودخل إليه.

ويضيف التقرير نقلا عن الكتاب أن الشعراوى قال لهذا الجان اخرج طائعا أو أخرجك مكرها فخرج الجان بعد مداولات، وعاد الرجل لطبيعته، وعلق الشعراوى على ذلك بقوله: لقد خرج الجان بلا رجعة ولأننا مؤدبون سنقول له مع السلامة وسندعوه إلى الإستماع إلى القرآن من مسلم جلس خاشعا ومؤدبا وإلا فليعلم أن الله سيفضح إيذاءه ويكشف سره.

وحتى يظهر التقرير التناقض الذى وقع فيه الشيخ الشعراوى، فقد استند إلى نصوص فتاوى منشورة ومنسوبة إلى الشيخ الشعراوى يقول التقرير: حين سئل الشيخ الشعراوى عن رأى الدين فى مسألة تحضير الأرواح والإتصال بالجان قال: إن كل من يكل نفسه إلى هؤلاء الذين يتصلون بالجن يشقى حياته، ومن يعرف السحر لو كان يقدر يفلح فى روحه أى لو كانت حقائق كان يفلح نفسه.

وينقل التقرير عن الشيخ الشعراوى أنه قال ردا على سؤال حول ما هو الحل لمن مسه الجن : إن الذين يدعون ويقومون على مثل هذه الأفعال بدعوى أنهم يحضرون الأرواح أقول لهم هل أطلعتم على حقيقة الروح، أتحداهم أن يقولوا نعم، ومن يدعى أنه يحضر الأرواح عن طريق القرآن فهو كاذب ومدلس.

لكن فى فتوى ثالثة أثبتها التقرير يقول: لكن الشيخ الشعراوى يناقض نفسه حينما يجيب عن سؤال : هل الجن يسيطر على كثير من البشر، فيقول: هذا جائز لأن السحر حقيقة وتسخير الجان أمر واقع.

جعل التقرير عددا من رجال الدين مرجعية له، حيث استعان بآراء الشيخ الطيب النجار الذى قال: لا يمكن أن يدخل الجن إلى جسم الإنسان لإختلاف طبيعتيهما،

والشيخ عطية صقر الذى قال: لم يثبت بالدليل الشرعى إمكانية دخول الجن إلى جسم الإنسان، والشيخ شلتوت الذى قال: الجن لا يعلمون الغيب ولا يقدرون على الإيذاء والتلبس بالإنسان، وفى ذلك إشارة إلى أن التقرير حاول أن يفند أخطاء الشعراوى من خلال التناقض الذى وقع فيه ومن خلال مرجعية دينية قدمها رجال الدين أنفسهم.

ويحتل الشيخ الشعراوى غلاف روزاليوسف مرة أخرى[1] لكن من خلال مقابلة بينه وبين مطرب الأخبار وهى إحدى شخصيات أحمد رجب ومصطفى حسين الكاريكاتيرية، والعنوان من بدايته جذابا، فما الذى يربط بين الشيخ الشعراوى وهو عالم ورجل جاد بمطرب الأخبار الهزلى الذى يسخر به أحمد رجب ومصطفى حسين من حالة الفساد التى اعترت الوسط الفنى.

السؤال أجاب عليه عادل حموده[2]، كانت روزاليوسف قد أنكرت على الشيخ الشعراوى أن تتناقض آراءه فى القضية الواحدة لأن ذلك مما يسيئ إلى الإسلام من ناحية، ويحير المسلمين من ناحية ثانية، اعتبر عادل حمودة أن الشيخ الشعراوى لم يكتب خواطره التى كانت تنشرها جريدة الأخبار ولكن كتبها مطرب الأخبار الذى انتقل من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة.

يقول عادل حمودة: كانت روزاليوسف قد أنكرت أن تتناقض فتاوى الشيخ حول مؤتمر السكان من الحرام إلى الحلال، ومن الترحيب إلى الرفض وأن تنشر هذه الفتاوى المتضاربة فى يوم واحد، فلم نعرف من نصدق: شعراوى الموافقة ..أم شعراوى المعارضة؟

ويتساءل عادل حمودة: على أن ما أصابنى بالذهول أن يعجب بهذا النوع النشاز من الطرب الشيخ الشعراوى، إمام الدعاة إلى الله، كيف يقبل الإمام الورع الحافظ لكتاب الله وأحكامه، أن يتهم الناس بهذه السهولة، كيف يفرط فى قانون من قوانين السماء التى

(١) روزاليوسف، عدد ٢٦ سبتمبر ١٩٩٤.

(٢) عادل حمودة، الشيخ الشعراوى ومطرب الأخبار، روزاليوسف، مصدر سابق.

يدعونا إليها؟، لقد أساء مطرب الخواطر إلى الشيخ وتعامل مع قضية تناقض الفتاوى فى موضوع واحد معاملة الأراجوز وراح يخرج من جعبته مناديل ملونة متصورا أنه سيبهر الناس بحيله، لكن الحيل قديمة وساذجة ولا تقنع إلا من يرشقون فى عروقهم حقن المورفين أو من يخلطون بين المدائح الدينية والحشائش التخديرية.

إنصب هجوم روزاليوسف على من يكتب خواطر الشيخ، لكن الهجوم فى الحقيقة كان على الشيخ نفسه المتناقض الذى يعجب بألاعيب أراجواز أئتمنه على كتابة خواطره، ثم كيف له وهو التقى الورع الحافظ لكتاب الله أن يتهم الناس بسهولة دون أن يستوثق مما يقوله.

ما كتبه عادل حمودة كان مقدمة فقط لما كتبه إبراهيم عيسى لا ليرصد تناقض جديد عند الشيخ فقط ولكن ليهيل عليه تراب النقد فى محاولة لهدم شرعيته ومدرسته فى الدعوة[1] فتحت عنوان الشعراوى والإفتراء على الإسلام كتب إبراهيم عيسى: نعرف أن الشيخ الشعراوى لا يكتب، أقصد لا يكتب كتبه ولا مقالاته ولا محاضراته ولا تفسيراته، وإنما هى مجرد تفريغ للشرائط المسجلة لأحاديثه الشفوية، وللشيخ الشعراوى فريق من الكتبة والسكرتارية التى تمشى معه فى كل مكان تسجل له وتنشر باسمه، وهم فخورون بذلك وبخدمتهم للشعراوى هل يستخدمهم الشعراوى ويستخدمونه أحيانا ..لا تعرف الحقيقة بالضبط.

ويضيف إبراهيم عيسى: ونعرف أن الشيخ الشعراوى لا يقرأ، هو بنفسه اعترف أنه لايقرأ لا كتابا ولا مجلدا ولا موسوعة ولا كتيبا، ومع ذلك فهو يفتى فى الطب والهندسة والكيمياء العضوية والكيمياء النووية بشجاعة يحسد عليها ويجرؤ أن يتكلم فى الذرة والفيزياء والعيش البلدى على نفس الدرجة من الثقة بعلمه وبكلامه، ولا يجد الشعراوى حرجا فى أن يناظر الفلاسفة وعلماء الهندسة الوراثية ورواد الفضاء ويتحدث عنهم

(١) إبراهيم عيسى، الشعراوى والإفتراء على الإسلام، روزاليوسف، مصدر سابق.

ويناقش أفكارهم وأراءهم رغم أنه لم يقرأ، ولم يسأله أحد أبدا من أين عرفت ذلك وأين تعلمته وأين سمعته على وجه الدقة إلا إذا كان ذلك وحيا يوحى.

تجاوز الرصد التعرف على التناقض فى علم وشخصية الشيخ إلى التشكيك فى قدرات الشعراوى العلمية فهو لا يقرأ منذ سنوات طويلة فمن أين يجدد معلوماته.

ويعتقد الباحث أن حدة النقد للشعراوى فى هذا السياق لأنه لم يرد على هجوم المجلة عليه، وهو ما يثير حفيظة وأعصاب صحف الإثارة التى تعلى من نقدها لمن يشعرها أنه لا يشعر بوجودها ولا يحس بها، وقد بدا هذا واضحا فيما كتبه إبراهيم فى هذا المقال فقد حمل بعض التلميحات غير المريحة عن الشيخ الشعراوى، خاصة فيما قاله عن كتبة الشيخ: هل يستخدمهم الشعراوى ويستخدمونه أحيانا، وهى جملة مرجعيتها شائعة لم تثبت فى حق الشيخ الشعراوى ، لكنها فى النهاية فيها غمز ولمز بالشيخ والذين معه.

النموذج الثالث من معالجات روزاليوسف للشيخ الشعراوى وما يتعلق به كان من خلال قضية نصب[1] فتحت عنوان: فلوس صفية العمرى ...النصب باسم الشيخ الشعراوى، احتل العنوان الجزء الأسفل من الغلاف مع صورة بالجرافيك ضمت الفنانة صفية العمرى والشيخ الشعراوى على ورقة من ذات المائة جنيه، وسارت المعالجة داخل العدد أن المجلة تكشف ما حدث وتحذر مما سيحدث، وجاء الكشف من خلال عناوين التقرير: صفية العمرى أول ضحية تكشف ما حدث لها، النصب باسم الشيخ الشعراوى، كارت شخصى وخطاب مختوم باسم الشيخ: رأيت الرسول يحتضنك وأنت تبكين..فأبشرى بالخير الذى سيأتيك، حامله ابن من أبنائى وأرجو أن تساهمى معنا فى علاج طفل يتيم يحتاج إلى زرع نخاع، الشيخ على يخدع صفية العمرى ويستولى على خمسة آلاف جنيه، ثم يتصل بها ويقلد صوت الشعراوى ويقول: لا تفرطى فى على فهو كنز ثمين، ياسمين الخيام تصحب صفية العمرى لمقابلة الشعراوى لتكتشف أنها وقعت ضحية نصاب محترف.

(١) روزاليوسف، عدد ٢٨ إبريل ١٩٩٧.

وأما التحذير فقد جاء طبقا للتقرير لأن عملية النصب التى وقعت خطيرة لأنها تمت باسم أشهر رجال الدين فى مصر والدول العربية وأكثرهم شعبية، ولأنها كذلك تمثل حلقة جديدة فى ظاهرة إستخدام الدين فى النصب بعد جرائم الإتجار بتأشيرات الحج وإستخدام الزكاة كوسيلة لنهب أموال الناس وعصابات جمع التبرعات لبناء المساجد الوهمية إضافة إلى شرائط التطرف التجارية.

الخيط الذى أمسكت به روزاليوسف فى التعرض للشيخ الشعراوى استثمره ابراهيم عيسى فى الدستور ومنذ العدد الأول[1]، فقد أدخلت الدستور الشعراوى فى جملة مفيدة مع الفنانة شادية، وعلى الغلاف كان العنوان: فى بيت شادية الشعراوى راسبوتين، وعبر تقرير صحفى عن حياة دلوعة السينما شادية، ومن بين ما جاء فيه أنه تردد أن شادية اتصلت بالشيخ الشعراوى لتأخذ رأيه فى حضور تكريمها فى مهرجان القاهرة السينمائى، لكن الحقيقة أن شادية لم تفعل ذلك ولم تتلق أية أوامر من الشيخ الشعراوى، وأنها لم تكن على إتصال به، والذى حدث أنها تحدثت معه تليفونيا مرتين عام ١٩٨٧ قبل أن تذهب إلى الحج لكنها أقلعت عن الإتصال به بعد ذلك، وكما يقول التقرير أن بعض المقربين من شادية كانوا يستمعون إليها وهى تطلق على الشيخ الشعراوى راسبوتين.

ويكتب إبراهيم عيسى عن الشيخ الشعراوى[2] مفندا أخطاءه من وجهة نظره، ويسوق إبراهيم عيسى أسباب إعتراضه لطريق الشيخ الشعراوى يقول: مرة أخرى يا شيخ شعراوى نعود نناقشك لأننا لا نقدسك ولأنك لا زلت فى إصرارك (لا أقول عنادك) تتحدث وكأن الرجوع إلى الحق عندك ليس بمثل الرجوع إلى الحق عند آخرين، هذا الرجوع الذى يمثل فضيلة لا تريدها فضيلتك، عفوا لكل محبى الشيخ الشعراوى ومن قال أننا لسنا من محبيه، فالمحب هو من يردع محبوبه عن الخطأ وليس من يزين له من

(١) الدستور، عدد ١٣ ديسمبر، ١٩٩٥.

(٢) إبراهيم عيسى، تانى يا شيخ شعراوى، الدستور، عدد ٢٨ فبراير ١٩٩٦.

أقواله حسنا وبدائع من الدرر ولو فيها كل الضرر.

كانت مناسبة الكتابة تقريرا للشيخ الشعراوى نقلته مجلة آخر ساعة العدد الصادر فى ٢١ فبراير ١٩٩٦ عن حديث أدلى به الشيخ إلى إذاعة لندن، قال فيه : أشكر الله على هزيمة يونيو ١٩٦٧ لأنها هى التى لفتتنا إلى الله.

لا يذكر إبراهيم عيسى جديدا فى معارضته للشيخ الشعراوى، لكنه أعاد مرة أخرى إنتاج ما سبق ونشره فى روزاليوسف، وإن كان الإختلاف هنا أن إبراهيم حاول أن يخفف من وطأة هجومه على الشيخ الشعراوى فقدم لذلك بأنه من بين محبيه، وأنه ليس إلا ناصحا للشيخ فالمحب هو الذى ينصح ولا يضل.

لقد إعتمدت صحف الإثارة على الشيخ الشعراوى كنجم من نجوم الدعوة، بل يكاد يكون الرجل هو الذى أسس لمدرسة النجومية فى الدعوة الإسلامية، وعليه فلم يكن إشتباك صحافة الإثارة مع الشعراوى لأنه رجل دين فقط أو لأن لديه ما لم يكن لدى غيره من علم وفقه، فهذه لا تزن كثيرا فى معايير صحافة الإثارة، ولكن ما يزن لديها أن الشيخ الشعراوى كان رجلا ُجمع عليه الناس، والإختلاف معه لابد أن يثير حالة من الجدل تحتاجها الجريدة أو المجلة لتساعد فى ترويجها.

ولا يعنى ذلك مثلا أن الصحف تنطلق فقط من أجل الإختلاف مع الشعراوى من أجل التوزيع، بل تنطلق الجريدة من أرضية أنها ترفض بالفعل كثيرا من أفكارد، ولما كان من يكتبون ليسوا كفؤا للشعراوى فى العلوم الشرعية، فهم يأخذونه إلى مساحة من الأرض لا يكون للعلم والفقه الكلمة العليا، مثل علاقته بالفنانات أو النصب باسمه، ليس من أجل تشويه صورة الشيخ كما يحلو للبعض تفسير ذلك، ولكن يرى الباحث أن ذلك يحدث لأن المفارقات هى التى تجذب القارئ، وليس من مفارقة أكبر وأهم من الجمع بين الشعراوى أو أيا من رجال الدين وعلماءه فى جملة مفيدة إلى جوار فنانة أو نصاب، حتى لو كانت العلاقة مجرد شائعة لكنها فى النهاية تؤتى أثرها.

هذا تقريبا من وجهة نظر الباحث الإطار العام الذى تعاملت به صحف الإثارة مع نجوم الدعوة سواء قبل الشعراوى أو بعده، فالشخصيات يتم إنتاجها بنفس الطريقة والمعالجة الصحفية التى تعترض طريقهم تتم بنفس الطريقة أيضا.

الآلية الثانية: وتتم من خلال **المعالجة الصادمة للثوابت** وهى معالجة تقوم بها صحف الإثارة من خلال مناقشة الثوابت أو ما تعارف عليه المجتمع أنه ثوابت دينية، ولابد من الرجوع إلى معالجات روزاليوسف فى هذا الإطار أيضا.

فمن بين الأسئلة التى طرحتها المجلة[1]: هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب، وتأتى إجابة السؤال من خلال مقال كتبه الدكتور محمد جبل، فكلمة أمى معناها فى كتب التفسير لا يقرأ ولا يكتب، وحين قال النبى ما أنا بقارئ لم يكن يرفض أمر الله، وجاء هذا المقال ردا على مقال كتبه الدكتور أحمد صبحى منصور لروزاليوسف نفى فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا، وقال أنه كان يقرأ ويكتب، وأن الأمى لم يكن يطلق على من لا يعرف القراءة والكتابة، وبعد أن نشرت روزا مقال الدكتور جبل رد الدكتور صبحى منصور بأن القرآن فوق تفسيره، فالنبى كان يقرأ ويكتب وهو الذى دون القرآن، كما أن كتب التراث متناقضة والذين يستخدمون التراث أيضا متناقضون، كما أنه ورد عن النبى أنه قال لأصحابه هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده.

وعلى هامش معركة الأزهر والرقابة حول مصادرة الكتب تنشر المجلة صورا للجنة والنار بالألوان[2]، وإستندت المجلة فى عرضها لهذه الصور إلى أنه فى عصور الإزدهار الإسلامى تخيل الفنان المؤمن صورة الجنة والنار، وكان الهدف هو مزيد من الإطمئنان من الإيمان والتسبيح لله، وتقريب الصورة إلى ذهن المسلم كى يزداد إيمانا.

كان الدكتور مصطفى محمود قد أصدر كتابا بعنوان زيارة إلى الجنة والنار، ورأت

---

(١) روزا اليوسف، عدد ٢٨ نوفمبر ١٩٩٦.

(٢) روزاليوسف، عدد ٦ يناير ١٩٩٧.

المجلة أن صدور الكتاب مناسبة لعرض مجموعة من الصور التى تخيلها الفنان الإسلامى للجنة والنار، وقد وردت هذه الصور فى كتاب معراج نامة الذى صدر عن دار المستقبل العربى، وحققه الدكتور ثروت عكاشة، وعرضت المجلة مجموعة من الصور عبارة عن صورة لملاك نصفه من ثلج ونصفه من نار، وصورة لديك كبير تخيل الفنان أنه فى السماء، وصورة لملاك كبير له سبعون رأسا، وصورة لقصر عظيم فيه جماعة كثيرة من الحور العين، وصورة لحور حسان يوم الجمعة راكبات على الجمال ويرحب بعضهن ببعض.

وتطرح المجلة سؤالا عن وضعية المرأة فى الجنة وهل هى مظلومة فيها[1]؟ وهو تناول لفكرة أن للرجال عدد لا حصر له من الحور العين فى الجنة يستمتعن بهن، فى حين أن المرأة لا يكون لها سوى زوجها، فهل فى هذا تفرقة ضد النساء لصالح الرجال...أم أن الله إختزن لهن جزاء لا يعرفه إلا هو؟

هذا النمط من المعالجات قادر على جذب القارئ فهو يهز معتقداته وثوابته الدينية وهى صيغة تم إستثمارها بعد ذلك فى صحف الإثارة، ومن ذلك مناقشة الدستور[2] لقضية تلحين القرآن الكريم بين الشيوخ والفنانين، وقدمت الجريدة لذلك: بأنها قضية قد تبدو شائكة، موضوع قد يظن البعض أن الحديث عنه محرم، فكرة قد يظن الكثيرون أنها نزقة وحمقاء، آراء قد تكون لدى الآخرين ضربا من الخيال، لكن ما الحيلة ونحن لا فضل لنا فى هذا التحقيق سوى نشره.

وتشير الجريدة بذلك إلى أنها تعيد نشر تحقيق نشرته مجلة الهلال فى ديسمبر ١٩٧٠، وأشادت الدستور بالتحقيق حيث كانت الفترة التى نشر فيها لا تزال ساخنة بأفكار حرية الرأى الدينى وقوة الحق، لم يكن ركام الظلام والخرافة والجهل ومحاربة الفكر قد بدأت تأخذ طابعها الشرس الجهم الدموى الذى عشناه بعد ذلك، ومن ثم كان المناخ يسمح،

(١) روزاليوسف، عدد ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٣.
(٢) الدستور، عدد ٢٤ يناير ١٩٩٦.

لكن الآن المناخ لا يسمح، لكن الحرية تسمح.

وتضيف الجريدة فى مقدمتها: الحرية تسمح أن نفتح نفس الملف مرة أخرى لنسمع فيه أعظم حوار حر ومنير ووضاء بين أعمدة الفقه الدينى وأساتذة الفكر والفن والغناء، مناظرة علمية دينية هائلة الجمال تجمع الشيخ الباقورى وعبد الباسط عبد الصمد برياض السنباطى ومحمد عبد الوهاب، تجمع خالد محمد خالد والحصرى بأم كلثوم والشيخ محمد خاطر، كل هؤلاء الكبار والذين ظلوا كبارا يعطوننا درسا فى الشجاعة والجرأة وعظمة الإختلاف وقدر الإجتهاد.

وعلى عكس الحديث الذى يتداوله الناس من أنه خسر قوم ولوا أمرهم إمرأة، تنشر الدستور فى صفحتها الأولى[1] مقولة منسوبة للشيخ محمد الغزالى وهى أفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة، جاء كلام محمد الغزالى ضمن ملف أعدته الجريدة للإجابة على سؤال هو: هل تقبل أن تكون إمرأة رئيسا للجمهورية؟..وتقدم الجريدة للملف بتمهيد إلى القارئ وهو قبل أن يقول كله إلا الرئاسة وقبل أن يقول ناقصات عقل ودين، عليه أن يتذكر ما يفعله الحكام العرب الرجال الناقصون عقل ودين وأهلية، دعمت الجريدة ملفها بمقال سابق كتبه الشيخ الغزالى كان عنوانه: المرأة تصلح للحكم والدليل جولدا مائير.

ومن خلال العنوان الرئيسى[2] على ثمانية أعمدة وباللون الأحمر تعلن الجريدة على لسان رجال دين يؤكدون: يوم القيامة فى ٢٤ أو ٢٥ ديسمبر سنة ٢٠١٣، وتشير الجريدة إلى أنها فتحت هذا الملف لأننا نحن كمسلمين نؤمن ونعرف أننا لن نعرف متى سيأتى يوم القيامة، الله وحده هو الذى يعرف ويقرر متى تقوم القيامة، لكنها ليست بالضرورة قناعة كثيرين غيرنا يعيشون معنا فى هذا العالم، ليست مثلا قناعة عشرين ألف رجل وإمرأة من كوريا الجنوبية استعدوا جميعا ليوم القيامة، اتفقوا على أن يستقيلوا من وظائفهم ويخرجوا

(١) الدستور، عدد ١٣ مارس ١٩٩٦.

(٢) الدستور، عدد ١٨ سبتمبر ١٩٩٦.

أولادهم من مدارسهم فى اليوم الأخير من سنة ١٩٩٩ استعدادا للتحليق فى السماء لحظة أن يقرر المسيح النزول من الجنة إلى الأرض لتقوم القيامة، وأية إمرأة منهن سيشاء حظها العاثر أن يأتى هذا اليوم الأخير من سنة ١٩٩٩ وهى تحمل فى بطنها جنينا يوشك على الخروج إلى الحياة ستضطر آسفة للتخلص من حملها حتى لا يثقل وزنها فلا تستطيع الطيران لتكون فى إستقبال المسيح.

طورت صوت الأمة آلية هز الثوابت الدينية، فقد فعلته دون أن تتحمل تبعتها أمام القارئ، فمرة تشير إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلى إرييل شارون ينكر إسراء الرسول إلى المسجد الأقصى[١]، ومرة تشير إلى أن مجلة تايم الأمريكية تنشر صورة النبى محمد[٢]، ومرة تنقل عن تنظيم الفاتحة الإسلامية إعلانه أن الدفاع عن الشواذ واجب دينى[٣]، وتنقل عن زعيم المسيحية الصهيونية فى أمريكا قوله أن الإسلام ديانة شريرة وخبيثة[٤].

لقد أرادت صوت الأمة من خلال هذه النماذج وما يشاكلها أن تهز الثوابت التى يعتنقها المسلمون، لكن دون أن تتورط هى فى أن تتبنى الموقف، ولذلك أحالته على كاهل آخرين، وخاصة الصحف الغربية والمسئولين المعادين للإسلام.

لكن هذا لم يمنع صوت الأمة أن تشتبك ومباشرة مع الثوابت الإسلامية، وتتبنى هى الموقف، حيث نشرت ما إعتبرته مفاجأة من وجهة نظرها[٥] وهو أن السيدة خديجة لم تكن السيدة الأولى فى حياة الرسول، واستندت الجريدة فى تفجيرها لهذه المفاجأة لما كتبه عبد الرحمن الشرقاوى فى كتابه«محمد رسول الحرية»، حيث أشار إلى أن محمد رأى فى الكعبة إمرأة شابة جميلة تطوف وليس فى هيئتها وزينتها وثوبها ما ينكره، كان اسمها ضباعة بنت

(١) صوت الأمة، عدد ٣١ يناير ٢٠٠١.
(٢) صوت الأمة، عدد ١٦ مايو ٢٠٠١.
(٣) صوت الأمة، عدد ٢٢ أغسطس ٢٠٠١.
(٤) صوت الأمة، عدد ٢٨ نوفمبر ٢٠٠١.
(٥) صوت الأمة، عدد ٢٨ نوفمبر ٢٠٠١.

عامر بن صعصعة فخطبها لنفسه، وشغفت المرأة به حبا، ولكنه عندما علم أنها حين كانت تطوف بثوبها المحتشم ألقت شعرا فاحشا متغزلة فى فتوته، ثم ذكر له عنها ما جعله يتركها، ففسخ الخطبة وحزنت المرأة حتى لقد تلفت من الكمد.

فى هذه النماذج تأكيد على ما رأت صحف الإثارة من أنه أسلوب ناجح فى جذب إنتباه القارئ، لكن هناك آلية أكثر نجاحا فى معالجة الشئون الإسلامية رسختها نفس الصحف وإن كانت إنضمت لها صحف أخرى.

الآلية الثالثة..وتقوم على الدفاع عن المقدسات الإسلامية، ويظهر هذا الدفاع تحديدا فى مناسبات الهجوم على الإسلام من أعداءه ومن الغرب.

على الغلاف نشرت روزاليوسف[1] تنديدا بإهانة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى المعبد اليهودى فى القاهرة، أما العنوان الرئيسى فقد كان أكثر إثارة وهو: بيت دعارة على شكل الكعبة فى إسرائيل، وتفصيلا لموضوع الغلاف أشارت المجلة إلى أن قصة رسم الخنزير[2] لم تكن الأولى، وأبرزت الجريدة موقفها الذى وقعتها بإسمها لا باسم أحد محرريها وبنته على أن إعتذار بنيامين نتنياهو لا يكفى، بل لا يعنينا أصلا، الإعتذار لا يمحو الإهانة التى تلقاها المسلمون على يد فتاة إسرائيلية رسمت النبى محمد على شكل خنزير يمسك قلما فى يده ويكتب القرآن، فما فعلته هذه الفتاة اليهودية المتعصبة ليس غريبا وخاصة أن رئيس وزراءها يفعل ما هو أسوأ ويعلن عن تعصبه بما يمكن أن نصفه بحرب دينية واضحة.

وإلى جوار الإعتراض على الرسم تنوه روزا أنها عثرت على الكتاب الذى صادرته مصر، وهو كتاب يهين النبى محمد، حيث يزعم أن النبى كان اسمه كثيبا وأنه نقل الإسلام من تعاليم اليهودية، وبه قصص وهمية عن مرض النبى وحكايات كاذبة عن السيدة

(١) روزاليوسف، عدد ٧ يوليو ١٩٩٧.

(٢) فى إشارة إلى رسم الرسول على هنية خنزير وقد قامت بهذا الرسم فتاة إسرائيلية.

عائشة ومزاعم عن قتل زوج السيدة صفية اليهودى ليتزوجها النبى وقبولها ذلك خوفا.

هذه المعالجة يعتبرها الباحث نموذجا للتناقض الذى تبدو عليه صحف الإثارة، فروزاليوسف تبنى شرعيتها المهنية ومشروعيتها الفكرية على أساس أنها جريدة علمانية، وهو خط لا يجعلها تتورط فى الدفاع عن الأديان ولا التصدى لمن يعبث بها، حيث أن الجميع أحرار فى دينهم وطريقة تدينهم، لكن فى واقع الحال فإن هذا الخط غريب بعض الشئ على روزاليوسف، لكنها تلجأ إليه كما تلجأ إليه صحف أخرى لها نفس الخط من أجل مغازلة الشارع المسلم الذى ينتفض غضبا لدينه، فهذا الشارع الغاضب لن يسمح مطلقا بأن تصمت الصحف على إهانة الرسول أو الإسلام، فلا تجد الصحف المثيرة العلمانية بدا أمامها من أن تلقى بنفسها فى أتون بحر الدفاع عن الأديان.

لكنها تحاول أن تخفف من وطأة الدفاع من خلال إلقاء اللوم على المسلمين الذين كانوا سببا واضحا ومباشرا فى أن يسب الغرب دينهم ويسيئ إلى نبيهم، فالمسلمون أيضا بالنسبة لها يشاركون فى تشويه صورة الإسلام[1] وتعرض للتدليل على ذلك كتاب الدكتورة عزة عزت «صورة العرب فى الغرب» وأشارت من خلاله إلى فيلم « the horse» الذى تدور أحداثه فى أفغانستان التى تمتلأ بالمسلمين من كافة دول العالم، ويحمل الفيلم مغالطات تشوه صورة الإسلام فى نظر غير المسلمين، إذ يتناول موضوع التداوى والعلاج بالقرآن ليس بالتلاوة وإنما بإلصاق صفحة من صفحات القرآن على الجرح، ثم يأتى طبيب أجنبى وينزع الورقة ويقذفها بسخرية قائلا: بأن هذا الكلام ليس له قيمة ويحرق هذه الصفحة إلى غير ذلك من تهكم وسخرية واستهزاء.

ولا تبرئ المجلة طبقا لعزة عزت المسلمين من ترسيخ هذه الصورة، تقول المجلة: ونحن لا ننسى كبار مشايخنا الذين تحدثوا عن الطب وأفتوا بما لا علم لهم فيه، فهذا هو الطريق الذى يمهد لكل الإساءات للإسلام وللرسول.

(١) روزاليوسف، مصدر سابق.

وما يؤكد أن صحافة الإثارة تأخذ من الدفاع عن المقدسات تكئة للتوزيع والدفاع عن النفس، ما نشرته صوت الأمة[1]، ففي المرة الأولى التي نشرت فيه روزاليوسف رسم الخنزير المكتوب عليه بالعربية والإنجليزية محمد، ويكتب الخنزير بقدميه القرآن، كان ذلك في صفحات المجلة الداخلية، أما صوت الأمة فقد فعلت ذلك في الصفحة الأولى، مصاحبا لعنوان تمهيدى يقول: الدور على شيخ الأزهر والبابا شنودة للمحاكمة بتهمة السامية ، ثم العنوان الرئيسى وهو: قضية عاجلة ضد يهود إسرائيل بسبب إهانة الرسول بصورة الخنزير الذى يكتب القرآن.

لقد استخدمت صحافة الإثارة نفس الرسم فى موقفين مختلفين وكان المحرك فى الحالتين واحد وهو عادل حمودة، حيث أحيى هذه القصة فى حربه ضد المنظمات الصهيونية التى رفعت ضده قضية معاداة سامية بسبب مقال نشره فى الأهرام، وعلل عادل حمودة إحياءه لهذا الرسم قائلا: إننا نواجه منظمات صهيونية شرسة فى الخارج ونواجه رجال أعمال لا يعرفون الإختلاف من أجل المصلحة العامة فى الداخل، وكلاهما يجرجرنا إلى المحاكم ويهددنا بالسجن، فهل هناك علاقة ولو بالصدفة بينهما؟هل يتحالفان معا ودون ترتيب أو إتفاق، إن كل ما فعلناه هو لوجه الله ولصالح الوطن، وسنصر عليه مهما كانت قسوة النتائج.

وأشار عادل حمودة إلى أن هذه الصورة عندما نشرت فى ١٩٩٧ قامت الدنيا ثم قعدت، وفارت آبار العرق ثم خمدت وكأن شئيا لم يكن، ويقول: ما المانع أن نقوم الآن برفع قضية ولو بعد كل هذه السنين؟فهم قد فعلوها معنا، ولو فتحنا الإنترنت وراجعنا كل ما نشر فى إسرائيل فسنجد ما يغرى برفع ألف قضية.

وهو ما يجعل الباحث يشير فى هذا الإطار إلى أن الدفاع عن المقدسات فى صحف الإثارة الليبرالية والعلمانية منها لا يكون دفاعا عن القضية لذاتها بقدر ما هو محاولة

---

(١) صوت الأمة، عدد ١٢ أغسطس ٢٠٠٨.

لمغازلة مشاعر المسلمين واللعب على الوتر العاطفى الحساس لديهم، بدليل ما حدث فى صورة الخنزير، فقد استخدمت مرتين فى سياقين مختلفين لتحقق أهدافا مهنية لا علاقة لها بالغيرة على المقدسات ولا السعى إلى حمايتها.

لكن فى مقابل هذا النمط يظهر نمط آخر تعلى من شأنه جريدة الأسبوع التى تدافع عن المقدسات بحماس وقناعة، بل ولا تتردد فى أن تجعل من الصفحة الأولى غلاف يحمل عنوانا واحدا ويمكن للباحث أن يستعرض نماذج مما أورته جريدة الأسبوع فى هذا السياق:

- مصيبة...مؤتمر الثقافة العربية بالقاهرة يدعو إلى تحرير النصوص الدينية ويكفر المفسدين...إنهم يقولون: آية كنتم خير أمة دعوة للإستعلاء، كلمة الكفار يجب حذفها لأنها عنصرية، عدم الإلتزام بفقهاء السنة الأربعة والمطالبة بإلغاء الفقه[١].

- إتجاه لتوحيد خطبة الجمعة فى كافة المساجد المصرية، تقرير أمريكى يتهم مصر بدعم الإرهاب، تفاصيل الصفحات المحذوفة من تقرير الكونجرس حول السعودية، واشنطن تطالب بوقف طباعة المصحف الشريف وكتب الحديث[٢].

- أمريكا تحارب الله...الفرقان الأمريكى بديلا عن القرآن[٣].

- يوزع فى الكويت ويسمى الفرقان الحق...قرآن أمريكى للاديان الثلاثة، يتألف من ٧٧ سورة منها المحبة والثالوث والصلب والزنا والرعاة والأساطير والطهر والسلام، يبيح الزنا والقتل فى الأشهر الحرم، يستنكر تشريع الإسلام للميراث وتقسيماته بين الذكر والأنثى[٤].

---

(١) الأسبوع، عدد ٧ يوليو ٢٠٠٣.
(٢) الأسبوع، عدد ١١ أغسطس ٢٠٠٣.
(٣) الأسبوع عدد ٣ مايو ٢٠٠٤.
(٤) الأسبوع ، عدد ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٤.

- من أجل عيون الشيخ بوش..الأزهر يوافق على كتاب يسب الرسول ...ويتهجم على الإسلام[1].

- بعد الهجمة البابوية والإدعاءات الفرنسية...مسرحية وقحة تتهكم على الإسلام[2].

هذه النماذج تعكس حالة من الغيرة على الإسلام تبديها الجريدة ويظهر هذا واضحا من خلال تخصيصها للصفحة الأولى كاملة لهذ العناوين، فهى تمنحها ضخامة تجبر القارئ على أن ينتبه لها، لكن هناك ما يشير إلى أن الأسبوع تستخدم هذه الآلية من أجل الإثارة فقط ولا أكثر من ذلك.

ويقصد الباحث معالجة الأسبوع لتقرير نشرته مجلة كويتية[3]، جاءت عناوين الصفحة الأولى على النحو التالى، العنوان التمهيدى: واإسلاماه ..بعد تزوير القرآن ..إفتراءات جديدة فى مجلة كويتية، والعنوان الرئيسى على ثمانية عمود: عائشة ساقطة ...وعمر بن الخطاب شاذ، فلو أن الجريدة كانت تقصد الدفاع عن المقدسات الإسلامية لأخفت هذه الإتهامات تماما ولما أشارت إليها، لكنها تعمدت أن تبرز العنوان والأوصاف التى صدرت فيه، ضاربة عرض الحائط بمشاعر المسلمين التى تقدس السيدة عائشة وعمر بن الخطاب.

إن هذه الآلية معروفة لدى صحف الإثارة، فهى تنشر وترفض فى الوقت نفسه، حتى تبرر لنفسها أنها لا تسيئ إلى الصحابة أو إلى المقدسات الإسلامية، رغم أنها تقع فى المأزق ذاته، وهو ما يشير إلى أن الأسبوع لم تكن تدافع عن مقدساتها بقدر ما كانت تدافع عن أرقام توزيعها وإن جاء ذلك على حساب المقدسات الإسلامية التى تدعى أنها تدافع عنها.

(١) الأسبوع، عدد ٢٧ يونيو ٢٠٠٥.

(٢) الأسبوع عدد ٢ أكتوبر ٢٠٠٦.

(٣) الأسبوع، عدد ٦ ديسمبر ٢٠٠٤.

المعالجة نفسها قدمته جريدة العربى الناصرى[1] فى عرضها لرواية المنصة الفرنسية، فعلى الصفحة الأولى نشرت العنوان الرئيسى: نصوص إهانة الإسلام فى رواية فرنسية وقحة، ثم توالت العناوين: روائى فرنسى: الإسلام عدوانى وتخريبى والدين الأكثر غباء، ويقول: المسلمون شهوانيون وقراءة القرآن تثير التقزز.

هذه الصيغة التى تدعى الدفاع عن المقدسات فى حقيقة الأمر تهدرها، وهو ما يشكل إشكالية من إشكاليات صحافة الإثارة، فكيف لها أن تفند هذه الإساءات دون أن تذكرها بنصوصها للقراء، وفى الوقت نفسه كيف أن تذكر الشتائم والإساءات التى تصل إلى مرحلة الصدمة، وهى إشكالية لا يمكن حلها بسهولة، فصحف الإثارة لا تقبل على هذه الموضوعات إلا من أجل أن تبرز الإساءات بالألفاظ والصور، لأنها الأكثر قدرة على جذب القراء والتأثير فيهم، قد تدعى أنها تقوم برسالة سامية وقد تدعى أنها تحمى الإسلام، ورغم أن الباحث لا يمكن له أن ينكر عليها ذلك إلا أنه لا يمكن أن يتنكر أيضا لأن هذه الآلية ليست إلا من آليات التوزيع ليس إلا.

■ ثانيا: فى شئون الدين المسيحى

فى معالجة صحف الإثارة لشئون الدين المسيحى يحتل البابا شنودة مساحة الصورة كاملة، وقد يكون ذلك لأن هذه الصحف فهمت منذ البداية أن البابا ليس رجل دين فقط ولكنه قرر كذلك أن يكون رجل سياسة، ولذلك فإن كل مشاكل الأقباط تبدأ وتنتهى من عنده، ولأنه كذلك رمز للأقباط فإن صورته هى التى تعبر عن أى موضوع مسيحى يقدم فى الصحف، حتى لو كان بعيدا عنه أو ليست له به علاقة وثيقة.

ظل البابا شنودة لدى الصحف المصرية شخصية عامة تستعين بآراءه وتستكتبه أحيانا، وتميل ضده عندما تميل الدولة ضده وتميل إليه عندما تميل الدولة إليه، ولا مانع من أن يبدو البابا شنودة كاتبا للمقالات فى كثير من الصحف خاصة أنه يحمل عضوية

(١) العربى، عدد ٩ سبتمبر ٢٠٠١.

نقابة الصحفيين.

إهتمت روزاليوسف مبكرا جدا بالبابا شنودة ليس بوصفه بابا الأقباط فقط، وهذا وحده ضمانة للتوزيع، حيث أن الرجل المقدس لدى شعبه سيكون عامل جذب ضخم للقراء الأقباط، لكن أيضا لأن البابا شنودة ومنذ البداية كان شخصا مثيرا للجدل.

ومن بدايات الإهتمام كان الحوار الذى أجرته معه روزاليوسف[1] وأعلن من خلاله تصريحات مثيرة مثل: عصر المعجزات لم ينته، الملحدون يرفضون الله لأنه يقف ضد شهواتهم، والماركسية ضد الدين لأنها تصور أن الله يتخلى عن الفقراء، وكان أهم من التصريحات التقديم الذى تم من خلاله تصدير البابا للقراء.

يقول عادل حمودة الذى أجرى الحوار مع البابا: لأننى أعرف أن البابا شنودة صحفى قديم فقد تعمدت أن أحول حديثى معه إلى دردشة عفوية، إلى حوار لا تسبقه ورقة وقلم، ولأننى أعرف أن البابا شنودة رجل متمسك بالتقاليد الدينية فلم أصدق أنه يمكن أن يكون بسيطا إلى هذا الحد ولم أصدق أنه يمكن أن يضحك، ولأننى أعرف أن البابا شنودة له من الأعباء ما يشغل كل وقته فقد رفضت ضياع الوقت فى تفاصيل لا تقدم ولا تؤخر وبدأت حوارى معه مباشرة دون حاجة لمقدمات صحفية.

هنا تمهيد يتعمد صنع صورة معينة تحيط صاحبها بحالة من الهيبة وهالة من القداسة، وهى حالة فى النهاية تتماهى مع الجمهور المستهدف من هذه الصيغة فهى ترضيه وتجعله يقرأ ويقبل ويتابع ويشترى.

رسخت روزاليوسف هذا الإتجاه فلم يكن البابا بالنسبة لها مجرد قائد دينى بل هو زعيم ولذلك لجأت المعالجات إلى الشخصنة وقدمت المجلة موضوعات محورها هو البابا شنودة وكيف يقضى يومه فى الدير[2] وقد سجلت عايدة العزب موسى هذه التجربة

(١) عادل حمودة، روزاليوسف، عدد ٩ يناير ١٩٧٨.

(٢) روزاليوسف، عدد ١٦ فبراير ١٩٨٧.

إنطلاقا من أن البابا شنودة استن منذ رئاسته للكنيسة القبطية تقليدا جديدا وهو أن يلتقى بمن رغب من المسلمين فى لقاءه، وهو بذلك من الآباء القلائل الذين يفتحون بابهم وعقلهم للمسلمين أيضا، وفى ذلك رمز ومثل حى على الوحدة الوطنية بين مسلمى مصر وأقباطها.

ووصل هذا الإتجاه إلى ذروته مع روزاليوسف عندما أجرت حوارا مع البابا شنودة لمدة ٦ ساعات فى دير الأنبا بيشوى[1] كان هذا الحوار الذى نشر على ٦ صفحات بمثابة التدشين للبابا، وبدا هذا واضحا بداية من الغلاف، فهو يحتل نصف مساحة الغلاف تقريبا من خلال صورته وعنوان دال وهو الأقباط وحكام مصر، وعكس العنوان التمهيدى للحوار رسالة ورؤية محددة فالمجلة تتحاور معه بعد ٢٥ سنة على عرش الكنيسة وهو تعبير يشير إلى أنه زعيم وليس مجرد رجل دين.

إهتمت روزاليوسف بآراء البابا السياسية وتحديدا فى رؤساء مصر وأبرزت ذلك من خلال العناوين، فهو يرى أن عبد الناصر لم يكن على وفاق مع البابا كيرلس، وفى عهده كانت ظروف الأقباط صعبة وحوادث حرق الكنائس لم يكن يعلن عنها، ويرى أن السادات لم يكن لديه حزب سياسى فأستعان بالإخوان الذين ففجروا غضبهم فى الأقباط بمجرد الإفراج عنهم، أما مبارك فهو بالنسبة له أهدأ كثيرا من السادات ولو صدرت صحف هذه الأيام فى العهد السابق لأغلقت.

هذه الأسطرة التى قامت بها روزاليوسف للبابا شنودة شكلت بعد ذلك نمط معالجة فى صحف الإثارة التى حرصت على أن تجرى الحوارات معه وتهتم بآراءه وأخباره الشخصية بل وبكتاباته أيضا، بل إن صحيفة الدستور بحثت فى أرشيف البابا شنودة وعثرت على مقال نادر كتبه عن القرآن الكريم، ونشرته بعد التنويه عنه فى صدر صفحتها الأولى.

---

(١) روزاليوسف، عدد ٢٨ أكتوبر ١٩٩٦.

كان العنوان: البابا شنودة يكتب عن القرآن الكريم[1] وقدمت للمقال قائلة: الوحدة الوطنية إختراع ظهر فى مصر منذ أن خلق الله مصر ومن عليها..هل ما زلتم تذكرونه؟أكيد لأننا نذكره ولأن الذكرى تنفع المؤمنين فنحن نذكركم ونذكر أنفسنا، هذا المقال الذى كتبه البابا شنودة عن المسيحية والقرآن نشرته مجلة الهلال فى عدد خاص عن القرآن منذ ٢٥ عاما، ننشره إعلاء لقيم الحرية والإختلاف والوحدة الوطنية تلك التى لا نسمع عنها إلا فى الخطب الرسمية، الزمان الذى نعيشه سيجعل نشر هذا المقال شجاعا وجرئيا فقط لأن موجة التطرف التى تجرى وراء موجة الإرهاب وتطولها هى التى تركب حياتنا الآن، نعم البابا شنودة يكتب عن القرآن والمسيحية وماذا علينا لو قرأنا وفكرنا.

المقال نفسه أعادت نشره جريدة صوت الأمة[2] مع التنويه عنه فى الصفحة الأولى إلى جوار صورة للبابا شنودة وكان العنوان نصا هو ما نشرته الدستور قبل ذلك وهو : البابا شنودة يكتب عن القرآن الكريم، لكن التقديم للمقال كان مختلفا كتبت صوت الأمة: فى ديسمبر عام ١٩٧٠ نشرت مجلة الهلال مقالا لقداسة البابا شنودة الثالث، كان عنوانه القرآن والمسيحية، وقتها كان البابا لا يزال أسقفا للتعليم، قدم البابا دراسة وافية للقرآن وموقفه من المسيحية والإنجيل والمسيح والسيدة العذراء مريم، الكتابة عن المقال تفسده ولذا نعيد نشره ونضعه أمامكم كاملا.

المقال هنا واحد لكن دلالة النشر مختلفة، قد تكون قيمة التناقض التى تعلى صحافة الإثارة من شأنها فى معالجاتها كانت الدافع الرئيسى لنشر المقال فى المرتين، فليس معقولا بالنسبة للقارئ العادى المستهدف من هذه الصحف أن يكتب بابا الأقباط مقالا عن القرآن الكريم، وهو ما سيجعله يقبل على الجريدة التى تنوه عن ذلك والدوافع هنا مختلفة.

قد تكون دوافع حسنة تدعو صاحبها إلى أن يتعرف على ماذا يحمل البابا شنودة من

(١) الدستور، عدد ٣١ يناير ١٩٩٦.

(٢) صوت الأمة، عدد ١١ نوفمبر ٢٠٠٢.

أفكار حول القرآن الكريم يمكن أن تدور المناقشات حولها، وقد تكون الدوافع سئية وطائفية ومتطرفة ورافضة لأن يكتب البابا شنودة عن القرآن وهو غير مؤهل لذلك من وجهة نظر قارئ كان تعليقه الوحيد أنه كيف أمسك البابا شنودة بالمصحف ليقرأه ويكتب عنه وهو ليس مسلما وشرط من شرط مس المصحف أن يكون الإنسان طاهرا.

لكن هناك إختلاف فى السياق[1]، النشر الأول كان مخاطرة من الدستور تحمل فى طياتها رغبة فى الصدام والإثارة ففى منتصف التسعينات كان مد الجماعات الإسلامية المتطرفة لا يزال قويا وكان يمكن أن يتم الإعتراض بشكل عملى على هذا النشر، وهو إعتراض كان يمكن أن يوجه إلى الجريدة بشكل أساسى، لكن عندما نشرت صوت الأمة المقال كان السياق مختلفا، ولم يكن الهدف من النشر إلا إثارة الإنتباه وجذب القارى المسيحى قبل المسلم.

وهنا يمكن أن يرصد الباحث أن الإثارة تقدم أحيانا فى سياق مجتمعى يحتمها ويحتاجها وفى أحيان أخرى تقدم الإثارة لذاتها، ولا يكون لها هدف سوى عين القارئ وجيبه.

لقد مثل البابا شنودة مصدرا مهما من مصادر الإثارة سواء بالاتفاق معه أو الإعتراض عليه، بل إن شخصيته فرضت نفسها على الصحف ليس من باب المتابعة الإخبارية فقط، ولكن من باب أنه شخصية جدلية لابد من رصد أفعاله أو ردود أفعاله.

فعندما إمتنع عن إستقبال بابا الفاتيكان أثناء زيارته لمصر فى فبراير ٢٠٠٠ جعلت الأسبوع من الحدث قصتها الرئيسية[2] كان العنوان الرئيسى للجريدة هو لماذا إمتنع البابا شنودة عن إستقبال بابا الفاتيكان فى المطار، وفى هذا الإطار إستعرضت الجريدة الخلاف

(١) من نص رسالة وردت للباحث تعليقا على نشر المقال فى صوت الأمة وكان الباحث وقتها يحرر باب البريد وكان إسمها للقارئ فقط، وهى رسالة لم تنشر فى حينها لتطرف الرأى الذى جاء فيها لكن الباحث ظل محتفظا بها فى أرشيفه الخاص.

(٢) الأسبوع، عدد ٢٨ فبراير ٢٠٠٠.

التاريخي بين الطائفتين الأرثوزكسية والكاثوليكية.

وعندما يصدر كتاب لمثقف قبطى يعرض فيه مذكراته ويتعرض فيها لمواقفه مع البابا شنودة، تضع صوت الأمة[1] يدها على النقطة الأعلى إثارة فى المذكرات وهى العلاقة المشبوهة بين البابا شنودة ورفعت السعيد، ورغم أن الباحث أخذ من هذا المثال تحديدا نموذجا على تشويه المعارضة فإنه فى السياق نفسه يعتبر نوعا من النقد للبابا.

وعندما عرض شباب فى كنيسة محرم بك بالأسكندرية مسرحية تسئ إلى الإسلام والرسول فى ٢٠٠٥، ذهبت جريدة الفجر إلى ربط الحدث برقبة البابا شنودة شخصيا بالإضافة إلى متابعة تفاصيل الحدث، كان العنوان الرئيسى للجريدة[2]: الأقباط أيقظوا الفتنة والإخوان أشعلوها والبلطجية نهبوا الإسكندرية، ثم جماعات متطرفة تهدر دم البابا شنودة وإلغاء إفطار الكنيسة خوفا على حياته، ثم العنوان الأهم : إعتذار البابا على إهانة الإسلام لا يكفى ولابد من محاكمة المسئولين عن الجريمة.

كان هذا الخبر وإبرازه فى الصفحة الأولى مربكا وهو ما جعل الجريدة تؤكد عليه فى العدد التالى[3] ، فقد أحاطت الشكوك بفتوى إهدار دم البابا شنودة، فأشارت الجريدة إلى أن المعلومة ليست خاصة بها فقد إستقتها من بيانات أصدرتها بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة، وقد إتفقت معها صحيفة أمريكية هى «فرونت بيج»الإليكترونية التى أكدت أن الإخوان المسلمين يهددون بقتل البابا شنودة، وقال مراسل الجريدة روبرت سبنسر : هدد الإخوان المسلمون بقتل البابا شنودة وطعن مسلم راهبة أمام كنيسة قبطية.

لقد كان البابا شنودة هو المحور إذن، وعندما أشارت الفجر إلى أن البابا معرض للقتل بفتاوى شرعية، أثار ذلك غضب الأقباط، فلم يكن من الجريدة إلا أنها أشارت إلى مصدر

(١) صوت الأمة، عدد ٢٨ فبراير ٢٠٠١.

(٢) الفجر، عدد ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٥.

(٣) الفجر، عدد ٣١ أكتوبر ٢٠٠٥.

آخر لم تنقل عنه الخبر لكنه على الأقل يقول نفس الكلام، وهو ما يدل على أنها لم تختلق الخبر أو تصنع بيانات التهديد من عندها ولكن كان لديها مصدر.

لم تحدد الجريدة مصدر البيانات التى حملت تهديدا مباشرا للبابا شنودة، ولم تعرف أى جماعات إسلامية هى التى قامت بذلك، وحتى عندما نسبت إلى الجريدة الأمريكية قولها أن الإخوان المسلمين يهددون بقتل البابا شنودة، لم تحدد أى إخوان، فهل صدر مثلا بيان رسمى عن مكتب الإرشاد يفصح عن نية القتل، أم أن هناك مجموعة معينة تنتمى للإخوان هى التى وضعت على عاتقها هذه المهمة، إن حالة عدم التحديد هذه تساهم فى رفع درجة الإثارة خاصة أن المتلقى قارئ ليست لديه قدرة كبيرة على الفرز أو معرفة الحقيقى من الزائف.

وعندما يمرض البابا شنودة يصبح مرضه خبرا رئيسيا ليس لأهمية المريض فقط، ولكن لأهمية من سيتابع الخبر ويحرص على معرفة التفاصيل، ولا تعتمد الصحافة فى هذا الإطار على ما تردده الكنيسة عن صحة البابا أو ما تصدره من بيانات رسمية، لكنها تعتمد على مصادرها الخاصة، ويظهر هذا فى التناقض من خلال العنوان التالى[1] الذى نشرته الفجر لتقرير عن صحة البابا شنودة، كان العنوان التمهيدى هو: رجاله قالوا أنه يعانى من آلام فى المرارة، والعنوان الرئيسى كان: البابا فى الإنعاش، أى أن الجريدة لم تلتفت لما ردده رجال البابا والمحيطون به ولكنها إهتمت بالمعلومات التى حصلت عليها من مصادرها الخاصة والتى يمكن ألا تكون دقيقة مائة فى المائة، ثم أنها تتجاهل المعلومات الرسمية، وقد يكون هذا قناعة من صحف الإثارة أن المسئولين فى المؤسسات المختلفة لا يقولون الحقيقة أو أنهم يخفون دائما شئيا ما لا يريدون له أن يظهر على القراء.

ولذلك فإن من سمات صحف الإثارة أنها تعتز بالمعلومات التى تحصل عليها وتثق فى مصادرها، وحتى لو ثبت عدم دقة هذه المصادر فإنها لا تتخلى عنها، ثم أن صحف الإثارة

---

(١) الفجر، عد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٧.

لا تقنع بالحقيقة لسبب بسيط وهو أن الحقيقة ليست مثيرة دائما.

وعندما يقوم البابا شنودة من وعكته الصحية فإن جريدة الفجر تتعامل معه على أنه يعيش أيامه الأخيرة فتتحول الكلمة التى ألقاها فى حفل إستقباله إلى أنها وصية البابا شنودة[1] ودلالة الوصية واضحة فهى الكلمة الأخيرة التى يقولها الإنسان فى ختام حياته.

لقد فرض البابا شنودة نفسه على الأحداث ومن المفارقات التى تتعلق به أن صحف الإثارة لعبت مبكرا على ورقة البحث عمن يخلف هذا الرجل، وكان لروز اليوسف السبق فى ذلك، فى العام ١٩٩٧ وعلى الغلاف[2] وضعت المجلة أربعة أسماء هم موسى وبيشوى ويوآنس وبسنتى وأشارت إليهم المجلة على أن هؤلاء هم الذين سيخلفون البابا شنودة، ووضعت المجلة مبررات إختيارها لهؤلاء تحديدا، فالأنبا موسى يتمتع بقبول عام ولكنهم يقولون: متى يصلى؟، والأنبا رويس زاهد رفض فى البداية أن يرسم أسقفا، والأنبا يؤانس مرشح قوى ينقصه شرط سنوات الرهبنة، والأنبا بيشوى يسعى ولكنه أسقف لدمياط وكفر الشيخ.

هذه المعالجة التى وضعتها روزاليوسف فى فترة مبكرة من صعود المعالجات الإثارية فى الصحف المصرية ظلت هى المعالجة المعتادة التى تتصدر صفحات الصحف عندما يمرض البابا شنودة ، حتى أصبحت مثل «موضوعات الباترون الصحفى »[3].

ظلت معالجات صحف الإثارة تدور حول المشاكل المعتادة للأقباط، لكنها حاولت أن تخترق الحياة الخاصة لهم، وحياة الرهبنة التى ظلت مثل السر المخفى، ولم تقتصر الصحف

(١) الفجر، عدد ١٩ نوفمبر ٢٠٠٧.

(٢) روزاليوسف، عدد ١٣ أكتوبر ١٩٩٧.

(٣) مصطلح يطلق فى مطبخ صحف الإثارة على الموضوعات المعروف مسبقا كيف ستعد وستصاغ ، لأنها فى الغالب تكون قد قدمت قبل ذلك فى لاصحف ولا يقوم الصحفى إلا بتجديدها ببعض المعلومات وتنشر بعد ذلك كما هى.

على ذلك بل تطرقت إلى إنحرافات الرهبان وما يحدث فى الكنائس من مخالفات وتجاوزات، بل إنها أدخلت مناقشات قضايا اللاهوت إلى المعالجات الصحفية السطحية وأصبحت قضايا الكنيسة الداخلية التى أحيطت بسرية طوال قرون تناقش على قارعة الصحف .

لكن ما يلاحظه الباحث على معالجات شئون الأقباط فى صحف الإثارة أنها لا تأتى على شاكلة واحدة طوال الوقت ولكنها تنوعت بين الصحف وفى الصحيفة الواحدة، ولم يكن التنوع بسبب مهنى فقط ولكن تدخلت أسباب عديدة، ويمكن للباحث أن يعدد أسباب تنوع معالجات قضايا الأقباط فى صحف الإثارة فى الآتى:

أولا: سبب مهنى...فصحف الإثارة تقدر ملل قارئها الذى لا يمكن أن يركن إلى صيغة واحدة من المعالجة، فهو يرغب فى التنوع، ولا تجتهد الجريدة فى أن تنوع معالجاتها على المستوى التحريرى أو الفنى، ولكنها تنوع على مستوى الموقف، فمرة تكون مع الأقباط وتتبنى قضاياهم ومرة لا تكون معهم بل تكون عليهم.

ثانيا: سبب سياسى ....فالعلاقة التى تربط بين النظام والأقباط علاقة ملتبسة وغامضة ولا تستقيم على حال أو تستقر على شكل، ولذلك فإن الصحف تسير على هوى هذه العلاقة، وتتم المعالجات فى الغالب بناء على توجيهات الجهات الأمنية التى ترى فى الهجوم على الأقباط مناسبا فى وقت معين ثم ترى أن الهجوم ليس مناسبا فى فترة أخرى.

ثالثا: سبب إجتماعى..ويتعلق بحالة التدين التى يبديها الشعب المصرى، فعندما تتبنى جريدة مواقف الأقباط أو قضاياهم ومشاكلهم فإنها يمكن أن تتعرض للمقاطعة غير المنظمة من القراء المسلمين، وعندما تدرك الجريدة ذلك فإنها تتراجع عن تبنيها لمواقف وقضايا الأقباط أو على الأقل لا تهتم بما يتعرضون له، وهو سبب يصب فى آلية المؤامة التى تعمل بها صحف الإثارة، حيث أنها تبدل مواقفها تبعا لموجة القارئ حتى لا تخسره.

ويمكن للباحث أن يرصد نموذجا من نماذج معالجة صحف الإثارة لقضايا الأقباط

وذلك من خلال المقارنة بين جريدتى صوت الأمة والأسبوع للقضية المعروفة بقضية وفاء قسطنطين.

كانت وفاء قسطنطين زوجة لكاهن بالبحيرة تركته واعتنقت الإسلام، لكن الكنيسة أصرت على إسترجاعها مرة أخرى وهو ما حدث لها فى النهاية، دارت أحداث هذه القضية فيما بين شهرى ديسمبر ٢٠٠٤ ويناير ٢٠٠٥.

حرصت جريدة صوت الأمة على أن تعالج القضية من خلال المعلومات فنشرت على الصفحة الأولى أول تحقيق بالصور والمستندات عن القضية[١] وفيه أشارت إلى أن قصة وفاء قسطنطين هى قصة إمرأة مجهولة أشعلت الفتنة فى الكنيسة القبطية، وأنها أسلمت سرا منذ عامين وانفصلت خلالهما عن زوجها، وأن ٦ قساوسة حاولوا إقناعها بالعودة ثلاث مرات فى بيت للمغتربات بعين شمس، ونشرت الجريدة الوثائق التى حصلت عليها وكذلك صورا لأطراف القضية مع صورة من تحقيق الشخصية الذى تحمله وفاء.

فى العدد التالى نقلت الجريدة قصة إسلام وفاء قسطنطين التى روتها للنيابة[٢]، لكن الجريدة إعتبرت أن هذه القضية فرصة لطرح عدد من القضايا التى تخص الأقباط، وذهبت الجريدة فى معالجتها إلى مجموعة من الأفكار منها أن الكهنة الكبار يتصارعون على خلافة البابا بتفجير فتنة أبو المطامير، وأن البابا شنودة يدير أزمات الكنيسة بالهروب إلى دير وادى النطرون حتى يجبر النظام على حل المشاكل.

بعد أن عادت وفاء قسطنطين إلى الكنيسة تابعت صوت الأمة ما دار خلف الكواليس، وكشفت عن الصفقة السرية بين الحكومة والكنيسة[٣] وهى الصفقة التى تم بمقتضاها عودة البابا وإعتذاره للشرطة مقابل الإفراج عن المحبوسين، ثم طالبت الجريدة

(١) صوت الأمة، عدد ١٣ ديسمبر ٢٠٠٤.

(٢) صوت الأمة، عدد ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤.

(٣) صوت الأمة، ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٤.

بمحاكمة رجال الكنيسة بتهمة إشعال الفتنة الطائفية وكشفت عن المكان الذى نقلت الكنيسة وفاء قسطنطين إليه ورصدت يومياتها فيه.

المعالجة الموضوعية قابلتها معالجة إثارية وتهييجية من قبل الأسبوع، فمن البداية تعاملت الأسبوع مع ما حدث بأنه مؤامرة، وأشارت إلى ذلك بكلمة واحدة هى المؤامرة ببنط ضخم إحتلت به الكلمة مع صورة للبابا شنودة مساحة العناوين فى الصفحة الأولى[1] وأشارت الجريدة إلى أن لديها تفاصيل ما جرى فى الكاتدرائية وخارجها.

وإلى جوار رصد ما حدث طرحت الأسبوع عدة أفكار منها:

- أن قضية وفاء قسطنطين مفتعلة وكاذبة والقساوسة حرضوا على التظاهر والشحن الطائفى.

- ما حدث من الأقباط يعتبر نوعا من الإستقواء بالخارج وإبتزاز الدولة وخرق القانون.

- البابا شنودة ساهم فى إشعال الموقف فبدلا من الإعتذار لشعب مصر مسلمين وأقباط أصر على الإعتكاف.

- وتساءلت الجريدة عبر مقال لمحمد سليم العوا عن دور جهاز أمن الدولة فى هذه القضية وهل ساهم حقا فى إشعال الفتنة.

- إتهمت الجريدة منظمات عالمية تعمل على إثارة الفتن الطائفية فى البلدان العربية وعلى رأسها مصر بأنها كانت وراء الحدث.

الأكثر إثارة أن الأسبوع نشرت فى الصفحة الأولى وإلى جوار صورة البابا شنودة صورة لسيدة محجبة، وكان العنوان: والد زينب التى تم تنصيرها : أناشد الرئيس مبارك التدخل لإعادة إبنتى، وقد نقلت الأسبوع قصة فتاة تم تنصيرها وقال والدها للجريدة أن

(١) الأسبوع، عدد ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤.

إبنته تعرضت لمؤامرة والكل يسمع ولا يتحرك، وهى معالجة فى الغالب أرادت بها الأسبوع أن تحدث نوعا من التوازن فى القصة، وإذا كانت وفاء قسطنطين عادت إلى الكنيسة فلماذا لا تعود الفتاة المنقبة إلى أهلها.

وهو ما دعا الأسبوع لأن يكون عنوانها الرئيسى بعد ذلك[1] فى الصفحة الأولى: تسليم وفاء للكنيسة باطل، وقد إستندت الجريدة فى هذا الحكم على مقال كتبه محمد سليم العوا وكانت حجحه فى ذلك أن الإسلام يتم بالشهادتين والإشهار مجرد إجراء حكومى ولا يوجد قانون يوجب النصح والإرشاد.

هنا المعالجة كانت عاطفية تلعب على المشاعر الدينية التى يدافع أصحابها عن الإسلام وعن عراه، وها هى الجريدة تفعل ذلك وبقوة، وهو ما لم يظهر مثلا فى معالجة صوت الأمة التى عالجت القضية من خلال المعلومات وطرح القضايا القبطية المتعلقة بقضية وفاء قسطنطين، مثل الطلاق عند الأقباط وثروات الكنيسة ومشكلة بناء الكنائس، وتم التعامل معها بعقلانية شديدة ومن خلال المعلومات الموثقة.

كانت المعالجة العاطفية فى هذه الحالة هى الأكثر قدرة على الجذب والتوزيع، فقد وصل توزيع الأسبوع فى هذه الفترة إلى ٣٠٠ ألف نسخة وهو أكبر رقم وصلت له جريدة أسبوعية من صحف الإثارة، ورغم أن توزيع صوت الأمة هو الآخر إرتفع لكنه لم يصل إلى توزيع الأسبوع، فقد كان أقصى توزيع وصلت إليه الجريدة هو ١١٥ ألف نسخة، وهو ما يطرح سؤالا: هل يتجاوب القارئ مع الإثارة العاطفية أم الإثارة العقلية؟

الشاهد من معالجة هذه القضية أن الإثارة العاطفية هى التى ترجح كفتها وتكون قادرة على أن تزيد التوزيع، وتجذب القراء وتجعل الصحيفة فى المرتبة الأولى بصرف النظر عن قيمة ما تقدمه.

■ ■ ■

(١) الأسبوع، عدد ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٤.

الإثارة الصحفية الكاملة

قضية راهب دير المحرق نموذجا

على كثرة المعالجات التى قدمتها صحافة الإثارة وعرض لها الباحث إلا أنه يرى أن النموذج الذى يجسد الإثارة الكاملة يتمثل فى قضية راهب دير المحرق التى نشرتها جريدة النبأ ومن المهم هنا أن يستعرض الباحث تفاصيل التحقيق الذى نشرته الجريدة فى يونيو ٢٠٠١.

نشرت النبأ(١) على صدر صفحتها الأولى عناوين احتلت معظم المساحة المخصصة لعرض العناوين، وجاءت العناوين كالتالى:

- النبأ تنفرد بنشر الملف الكامل لأول فضيحة من نوعها تهز مصر بالوثائق والصور.
- بلاغ سيدة مسيحية يفتح ملف الإنحراف داخل الكنيسة.
- تحويل دير المحرق بأسيوط إلى بيت دعارة على يد الراهب الكبير.
- الساعد الأيمن للرجل الأول بدير العذراء يستحل أعراض المسيحيات.
- الكاهن برسوم المحرقى يسخر الجان للإيقاع بالسيدات اللاتى يرفضن رغباته.
- لقطات صريحة من أول فيلم جنسى صوره الكاهن لإبتزاز ضحاياه.
- الراهب المعجزة يمارس الجنس مع ٥ آلاف سيدة فى مذبح الكنيسة.
- الراهب الكبير يمسح عورته فى ستر الهيكل المقدس بعد قضاء شهوته مع النساء فى مكان تجلى روح السيد المسيح.

على الصفحة الأولى نفسها نشرت الجريدة ثلاثة صور، صورتان منها لأوضاع جنسية واضحة بين من قالت الجريدة أنه راهب وبين إحدى السيدات، والصورة الثالثة صورة

(١) ممدوح مهران، جريدة النبأ، عدد ١٨ يونيو ٢٠٠١.

لرجل يرتدى ملابس رجال الدين المسيحيين وهو يقف أمام صورة للعذراء تحمل السيد المسيح وكتب تعليقا على الصورة: الراهب برسوم المحرقى خان الرب ونقض العهد وسار فى طريق الشيطان.

وداخل العدد نشرت الجريدة على صحفتين تحقيقا كاملا به ١٤ صورة لأوضاع جنسية صريحة تجمع بين رجل وإمراة، وعليها تعليقات من قبيل: الصورة المثالية التى كان يجب أن يحافظ هذا الحبر على أن يظل تحت لواء فضيلتها وما نشر هذا الموضوع إلا صرخة على قدسيتها، والراهب الكبير خان الرب وسار فى طريق الشيطان، والمذبح الذى تتجلى فيه روح السيد المسيح عليه السلام وحوله هذا القس إلى وكر للممارسة الجنس.

وإلى جانب عناوين الصفحة الأولى أضاف ممدوح مهران الذى حرص على يوقع الموضوع بإسمه مسبوقا ب«سجل الوقائع من واقع الوثائق قلم»، عدة عناوين أخرى تكشف جوانب مختلفة من القضية الشائكة والملتبسة ومنها:

- لقطات صريحة من أول فيلم جنسى صوره الكاهن داخل الهيكل المقدس.

- قيادات الكنيسة علمت بإنحراف الراهب واكتفت بنقله إلى سوهاج وتجاهلت صاحبة المشكلة.

- القس سرق ٤ كيلو ذهب فى إحدى مغامراته المثيرة أهدى منها كيلو لرئيس الدير للتستر على إنحرافاته.

- الراهب يسخر الجان للإيقاع بسيدة محترمة ويصورها عارية فى حالة إلتصاق جنسى كامل فى أحضانه على شريط فيديو.

- يمارس الحرام مع كل من تقع تحت يده من الفتيات والنساء ويصطاد المراهقات قبل إكتمال الأنوثة.

- القس كوكى يشبع غرائزه مع الأطفال والمراهقات والزوجات ويستمتع بالعادة السرية على صورة محبوبته فى أوقات الفراغ بدير العذراء.

- أجهزة الأمن تحبط أخطر جريمة من نوعها لإزدراء الدين المسيحى فى مصر.

- القس برسوم المحرقى يثير الفتنة فى أسيوط ويحقر المسيحية.

- الراهب الكبير المنحرف الحقير حول الكنيسة إلى وكر للدعارة.

- الراهب يدعى على رئيس دير المحرق منافسته على قلب إحدى ضحاياه من الفاتنات.

- رجل الدين يؤدى الصلاة على فروج النساء ويوفر البركة للأطفال باللواط.

- طوابير الزوجات تنتظر على يد سيدنا لتحقيق حلم الإنجاب بعد فشل الأزواج، العقد النفسية وقصة الحب الفاشلة وراء إرتداء الراهب لممارسة الرذيلة بإسم الدين.

- المجرم يستخدم العظام والجماجم والدم فى تحضير الجن.

- الراهب إستعان بشقيقه تاجر الذهب المعروف لترويج مسروقاته بالصاغة.

- الراهب يخالف تعليمات الكنيسة ويقيم مع أسرة بالقاهرة لأداء طقوسه الجنسية مع المراهقات فى مسكنها.

- المتهم يدعى على الرجل الأول بالدير كشف سيقانه وطلبه من الرهبان تدليك أعضائه التناسلية.

- يستخدم الحيل الدينية لإبعاد الزوج عن المنزل لينفرد بالزوجة.

- وفى العنوان الأخير: ترقبوا العدد القادم قنبلة صحفية جديدة.

أدرك رئيس تحرير النبأ حطورة القضية التى يتصدى لها فقدم للقارئ تبريرا لهذه المعالجة فالهدف من تناول هذا الموضوع كما قال يجب أن يكون واضحا، لا أن يلوى الأهداف النبيلة ويوظفها على غير حقيقتها إرضاء لقناعات خبيثة، فالهدف من نشر هذا التحقيق تنبيه كل كاهن وراهب ورجل دين مسيحى إلى أن يفتح عينيه جيدا على كل من حوله، حتى ينقى الكنيسة التى يعمل بها من كل من يمكن أن يسيئ إليها من أمثال هذا الراهب، وفى نفس الوقت هو تنبيه كل أسرة أن تأخذ حذرها وتفتح عينيها على بناتها

ونساءها، حتى لا تقع أى منهن بحسن نية ونوايا مخلصة فريسة لذئب تحكمه شهواته وعقده، يسيئ إلى ديانة سامية وإلى أسر محترمة جاءت إلى الكنيسة تنشد العفة والفضيلة، لا أن تجد فيها من يمارس معها الرذيلة.

ويضيف مهران: أيضا أردنا بهذا التحقيق أن نضيء كل الأضواء الكاشفة فى كل كنيسة، حتى تطمئن كل أسرة على بناتها ونسائها، لأن هناك فرقا كبيرا بين أن تذهب زوجتى وابنتى إلى الكنيسة لترتدى لباس العفة، فتجد نفسها أسيرة لمن يفقدها عرضها، وبين أن تذهب ابنتى أو زوجتى إلى ملهى ليلى أخاف عليها من أن تنطق اسمه.

ويؤكد مهران أن الهدف من نشر هذا الموضوع ليس التشهير أو النيل لا سمح الله من الكنيسة التى نؤمن بها ونبجلها ونقدسها، لكن حماية لها ممن يمكن أن يسيئ إليها، وكان واضحا قرار الإتهام لهذا الزنديق الذى خان العهد، وأن التهم الموجهة إليه هى إزدراء المسيحية وتحقيرها، أى أنه قدم للمحاكمة إنتصارا للمسيحية، وليس نيلا منها، وكل من يختلف مع هذا الرأى فى مصر من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها مسيحيها ومسلمها، لابد أن نضع أمامه ألف علامة إستفهام لأنه ينتصر للرذيلة على حساب الفضيلة، وفلى قرارة نفسه ليس غيورا على المسيحية، ولكنه يريد أن يترك الفساد فى الكنيسة ليستشرى إلى أن يأتى على الفضيلة فيها، والفضيلة فى الكنيسة هى أحد المقومات الأساسية للمجتمع المصرى، وإذا فقدت مصر أحد هذه المقومات فإنه يهدد الإستقرار فيها وتصبح عرضة للإنهيار.

ويدلل مهران على أهمية الموضوع الذى يطرحه بأنه لكل ذلك هبت أجهزة الأمن لتنتصر لصرخة هذه السيدة المسيحية الغيورة على دينها وعلى كنيستها لتدق جرس الإنذار، وتضيء كل اللمبات الحمراء أمام رجال الدين المسيحى فى مصر، تنبههم إلى أنه لا يجوز أن يخشوا لومة لائم، وأن يطهروا الكنيسة من كل ما يمكن أن يسيئ إليها، لا أن يعتبروا أن مثل هذا الأمر هو نشر لغسيل وسخ أبدا، هو تطهير للأماكن المطهرة من كل ما هو نجس.

وينص مهران على ما يريده يقول: أرجو أن تكون رسالتنا واضحة للجميع، فلا تفريط في الوحدة الوطنية، ولا تفريط فى حرية العقيدة، لأن ما فعله هذا الوغد هو إعتداء على حرية كل مسيحية فى أن تذهب إلى الكنيسة، لأن إنتشار مثل هذا الأمر سيجعلها هى وأسرتها تحسب ألف حساب، عندما تفكر فى الذهاب إلى الكنيسة، لذلك فإن ما حدث مع هذا المجرم ليس إلا تمكينا لحرية العقيدة التى هى واحدة من أساسيات دستور جمهورية مصر العربية.

لقد كانت الفكرة الأساسية التى أراد ممدوح مهران على أن يؤكدها هى أنه لا يفتح هذا الملف إلا من أجل الصالح العام وصالح الكنيسة وصالح القبطيات وإنقاذ الكنيسة مما يرادلها وبها، لكنه وهو يسوق فى تقديمه لتحقيقه ما يبرهن به على فكرته لم يكن واضحا بل ملتبسا ومراوغا، بما يعكس أن الهدف الذى كان واضحا أمامه حتى هذه اللحظة هو كيف يمكن أن يساهم هذا التحقيق فى زيادة توزيع جريدته.

حاول ممدوح مهران أن يوحى للقراء أنه يقدم لهم وقائع قضية واقعية، ولكنها قال: نبدأ من هذا العدد نشر الحلقة الأولى من القضية رقم ٧٦٥/ ٢٠٠١ حصر أمن دولة عليا والتى وجهت فيها النيابة إلى الراهب الكبير تهمة استغلال الدين المسيحى فى الترويج لأفكار متطرفة، بقصد إثارة الفتنة وتحقير وإزدراء هذا الدين، ونوالى نشر المزيد من التفاصيل يوميا، حتى يحين موعد العدد القادم لنلتقى معكم بقنبلة صحفية جديدة ستصبح حديث الرأى العام كله.

تظهر فى هذا التحقيق كل عناصر الإثارة الصحفية ويمكن للباحث أن يفصلها على الوجه الآتى:

أولا: المساحة التى تحرك فيها التحقيق وهى مساحة الدين، وهى المساحة التى تلقى رواجا لدى القراء، حيث أن نشر أى شئ يمس الدين يقبل عليه الناس، وتكتسب مساحة الموضوع أهمية لأنها خاصة بالدين المسيحى، حيث سيقبل عليها أبناء الدين

المسيحى وأبناء الدين الإسلامى معا.

ثانيا: يرتبط فى هذه القضية الدين بالجنس، فالإنحراف الذى يقدمه التحقيق ينصب على ممارسات جنسية يقوم بها راهب فى الكنيسة ومما يزيد من الإثارة أن مشاهد الجنس مسجلة على شريط فيديو أى أن الإثارة ستكون مدعمة بالصوت والصورة.

ثالثا: ويزيد من الإثارة فى الموضوع أن الممارسات الجنسية ليست طبيعية ولكنها كما بدت فى التحقيق ممارسات جنسية شاذة، فهى علاقات محرمة، كما أن صاحبها كان يمارس الجنس فى الكنيسة حيث حول المذبح المقدس كما جاء فى عناوين المقال إلى وكر للدعارة.

رابعا: حاول التحقيق أن يعظم من الفاعل فى الفضيحة فهو ليس رجل دين مسيحى عابر ولكنه راهب كبير له علاقات كبيرة داخل الكنيسة، ولذلك فالجرم كبير لأن المفروض أن هذا الرجل يكون هاديا لرعيته فإذا به يتحول إلى مفسد لها.

خامسا: يرتبط بالفضيحة الجنسية عمليات سرقة وإبتزاز حيث أنه كان يحصل من ضحاياه على مبالغ مالية كبيرة، ثم تظهر جريمة الرشوة حيث كان يرشى الراهب الكبير فى دير المحرق فى الغالب للإيحاء بأن الراهب الكبير كان يعرف ما يفعله ويقوم به برسوم المحرقى لكنه كان يصمت عليها ويغض الطرف عنها.

سادسا: دخل عنصر الخرافة فى الموضوع فالراهب كان يستخدم السحر للسيطرة على ضحاياه وكان يحضر الجان بشكل معين ومن خلال إستخدام العظام والجماجم والدم ليعينه الجن على ممارساته الشيطانية، وفى ذلك إلهاب مشاعر القارئ واستفزازه والإعلاء من شأن الإثارة فى الواقعة المنشورة.

سابعا: أسهب التحقيق فى التفاصيل الجنسية وكيف وقعت الجريمة، وهو ما يوحى أن الهدف لم يكن التنبيه كما قال مهران ولكن الهدف الأول والأساسى كان الفضح العام، وفى الغالب لم يكن الناشر مقدرا لما يمكن أن يحدثه نشره من عواقب دينية وإجتماعية.

ثامنًا: إمعانا فى الإثارة خصص الناشر مساحة العناوين فى الصفحة الأولى كلها

لعناوين هذا التحقيق وحده، وهو ما يزيده أهمية ويعظم من شأنه لدى القارئ، فإذا كانت الجريدة منحته كل هذه المساحة فلابد أن الموضوع مهم جدا بالنسبة لها.

تاسعًا: وبنفس المعيار خصصت الجريدة للتحقيق على صفحاتها الداخلية صفحتين كاملتين لخصت فيهما الموضوع كله من خلال العناوين الساخنة الحادة التى تعبر عن إشتباك حقيقى مع القضية.

عاشرًا: أعلت الجريدة من شأن الإثارة فى التحقيق من خلال الصور الكثيرة التى استقطعتها الجريدة من واقع شريط الفيديو الذى سجل العلاقة الجنسية بين الراهب والمرأة التى كانت معه، والصور وحدها كانت كافية لإثارة الغضب حيث أنها فيما يذكر الباحث أول مرة تنشر الصحافة المصرية صور بورنو لعلاقات جنسية كاملة.

حادي عشر: على عادة صحف الإثارة حاول ممدوح مهران أن يوحى للقارئ أن هناك هدف سامى ونبيل، وأن النشر يأتى من أجل المصلحة العامة، رغم أن النشر جاء بطريقة لا مكان فيها إطلاقا للمصلحة العامة، لكن هذا هو حال صحف الإثارة فهى تختلق لنفسها مبررا مجتمعيا لمعالجاتها المهنية، وقد يكون هذا هو السبب فى أن هذه الصحف تتواصل فى معالجاتها دون أن ترتجع.

ثاني عشر: استخدم ممدوح مهران فى كتابته للتحقيق آلية الفبركة، فقد كان ما لديه من معلومات عن القضية قليل للغاية، ولذلك إجتهد فى إيراد معلومات ألهبت خيال القارئ، ومنها ما قاله على سبيل المثال فى عناوين الصفحة الأولى أن الراهب المعجزة يمارس الجنس مع ٥ آلاف سيدة فى مذبح الكنيسة، ولم يذكر هذه المعلومة أو تفاصيلها فى متن التحقيق، وهو ما يعنى أنها مجرد فبركة صحفية وقد تأكدت عندما قال ممدوح مهران فى تحقيقات القضية أنه ذكر هذا الرقم بالتقريب ولم تكن لديه معلومة دقيقة من أى مصدر.

ثالث عشر: أبرز ممدوح مهران فى معالجته لهذه القضية أن هناك تفاصيل أخرى وأنه فى العدد القادم سوف يقدم للقارئ قنبلة صحفية جديدة، وهى ألية تلجأ إليها صحف

الإثارة حتى تربط القارئ بها فيظل منتظرا لما تأتى به الصحيفة.

رابع عشر: عندما نضع هذا الموضوع فى سياقه نجده يمثل الإثارة الكاملة التى تدخلت فيها السياسة، فقد أدى النشر إلى حالة عارمة من الغضب لدى الأقباط وتجمهر الشباب القبطى فى كاتدرائية العباسية وذهب مسئولو الدولة الكبار ليقدموا للبابا شنودة الإعتذار عما جرى، وبالفعل وقعت عقوبات على الجريدة وصاحبها حيث شطب من جدول نقابة الصحفيين، وأغلقت الصحيفة وتم حبس صاحبها ثلاث سنوات ومات وهو سجين فى معهد القلب بإمبابة.

لقد حقق هذا التحقيق للجريدة هدفها التوزيعى حيث بيع العدد منها بعشرة جنيهات رغم أن ثمنها الأصلى جنيه واحد فقط، لكن فى نهاية الأمر تظل هناك حقيقة واقعية وهى أن صحف الإثارة لا يمكن أن تعمل بشكل مطلق فى السياق المجتمعى المصرى، حيث أن هناك حدود تفرضها العادات والتقاليد والأعراف والأديان أيضا، وإذا وصلت الصحف إلى مداها فيها فإنها تجد نفسها ملقاة على قارعة الطريق دون أن يسأل عنها أحد ولا يهتم بشأنها.

لفت هذا التحقيق نظر تقرير الممارسة الصحفية[1] وجاء فيه: برزت فئة ملاحظات نوعية جديدة لم تشهدها تقارير الممارسة الصحفية من قبل، وهى فئة المساس بالأديان وإثارة النعرات الطائفية، وهى الملاحظات التى تركزت فى مجموعة الصحف الخاصة، وتحديدا فى جريدة النبأ وحدها، وذلك من خلال ما قدمته من معالجات صحفية لما عرف باسم قضية الراهب المشلوح وتمثلت فى ست عشر ملاحظة تدخل فى إطار المساس بالأديان وإثارة الدعاوى الطائفية.

وأغلب الظن أن هذا التكييف لمعالجة النبأ لم يكن تكييفا مهنيا قائما على رصد الممارسة المهنية كما جرت، لكنه كان تكييفا مجتمعيا محضا أطلت خلاله ظروف المجتمع برأسها، فمعالجة النبأ لم تكن فيها إثارة للنعرات الطائفية، فقد عالجت جريمة موجودة فى النيابة

(١) تقرير الممارسة الصحفية عن شهر يونيو ٢٠٠١.

بالفعل، لكن الجريدة لم تلتزم بالعرض الموضوعى للقضية، أضافت وحذفت وعظمت الصغير وصغرت الكبير، إن ما فعلته الجريدة نموذج يجسد الإثارة الصحفية، وفى الإطار المهنى تكون الصحافة مسئولة عن معالجتها ولا تكون مسئولة فى الغالب عما تشعله من حرائق وإن كان لا يمكن لأحد أن يمنع الصحافة من أن تخضع لحساب المجتمع وعقابه مهما كان هذا العقاب ضخما وقاسيا.

وإذا كان للباحث أن يشير إلى أن ما فعلته جريدة النبأ كان عبارة عن معالجة ووجهة نظر فى القضية، فإن هناك معالجة أخرى قدمتها جريدة صوت الأمة لنفس القضية يمكن من خلال إستعراضها أن يظهر الفارق بين الإثارة الغرائزية التى تقوم على مداعبة الغرائز ودغدغتها والإثارة التى تقوم على المعلومات ومحاولة تفسير ما يجرى من أجل أن يفهم القارئ ما يدور حوله من أحداث، يبقى أن النبأ كانت جريدة منشئة ومفجرة للحدث بينما كانت جريدة صوت الأمة تابعة للحدث لكنها عالجت القضية من وجهة نظرها التى أعلت من شأن المعلومات والتحليل والإستعانة بمصادر من المتخصصين.

روت صوت الأمة حسب عنوانها الرئيسى[1] الوقائع الحقيقية فى قضية الراهب المشلوح، وهو عنوان يوحى بأن ما نشرته النبأ كان مجرد وقائع مفبركة، أو على الأقل ليست دقيقة، ذكرت صوت الأمة حقيقة ما جرى، فملف القضية فتح بعد تقدم بلاغ إلى السلطات ضد إبتزاز الراهب السابق، وهذا الراهب نفسه الذى هو عادل سعد الله غبريال لديه عقدة تحركه وهى أن هناك فتاة رفضت الزواج منه فهرب إلى الدير وإنحرف.

وأشارت الجريدة إلى أن رئيس الدير ضبط ٦ كيلو جرامات من المشغولات الذهبية معه، فأعادها إلى أصحابها ووضعه تحت الملاحظة، ثم أن شريط الفيديو تسرب إلى الأسواق وكان يباع بأكثر من مائة جنيه، وتضع الجريدة رأيها فى القضية كلها وهو أنه ليس معقولا أن يهدد موضوع عارى ورجل دين سابق فاسد كل النسيج الإجتماعى فى

(١) صوت الأمة، عدد ٢٠ يونيو ٢٠٠١.

مصر وسيظل هذا الوطن مهما جرى وطنا واحدا للجميع مثل النهر ينبع من عيون المسلمين ليصب فى قلوب المسيحيين.

وحتى تؤكد الجريدة على وجهة نظرها تنشر وجهة نظر إيجابية فى الرهبنة[1] وهى وجهة نظر طالبت بعيدا عن التداعيات التى خلفتها النبأ وما طرحته وطعنت به كل قبطى فى أعز مقدساته، وبعيدا عن محاولات العلاج التى تتولاها الأجهزة المسئولة فى الدولة والكنيسة والقضاء ونقابة الصحفيين، بأن يتم تسجيل الزى الكهنوتى والرهبانى وإعتباره زيا رسميا معترفا به، حتى إذا قام الدير أو الكنيسة بعزل أى من الكهنة أو الرهبان فى حال إنحرافهم يمكن متابعة ومحاسبة من يصر على ارتدائه بعد عزله وتجريده، وبذلك يمكن حماية الكنيسة والشارع من إنحرافاتهم وضلالهم.

وقد يكون هذا هو الفارق بين الصحافة الشعبية وصحافة الإثارة، لقد عالجت النبأ القضية وعينها على التوزيع فقط، أما صوت الأمة فقد عالجت القضية وعينها على التوزيع لكنها فى الوقت نفسه طرحت قضية مهمة وهى الزى الكهنوتى، فالإثارة ليست مقصودة لذاتها ولكن مقصود من وراءها تحقيق مصالح للمجتمع أيضا.

وهو ما يتأكد من مواصلة صوت الأمة لمعالجتها للقضية، فعلى ثمانية عمود نشرت الجريدة[2] إعترافات المرأة التى ابتزها الراهب المشلوح أمام النيابة العامة، لكن كان هناك ما هو أكثر حيث لعبت صوت الأمة دورا فى تذويب القضية ليتعامل معها القارئ على أنها قضية عادية وليست شاذه وأنها حدثت ويمكن أن تحدث بعد ذلك، فنشرت:

- تقريرا عن إلغاء عبد الناصر للمحاكم الشرعية بسبب إنحرافات الشيخ الفيل وخلوة الشيخ سيف الجنسية[3] وركز التقرير على أن الشيخ الفيل والشيخ سيف وهما

(١) كمال زاخر موسى، الدور الوطنى والروحى للرهبنة المصرية، صوت الأمة، مصدر سابق.

(٢) صوت الأمة، عدد ٢٧ يونيو ٢٠٠١.

(٣) محمد الباز، صوت الأمة، مصدر سابق.

قاضيان شرعيان ويرتديان الزى الأزهرى طلبا من صاحبات قضايا خلوة مقابل الحكم لصالحهن، وقد وجهت لهما المحكمة تهمة الزنا وتعاطى الحشيش والرشوة.

- تقريرا عن راسبوتين الراهب الذى أسقط إمبراطورية[1] وركز التقرير على صفات هذا الراهب الأسطورى، فقد انبهر بطائفة مارقة تؤمن بأن إرتكاب الإثم يطهر النفس، وأنه عالج ولى العهد من مرض نزف الدم فأدمنته الإمبراطورة، وقد نجح فى خداع رجال الكنيسة الأرثوزكسية فمنحوه بطاقة توصية.

- تقريرا عن المتعة الحرام على شريط فيديو[2] وركز فيه على نماذج من الإنحراف الجنسى ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم العربى كله ومن ذلك الشذوذ فى الزنزانة الذى هز تونس والمغامرة فى الشالية التى هزت لبنان، ونهاية وحش الدار البيضاء بسبب ١٨ شريطا جنسيا.

- تقريرا عن الفساد على طريقة أتباع بوذا[3] وجاء فيه أنه فى منتصف الثلاثينات أشعل كاهن صغير النيران فى الفيللا الصغيرة الذهبية، التى كان يخدم فى معبدها، كان يتصور أنه ترك الدنيا بكل ما فيها من نزوات ورغبات ليعيش بعيدا فى خدمة الآلهة زاهدا متعبدا مندمجا فى الكون مع غيره من الرهبان، لكنه فوجئ بأن الرهبان فى هذا المعبد أكثر ثراء من رجال الأعمال، وأكثرا فسادا من رجال الكباريهات، وأدرك أن المعبد يمكن أن يتحول فى لحظة إلى بيت الدعارة.

هذه آلية مختلفة تعمل بها الصحافة الشعبية التى تعمل وعينها على المجتمع الذى لا تريد له أن يحترق لمجرد نشر موضوع عار، ثم أنها خففت الصدمة على المجتمع فأطلعته على أنماط من الفساد فى العالم، والمعنى واضح أن خففوا عنكم فالفساد لغة عالمية وليس مصريا فقط .

---

(١) ياسر ثابت، صوت الأمة، مصدر سابق.

(٢) ياسر ثابت، صوت الأمة، مصدر سابق.

(٣) صوت الأمة، مصدر سابق.

وتأكيدا لهذا المعنى حرصت صوت الأمة على التأكيد أن أطراف القضية جميعا مرضى نفسيين، فنشرت التقرير النفسى عن القضية[1] فالمرأة الضحية شخصية إستهوائية قابلة للإيحاء سكوتها سببه الخوف من الفضيحة وإحباطها إنتهى بها إلى الخطأ المزمن، والراهب المشلوح سيكوباتى خلاق قادر على خداع المجتمع لا يستطيع مقاومة الإغراء وفهمه للحياة شهوانى ومريض بلذة المشاهد الجنسية، والصحفى متسرع يعانى سوء الحكم على الأشياء لا يعرف عواقب ما يفعل وهو يسعى إلى ما يريد وهو ما ينتهى به إلى التهلكة.

وهى مهمة تقوم بها الصحف الشعبية التى تعمل من أجل المجتمع وبقاءه، والمفارقة أن هذه الآلية تستخدمها الصحف الحكومية فى معالجة مثيرة للوقائع التى تتشابه مع الوقائع التى تقع فى مصر، فعندما يحترق قطار أو تسقط طائرة أو تفشل الحكومة فى سياسة معينة من السياسات فإن الصحف الحكومية تجتهد فى تذويب الفساد أو الوقائع من خلال إستحضار كل الوقائع المشابهة فى العالم حتى يتم تخفيف الضغط عن الحكومة، ولذلك فإن الباحث ينحاز إلى أن الآليات واحدة لكن الأهداف مختلفة ومتفرقة أيضا.

■ ■ ■

(١) صوت الأمة، عدد ٤ يوليو ٢٠٠١.

التكنيكات التحريرية والفنية في صحف الإثارة

لا يكتمل لصحافة الإثارة قوامها وعمادها بالأفكار أو المضمون الذى تعالجه فقط، فلابد حتى تؤتى ثمارها أن تصاحبها تكنيكات على مستوى التحرير والإخراج الفنى تبرز الأفكار وتضعها فى إطار جذاب يكون قادرا فى حالات كثيرة بمفرده على لفت إنتباه القارئ وأسره إليها فلا يغادرها إلى غيرها، فالقارئ يطالع أول ما يطالع من جريدته الشكل الخارجى الذى يحمل العناوين والصور ولابد أن يكون هذا الشكل لافتا ومثيرا ومحركا للشراء .

ومن خلال الدراسة التطبيقية التى أجراها الباحث على صحف الدراسة يستطيع أن يرصد عددا من التكنيكات التحريرية والفنية التى ترفع من منسوب الإثارة فى المعالجات الصحفية، وهذه التكنيكات كالآتى:

أولا: الإثارة بالغلاف :

من الفروق الكلاسيكية بين الجريدة والمجلة أن المجلة لها غلاف يضم محتوياتها بين دفتيه، بينما الجريدة ليس لها هذا الغلاف، وهو فارق تم تكسيره فى صحف الإثارة، ويرجع الفضل فى ذلك إلى على أمين، الذى أصدر أخبار اليوم متأثرا بالصحف الإنجليزية التى كانت تتعامل مع صفحتها الأولى على أنها غلاف يقدم للقارئ أهم الموضوعات والأفكار التى يحتويها العدد، على أن يتضمن هذا العرض للمضمون صورا فوتوغرافية واضحة وفى بعض الأحيان رسوما كاريكاتيرية.

كانت الصفحة الأولى فى الصحف قبل أخبار اليوم تضم عددا كبير من الأخبار أو مقالا بمساحة الصفحة كلها لرئيس التحرير أو أحد الكتاب أو قصيدة لأحد انشعراء، ولا توجد بها إشارة واحدة لأى موضوع آخر داخل العدد بشكل واضح وملفت، لكن أخبار اليوم أحدثت إنقلابا فى إخراج الصفحة الأولى، وإن لم تتخل بشكل كامل عن نشر

الأخبار وأحيانا المقالات بها.

أصبح معتادا بعد ذلك أن تنشر الصحف وتحديدا الأسبوعية عنوانا أو اثنين على الغلاف تراعى فيها أن تكون أهم ما لديها داخل العدد مراهنة بذلك على أن هذه العناوين التى تنشر على مساحة ثمانية أعمدة ستكون عاملا مهما وأساسيا فى جذب القارئ إليها وإهتمامه بها.

كانت النقلة الثانية التى حدثت فى الغلاف على يد تجربة روزاليوسف فى التسعينات على يد عادل حمودة، كان الغلاف فى روزا قبلها فى الغالب يضم صورة واحدة وعنوانا واحدا أو ثلاثة عناوين على الأكثر، وكانت الألوان قد بدأت تغزو الأغلفة والصفحات الأولى فى الصحف وتصبح هى السمة الغالبة عليها، فاختار عادل حمودة أن يكون الغلاف الأول الذى يصدره بالأبيض والأسود، وكان عبارة عن صورة للرئيس السادات مصاحبة لعنوان عن تحقيق يدور حوله، وهو غلاف يعبر عن الرغبة فى الإختلاف الذى بلا شك سيجذب عين القارئ، لكنه حدث لمرة واحدة كنوع من الإعلان عن النفس فقط.

تطور بعد ذلك غلاف روزاليوسف وأصبح يراعى فيه إختيار الألوان الصارخة وفى القلب منها العنوان الأحمر للعنوان الرئيسى، وبدلا من عنوان واحد أو ثلاثة عناوين على الأكثر أصبح هناك أكثر من عشرة عناوين مرة واحدة، وكلها تدور حول موضوعات ساخنة، وتم إدخال عنصر الصورة العارية الذى كان يتم توظيفه طبقا للعنوان المنشور، فلم تكن الصورة تنشر لإمرأة عارية بالكامل، بل كانت تنشر أجزاء فقط مثل الساقين أو الصدر، أو لإمرأة بمايوه بكينى وغالبا ما تكون هذه المرأة ممثلة مصرية أو عالمية، أى أن العرى فى الصورة كان يتم إستغلاله بشكل جمالى وليس بشكل وظيفى فقط.

وعندما بدأت الصحف الخاصة فى الصدور رأت أن يكون النصف الأعلى من الصفحة الأولى وهو الذى يراه القارئ ويطالعه لدى باعة الصحف مثل المرآة التى تعكس أهم الموضوعات داخل العدد، وهو عرض أيضا يتم تدعيمه بالصور المثيرة، ويمكن أن

تمتد المرآة من نصف الصفحة الأعلى إلى إجمالى الصفحة كلها فى حالة ما لم يكن هناك إعلان فى نصف الصفحة الأسفل، وهو أمر نادر جدا، وإذا ما حدث ذلك تتحول الصفحة إلى بوستر أشبه ما يكون ببوسترات الأفلام السينمائية، يضم فى تزواج ما بين الصور والعناوين أهم ما يحتويه العدد، والذى تريد الجريدة متعمدة أن تقع عين القارئ عليه.

وترتفع قيمة الإثارة بالغلاف إذا ما كان هناك إتساقا واضحا بين ما تعكسه العناوين والمضمون الداخلى، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مصداقية الجريدة، لأنه فى حالات كثيرة تكون عناوين الغلاف أعلى وأكبر من المضمون الذى تشير إليه، فيصبح الغلاف بذلك مضللا للقارئ.

ثانيا: فن الكولاج :

فى مرحلة متقدمة تم إدخال عنصر الكولاج إلى الصفحة الأولى وهو فن يعنى بمعالجة الصور الصحفية من خلال الكمبيوتر بالجرافيك وذلك لتحميل الصور بدلالات ومعانى ليست فيها، وكان لجريدة صوت الأمة السبق فى ذلك، حيث كان من أولوياتها فى الصفحة الأولى ألا تنشر صورا تقليدية، بل تصنع الصورة صنعا على عينيها، لتصبح هذه المعالجات هى الأسلوب المتبع فى كثير من صحف الإثارة، وقد يكون السبب فى ذلك أن الصورة الطبيعية لم تعد قادرة وحدها على جذب القارئ فى عصر تسيطر فيه الصورة التليفزيونية على عين المشاهد وعقله، فكان لابد من صيغة جديدة كى تؤدى الصورة وظيفتها فى الجذب من خلاله، وكانت هذه الصيغة هى فن الكولاج.

إن الحدث الذى يقع أيا كان حجمه يستطيع القارئ أن يتابعه بالصوت والصورة عبر القنوات الفضائية الإخبارية وبرامج التوك شو التى يعتبر بعضها جريدة مرئية يومية، وعندما تعالج الصحف الحدث نفسه تكون الصور كلها قد إحترقت بفعل الرؤية، ولذلك تحاول الصحف أن تقدم معالجة مختلفة للصورة حتى تمنحها معنى ودلالة جديدة تكون جاذبة للقارئ.

ولا يتجاوز الباحث كثيرا عندا ينسب صحافة الإثارة المصرية إلى الغلاف، فهى صحافة الغلاف فى المقام الأول، وذلك لأنها صحافة تعمل بمنطق(الشو) الصاخب الذى يصاحبها ربما قبل نزولها إلى السوق الصحفى وذلك حتى تجعل القارئ مشدودا إليها منذ اللحظة الأولى، فلا يمكن له أن يمر عليها دون أن تستوقفه.

ثالثا: عناوين المفارقة :

قد تكون هناك تجازوات مهنية تقع فيها صحافة الإثارة فى صياغتها للعناوين، ويقصد الباحث بذلك تحديدا العناوين المضللة التى تحمل نفسها فى الصفحة الأولى أو حتى فى العناوين الداخلية ما لا يطيقه مضمون موضوعاتها، لكن هناك نمط آخر من العناوين الذى تعتمد عليه صحافة الإثارة ولا يمثل فى الوقت نفسه تجاوزا مهنيا، وهو العنوان الذى يقوم على المفارقة غير المتوقعة و الغريبة على القارئ فى الوقت نفسه، فيبدو العنوان غير متوقعا بالمرة.

والمفارقة فى العنوان يتم إبرازها من خلال التركيز على الجانب الخفى أو غير المرئى من الموضوع أو القضية التى تعالجها الجريدة، وبذلك فهو لا يقوم على التناقض بين عناصره ولكن يقوم على المفارقة.

- وتعتمد صحف الإثارة على عدة أنواع من العناوين تحقق أهدافها من خلالها، ويمكن للباحث أن يشير إليها فى الآتى:

العنوان الصدمة : ويكون مختزلا ومكثفا وفى الغالب يكون من كلمة واحدة أو كلمتين على الأكثر، وهى صيغة تعتمد عليها جريدة الأسبوع مثل: إتخنقنا يا ريس...وخلصنا من الكروش ياريس...والمصيبة ...والكارثة...، وتكون فى الغالب معتمدة على شخصية سيلسية فاعلة والنماذج واضحة فى جريدة صوت الأمة مثل العناوين التى اشتبكت مع رئيس الوزراء السابق عاطف عبيد وصيغيت على النحو التالى: خربها عبيد...وشيلوا عبيد، وهى إلى جوار تكثيفها إلا أنها أحيانا تحمل جانبا من الغموض الذى يعلى من عنصر الإثار ة فيها، مثل العنوان الذى وضعته مجلة روزاليوسف على غلافها عندما

نشرت تقريرا يضم أسماء الذين يهددهم جهاز الموساد الإسرائيلى لمعارضتهم إسرائيل ...كان العنوان من كلمة واحدة هى: الحقونا.

العنوان القصصى : وتقوم الصحيفة من خلاله بشرح عناصر الموضوع أو القضية التى تعرض لها فى الجريدة فى أكبر عدد من الكلمات حتى تستوفى تفاصيلها كلها، وقد تصل كلمات العنوان فى هذه الحالة إلى خمسة عشر وأحيانا عشرين كلمة وتنتشر على سطرين فى الصفحة الأولى وأحيانا ثلاثة، وتأتى عناوين جريدة الدستور نموذجا تطبيقيا لذلك، وهى عناوين تعكس قناعة لدى أصحاب الصحف أن القارئ فى الغالب يمكن ألا يكون لديه الوقت المناسب ليقرأ ما تنشره الجريدة بشكل كامل فتعطية كل شئ فى العنوان فتريحه وتضمن أنه لن ينصرف عنها كسلا.

وهناك نموذج آخر من العناوين القصصية التى اعتمدت عليها جريدة النبأ حيث كانت تبدأ عناوينها فى الغالب بكلمات من نوعية ..حواديت...كواليس ...عمايل ... حكايات ...قصص.. وكلها توحى بأن الجريدة تحمل قصة كاملة جذابة ومثيرة لابد أن يطالعها القارئ.

العنوان الإفيه : وهو عنوان تستخدمه صحف الإثارة فى الغالب فى سياق السخرية من سياسات أو شخصيات معينة، وهو يقابل الكاريكاتير على المستوى التحريرى، ويحمل فى الغالب درجة من اللا معقولية فى التوصيف، ولا يحمل معلومات بقدر ما يحمل تعليقا أو أحيانا نكتة أو كلمات تعارف عليها الناس ويرددونها فى أحاديثهم اليومية.

العنوان المعلوماتى : وتلجأ إليه صحف الإثارة عندما يكون لديها تفاصيل وأسرار قضية معينة، وفى هذه العناوين يزداد إيراد الأرقام والإحصائيات حتى تبدو الجريدة بالنسبة للقارئ أنها تعلم كواليس ما يجرى وأنها وحدها من تملك المعلومات الكاملة.

لكن ولأن السياق العام الذى يحكم الصحف جميعها فى مصر وليس صحف الإثارة فقط هو عدم تداول المعلومات، فإن العناوين المعلوماتية فى الغالب تقوم على المبالغات

العددية وعدم الدقة، ويكون المقصود منها التضخيم الذى يمكن أن يداعب القارئ ويجذبه إلى المعالجة الصحفية.

ولا تنشر صحف الإثارة عناوينها هكذا على عرض الصفحة بل تحيطها بهالة من الأهمية وبحالة من الأسطورية، وفى هذا السياق تستخدم كلمات مفتاحية تدل على ذلك مثل: إنفراد....بالمستندات...بالأسماء....لأول مرة...إنفراد عالمى بالمستندات...تحقيق من أربع عواصم عالمية، وهى كلمات قد ينخدع بها القارئ أو هكذا تريد الجريدة، فإستخدام مثل هذه الكلمات يمنحها قوة وثقة فى أن القارئ سيقبل عليها ليطالع ما لديها.

كما أن هذه الصحف لو أحرزت إنتصارا صحفيا فى إحدى حملاتها فإنها تجعل من هذا الإنتصار عنوانا رئيسيا لها مشيرة إلى ما حققته، خاصة إذا كان هناك قرارا حكوميا صدر بعد حملة تابعتها أو تحقيقا نشرته، وهى سمة من سمات صحافة الإثارة فهى تعتز بكل ما تقدمه وتنشره حتى لو ثبت أنه ليس دقيقا أو صحيحا على إطلاقه.

العناوين الفرعية : هناك كذلك دور تلعبه العناوين الفرعية ويقصد بها تلك العناوين المساعدة التى يستخلصها المحرر من التحقيقات أو التقارير أو المقالات أو الحوارات التى تنشرها صحف الإثارة لتدل القارئ على أهم الجوانب فيها، أصبحت هذه العناوين تقوم بدور موازى للمتن، فهى تلخص الموضوع كله، لدرجة أن القارئ عندما يطالعها لا يكون فى حاجة بعد ذلك لقراءة الموضوع كله، وهذا ما يفسر أحيانا إحتلال هذه العناوين لأكثر من ثلث المساحة المخصصة للموضوع كله، فهى بذلك ليست مساعدة للموضوع الرئيسى ولكنها موازية له فى الأهمية والقيمة والوظيفة أيضا.

رابعا: الأشكال الصحفية المبتكرة :

كان لابد لصحافة الإثارة من أن تجدد فى الأشكال الصحفية التى تصيغ من خلالها المضمون الصحفى، إن الأشكال التقليدية للصحافة وهى الخبر والتقرير والحوار والتحقيق وما يتم تحميله عليها من أشكال أخرى يمكن أن تقوم بمهمة نقل المعلومات

إلى القارئ بسهولة ويسر وهو الهدف النهائى الذى تسعى خلفه الصحف.

لكن صحف الإثارة لا تريد أن تصل إلى القارئ فقط ولكنها ترغب فى أن تسيطر عليه وتجعل ولاءه لها، حتى لو كان ذلك من خلال إبهاره بإدخال تعديلات جوهرية على الأشكال والأبواب الصحفية التى تقدمها له، ومن الأشكال الصحفية التى تلعب دورا أساسيا فى تشكيل منظومة صحف الإثارة التحريرية ما يلى:

المقال الإستطرادى : وهو مقال يكتبه رؤساء تحرير هذه الصحف والكتاب الأساسيين فيها، فهو مقال لأنه يقوم على العناصر الأساسية لمقال الرأى، فهو مقال لكاتبه يعرض من خلاله لوجهة نظره الشخصية، لكنه لا يكون تعبيرا نظريا عن وجهة النظر بعبارات إنشائية، ولكنه أشبه بالشكل الصحفى الذى يضم فى طياته مختلف الأشكال الصحفية الأخرى، ففيه الخبر الذى يكون الكاتب قد حصل عليه بنفسه من مصادره الخاصة، وقد يكون فيه تحقيق صحفى حيث يستعين الكاتب بمصادره ويتحدث معهم ويحصل على آراءهم وكذلك معلوماتهم ويضمنها مقاله، ثم أنه يمكن أن يورد جزءا من حوار دار بينه وبين أحد المصادر فى متن المقال، موظفا ذلك كله فى خدمة الفكرة الأساسية التى يسعى إليها، فالعمود الفقرى للموضوع هو الكاتب وذاتيته التى لا يمكن أن يتخلى عنها وهو يكتب، لكنه إلى جانب ذلك يستطرد إلى أشكال صحفية أخرى بها يخدم فكرته، فهو من ناحية ليس مقالا صرفا، وهو من ناحية ثانية ليس شكلا واحد من الأشكال الصحفية المعتادة، وهو ما حدا بالإشارة إليه على أنه مقال إستطرادى.

موضوعات الفيتشر : لا تهتم صحف الإثارة كثيرا بالتنويع فى الأشكال الصحفية التى تقدمها للقارئ، بل يغلب عليها قالب الفيتشر...وهو تقرير يعنى بالجانب الإنسانى فى القضايا المطروحة، ويقوم فى الغالب على تعظيم جوانب بعينها فى الحدث الذى تتناوله الصحيفة، وهو جانب فى الغالب له بعد عاطفى وذلك للتأثير على القارئ.

تنحاز الصحف إلى هذا الشكل لأنه يسهل القراءة ويقوم على الحكى.

ومن تأثير ذلك مثلا أن تصاغ الحوارات فى شكل تقريرى، فالحوار التقليدى يقوم على عرض سؤال من الصحفى وعرض الإجابة من المصدر مع مراعاة التمييز الشديد بين كلام كل منهما حتى لا يختلط الأمر على القارئ، ويتم هذا التمييز بالطرق التقليدية فى صياغة الحوارات ، كأن توضع علامات مميزة للسؤال والإجابة أو من خلال التباين بين الكثافة فى كتابة السؤال أو الإجابة كأن يكون أحدهما أكثر كثافة لونية من الآخر.

لكن صحف الإثارة تسعى إلى صياغة الحوار بشكل وصفى يضفى على الصياغة بعدا إنسانيا من خلال وصف اللفتات والإشارات ورد الفعل وتعبيرات الوجه، ليس على طريقة الصحف التقليدية التى تفعل ذلك..برد ضاحكا، أو قال منفعلا...أو صمت شاردا، لكنها من خلال وصف أدبى للحالة العامة والمناخ الذى أجرى فيه الحوار، وهو وصف يجعل القارئ يشعر وكأنه كان حاضرا الحوار الذى أجراه الصحفى تماما، بل وكان مشاركا فيه .

لكن هناك عيب يكتنف هذه المعالجة بالطبع حيث يمكن أن يختلط كلام المحرر مع كلام من حاوره، وهو ما يحدث لبسا لدى القارئ فى الغالب يجعل الجريدة تعتذر عنه أو تتراجع عما ذكرته واعتقد القارئ أنه من رأى المصدر بينما هو من رأى المحرر.

التحقيق التقريرى : وهو شكل قد تنفرد به صحف الإثارة حيث تقدم لقارئها شكلا مهجنا بين التحقيق الصحفى الذى يعتمد على إستقاء المعلومات والأفكار والآراء من مصادرها وتنشر منسوبة إليها، وبين التقرير الصحفى الذى يسعى إلى التعرف على كواليس وخلفيات الأحداث، وتراعى الجريدة التى تقدم هذا الشكل إلى قارئها على أن تعرضه بشكل مميز حيث تلخص القضية فى مقدمة شاملة، ثم تعرض التحقيق من خلال تقارير متلاحقة وكل منها له عنوان مستقل يلخص ما جاء فيه.

هذا الشكل التحريرى يظهر فى الأحداث الكبرى التى تتعدد مصادرها وتتعدد وقائعها، ولا يمكن أن يجمعها شكل واحد، حيث تتوفر للصحفى مادة من الفاعلين فى

الحدث وتتوفر له كذلك معلومات خاصة من وثائق ومستندات وتقارير، وتتوفر له من خلال تحقيقه هو الشخصى فى الحدث رؤية خاصة به يرغب فى أن يبرزها للقارئ، وفى الغالب تكون هذه الرؤية هى الغالبة والمسيطرة على جو التحقيق التقريرى.

ومن مزايا هذا الشكل أنه من خلال تقسيمه إلى وحدات تقريرية، تحمل كل وحدة فكرة معينة يمكن أن تجعل القارئ يقرأ ما يريده ويمتنع عما يشاءه دون أن يتورط فى قراءة الموضوع كله أو يكتفى بعناوينه، وهى ميزة نوعية حيث تكون قراءة الموضوع أكثر مرونة بالنسبة للقارئ، ومن سمات هذا الشكل أيضا أنه يحتل مساحة كبيرة فى الجريدة تتجاوز فى أحيان كثيرة الصفحتين حيث يمكن أن يكون ثلاثة أو أربع صفحات، فكلما تعاظم الحدث تعاظمت صفحاته.

ويطلق على هذا الشكل القالب التجميعى[1] حيث يستخدم لجمع الموضوعات أو أخبار الحوادث والجريمة معا فى موضوع واحد ويكتب بمقدمة قصيرة وبقية تفاصيل الموضوع على شكل فقرات متساوية الأهمية.

الـ comic strips وهو شكل أدخلته صحيفة الدستور فى إصدارها الثانى، حيث إعتمدت على نشر قصص سياسية وأدبية وصياغة مادة السخرية والتنكيت على الحكومة فى صورة رسوم كارتونية متتابعة، وهو شكل بدأ مع صحافة الإثارة فى الغرب وتحديدا مع شخصية الولد الأصفر الذى كان يستخدم فى صياغة مسلسلات مصورة للتعبير عن رأى الجريدة فى القضايا والشخصيات العامة، وأدت المسلسلات المصورة دورا مهما فى الدستور ليس لأهمية الموضوعات والقضايا التى كانت تعالجها خلال هذه المسلسلات، ولكن لأنها توجهت إلى جمهور الشباب الذى بدأ يمل القراءة ويريد أن يحصل على المعلومات فى أسرع وقت وبأقل مجهود، وهو سر أهميتها هنا فى سياق صحافة الإثارة،

(١) محمود علم الدين، أساسيات الصحافة فى القرن الحادى والعشرين، ط٢ (القاهرة، ٢٠٠٩) ص٣٤٦.

حيث أنها كانت عاملا مهما من عوامل الجذب الجماهيرى للجريدة.

التحقيق المصور : ولا يقصد به الباحث التحقيق الصحفى التقليدى الذى تكون الصورة بطلته وعموده الفقرى، ولكنه يقصد شكلا جديدا إبتدعته صحافة الإثارة المتأخرة، وتحديدا صوت الأمة والفجر، وهو تحقيق كان يظهر مرافقا لمنع فيلم سينمائى معين من العرض فى مصر، أو إثارة ضجة حول فيلم سينمائى فى العالم لم يعرض بعد، فتقوم الجريدة بتقطيع مشاهد الفيلم(بمساعدة برامج الكمبيوتر الجديدة) ونشرها كاملة فيجد القارئ نفسه أمام الفيلم الممنوع أو المثير كاملا وبالمشهد، فيقرأ وكأنه يشاهد، هذا التحقيق لا يكون فيه متنا يذكر، اللهم إلا التعليق على الصور والمشاهد فقط، وعلى عادة صحف الإثارة، تقدم لمشاهد الفيلم المنشورة بمقدمة تؤكد فيها على دواعى النشر وضرورته وأهميته.

خامسا: رسائل القراء :

تحتل رسائل القراء فى الصحف الشعبية وصحف الإثارة مساحة مهمة، وذلك للدور الذى تؤديه فمن خلالها يتعرف القائمون بالإتصال فى الجريدة على رد فعل الجمهور ورأيه فيما تقدمه الصحيفة، وبناء على رد الفعل هذا تقوم الجريدة بالتغيير فى معالجاتها لقضايا معينة أو تقوم بتدعيم هذه المعالجات، طمعا فى ربط القارئ بها ربطا وثيقا، فها هى صحيفته التى يقرأها تحتفى برأيه وتنشره له، بل وتستجيب لإقتراحاته التى يدلى بها.

وهناك نمطان من معالجة رسائل القراء:

الأول : هو نشر الرسائل كما ترد من أصحابها دون أن تتدخل الجريدة بالتعليق عليها، أو الإشتباك مع ما جاء فيها من آراء، وذلك لأنها تعمل بقناعة أنه إذا كان من حق الصحيفة أن تنشر ما لديها من أفكار أو آراء بالمساحة التى تراها مناسبة لها، فإن من حق القارئ أن يعقب على ما تنشره الصحيفة دون أن يتدخل فى رأيه أو ما يطرحه أحد.

والنمط الثانى : ينشر رسائل القراء كما هى لكنه يعقب عليها مختلفا أومتفقا مع ما جاء فيها من آراء، وهى معالجة يكون الهدف منها أيضا أن يرتبط القارئ بجريدته فالتعليق

يأتى فى الغالب بشكل شخصى، يجد القارئ أن جريدته تخاطبه بإسمه ويستفسر منه محرر باب البريد عن أمور تخصه وكأنه يعمل معه صحفيا فى الجريدة.

فى المعالجتين على السواء يتم تصدير الأمر للقارئ على أنه صاحب التجربة الحقيقى وأنه يساهم بالجهد الأكبر فى نجاحها، ولولا وجوده وإرتباطه بالجريدة ما كان لها وجود، ورغم أن الباحث يعتبر أن هذه الصيغة من التعامل مع القراء فيها بعض من النفاق المهنى، إلا أنها فى النهاية تؤتى أكلها فى كل حين، فالقارئ يظل قابض على جريدته كالقابض على الجمر سواء بسواء ولا يغادرها لغيرها وهو ما تحرص عليه صحف الإثارة.

هذا السبب تحديدا هو الذى جعل صحف الإثارة تحرص على أن تزيد المساحة المخصصة للقراء، وبدلا من أن تحتل رسائل القراء ركنا صغيرا فى الجريدة، أصبحت للرسائل صفحة كاملة، تحاول الجريدة من خلالها أن تنشر أكبر عدد من الرسائل لتضمن تواجد أكبر عدد من القراء عى مدار أعدادها المختلفة، وقد وصل الأمر ببعض هذه الصحف إلى أن تصدر ملاحق خاصة فى ١٦ صفحة من قطع التابلويد مخصصة للقراء وحدهم.

وحرصا من صحف الإثارة على أن تجعل من رسائل القراء وحدة متناسقة مع وحداتها المختلفة، فإن قسم إعادة الصياغة فى هذه الصحف يتدخل فى صياغة عناوين الرسائل بما يتناسب مع الحالة الإثارية التى تقدمها، وإذا كانت معالجات محررى هذه الصحف تؤدى بهم فى بعض الحالات إلى النيابة والمحاكم، فإن رسائل بعض القراء تقودهم إلى النيابات والمحاكم أيضا.

سادسا: صحافة الملفات:

وهى معالجة من ناحية التبويب وليست معالجة تحريرية، وتستخدمها صحف الإثارة بإستمرار فى معالجة الأحداث الكبرى والقضايا التى تشغل الرأى العام، حيث تخصص عددا من صفحاتها يصل فى بعض الأحيان إلى نصف صفحات الجريدة، وتحشد فيه

الصحيفة كل إمكانياتها الفنية والتحريرية لمعالجة حدث أو قضية من خلال الأشكال التحريرية المختلفة الخبرية والتفسيرية والتحليلة، فى تكامل مهنى من أجل توصيل الرسالة التى تحملها الجريدة.

وتأتى أهمية الملفات فى أنها تعكس نوعا من الضخامة فى المعالجة تؤكد الجريدة من خلالها قدرتها على أن تقدم معالجة متنوعة للأحداث الكبيرة حيث تستوفى كافة جوانب الحدث من مصادره والفاعلين فيه والدراسات والتقارير التى تتعرض له، كما تساهم الجريدة من خلال الملف فى إلقاء الضوء على الخفى من الحدث من خلال مادة الرأى التى يكتبها كبار الكتاب فى الجريدة.

سابعا: صحافة الملاحق :

تهتم صحف الإثارة بإصدار ملاحق خاصة عن موضوعات وشخصيات معينة، ويمكن إعتبارها جريدة منفصلة، بعض الصحف تقوم بإصدار هذه الملاحق فى مناسبات خاصة، وبعضها يصدرها بشكل دورى، وفى هذه الحالة تكون الملاحق متخصصة غالبا فى الرياضة أو الفن سعيا وراء كسب جمهور جديد قد لا يكون مهتما بموضوعات الجريدة السياسية أو العامة.

ولا يكون لمثل هذه الملاحق هدف تحريرى فقط ولكن يكون لها هدف ترويجى أيضا، حيث تعتبر الجريدة أنها عندما تقدم وحدة ثانية إلى جوار الجريدة وبنفس ثمن الجريدة دون أية زيادات عليه، يمكن أن يكون ذلك عاملا مساعدا فى بيع الجريدة، ولذلك تحرص الجريدة على أن تعلن عن ملاحقها فى الصفحة الأولى بأن الملحق مجانى مع العدد.

ولأن هدف الملحق فى النهاية هو الجذب الجماهيرى فإن الجريدة تختار له موضوعات وشخصيات لها جماهيريتها وشعبيتها حتى تضمن إقبال القراء عليها، وإذا تم الإحتجاج فى هذا السياق بأن الصحف الجادة مثل الأهرام وأخبار اليوم والجمهورية تصدر ملاحق هى الأخرى بشكل دورى، فإنها لا تعدو أن تكون ملاحق خدمية يهتم بها أصحابها،

تساهم فى التوزيع بشكل كبير، لكن تظل ملاحق صحف الإثارة هى الأكثر حيوية وقدرة على الجذب حتى لو لم تقدم خدمة مباشرة للقارئ اللهم إلا تسليته وإمتاعه.

ثامنا: المسلسلات الروائية :

من بين تكنيكات صحافة الإثارة العالمية أنها تقوم بنشر روايات كبار الكتاب العالميين على حلقات مسلسلة تربط بها القارئ وتجعله منتبها إلى الجريدة يتابعها عددا بعد عدد، وقد توسعت صحافة الإثارة المصرية فى نشر المسلسلات الروائية على يد إحسان عبد القدوس فى روزاليوسف، كان إحسان لديه تكنيكا تحريريا عندما يجد توزيع المجلة يتعرض لهزة، على الفور يبدأ فى كتابة رواية جديدة، ويبدأ فى نشر الحلقة الأولى حتى دون أن ينتهى من كتابة بقية الرواية.

تسرب هذه التكنيك بعد ذلك فى صحف الإثارة، حيث كتب عادل حمودة حلقات روائية تناول من خلالها بنات الطبقة الراقية، وكان ينشرها فى روزاليوسف، ويكاد يكون الخط الذى بدأه إحسان عبد القدوس هو الذى سار عليه عادل حمودة من حيث تشريح النفس الإنسانية ومعرفة مشاكلها ودوافعها ونقاط ضعفها وشذوذها، وذلك فى سياق الطبقات الأرستقراطية بما يعكس سلوكها وإنحرافاتها وتمردها، وهى روايات تحمل من الواقع أكثر مما تحمل من الخيال، ولذلك فإن المادة التى تقدمها تلعب دورا مهما فى تغذية المجتمع بأخبار النميمة وشخصياتها.

هذا النمط من الروايات يمكن أن نطلق عليه الروايات الصحفية التى يكتبها أصحابها خصيصا للنشر فى الصحافة، لكن صحف الإثارة تنشر كذلك روايات الأدباء خاصة البارزين منهم والذين يتفق على أن لما يكتبونه قيمة.

تاسعا: موضوعات الشخصية الروائية:

فى كثير من الأحيان يتوفر لصحف الإثارة معلومات عن شخصيات سياسية نافذة، ولا يمكن أن تقدم الصحيفة على نشر مثل هذه المعلومات، ليس لأنها غير موثقة فقط.

ولكن أيضا لأن هذه الشخصيات صاحبة ثقل ونفوذ هائل قد يعرض الصحفى الذى يكتب والصحيفة التى تنشر للخطر والتضييق عليها، وفى هذه الحالة تلجأ الصحيفة إلى تكنيك إختراع شخصية روائية لها اسم وأوصاف محددة وتنسب إلى هذه الشخصية كل الأحداث والوقائع التى توصلت إليها الصحيفة دون أن تذكر الإسم المقصود لكنها تترك ذلك لفطنة القارئ.

وهو تكنيك تحقق صحف الإثارة من خلاله هدفين، الأول أنها تنشر ما لديها من معلومات يفهم القارئ من هو المعنى بها دون التصريح بإسمه صراحة، والثانى أنها تخرج بنفسها من مساحة المساءلة القضائية، فلو أنها نشرت معلومة غير موثقة عن شخصية معينة، وحتى لو كانت هذه المعلومة صحيحة فيمكن أن يتعرض بسببها الصحفى للمساءلة القضائية.

ويمكن الإشارة إلى هذا التكنيك من خلال شخصية «البورجى» الذى لجأت إليها جريدة صوت الأمة، وكانت لوزير فى الحكومة، قدمته الجريدة للقراء ونسبت إليه كل ما لديها من معلومات دون أن تذكر اسمه، وكانت رسائل القراء ترد إلى الصحيفة تكشف عن إسم الوزير، لكن الجريدة إلتزمت بعدم ذكر الإسم حتى النهاية لكى لا تتعرض للمساءلة القانونية.

عاشرا: موضوعات المغامرة :

وهى موضوعات يخطط لها بعناية شديدة من قبل المحررين، حيث يقوم محرر بخوض مغامرة صحفية يخترق من خلالها مؤسسات حكومية وأوساط إجتماعية معينة، لا يدخلها بوصفه صحفيا ولكن بوصفه مواطنا عاديا، وبعد أن يحصل على ما يريده من معلومات ينشرها على أنها مغامرته الخاصة، ورغم أن هذه المغامرات لا تشكل عصب صحافة الإثارة فى مصر، لأنها مكلفة من ناحية وميزانيات الصحف لا تتحمل هذه التكلفة، ومن ناحية ثانية لأنها يمكن أن تعرض الصحفى الذى يقوم بها للخطر إن لم يكن

أثناء قيامه بالمغامرة فى حالة إكتشاف أمره، فبعد أن ينشر مغامرته حيث يمكن أن يتعرض للإنتقام ممن أضيرت مصالحهم.

ولأنه من الصعب أن يقوم الصحفيون فى مصر بمغامرات جادة فإنهم يستسلهون ويلجأون إلى فبركتها أو على الأقل فبركة الجزء الأكبر منها، وهو فى الغالب ما يحدث ولذلك لا تمنح صحف الإثارة الثقة المطلقة فيمن يقومون بهذه التجارب، بل تخضعها للإختبار حتى لا تتورط فى نشر ما لا يمكن أن تثبته عندما ينفيه الآخرون.

إن السياق العام فى المجتمع المصرى يمكن أن يعتبر المغامرة الصحفية لونا من الخروج عن أعراف وتقاليد المجتمع التى تقوم على أنه لا يجب أن يتم دخول البيوت

إلا من أبوابها، ودون ذلك يعتبر تعدى على الحرمات لا يجوز، ولذلك فإن المغامرة الصحفية عندما تنشر لا تثير جدلا حول قيمته أو ما تقدمه أو تكشفه من أوجه قصور وفساد، ولكن يثور الجدل حول أحقية الصحفى أن يقوم بالمغامرة الصحفية من عدمه.

حادى عشر: صحافة الممنوعات :

تهتم صحف الإثارة بكل ما هو ممنوع على المستويات السياسية والفكرية والدينية، وفى هذا الإطار تنشر الكتب التى تمت مصادرتها تاريخيا أو فى لحظتها الراهنة التى تصدر فيها، وتنوه الصحف عن ذلك فهى تنشر الكتاب الممنوع، أو تنفرد بنشر فصول من الرواية المصادرة، أو تهتم بنشر المشاهد المحذوفة من فيلم أو مسلسل، وهى بذلك تلعب على مساحة الرغبة فى التعرف على الممنوع والمحجوب لدى القارئ، تداعبه بأن لديها مالا يستطيع أن يحصل عليه من الصحف الأخرى.

وتثير صحافة الممنوعات إشكالية مهمة فهى من ناحية مرغوبة لكنها من ناحية ثانية ملعونة، يتوقف أمامها القارئ لكنه بعد أن يتجاوزها بالقراءة يرفضها ويعيب على الصحافة أنها تطرقت إلى هذه الموضوعات، ولأن الصحف تدرك أن القارئ يتعامل معها بإزدواجية أخلاقية فهى لا تتراجع عن نشر الممنوعات تجاوبا مع المعلن من موقف

القارئ منها لكنها تنشر وتبالغ فى النشر تجاوبا مع الخفى من هذا الموقف.

ثانى عشر: الشخصنة :

لا تعالج صحف الإثارة قضاياها بصورة مجردة بل تنسب القضية أو الحدث إلى شخص بعينه تنسب له ما جرى وتعلق فى رقبته جرس المعالجة، فالشخصنة تصنع حالة من الحميمية بين القارئ والموضوع المنشور، فلن يجدى مثلا أن تتحدث صحف الإثارة عن الفساد أو الإهمال بشكل مجرد، ولكنها تتحدث عن فساد وإهمال أشخاص بعينهم وهو ما يجعل القارئ ينجذب إلى الموضوع المنشور، إن تحميل المعالجة الصحفية على شخصية بعينها يسقط حاجز العمومية، ويجعل القارئ إلى حد ما طرفا فى القضية، فالشخصية التى تحمل المعالجة فى الغالب تكون مشهورة يعرفها القارئ ويتابعها جيدا، والمتابعة الإعلامية للشخصيات العامة تقربها من القارئ وتجعله يشعر وكأن هذه الشخصيات مقربة منه إلا لم تكن أصدقاءه.

وتقتضى الشخصنة كمعالجة مهنية أن تضفى الجريدة على الشخصيات التى تتناولها سواء بالمدح أو الذم صفات وسمات أسطورية، ويقتضى ذلك أن تبالغ الجريدة فى توصيفها لهذه الشخصيات ووصمها بما ليس فيها سواء بالحق أو الباطل وذلك سعيا وراء إبهار القارئ وجعله أسيرا لشخصيات الجريدة وأبطالها سواء كان معجبا بها أو رافضا لها.

ثالث عشر: عناصر الإبراز:

وتلجأ لها الصحف فى الغالب حتى لو لم تكن صحفا مثيرة، فالصحافة تصدر من أجل قارئ لابد من أن ينتبه لها، وعناصر الإبراز التقليدية هى العناوين والصور والرسوم والخرائط والأشكال البيانية والكاريكاتير، لكن صحف الإثارة تبالغ فى إستخدام هذه العناصر التى تبرز المضمون، فالمانشيتات فى الصفحة الأولى كبيرة وملونة، والصور يتم نشرها على مساحات تتجاوز أحيانا النصف صفحة.

وتستخدم صحف الإثارة الخرائط والأشكال البيانية ولو من باب إظهار القدرات

التحريرية والفنية، ففى الغالب لا يلتفت القارئ إلى هذه الأشكال لكنه يطالعها من باب إضفاء الأهمية على نمط مطالعته للصحف، فالقارئ المصرى لم يتعلم كيف يقرأ الخرائط والجداول، لكن الصحف تقدمها تلبية لرغبته فى أن يبدو وكأنه يفهم ما ينشر ويستوعبه ويعتاد عليه.

رابع عشر: اللغة المستخدمة:

تفرط صحف الإثارة فى الغالب فى رغبتها بأن تقدم مادتها بلغة تتناسب مع لغة الشارع المصرى، وذلك حتى تكون قريبة من هذا القارئ، وتصنع معه علاقة دائمة فهى تتحدث بنفس اللغة التى يتحدث بها، وكان ذلك مدعاة لأن تقوم صحف الإثارة بإستخدام الكلمات العامية ليس فى العناوين الرئيسية فقط، ولكن فى متن المعالجات المهنية، وقد لا يكون هناك قلقا من إستخدام العامية على طريقة عامية صلاح جاهين، وهو إتجاه رسخته الدستور سواء فى إصدارها الأول أو إصدارها الثانى، حيث أنها استخدمت لغة كتابة صحفية أطلقت عليها عامية صلاح جاهين، فهى فى الحقيقة فصحى لكن منطوقها عامى.

لا يحاول الباحث أن يقيم إستخدام هذه اللغة فى الكتابة الصحفية، لأنها فى النهاية إختيار مهنى للصحف التى تعتمد عليها، ويحتج البعض بأن إستخدام العامية فى الصحافة يمثل خطرا كبيرا على اللغة الفصحى التى هى لغة الثقافة العامة للشعب المصرى، وهو إحتجاج لا منطقى إلى حد بعيد، فالعامية هى لغة الشارع المصرى التى يتعامل بها فى حياته اليومية، وما يحدث فقط أن بعض مفردات هذه اللغة تنتقل من الشارع إلى الصحيفة التى يقرأها القارئ، أى أنه لا يجد غرابة فى إستخدام الألفاظ العامية.

ولذلك فليس من الدقيق أن يستسلم الباحث إلى أن إستخدام العامية يمكن أن يشكل خطرا من أى نوع، فكما تمثل العامية إختيارا مهنيا، فإن إقبال القارئ عليها يمثل إختيارا أيضا، والفيصل لدى صحف الإثارة هو هل يقبل القارئ على الصيغة التى تقدمها أم لا

يقبل، بصرف النظر عما إذا كانت هذه الصيغة تمثل خطأ مهنيا أو خطرا على مصداقية الصحيفة وقيمتها لدى قارئها.

ويرى الباحث أن المعالجات التى تقدمها صحف الإثارة فى مصر تتسق إلى حد كبير مع تيار ظهر فى الصحافة الأمريكية فى الستينات من القرن العشرين[1]، وهذا التيار يطلق عليه تيار الصحافة الجديدة، وهو تيار يعمل من خلال منهج جديد فى التفكير وأسلوب مختلف فى التعبير، وتعديل فى أنماط الإتصال الصحفى التقليدية، وقد أتى كرد فعل لحاجات الجمهور الجديدة لأشكال صحفية مستحدثة فى مواجهة الأشكال الإتصالية الجديدة خاصة ما أفرزته وسائل الإتصال الإليكترونية الحديثة، وكرفض للأفكار التى تعتنقها الجرائد التقليدية عن الأخبار المتوازنة والإستخدام التقليدى لمصادر الأخبار.

وقد ارتبطت أصول هذا التيار بثلاثة دوافع هى:

أولا: التغير الإجتماعى والثقافى خلال الستينات ، فقد تميز عقد الستينات فى الولايات المتحدة الأمريكية بالعديد من الأحداث والتغيرات التى يرى البعض أنه لم يحدث مثلها بهذا الحجم والمدى فى العقود السابقة، وكلها حدثت فى قاع المجتمع الأمريكى: كالشغب وعدم الإستقرار الطلابى والاغتيالات(إغتيال جون كيندى نموذجا)، والحروب (فيتنام ومحاولة غزو كوبا)، وإغتراب الشباب داخل مجتمعه، وبدايات الرفض الراديكالى للعلم والتكنولوجيات الجديدة بكل ما تبعها من مستحدثات.

أدى ذلك كله إلى التوجه إلى مذهب إنسانى جديد، وبحث الشباب الرافض للحياة المادية الطبقية المرفهة عن أسلوب حياة بديل من خلال التأمل والإنغلاق على الذات وحياة الكهوف والخمور والمخدرات، كما شهد هذا العقد بداية ما سمى بالثقافة المضادة التى تنفصل عن المسلمات التقليدية والأعراف والقيم المجتمعية بشكل متطرف والتى نادرا ما ينظر إليها على أنها ثقافة على الإطلاق.

---

(١) محمود علم الدين، مرجع سابق، ص ص ٣٤١ -٣٤٥.

ثانيا: رغبة بعض الكتاب والمحررين فى إكتشاف بديل للصحافة التقليدية مضمونا وشكلا هربا من ضغوطها الإقتصادية والسياسية وروتين العمل اليومى.

ثالثا: المستحدثات التكنولوجية كوسائل الإتصال الإليكترونية وبرامج الحاسبات الإليكترونية ومعداتها، وطابعات الأوفست المتطورة، فقد قضى التليفزيون على العديد من المجلات العامة والمصورة وانتهت الأيام التى كانت الجرائد تنشر فيها الكتب مسلسلة، حتى الشرائط المصورة الهزلية التقليدية كادت أن تختفى، كما غير التليفزيون العادات البرامجية مثلما غير المجلات والجرائد.

وجاء ظهور الطباعة الأوفست المتطورة وإستخدامها بشكل واسع ليكون مؤثرا مهما على الصحافة الجديدة، فقد أصبح ممكنا وبسعر رخيص إنتاج جريدة بدون حاجة إلى إستثمارات ضخمة فى معدات جمع الحروف وطابعاتها، وإستطاع الطابع الفرد إنتاج عشرات الجرائد الصغيرة وأمكن للجريدة البديلة أو السرية أن تطبع بسرعة وبتكاليف محدودة.

كانت لهذا التيار سمات محددة يمكن الإشارة إليها فى الآتى:

أولا: أنه إمتداد لصحافة التنقيب عن الفساد فى القرن العشرين والقرن التاسع عشر وصحافة المنشورات السياسية فى القرن الثامن عشر، وصحافة الخبر المتحيز فى القرن السابع عشر، ويسمح هذا التيار للمحرر ويشجعه على إستخدام مدخل أكثر إبداعا فى تغطيته ويمكنه من اللجوء إلى الأسلوب السردى الروائى ويعطى له وظيفة الملاحظ المنغمس فى الحدث.

ثانيا: أنه يقوم على فكرة ماكلوهان التى تقول أن الشكل يسبق المحتوى وأن الوسيلة هى الرسالة، ومشاركة هذا التيار والإضافة الحقيقية له تكمن فى الأسلوب، فهو يستغل المضمون الصحفى وينشره فى أسلوب روائى يجمع بين الحقيقة الموضوعية للصحافة والحقيقة الذاتية للصحفى أو الكاتب، أو هو رواية تعتمد على أسلوب التقرير وتسعى إلى

حقيقة أضخم خلال جمع الحقائق والأقوال المقتبسة وعرضها بشكل إنطباعى.

ويضم هذا التيارعدة إتجاهات فى المعالجة الصحفية هى:

أولا: إتجاه اللاروواية الجديدة...وتسمى الصحافة معه بالصحافة الموازية، وظهرت على صفحات الصحف من خلال الأعمدة الصحفية ومقالات المعالم وبعض الكتب وعالج محتواها قضايا إجتماعية ومشاعر شخصية وأحداث جماهيرية.

ثانيا: إتجاه الصحافة البديلة...وتسمى الصحافة فيه بصحافة التنقيب عن الفساد أو التغطية الإستقصائية ويركز محتواها على التحقيقات الصحفية التى تكشف الفساد فى بعض مؤسسات الحكومة وتهاجم صحافة المؤسسات.

ثالثا: إتجاه الصحافة المدافعة أو المتحيزة...وترفض هذه الصحافة مبدأ الموضوعية التقليدية وتركز على قضايا الجماهير والسياسات وأساليب التغير الإجتماعى وتتم ممارستها من خلال بعض الأعمدة الصحفية وموضوعات المعالم فى الجرائد والمجلات.

رابعا: إتجاه الصحافة السرية...وتعالج قضاياها من رؤية متطرفة عنيفة رافضة ومختلفة معبرة عن ثقافات مضادة لثقافات المجتمع التقليدية ، وتركزت فى بعض الصحف غير الجماهيرية أو قليلة التوزيع فى المناطق الحضرية وفى الجامعات والمدارس الثانوية.

خامسا: إتجاه الصحافة الشعبية...ويطلق عليه أيضا صحافة الإثارة أو صحافة الفضائح أو الصحافة الصفراء فى مقابل صحافة الصفوة أو الصحافة الوقورة، ويطلق عليها أيضا صحافة إصطياد المشاهير وهى الصحافة التى تسعى إلى إصطياد أخبار وموضوعات عن الشخصيات العامة فى مواقف حرجة أو مواقف فضائحية، وكلها مصطلحات تشير إلى تغليب الجانب المثير الذى يخاطب الغرائز الإنسانية ويتملقها.

سادسا: إتجاه صحافة صور المشاهير الواقعية...وتركز على أخذ لقطات حية للمشاهير فى حياتهم العادية والخاصة، وبدون موافقتهم أو علمهم فى أغلب الأوقات، وقد ظهر

هذا الإسم عام ١٩٦٠ عقب فيلم للمخرج الإيطالى «فيديريكو فيللينى» أظهر فيه مصورا صحفيا اسمه paparazzi ، وقد ساعدت تطورات تقنيات التصوير المصورين المحترفين على التصوير من بعد، وظهرت هذه الصحافة بوضوح مع الصور التى التقطت لمصرع الأميرة ديانا سبنسر ودودى الفايد عام ١٩٩٧، وهناك نوع جديد من ذلك الإتجاه يبرز الآن من خلال إستخدام المواطن العادى لكاميرات التليفون المحمول وإلتقاطه لصور مشاهير ثم نشرها على مدونته أو بيعها لوسائل الإعلام.

وعندما يقرب الباحث بين تيار الإثارة فى مصر وهذا التيار الجديد فى الصحافة الغربية، يشير إلى أن نقطة التلاقى بينهما كانت من خلال عادل حمودة الذى كان خلال فترة ظهور هذا التيار فى الصحافة الغربية يقوم برحلات صحفية إلى الخارج وخاصة أوربا وأمريكا، وقد إختزن ملامح وسمات هذا التيار حتى إتيحت له تنفيذ كل أفكاره خلال تجربته فى روزا اليوسف فى الفترة من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٨ وهى الفترة والتجربة التى شكلت صحافة الإثارة فيما بعد شكلا ومضمونا فى الصحف الحزبية والخاصة والحكومية أيضا

■ ■ ■

الخاتمة

إشكاليات صحافة الإثارة





قبل أن يعرض الباحث لنتائج دراسته على المستويين المعرفى والتطبيقى يجد لزاما عليه أن يطرح الإشكاليات التى اعترضت طريق هذه الدراسة، والتى تمثل فى الوقت نفسه إشكاليات تسير فى أعقاب تيار الإثارة فى الصحافة المصرية حيثما حل أو رحل.

هذه الإشكاليات ورغم أن الباحث حاول جاهدا أن يصل فيها إلى كلمة فصل على الأقل فى ضوء المعطيات المتاحة أمامه، إلا أنها لا تزال بالنسبة له معلقة إلى حد كبير، لا يستطيع أحد أن يقول فيها كلمة قاطعة ، وإلا خرج بذلك عن حدود الموضوعية التى تقتضيها أصول البحث العلمى.

ولعل الباحث ينطلق فى ذلك من قناعته التامة بمراوغة الأشياء ونسبية الأحكام التى تطلق على الظواهر، فما يراه صحيحا يمكن أن يراه غيره على العكس من ذلك تماما، وقد تبدى هذا واضحا إلى حدود بعيدة فى محاولة إستجلاء الإثارة الصحفية، التى حامت حولها توصيفات عديدة منها أنها:

ظاهرة...

تيار...

مدرسة...

منهج...

مزاج مهنى....

أسلوب...

معالجة فنية لمادة صحفية تتناولها الصحف بشكل تقليدى وإعتيادى، لكن يصادفها القارئ على صفحات صحف الإثارة وقد إكتست ثوبا براقا مبهرا جذابا يجعل القارئ ينصرف إليها ليس برغبته فقط، ولكن فى حالات كثيرة رغما عنه.

ومن الملاحظة المهنية والقناعة الشخصية يؤثر الباحث أن يعرض أولا إشكاليات دراسته، وهى الإشكاليات التى يمكن أن تكون فى النهاية آفاقا لدراسات أخرى تتوفر لها

معطيات مختلفة لم تتح للباحث، ولحظتها يمكن أن تتبلور حقائق لم تكن متبلورة، وتتكون أحكام لم تكن قد تكونت، وتثبت أفكار لم تكن قد ثبتت بعد.

■ ■ ■

إشكاليات على هامش صحافة الإثارة

على هامش الدراسة بحدودها المكانية والزمانية والموضوعية غالبت الباحث مجموعة من الإشكاليات التى تداخل فيها المهنى بالسياسى، والهدف والرسالة بالتمويل، والشخصى بالموضوعى، وكلها تعبر فى النهاية عن أزمة تتعلق بالحالة الإحترافية فى الصحافة المصرية، كما لا يستطيع الباحث أن يتجاهل الفلسفة العامة التى تحكم عمل الصحافة فى مصر، وهى فلسفة صاغتها البدايات الأولى لهذه الصحافة، حيث لم تصدر عن إحتياج مجتمعى، ولكن لأهداف محددة لدى السلطة الحاكمة.

بما يعنى أنها كانت وظلت وستظل أداة فى يد من يملكها، سواء كان هذا المالك هو السلطة أو الأحزاب أو الشركات الخاصة المساهمة أو حتى الأفراد، فهم يحققون أهدافهم حتى لو تصادمت مع إحتياجات المجتمع وأولوياته والهدف الأساسى من الصحافة وهو حق المجتمع فى المعرفة.

وفى ظلال عدم الإحترافية وفلسفة العمل الصحفى يمكن أن تتبلور أمامنا هذه الإشكاليات:

■ أولا: العلاقة بين السلطة الحاكمة وصحافة الإثارة.

تحكم العلاقة بين الصحافة - أى صحافة - والسلطة الحاكمة - أى سلطة - نمط خاص من العلاقة، فكل منهما يريد السيطرة على الآخر وأن تكون له الكلمة الأخيرة، فالصحافة تريد أن تلعب دور الموجه والمرشد للسلطة بحيث تكون لها الكلمة العليا عليها، والسلطة تريد أن تكون الصحافة فى النهاية أداة طيعة فى يديها لا تخرج عن عتباتها، تنشر أخبارها، وتبرر قرارتها، وتعمل على تطويع الرأى العام لقيادها دون عناء.

ومن التزيد أن يذهب الباحث إلى أن السلطة فى مصر قبل الثورة دخلت فى علاقة

مؤسسية من أى نوع مع صحافة الإثارة، لكن حدث هذا مع السلطة بعد الثورة، حيث تم التعامل معها كإحدى وسائل الحكم التى إختار الجيش أن يسيطر من خلالها، ولعل إغلاق الثورة لعدد من الصحف فى شهورها الأولى بحجة أنها صحف إثارة، كان تمهيدا إلى أن الثورة لن تسمح لصحف الإثارة أن تعمل، إلا إذا كانت هذه الإثارة ستصب فى النهاية فى مصلحتها، وتدعيم أركان حكمها.

إن الصحف المصرية التى عزفت لحنا واحد تعبويا لمصلحة الثورة فى عهد عبد الناصر، لا يمكن إستبعادها من طابور صحف الإثارة، لسبب بسيط أنها فعلت ذلك بتضخيم الإنجازات والتهوين من الإخفاقات، بل إنها كانت تمارس لونا من الإلحاح على أفكار معينة بهدف أن يعتنقها القراء، ومن يشذ عن هذه القاعدة كان يخرج بعيدا عن الحسبة المهنية والسياسية على السواء، حيث أنهما كانتا متعانقتان لا يفصل بينهما شئ.

وما يؤكد أن الحاكم لا يطيق صحافة الإثارة إلا إذا كانت تعمل لصالحه، ما فعله الرئيس السادات، فقد أفسح المجال أمام الصحافة الحزبية، والتى يمكن إعتبارها إحياءا لصحافة الإثارة السياسية التى ظهرت فى أواخر عصر الخديوى إسماعيل، فقد وقف السادات بقوة وراء إصدارها، كان يريد أن يبدو حاكما ديمقراطيا، كما أر د الخديو إسماعيل من قبله أن تصبح مصر قطعة من أوربا.

ولذلك منح الحرية لإصدار الصحف التى تعارض الحكومة، لكن عندما إنحرفت هذه الصحف عما يريده الحاكم فى الحالتين(إسماعيل – السادات)، فإن الصحافة تعرضت للتنكيل والمصادرة والإغلاق والإتهام فى كل مرة بأنها صحافة إثارة.

لكن الإشكالية الحقيقية التى تربط بين السلطة والصحافة تظهر للباحث وتتجلى فى فترة الرئيس مبارك، وتحديدا منذ العام ١٩٩٦، أى بعد ظهور الصحف الخاصة وتوحش الصحف الصادرة بتراخيص من الخارج، كان من بين هذه الصحف تجارب جادة على المستوى المهنى ومستوى الدور والرسالة التى تضطلع بها، وبلغت فى معارضتها

للحكومة وللنظام الحاكم مدى بعيدا.

كان لابد من آلية للحد من توغل هذه الصحف الجادة، والتى يمكن إعتبارها مثيرة لأهمية القضايا التى تطرحها، وظهرت هنا حيلة السماح لصحف صادرة بتراخيص من الخارج ولبعض الصحف الخاصة أن تصل فى معالجاتها المثيرة حدا لا يستطيع أن يتحمله أحد ولا حتى الصحافة نفسها، ولا يستطيع الباحث أن يقول أن هذه الصحف تعمل بتوجيهات مباشرة وإن كان لا يستبعد ذلك، لكن على الأقل فإن النظام يغض الطرف عن ممارسات وتجاوزات تقع فيها هذه الصحف، توقعها تحت طائلة القانون.

تظل المخالفات تتراكم حتى إذا ما أراد النظام أن يأخذ إجراء ما ضد الصحف أو يشرع قانونا يحد من حريتها أو يضيق عليها، سلط الضوء على هذه الصحف وما تفعله، ونسب ممارساتها إلى الصحف جميعا دون أن يمارس حالة من الفرز يعرف من خلالها من يقع فى الخطأ ومن يتجنبه، ومن خلال ذلك يستخدم النظام صحف الإثارة فى ضرب الصحافة الجادة بعد أن يكون قد ساوى بينهما بالطبع.

وهنا تكمن الإشكالية فهذه الحيلة التى يتبعها النظام يتم إستنتاجها من ممارساته ولا يوجد دليل عليها، لأنه فى مصادرته وإغلاقه للصحف يكون لديه المبرر الذى يرتكن إليه، ويمكن أن يكون هذا المبرر غير مقنع لكنه بالنسبة له كاف جدا ليواصل ممارساته ضد الصحف.

وإذا تمت مواجهة القائمين على النظام بأنهم يفعلون ذلك يتبرأون على الفور مما يتهمون به، ويدللون بخطابهم الرسمى المعلن الذى يشير إلى أنهم مع حرية الرأى والتعبير، وحرية الصحافة فى النقد، رغم أن شئيا من ذلك لا يحدث على أرض الواقع.

وهنا يمكن أن يتبلور لدينا السؤال الملغز والذى يمثل ذروة الإشكالية، فهل الصحافة هى التى تدفع النظام من خلال ممارساتها المثيرة والمبالغ فيها إلى حصارها والتضييق عليها، أم أن النظام هو الذى يدفع بالصحافة إلى طريق الإثارة حيث يمهده لها، وذلك

تمهيدا إلى إدانتها بما سهله لها حتى تسهل له السيطرة عليها؟

■ ثانيا: المواءمة مع الواقع المجتمعى المصاحب للظاهرة

تتداخل عوامل عديدة فى صياغة صحافة الإثارة، السلطة الحاكمة عامل منها، وإلى جوارها يأتى رأس المال الذى يتحكم هو الآخر فى صياغة توجهات الصحف بل ويجعلها صدى لما يقوله أو يريد أن يصل به إلى الرأى العام، هناك المجتمع بنمط ثقافته التى تفرض على الصحف ألا تتطرق إلى قضايا بعينها، لأنها لا تتفق مع عادات وتقاليد وقيم وأعراف المجتمع من ناحية ومن ناحية ثانية فإن إثارتها لهذه القضايا يمكن أن تثير الفتن التى تؤثر على إستقرار المجتمع وأمنه.

ولأن صحافة الإثارة فى الأساس تقوم على الإشتباك مع القوى العاملة فى المجتمع، سواء كانت هذه القوى سياسية أو إقتصادية رأسمالية، أودينية أو ثقافية، فإنها تدخل طوال الوقت فى معارك حادة مع هذه القوى.

ولأن الصحافة لا يكون لها اليد الطولى فى هذه المعارك، فهى بحكم ملكيتها تابعة لصاحب رأس المال، فإنها فى معاركها تلجأ إلى ما يمكن أن نطلق عليه آلية المواءمة، وهى التى تغض الصحافة الطرف خلالها عن قضايا أو مشكلات أو إنحرافات معينة حتى لا تخسر مصادر تمويلها.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

– تحاول صحف الإثارة ذات الملكية الخاصة أن تظهر كصحافة معارضة حتى تجذب إليها مزيدا من القراء، لكنها لا تستطيع أن تصل بمعارضتها إلى رأس النظام فى مصر، فتكتفى بأن تجعل سقفها الحكومة والوزراء والمسئولين التنفيذيين، فهى بذلك تحقق الهدفين تبدو معارضة، وفى الوقت نفسه لا تغضب النظام، لأنها إذا أغضبت النظام يمكن أن تتعرض لخطر الإغلاق أو التضييق عليها إعلانيا من قبل الشركات الحكومية التى تمنحها الإعلانات.

- تبنى صحف الإثارة فى مصر شرعيتها على أنها تحارب فساد رجال الأعمال وتكشف مخططهم التخريبى فى مصر، لكن يلاحظ أن هناك مواءمة تقوم بها كل جريدة على حدة، فكل جريدة يقف وراءها رجال أعمال بعينهم هؤلاء لا تقترب منهم الجريدة حتى لو كانوا يفعلون ما يفعله الآخرون الذين تهاجمهم أوتأخذه عليهم، وقد يكون تبنى كل جريدة لموقف عدد معين من رجال الأعمال هو السبب المباشر فى المعارك التى تنشب بين الصحف وبعضها البعض تصفية للحسابات بين رجال الأعمال.

- تحاول صحف الإثارة فى مصر رغم جرأتها أن تتجنب ما يفض الجماهير عنها، ولذلك فإنها عندما تخوض فى المقدسات التى إرتضاها المجتمع لنفسه، وتجد أن هناك هجوما عليها يمكن أن يجعلها تفقد جمهورها فإنها تلجأ إلى آلية التراجع، ولا ترى أمامها سبيلا إلا الإعتذار، فتضمن بذلك قراءها الغاضبين، أما قراءها الذين لا يعجبهم الإعتذار، فهى تعتمد على فهمهم لدوافع هذا الإعتذار وتقديرهم لها.

تعلو قيمة المواءمة لدى صناع صحف الإثارة، لأنها تعتبر آلية ناجحة فى الحفاظ على هذه الصحف، وبقاءها دون أن تتعرض للإغلاق إذا ما خاضت فى مقدس سياسى، أو إنصراف الجمهور عنها إذا ما تعرضت لمقدس دينى أو إجتماعى، لكن تبقى المواءمة تمثل إشكالية تتعلق بمصداقية هذه الصحف وقدرتها على التأثير، فجمهورها الذى يراها تتراجع وتعتذر المرة تلو الأخرى، يرسخ فى يقينه أنها صحف ليست جادة وتعمل من أجل نفسها وبقاءها أكثر من عملها من أجل قراءها.

■ ثالثا: القتل بالوكالة عن الآخرين

وهى إشكالية تتعلق بملكية الصحف، ولأن نمط الإثارة فى الأساس يتمكن من الصحف الخاصة التى يملكها أفراد أو التى تملكها شركات، فإنها تعمل بالأساس للدفاع عن نفسها وعن مصالحها، ثم فى مرحلة لاحقة فإنها تعمل من أجل تحقيق مصالح من يقومون بتمويلها من رجال الأعمال.

ولأن الصراعات بين رجال الأعمال بالأساس تكون لا أخلاقية تعتمد على الضرب تحت الحزام، وإطلاق الشائعات وتلفيق الإتهامات، فإن صحف الإثارة تجد نفسها متورطة فى هذه المعارك، وأصبح رجال الأعمال يستغنون بها عن البلطجية أو المجرمين الذين ينفذون لهم عملياتهم، حيث تقوم الصحافة بدور كبير فى تصفية الخصوم وتشويه صورتهم.

لكن المفزع فى الأمر أن هذه الإشكالية لا تتوقف عند صحف الإثارة الخاصة، بل إنها تنسحب إلى الصحف الحكومية التى تجد نفسها متورطة فى الدفاع عن الحكومة وعن سياستها سواء كان ذلك بالحق أو بالباطل، وفى هذا الإطار لا تتردد عن تصفية خصوم السلطة وتشويه صورتهم.

فى هذا السياق تتحول الصحف إلى جيوش من الإنكشارية التى يتم إستئجارها من أجل القيام بعمليات معينة يتم الإستغناء عنهم بعدها، حيث لا يكون لهم أى دور يقومون به، وخطورة هذا الأمر أنه عندما ينكشف هذا الدور الذى تقوم به صحف الإثارة الخاصة أو الحكومية فإنها تفقد مصداقيتها وقدرتها على التأثير.

■ رابعا: سطوة التحرير الإعلانى على المعالجات الإثارية

ظلت الصحف المصرية تشكو من سيطرة الإعلان على التحرير، وكان المقصود بهذه السطوة أن الإعلان يحتل مساحات أكبر من المحددة له قانونا وهى ٤٠٪ من مساحة الجريدة على أكثر تقدير، لكن سطوة الإعلانات وصلت إلى أشكال مختلفة كان أكثرها خطورة هو الإعلان التحريرى، حيث تنشر المادة الإعلانية فى شكل مادة تحريرية دون أن يتم تمييزها بأى من وسائل التمييز كوضع إطار حولها أو الإشارة إليها على أنها إعلان صريح أو على الأقل موضوع تسجيلى.

لكن صحافة الإثارة تجاوزت هذا الحد وذهبت إلى شكل جديد لا تخلط فيه التحرير بالإعلان فقط، ولكن ما يمكن أن يطلق عليه الباحث «التحرير الإعلانى»، وهو شكل

تحريرى لا يمكن التعرف عليه بسهولة أو ضبطه ضمن الفئات التى يتضمنها تقرير الممارسة المهنية الذى يصدره المجلس الأعلى للصحافة، لأنه يصاغ ضمن حملات صحفية تدعى الصحف أنها تشنها ضد فساد رجل أعمال ما أو شركة إستثمارية، وتكون الحملة بالمستندات بما يوحى للقارئ أن هذه الحملات مهنية بحتة هدفها مصلحة القارئ والدفاع عن حقوقه، رغم أنها تكون مدفوعة الأجر مقدما، حيث تنشر لمصلحة المنافسين، ولا تدخل عوائدها المالية إلى الجريدة مباشرة، بل تدخل إلى المسئولين عن التحرير الذين يحررون هذه الحملات.

ووجه الإشكالية أنه لا توجد آليات معينة لضبط هذا الفساد فى المعالجة لأنها فى الغالب لا توجد مستندات أو وثائق تدل عليه أو تؤكده.

■ خامسا: مصادر التمويل السرية وآليات الإبتزاز

الحملات المدفوعة مقدما تضع يد الباحث على إشكالية أخرى وهى تمويل صحف الإثارة، فهناك تصريحات معلنة وميزانيات تنشر بإستمرار لهذه الصحف ، لكن لا يمكن لمن يقترب من كواليس إصدار هذه الصحف أن يقر بما يعلن من تصريحات أو ما ينشر من ميزانيات.

فهناك دائما مصادر تمويل غامضة وغير معلنة ولا تقيد فى الدفاتر الرسمية وهذه لا يمكن لأحد أن يضبطها، وقد تكون من بين هذه المصادر الإبتزاز، فقد لا يستجيب رجل أعمال لما تطلبه صحف الإثارة منه من إعلانات فلا يكون أمامها إلا أن تشن عليه حملات مكثفة وليس مهما فى هذه الحملات أن تكون بالحق أو بالباطل، ورغم مراوغة أساليب الإبتزاز، خاصة أنها تمارس فى الغالب مع رجال أعمال فاسدين يصمتون على ممارسات هذه الصحف، لأنهم يعرفون بداءة أنهم لن يفضحوا صحف الإبتزاز فقط ولكنهم سيفضحون أنفسهم أيضا.

إن هناك قناعة لدى العاملين بالصحافة أن أخطر ما تعانى منه الصحافة المصرية هو

الإبتزاز، لأنها بذلك تتخلى عن دورها ورسالتها وتصبح مرادفا لمهن اللصوصية والنصب وسرقة أموال الناس، ولأن الصحف تمتلك من الآليات ما يجعلها تمارس إبتزازها سواء كان معلنا أو خفيا من خلال طرق من الصعب الإمساك بها فإن الخطر يتزايد على المهنة التى خرجت من أجل الدفاع عن الجماهير فإذا هى تضع يدها فى جيوبهم لتخرج أموالهم ولو عنوة.

■ سادسا: العلاقية الجدلية مع الواقع ..وأيهما أكثر إثارة

وهى إشكالية عصية على الحسم من أكثر من زاوية، ويتعلق بها سؤال مهم وهو:

أيها أكثر إثارة؟

الواقع الذى تعمل فيه صحافة الإثارة المصرية هو المثير بطبعه ووقائع حادثاته، وبالتالى فإن الإثارة التى تقدمها الصحافة لا تكون سوى إنعكاسا لما يدور فى المجتمع؟

أم أن أحداث المجتمع عادية ومعتادة ومكررة لكن الصحافة عبر معالجاتها الفنية هى التى تطبع أحداث المجتمع وتعيد صياغتها مرة ثانية، وتنتجها فى شكل أكثر إثارة يقبل عليه الجمهور مما يؤدى إلى ريادة التوزيع؟

واقع الأمر يشى بأنه لا يمكن حسم هذا الخلاف، فهناك من الأحداث والوقائع التى يشهدها المجتمع تكون كافية فى حد ذاتها لإثارة الخيال وجذب الإنتباه، ولا تحتاج لمن يشعل النار فيها، فهى وحدها كافية لتصنع معالجة مثيرة، يعجز الصحفى فى أضخم حالات خياله أن يأتى بمثلها، لكن هذا لا يعنى أن كل الوقائع التى تعثر عليها الصحف مثيرة فى حد ذاتها، فالأحداث الضخمة يمكن أن تكون مجرد إستثناء لا يمكن القياس عليها، فالغالبية العظمى من الأحداث تكون عابرة ولا يتوقف عندها أحد.

ولأن الصحف لابد أن تكون جاذبة وقادرة على لفت الإنتباه فإنها تضفى من روح الإثارة على الأحداث العادية فتجعل منها أحداثا جديرة بالمتابعة والقراءة، وحتى يتحقق لها ذلك فإنها تقع فى أخطاء مهنية فادحة.

منها على سبيل المثال العنوان المضلل الذى يقدم للقارئ ما لا يكن موجودا فى متن موضوعه، وهى حالة من التضليل تقوم بها صحافة الإثارة حتى تضمن إقبال الجمهور عليها بصرف النظر عن موقف القارئ من هذا التضليل عندما يكتشفه، فهناك دائما قارئ لديه الإستعداد لمن يضلله.

الخطأ الثانى هو الفبركة وهى آلية تلجأ إليها الصحف عندما لا يكون لديها ما تقدمه للقارئ المنتظر ، والذى يتلهف على كل ما هو جديد ومثير، والمجال الخصب للفبركة هو الحوادث، حيث تقوم الصحف بصياغة حوادث كاملة لا ظل لها من الواقع، وعندما تضيق الحوادث بالفبركة فإن هذه الصحف تلجأ إلى الأخبار المجهلة التى تصيغها بالشكل الذى تريده، دون أن تتعرض لعبء تكذيبها، لأنها تكون عائمة وهائمة ولا أساس لها أحيانا كثيرة من الصحة.

وتضرب هذه الإشكالية صحافة الإثارة فى مقتل حيث تؤثر على مصداقيتها ، لكنها تلجأ إليها دائما لتحافظ على منسوب الإثارة فيها، وتتغلب من خلالها على حالة التضييق المعلوماتى التى تعانيها الصحافة المصرية وخاصة الحزبية والخاصة منها.

■ سابعا: ثنائية الخاص والمستقل فى صحافة الإثارة

يحلو لصحف الإثارة فى مصر أن تطلق على نفسها أنها صحف مستقلة، وهو خلط يبدو متعمدا، وذلك حتى تبدو أمام القارئ أنها لا تحمل أية إنحيازات إلا له، ولا تعمل إلا لمصالحه، فهى مستقلة عن القوى العاملة والمؤثرة فى المجتمع، وهى القوى التى تتوزع على جانبين، الأول سياسى ويسعى إلى إخضاع القارئ للسلطة القائمة، والثانى إقتصادى ويسعى إلى جعل الصحافة تبيع القارئ للمعلن بدلا من أن تبيع الأخبار للقارئ.

لا توجد صحافة مستقلة حتى لو أعلنت هى ذلك، فصحف الإثارة فى غالبها صحف خاصة وهو تمييز لها بمعيار الملكية للتفريق بينها وبين الصحف الحكومية التى يمكلها مجلس الشورى نيابة عن الحكومة، والصحف الحزبية التى تملكها الأحزاب، ولا تعنى الخصوصية

إستقلالا فى المضمون الذى تقدمه الصحف الخاصة، لأن الإستقلال يجعل هذه الصحف نفسها تدخل إلى مساحة أسطورية أخرى فى العمل الإعلامى والصحفى وهى مساحة الحياد والموضوعية، حيث لا يوجد فى المعالجات التى تقدمها الصحف الخاصة والصحف المثيرة ما يمكن أن نعتبره محايدا أو موصوعيا، وإن كانت هذه الصحف تجتهد فى إتباع آليات تحريرية وفنية لتظهر فى النهاية على أنها محايدة أو موضوعية.

إن الإشكالية تكمن بالأساس فى نمط ملكية هذه الصحف، فى ظل مناخ صحفى لا يمكن أن تعتمد فيه الصحف مهما بلغ رقم توزيعها على العائد من التوزيع فى تمويلها والإنفاق عليها، ولذلك فإن سقوطها فى فخ التبعية لرجال الأعمال يصبح سهلا إن لم يكن منطقيا، لكن تستطيع الصحف أن تنكر التبعية لرجال الأعمال لأنه لا توجد أى صيغة رسمية تربط بين الجريدة ومن تسير فى ركابهم من أصحاب المال، فالعلاقة فى الغالب تكون من تحت المائدة، فلا شئ يتم فى العلن، وإذا كان رجال الأعمال يسعون إلى إستئجار الصحف أو الخضوع لها بعد تعرضهم إلى حملات الإبتزاز التى تجيدها صحف الإثارة، فإن الحكومة لا تجد مشكلة فى إخضاع هذه الصحف حيث أنها تملك من الأدوات القانونية ما تستطيع أن تجبرها به على أن تعمل تبعا للأجندة التى يريدها النظام السياسى.

■ ثامنا: السياق المجتمعى الذى تعمل فيه صحف الإثارة

تعانى صحف الإثارة من السياق المجتمعى العام الذى تصدر فيه فى مصر، فهى صحافة ملعونة فى العلن، لكن الذين يلعنونها فى العلن هم الذين يقبلون عيبها فى السر، فهى من وجهة نظر قراءها لا يجب أن تدخل بيوتهم، لكن يمكن قراءتها خارجها.

إن هناك سدا منيعا من لعادات والتقاليد التى تحول دون أن تكون صحافة مقبولة على المستوى العام، ووصل الأمر إلى مطاردة هذه الصحف بالفتاوى الدينية، حيث صدرت فتاوى عديدة تحرم قراءة هذه الصحف، وتجعل من يشتريها آثم قلبه وملعون ويرتكب جرما فى حق الإسلام، ليس لأن هذه الصحف تكتب ما يغضب رجال الدين أو ما يسيئ

إليهم، ولكن لأنها صحف تنشر الرذيلة وتحض عليها.

إن هناك شعورا بالإغتراب تعانى منه هذه الصحف، فهى تتصدى لقضايا مختلف فئات المجتمع، تطالب بحقوق الأطباء والمحامين والمهندسين والأساتذة وأساتذة الجامعة، لكن عندما تقف هذه الصحف موقف المتهم تجد نفسها تحارب فى الخندق بمفردها، لا تجد من يدافع عنها، أو يقول فى حقها كلمة حسنة، وهو ما يؤكد أن هناك حالة عداء كاملة تعانى منها صحافة الإثارة تجعلها عرضة للخطر فى أى وقت، فلا ظهر يحميها، ولا محامى يدافع عنها.

ويقتضى التعرض للسياق المجتمعى الذى تعمل فيه صحافة الإثارة أن نتعرض لما يطلق عليه التابو أو المقدس، وهو ليس مقدسا دينيا ولا إجتماعيا فقط، فقد عمل أصحاب النفوذ المالى والثقافى والدينى أن يجعلوا أنفسهم فى مرتبة التابو أو المقدس.

فإذا كتبت صحف الإثارة عن إنحرافات رجل دين معين اعتبر هجومها إعتداء على الإسلام ، وإذا نشرت هذه الصحف ملفات فساد رجل أعمال موثقة بالمستندات والوثائق، اعتبر هذا النشر حربا على الإقتصاد الوطنى وجعل المستثمرين يهربون من مصر، وإذا قدمت هذه الصحف نقدا سياسيا يرتكن على وجهة نظر ورؤية واضحة قيل أن هذه المعالجات تمثل إساءة لسمعة مصر وإزدراء للرموز الوطنية.

وأغلب الظن لدى الباحث أن هذه الإشكالية المجتمعية مصدرها إختلال المعايير وسقوط الحواجز فى مجتمع يعجز عن الفصل بين المصطلحات التى يرددها كل يوم ولا فرق كبير فى ذلك بين صفوته وعامته...فالكل سواء.

■ تاسعا: الخلط بين الشخصى والموضوعى فى معالجات صحف الإثارة

وهى إشكالية ترتبط إلى حد كبير بنمط ملكية هذه الصحف، فهى فى النهاية يملكها أشخاص، وإذا أردنا أن نوسع دائرة النظر إلى ملكيتها سنجد أنها تنتمى إلى الأحزاب، والأحزاب فى النهاية من خلال التجربة المصرية تميل إلى التعبير عن شخصية رئيس

الحزب، وفى لحظة معينة يمكن أن تتم شخصنة هذه الصحف، بحيث تصب معالجاتها فى مصلحة مالكها أو رئيس تحريرها.

وقد يرتبط هذا بسمة من سمات صحافة الإثارة وهى الغرور، حيث تعتبر نفسها محور العالم، الأحداث تتحرك بها ولها، وهى سمة تنتقل إلى المسئولين عن هذه الصحف ورؤساء تحريرها، ويبدو هذا واضحا عندما تتعرض هذه الصحف أو المحررين فيها لخطر قضايا السب والقذف أو إهانة المؤسسات وهى التهمة التى بموجبها يمكن أن يتم حبس الصحفيين، حيث تتحول هذه القضايا إلى قضايا قومية، وقد تكون الصحيفة قد إرتكبت خطأ مهنيا بالفعل، لكنها مع ذلك تصر على أنها على صواب وأن خصومها على خطأ مطلق.

تصبح معارك هذه الصحف فى لحظة معينة معارك شخصية تخدم على المصالح الشخصية لأصحابها، وتضيع مساحات كبيرة من هذه الصحف فى الدفاع عن أصحابها، وهى الحالة التى يتم معها إهدار حق القارئ فى المعرفة ومناقشة قضاياه وخدمة أهدافه.

إن صحف الإثارة تعلى من شأن محرريها أكثر من اللازم، وبها يتنافى أحيانا مع التقاليد المهنية الراسخة، فالمحررون فيها نجوم تتمحور حولهم الأحداث، حيث تنصرف المعالجات المهنية إلى الرؤى الشخصية البحتة التى تضيع معها الرؤية الموضوعية الواعية للأحداث والوقائع والقضايا العامة التى تشغل المجتمع.

■ عاشرا: الأحكام الأخلاقية المطلقة فى مواجهة المعالجات المهنية

تتعامل صحافة الإثارة مع قارئ ينتمى إلى ثقافة مجتمعية تقوم فى الأساس على التصنيف، وهو ما يجعل هناك حالة من الفرز، فالصحف لابد أن تكون مثل البشر، أبيض وأسود، خير وشر.

وتصدر فى هذا السياق أحكام قاطعة فى مواجهة الصحف، وهى أحكام تصنع صورة

ذهنية تلتصق بها دون أن تجد أدنى مفر من التخلص منها.

فقد يكون نشر الصور العارية ليس إلا بعضا من كل تقوم به صحف الإثارة ، لكن تختصر تجربتها كلها فى أنها صحيفة عارية أو تنشر الصور التى لا تليق ولا تتناسب مع المجتمع، وهو ما يجعل المعالجات الجادة التى تقدمها هذه الصحيفة ذاتها فى مهب الريح، وهو ما ينطبق تحديدا على تجربة مجلة «روزاليوسف» فى التسعينات، عندما كان عادل حمودة يتولى مسئولية تحريرها، كانت المجلة تقدم عملا صحفيا متكاملا فتحت من خلاله كل الملفات السياسية والدينية والإقتصادية وقدمت الإثارة الصحفية من خلال الثلاثية الشهيرة..السياسة والدين والجنس، لكن ضاعت على المجلة حملاتها السياسية والتنويرية ووقوفها فى مواجهة المد الأصولى المتطرف، وأصبحت صدى فقط لإتهام بأنها هى التى أدخلت الصحافة الجنسية فى مصر، ونشرت الصور العارية على الغلاف.

لا ينكر الباحث أن لهذا الإتهام ظل من الواقع، لكن ليس من العلمى ولا المنطقى أن يتم إختصار التجربة كلها فى عنصر واحد من عناصرها، وهو ما يمثل المعاناة، فالمجتمع لا يتعامل مع صحافة الإثارة بالمعايير المهنية التى يمكن من خلالها فهم دوافع ووسائل عمل هذه الصحف، لكن المجتمع يكتفى بالتعامل مع هذه الصحف بمعاييره هو، وهى فى النهاية معايير أخلاقية، تضع نصب عينيها الحلال والحرام... والعيب واللائق، وما يجب ومالا يجب، وهى تتعامل مع مهنة المفروض فيها أن تسلك كل السبل من أجل أن تكشف الحقائق لقارئ ينتظرها.

وإذا كانت هذه الإشكالية تفرض نفسها على تعاطى المجتمع لصحافة الإثارة، فإنها نفسها تبدت وبعمق لدى الباحثين الذى تصدوا لدراسة بعض جوانب من تيار الإثارة، حيث دخلوا إلى الدراسة بمداخل أخلاقية، وليس بمداخل مهنية، ولذلك كان من السهل أن نجد إدانة لهذا النمط الصحفى أكثر مما نجد تحليلا علميا لما تقدمه هذه الصحف أو تفسيرا منطقيا لمعالجاتها التى تقدمها للقضايا التى تعرضها لقراءها.

■ حادى عشر: الوعى المجتمعى لدى القائمين بالإتصال فى صحف الإثارة

وهى إشكالية تمثل خطرا على المجتمع من ممارسات القائمين بالإتصال فى صحف الإثارة، إن هناك جانبان فى صحافة الإثارة فى مصر..

الجانب الأول : يمكن أن نعتبره تنويرى يسعى من خلال المعالجات التى يقدمها أن يكشف الزيف الذى يعيشه المجتمع بمستوياته المختلفة السياسية والإجتماعية والثقافية، ويكون الوعى المجتمعى لدى القائمين بالإتصال فى هذا النمط عالية، فهم يرصدون ما يحتاجه مجتمعهم فيعملون على ترقيته قبل تقديمه للقراء، يرصدون المشكلات الحقيقية التى يعانى منها ويحاولون تقديم الحلول التى تناسب مع السياق العام للمجتمع دون أن يتعرض لصدمات أو هزات عنيفة، ولا يمنعهم ذلك من التصدى بعنف لهذه المشكلات على أساس أن المعالجات الهادئة لا يلتفت ولا يهتم بها أحد.

الجانب الثانى : ويمكن أن نعتبره رجعى إلى حد بعيد، وترتبط رجعيته بأحكامه الأخلاقية، وإدعاءه حتى لو كان بالباطل حرصه على تقاليد وعادات وأعراف المجتمع، وهو إتجاه يسعى أصحابه إلى إبقاء الأوضاع على ما هى عليه دون تغيير، وهى صيغة تسمح للخرافة والفكر الغيبى من التمكن فى المجتمع.

الإشكالية بالطبع فى الإتجاه الثانى الذى يعارض بدوره أى قوانين تنصف المرأة أو تعطيها حقوقها، كما أنه يقف كسد منيع فى وجه الأفكار الجديدة والمبتكرة التى تجعل المجتمع أكثر رقيا وتحضرا ومدنية، وتتم معالجة هذه المعارضة بآليات أكثر إثارة، حيث يكون فيها إستنفار للمجتمع ليرفض هذه القوانين، فأى أفكار أو قوانين جديدة يعكف المشرع على إعدادها يرمى من وراءها إلى إصلاح إجتماعى تلقى معارضة شديدة تصل إلى حد التحريض على هذه القوانين، وهو الإتجاه نفسه الذى يقف حائلا تجاه أى محاولات لنقد التراث الدينى والتاريخى والثقافى والسياسى وإعتبار ذلك كفرا وخيانة أو خروجا

على الوطنية أو دعما للفتنة الطائفية.

وقد يكون السبب فى تدنى مستوى وعى معظم من يعملون فى صحف الإثارة أنهم قدموا إليها من خلفيات ليست إعلامية، فهم يتعاملون معها كمهنة فقط لا رسالة لها أو دور حقيقى فى تغيير المجتمع وترقيته وجعله أكثر تحضرا، إن هؤلاء يعملون من أجل توزيع صحفهم فقط، ولا يرهقون أنفسهم طالما أن سلعتهم يقبل عليها القارئ وهى بحالتها تلك، فلماذا يجهدون أنفسهم فى البحث عن صيغ تنويرية.

ولا يستطيع الباحث أن يستبعد الحالة المزاجية التى تقف وراء إنتاج صحافة الإثارة، وهى الحالة التى تدفع العاملين فيها من المحررين وجامعى الأخبار ومحررى الحوادث إلى البحث عن الحوادث والوقائع المثيرة أولا ثم وأثناء إعدادها وتحريرها يبرزون عناصر وجوانب الإثارة فيها، وهى آلية يتم بها العمل بشكل أساسى فى صحف الإثارة، تجعل هذه الصحف لا تتواصل مع المشاكل الحقيقية التى يعانى منها المجتمع وتشكل أولوياته، فصحف الإثارة لها أولوياتها التى لا تتخلى عنها حتى لو اختلفت عن أولويات المجتمع.

■ ثانى عشر: تدنى الإحترافية المهنية فى صحف الإثارة

يرتبط بالإشكالية السابقة وهى تدنى مستوى الوعى الإجتماعى لدى صحفيى صحف الإثارة، إشكالية أخرى أكثر خطورة وأهمية وهى تدنى الإحترافية فى هذه الصحف، فالصحفى المحترف هو الذى يستطيع أن يحصل على المعلومة الصحيحة والدقيقة، ويجيد صياغتها بالشكل الذى يتناسب مع حجمها، ويستطيع القارئ من خلال هذه الصياغة أن يفهم ما يريده منه الصحفى أو ما يريده له.

لكن فى صحف الإثارة عادة ما تنشر المعلومات دون التحرى أن تكون صحيحة أو دقيقة، ولذلك تكثر فيها الإعتذارات والتصويبات والتصحيحات، للدرجة التى تخصص معها هذه الصحف ركنا خاصا وثابتا بها للردود والتصويبات، وإذا كان هذا الركن يعكس مصداقية الصحيفة فهى لا تصر على الخطأ بل تنشر ما يصلها من ردود، وذلك كما

يقول أصحابها ، لكن من وجهة نظر أخرى فهذه المساحة تعكس كم الأخطاء المعلوماتية التى تقع فيها هذه الصحف.

قد ترجع عدم دقة المعلومات إلى حالة الحصار التى تفرضها السلطة على مصادر المعلومات التى يمكن أن يستقى منها الصحفيون أخبارهم، ولا تخفى السلطة هذا الحصار فهى لا تجعله بشكل عرفى، بل بشكل معلن ومن خلال إعلانات واضحة فى المؤسسات والوزارات بمنع صحفيى صحف الأحزاب والصحف الخاصة من مجرد الدخول إلى هذه المؤسسات أو الوزارات، وهو ما يجعل الصحفيين يلجأون إلى وسائل أخرى عبر قنوات غير رسمية للحصول على المعلومات أو الأخبار، وهذه القنوات الأخرى فى الغالب يكون فى نفسها غرض، فهى تسرب جانبا واحد من المعلومة وتحجب الجانب الآخر، لأن لها مصلحة ما تسعى إلى تحقيقها، ولذلك ظهرت فكرة«الورقة المفقودة»فى مطبخ صحف الإثارة.

والمقصود بالورقة المفقودة ٬والناقصة أن صحف الإثارة فى الغالب تكون قبلة يتجه إليها أصحاب المشاكل ممن لا يستطيعون أن يصلوا إلى الصحف الكبرى أو كبار الكتاب، وهو الأمر السهل والمتاح فى هذه الصحف، ولا يذهب مصدر إلى صحيفة إلا إذا كان صاحب مصلحة، ولأنه صاحب مصلحة فإنه يبرز الأوراق والمستندات التى تؤيد رأيه وموقفه، ويخفى الأوراق والمستندات الأخرى التى لا تكون فى صالحه، ولذلك ينصح الصحفى أن يبحث دائما عن الورقة المفقودة فى القضية.

ولا يمكن أن نحمل حالة الحصار المعلوماتى التى تعيشها صحف الإثارة مسئولية عدم الإحترافية، فدخول أصحاب هذه الصحف أصبح سهلا، ومن لا يجد له عملا يقوم به يلتحق بها، ولأن التركيبة ليست صحفية ولا إعلامية من الأساس، فإن الصحفى يقع فى أخطاء تتعلق بقدرته على الفهم للموضوعات والقضايا المطروحة أمامه، وهو نمط من أنماط صحافة الإثارة يمكن أن نطلق عليه «**صحافة سوء الفهم**»، فهى تنتج عن قصور

وعدم قدرة الصحفى على إستيعاب المعلومات فى القضية التى يتصدى لها، ولذلك ينقلها بصورة منقوصة وقد تكون عكسية فى كثير من الأوقات، بل إن ممارسات كثير من صحف الإثارة يمكن أن يضع يد الباحث على إجابة سؤال مهم وهو كيف تقوم الصحافة بتزييف العالم؟.

■ ثالث عشر: صحافة الإتجاه الواحد

تعمل صحف الإثارة فى مصر بيقين أن الصحافة عندما تكون من طرف واحد تكون أكثر إثارة وأكثر قدرة على جذب القارئ لها.

فالصحافة يجب أن تتبنى وجهات النظر المختلفة دون أن تنحاز إلى وجهة نظر بعينها أو أن تكتفى بجانب واحد من جانب القضية التى تعمل عليها، لكن فى حالة صحافة الإثارة فإنها تعتبر أن إستيفاء الموضوع من جميع جوانبه سيمثل نوعا من إجهاض عناصر الإثارة فى الموضوع.

على سبيل المثال : لو وقع فى يد الصحيفة مستندات تدين وزير وتتهمه بالرشوة والفساد، ويكون فى مقدور الصحيفة أن تتصل بالوزير وتستطلع رأيه فى هذه المستندات، فإنها لا تفعل ذلك لثقتها أنها لو فعلت فإن الوزير قد يكون لديه ما يفسد الموضوع تماما وينسفه، فتنشر الصحيفة ما لديها فى البداية، قانعة بأن الوزير لو كان لديه ما يقوله فإنه يمكن أن يرد على الجريدة.

وفى هذه الحالة فإن الصحيفة تربح من ناحيتن، الأولى أن الوزير لو رد عليها، فإن ذلك يعتبر نجاحا لها ورصيدا لدى القراء فلو لم تكن لها قوة تأثير لما إلتفت إليها الوزير، وهى تضمن بذلك أيضا حلقة جديدة من حلقات الإثارة فى نفس الموضوع، وإذا لم يرد الوزير على الصحيفة فإنها تعتبر نفسها إنتصرت عليه بذلك، ولا تجد مانعا لديها من أن تفتح ملفات هذا الوزير إعتمادا على أنه لو كان برئيا او بلا أخطاء لرد على الجريدة، لكن ولأنه صمت فلابد أنه مدان.

ولا يمكن تفسير صحافة الإتجاه الواحد على أنها ترجمة لرغبة واعية من صحف الإثارة فقط، فهى نمط ينتج أيضا عن قلة إمكانيات هذه الصحف، فقد لا يستطيع محرروها أن يصلوا إلى المسئولين والوزراء، أو من ناحية أخرى أن محررى هذه الصحف لا يتمتعون بأى قدر من الثقة لدى المسئولين، ولذلك فإنهم لا يستطيعون أن يحصلوا منهم على تصريحات أو ردود على ما لدى الجريدة من مستندات أو وثائق تحوى حقائق أو حتى أكاذيب عن هؤلاء المسئولين.

■ رابع عشر: إحالة صحف الإثارة على صحافة المعارضة

يتم التعامل مع صحف الإثارة فى مصر ومعظمها من الصحف الخاصة على أنها تنتمى إلى صحافة المعارضة، وفى هذا تزيد غير علمى ولا منطقى، ففى صحافة الإثارة مذاق معارضة، لكنها فى الحقيقة ليست معارضة بالمفهوم العام للمعارضة، فهى لا تقف ضد الحكومة طوال الوقت، ولكنها تساندها أحيانا وتخرج عليها أحيانا أخرى ، وهى تقف ضد المعارضة بشكل واضح فى أوقات معينة، وتنحاز إليها فى كثير من المواقف، ولذلك من الصعب تصنيف صحافة الإثارة على أنها صحافة معارضة بالمعنى الكامل.

ثم أن الإثارة تتبدى فى مختلف الأنماط الصحفية المصرية، فالمؤسسات الحكومية تصدر صحفا ومجلات تعتمد فى توزيعها على آليات إثارية مثل نشر الصور العارية، والمثال الواضح على ذلك مجلة حريتى التى تصدر عن مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، وتمتد الإثارة وإن كان بمعناها السياسى إلى الصحف المعارضة، وتأتى الصحف الخاصة بعد ذلك لتجمع كل هذه الأنماط الإثارية فى نمط واحد يجمع ما بين الإثارة الساسية والإجتماعية والثقافية.

ولا تنفى صحف الإثارة أنها صحافة معارضة، خاصة أنها تصبح بذلك أكثر مصداقية لدى القراء والجمهور، خاصة فى سياق سياسى عام جعل القراء والجماهير لا تثق فى أى شئ يأتى من قبل الحكومة بل ينظرون إليه بمنتهى الشك والريبة، فحتى لو كانت صحف

الإثارة فى يقينها أنها ليست معارضة، فإنها تقبل أن يقال عنها ذلك طالما أنه سيكون عاملا فى زيادة توزيعها وجعلها أكثر مصداقية لدى من يقرأونها ويقبلون عليها.

■ خامس عشر: وضعية المرأة فى معالجات صحافة الإثارة

تمثل المرأة فى صحافة الإثارة ركنا مهما تعتمد عليه فى جذب الإنتباه، فالصور العارية هى فى النهاية صور لنساء، سواء كن فنانات أجنبيات أو مصريات وعربيات أو سيدات مجتمع على الشؤاطى أو فى الحفلات الخاصة، فالذهن لا ينصرف إلى صور الرجال العارية لأنها لا تمثل مصدرا للإثارة حتى لو كان الرجال عرايا تماما.

ومن وجهة نظر فاروق أبو زيد أن الصحف تلجأ إلى وضع صورة لإمراة جميلة على الغلاف أو فى الموضوعات الداخلية لأنها تضفى جمالا من نوع ما على الغلاف، ثم أن النساء هن الأكثر جاذبية وأكثر قدرة على لفت الإنتباه[1].

هذا التعامل مع المرأة يجعلها فى النهاية سلعة، يتم البيع على جسدها، خاصة أن صحف الإثارة تنشر صور النساء فى أغلب الأحيان بلاداعى، أو أن الصور التى تنشر مع الموضوعات لا يكون لها علاقة وثيقة أو حتى غير وثيقة بها، فهى وسيلة للتجميل، وقد تقبل صحف الإثارة على نشر موضوعات خاصة بالمرأة العربية، ولا تجد صورا مناسبة لترفقها بالموضوع، فتكتفى بالصور الموضوعية لنساء أجنبيات، وبذلك تعتبر أنه ليس عليها حرج.

وتقع صحف الإثارة فى إشكالية موضوعية، فهى تروج لنفسها على أنها صحف ليبرالية تؤمن بحرية الرأى، وتقدس حرية المرأة وتتعامل معها على أنها شريكة فى المجتمع، هذا على مستوى الخطاب المعلن فى هذه الصحف، لكن على مستوى المعالجات المهنية، فإنها تمارس إحتقارا مجتمعيا للمرأة وتمييزا ضدها، ولأن التمييز الذى يمكن أن

---

(١) فاروق أبو زيد، من محاضرة عن الصحافة النسائية، الفرقة الرابعة كلية الإعلام، العام الدراسى ١٩٩٧.

يخدم صحف الإثارة فى سياق تعاملها مع المرأة، هو التمييز الجنسى ضدها، فإنها تقدم المرأة كسلعة جنسية، أو نساء للعرض فقط، فهى تغازل قارئها بالصور العارية حتى لو كانت هذه الصور منبتة الصلة بالموضوعات التى تنشرها الصحف.

إن وضعية المرأة فى المجتمع المصرى تتجلى فى معالجات صحف الإثارة، فهى فى خلفية هذه المعالجات أصل الشرور، وغاوية الرجال، والعامل المشترك الأعلى فى الجرائم والحوادث، وهى أساس الفضائح، وهو ما يجعل قضايا الفساد التى تتفجر فى المجتمع دون أن يكون فيها إمراة ضحية أو متهمة، بلا قيمة لدى صحف الإثارة، فهناك قضايا كثيرة لها طابع حيوى وتهم الناس، ، لكن صحف الإثارة لم تلق لها بالا، لأنها كانت خالية من النساء، أى أن عنصر الإثارة الأساسى مفقود، لكن عندما تكون المرأة موجودة ولو بشكل سطحى فى قضايا الفساد فإنه يتم تعميق دورها، لتصبح هى بطلة قضية الفساد، لأن ذلك يكون عاملا مهما فى التوزيع.

■ سادس عشر: التبعية للصحف الغربية فى معالجات القضايا المحلية

تعوض صحافة الإثارة فى مصر ضعف المصادر التى تمدها بالمعلومات محليا، بالإعتماد على مصادر غربية تتمثل فى الصحف الأجنبية وتحديدا الأمريكية والإنجليزية والعبرية منها، ولا يخرج هذا الإعتماد عن إختيار الموضوعات ذات الطابع المثير من الناحية الجنسية، وتهتم الصحف بإعادة نشر الصور العارية التى تنشرها هذه الصحف، وهناك أسلوبان فى النشر خلال هذا السياق...

الأول: تنشر الصحف هذه الموضوعات المترجمة على مسئولية صحفها وتعلن عن ذلك بداية من الصفحة الأولى، وتعتبر نفسها فى هذا السياق ناقل فقط لما نشرته الصحف الأجنبية.

الثانى: تنشر الصحف مادة الصحف الأجنبية مع إخفاء ملامحها حتى توحى بأن هذه

الأحـداث وقعـت فى مصر، كـأن تتحـدث عـن وزيـر شـاذ، أو فضـيحة لمسئول كبـير مـع سكرتيرته، أو قضية رشوة جنسية ارتكبها مسئول آخر، ويفيـد الإخفـاء أن القـارئ يعتقـد أن هذه الوقائع والأحداث وقعت فى مصر، فيقبل على شراء الصـحيفة، لكنـه سرعـان مـا يكتشف أن هذه الوقائع فى دولة أخرى غير مصر.

حالة الإعتمادية هذه ترتب حالة مـن التبعيـة المطلقـة لـدى صـحف الإثـارة، ولا خطـر منها إذا اقتصرت على الموضوعات الإجتماعية والجنسية رغم أنها يمكن أن تساهم فى نشر أفكار وعادات وتقاليد غريبة على المجتمع المصرى، لكن الخطر يكمن عنـدما تصـبح هـذه التبعية فى الأمور السياسية الداخلية التى تهتم بها الصحف العالمية.

لا يوجد لدى كثير من صحف الإثارة الـوعى المجتمعـى الكامـل، فعنـدما يكـون عـلى المحك الصحفى قضية مصر وإسرائيل يمثلان طرفيها، تجتهـد صـحف الإثـارة فى نقـل مـا تنشره الصحف العبرية عن الواقعة، وبتراكم النشر يصبح ما تقولـه الصـحف العبريـة هـو سيد الموقف والمشكل النهائى للرأى العام فى مصر، خاصة أن من يقومون بنقـل مـا تـنشره الصحف العبرية وترجمته لا يملكون من المعلومات المحلية ما يستطيعون مـن خلالـه الـرد والنقد والتفنيد.

التبعية هنا لا يمكن أن يحيلها الباحث على تنفيذ فكرة معينة سيرا وراء أجنـدة خاصـة، لكنها فى الغالب تأتى ترجمة لعاملين:

الأول: هو الحصار المعلوماتى ليس على المستوى الرسمى ولكن على المستوى الشعبى أيضا، ففى الوقائع التى يكون مصادرها من الجمهـور يجتهـدون فى إخفـاء المعلومـات هـم أيضـا، فتجـد الصـحافة نفسـها عـاجزة عـن مـلء صـفحاتها بمـواد محليـة فتلجـأ إلى المـادة العالمية، وتحديدا المثير والغريب منها.

و الثانى: هو العجز المهنى، فلا يوجد ما يمنع صـحف الإثـارة أو غيرهـا مـن الإعـتماد على الصحف الأجنبية، لكن المشكلة تظل فى الطريقة والأسلوب والمعالجة المهنية التى من

المفروض أن تتبع فى هذه المساحة، فلابد من مراعاة السياق الذى تنشر فيه، فقد نشرت هذه المواد فى مجتمعات مختلفة ولها خلفياتها التى تبررها أو حتى تحول دون نشرها، وهذه السياقات تختلف بالطبع عن سياقات المجتمع المصرى.

إن كثيرا من الصحف الأجنبية تنشر تقارير عن النظام المصرى، وعن الأسرة الحاكمة فيه، وهى موضوعات هزيلة بالنسبة لما تملكه صحف الإثارة والصحفيون العاملون فيها عن النظام والأسرة الحاكمة، لكن لأسباب قانونية لا تستطيع صحف الإثارة المحلية أن تنشر هذه المعلومات، فتضطر إلى ترجمة التقارير السياسية وتنسبها إلى الصحف التى نشرتها حتى تبعد نفسها عن بطش السلطة أو تضييق الأجهزة الأمنية عليها.

ويفتح ذلك أمامنا الباب لبلورة إشكالية صحف الإثارة السياسية فى مصر، فهى تملك المعلومات، والتقارير الموثقة فى أغلب الأحيان، لكنها لا تقدر على نشرها، وترضى فى هذا الإطار أن تكون تابعة، بدلا من أن تكون قائدة ، فالتقارير التى تنشر منسوبة إلى الصحف العالمية، رغم أنها تحظى فى بعض المعالجات بالمصداقية، لكنها فى النهاية تظل أسيرة أنها تعبر عن أجندة غربية خاصة بمن يكتبها ويروج لها.

■ سابع عشر: آليات الرصد والرقابة على صحافة الإثارة

ينظم القانون رقم ٧٦ لسنة ١٩٧٠ الذى تعمل بمقتضاه نقابة الصحفيين الآن[1] الواجبات التى يجب أن تضطلع بها النقابة فى الآتى:

- مع عدم الإخلال بحق إقامة الدعوى المدنية او التأديبية يؤاخذ تأديبيا كل صحفى يخالف الواجبات المنصوص عليها فى هذا القانون أو اللائحة الداخلية للنقابة أو لائحة آداب المهنة.

- العقوبات التأديبية هى الإنذار والغرامة والمنع من مزاولة المهنة مدة لا تتجاوز سنة وشطب الإسم من جدول النقابة ولا يترتب على ذلك المساس بالمعاش المستحق.

(١) ليلى عبد المجيد، تشريعات الإعلام فى مصر (القاهرة، ٢٠٠٢)ص ١٠٩ .

- تشكل فى النقابة هئية تأديب إبتدائية تتكون من عضوين يختارهما المجلس من بين أعضاءه وأحد النواب بإدارة الفتوى والتشريع لوزارة الإرشاد القومى(الإعلام حاليا) وتستأنف قراراتها هئية تأديبية استئنافية.

- لمن يصدر ضده قرار تأديبى بشطب اسمه من جدول الصحفيين أن يطلب من لجنة القيد بعد مضى خمس سنوات كاملة على الأقل قيد اسمه مرة أخرى.

وعندما صدر القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦ الذى ينظم العمل الصحفى أضاف بعض الإختصاصات إلى المجلس الأعلى للصحافة من بينها[١] متابعة وتقييم ما تنشره الصحف وإصدار تقارير دورية عن مدى إلتزامها بآداب المهنة وميثاق الشرف الصحفى مع إلزام الصحف بنشر تلك التقارير، وضمان إحترام الصحف والصحفيين لحق الرد والتصحيح، والنظر فى شكاوى الأفراد ضد الصحف أو الصحفيين فيما يتعلق بإلتزام الصحافة بآداب المهنة وسلوكياتها أو فيما ينشر ماسا بحقوق الأفراد أو حياتهم الخاصة.

ورغم أن هذه الصلاحيات ممنوحة للنقابة وإلى جوارها المجلس الأعلى للصحافة بقوة القانون، إلا أنها فى النهاية لا تمارس دورها فى متابعة الصحف.

وقد تكون هناك أسباب تحول دون أن تقوم نقابة الصحفيين بدورها وهى فى الغالب أسباب إنتخابية، فلو أن النقابة قامت بدورها فى عقد مجالس تأديب للمخالفين من الصحفيين فإن أعضاء مجلسها يخشون أن يؤثر ذلك على فرصهم فى الإنتخابات التالية ولذلك يتعاملون وكأن شيئا لا يدور فى ساحتهم، ولا تتحرك النقابة فى الغالب إلا فى ظلال أزمة ضخمة وتحريض من قوى معينة، وعندما تتدخل لا تكون حاسمة، بل تمارس سياسة مسك العصا من المنتصف.

أما المجلس الأعلى للصحافة فهو يقوم بدوره من خلال المتابعة الشهرية للممارسات المهنية ويصدر بذلك تقريرا يقوم على إعداده أساتذة الصحافة والإعلام فى الجامعات

(١) ليلى عبد المجيد، مرجع سابق، ص ٩٩.

المصرية، وتلتزم الصحف بنشر ملخص لهذا التقرير، وبينما ينص القانون على أن تنشر كل صحيفة ملخصا للتقرير والتقرير الخاص بها، فإن الصحف لا تلتزم بذلك، فهى تنشر فقط ملخصا للتقرير وتتغاضى عما يخصها، بل إنها على عكس الحقيقى تؤكد أنها خالية من العيوب والملاحظات أيضا، ولا يملك المجلس حيال هذا التدليس شئيا.

إن المجلس الأعلى للصحافة لايريد فى النهاية أن يبدو وكأنه العدو الأول للصحافة فهو على العكس من ذلك يحاول أن يقوم بدور المحامى الأول والمدافع عن حرية الرأى والتعبير، وهناك ضغوط تمارس أحيانا عليه لكنه ينحاز دائما لحرية الصحافة ومصلحة الصحفيين[1].

لقد صدر هذا التقرير على مرحلتين، المرحلة الأولى فى الفترة من ١٩٨٥ وحتى ١٩٩٢ ، وكان الدافع وراء ذلك المناوشات الصحفية بين زملاء المهنة بعد نشر الأهالى لفصول من كتاب «خريف الغضب» لمحمد حسنين هيكل، حيث اطلق موسى صبرى على المسئولين فى الأهالى عصابة الأربعة[2] وعرضت الأهالى بعلاقة موسى صبرى بالمطربة صباح عندما اطلقوا عليه الشحرور[3].

كان لابد من التدخل، وبالفعل صدر التقرير من أجل التشديد على إحترام حقوق الزمالة، لكن نسخ هذا التقرير لم يتم تداولها ، لأن النسخ التى صدرت منه معدودة وتوجد فى مكتبة المجلس الأعلى للصحافة.

فى الفترة الثانية التى بدأت من العام ١٩٩٩ وتستمر حتى الآن صدرت التقارير على خلفية معركة الصحفيين فى إلغاء القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥، ووقتها إقترحت نقابة الصحفيين أن يكون من حق المجلس إصدار تقارير دورية وهو ما تضمنه القانون الذى صدر بالفعل ٩٦ لسنة ١٩٩٦، وإقترحت النقابة أن يرسل لها التقرير وهى تتولى التحقيق

(١) فاروق أبو زيد، مقابلة خاصة معه.

(٢) المقصود بهم حسين عبد الرازق وزوجته فريدة النقاش وصلاح عيسى وزوجته أمينة النقاش.

(٣) عصام فرج، مقابلة خاصة معه

فى المخالفات التى وردت فيه، ويرسل التقرير بالفعل وبشكل دورى للنقابة وتطلع عليه لكنها لا تأخذ حيال ما فيه من مخالفات أى إجراء سلبى أو إيجابى، وإن كانت النقابة وضعت شرطا بعد ذلك وهو ألا ترفع قضايا ضد الصحفيين المتجاوزين قبل أن تسألهم النقابة، وقال جلال عارف نقيب الصحفيين فى هذه الفترة أنه لا يستطيع أن يحاسب الصحفى على خطأ وقع فيه مرتين.

لكن يبدو أن هناك معوقات عديدة تحول دون إعمال التقرير لأثره، فالتقرير يعرض قبل إقراره بصورة نهائية على لجنة تقرير الممارسة وهى لجنة تضم عددا من رؤساء التحرير فى الصحف القومية والحزبية، وتبدى اللجنة ملاحظات عديدة، وهى فى الغالب ملاحظات تخصهم أو تخص صحفهم، ومن أمثلة الجدل الذى حدث فى هذه اللجنة أكثر من مرة الجدل حول الأخبار المجهلة ومدى إحتياج الصحف لها فى ظل التضييق على حق الحصول على المعلومات، والصور العارية حيث أن هناك الكثير من الصور لا يمكن التعامل معها على أنها صور عارية لكن المجتمع يبدى إعتراضه عليها، ودار جدل كذلك على ضروة إلغاء فئة التمييز بين المادة التحريرية والإعلانية وكانت حجة من طالبوا بالإلغاء أن فى النشر إحراج بالغ للصحف.

وعلى إمتداد سنوات التقارير ترسخ فى يقين المجلس أن التقرير لعب دورا كبيرا فى إنحسار ظاهرة صحافة الإثارة من خلال عمليات الكشف والتنبيه المتواصلة والتى لها ردود فعل إيجابية وقد بات هذا واضحا على وجه التحديد فى فئتى الأخبار المجهلة ونشر الصور العارية[1].

تقارير المجلس نفسها تثير إشكالية فعاليتها وقدرتها على حصار تيار الإثارة، ويرصد صلاح عيسى فى هذا الإطار[2] أن الهدف من هذه التقارير مهنى صرف، والعقوبة على ما

---

(١) عصام فرج، مقابلة خاصة معه.

(٢) صلاح عيسى، تقارير وزغاريد المجلس الأعلى للصحافة، جريدة القاهرة، عدد ١٢ أغسطس ٢٠٠٨.

ترصده من أخطاء أدبية محضة، فهى أشبه بنقد يوجهه المجلس الأعلى للصحافة إلى الصحف والصحفيين، ليلفت نظرهم إلى مواطن الخروج عن آداب مهنتهم وتقاليدها فيما ينشرونه من أخبار وتحقيقات وتعليقات. مما قد يحفزهم على تلافيها، إذا أرادوا أن يحتفظوا لأنفسهم ولصحفهم بمكانة على خريطة الصحف المهنية المحترمة، وتلفت نظر القارئ إلى مدى إلتزام الصحيفة أو الصحف التى يقر لها بالشروط المهنية فيواصل قراءتها أو ينصرف عنها.

ويشير صلاح عيسى إلى أن مشكلة التقارير التى يصدرها المجلس أنها غيرت المحطات التى يستند إليها فى تقييم الممارسة الصحفية، وترصد على أساسها الأخطاء وهى محكات وضعتها عام ١٩٨٦ لجنة كان يرأسها أستاذ الإعلام خليل صابات، وكانت تقوم على ثلاثة محاور:

يرصد **الأول** : مدى الإلتزام بأدبيات الممارسة المهنية من حيث دقة الأخبار وخلط الرأى بالخبر والأدبيات المتصلة بنشر أخبار الجرائم، ويعرض فيها التعليق على قضايا لا تزال منظورة أمام القضاء، أو نشر القضايا المتصلة بالأحوال الشخصية، أو نشر أسماء الأحداث المتهمين فى القضايا أو صورهم، ومن حيث إرتكاب جريمة من جرائم النشر مثل السب والقذف والإهانة، ومن حيث إرتكاب أدبيات نشر الإعلان، والعرض غير الدقيق للأحداث بالحذف أو الإضافة وإتباع أسلوب الإثارة فى عرض المادة الصحفية، واستغلال الغرائز والتركيز على بعض الحالات الشاذة وإظهارها كظواهر إجتماعية.

وكان **المحور الثانى** : يتعلق بمدى إحترام حقوق الزمالة بين الصحفيين ونسبة مادة صحفية لغير صاحبها.

ويشمل **المحور الثالث** : إحترام حق الخصوصية وحق الرد والتصحيح وحقوق الجمهور.

ويضع صلاح عيسى يده على الإشكالية بدقة حيث يرى: أن أعضاء المجلس الأعلى

للصحافة الذين ينيط بهم القانون إعتماد هذه التقارير ومعظمهم من رؤساء تحرير الصحف قد عز عليهم أن يوقعوا على تقارير تتضمن دلائل على مخالفاتهم الصارخة لتقاليد وأصول مهنتهم، فبدأوا بتجاهل نشر التقارير رغم إعتمادهم لها، لينتهى الأمر بتغيير المحكات التى تستند إليها، فإذا بالتقارير منذ أكثر من سبع سنوات تتوالى لتؤكد أن الوضع على كوكب الصحافة من حيث الإلتزام بتقاليد المهنة تحت السيطرة.

لكن يبدو أن التقارير وحدها لا تكفى والدليل على ذلك أن عصام فرج يقترح آلية من وجهة نظره يمكن أن تخفف من وطأة صحافة الإثارة ، وهى **أن تتكامل وسائل الإعلام المقروءة والمرئية فى فضح ممارسات صحف الإثارة وتسليط الضوء على الأخطاء التى تقع فيها هذه الصحف من خلال عرض نقدى لها، وهو ما يمكن أن يجعل هذه الصحف تشعر بالحرج البالغ فتتراجع عن معالجاتها.**

وهى آلية بقدر ما هى منطقية وقابلة للتنفيذ لكنها تكشف أن الآليات الرسمية التى تمارس من خلال نقابة الصحفيين والمجلس الأعلى للصحافة غير قادرة على حصار الظاهرة والأسباب فى ذلك واضحة، فكل من المؤسستين تنضويان تحت مظلة مجموعات مصالح لا يمكن أن تفرط فى مصالحها بسهولة.

■ ثامن عشر: مستقبل صحافة الإثارة فى مصر

لا يمكن التنبؤ بمستقبل تيار الإثارة الصحفية فى مصر، وذلك صعودا على صعوبة تحديد مستقبل كافة الظواهر الصحفية، لأن الصحافة فى مصر معلقة فى رقبة ظروف غير طبيعية ولا منطقية، يحكمها تصور السلطة للوظيفة التى يجب أن تؤديها الصحافة.

وهذا التصور يرتب الخط الذى تسير فيه المعالجات الصحفية، فهو الذى يفتح أمامها باب الحرية للعمل، وهو الذى يمكن أن يغلق أمامها الأبواب جميعا، فلا تستطيع أن تعمل إلا بما تريده السلطة.

فهى تستخدم صحافة الإثارة لتحقيق أهدافا معينة، وفى الوقت ذاته عندما تنقضى هذه

الأهداف تحاصر السلطة الإثرة الصحفية، وعليه فالمستقبل هنا مرهون بها تريده السلطة من الصحافة، وهو متقلب ومتغير ومرحلى لا يمكن أن نعرف منه تصورا محددا لما يمكن أن يحدث بعد ذلك فى هذا التيار.

إن هناك مؤشرا وضعه محمود خليل وهشام عطية[1] فى إستعراضهما لمستقبل النظام الصحفى المصرى، فقد أشارا إلى أن أبرز الظواهر المتعلقة بالمضمون الصحفى والتى شهدتها فترة التسعينات من القرن العشرين هى ظهور الصحف الخاصة التى صدرت عن شركات مساهمة وتميزت هذه الصحف بملامح مختلفة للمضامين التى تقدمها وتتمثل أبرز هذه الملامح فى الآتى:

- حاولت هذه الصحف معالجة القضايا العاملة بأسلوب مستقل لا تميل فيه إلى جهة معينة.

- تعتمد هذه الصحف عى تقديم مضمون مثير سواء فى الموضوعات التى تنشرها أو الصور المصاحبة للموضوعات.

- تصيغ هذه الصحف مضمونها على أساس توجهات الرأى العام، فهى لا تساهم فى تشكيل أو توجيه الرأى العام ولكنها تستجيب له وتحاول التعرف عليه من خلال رسائل القراء.

- لا تنتقد هذه الصحف مياسات الدولة بشكل صريح، وإذا قامت بذلك فهى تنتقد بشكل ضمنى على أساس أنها تهدف إلى الإستمرار والكسب.

ويرى الباحث أن الصحف الخاصة التى تنتهج أسلوب الإثارة قد تجاوزت هذا التصور بمراحل، فبعد أن إستقرت بها الأمور إلى حد بعيد أصبحت تشتبك مع القضايا

(١) محمود خليل وهشام عطية، مستقبل النظام الصحفى المصرى، عناصر وآليات تطور الصحافة المصرية وسيناريوهات التطور المستقبلى ٢٠٠٠ – ٢٠٢٠ ، المجلة المصرية لبحوث الرأى العام، المجلد الثانى، العدد الثالث، يوليو – سبتمبر ٢٠٠١.

المجتمعية وتشكل الرأى العام تحديدا فى القضايا السياسية، وارتفعت بسقف المعارضة السياسية، فبعد أن كانت تجعل من الحكومة هدفها والوزراء والمسئولين الكبار فى المؤسسات المختلفة المادة الأساسية التى تعمل عليها، أصبح رأس السلطة فى مصر هو هدفها، ودخلت الصحف إلى مساحات واسعة من النقد التى وصلت فى مراحل معينة إلى التشهير بالنظام ورموزه الكبار.

وبناء على التصور الذى وضعه محمود خليل وهشام عطية لما تقدمه الصحف الخاصة الذى يعتبر إلى حد ما نوعا من الصور الذهنية الثابتة التى تتشيأ معها ظاهرة معينة، فقد أشارا إلى ما يمكن أن يحدث فى مستقبل هذه الظاهرة، حيث توقعا ألا تطرأ تحولات جذرية على مضمون الصحف الخاصة لأنها تعتمد فى الأساس على الإثارة كأسلوب لجذب القارئ.

وهو أسلوب يضمن بقاء القارئ كمورد من موارد تمويلها لفترة قد تطول وقد تقصر، ولكن من المتوقع بمرور الوقت وخلال العقد الثانى من تشغيل السيناريو أن تنخفض حدة الإثارة فى المضمون داخل هذه الصحف بناء على تشبع السوق الصحفى بنوعية الصحف الخاصة التى تستخدم هذا الأسلوب.

وفى حقيقة الأمر التى تفرضها مقتضيات الواقع فإن الباحث لا يطمئن لحدوث هذا السيناريو، لسبب تطبيقى وآخر نظرى، فالعقد الثانى فى تشغيل السيناريو يكاد ينتهى فى ٢٠١٠ ولم تنقضى صفحة صحافة الإثارة بل إنها لا زالت تتوسع، وتتزايد تجلياتها فى إصدارات جديدة على إعتبار أن هذه الصيغة مضمونة فى سياق الرواج الصحفى وزيادة التوزيع.

والسبب النظرى أن تيار الإثارة الصحفية لم يكن فى مرحلة من مراحل تطوره ضمن مراحل تطور الصحافة المصرية يسير على خط مستقيم ممتد له بداية وله نهاية، بل كان دائما مثل الخط المتعرج، ولم يكن تشبع السوق الصحفى منه سببا مباشرا فى أى مرحلة فى

إنحسار الظاهرة بل يأتى الإنحسار دائما لأسباب خارجة عن الظاهرة، ترتبط غالبا بالمتغيرين السياسى والإقتصادى الحاكمين للظاهرة فى سياقها التاريخى.

هذا لا يمنع الباحث من أن يستعرض بعض الرؤى لمستقبل التيار:

يرى فاروق أبو زيد[1] أنه لا مستقبل لتيار الإثارة فى مصر، بل يكاد يكون الطريق مغلقا أمامها، ولذلك أسبابه فالمجتمع الذى أدخلته هذه الصحافة فى مشكلات عديدة لن يتقبل هذا النمط الصحفى بسهولة بعد ذلك، فجريدة النبأ بعد مشاكلها العديدة التى أثارتها مع الكنيسة بعد نشرها تحقيقا عن إنحرافات أحد الرهبان الجنسية ونشرت صور كانت صارخة فى إثارتها، وأصبح واضحا أن المجتمع لن يتقبلها بهذا الأسلوب سلكت طريقا آخر حيث أصبحت صحيفة شعبية تحاول أن تقدم الإثارة الهادفة على قدر الإمكان.

ويذهب فاروق أبو زيد إلى أن التحولات التى تحدث فى المجتمع المصرى من إتجاهه للمحافظة الأخلاقية والدينية وتنامى التيارات السلفية التى تعلى من شأن الإسلام الشكلانى سيجعل المجتمع يحجم عن التعاطى مع صحافة الإثارة وما تقدمه على الأقل حفاظا على الصورة العامة التى يبدو عليها المجتمع أو بالمعنى الأدق الصورة التى يرغب المجتمع أن يبدو عليها حتى لو لم يكن كذلك.

ويرى نجاد البرعى[2] أن إنحسار صحف الإثارة مرهون بزيادة الصحف الجادة فى السوق الصحفى، فهذه الصحف تأخذ فى الغالب من قراء صحف الإثارة، فالجراثيم والفيروسات التى تنشرها صحف الإثارة لا تنمو ولا تنتشر إلا فى الغرف المغلقة، وعندما تفتح الأبواب ويدخل النور تتحسن الأوضاع من تلقاء نفسها، وكلما ظهرت مؤسسات صحفية كبرى كلما قل الإقبال على الإثارة الصحفية، صحيح أنها لا يمكن أن تندثر، لكن على الأقل تصبح فى حجمها الطبيعى الذى تستحقه، فعندما يتشكل السوق الصحفى من

(١) فاروق أبو زيد، مقابلة خاصة معه.

(٢) نجاد البرعى، مقابلة خاصة معه.

مؤسسات كبرى يقل وزن صحافة الإثارة النسبي.

ويضيف نجاد البرعي مساحة أخرى في رؤيته: فإذا تحسن المناخ السياسي الحاكم، وأصبحت الديمقراطية متمكنة كنظام عام، وقامت العلاقات بين مؤسسات المجتمع المختلفة على أساس الشفافية فإن صحافة الإثارة وما يستتبعها من مظاهر وتجليات ستنحصر، وتختفي أبواب النميمة والأخبار المجهلة والمعارك التي تدفع تكلفتها في الخفاء ومن تحت الموائد أطراف لا ترغب في الظهور على الساحة بشكل واضح أو مباشر.

ويضيف خليل فاضل[1] إلى أنه إذا إنحسرت صحافة الإثارة، فإن الإثارة نفسها لا يمكن أن تنحسر في المجتمع، فالقارئ الذي أدمن قراءة صحف الإثارة يعتبر مريض يبحث عن الإثارة في أشد أحوالها، وحيث أن وسائل الإتصال والإعلام تطورت، وأصبح القارئ يصل إلى الإثارة عبر التليفون والإنترنت والفضائيات، فإن الإضاءة انحسرت قليلا عن صحافة الإثارة، لأنها وصلت إلى حدود لم يعد يقبلها المجتمع، لكن هذا المجتمع نفسه الذي لا يمكن أن يستغني عن الإثارة سيبحث عنها بشكل مختلف، فالمشكلة إذن ليست في صحف الإثارة ولكنها في الإثارة ذاتها، وهذه لا يمكن لها أن تنتهي من الحياة أبدا.

تظل هذه في النهاية رؤى فيها جوانب عديدة من الصواب لأنها مبنية على معلومات وتحليل، لكن الباحث ينحاز إلى أنه من الصعب أن تنتهي صحافة الإثارة إلى الأبد، فهي ليست مرضا بمجرد تناول الدواء ينتهي، ولكنها أسلوب معالجة تسعى وراءه الصحف جميعا من أجل زيادة توزيعها وهو هدف لا تستطيع أن تنكره أي جريدة حتى لو كانت جادة ووقورة.

وهناك بعد لا يمكن أن يغفله الباحث وهو أن تيار الإثارة الصحفية في نهاية الأمر ليس إلا تيارا شخصيا يقف وراءه صحفي له رؤيته وأهدافه في العمل الصحفي، ومتى

(١) خليل فاضل، مقابلة خاصة معه.

توفر الظرف المناسب لظهور هذا التيار سياسيا وإجتماعيا يعود النمط إلى قوته ويشتد عوده ويعتبر فى هذه الحالة موجة جديدة من موجاته، تستفيد من تراث التيار السابقة مع الإسهامات الشخصية للوافد الجديد على أرض هذا النمط.

وعليه فالتيار لا يمكن أن ينتهى أو ينقرض لكنه فقط ينحسر ثم يتجدد وهكذا فى موجات متتابعة إلى أبد المهنة، طالما أن القانون الذى يحكم الصحافة الناجحة هو قانون أرقام التوزيع وإنتشار الجريدة، وهو قانون لا يسقط بالتقادم ولا يمكن أن يحل مكانه قانون آخر.

■ ■ ■

فهــــرس الكـــــتاب



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

■ ■ ■



